

الخامس

الجزء الرابع من تفسير ابن عطية رحمه الله

٢٠٩

المجلد الثالث من تفسير ابن عطية

١٧١

بيت جمع الامام ابو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي القراء السبعة في بيت واحد والائمة في بيت فقال

جمعت لك القراء لما اردتهم ببيت تراه للائمة جامعا
ابو عمرو عبد الله حمزة عاصم علي ولا تنس المديني نافعا
وان شئت اركان الشريعة فاستمع لتعرفهم فاحفظ اذا كنت سامعا
محمد والنعمان مالك احمد وسفين واذكر بعد داود تابعا

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وداوم العلم والسعادة اعظم الله تعالى اجره يوم التناد
حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

تفسير سورة سبحان

هي مكية الا ثلاث ايات

قوله وان كادوا ليستفزونك نزلت حين جا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض الانبيا وقوله وقل
رب ادخلني الاية وقوله ان ربك احاط بالناس الاية وقال مقاتل وقوله
تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله الاية ايضا قال ابن مسعود في بني اسرايل
والكهف انهن من العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم كسبه

قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الاية لفظ الاية يقتضي
ان الله عز وجل اسرى بعبده وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال المفسرون
معناه سرى بعبده ويظهر ان اسرى هي معداة بالهمزة الى مفعول محذوف
تقديره اسرى الملايكة بعبده وذلك انه يقلق ان يسند اسرى وهو بمعنى سرى
الى الله تعالى اذ هو فعل يعطي النقلة كمشي وجرى واحضر وانتقل فلا
يحسن اسناد شي من هذا ونحن نجد مندوحة فاذا صرحت الشريعة بشي
من هذا النحو كقوله في الحديث اتيته سعيا واتيته هرولة حمل ذلك بالتاويل
على الوجه المخلص من نفي الحوادث واسرى في هذه الاية تخرج فصيحة كما
ذكرنا ولا يحتاج الى تجوز قلق في مثل هذا اللفظ فانه الزم للنقلة من اتيته
واتى الله بنيانهم ويحتمل ان يكون اسرى بمعنى سرى على حذف مضاف كنحو قوله
تعالى ذهب الله بنورهم ووقع الاسرا في جميع مصنفات الحديث وروي عن
الصحابة في كل اقطار الاسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه وذكر النقاش
ممن رواه عشرين صحابيا وروى جمهور الصحابة وتلقاه جل العلما منهم
ان الاسرا كان بشخصه عليه السلم وانه ركب البراق من مكة ووصل الى بيت
المقدس وصلى فيه وروى حذيفة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يزل من ظهر البراق في بيت المقدس ولا دخله قال حذيفة ولو صلى فيه لكتبت عليكم

الصلوة فيه وانه ركب البراق بمكة ولم يزل عنه حتى انصرف الى بيته الا ع
صعوده الى السما وقالت عايشة ومعاوية انما اسري بنفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارق شخصه مضجعه وانها كانت رويا راى
فيها الحقايق من ربه عز وجل وجوزه الحسن وابن اسحق والحديث مطول
في البخاري ومسلم وغيرهما فلذلك اختصرت ما نصه في هذا الباب وركوب البراق
على قولها لا يكون من جملة ما راه في النوم قال ابن المسيب وابو سلمة بن عبد
الرحمن في كتاب الطبري البراق هو دابة ابرهيم الذي كان يزور عليه
البيت الحرام قال ع يريد ان يجي من يومه ويرجع وذلك من مسكنه بالشام
والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ولو كان مناما ما امكن قريشا التشنيع
وما فضل ابو بكر بالتصديق ولا قالت له ام هاني لا تحدث الناس بها
فيكذبوك الى غير هذا من الدلايل واحتج لقول عايشة بقوله وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس قال ع وهذا يحتمل القول الاخر لانه
يقال لروية العين رويا واحتج ايضا بان في بعض الاحاديث فاستيقظت
وانا في المسجد الحرام قال ع وهذا محتمل ان يريد من الاسرا الى نوم واعترض قول
عايشة بانها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي عليه السلم وان
معاوية كان كافرا في ذلك غير مشاهد للحال صغيرا ولم يحدث عن النبي عليه
السلم وقوله سبحان مصدر غير متمكن لانه لا يجري بوجوه الاعراب ولا
تدخل عليه الالف واللام ولم يجر منه فعل وسبح انما معناه قال سبحان الله
فلم يستعمل سبح الا للاشارة الى سبحان ولم يصرف لان في اخره زايدتين وهو
معرفة بالعلمية واضافته لا تزيده تعريفا هذا كله مذهب سيبويه فيه وقال
قوم نصبه على النداء كانه قال يا سبحان الذي وهذا ضعيف ومعناه تنزيه
الله وروى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة انه قال للنبي عليه السلم
ما معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء والعامل فيه على مذهب سيبويه

الوقت

الفعل الذي هو من معناه لا من لفظه اذ لم يجر من لفظه فعل وذلك مثل
قعد القرفصاء واشتمل الصماء فالتقدير نحمده اي نزه الله تنزيها فوقع
سبحان مكان قولك تنزيها وقال قوم من المفسرين اسرى فعل غير متعد
عداه هنا بحرف الجر تقول سرى الرجل واسرى اذا سار بالليل وقد ذكر
ما يظهر في اللفظة من جهة العقيدة وقرا حذيفة وابن مسعود اسرى بعبده
من الليل من المسجد الحرام قال انس بن مالك اراد المسجد المحيط بالكعبة
نفسها ورجحه الطبري وقال هو الذي يعرف اذا ذكر هذا الاسم وروى
الحسن بن ابي الحسن عن النبي عليه السلام انه قال بينا انا نايم في الحجر اذ جاني
جبريل والملايكة الحديث بطوله وروى قوم ان ذلك بين زمزم والمقام
وروى مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا عند البيت بين
النايم واليقظان وذكر عبد بن حميد الكشي في تفسيره عن سفين الثوري
انه قال اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من شعب ابي طالب وقالت فرقه
المسجد الحرام مكة كلها واسندوا الى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
وعظم المقصد هنا انما هو مكه وروى بعض هذه الفرقه عن ام هاني انها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا في بيتي وروى بعضها
عن النبي عليه السلم انه قال فرج سقف بيتي وهذا يلتيم مع قول ام هاني
وكان الاسرا فيما قال مقاتل قبل الهجرة بعام وقال قتادة وقيل بعام ونصف
قاله عروة عن عايشة وكان ذلك في رجب وقيل في ليلة سبع عشرة من ربيع
الاول والنبي صلى الله عليه وسلم ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر
وثمانية وعشرين يوما والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل
بيعة العقبة ووقع في الصحيحين لشريك ابن ابي نمر وهم في هذا المعنى
فانه روى حديث الاسرا فقال فيه وذلك قبل ان يوحى اليه ولا خلاف
بين المحدثين ان هذا وهم من شريك والمسجد الاقصى مسجد بيت المقدس

وسماه

وسماه الاقصى اي في ذلك الوقت كان اقصى بيوت الله الفاضلة عن الكعبة
ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ويكون المقصد
اظهار العجب في الاسرا الى هذا البعد في ليلة والبركة حوله هي من جهتين
احداهما النبوة والشرايع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه
وبواديه والاخرى النعم من الاشجار والمياه والارض المفيدة التي خص الله
الشام بها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله بارك فيما بين
العرش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس وقوله لنريه من اياتنا
يريد لنري محمدا بعينه اياتنا في السموات والملايكة والجنة والسدرة
وغير ذلك مما راه تلك الليلة من العجايب ويحتمل ان يريد لنري محمدا للناس
اية اي يكون النبي عليه السلم اية في ان يصنع الله ببشر هذا الصنع ويكون
الروية على هذا روية قلب ولا خلاف ان في هذا الاسرا فرضت الصلوات الخمس
على هذه الامة وقوله انه هو السميع البصير وعيد من الله للكفار على تكذيبهم
محمدا في امر الاسرا فهي اشارة لطيفة بليغة الى ذلك اي هو السميع لما تقولون
البصير بافعالكم قوله عز وجل واتينا موسى الكتاب الاية عطف قوله
واتينا على ما في قوله اسرى بعبده من تقدير الخبر كانه قال اسرينا بعبدنا
واريناه اياتنا واتينا الكتاب التوراة والضمير في جعلناه يحتمل ان يعود على
الكتاب ويحتمل ان يعود على موسى وقوله الا تتخذوا يجوز ان يكون ان
في موضع نصب بتقدير كراهة ان او في موضع خفض بتقدير لان لا تتخذوا ويجوز
ان تكون مفسرة بمعنى اي كما قال ان امشوا واصبروا فهي في هذا مع امر وهي في
اتيناه هذه مع نهي والمعنى مع هذه التقديرات فعلنا ذلك لئلا تتخذوا
يا ذرية ويحتمل ان تكون ذرية مفعولا ويحتمل ان تكون ان زايدة وتضمر في الكلام
قول تقديره قلنا لهم لا تتخذوا وانما ان تضمر القول ولا تجعل ان زايدة فلا يتجه
لان ما بعد القول اما ان يكون جملة تحكى واما ان يكون ترجمة عن كلام لا هو

بعينه فيجي القول في الوجه كما تقول الى قال لا اله الا الله قلت حقا وقوله
الا تتخذوا ليس بواحد من هذين قاله ابو علي وقرا جمهور الناس تتخذوا بالتا على
المخاطبة وقرا ابو عمرو وحده باليا على لفظ الغايب وهي قراة ابن عباس ومجاهد
وقتادة وعيسى وابي رجا والوكيل هنا فعيل من التوكل اي متوكلا عليه في
الامور فهو ند لله بهذا الوجه قال مجاهد وكيلا شريكا وقرا جمهور الناس
ذرية بضم الذال وقرا مجاهد بفتحها وقرا زيد بن ثابت وابان بن عثمان ومجاهد
ايضا بكسرها وكل هذا بشد الرا واليا وروي عن زيد بن ثابت بفتح الدال وتسهيل
الرا وشد اليا على وزن فعيلة وذرية وزنها فعولة اصلها ذرورة ابدلت
الرا الثانية يا كما قالوا قصيت شعري اي قصصته ثم قلبت الواو يا وادغمت
ثم كسرت الرا لتناسب اليا وكل هولاء قرا ذرية بالنصب وذلك متجه اما
على المفعول بتتخذوا ويكون المعنى ان لا تتخذوا بشرا الها من دون الله واما
على الندا اي يا ذرية فهذه مخاطبة للعالم قال قوم وهذا لا يتجه الا على قراة
من قرا تتخذوا بالتا فوق ولا يجوز على قراة من قرا يتخذوا باليا لان الفعل
للغايب والندا للمخاطب والخروج من الغيبة الى الخطاب انما يستسهل
مع دلالة الكلام على المراد وفي الندا لا دلالة الا على غاية التكلف واما على النصب
باضمار اعني وذلك متجه على القراتين على ضعف النزعة في اضمار اعني واما
على البدل من قوله وكيلا وهذا ايضا فيه تكلف وقرات فرقة ذرية بالرفع على
البدل من الضمير المرفوع في يتخذوا وهذا انما يتجه على القراة باليا ولا
يجوز على القراة بالتا لانك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على
البدل لم يجز وقوله ذرية من حملنا مع نوح انما عبر بهذه العبارة عن
الناس الذين عناهم الله في الاية بحسب الخلاف المذكور لان في هذه العبارة
تعديد النعمة على الناس في الانجاء المودي الى وجودهم ويتجه الكفر والعصيان مع
هذه النعمة والذين حملوا مع نوح وانسلوا هم بنوه لصلبه لانه ادم الاصغر وكل

ذرية ح

من

من على الارض اليوم من نسله هذا القول الجمهور ذكره الطبري عن قتادة ومجاهد
وان كان معه غيرهم فلم ينسل قال النقاش اسم نوح عبد الجبار وقال ابن الكلبي اسمه
نوح ووصفه بالشكر لانه كان يحمد الله في كل حال وعلى كل نعمة على المطعم
والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك قاله سلمان الفارسي وسعيد بن مسعود
وابن ابي مريم وقتادة وقوله وقضينا الى بني اسرايل الاية قال الطبري
معنى قضينا فرغنا وحكي عن غيره انه قال قضينا هنا بمعنى اخبرنا وحكى
عن اخرين انهم قالوا قضينا معناه في ام الكتاب واما يلبس في هذا المكان
تعديه قضينا بالى وتلخيص المعنى عندي ان هذا الامر هو مما قضاه الله تعالى
في ام الكتاب على بني اسرايل والزمهم اياه ثم اخبرهم به في التوراة على لسان
موسى فلما اراد هنا الاعلام بالامرين جميعا في ايجاز جعل قضينا دالة على
النفوذ في ام الكتاب وقرنها بالى دالة على انزال الخبر بذلك الى بني اسرايل
والمعنى المقصود مفهوم جدا خلال هذه الالفاظ ولهذا فسر ابن عباس مرة
بان قال قضينا الى بني اسرايل معناه اعلمناهم وقال مرة معناه قضينا عليهم
والكتاب هنا التوراة لان القسم في قوله لتفسدن غير متوجه مع ان يجعل
الكتاب هو اللوح المحفوظ وقرا سعيد بن جبير وابو العالية الرياحي في الكتب
على الجمع قال ابو حاتم قراة الناس على الافراد وقرا الجمهور لتفسدن بضم التا
وكسر السين وقرا عيسى الثقفي بفتح التا وضم السين والدال وقرا ابن عباس
ونصر بن عاصم وجابر بن زيد بضم التا وفتح السين وضم الدال وقوله
ولتعلن اي لتتجبرن عن طاعة الامرين بطاعة الله وتطلبون في الارض العلو
والفساد وتظلمون من قدرتم على ظلمه ونحو هذا ومقتضى هذه الايات ان
الله تعالى علم بني اسرايل في التوراة انه سيقع منهم عصيان وطغيان وكفر
لنعم الله تعالى عندهم في الرسل والكتب وغير ذلك وانه سيرسل عليهم امة
تغلبهم وتقتلهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم

يليق ح
لنا ء
وتبغون ح

لاولى الظهور فشفع منهم المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل والكفر بالله من
بعضهم فبعث الله عليهم امة اخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلا مبرحا
واعطى الوجود تعبد لك هذا الامر كله وقيل كان بين المرتين الاخرى والاولى واول
الثانية مائتا سنة وعشر سنين ملكا مويدا بانبيا وقيل سبعون سنة

وعشرون سنة

قوله عز وجل فاذا جاء وعد اولاهما الضمير في قوله اولاهما عائد على قوله
مرتين وعبر عن الشر بالوعد لانه قد صرح بذكر المعاقبة واذا لم يجي الوعد
مطلقا فجائز ان يقع في الشر وقرا علي بن ابي طالب والحسن بن ابي الحسن عبيدا
لنا واختلف الناس في العبيد المبعوثين في صورة الحال اختلافا شديدا
متباعدا فعيونه ان بني اسرائيل عصوا وقتلوا زكريا عليه السلم فغزاهم
سنحاريب ملك بابل كذا قال ابن اسحق وابن جبير وقال ابن عباس غزاهم
جالوت من اهل الجزيرة وروي عن عبد الله بن الزبير انه قال في حديث
طويل غزاهم اخرا ملك اسمه جردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكريا قايد
لجردوس اسمه سورزادان وقف عن بني اسرائيل وسأل بدعابه دم يحيى
بن زكريا وقيل غزاهم اولا صحابين ملك رومية وقيل بخت نصر وروي
انه دخل قبل في جيش من الفرس وهو خامل يسير في مطبخ الملك فاطلع
من جور بني اسرائيل على ما لم تعلمه الفرس لانه كان يداخلهم فلما انصرف
الجيش ذكر ذلك للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه
فخرب بيت المقدس وقتلهم وجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد مات فملك
موضعه واستمرت حاله حتى ملك الارض بعد ذلك وقالت فرقة انما غزاهم
بخت نصر في المرة الاخرة حين عصوا وقتلوا يحيى بن زكريا وصورة قتله
ان الملك اراد ان يتزوج بنت امراته فنهاه يحيى عنها فعز ذلك على امراته
فزينت بنتها وجعلتها تسقي الملك الخمر وقالت لها اذا راودك عن نفسك
فتمنعي حتى يعطيك ما تمنيت فاذا قال لك تمني علي ما اردت فقولي راس

يحيى بن ...

يحيى بن زكريا ففعلت الجارية ذلك فردها الملك مرتين واجابها في الثالثة
فجي بالراس في طست ولسانه يتكلم وهو يقول لا تحل لك وجرى دم يحيى
فلم ينقطع فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم يثعب
فلما غزاهم الملك الذي بعث عليهم بحسب الخلاف فيه قتل منهم على الدم حتى
سكن بعد قتل سبعين الفا هذا مقتضى هذا الخبر وفي بعض رواياته زيادة
ونقص وروت فرقة ان اشعيا النبي عليه السلم وعظهم في بعض الامور وذكرهم
الله وتوعدهم في مقام طويل نصه الطبري وذكر شعيا في اخره محمدا صلى الله عليه
وسلم وبشر به فابتدره بنو اسرائيل ففر منهم فلقي شجرة فانفلقت له
حتى دخلها فالتامت عليه فعرض الشيطان عليهم هدبة من ثوبه فاخذوا
منشارا فنشروا الشجرة وقطعوه في وسطها فقتلوه وحينئذ بعث الله
عليهم في المرة الاخرة وذكر الزهراوي عن قتادة قصصا ان زكريا عليه السلم
هو صاحب الشجرة وانهم قالوا لما حملت ضيع بنت سيدنا حتى زنت فطلبوه
فهرب منهم حتى دخل في الشجرة فنشروه وروت فرقة ان بخت نصر كان
جند سنحاريب الملك الاول وروت فرقة ان الذي غزاهم اخرا هو سابور
ذو الاكتاف وقال ايضا ابن عباس سلط عليهم حين عادوا ثلاثة املاك
من فارس سندباذان وشهرباذان وازدجرد وقال مجاهد انما جاءهم
في الاول عسكر من فارس فجاسوا خلال الديار وتغلبوا ولكن لم يكن قتال ولا
قتل في بني اسرائيل ثم انصرفت عنهم الجيوش وظهروا وامدوا بالاموال
والبنين حتى طغوا وعصوا فجاءهم في المرة الثانية من قتلهم وغلبهم على
بيضتهم واهلكهم اخر الدهر وقوله فجاسوا خلال الديار وهي المنازل
والمساكن وقوله تعالى وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة رد على
قول مجاهد انه لم يكن في المرة الاولى غلبة ولا قتال وهل يدخل المسجد الا
بعد غلبة وقتال وقد قال مودج جاسوا خلال الازقة وقد ذكر الطبري

لا تحل لك

وهو بخت نصر

وعظهم

في هذه الآية قصصا طويلا منه ما يخص الآيات والاكثر لا يخص وهذه المعاني
ليست بالثابتة فلذلك اختصرتها ۝ وقوله بعثنا يحتمل ان يكون الله ارسل
الى ملك تلك الامة رسولا يامره بغزو بني اسرائيل فيكون البعثة بامر ويحتمل
ان يكون عبر بالبعث عما القي في نفس الملك الذي غزاهم وقرا الناس فجاسوا
بالجيم وقرا ابو السمال فحاسوا وهما بمعنى الغلبة والدخول قسرا ومنه الحوس
وقيل لابي السمال انما القراءة جاسوا بالجيم فقال هما بمعنى واحد قال ع
فهذا يدل على تخير لا على رواية ولهذا لا تجوز الصلوة بقراءته ولا بقراءة نظرائه
وقرا الجمهور خلال وقرا الحسن بن ابي الحسن خلله ونصبه في الوجهين على
الظرف ۝ وقوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم الاية عبارة عما قاله
الله لبني اسرائيل في التوراة وجعل رددنا موضع نرد اذ وقت اخبارهم
لم يقع الامر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة انه يقع عبر عن
مستقبله بالماضي وهذه الكرة هي بعد الجلوة الاولى كما وصفنا فغلبت بنو
اسرائيل على بيت المقدس وملكوا فيه وحسنت حالهم برهة من الدهر
واعطاهم الاموال والاولاد وجعلهم اذا نفروا نفر الناس قال الطبري معناه
وصيرناكم اكثر عددا ومنهم قال قتادة كانوا اكثر نفيرا في زمن داود عليه
السلم ونفيرا يحتمل ان يكون جمع نفر ككليب وكلب وعبيد وعبد ويحتمل
ان يكون فعيلا بمعنى فاعل اي وجعلناكم اكثر نافرا قال ع وعندي ان
النفير اسم للجميع الذي ينفر سمي بالمصدر وقد قال تبع الحميري ۝
واكرم بقحطان من والد وبالحميريين اكرم نفيرا ۝ وقال والاتي العير
ولا في النفير يقولون جمع قريش الخارج من مكة الى بدر فلما قال لهم ابي سا بعد
بلم عنف ذلك يوصيهم في قوله ان احسنتم الاية والمعنى انهم يعلمكم ان تحدثوا
لا يكون ذلك ظلما ولا تنسرعا اليكم ۝ ووعد الاخرة معناه من المرتين المذكورتين
وقوله ليسوءوا اللام لام امر وقيل المعنى بعثناهم ليسوءوا فهي لام كي وهما

الكرة

الله

والضمير

والضمير للعباد اولي البأس الشديد وقرا الجمهور ليسوءوا بالياء جمع ونعت
والوجوه وقرا عاصم في رواية ابي بكر وابن عامر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة
على الافراد وقرا الكسائي وهي مروية عن علي بن ابي طالب لنسوء بنون
العظمة وقرا ابي بن كعب لنسوءن بنون خفيفة وهي لام الامر وقراها علي
بن ابي طالب لنسوءن بفتح اللام وهي لام القسم والفاعل الله عز وجل وفي
مصحف ابي بن كعب ليسيء بياء مضمومة بغير واو وفي مصحف ابن مسعود
ليسوء وجهكم على الافراد وخص ذكر الوجوه لانها المواضع الدالة على ما
بالانسان من خير وشر والمسجد مسجد بيت المقدس ۝ وتبر معناه
افسد بغشم وركوب راس ۝ وقوله ما علوا اي ما غلبوا عليه من الاقطار
وملكوه من البلاد وقيل ما ظرفية والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد
والتتبير رد الشيء فتاتا كفتات الذهب والحديد ونحوه وهو متفتته
قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم الاية يقول الله تعالى لنبيه عليه
السلم قل لبقية بني اسرائيل عسى ربكم ان اطعتم في انفسكم واستقمتم ان
يرحمكم وعسى ترج في حقهم وهذه العدة ليست برجوع دولة وانما هي
بان يرحم المطيع منهم وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد فلم يفعلوا
وعادوا الى الكفر والمعصية فعاد عقاب الله فضرب عليهم الذل وقتلهم
بيد كل امة قال ابن عباس سلط عليهم ثلاثة ملوك ۝ والحصير فعيل من الحصر
وهي بمعنى السجن اي يحصرهم وبنحو هذا فسر مجاهد وقتادة وغيرهما ويقال
للحصير ايضا من الحصر للملك ومنه قول لبيد
۝ ومقامة غلب الرقاب كانهم جن لدى باب الحصير قيام ۝ ومنه
قول الطرماح ۝ قليلا تتلى حاجة ثم عوليت على كل معروش الحصيرين بادن ۝
وقال الحسن الحصير في الاية اراد به ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف
عند الناس وفي لك الحصير ايضا هو ماخوذ من الحصر ۝ وقوله ان هذا القران يهدي

تعوّد بشد وبتوجه فيها ان تكون بمعني يدعوا • وقوله للتي هي اقوم يريد بها
الحالة والطريقة وقالت فرقة للتي هي اقوم لا اله الا الله قال ع
والاولى اعم وكلمة الاخلاص وغيرها من الاقوال والافعال داخلة في
الحال التي اقوم من كل حال تجعل بازائها والاقتصار على اقوم ولم
يذكر من كذا المجاز والمعني مفهوم اي للتي اقوم من كل ما غايرها في النهاية
في القوام وقيد المومنين بعمل الصالحات اذ هو كمال الايمان وان
يكن في نفسه والمومن المفرط له بايمانه فقط حظ في عمل الصالحات
والاجر الكبير الجنة وكذلك حيث وقع في كتاب الله فضل كبير واجر كبير
فهو الجنة • وقوله ان الاولى في موضع نصب بيبشر وان الثانية
عطف على الاولى وهي داخلة في جملة بشارة المومنين تبشرهم القران
بالجنة وان الكفار لهم عذاب اليم وذلك ان علم المومنين بهذا لهم
وفي هذه البشارة وعيد للكفار وبالمعني الذي يقتضيه الفاظ
الاية وقرا الجمهور ويبشر بضم اليا وفتح البا وكسر الشين المشددة
وقرا ابن مسعود ويحيى بن وثاب وطلحة ويبشر بفتح اليا وسكون
البا وضم الشين • واعتدنا معناه احضرنا واعددنا ومنه العتاد
والاليم الموجع • وقوله ويدع الانسان بالشر الاية سقطت الواو
من يدع في خط المصحف لانهم كتبوا المسموع وقال ابن عباس وقتادة
ومجاهد هذه الاية نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعا على اموالهم
وابنائهم في وقت الغضب والضجر فاخبر الله انهم يدعون بالشر في ذلك
الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبت فلو اجاب الله دعاهم اهلكهم
لكنه يصفح ولا يجيب دعا الضجر المستعجل ثم عذر بعض العذر في ان الانسان
له عجلة فطرية • والانسان هنا قيل يريد به اسم الجنس بحسب ما في الخلق
من ذلك قاله مجاهد وغيره وقال سلمان الفارسي وابن عباس اشارة

الي

الي ادم في انه لما نفخ الروح في راسه عطس وابصر فلما مشي الروح في
بدنه قبل ساقيه اعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلا لذلك فلم يقدر
لذلك فاشارت الفاظ هذه الاية الي هذا والمعني فانتم ذوو عجلة
موروثة من ابيكم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل اسيرا في قد
في بيت سودة بنت زمعة فسمعت سودة انينه فاشفقت فقالت له
ما لك فقال الم القد فقامت فارخت من رباطه فسكت ثم نامت فتحيل
في الانحلال وفر فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصبح فاخبر
الخبر فقال قطع الله يديها ففزعت سودة ورفعت يديها نحو السماء
وهي تخاف الاجابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد جعل
دعاي في مثل هذا رحمة على المدعو عليه لاني بشر اغضب واعجل فلترد
سودة يديها وقالت فرقة هذه الاية نزلت في شان قريش الذين قالوا اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما الاية وكان الاولى
ان يقولوا فاهدنا اليه وارحمنا به فذمهم الله تعالى في هذه الاية بهذا
وقالت فرقة معني هذه الاية معاتبة للناس على انهم اذا نالهم شر وضر
دعوا والحوا في الدعا الذي كان يجب ان يدعوه في حالة الخير ويلزمه المكلف
من ذكر الله وحده والرغبة اليه لكنه يقصر حينيذ فاذا مسه ضر الح واستعجل
الفرج والاية على هذا من نحو قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه
الاية **قوله عز وجل** وجعلنا الليل والنهار ايتين الاية العلامة المنصوبة
للنظر والعبرة وقوله فمحونا قالت فرقة بسبب تعقب الفا ان الله تعالى
خلق الشمس والقمر مضيين فمحا بعد ذلك القمر فمحاه جبريل بجناحه ثلاث مرات
فمن هنالك كلفه وكونه منيرا فقط وقالت فرقة وهو الظاهر ان قوله فمحونا
انما يريد في اصل خلقته وهذا كما تقول بنيت داري فبدات بالاس ثم تابعت
فلا تريد بالفا التعقيب وظاهر لفظ الاية يقتضي اربع ايات لاسيما المرتبين على

ان القمر هو المحو والشمس هي هنا المبصرة واما ان تقدر المحو في اظلام الليل
والابصار في ضوء النهار واولى ان يتضمن الاية اسن على ان يكون فيهما
طرف من اضافة الشي الى نفسه ٥ وقوله مبصرة اي يبصر بها مثل قولك
ليل قايم ونايم اي ينام فيه ويقام فكذلك اية مبصرة اي يبصر بها ومعها وحكى
الطبري عن بعض الكوفيين انه قال قال علي عليه السلم سلوا عما شئتم فقال ابن
الكوا ما السواد الذي في القمر فقال له علي قاتلك الله هلا سالت عن امر
دينك واخرتك ذلك محو الليل وجعل الله النهار مبصرا لتبتغي الناس الرزق
وفضل الله وجعل القمر بخلاف حال الشمس ليعلم به العدد من السنين والحساب
للاشهر والايام ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس ٥
وقوله وكل شي منصوب بفعل مضمر يدل عليه الظاهر تقديره وفصلنا
كل شي فصلناه تفصيلا وقيل وكل عطف على والحساب فهو معمول لتعلموا
والتفصيل البيان بان يذكر فصول ما بين الاشيا وتزال اشباههما حتى يتميز
الصواب من الشبهة العارضة فيه ٥ وقوله وكل انسان الزمناه كل
منصوب بفعل مقدر وقرا الحسن وابو رجا ومجاهد طيره في عنقه قال
ابن عباس طيره ما قدر عليه وله وخاطب الله العرب في هذه الاية بما
تعرف وذلك انه كان من عادتها اليمن والشؤم بالطير في كونها سانحة
وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالظبا وحيوان الفلاة وسمت ذلك كله
تطيرا وكانت تعتقد ان تلك الطيرة قاضية بما يلقى الانسان من خير وشر
فاخبرهم الله تعالى في هذه الاية في اوجز لفظ وابلغ اشارة ان جميع ما يلقى
الانسان من خير وشر قد سبق به القضا والزم حظه وعمله وتكسبه
في عنقه قال لا عدوى ولا طيرة وكل انسان الزمناه طايره في عنقه تعبير عن
الحظ والعمل اذ هما متلازمان بالطاير قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد
العرب في التطير وقولهم في الامور على الطاير الميمون وباسعد طاير ومنه ما

طار

طارت الخاصية والسهم لقول ام العلا الانصارية فطار لنا من القادمين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة عثمان بن مظعون اي كان حظنا
ذلك واصل هذا من الطيرة التي تقع عندهم بلقا الخير والشر وابطل ذلك
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ٥ وقوله في عنقه جرى
ايضا مقطع العرب في ان تنسب ما كان الزاما وقلادة واماية ونحو هذا
الى العنق كقولهم دمي في عنق فلان وكقول الاعشى ٥
والشعر قلدته سلامة ذا فايش والشي حيث ما جعلا ٥ وهذا
كثير ونحوه جعلهم ما كان تكسبا وجناية وانما منسوبا الى اليد اذ هي الاصل في
التكسب وقرا ابو جعفر ونافع والناس ونخرج بنون العظمة كتابا بالنصب
وقرا الحسن ومجاهد وابن محيصن ويخرج بيا مفتوحة وضم الرا على الفعل
المستقبل ٥ كتابا اي طايره الذي كنى به عن عمله يخرج له الكتاب او ذا
كتاب وقرا الحسن كتاب بالرفع وقرا ابو جعفر ايضا ويخرج بضم اليا وفتح الرا
على ما لم يسم فاعله كتابا اي طايره وقرا ايضا كتاب وقرات فرقة بيا مضمومة
وكسر الرا اي يخرج الله له وفي مصحف ابي بن كعب في عنقه يقراه يوم القيمة
كتابا يلقاه منشورا وهذا الكتاب هو عمل الانسان وخطياته وقرا الجمهور يلقاه
بفتح اليا وسكون اللام وخفة القاف وقرا ابن عامر وحده يلقاه بضم اليا
وفتح اللام وتشديد القاف وهي قراة الحسن وابي جعفر والجحدري ٥ قوله
اقرا كتابك حذف من الكلام يقال له اختصارا لدلالة الظاهر عليه ٥ والحسيب
الحاسب ونصبه على التمييز واسند الطبري عن الحسن انه قال يا ابن ادم
بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك يكتب حسناتك
والاخر عن شمالك يحفظ سياتك فامل ما شيت او اقلل او اكثر حتى اذا
مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة
كتابا تلقاه منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لقد عدل والله

فيكتب من جعلك حسيب نفسك فعلى هذه الالفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر
ما يحصل مع ابن ادم من عمله في قبره فتامل لفظه وهذا قول ابن عباس
وقال قتادة في قوله اقرا كتابك انه سيقرا يومئذ من لم يكن يقرا قوله عز وجل
من اهتدى فانما يهتدي لنفسه الاية معناها ان كل احد انما يحاسب عن
نفسه لا عن غيره وروي ان سببها ان المغيرة المخزومي قال لاهل مكة اكفروا
بمحمد واثمكم علي فنزلت هذه الاية اي ان الوليد لا يحمل اثامكم وانما اثم كل
احد عليه وقالت فرقة نزلت الاشارة في الهدى الى ابي سلمة بن عبد الاسد
والاشارة بالضلال الى الوليد بن المغيرة ﴿و﴾ وزر معناه حمل والوزر الثقل
ومنه وزير السلطان اي الذي يحمل ثقل دولته وبهذه الاية نزع عايشة
رحمها الله في الرد على من قال ان الميت يعذب ببكاء الحي عليه ونكتة ذلك
المعنى انما هي ان التعذيب انما يقع اذا البكاء من سنة الميت وسببه
كما كانت العرب تفعله ﴿و﴾ قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قالت فرقة
هي الجمهور هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا من بعد الرسالة
اليهم والانذار وقالت فرقة هذا عام في الدنيا والاخرة قال ع والذي يعطيه النظر هذا
المعنى ان مقصد الاية في هذا الموضع الاعلام بعادة الله في الامم في الدنيا وبهذا
يترتب الوعيد من كفار مكة ويؤيد هذا ما يجي بعد من وصفه ما يكون عند ارادته
اهلاك قرية ومن اعلامه بكثرة ما اهلك من القرون ومع هذا فالظاهر من كتاب
الله في غير هذا الموضع ومن النظر ان الله تعالى لا يعذب في الاخرة الا بعد بعثه
الرسل كقوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى
وظاهر كلما الحصر وكقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير واما من جهة
النظر فان بعثة ادم عليه السلم بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب
الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل احد من العالم الايمان
واتباع شريعة الله ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلم بعد غرق الكفار

الولد بن

كانم

وهذه

وهذه الاية ايضا تعطي احتمال الفاظها نحو هذا ويجوز مع الفرض وجود قوم
لم تصلهم رسالة وهم اهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض اهل العلم
واما ما روي من ان الله تعالى يبعث اليهم يوم القيمة والى المجانين والاطفال
فحديث لم يصح ولا يقتضيه ما تعطيه الشريعة من ان الاخرة ليست دار
تكليف ﴿و﴾ قوله واذا اردنا ان نهلك قرية الاية في مصحف ابي بعثنا
اكابر مجرميها والقرية المدينة المجتمعة ماخوذ من قريت الماء في الحوض اذا
جمعته وليست من قرا الذي هو مهموز وان كان فيهما جميعا معنى الجمع وقرا
الجمهور امرنا على صيغة الماضي من امر ضد نهى وقرا نافع وابن كثير في بعض ما
روي عنهما امرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا وروي عن الحسن وهي قراءة علي بن ابي
طالب وابن عباس بخلاف عنه وعن الاعرج وقراها ابن ابي اسحق تقول العرب
امر القوم اذا كثروا وامرهم الله متعديا بالهمزة وقرا ابو عمرو بخلاف عنه امّرنا
بتشديد الميم وهي قراءة ابي عثمان النهدي وابي العالية وابن عباس وروي عن
علي بن ابي طالب وقال الطبري القراءة الاولى معناها امرناهم بالطاعة فعصوا
وفسقوا فيها وهو قول ابن عباس وابن جبير والثانية معناها كثرناهم والثالثة
هي من الامارة اي ملكناهم على الناس قال ابو علي الفارسي الجيد في امرنا ان يكون
بمعنى كثرنا بتعدي الفعل بلفظه عن سعيد كما تقول رجع ورجعته وشترت
عينه وشترتها فتقول امر القوم وامرهم الله اي كثرهم قال وامرنا مبالغة
في امرنا بالهمزة وامّرنا مبالغة فيه بالتضعيف ولا وجه لكون امّرنا من الامارة
لان رياستهم لا تكون الا واحدا بعد واحد والاهلاك انما يكون في مدة واحدة فيهم قال ع
وينفصل عن هذا الذي قاله ابو علي بان الامراء كان يعم المترفين وعزه فخص
المترفون بالذكر اذ فسقهم هو المؤثر في فساد القرية وهو عظم الضلالة وسواهم
تبع لهم واما امرنا من الامارة فيتوجه على وجهين احدهما ان لا يريد امارة
الملك بل كونهم يامرون ويؤتمر لهم فان العرب تقول لمن يامر الانسان وان لم

بلكا هو امير ۝ ومنه قول الاعشى ۝ اذا كان هادي الفتى في البلاد
صدر القناة اطاع الاميرا ۝ ومنه قول معوية لعمر حين امره
بالاستقادة من لطمه عمرو بن العاص ان علي امير الا اقطع امرا دونه
اراد معوية اماه واراد الاعشى ابتدا اذا شاخ الانسان وعمي واهتدى بالعصا
اطاع كل من يامره ومنه قول الاخر ۝

۝ والناس يلحون الامير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد ۝ وايضا
فلو اراد الله امارة الملك لا ينحسن المعنى لان الامة اذا ملك الله عليها
مترفا فسق ثم ولي مثله بعده ثم كذلك عظم الفساد وبتوالي الكفر استحقوا
العذاب فنزل بهم على يد الاخير من ملوكهم وقرا الحسن ويحيى بن يعمر امرنا
بكسر الميم وحكاها النحاس عن ابن عباس ولا يحقق وجها لهذه القراة لا ان
كان امر القوم يتعدى بلفظه فان العرب تقول امر بنو فلان اذا كثروا ومنه
قول لبيد ۝ ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما يصيروا للقل والنفد ۝
ومنه لقد امر امر ابن ابي كبشة وردا الفرا هذه القراة وقد حكى امر معديا
عن ابي زيد الانصاري والمترف الغني من المال المتسع والمترفة النعمة وفي
مصحف ابي بن كعب قرية بعثنا اكابر مجرميها فمكروا فيها ۝ وقوله
فحق عليها القول اي وعيد الله لها الذي قاله رسولهم والتدمير
الاهلاك مع طمس الاثار وهدم البنا ومنه قول الفرزدق

۝ وكان لهم كبكر ثمود لما رغا ظهرا فدمرهم دمارا ۝

وقوله وكم اهلكنا الاية وكم في موضع نصب باهلكنا وهذه الذكر
للكثرة من اهلك الله من القرون مثال لقريش ووعيد اي لستم ببعيد مما
حصلوا فيه من العذاب اذا انتم كذبتم نبيكم واختلف الناس في القرن
قال ابن سيرين عن النبي عليه السلم اربعون سنة وقيل غير هذا
مما هو قريب منه وقال عبد الله بن ابي اوفى القرن مائة وعشرون سنة

وقال

وقالت طايفة القرن مايه سنة وهذا هو الاصح الذي يعضده الحديث
في قوله عليه السلم خير الناس قرني وروى محمد بن القاسم في سنه عن
عبد الله بن بسر قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على راسي
وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مايه سنة قال
محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى اكمل مايه سنة ومات رحمه الله ۝
والبا في قوله بربك زايدة التقدير وكفى ربك وهذه الباء انما تجي في الاغلب في
مدح او ذم وكانها تعطي معنى اكتف بربك اي ما اكفاه في هذا وقد تجي
في دون ذلك كقول الشاعر ۝

۝ كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ۝ وكقول الاخر
۝ ويخبرني عن غايب المرء هديه كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا ۝

قوله عز وجل من كان يريد العاجلة المعنى من كان يريد الدنيا العاجلة
ولا يعتقد غيرها ولا يومن بالاخرة فهو يفرغ امله ومعتقده للدنيا فان
الله يعجل لمن يريد منها ولا ما يشا هذا المريد بل ما يشا الله على قراة من قرا
بالنون فيمن يشا بالنون وقوله لمن نريد شرط كاف على القراتين ثم يجعل
الله جهنم لجميع مريدي العاجلة على جهة الكفر من اعطاه منها ما يشا
ومن حرمه وقال ابو اسحق الفزاري المعنى لمن نريد هلكته وقرا الجمهور
نشا بالنون وقرا نافع يشا بالياء ۝ والمدحور المهان المبعد المذلل
المسخوط عليه ۝ وقوله ومن اراد الاخرة الاية المعنى اراده يقين
وايمان بها وبالله ورسالاته ۝ وذلك كله مرتبط بملازم ۝ ثم شرط في
مريد الاخرة ان يسعى لها سعيها وهو ملازمة اعمال الخير واقواله على
حكم الشرع وطرقه فاولئك يشكر الله سعيهم ولا يشكر الله عملا ولا سعيا
الا اثاب عليه وغفر بسببه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
الرجل الذي سقى الكلب العاطش فشكر الله له فعله فغفر له وقوله

كلا نمد الايه نصب كلا بنمد وامددت الشي اذا زدت فيه من غير
نوعه ومددته اذا زدت فيه من نوعه وقيل هما بمعني واحد تقال
مددا امدده وها ولا بدل من قوله كلا فهو في موضع نصب ٥ وقوله
من عطا ربك يحتمل ان يريد من الطاعات لمريدي الاخره والمعاصي لمريدي
العاجله وروي هذا التاويل عن ابن عباس ويحتمل ان يريد بالعطا
دون الدنيا وهذا هو تاويل الحسن بن ابي الحسن وقتاده اي ان الله تعالي
يورزق في الدنيا مريدي الاخره المومنين ومريدي العاجله الكافرين ويمدهم
بعطايه فيهما وانما يقع التفاضل والتباين في الاخره ويتناسب هذا
المعني مع قوله وما كان عطا ربك محظورا اي انه رزقه في الدنيا لا
يضيق عن مومن ولا كافر وقلما تصلح هذه العباره لمن يمد بالمعاصي
التي يوبقه ٥ والمحظور الممنوع ٥ وقوله انظر كيف فضلنا الايه تدل
دلاله ما علي ان العطا التي قبلها هو الرزق وفي ذلك ينبغي ان ينظر
محمد عليه السلم الي تفضيل الله لبعض علي بعض في الرزق ونحوه من
الصور والشرف والجاه والحظوظ ويحتمل ان يكون التفضيل الذي ينظر
اليه النبي عليه السلم ان الله اعطي قوما الطاعات الموهوبه الموديه
للجنه واعطي اخرين الكفر المودي الي النار وهذا قول الطبري والنظر
هنا انما هو في تفضيل فريق علي فريق وعلي التاويل الاخر فالنظر في تفضيل
شخص علي شخص من المومنين ومن الكافرين كيف ما فرقتهما ٥ ثم اخبر ان
التفضيل الاكبر انما يكون في الاخره ٥ وقوله اكبر درجات ليس في
اللفظ من اي شي لكنه في المعني ولا بد اي اكبر درجات من كل ما يضاف
بالوجود او بالفرض اليها وكذلك قوله اكبر تفضيلا قال ع وراي بعض
العلما ان هذه الدرجات والتفضيل انما هو فيما بين المومنين واسند
الطبري في ذلك حديثا نصه ان بين اعلي اهل الجنه واسفلهم درجه

ترى

ثري كالملح في مشارق الارض ومغاربها ولكن قد ارضي الله الجميع فما
يغبط احد احدا ولا يتمني ذلك ابدا ٥ وقوله لا تجعل مع الله الايه
الخطاب لمحمد عليه السلم والمراد جميع الخلق قاله الطبري وغيره ٥
مذموما اي من الله ومن ذوي العقول في ان يكون الانسان يجعل عودا
او حجرا افضل من نفسه ويخصه بالكرامه وينسب اليه الالوهيه
ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وانعم عليه والخذلان في هذا
يكون باسلام الله وان لا يكفل له بنصر والمخذول الذي لا ينصره من يجب
ان ينصره والخاذل من الظبا التي تترك ولدها ومن هذه اللفظه قول
الراعي ٥ قتلوا ابن عفان الخليفه محرما ودعا فلم ار مثله مخذولا ٥
قوله عز وجل وقضي ربك هي بمعني امروا وجب عليكم والزم وهكذا قال
الناس واقول ان المعني وقضي ربك امره ان لا تعبدوا الا اياه وليس
في هذه الالفاظ الامر بالاقتصار علي عبادة الله فذلك هو المقضي لا
نفس العباده وقضي في كلام العرب اتم المقضي محكما والمقضي
هو هنا الامر وفي مصحف ابن مسعود ووصي ربك وهي قراه
اصحابه وقراه ابن عباس والنخعي وسعيد بن جبير وميمون بن مهران
وكذلك عند ابي بن كعب وقال الضحاك تصحف علي قوم وصي بقضي
حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف وهذا ضعيف وانما
القراه مرويه بسند وقد ذكر ابو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك وقال
عن ميمون القراه مرويه بسند انه قال ان علي قول ابن عباس لنورا قال الله
تبارك وتعالي شرع لكم من الدين ما وصي الايه ثم ضعف ابو حاتم ان يكون ابن عباس
قال ذلك وقال لو قلت هذا الطعن الزنادقه في مصحفنا والضمير في تعبدون
للخلق اجمعين وعلي هذا التاويل مضي السلف والجمهور وسال الحسن بن ابي
الحسن رجل فقال انه طلق امراته ثلثا فقال له الحسن عصيت ربك وبانت منك

ذلك
امر ابيك فقال له الرجل قضى ابيه علي فقال له الحسن وكان فصيحا ما قضى الله
اي ما امر الله وقرا هذه الايه فقال الناس تكلم الحسن في القدر ويحتمل ان
يكون قضى على مشهورها في الكلام ويكون الضمير في قوله تعبدوا للمومنين من الناس
الى يوم القيمه لكن على التاويل يكون قوله وبالوالدين احسانا عطفا على ان الا
اي امر الله الا تعبدوا الا اياه وان تحسنوا بالوالدين احسانا وعلى هذا الاحتمال
الذي ذكرناه يكون قوله وبالوالدين احسانا مقطوعا عن الاول كانه اخبرهم بقضا
ثم امرهم بالاحسان الى الوالدين ۞ واما شرطيته وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم
وابن عامر يبلغن وروى عن ابن ذكوان يبلغن بتخفيف النون وقرا حمزة والكسائي
يبلغان وهي قراه ابي عبد الرحمن ويحيى وطلحة والاعمش والجحدري وهي النون
الثقيله ودخلت موكده وليست بنون تثنيه فعلى القرائتين الاوليين يكون
قوله احدهما فاعلا وقوله اوكلاهما معطوفا عليه وعلى هذه القراه الثالثه
يكون احدهما بدلا عن المضمر في يبلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر
۞ وكنت كذي رجلين رجل صحيحه ورجل رمى فيها الزمان فشلت ۞
ويجوز ان يكون احدهما فاعلا وقوله اوكلاهما عطف عليه ويكون ذلك
على لغه من قال اكلوني البراغيث وقد ذكر هذا في هذه الايه بعض النحويين وسيبويه
لا يرى لهذه اللغه مدخلا في القران ۞ وقرا ابو عمرو اف بكسر الفا وترك التنوين
وهي قراه حمزه والكسائي وعاصم في روايه ابي بكر وقرا نافع والحسن والاعرج
وابو جعفر وشيبه وعيسى اف بالكسر والتنوين وقرا ابن كثير وابن عامر
اف بفتح الفا وقرا ابو السماك اف بضم الفا وقرا ابن عباس اف خفيفه
وهذا كله بنا الا ان قراه نافع تعطي التنكير كما تقول ايه وفيها لغات لم يقرا
بها اف بالرفع والتنوين على انه رفع حكاها هرون وافا بالنصب والتنوين
وافي بيا بعد الكسره حكاها الاخفش الكبير وافا بالف بعد الفتحه واف بسكون
الفا المشدده واف مثل رب ومن العرب من يميل افا ومنهم من يزيد فيها ها

السكت

السكت فيقول افاه ومعنى اللفظه انها اسم فعل كان الذي يريد ان يقول
اضجر او اتقزز او اكره او نحو هذا يعبر ايجازا بهذه اللفظه فتعطي معنى
الفعل المذكور وجعل الله تعالى هذه اللفظه مثالا لجميع ما يمكن ان يقابل
به الابا مما يكرهون فلم يرد هذه في نفسها وانما هي مثال الاعظم منها والاقل فهذا
هو مفهوم الخطاب في الثبوت واللفظ والقول الكريم الجامع للمحاسن من
اللين وجودة المعنى وتضمن البر وهذا كما تقول ثوب كريم تريد انه جم
المحاسن في الاف وسخ الاظفار وقالت فرقه ان هذه اللفظه التي في الايه
ماخوذه من ذلك وقال مجاهد في قوله ولا تقل لهما اف معناه اذا رايت منهما
في حال الشيخ الغايط والبول الذي رأياه منك في الصغر فلا تقذرهما
وتقول اف قال ع والايه اعم من هذا القول وهو داخل في جمله ما تقتضيه
وقال ابو الهداج التجيبي قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القران من بر
الوالدين فقد عرفته الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم قال ابن
المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ ۞ وقوله واخفض لهما جناح
الذل استعارة اي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك
وبولغ بذكر الذل هنا ولم يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
وذلك بحسب عظم الحق لهما ولم يذكر في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
وقرا الجمهور الذل بضم الذال وقرا سعيد بن جبير وابن عباس وعروه بن الزبير
الذل بكسر الذال وروي عن عاصم بن ابي النجود والذل في الدواب ضد
الصعوبه ومنه الجمل الذلول والمعنى متقارب وينبغي بحكم هذه الايه ان يجعل
الانسان نفسه مع ابويه في خير ذله في اقواله وسكناته ونظره ولا يحد اليهما
بصره فان تلك هي نظرة الغاضب وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابعده الله واسحقه قالوا من يا رسول الله قال من ادرك والديه او احدهما
فلم يغفر له ۞ وقوله من الرحمه من هنا لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون

هنا ص

من الرحمة المسكنة في النفس لا بان يكون ذلك استعمالا ويصح ان يكون لا ابتدا
الغاية ثم امر الله تعالى عباده بالترحم على ابائهم وذكر منهما عليه ليكون يذكر
تلك الحالة مما يزيد الانسان اشفاقا لهما وحنانا عليهما وهذا كله في الابوين
المومنين فقد نهى القران عن الاستغفار للمشركين الاموات ولو كانوا اولى قربى
وذكر عن ابن عباس هنا لفظ النسخ وليس هذا موضع نسخ ه وقوله ربكم
اعلم بما في نفوسكم اي من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما او من غير ذلك ويجعلون
ظاهر برهما ريا ثم وعد في اخر الاية بالغفران مع شرط الصلاح والاوبة
بعد الاوبة الى طاعة الله واختلفت عبارة الناس في الاوابين فقالت
فرقة هم المصلحون وقال ابن عباس هم المسبحون وقال ايضا هم المطيعون
المحسنون وقال ابن المنكدر هم الذين يصلون بين العشا والمغرب وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصلوة في ذلك الوقت فقال تلك
صلاة الاوابين وقيل غير هذا من المستغفرين ونحوه وقال عون العقيلي هم
الذين يصلون صلاة الضحى وحقيقة اللفظة انها من اب يوب اذا رجع
وكلهم لهم رجوع اينا الى طاعة الله تعالى ولكنها لفظة لزم عرفها اهل
الصلاح وقال ابن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب
ثم يتوب وفسر الجمهور الاوابين بالراجعين الى الخير وقال ابن جبير
اراد بقوله غفورا للاوابين الزلة والفلتة تكون من الرجل الى احد ابويه
وهو لم يصر عليها بقلبه ولا علمها الله من نفسه وقال فرقة خفض
الجناح هو ان لا تمتنع من شي يريدانه قوله عز وجل وات ذا القربى
حقه الاية اختلف المتاولون في ذي القربى فقال الجمهور الاية وصية
للناس كلهم بصلة قراباتهم خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
الامة والحقوق في هذه الاية ما تعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة
عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه قال بنحو هذا الحسن وعكرمة

وان

عباس وغيرهم وقال علي بن الحسين في هذه هم قرابة النبي عليه السلم
امر النبي عليه السلم باعطايهم حقوقهم من بيت المال فالرابع والقول
الاول ابين ويعضده العطف بالمسكين وابن السبيل وابن السبيل
هنا يعم الغني والفقير اذا لكل واحد منهما حق وان اختلفا وابن السبيل
في اية الصدقة اخص ه والتبذير انفاق المال في فساد او سرف في
مباح وهو من المبذر ويحمل قوله المبذرين ان يكون اسم جنس ويحمل ان
يعني اهل مكة معينين وذكره النقاش ه وقوله اخوان يعني انهم في
حكمهم اذ المبذر ساع في فساد والشيطان ابدا ساع في فساد والاخوان
جمع اخ من غير النسب وقد يشذ ومنه قوله في سورة النور او اخوانهن او
بني اخوانهن والاخوة جمع اخ في النسب وقد يشذ ومنه قوله تعالى
انما المومنون اخوة وقرا الحسن والضحاك اخوان الشيطان على الافراد
وكذلك ثبت في مصحف انس بن مالك ثم ذكر تعالى كفر الشيطان ليقع
التحذير من التشبه به في الافساد مسنوعا بينا ه وقوله واما
تعرضن الاية الضمير في عنهم عائد على من تقدم ذكره من المساكين وبني السبيل
وامر الله نبيه في هذه اذا سالة منهم احد فلم يجد عنده ما يعطيه فقابله
رسول الله ناكبا بالاعراض بادبا منه في ان يرده تصريحا وانتظارا الرزق
من الله تعالى ياتي حتى يعطيه منه او يكون يونسه بالقول الميسور وهو الذي
فيه الترجية بفضل الله والتانيس بالميعاد الحسن والدعا في توسعة الله
وعطايه وروي انه كان عليه السلم يقول بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده
ما يعطي يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على التاويل الرزق المنتظر
هذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقال ابن زيد الرحمة الاجر والثواب
وانما نزلت الاية في قوم كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيابى
ان يعطيهم لانه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة

الاجر في منعهم لئلا يعينهم على فسادهم فامره الله تعالى بان يقول لهم قولا
ميسورا يتضمن الدعا في الفتح لهم والاصلاح وقال بعض اهل التاويل
الاول نزلت الاية في عمار بن ياسر وصهيب والميسور مفعول من لفظة
اليسر تقول يسرت لك الامر كذا اذا اعددته ولا تجعل يدك الاية
روي عن قالون كل البسط بالصاد ورواه الاعشى عن ابي بكر واستعير لليد
المقبوضة جملة عن الانفاق والمتصفة بالبخل الغل الى العنق واستعير
لليد التي تستنفد ما عندها غاية البسط ضد الغل وكل هذا في انفاق
الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام وهذه الاية ينظر اليها
قول النبي عليه السلم مثل البخيل والمتصدق الحديث بكماله والملامة
هنا لاحقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يعطيهم والمحسور المنقطع
الذي قد استنفدت قوته تقول حسرت البعير اذا اتعبته حتى لم يبق له قوة
فهو حسير ومنه قول الشاعر

٥ لهن الوجا لم كن عونا على السرى ولا زال منها ظالع وحسير ٥ ومنه
البصر الحسير وهو الكال وقال ابن جريج وغيره في معنى هذه الاية لا تمسك عن النفقة
فيما امرتك به من الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهيتك عنه وقال قتادة
التبذير النفقة في معصية الله وقال مجاهد لو انفق انسان ماله كله في حق
لم يكن مبذرا ولو انفق مدا في باطل كان مبذرا وهذا فيه نظر ولا يعض البسط
لم يبح فيما نهي عنه ولا يقال في المعصية ولا يبذر وانما يقال ولا تسرف ولو
باقتصاد وقوام ولله در ابن عباس وابن مسعود فانهما قالا التبذير الانفاق
في غير حق فهذه عبارة تعم المعصية والسرف في المباح وانما نهت هذه الاية
عن استفراغ الوجد فيما يطرا اولا من سؤال المؤمنين لئلا يبقى من ياتي بعد
ذلك لا شي له او لئلا يضيع المنفق عيالا ونحوه من كلام الحكمة ما رايت قط سرفا
الا ومعه تضييع وهذه من ايات فقه الحال ولا يبين حكمها الا باعتبار شخص شخص

من

من الناس ٥ وقوله تعالى ان ربك يبسط الرزق الاية المعنى كن يا محمد على ما
رسم لك من الاقتصاد وانفاق القوام ولا يهمنك فقر من تراه كذلك فانه بمراى
من الله وبمسمع وبمشيئته ٥ ويقدر معناه يضيق ٥ وقوله انه كان بعباده
خبيرا بصيرا اي يعلم مصلحة قوم في الفقر ومصلحة اخرين في الغنى وقال
بعض المفسرين وحكاه الطبري ان الاية اشارة الى حال العرب التي كانت يصلحها
الفقر وكانت اذا شبعت طغت وقتلت غيرها واغارت واذا كان الجوع
والقحط شغلها قوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الاية
قرا الاعمش وابن وثاب تقتلوا بتضعيف الفعل وهذه الاية نهي عن الواد
الذي كانت العرب تفعله وهو قوله تعالى واذا الموءودة سئلت ويقال
كان جهلهم يبلغ ان يغذو احدهم كلبه ويقتل ولده ٥ خشية نصيبه على الفقر
من اجله ٥ والاملاق الفقر وعدم الملك املق الرجل لم يبق له الا الملقات وهي
الحجارة العظام الملس السود وقرا الجمهور خطا بكسر الخا وسكون الطا وبالهمزة
والقصر وقرا ابن عامر بفتح الخا والطا والهمزة مقصورة وهي قراة ابي جعفر وهاتان
قراءتان ماخوذتان من خطئ اذا اتى الذنب على عمد فهي كحذر وحذر ومثل ومثل
وشبه وشبه اسم ومصدر ومنه قول الشاعر ٥

٥ الخطء فاحشة والبر نافلة كعجوة غرست في الارض تؤتبر ٥ قال
الزجاج يقال خطئ الرجل يخطا خطا مثل اثم اثما هذا هو المصدر وخطا اسم منه
وقال بعض العلما خطئ معناه واقع الذنب عامدا ومنه قوله تعالى لا ياكله
الا الخاطئون واخطا واقع الذنب من غير تعمد ومنه قوله تعالى ان نسينا
او اخطانا وقال ابو علي الفارسي قد يقع هذا موقع هذا وهذا موضع هذا
فاخطا بمعنى تعمد في قول الشاعر الاخر ٥

٥ والناس يلحون الامير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد ٥ وقد
روي عن ابن عامر خطا بفتح الخا وسكون الطا وهمزة وقرا ابن كثير بكسر الخاء

وفتح الطا ومد الهمزه وهي قراة الاعرج بخلاف عنه وطلحه وشبل والاعمش
وعيسى وخالد بن الياس وقتادة والحسن بخلاف عنه قال العاشر ولا اعرف
لهذه القراة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال ابو علي الفارسي هي مصدر
من خاطا يخاطي وان كنا لم نجد خاطا ولكنا وجدنا تخاطا وهو مضارع
خاطا فدلنا عليه فمنه قول الشاعر
تخاطاه النبل احشاه وقد تخري يومي فلم اعجل ، وقال الاخر في صفة
كماه تخاطات القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الما راسب
فكان هولا الذين يقتلون اولادهم يخاطيون الحق والعدل وقرا الحسن فيما روى
عنه بفتح الخا والطا ومد الهمزه قال ابو حاتم لا نعرف هذا في اللغه وهي غلط
غير جايز وليس كما قال ابو حاتم قال ابو الفتح الخطا من اخطات بمنزله العطا
من اعطيت هو اسم بمعنى المصدر وقرا الحسن بخلاف خطا بفتح الخا والطا
منونه من غير همز وقرا ابو رجا والزهري بكسر الخا وفتح الطا كالتي قبلها
وهاتان مخففتان من خطا وخطا ، وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا تحريم
والزنا يمد ويقصر فمن قصره الايه وهي لغه جميع كتاب الله تعالى ومن مده
قول الفرزدق ، ابا حاضر من يزن يعرف زناوه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا ،
دعوى اباخالد ، والفاحشه ما يستتر به من المعاصي ، وسبيلا نصب
على التمييز التقدير وسا سبيله سبيلا اي لانه يودي الى النار ، وقوله
ولا تقتلوا وما تقدم قبله من الافعال جزم بالنهي وذهب الطبري الى انها
عطف على قوله وقضى ربك الا تعبدوا والاول اصوب وانزع للمعنى
والالف واللام التي في النفس هي للجنس والحق الذي تقتل به النفس هو
ما فسره النبي عليه السلام في قوله لا يحل دم المسلم الا باحدى ثلاث
خصال كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير حق قال ع
ويتصل بهذه اشيا هي راجعه اليها منها قطع الطريق لانه في معنى قتل

وهي الحرابه ومن ذلك الزندقه ومسله ترك الصلوه لانها في معنى الكفر
بعد الايمان ومنه قتل ابي بكر مانعي الزكوة وقتل من امتنع في المدن من
فروض الكفايه ، وقوله مظلوما نصب على الحال ومعناه بغير هذه
الوجوه المذكوره ، والولي القايم بالدم وهو من ولد الميت او ولده الميت
او جمعه واياه اب ولا مدخل للنسا في ولايه الدم عند جماعه من العلما
ولهن ذلك عند اخرين ، والسلطان الحجه والملك الذي جعل اليه
التخيير في قبول الديه او العفو قاله ابن عباس والضحاك وقال قتاده
السلطان القود وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم فلا يسرف باليا
وهي قراة الجمهور اي الولي لا يتعدى امر الله والتعدي هو ان يقتل غير
قاتل وليه من سائر القبيل او يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه
التعدي وهذا كله كانت العرب تفعله ولذلك وقع التحذير منه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجرا الناس على الله ثلاثه رجل قتل
غير قاتل وليه او قتل بذحل الجاهليه او قتل في حرم الله وقالت فرقه المراد
بقوله فلا يسرف القاتل الذي يتضمنه الكلام والمعنى فلا يكن المسرف
بان يقتل نفسا فانه يحصل في ثقاف هذا الحكم وقرا ابن عامر وحمزه والكسائي
فلا تسرف بالتا من فوق وهي قراة حذيفه ويحيى بن وثاب ومجاهد بخلاف
والاعمش وجماعه قال الطبري على معنى الخطاب للنبي عليه السلام
والايمه من بعده اي فلا تقتلوا غير القاتل قال ع ويصح ان يراد به الولي
اي فلا تسرف ايها الولي في قتل احد فتحصل في هذا الحكم وقرا ابو مسلم
السراج صاحب الدعوه العباسيه فلا يسرف برفع الفا على معنى الخبر
لا على معنى النهي والمراد على هذا التاويل الولي فقط قال ع وفي الاحتجاج
بابي مسلم في القراة نظر وفي قراة ابي بن كعب فلا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول
كان منصورا والضمير في انه عايد على الولي وقيل على المقتول وهو عندي ارجح

لانه المظلوم ولفظه النصر يقابل ابدا الظلم كقوله عليه السلام ونصر المظلوم
وابرار القسم وكقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما الى كثير من الامثله وقيل
على القتل وقال ابو عبيد على القاتل لانه اذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من
عذاب الاخره فقد نصر ۝ قال ع وهذا ضعيف بعيد المقصد وقال الضحاك
هذه اول ما نزل من القران في شان القتل وهي مكيه **قوله عز وجل** ولا تقربوا
مال اليتيم الايه الخطاب في هذه الايه للاوصيا الذين هم متعددون لقرب مال
اليتيم ثم لمن تلبس بشي من مال يتيم من غير وصي واليتيم الفرد من الاباء واليتم
الانفراد يقال يتم الصبي ييتم اذا فقد اباه قال ابن السكيت اليتم
في البشر من قبل الاب وفي البهايم من قبل الام وفي كتاب الماوردي ان اليتم
في البشر من قبل الام ايضا وجمعه ايتام كشريف واشراف وشهيد واشهاد
ويجمع يتامى كاسير واسارى كانها من الامور المكروهه التي تدخل على
المرء غلبة قال ابن سيده ابن الاعرابي يتمان في يتيم وانشد في ذلك
۝ فبت اشوي صبيتي وحليلتي طريا وجرو الذيب يتمان جايع ۝
ويجوز ان يكون يتامى جمع يتمان وفي الحديث لا يتم بعد حلم ۝ وقوله الا
بالتي هي احسن يريد الا باحسن الحالات قال ع وذلك في الوصي الغني
ان يثمر المال ويحوطه ولا يمس منه شيا على جهة الانتفاع به فهذا هو
الورع والاولى الا ان يكون يشتغل في مال اليتيم ويشح فله بالمعقد ان
يفرض له اجره واما الوصي الفقير الذي يشغله مال اليتيم عن معاشه
فاختلف الناس في اكله منه بالمعروف كيف هو فقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يتسلف منه فاذا ايسر رد فيه وقال ابن المسيب لا يشرب الما
من مال اليتيم قيل له فما معنى فلياكل بالمعروف قال انما ذلك يحذ منه
وغسل ثوبه وقال مجاهد لا يقرب الا للتجاره ولا يستقرض منه قال
وقوله فلياكل بالمعروف معناه من مال نفسه وقال ابو يوسف لعل قوله

متعددون صح — ام صح — وحكي مع الذيب صح

فلياكل

فلياكل بالمعروف منسوخ بقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال ابن
عباس ياكل منه التربه من اللبن والطرقه من الفاكهه ونحو هذا بما يخدمه
ويليط الحوض ويجذ النخل وينشد الضاله فياكل غير مضر بنسل ولا ناهك
في الحلب وقال زيد بن اسلم ياكل معه باطراف اصابعه بالغد من العيش
وهذه استعاره للتقلل وقال ابن الاكوع ياخذ منه اجره بقدر تعبه
فهذه كلها تدخل فيما هو احسن وكمال تفسير هذه المعاني في سوره النسا
تقدم بحسب الفاظ تلك الايات وفي الخبر عن قتاده ان هذه الايه لما نزلت
تجنب المسلمون الاكل معهم في صحفه واحده فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم
وقوله حتى يبلغ اشده غايه الامساك عن مال اليتيم ثم ما بعد الغايه
قد بينته ايه اخرى وما بعد هذه الغايه ابدا موقوف حتى يقوم عليه
دليل شرعي وتقتضي ذلك الاتفاق في النازله ومثل هذا قول عايشه رضي
الله عنها انها قتلت قلايد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها
وبعثت بها بالهدي فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم شي احله الله
له حتى نحر الهدي ۝ والاشد جمع شد عند سيبويه وقال ابو عبيده لا
واحد له من لفظه ومعناها قوته في العقل بالتجربه والنظر لنفسه
وذلك لا يكون الا مع البلوغ فلا اشد في مذهب مالك اما ان البلوغ بالاحتلام
او ما يقوم مقامه بحسب الخلاف في ذلك والرشد في المال والخلف هل من
شروط ذلك الرشد في الدين على قولين فابن القاسم لا يراعيه اذا كان ضابطا
لماله وراعاه غيره من بعض اصحاب مالك ومذهب ابي حنيفه ان الاشد
هو البلوغ فقط فلا حجر عنده على بالغ الا ان يعرف منه السفه قال وليس
من هذا التقييد في قوله على ثقه وقال ابو اسحق الزجاج الاشد في قول ان
ياتي على الصبي ثمان عشره سنه وانما اراد انها بعض ما قيل في حد البلوغ من
الاحتلام واما ان تكون بالغ اشده يعني لا يدفع اليه ماله حتى يبلغ هذه المده

فشي لا احفظ من يقوله ه وقوله واوفوا بالعهد لفظ عام لكل عهد
وعقد بين الانسان وبين ربه او بينه وبين المخلوقين في طاعه ه وقوله
ان العهد كان مسوولا اي مطلوبا ممن عهد اليه او عوهد هل وفي به او لا ه
وقوله تعالى واوفوا الكيل الايه امر الله تعالى في هذه الايه اهل التجر
والكيل والوزن ان يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم وروي عن ابن عباس انه كان
يقف في السوق ويقول يا معشر الموالي انكم وليتم امرين بهما هلك الناس قبلكم
هذا المكيال وهذا الميزان ه قال ع ويقتضي هذه الايه ان الكيل على البايع
لان المشتري لا يقال له اوف الكيل هذا ظاهر اللفظ والسابق منه والقسطاس
قال الحسن هو القبان ويقال القفان وهو القلسطون ويقال القرسطون
وقيل القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقال مجاهد القسطاس العدل
وكان يقول هي لغه رومية فكان الناس قيل لهم زنوا بمعدلة في وزنكم وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في روايه ابي بكر القسطاس بضم
القاف وقرا حمزه والكسائي وحفص عن عاصم بكسرها وهما لغتان واللفظه
مبنيه للمبالغه في القسط والمراد بها في الايه جنس الموازين والمعدله على
اي صفه كانت قال ابو حاتم اما قرا بكسر القاف اهل الكوفه وكل قراه لا
تجاوز الكوفه الى الحرمين والبصره فاقرا بغيرها وقرات فرقه القسطاس
بالصاد قال وكان مذهب مجاهد في هذا وفي ميزان القيامه انها استعارات
للعدل وقوله في ميزان القيامه مردود وعقيده اهل السنه انه ميزان
له كفتان وعمود وسمعت ابي يقول رايت ابا الفضل بن الجوهري بجامع مصر
يعظ الناس في الوزن فقال في جملة كلامه ان في هيئة اليد بالميزان عظه
وذلك ان الاصابع يجي منها صورة المكتوبه الف ولامان وها فكان الميزان يقول
الله الله قال ع وهذا وعظ جميل والتاويل في هذه الايه المال قاله قتاده
ويحتمل ان يكون لنا وبل مصدرنا ول اي ياول عليكم الخير في جميع اموركم

اذا

مجاهد

اذا احسنتم في الكيل والوزن والغرض من امر الكيل والوزن تحري الحق فان
غلب الانسان تعذر تحريه بشي يسير من تطفيف شاذ لم يقصده فذلك
نور موضوع عنه اثمه وذلك ما لا يكون الا انفكاك منه في وسع ه وقوله
ولا تقف معناه لا تقل ولا تتبع لكنها لفظة تستعمل في القذف والعضه
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر لا نقفوا امنا ولا ننتفي
من ابينا وتقول فلان تقوني اي موضع تهمتي وتقول العرب رب سامع
عذري ولم يسمع تقوتي اي ما رميت به وهذا مثل للذي يغشي سره
ويعتذر من ذنب لم يسمعه المعتذر اليه وقد قال ابن عباس ايضا ومجاهد
معنى لا تقف لا ترم ومن هذه اللفظه قول الشاعر ه
ه ومثل الذي تشمّ العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا ه
وقال الكميت ه ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا ه
واصل هذه اللفظه من اتباع الاثر تقول قفوت الاثر ويشبه انه ماخوذ
من القفا ومنه قافية الشعر لانها تقفوا البيت وتقول قفت الاثر من
هذا هو القايف وتقول قفوت الاثر بتقديم القاف على الفا ويشبه
ان يكون هذا من قلب العرب في بعض الالفاظ كما قالوا رعملي في لعمري
وحكى الطبري عن فرقه انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث فمعنى
الايه ولا تتبع لسانك من القول ما لا علم لك به وذهب منذر بن سعيد
الى ان قفا وقاف مثل جبذ وجذب وهذه الايه بالجمله نهي عن قول الزور
والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبه الرديه وقرا الجمهور تقف
وقرا بعض الناس فيما حكى الكسائي تقف بضم القاف وسكون الفا وقرا
الجراح والفواد بفتح الفا وهي لغه وانكرها ابو حاتم وغيره وعبر عن
السمع والبصر والفواد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الايه
مسوولة فهي حالة من يعقل فلذلك عبر عنها باولئك وقد قال سيبويه في قوله

تعالى عما بينهم لي ساجدين انه انما قال رايتهم في نجوم لانه لما وصفها بالسجود
وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكنايه من يعقل وحكى الزجاج ان العرب
تعبر عما يعقل وعما لا يعقل باوليك وانشد هو والطبري ٥

٥ ذم المنازل بعد منزله اللوى والعيش بعد اوليك الايام ٥

فاما حكايه ابي اسحق عن اللغه فامر موقف عنده واما البيت فالروايه فيه
للاقوام والضمير في عنه يعود على ما ليس للانسان به علم ويكون المعنى ان
الله يسال سمع الانسان وبصره وفواده عما قال مما لا علم له به فيقع تكذيبه
من جوارحه وذلك غايه الخزي ويحتمل ان يعود الضمير في عنه على كل
التي من السمع والبصر والفواد والمعنى ان الله تعالى يسال الانسان عما
حواه سمعه وبصره وفواده فكانه قال كل هذه كان الانسان عنه مسوولا
اي عما حصل لها ولا من الادراكات ووقع منها من الخطا فالتقدير عن اعمالهم
مسوولا فهو على حذف مضاف قوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا
الايه قرا الجمهور مرحا بفتح الرا مصدر من مرح يمرح اذا تنسب مسرورا
بدنياه مقبلا على راحته فهذا هو المرح فنهي الانسان في هذه الايه ان يكون
مشيه في الارض على هذا الوجه ثم قيل له انك لن تخرق الارض وتمسحها بمشيك
ولن تبلغ الجبال فيها طولا فاذا كنت لا تستوي في الارض بمشيك فتقصر
نفسك على ما يوجبه الحق من المشي والتصرف اولى والحق وخوطب النبي عليه
السلم بهذه الايه والمراد الناس كلهم واقبال الانسان على الصيد ونحوه تنزها
دون حاجه الى ذلك داخل في هذه الايه واما الانسان يستروح في اليوم
النادر والساعه من يومه يجم بها نفسه في التفرج والراحه ليستعين بذلك
على شغل من البر كقراة علم او صلوة فليس ذلك بداخل في هذه الايه وقرات
فرقه فيما حكى يعقوب مرحا بكسر الرا على بنا اسم الفاعل وبهذا المعنى بيزيت
على هذه القراة ولكن يحسن معها معنى اخر ذكره الطبري مع القراة الاولى وهو

بهذه

بهذه القراة البتي وهو ان قوله انك لن تخرق الارض الايه اراد به انك ايها المختال
المرح الفخور لا تخرق الارض ولا تطاول الجبال بفخرك وكبرك وذهب بالالفاظ
الى هذا المعنى ويحسن ذلك مع القراه بكسر الرا لان الانسان نهي حسده عن التخلق
بالمرح في كل اوقاته اذا المشي في الارض لا يتعذر فلم ينبه الا عن ان يكون فرحا
وعلى القراه الاخرى انما نهي من ليس يمرح عن ان يمشي في بعض اوقاته مرحا
فيتبين في المرح بكسر الرا ان يوحد بمعنى المتكبر المختال ٥ وخرق الارض قطعها
والخرق الواسع من الارض ومنه قول الشاعر ٥

٥ وخرق تجاوزت مجهوله بوجنا خرق تشكى الكلالا ٥

وتقال لتقب الارض خرق وليس هذا المعنى في الايه ومنه قول روبه بن العجاج

٥ وقاتم الاعماق خاوي المخترق ٥

وقرا الجراح الاعرابي تخرق بضم الرا
قال ابو حاتم لا نعرف هذه اللغه ٥ وقوله تعالى كل ذلك كان سيئه الايه
قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو جعفر والاعرج سيئة وقرا عاصم وابن عامر
وحمزة والكساي والحسن ومسروق سيئه على اضافه السي الى الضمير والاشارة
على القراه الاولى الى ما تقدم ذكره مما نهي عنه كقوله اف وقفو
الناس والمرح وغير ذلك والاشارة على القراة الثانيه الى جميع ما ذكر في هذه
الايات من بر ومعصيه ٥ ثم اختص ذكر السيء منه بانه مكروه عند الله
تعالى فاما من قرا سيئه بالاضافة الى الضمير فاعراب قراته بان سيي اسم
كان ومكروها خبرها ومن قرا سيئه فهي الخبر لكان واختلف الناس في
اعراب قوله مكروها فقالت فرقه هو خبر ثان لكان حملة على لفظ كل
سيئة محمولا على المعنى في جميع هذه الاشيا المذكورة قبل وقال بعضهم هو
نعت لسيئه لانه لما كان تانيثها غير حقيقي جاز ان توصف بمذكر وضعف
ابو علي الفارسي هذا وقال ان المونث اذا ذكر فانما ينبغي ان يكون ما بعده
وفقه وانما التساهل ان يتقدم الفعل المسند الى المونث وهو في صيغة

من المرح

تخرق وتجتاب تقطع الظلمه

ما يسند الى المذكر الانوى ان قول الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ۝ مستقبح عندهم
ولو قال قايل ابقل ارضًا لم يكن قبيحًا قال ابو علي ولكن يجوز في قوله
مكروهًا ان يكون بدلًا من سيئه قال ويجوز ان يكون حالًا من الذكر الذي في
قوله عند ربك ويكون قوله عند ربك في موضع الصفه لسيئه وقرا عبد الله بن
مسعود كان سياته وروي عنه كان سيات بعضها وروي عنه كان
خبيثه وذهب الطبري الى ان هذه النواهي كلها معطوفه على قوله وقضى ربك
الا تعبدوا وليس ذلك بالبين ۝ وقوله ذلك مما اوحى اليك ربك الايه
اشاره الى هذه الاداب التي تضمنتها هذه الايات المتقدمه اي هذه من
الافعال المحكمه التي تقتضيها حكمه الله في عباده وخلقه لهم من محاسن
الاخلاق والحكمه قوانين المعاني المحكمه والافعال الفاضله ۝ ثم عطف قوله
ولا تجعل على ما تقدم من النواهي والخطاب للنبي عليه السلم والمراد كل من
سمع الايه من البشر ۝ والمدحور المهان المبعد ۝ وقوله افاصفاكم الايه
خطاب للعرب التي كانت تقول الملايكه بنات الله فقررهم الله على هذه الحجه
اي انتم ايها البشر لكم الاعلى من النسل ولله الاناث فلما ظهر هذا التباعد
الذي في قولهم عظم الله عليهم فساد ما يقولونه وشنعته فقوله عظيما معناه
في البلو والوجاهه ۝ افاصفاكم معناه جعلكم اصحاب الصفوه وحكى الطبري
عن قتاده عن بعض اهل العلم انه قال نزلت هذه الايه في اليهود لانهم قالوا هذه
المقاله من ان الملايكه بنات الله قال ع والاول هو الذي جمهور المفسرين ۝

قوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القران الايه قرا الجمهور صرفنا بتشديد
الرا على معنى صرفنا فيه الحكم والمواعظ وقرا الحسن بتخفيفها على معنى
صرفنا فيه الناس الى الهدى بالدعا الى الله وقال بعض من شدد الراء
ان في زايده التقدير ولقد صرفنا هذا القران وهذا ضعيف وقرا الجمهور

ليذكروا

ليذكروا وقرا حمزه والكسائي ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف وفي قراءه
طلحه ويحيى والاعمش وما في ضمن الايه من ترجي وطماعيه هو في حق
البشر وبحسب ظنهم فيمن يفعل الله معه هذا ه والنفور عباره عن
شده الاعراض تشبيها بنفور الدابه وهو في هذه الايه مصدر لا غير
وروي ان في الانجيل في معنى هذه الايه يا بني اسرايل شوقناكم فلم
تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا ه وقوله تعالى قل لو كان معه الايه
اجار المحجه واختلف الناس في معنى قوله لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا فحكى الطبري وغيره من المفسرين ان معناه لطلبوها ولابتغوا الالهه
الزلفى الى ذي العرش والقربه اليه بطاعته فيكون السبيل على هذا
التاويل بمعناها في قوله فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا وقال سعيد بن
جبير وابو علي الفارسي والنقاش وابو منصور وغيره من المتكلمين ان
معنى الكلام لابتغوا اليه سبيلا في افساد ملكه ومضاهاته في قدرته
وعلى هذا التاويل تكون الايه بيانا للتمانع وجاريه مع قوله تعالى لو كان
فيهما الهه الا الله لفسدتا قال ع ونقتضب شيا من الدليل على
انه لا يجوز ان يكون مع الله غيره وذلك على ما قال ابو المعالي وغيره انا
لو فرضناه لفرضنا ان يريد احدهما تسكين جسم والاخر تحريكه ومستحيل
ان تنفذ الارادتان او لا تنفذان جميعا فيكون الجسم لا متحركا ولا ساكنا
فان صحت اراده احدهما دون الاخر فهو الاله والاخر لم تتم ارادته ليس باله
فان قيل نفرضهما لا يختلفان قلنا اختلافهما جايز غير ممتنع عقلا
والجايز في حكم الواقع ودليل اخر انه لو كان اثنان لم يمتنع ان يكونوا
ثلاثه وكذا الى ما لا نهايه له ودليل الجواز الجز الذي لا يتجزا من المخترعات ما
لا يتعلق به الا قدره واحده لا يصح فيها اشتراك والاخر كذلك اذا فكل
جز انما يخترعه واحد وهذه نبذه من اراد شرحها فحسب التعمق يطول

وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم عما يقولون بالياء من تحت وقرا الجمهور كما
تقولون بالتاء ه سبحانه مصدر بفعل متروك اظهاره فهو بمعنى التنزيه
موضعه هنا موضع تنزه فلذلك عطف الفعل عليه في قوله وتعالى
والتعالي تفاعل اما في الشاهد والاجرام فهو من ارتفاع الانسان اذا
صعد في منزله او جبل فكان ذلك تعاليه وهو يتعالى ويرتقي واما في جهة
الله عز وجل فالتعالي هو بالقدرة لا بالاضافة الى شي اخر وقرا ابن كثير
ونافع وعاصم وابو عمرو عما يقولون بالياء وقرا حمزة والكسائي بالتاء من فوق
وعلوا مصدر على غير الفعل فهو كقوله والله انبتكم من الارض نباتا وهذا
كثير وقوله تعالى تسبح له السموات الاية المعنى تنزهه عن هذه
المقالة التي لكم والاشراك الذي انتم بسبيله السموات السبع والارض ثم
اعاد عليها ضمير من يعقل لما اسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح
قوله ومن فيهن يريد الملايكة والانس والجن ه ثم عم بعد ذلك الاشيا كلها
في قوله وان من شي الا يسبح بحمده اي ينزه الله ويحمده ويمجده واختلف اهل
العلم في هذا التسبيح فقالت فرقة هو تجوز ومعناه ان كل شي تبدو فيه
صنعة الصانع الدالة عليه فتدعوا رؤية ذلك الى التسبيح من المعتبر
وحجة هذا التاويل قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن وقالت فرقة قوله
من شي لفظ عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام وليس ذلك في الجمادات
البحتة فمن ذلك قول عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقال
يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان ايسبح هذا الخوان
يا با سعيد فقال قد كان يسبح مرة يريد ان الشجرة في زمان نموها واغتذايها
تسبح فمذ صارت خوانا مدهونا اخوه صارت جمادا وقالت فرقة هذا
التسبيح حقيقة وكل شي على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا
يفقهه ولو كان التسبيح ما قاله الاخرون من انه اثر الصنعة لكان امرا

هذاه

مفقوها والاية تنطق بان هذا التسبيح لا يفقه قال ع وينفصل عن هذا
الاعتراض بان يريد بقوله لا يفقهون للكفار والغفلة اي انهم يعرضون عن الاعتبار
فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الاشيا وقال الحسن بلغني ان معنى هذه الاية
في التوراة ذكر فيه الف شي مما يسبح سبحت له السموات سبحت له الارض
سبح كذا سبح كذا وقرا ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر يسبح
بالياء وقرا ابو عمرو وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي تسبح بالتاء والقراءتان
حسنتان وقرا عبد الله بن مسعود وطلحة والاعمش سبحت له السموات وقوله
انه كان حليما غفورا فيه تنبيه على املايه لهم وصفحه عنهم في الدنيا وامهاله لهم
مع شنيع هذه المقالة اي تقولون قولا تتزهه عنه كل شي من المخلوقات لكن انه كان
حليما غفورا فلذلك امهلكم **قوله عز وجل** واذا قرات القران جعلنا بينك
وبين الذين لا يومنون الاية تحتمل معنيين احدهما ان الله اخبر نبيه انه يحميه من
الكفرة اهل مكة الذين كانوا يوذونه في وقت قراءته القران وصلاته في المسجد
ويريدون مد اليد اليه واحوالهم في هذا المعنى مشهورة مروية والمعنى الاخر انه
اعلمه انه جعل بين الكفرة وبين فهم ما يقراه حجابا فالاية على هذا التاويل في
معنى التي بعدها وعلى التاويل الاول هما ايتان لمعنيين ه وقوله مستورا
اظهر ما فيه ان يكون نعتا للحجاب اي مستورا عن الخلق لا يدركه احد برؤية
كسائر الحجب وانما هو من قدرة الله وكفايته واضلاله بحسب التاويل المذكور
وقيل التقدير مستورا به على حذف العايد وقال الاخفش مستورا بمعنى ساتر
كمشوم وميمون فانهما بمعنى شايم ويامن قال ع وهذا القيد داعيه اليه تكلف
وليس مثاله بمسلم وقيل هو على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر وهذا معترض
بان المبالغة ابدا انما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الاول فلو قال حجابا محجوبا حاجبا
لكان النظر صحيحا ه وقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية الاكنة جمع كنان
وهو ما غطى الشي ومنه كنانة النبل ه والوقر الثقل في الاذن المانع من السمع

وهو الصميم وهذه كلها استعارات للاضلال الذي خصهم الله به تعبير عن اثره
ذلك وعظمه بانهم بمثابة من غطي قلبه وضمت اذنه ۵ وقوله واذا ذكرت
الايه وبدا اذا جاءت مواضع التوحيد في القران اثناء تلاوتك فر كفار مكة
من سماع ذلك انكارا له واستبشاعا اذ فيه رفض الهتهم واطراحها وقال
بعض العلما ان ملا قريش دخلوا علي ابي طالب يزورونه فدخل عليهم رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقرا وامر بالتوحيد ثم قال يا معشر قريش قولوا لا اله الا الله
تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت هذه الايه ع وان يكون
الايه وصف حال الفارين عنه في وقت توحيده في قراته ابين واجرى مع اللفظ
وقوله نفورا يصح ان يكون مصدرا في موضع الحال ويصح ان يكون جمع نافر
كشاهد وشهود لان فعولا من ابنية فاعل في الصفات ونصبه علي الحال اي
نافرين ۵ وقوله ان يفقهوه ان نصب علي المفعول له اي كراهة ان ومنع ان والضمير
في يفقهوه عايد علي القران وحكي الطبري عن قتادة انها قالت انما عني بقوله ولوا
علي ادبارهم نفورا الشياطين فانهم يفرون عن يقرا القران قال ع يريد
ان المعني يدل عليهم وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ وهذا نظير قول النبي صلي الله عليه
وسلم اذا نودي بالصلوة ادبر الشيطان له حصاص ۵ وقوله نحن اعلم بما
يستمعون به الايه هذا كما تقول فلان يستمع بحرص واقبال او باعراض وتغافل
واستخفاف والضمير في به عايد علي ما وهي بمعني الذي والمراد بالذي ما
ذكرنا من الاستخفاف والاعراض وكانه قال نحن اعلم بالاستخفاف والاستهزا
الذي يستمعون به اي هو ملازمهم ففضح الله بهذه الايه سرهم والعامل
في اذ الاولي وفي المعطوفة عليها يستمعون الاولي ۵ وقوله واذ هم نجوي
وصفهم بالمصدر كما قالوا قوم رضا وعدل وقيل المراد بقوله واذ هم نجوي
اجتماعهم في دار الندوة ثم انتشرت عنهم ۵ وقوله مسحورا الظاهر
فيه ان يكون من السحر فشبهوا الخبال الذي عنده بزعمهم واقواله الوخيمه

بما يكون من المسحور الذي خبل السحر عقله وافسد كلامه ويكون الايه
علي هذا تشبيه بقول بعضهم به جنة ونحو هذا وقال ابو عبيدة
مسحورا معناه ذا سحر وهو الريه يقال لها سحر وسحر بضم السين ومنه
قول عايشه رضي الله عنها توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم بين سحري
ونحري ومنه قولهم للجبان انتفخ سحره لان الفارع تنتفخ ريته فكان مقصد
الكفار بهذا التشبيه علي انه بشر ذو ريه قال ومن هذا يقال لكل من ياكل
ويشرب من ادمي وغيره مسحور ومسحر ومنه قول امري القيس ع
ونسحر بالطعام وبالشراب ۵ وقول لبيد ع
۵ فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر ۵ ومنه
المسحور وهو الي هذه اللفظه اقرب منه الي السحر ويشبه ان يكون
من السحر ويشبه ان يكون كالصبوح من الصباح والايه التي بعد هذا
تقوي ان اللفظه التي في الايه من السحر بكسر السين لان حسيد في قولهم
ضرب مثل له واما علي ابهام من السحر الذي هو الريه ومن التغذي وان يكون
الاشارة الي انه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقية له
قوله عز وجل انظر كيف ضربوا لك الامثال الايه وهو قولهم مسحور
وساحر ومجنون ومتكهن لانه لم يكن عندهم متيقنا باحد هذه وانما كانت
منهم علي جهة التشبيه ثم راى الوليد بن المغيرة ان اقرب هذه الامور علي
تخييل الطارين عليهم هو انه ساحر ثم حكم عليهم بالضلال ۵ وقوله
فلا يستطيعون سبيلا يحتمل معنيين احدهما لا يستطيعون سبيلا
الي الهدي والنظر المودي الي الايمان فتجري الايه مجري قوله وجعلنا علي
قلوبهم اكنة ونحو هذا والاخر لا يستطيعون سبيلا الي افساد امرك
واطفا نور الله بكيدهم بضربهم الامثال لك واتباعهم كل حيله في جهتك وحكي
الطبري ان هذه الايه نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه وقولهم ابذا كنا

عظاما هذه الآية في انكارهم البعث تعجب منهم وانكار واستبعاد والرفات
من الاشيا ما مر عليه الزمن حتى بلغ به غاية البلى وقربه من حالة التراب
يقال رفت رفتا فهو مرفوت وفعال بنا لهذا المعنى كالحطام
والفتات والرضاض والدقاق ونحوه وقال ابن عباس رفاتا غبارا
وقال مجاهد ترابا واختلف القرا في هذين الاستفهامين فقرا ابن كثير
وابو عمرو ايذا كنا اينا جميعا بالاستفهام غير ان ابا عمرو يمد الهمزة ثم ياتي
بيا ساكنة وابن كثير ياتي بيا ساكنة بعد الهمزة من غير مدة وقرا نافع الاولى
كابي عمرو واختلف عنه في المد وقرا الثانية انا مكسورة على الخبر ووافقه
الكسائي في اكتفايه بالاستفهام الاول من الثاني غير انه كان يهمز همزتين وقرا
عاصم وحمزة اذا كنا اانا بهمزتين فيهما وقرا ابن عامر اذا كنا مكسورة الالف
من غير استفهام اينا بهمزتين يمد بينهما وروي عنه مثل قراءة حمزة وفي سورة
الرعد توجيه هذه القراءات وجديدا معناه الصفة لما قرب حدوثه
من الاشيا وهكذا يوصف به المذكر والمونث فيقال ملحفة جديد وقولهم
جديدة لغة ضعيفة كذا قال سيبويه ۞ وقوله قل كونوا حجارة
الآية المعنى قل لهم يا محمد كونوا ان استطعتم هذه الاشيا الممتنعة الصعبة
التاتي اي لا بد من بعثكم وقوله كونوا هو الذي تسميه المتكلمون التعجيز من
انواع لفظة افعل وبهذه الآية مثل بعضهم وفي هذا عندي نظر وانما
التعجيز حيث يقتضي بالامر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب كقوله فادرءوا
عن انفسكم الموت ونحوه وانما هذه الآية معناها كونوا بالتوهم والتقدير
كذا وكذا ۞ قوله الذي فطركم كذلك هو يعيدكم وقال مجاهد اراد
بالخلق الذي يكبر في الصدور السموات والارض والجبال وقال ابن عمر وابن
عباس وعبد الله بن عمرو والحسن وابن جبير والضحاك اراد الموت وقال
قتادة ومجاهد بل احال على فكرتهم عموما ورجحه الطبري وهذا هو الاصح

لانه بدأ بشي صلب ثم تدرج القول الى اقوى منه ثم احال على فكرهم ان شاؤا
في اشد من الحديد فلا وجه لتخصيص شي دون شي ثم احتج عليهم عز وجل في
الاعادة بالفطرة الاولى من حيث خلقهم واخترعهم من تراب فكذلك
يعيدهم اذا شا لا رب غيره ۞ وقوله فسينغضون معناه يرفعون
ويخفضون يريد على جهة التكذيب قال ابن عباس والاستهزا قال الزجاج
تحريك من يبطل الشي ويستبطيه ومنه قول الشاعر ۞
۞ انغض نحوي راسه واقنعا كانما ابصر شيا اطمعاه ويقال نغضت
السن اذا تحركت قال ذو الرمة ۞
۞ ظعاين لم يسلكن اكناف قرية بسيف ولم تنغض بهن القناطر ۞
قال الطبري وابن سلام وعسى من الله واجبة فالمعنى هو قريب وهذا انما هي
النبي عليه السلام ولكنها بامر الله له فقربها ذلك من الوجود ولذلك قال عليه
السلام بعثت انا والساعة كهاتين وفي ضمن اللفظ توعد لهم قوله عز وجل
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يوم بدل من قوله قريبا ويظهر ان يكون المعنى هو يوم
جوابا لقولهم متى هو ويريد يدعوكم من قبوركم بالنفخ في الصور لقيام الساعة ۞
وقوله فتستجيبون اي بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة وقوله
بحمده حكى الطبري عن ابن عباس انه قال معناه بامره وكذلك قال ابن جريج
وقال قتادة معناه بطاعته ومعرفته قال ع وهذا كله تفسير لا يعطيه
اللفظ ولا شك ان جميع ذلك بامر الله وانما معنى بحمده اما ان جميع العالمين كما قال
ابن جبير يقومون وهم يحمدون الله ويحمدونه لما يظهر لهم من قدرته واما ان قوله
بحمده هو كما تقول لرجل خصمته او حاورته في علم قد اخطات بحمد الله فكان النبي
عليه السلام يقول لهم في هذه الآيات عسى ان الساعة قريبة يوم تدعون فتقومون
بخلاف ما تعتقدون وذلك بحمد الله على صدق خبري نحا هذا النحا الطبري ولم
يلخصه ۞ وقوله وتظنون ان لبثتم الا قليلا يحتمل معنيين احدهما انه اخبر انهم

لما رجعوا الى حالة الحياة وتعرف الاحيا وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن حال
الدنيا الا قليلا لمغيب علم مقدار الزمن عنهم اذ من في الاخرة لا يقدر زمن الدنيا
اذهم لا محالة اشد مفارقة لها من النائمين وعلى هذا التاويل عول الطبري واحتج
بقوله تعالى كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والاخر
ان يكون الظن بمعنى اليقين فكانه قال لهم يوم تدعون فتستجيبون بحمد الله وتتيقنون
انكم انما لبثتم قليلا من حيث هو منقض منحصر وهذا كما تقول في الدنيا باسرها
متاع قليل فكانه تقللوها هنا في شي قد دفع وانما يحتج الظن بمعنى اليقين فقد
على ان الظن بمعنى اليقين فيما المخرج يعدل الى الكون والوجود وفي الكلام تقوية
البعث كانه يقول انت ايها المكذب بالحشر انك لا تبعث ابدا لابد ان تدعى للبعث
فتقوم وترى انك انما لبثت قليلا منقضيا منصرما وحكى الطبري عن قتادة
انهم لما راوا هول يوم القيمة احتقروا الدنيا فظنوا انهم لبثوا فيها قليلا وقوله
تعالى وقل لعبادي الاية اختلف النحويون في قوله يقولوا فمذهب سيبويه
انه جواب شرط مقدر تقديره وقل لعبادي انك ان تقل لهم يقولوا وهذا على اصله
ان الامر لا يجاب وانما يجاب معه شرط مقدر ومذهب الاخفش ان الامر يجاب
وان قوله هاهنا يقولوا انما هو جواب قل ولا يصح المعنى على هذا بان يجعل
قل مختصة بهذه الالفاظ على معنى ان يقول لهم النبي قولوا التي هي احسن وانما
يصح بان يكون قل امرا بالمحاورة في هذا المعنى بما امكن من الالفاظ كانه قال
بين لعبادي فيكون ثمرة ذلك القول والبيان قولهم التي هي احسن وهذا المعنى
يجوزه مذهب سيبويه الذي قدمناه ومذهب ابي العباس ان يقولوا جواب لامر
محذوف تقديره وقل لعبادي قولوا التي هي احسن يقولوا فحذف وطوي الكلام
ومذهب الزجاج ان يقولوا جزم بالامر بتقدير وقل لعبادي ليقولوا فحذف اللام
لتقدم الامر وحكى ابو علي في الحلبيات عن كلامه ان مذهب ابي عثمان
المازني في يقولوا انه فعل مبني لانه مضارع حل محل المبني الذي هو فعل الامر لان

قلة

ملح

المعنى

المعنى قل لعبادي قولوا واختلف الناس في التي هي احسن فقالت فرقة هي لا اله
الا الله ويلزم على هذا ان يكون قوله لعبادي يريد به جميع الخلق لان جميعهم يدعو
الى لا اله الا الله ويجي قوله بعد ذلك ان الشيطان ينزغ بينهم غير مناسب للمعنى
الا على تكره بان يجعل بينهم بمعنى خلالهم واثناهم ويجعل النزغ بمعنى الوسوسة
والاضلال وقال الجمهور التي هي احسن هي المحاورة الحسنى بحسب معنى معنى قال
الحسن يقول يرحمك الله يغفر الله لك وقوله لعبادي خاص بالمومنين فكان
الاية بمعنى قوله عليه السلم وكونوا عباد الله اخوانا ثم اختلفوا فقالت فرقة امر
الله المومنين فيما بينهم بحسن الادب وخفض الجناح والانة القول واطراح نزغات
الشيطان وقالت فرقة انما امر الله المومنين في هذه الاية بالانة القول للمشركين
بمكة ايام المهادنة وسبب الاية ان عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفرة فسبه
عمر وهم بقتله فكادت فتنة تثور بينهم فنزلت الاية وهي منسوخة باية السيف
وقرا الجمهور ينزغ بفتح الزاي وقرا طلحة بن مصرف بكسرها على الاصل قال ابو
حاتم لعلها لغة والقراة بالفتح ومعنى النزغ حركة الشيطان بسرعة ليوجب
فسادا ومنه قول النبي عليه السلم لا يشير احدكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ
الشيطان في يده فهذا يخرج اللفظة عن الوسوسة وعداوة الشيطان البينة
هي من قصته مع ادم عليه السلم فما بعده وقوله ربكم اعلم بكم هذه الاية تقوي ان
التي قبلها هي ما بين العباد المومنين وكفار مكة وذلك ان هذه المخاطبة في قوله
ربكم اعلم بكم هي لكفار مكة بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا فكان الله عز وجل
امر المومنين ان لا يخاشنوا الكفار في الدين ثم قال للكفار انه اعلم بهم ورجاهم وخوفهم
ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر قاله ابن جريج وغيره ثم قال للنبي صلى الله عليه
وسلم فانما عليك البلاغ ولست بوكيل على ايمانهم ولا بد فتتناسب الايات في هذا
التاويل ثم قال عز وجل لنبيه عليه السلم وربك اعلم بمن في السموات والارض وهو
الذي فضل بعض الانبيا على بعض بحسب علمه فيهم فهذه اشارة الى محمد عليه السلم

والى استبعاد قريش ان يكون البشر رسولا فيسر المعنى لا تنكروا امر محمد وان نبي قواما
فقد فضل النبيين واتى داود زبورا فالله اعلم حيث يجعل رسالاته
وتفضيل بعض الرسل هو اما بهذا الاخبار المجمل دون ان يسمى المفضول
وعلى هذا يتجه لنا ان نقول محمد افضل البشر وقد نهى عليه السلم عن تعيين
احد منهم في قصة موسى ويونس واما ان يكون التفضيل مقسما فيهم اعطى
هذا التكليم وهذا الخلة ومحمد القران وعيسى الاحيا فكلهم مفضول في
وجه فاضل على الاطلاق ○ وقوله بمن في السموات الباء متعلقة
بفعل تقديره علم من في السموات ذهب الى هذا ابو علي لانه لو علقها
باعلم لاقتضى انه ليس باعلم بغير ذلك وهذا لا يلزم ويصح تعلقها باعلم
ولا يلتفت الى دليل الخطاب وقرا الجمهور زبورا بفتح الزاي وهو فعيل
بمعنى مفعول وهو قليل لم يجى الا في قدوع وركوب وحلوب وقرا حمزة
ويحيى والاعمش زبورا بضم الزاي وله وجهان احدهما ان يكون جمع زبور
بحذف الزايدة كما قالوا في جمع ظريف ظروف والاخر ان يكون جمع زبر
كان ما جاء به داود جزى اجزا كل جزء منها زبر سمي بمصدر زبر يزبر ثم جمع
تلك الاجزا على زبور فكانه قال اتينا داود كتبا ويحتمل ان يكون جمع زبر
العقل وسداد النظر لان داود وفي من المواعظ والوصايا كثيرا ومن هذه
اللفظة قول النبي عليه السلم في احد كتاب مسلم واهل النار خمسة الضعيف
الذي لا زبر له قال قتادة زبور داود مواعظ وحكم ودعا ليس فيه حلال
ولا حرام قوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الاية الذين امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم في هذه الاية عبدة اصنام وانما هم عبدة
من يعقل واختلف في ذلك فقال ابن عباس هي في عبدة العزير والمسيح وامه ونحوهم
وقال ابن عباس ايضا وابن مسعود هي في عبدة الملايكة وقال ابن مسعود ايضا
هي في عبدة شياطين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم اوليك

ليسوا هم

الشياطين

الشياطين وعبدتهم وبقوا يعبدونهم فنزلت الاية في ذلك وقال ابن عباس
ايضا هي في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وامه واي ذلك
كان فمعنى الاية قل لهولا الكفرة ادعوا عند الشدايد والمضار هولا
المعبودين فانهم لا يملكون كشفه ولا تحويله عنكم ثم اخبرهم على قراة ابن مسعود
وقتادة تدعون بالتا واخبر النبي عليه السلام على قراة الجمهور يدعون
بالياء من تحت ان هولا المعبودين يطلبون القرب الى الله والتزلف
اليه وان هذه حقيقة حالهم وقرا ابن مسعود الى ربك والضمير في ربهم
للمتقين او للجميع ○ والوسيلة هي القربة وسبب الوصول الى البغية
وتوسل الرجل اذا طلب الدنو والنيل لامر ما وقال عنترة
○ ان الرجال لهم اليك وسيلة ○ ومنه قول النبي عليه السلم من سال
الله لي الوسيلة الحديث ○ وايهم ابتدا واقرب خبره و اوليك يراد بهم
المعبودون وهو ابتدا خبره يبتغون والضمير في يدعون للكفار وفي
يبتغون للمعبودين والتقدير نظرهم ووكدهم ايهم اقرب وهذا كما قال عمر بن
الخطاب في حديث الراية بخيبر فبات الناس يدوكون ايهم يعطاها
اي يتبارون في طلب القرب وطفف الزجاج في هذا الموضع فتامله وقال
ابن فورك وغيره ان الكلام من قوله اوليك الذين راجع الى النبيين المتقدم
ذكرهم فيدعون على هذا من الدعا بمعنى الطلبة الى الله والضماير لهم في يدعون
وفي يبتغون وما في الاية بين ○ وقوله تعالى وان من قرية الاية اخبر الله تعالى
في هذه الاية انه ليس مدينة من المدن الا وهي هالكة قبل يوم القيمة بالموت
والفنا هذا مع السلامة واخذها جزا جزا او هي معذبة ماخوذة
مرة واحدة فهذا عموم في كل مدينة ومن لسان الحسن وقيل المراد الخصوص وان
من قرية ظالمة وحكى النقاش انه وجد في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسير
هذه الاية استقرا البلاد المعروفة اليوم وذكر لهلاك كل قطر منها صفة

ثم ذكر نحواً من ذلك عن وهب بن منبه فذكر ان هلاك الاندلس وخرابها يكون
بسنابك الخيل واختلاف الجيوش فيها وترك سايرها لعدم الصحة في
ذلك والمعلوم ان كل قرية تهلك اما من جهة القحوط والخسف غرقاً واما
من الفتن او منهما وصور ذلك كثيرة لا يعلمها الا الله عز وجل فاما ما هلك
بالفتنة فمن ظلم ولا بد اما في كفر او معاص او في دفاع وجرائمه واما القحط
فيتسبب به من يتسبب وكذلك الخسف ° وقوله مهلكوها الضمير لها وفي
ضمن ذلك الاهله ° وقوله معذبوها هو على حذف مضاف بانه لا يعذب
الا اهلها ° وقوله في الكتاب يريد في سابق القضا وما خطه القلم في
اللوح المحفوظ ° والمسطور المكتوب اسطاراً ° وقوله وما منعنا
ان نرسل الايات هذه العبارة في معناها على ظاهر ما تفهم العرب فسمي سبق
قضا به تكذيب من كذب وتعذيبه منعاً وان الاولى في موضع نصب
والثانية في موضع رفع التقدير وما منعنا الارسال الا التكذيب وسبب
هذه ان قريشاً اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا
ذهباً واقترح بعضهم ان يزيل عنهم الجبال حتى يزدرعوا الارض فاوحى الله
الى محمد عليه السلم ان شئت افعل ذلك لهم فان تاخروا عن الايمان
عاجلتهم العقوبة وان شئت استانيت بهم عسى ان اجتبي منهم مومنين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تستاني بهم يا رب فاخبر الله تعالى في هذه
الاية انه لم يمنعه من ارسال الايات المقترحة الا الاستيناء اذ قد سلفت
عادته في معاجلة الامم الذين جاءتهم الايات المقترحة فلم يومنوا قال الزجاج
اخبر الله تعالى ان موعد كفار هذه الامة الساعة بقوله بل الساعة موعدهم
فهذه الاية تنظر الى ذلك ثم ذكر امر ثمود احتجاجاً اذ قال منهم قايل نحن كنا
نومن لو جاءت اية اقترحناها ولا نكفر بوجه فذكر الله بمعنى لا تامنوا ان تظلموا
بالاية كما ظلمت ثمود بالناقة وقرا الجمهور ثمود بغير تنوين وقال هارون اهل

نعقرهم

ثمود

الكوفة يقرون ثموداً في كل وجه قال ابو حاتم لا يقرون العامة من العلما بالقران
ثمود في وجه من وجوه النصب وفي اربعة مواطن الف مكتوبة ونحن نقراها
بغير الف ° وقوله مبصرة على جهة النسب اي معها ابصار كما قال اية
النهار مبصرة اي معها ابصار لمن ينظر وهذا عبارة عن بيان امرها ووضوح
اعجازها وقرا قوم مُبصَرة بضم الميم وفتح الصاد حكاه الزجاج ومعناه متبينة
وقرا قتادة مبصرة بفتح الميم والصاد وهي مفعلة من البصر ومنه قول عنترة
° والكفر مخبثة لنفس المنعم ° وقوله فظلموا بها اي وضعوا الفعل
غير موضعه اي بعقرها وقيل بالكفر في امرها ثم اخبر الله تعالى انه انما
يرسل بالايات غير المقترحة تخويفاً للعباد وهي ايات معها امهال لا معاجلة
فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك قال الحسن والموت
الذريع وروي ان الكوفة رجفت في مدة عبد الله بن مسعود فقال ايها الناس
ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ومن هذا قول النبي عليه السلم في الكسوف فافزعوا
الى الصلوة الحديث وايات الله المعتبر بها ثلاثة اقسام فقسم عام في كل شي
اذ حيث ما وضعت نظرك وجدت اية وهنا فكرة العلما وقسم
معتاد غباً كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق
للعادة وقد انقضى بانقضا النبوة وانما يعتبر به توهماً لما سلف منه
قوله عز وجل وَاذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس الاية قال الطبري معنى
قوله ذلك اي في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالاية اخبار له بانه محفوظ من
الكفرة امن ان يقتل او ينال بمكروه عظيم اي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيبن احداً
من المخلوقين قال ع وهذا تاويل بين جار مع اللفظ وقد روي نحوه عن الحسن
الى الحسن والسدي الا انه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ويحتمل ان يجعل
الكلام مناسباً لما بعده توطية له فاقول اختلف الناس في الرويا فقال الجمهور
هي رويا عين ويقظة وهي ما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسرا

صح
عقروها

قالوا فلما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الاسرا بما راى في تلك
الليلة من العجايب قال الكفار ان هذا العجب تخب الحداة الى بيت المقدس
شهرين اقبالا وادبارا ويقول محمد انه جاه من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا
التلبيس قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت هذه الايات فعلى هذا يحسن ان يكون معنى قوله واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس اي في اضلالهم وهدايتهم وان كل واحد ميسر لما
خلق له اي فلا تهتم انت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك ان الله محيط
بهم مالك لامورهم وهو جعل رويا هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت
الروية في هذا التاويل رويا اذ هما مصدران من راى وقال النقاش جا ذلك
على اعتقاد من اعتقد انها منامة وان كانت الحقيقة غير ذلك وقالت
عايشة الرويا في الاسرا رويا منام وهذا قول الجمهور على خلافه وهذه الاية
تقضي بفساده وذلك ان رويا المنام لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها
وقد ذكر هذا مستوعبا في صدر السورة وقال ابن عباس الرويا التي في هذه
الاية هي رويا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية فرد
فافتتن المسلمون لذلك فنزلت الايات وقال سهل بن سعد انما هذه الرويا هي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بني امية ينزون على منبره نزو القردة
فاهتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات فنزلت الاية مخبرة ان
ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر انما يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا ويجي قوله
احاط بالناس اي باقداره وان كل ما قدره نافذ فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك وقد
قال الحسن بن علي في خطبته في شان بيعته لمعاوية وان ادري لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين وفي هذا التاويل نظر ولا يدخل في هذه الرويا عثمن بن عفان
ولا عمر بن عبد العزيز ولا معوية ۞ وقوله والشجرة الملعونة في القران عطف
على قوله الرويا اي جعلنا الرويا والشجرة فتنة وهي في قول الجمهور شجرة الزقوم

انه

وذلك

وذلك ان امرها لما نزل في سورة الصافات قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم
بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم
الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه
تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفا فاخبر الله تعالى نبيه انه انما
جعل الاسرا وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا ليكفر من سبق عليه الكفر ويصدق
من سبق له الايمان كما روي ان ابا بكر الصديق قيل له صبيحة الاسرا ان صاحبك
يزعم انه جا البارحة بيت المقدس وانصرف منه فقال ان قال ذلك فقد
صدق فقيل له اتصدقه قبل ان تسمع منه فقال اين عقولكم انا اصدقه بخبر السما
فكيف لا اصدقه بخبر بيت المقدس والسما ابعد منه بكثير وقالت فرقة
الشجرة اشارة الى القوم المذكورين قبل في الرويا قال ع وهذا قول ضعيف
محدث وليس هذا عن سهل بن سعد ولا مثله قال الطبري عن ابن عباس ان
الشجرة الملعونة يريد الملعون اكلها لانها لم يجر لها ذكر ويصح ان يريد الملعونة
هنا فاكد الامر بقوله في القران وقالت فرقة الملعونة المبعدة المكروهة وهذا
اراد لانه لعنها بلفظ اللعنة المتعارف وهذا قريب في المعنى من الذي قبله
وايضا فما ينبت في اصل الجحيم فهي في غاية البعد من رحمة الله ۞ وقوله
ونخوفهم يريد اما كفار مكة واما الملوك من بني امية بعد الخلافة التي قال
فيها النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا
والاول منهما اصوب كما قلنا قبل ۞ وقوله فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا يريد
كفرهم وانهماكهم فيه كقول ابي جهل في الزقوم والتزقم وقد قال النقاش ان
في ذلك نزلت ونحوه وقرا الاعمش ويخوفهم بالبا وقرا الجمهور ونخوفهم بالنون
قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم المعنى واذكر اذ قلنا
وذلك اذ في الاية المتقدمة هي منصوبة بفعل مضمر وقد تقدم في غير موضع ذكر
خلق ادم والامر بالسجود له واختلف في قوله الا ابليس فقيل هو استثنا

بلغ

منقطع لان ابليس لم يكن من الملائكة وقيل هو متصل لان ابليس من الملائكة وقوله
طينا يقتضي ان يكون تمييزا ويصح ان يكون حالا وقاس ابليس في هذه النازلة فاخطا
وذلك انه راى الفضيلة لنفسه من حيث ان النار افضل من الطين وجهل ان
الفضائل في الاشيا انما تكون حيث خصصها الله تعالى ولا ينظر الى اصولها وذكر
الطبري عن ابن عباس ان ابليس هو الذي امره الله فاخذ من اديم الارض طينة ادم
والمشهور انه ملك الموت وكفر ابليس في ان جهل صفة العدل من الله تعالى حين لحقته
الانفة والكبر وكان اصل ذلك الحسد ولذلك قيل اول ما عصي الله بالحسد
وظهر ذلك من ابليس من قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي انا خير منه
حسب ما ذكر الله في اية اخرى فهذا هو النص بان فعلك غير مستقيم والكاف
في قوله ارايتك هي كاف خطاب ومبالغة في التنبيه لا موضع لها من الاعراب
فهي زائدة ومعنى ارايت اتاملت ونحوه كان المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع
لما ينبه عليه بعد وقال سيبويه هي بمعنى اخبرني ومثل بقوله ارايتك زيدا
ابو من هو وقال الزجاج في اسا ولم يمثل وقول سيبويه صحيح حيث يكون بعدها
استفهام واما في هذه الاية فهي كما قلت وليست التي ذكر سيبويه وقرا ابن
كثير لئن اخرتني بيا في الوصل والوقف وهذا هو الاصل وليس هذا الموضع كالقوافي
التي يحسن فيها الحذف كمثل قول الاعشى
فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان ياتين وقرا نافع وابو عمرو
باليا في الوصل وحذفها في الوقف وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي اخرن
بحذف اليا في الوصل والوقف وهذا تشبيه بيا قاض ونحوه لكونها با متطرفة
فلما كره ومنه قوله تعالى يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه وقوله لاحتنكن
معناه لاميلن ولاجرن وهو ماخوذ من تحنيك الدابة وهو ان تشد على حنكها
بحبل وغيره فتنقاد والسنة تحتنك المال اي تجترده ومنه قول
الشاعر نشكوا اليك سنة قد اجحفت جهدا الى جهد بنا فاضعفت

واحتنكت اموالنا وجلفت ومنه قول الطبري لاحتنكن
معناه لاستاصلن وعن ابن عباس في ذلك لاستولين وقال ابن زيد لاضلن
قال ع وهذا بدل اللفظ لا تفسير وحكم ابليس بهذا الحكم على ذرية ادم من حيث
راى الخلقة مجوفة مختلفة الاجزا وما اقترن بها من الشهوات والعوارض
كالغضب ونحوه ثم استثنى القليل لعلمه انه لا بد ان يكون في ذريته من يصلب في
طاعة الله وقوله اذهب وما بعده من الاوامر صيغة افعل بمعنى
التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ويتعلق معناه في طريق الكفر الذي
يدعوا اليه والاية في الكفار وفيمن ينفذ عليه الوعيد من العصاة وقوله
جزا مصدر في موضع الحال والموفور الكامل واستفزز معناه استخف
واخدع حتى يقع بارادتك تقول استفزني فلان في كذا اذا خدعك حتى تقع في امر
اراده بك ومن الخفة قيل لولد البقرة فز ومنه قول زهير
فاستغاث بشي فز غيطلة خاف العيون فلم ينظر به الحشد
والصوت هنا قيل هو الغنا والمزامير الملاهي لانها اصوات كلها مختصة
بالمعاصي فهي مضافة الى الشيطان قاله مجاهد وقيل معناه بدعائك اياهم
الى طاعتك قال ابن عباس صوته دعا وكل داع دعا الى معصية الله
والصواب ان الصوت يعم جميع ذلك وقوله واجلب اي هول
والجلبة الصوت الكثير المختلط الهايل وقرا الحسن واجلب بوصل
الالف وضم اللام وقوله بخيلك ورجلك وقيل هذا مجاز واستعارة
بمعنى اسع سعيك وابلغ جهدك وقيل معناه ان له من الجن خيلا ورجلا
قاله قتادة وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الباطل
فانهم كلهم اعوان لابليس على غيرهم قاله مجاهد وقرا الجمهور ورجلك بسكون
الجيم وهو جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وشارب وشرب
وقرا حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم على وزن فعل وكذلك قرا الحسن وابو

عمرو بخلاف عنه وهي صفة تقول فلان يمشي رجلا اي غير راكب ومنه
قول الشاعر ۝ اما اقاتل عن ديني على فرسي ولا كذا رجلا الا باصحاب ۝
ونوافذه وعلومه ورجلك ۝ وشاركهم في الاموال عام لكل معصية
يصنعها الناس بالمال فان ذلك المصرف في المعصية هو حظ ابليس من ذلك
البحاير وشبهها ومن ذلك مهر البغي وثمن الخمر وحلوان الكاهن والربا وغير
ذلك مما يوجد في الناس كثيرا ۝ وقوله والاولاد عام لكل ما يصنع من امر
الذرية من المعاصي فمن ذلك الايلاد بالزنا ومن ذلك تسميتهم عبد شمس وعبد
الحارث وابا الكويفر وكل اسم مكروه ومن ذلك الواد الذي كانت العرب
تفعله ومن ذلك صبغهم في اديان الكفر وغير هذا وما ادخل النقاش من
وطء الجن وانه يحبل المراة من الانس فضعيف كله ۝ وقوله وعدهم
اي منيتهم بما لا يتم لهم وبانهم غير مبعوثين فهذه مشاركة في النفوس ۝ ثم اخبر
الله تعالى انه انما يعدهم غرورا مسلا لانه لا يغني عنهم شيا ۝ وقوله ان
عبادي الاية قول من الله تعالى لابليس ۝ وقوله عبادي يريد المومنين في
الكفر والمتقين في المعاصي وخصهم باسم العباد وان كان اسما عاما لجميع الخلق
من حيث قصد تشريفهم والتنويه بهم كما يقول رجل لاحد بنيه اذا راى منه
ما يحب هذا ابني على معنى التنبيه منه والتشريف له ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص هذا خالي فليرني امرؤ خاله ۝ والسلطان
الملكة والتغلب وتفسيره هنا بالحجة قلق ۝ ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام
وكفى بربك يا محمد حافظا للمومنين وقيما على هدايتهم والله اعلم قوله عز وجل
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الازجا سوق الثقيل السير اما لضعف
او لثقل حمل او غيره فالابل الضعاف تزجى ومنه قول الفرزدق
۝ على رواجف تزجيها محاسيره ۝ وقوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا
والبضاعة المزجاة هي التي تحتاج لاختلالها الى ان تساق بشفاعة وتوقيع

بمعاون

بمعاون الى التي تقبضها وازجا الفلك سوقه بالريح اللينة والمجاذيف
والفلك هنا جمع ۝ والبحر الماء الكثير عذبا كان او ملحا وقد غلب الاسم على
هذا المشهور والفلك تجري فيهما ۝ وقوله لتبتغوا من فضله لفظ يعم
التجر وطلب الاجر في حج او غزو ونحوه ولا خلاف في جواز ركوبه للحج والجهاد
والمعاش واختلف في وجوبه للحج على الكثير منه واختلف في كراهيته
للثروة وتزيد المال وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركوبه للغزو
في حديث ام حرام وقد روي عنه انه قال البحر لا اركبه ابدا وهذا الحديث
يحتمل ان يكون راى ذاك لنفسه ويحتمل انه اوحي اليه ذلك وهذه الاية
توقيف على الا الله وفضله عند عباده ۝ والضر لفظ يعم خوف الغرق
والامساك عن السير واهوال حاله اضطرابه وتموجه ۝ وقوله ضل
معناه تلف وفقد وهي عبارة تحقير لمن تدعي الها من دون الله والمعنى في
هذه الاية ان الكفار انما يعتقدون في اصنامهم انها شافعة وان لها فضلا
وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يتمارى فيه ان الاصنام لا فعل
لها في الشدائد العظام فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر ۝ وقوله
اعرضتم اي لم تفكروا في صنع الله وقت حاجتكم اليه ۝ وقوله كفورا
بالنعم والانسان هنا للجنس وكل احد لا يكاد يودي شكر الله تعالى كما يجب وقال
الزجاج الانسان يراد به الكفار وهذا غير بارع ۝ وقوله تعالى افامنتم الاية
المعنى افامنتم ايها المعرضون الناسون الشدة حين صرتم الى الرخاء ان يخسف
الله بكم جانب البر اذ انتم في قبضة القدرة في البحر وفي البر ۝ والحاصب
العارض الرامي بالبرد والحجارة ونحو ذلك ومنه قول الشاعر
۝ مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور ۝
ومنه قول الاخطل ۝ ترمي العضاه بحاصب من ثلجها حتى تبيت
على العضاه جفالا ۝ ومنه الحاصب الذي اصاب قوم لوط

والحصب الرمي بالحصبا وهي الحجارة الصغار وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة
والكساي يخسف بالبا على معنى يخسف الله وكذلك يرسل ويعيد ويرسل
ويغرق وقرا ابن كثير وابو عمرو ذلك كله بالنون وقرا ابو جعفر ومجاهد
تغرقكم بالتا يعني الريح وقرا حميد نغرقكم بالنون خفيفه وادغم القاف
في الكاف ورويت عن ابي عمرو وابن محيصن وقرا الحسن وابو رجا يغرقكم بشد
الراء والوكيل القايم بالامور ۞ والقاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقصفه
وتارة جمعها تارات وتير ومعناه مرة اخرى وقرا ابو جعفر فاصفا من الرياح
بالجمع والتبيع الذي يطلب ثارا او دينا ونحو ذلك ومنه قول الشاعر
۞ غدا وغدت غزلانهم فكانها ضوامن غرم لهن تبيع ۞ ومن هذه اللفظة
قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتبع احدكم على ملي فليتبع فالمعنى لا تجدون من
يتبع فعلنا بكم ويطلب نصركم **قوله عز وجل** ولقد كرمنا بني ادم تضعيف
كرم فالمعنى جعلنا لهم كرما اي شرفا وفضلا وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم
المال وانما هو كما تقول ثوب كريم اي جمة محاسنه وهذه الايه عدد الله تعالى فيها
على بني ادم ما خصهم به من بين ساير الحيوان والجن هو الكثير المفضول
والملايكه هم الخارجون عن الكثير المفضوله وحملناهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان
سوى بني ادم ان يكون يتحمل بارادته وقصده وتدبيره في البر والبحر جميعا
والرزق من الطيبات لا يتسع فيه حيوان اتساع بني ادم لانهم يكسبون المال
خاصة دون الحيوان ويلبسون الثياب وياكلون المركبات من الاطعمه وغاية
كل حيوان ان ياكل لحما نيا او طعاما غير مركب ۞ والرزق كل ما صح الانتفاع به
وحكى الطبري عن جماعة انهم قالوا التفضيل هو ان ياكل بيديه وساير الحيوان
بالفم وقال غيره وانه ينظر من اشراف اكثر من كل حيوان ويمشي قايما ونحو هذا
من التفضيل وهذا كله غير محذوف وذلك ان الحيوان له من هذا النوع ما كان يفضل
به ابن ادم كجري الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الاسد وكرم الديك

وحملهم

واما

واما التكريم والتفضيل بالعقل الذي به يملك الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم
كلامه ويتوصل الى نعيمه وقالت فرقه هذه الايه تقتضي تفضيل الملايكه على الانس
من حيث هم المستثنون وقد قال تعالى ولا الملايكه المقربون وهذا غير لازم من الايه
بل التفضيل بين الانس والجن لم تعن له الايه بل يحتمل ان الملايكه افضل ويحتمل التساوي
وانما صح تفضيل الملايكه من مواضع اخر من الشرع ۞ وقوله تعالى يوم ندعوا الايه
يحتمل ان يكون يوم منصوبا على الظرف والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكر او فعل
يدل عليه قوله ولا يظلمون يوم ندعوا ام فسره يظلمون الاخير ويصح ان يعمل فيه
وفضلناهم وذلك ان فضل البشر يوم القيمه على ساير الحيوان بين لانهم المنعمون
المكلفون المحاسبون الذين لهم القدر اما انه هنا يرده ان الكفار يومئذ اخسر من كل
حيوان اذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ولا يعمل فيه ندعوا لانه مضاف اليه
ع ويصح ان يكون يوم منصوبا على البنا لما اضيف الى غير متمكن ويكون موضعه
رفعا بالابتدا والخبر في التقسيم الذي اتى بعد في قوله فمن اوتي الى قوله ومن كان
وقرا الجمهور ندعوا بنون العظمة وقرا مجاهد بالبا على معنى يدعوا الله وروي
عن عاصم وقرا الحسن يدعوا بضم اليا وسكون الواو واصلها يدعا ولكنها لغة
لبعض العرب يقلبون هذه الالف واوا فيقولون افعو وحبلو ذكرها ابو
ابو الفتح وابو علي ع وزعمه اعمى تعدو وقرا الحسن كل اناس بالرفع على معنى يدعا
كل وذكر ابو عمرو الداني عن الحسن انه قرا ندعي كل ۞ والاناس اسم جمع لا واحد له
من لفظه وقوله بامامهم يحتمل ان يريد باسم امامهم ويحتمل ان يريد مع امامهم فعلى
التاويل الاول يقال يا امة محمد ويا اتباع فرعون ونحو هذا وعلى التاويل الثاني
تجي كل امه معها امامها من هاد او مضل واختلف المفسرون في الامام فقال
مجاهد وقتاده نبيهم وقال ابن زيد كتابهم الذي نزل عليهم وقال ابن عباس والحسن
كتابهم الذي فيه اعمالهم وقالت فرقه متبعهم من هاد او مضل ولفظه الامام
تعم هذا كله لان الامام هو ما يوتم به ويهتدى به في المقصد ومنه قيل لخيط

الناس امام قال الشاعر يصف قدحا ::
وقومته حتى اذا تم واستوى كمخة ماس او كمتن امام ، ومنه قيل
للطريق امام لانه يؤتم به في المقاصد حتى ينتهي الى المراد ، وقوله فمن اوتي
كتابه بيمينه حقيقة ان في القيمة صحايف تتطاير وتوضع في الايمان لاهل
الايمان وفي الشمايل لاهل الكفر وتوضع في ايمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد
فيستبشرون منها انهم غير مخلدين في النار ، وقوله يقرءون كتابهم عبارة
عن السرور بها اي يرددونها ويتاملونها ، وقوله ولا يظلمون فتيلا اي ولا
اقل ولا اكثر فهذا هو مفهوم الخطاب حكم المسكوت عنه كحكم المذكور كقوله ولا
تقل لهما اف وكقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهذا كثير ومعنى هذه الاية
انهم لا يبخسون من جزاء اعمالهم الصالحة شيئا ، والفتيل هو الخيط الذي في شق
نواة التمر يضرب به المثل في القلة وتفاهة القدر ، وقوله ومن كان في
هذه اعمى الاية قال محمد بن ابي موسى الاشارة بهذه الى النعم التي ذكرها الله في قوله
ولقد كرمنا بني ادم اي من عمي عن شكر هذه النعم والايمان مسديها فهو في امور
الاخرة وشانها اعمى ويحتمل اعمى الثاني ان يكون بمنزلة الاول على انه تشبيه باعمى
البصر ويحتمل ان يكون صفة تفضيل اي اشد عمى والعمى في هذه الاية هو عمى القلب
في الاول والثاني وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد الاشارة بهذه
الى الدنيا اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في ايات الله وعبره والايمان
بانبيايه فهو في الاخرة فهو في الاعمى اما ان يكون على حذف مضاف اي في
شان الاخرة واما ان يكون فهو في يوم القيمة اعمى على انه حيران لا يتوجه
له صواب ولا يلوح له نجاح قال مجاهد هو في الاخرة اعمى عن حجته قال ع
والظاهر عندي ان الاشارة بهذه الى الدنيا اي من كان في دنياه هذه وقت
ادراكه وفهمه اعمى عن النظر في ايات الله فهو في يوم القيمة اشد حيرة
واعمى لانه قد باشر الخيبة وراى مخايل العذاب وبهذا المعنى يكون معادلة الشي

بلغ

للشيء قبلهما من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه واذا جعلنا قوله في الاخرة بمعنى في
شان الاخرة لم تطرد المعادلة بين الاثنين وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص
عن عاصم اعمى في الموضعين بغير امالة وقرا حمزة والكسائي وعاصم بخلاف عنه
في الموضعين بامالة وقرا ابو عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية وتاوله بمعنى اشد
عمى ولذلك لم يمله قال ابو علي لان الامالة انما تحسن في الاواخر واعمى ليس كذلك
لان تقديره اعمى من كذا فليس يتم الا في قولنا من كذا فهو اذا ليس باخر ويقوي هذا
التاويل قوله عطفا عليه واضل سبيلا فانما عطف اضل الذي هو افعل من كذا
على ما هو شبيه به وانما جعله في الاخرة اضل سبيلا لان الكافر في الدنيا يمكن
ان يؤمن فينجو وهو في الاخرة لا يمكنه ذلك فهو اضل سبيلا واشد حيرة
واقرب الى العذاب وقول سيبويه لا يقال اعمى من كذا انما لا يقال فيما ابداه انما
هو في عمى العين الذي لا تفاضل فيه واما في عمى القلب فيقال ذلك فيه لانه
يقع فيه التفاضل وذكر مكي في هذه الاية ان العمى الاول هو عمى العين عن الهدى
وهذا بين الاختلال ، وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية ان هذه عند
سيبويه المخففة من الثقيلة واللام في قوله ليفتنونك لام تاكيد وان هذه عند
الفراء بمعنى ما واللام بمعنى الا والضمير في قوله كادوا قيل هو لقريش وقيل
لثقيف واما لقريش فقال ابن جبير ومجاهد نزلت الاية فيهم لانهم قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس ايضا اوثاننا على
معنى التشرع بذلك قال الطبري وغيره فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يظهر لهم ذلك وقلبه له منكر فنزلت الاية في ذلك قال الزجاج فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وما علي ان افعل لهم ذلك والله تعالى يعلم ما
في نفسي وقال ابن اسحق وغيره انهم اجتمعوا اليه ليلة فعظموه وقالوا له انت
سيدنا ولكن اقبل على بعض امرنا ونقبل على بعض امرك فنزلت الاية وقيل
انها فيما ارادوه من طرد فقرا اصحابه واما ثقيف فقال ابن عباس وغيره

لانهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوخرهم بعدما اسلامهم يتعبدون
اللات سنة وقالوا انا نريد ان ناخذ ما يهدى لها ولكن ان خفت ان تنكر ذلك علينا
العرب فقل اوحي ذلك الي فنزلت الاية في ذلك ويلزم هذا القايل ان يجعل الاية
مدنية وقد روي ذلك وروي قايل الاقوال الاخر انها مكية وجميع ما اريد من
النبي عليه السلم بحسب هذا الاختلاف فقد اوحى الله اليه خلافه اما في معجز او غير
معجز وفعله هو ان لو وقع افترا على الله اذ افعاله واقواله انما هي كلها شرع
وقوله واذا لاتخذوك خليلا الاية توقيف على ما نجاه الله منه من مخالفة
الكفار والولاية لهم ه وقوله ولولا ان ثبتناك الاية تعديد نعمة على نبيه وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال اللهم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين ه والركون شد الظهر الى الامر او الحزم على جهة السكون اليه كما يفعل
الانسان بالركن من الجدران ومنه قوله حكاية عن لوط او اوي الى ركن شديد
وقرا الجمهور تركن بفتح الكاف وقرا ابن مطرف وقتادة وعبد الله بن ابي اسحق
بضمها ورسول الله لم يركن ولكنه كان بحسب همه بموافقتهم طمعا منه في اسلامهم
وذهب ابن الانباري الى ان معناه لقد كادوا ان يخبروا عنك انك ركنت ونحو
هذا ذهب في ذلك الى نفي الهم به عن النبي عليه السلم فحمل اللفظ ما لا يحتمل ه
وقوله شيا قليلا يبطل ذلك وهذا الهم من النبي عليه السلم انما كان خطرة
مما لا يمكن دفعه ولذلك قال كدت وهي تعطي انه لم يقع ركون ه ثم قيل
شيا قليلا اذ كانت المقاربة التي تضمنها كدت قليلة خطرة لم تتاكد في النفس
وهذا الهم كله هو كهم يوسف والقول فيهما واحد ه قوله اذا لاذقناك
الاية ايضا تبطل ما ذهب اليه ابن الانباري ه قوله ضعف الحياة وضعف
الممات قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يريد ضعف عذاب الحياة
وضعف عذاب الممات على معنى انما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا
في الدنيا والاخرة كنا نضعفه له وهذا التضعيف سايغ مع النبي عليه السلم

سند

في الحيوة وفي الممات وعقاب ازواجه وباقي الاية بين ه **قوله عز وجل** وان كادوا
ليستفزونك الاية الضمير ليهود المدينة على ما قال حضرمي وليهود ناحيتها
كحيي بن اخطب وغيره وذلك انهم ذهبوا الى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا له ان هذه الارض ليست بارض الانبيا وانما ارض الانبيا الشام ولكنك
تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله سيحميك كما حمى غيرك من الانبيا
فنزلت الاية في ذلك واخبر الله ان رسوله لو خرج لم يلبثوا بعده الا قليلا وحكى
النقاش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بسببهم ولقولهم وعسكر بذي
الحليفة واقام ينتظر اصحابه فنزلت الاية عليه فرجع وهذا ضعيف لم يقع
في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه وذو الحليفة ليس في طريق الشام من المدينة
وقالت فرقة الضمير في كادوا هو لقريش وحكى الزجاج ان استفزازهم هذا هو
ما كانوا اجمعوا عليه في دار الندوة من قتله والارض على هذا عامة في الدنيا
كانه قال ليخرجوك من الدنيا وعلى ساير الاقوال هي ارض مخصوصة اما مكة واما
المدينة كما قال او ينفوا من الارض وانما معناه الارض التي بها تصرفهم وتعيشهم
وقال ابن عباس وقتادة استفزاز قريش هو ما كانوا ذهبوا اليه من اخراج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كما ذهبوا قبل الى حصره في الشعب ووقع
استفزازهم هذا بعد نزول الاية وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه الى الغار
وغير ذلك ونفذ عليهم الوعيد في ان لم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال
مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه لم يقع منها لانه لما اراد الله استبقا قريش
وان لا يستاصلها اذن لرسوله في الهجرة فخرج من الارض باذن الله لا بقهر قريش
واستبقا قريش ليسلم منها ومن اعقابها من اسلم قال ولو اخرجته قريش
لعذبوا وذهب مجاهد الى ان الضمير في يلبثون عام في جميعهم وفي مصحف عبد
الله بن مسعود واذا لا يلبثوا بحذف النون واعمال اذا وساير القرا
الغوها واثبتوا النون وقرا عطا بن ابي رباح يلبثون بضم اليا وفتح اللام

المدينة خ

وشد الالف وروى مثله عن يعقوب الا انه كسر الالف وقرا عطا بعدك الا قليلا
ودقق الجمهور خلفك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم خلافك
والمعنى واحد ومنه قول الشاعر

عقب الرذاذ خلافها فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا

ومنه قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله على بعض تاويلاته
اى بعد خروج رسول الله وهذه اللفظة قد لزم فيها حذف مضاف لان التقدير
في ابنا خلاف خروجك وفي بيت الشاعر خلاف انبساط الشمس او نحوه
قال ابو علي اصابوا هذه الظروف تضاف الى الاسما الاعيان التي ليست احداثا
فلم يستحسنوا اضافتها الى غير ما جرى عليه كلامهم كما انها لما اكثرت منصوبة
في كلامهم تركوها على حالها اذا وقعت في غير موضع النصب كقوله تعالى وانا
منا الصالحون ومنا دون ذلك وقوله يوم القيمة يفصل بينكم وقوله
سنة نصب على المصدر وقال الفرا نصبه على حذف الخافض لان المعنى
كسنة فحذف الكاف ونصب ويلزم على هذا ان لا يقف على قليلا ومعنى
الاخبار ان سنة الله تعالى في الامم الخالية وعادته انها اذا اخرجت
نبيها من بين اظهرها نالها العذاب واستاصلها الهلاك فلم تلبث بعده
الا قليلا وقوله اقم الصلوة الاية هذه باجماع من المفسرين اشارة الى
الصلوات المفروضة فقال ابن عمر وابن عباس وابو بردة والحسن والجمهور
دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل اشير به
الى المغرب والعشا وقران الفجر اريد به صلوة الصبح فالاية على هذا
تعم جميع الصلوات وروى ابن مسعود ان النبي عليه السلم قال اتاني جبريل
عليه السلم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وروى جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا ابا بكر
فهذا حين دلكت الشمس وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن اسلم دلوك

الايم

الشمس غروبها والاشارة بذلك الى المغرب وغسق الليل اجتماع ظلمته والا شاره
الى العتمة وقران الفجر صلاة الصبح ولم تقع اشارة على هذا التاويل الى الظهر
والعصر والقول الاول اصوب لعمومه في الصلوات وهما من جهة اللغة
حسنان وذلك ان الدلوك هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال واخره
هو الغروب ومن وقت الزوال الى الغروب يسمى دلوكا لانها في حالة ميل فذكر
الله الصلوات التي تكون في حال الدلوك وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر
والمغرب ويصح ان تكون المغرب داخلة في غسق الليل ومن الدلوك الذي هو
الميل قول الاعرابي للحسن بن ابي الحسن ايدالك الرجل امراته يريد ايميل بها
الى المطل في دينها فقال له الحسن نعم اذا كان ملفجا اي عديما ومنه قول ذي
الرمة

مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك

ومن ذلك قول الشاعر

هذا مقام قدمي رباح غدوة حتى دلكت براح

ويروى براح بكسر الباء قال ابو عبيدة والاصمعي وابو
عمرو الشيباني ومعناه براحة الناظر تستكف بها ابدا ليتطرف مثلها
وما تقي لها وهذا نحو قول العجاج

والشمس قد كادت تكون دنفا ادفعها بالراح كي تزحلفا

وذكر الطبري عن ابن مسعود انه قال دلكت براح يعني براح مكانا قال وان
كان هذا من تفسير ابن مسعود فهو اعلم وان كان من كلام راو فاهل العرب اعلم
بذلك ويروى البيت الاول غدوة حتى دلكت براح في بفتح الباء على وزن
حذام وقطام وهو اسم من اسما الشمس وغسق الليل اجتماعه وتكاثف
ظلمته وقال الشاعر

ان هذا الليل اذ غسقا

وقال ابن عباس غسق الليل بدؤه ونصب قوله وقران بفعل مضمر تقديره
واقرا قرانا ويصح ان ينصب عطفا على الصلوة اي واقم قران الفجر وعبر عن
صلوة الصبح خاصة بالقران لان القران هو عظمها اذ قراتها طويلة مجهورة

بها ويصح ان ينصب قوله وقران على الاغراء ۞ وقوله ان قران الفجر كان مشهودا
معناه يشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة حسب ما ورد في الحديث
المشهور من قوله عليه السلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في
صلوة الصبح وصلوة العصر الحديث بطوله من رواية ابي هريرة وغيره وعلى القول بذلك
مضى الجمهور وذكر الطبري حديثا عن ابن عسكر من طريق ابي الدردا في قوله كان مشهودا
قال محمد بن سهل بن عسكر يشهده الله وملائكته فذكر في ذلك الحديث ان الله تعالى ينزل
في اخر الليل ونحو هذا مما ليس بالقوي ۞ وقوله ومن الليل من للتبعيض التقدير ووقتا
من الليل اي واقم وقتا والضمير في به عايد على هذا المقدر ويحتمل ان يعود على
القران وان كان لم يجر له ذكر مطلق كما هو الضمير مطلق لكن جرى مضافا الى الفجر ۞
وتهجد معناه اطرح الهجود عنك والهجود النوم ومنه قول الشاعر
الا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود ۞ وهذا الفعل جار
مجرى تحوب وتحرج وتأثم وتحنث ومنه قوله فظلتم تفكهون معناه تندمون
اي تطرحون الفاكهة عن انفسكم وهي انبساط النفس وسرورها يقال رجل
فكه اذا كان كثير السرور والضحك فالمعنى ووقتا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة
وقال الاسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الاسود التهجد بعد نومة وقال
الحجاج بن عمرو انما التهجد بعد رقدة وقال الحسن التهجد ما كان بعد العشا
الاخرة ۞ وقوله نافلة لك قال ابن عباس وغيره معناه زيادة لك في الفرض قالوا
وكان قيام الليل فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل الاية ان يكون هذا
على جهة الندب في التنفل ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
هو وامته كخطابه في قوله اقم الصلوة الاية وقال مجاهد انما هي نافلة للنبي عليه
السلم لانه مغفور له والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم وبين ان النبي عليه
السلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر عام الحديبية فانما كانت
نوافله واستغفاره فضايل من العمل وقربا اشرف من نوافل امته لان هذه

اما ان تجبر بها فرايضهم واما ان تحط بها خطاياهم وقد يتصور من لا ذنب له
يتنفل فيكون تنفله فضيلة كنصراني يسلم وصبي يحتلم وضعف الطبري قول
مجاهد ۞ وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عدة من الله تعالى
لرسوله وهو امر الشفاعة الذي يتدافعه الانبيا حتى ينتهي اليه عليه السلم
والحديث بطوله في البخاري ومسلم فلذلك اختصرناه ولاجل ذلك الاعتمال الذي
له فيه يرضاه جميع العالم مؤمنهم وكافرهم قال انا سيد ولد ادم ولا فخر وعسى
من الله واجبة ۞ ومقاما نصب على الظرف ومن غريب حديث الشفاعة
اقتضابه المعنى وذلك ان صدر الحديث يقتضي ان النبي عليه السلم يستنهض
للشفاعة في ان يحاسب الناس وينطلقون من الموقف فيذهب لذلك وينص
باثر ذلك على انه شفع في اخراج المذنبين من النار فمعناه الاقتضاب والاختصار
لان الشفاعة في المذنبين لم تكن الا في الحساب والزوال من الموقف ودخول
قوم الجنة وقوم النار وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الانبيا بل يشفعون
ويشفع العلما وذكر الطبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي قال ع وينبغي ان يتاول
هذا على ما قلنا لامته وغيرها او يقال ان كل مقام منهما محمود وقال النقاش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة في السبق
الى الجنة وشفاعة في اهل الكباير والمشهور انهما شفاعتان فقط وحكى الطبري
عن فرقة منها مجاهد انها قالت ان المقام المحمود هو ان الله عز وجل يجلس محمدا
معه على عرشه وروت في ذلك حديثا وعضد الطبري جواز ذلك بشطط
من القول وهو لا يخرج الا على تلطف في المعنى وفيه بعد ولا ينكر مع ذلك ان
يروى والعلم يتاوله وقد ذكر النقاش عن ابي داود السجستاني انه قال من
انكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال اهل العلم يتحدثون بهذا من انكر
جوازه على تاويله قوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية

ظاهرها والاحسن فيها ان تكون دعا في ان يحسن الله حالة في كل ما يتناول من الامور
ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة فهي على
انه عموم معناه رب اصلح لي وردي في كل الامور وصدري وذهب بعض المفسرين
الى انها في غرض مخصوص ثم اختلفوا في تعيينه فقال ابن عباس والحسن وقتادة
اراد ادخلني المدينة واخرجني من مكة وتقدم في هذا التاويل المتاخر في الوقوع
فانه متقدم في القول لان الاخراج من مكة هو المتقدم اللهم ان مكان الدخول
والقرار هو الاهم وقال ابو صالح ومجاهد ادخلني في امر تبليغ الشرع واخرجني منه
بالاداء التام وقال ابن عباس الادخال بالموت في القبر والاخراج البعث وما
قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كله اصوب وقرا الجمهور مدخل ومخرج
بضمهما فهو جار على ادخلني واخرجني وقرا ابو حيوة وقتادة وحميد بفتح الميم فيهما
فليس بجار على ادخلني ولكن التقدير ادخلني فادخل مدخل لانه انما يجري
على دخل والصدق هنا صفة تقتضي رفع المذام واستيعاب المدح كما تقول
رجل صدق اي جامع للمحاسن ۝ وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
قال مجاهد وغيره حجة يريد تنصرني بها على الكفار وقال الحسن وقتادة
يريد منعة ورياسة وسيفا ينصر دين الله فطلب رسول الله ذلك بامر الله اياه
رغبة في نصر الدين فروي ان الله وعده بذلك ثم انجزه له في حياته وتممه بعد
وفاته ۝ وقوله وقل جاء الحق قال قتادة هو القران ۝ وزهق الباطل
الشيطان وقالت فرقة الحق الايمان والباطل الكفر وقال ابن جريج الحق
الجهاد والباطل الشرك وقيل غير ذلك والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة
فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الباطل بجميع ما انطوى
فيه والباطل كل ما لا ينال به غاية نافعة ۝ وقوله كان زهوقا ليست كان
اشارة الى زمن مضى بل المعنى كان وهو يكون وهذا كقول الله تعالى عن نفسه
انه كان عليما قديرا ونحوه وهذه الاية نزلت بمكة ثم ان رسول الله كان يستشهد

بها

بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياها بالمخصرة حسب
ما في السير لابن هشام وفي غيرها وقرا الجمهور وننزل بالنون وقرا مجاهد
وينزل بالياء خفيفة ورواها المروزي عن حفص ۝ وقوله من القران يصح ان
يكون من لابتداء الغاية ويصح ان تكون لبيان الجنس كانه قال وننزل ما
فيه شفاء من القران وانكر بعض المتاولين ان تكون من للتبعيض لانه تحفظ
من ان يلزمه ان بعضه لا شفاء فيه قال ع وليس يلزمه هذا بل يصح ان تكون
للتبعيض بحسب ان انزاله انما هو مبعض فكانه قال وننزل من القران
شيئا شيئا ما فيه كله شفاء واستعارة الشفاء للقران هو بحسب ازالته
للريب وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات والامور الدالة على الله تعالى
المقررة لشرعه ويحتمل ان يراد بالشفاء نفعه من الامراض بالرقى والتعويذ
ونحوه وكونه رحمة ظاهر ۝ وقوله ولا يزيد الظالمين الا خسارا معناه انه
عليهم عمى اذ هم معرضون بحالة من لا يفهم ولا يلقن ۝ وقوله واذا انعمنا
على الانسان هو هنا لا يراد به العموم وانما يراد به البعض وهم الكفرة وهذا
كما تقول عند غضب لا خير في الاصدقاء ولا امانة في الناس فانت تعم مبالغة
ومرادك البعض وهذا بحسب ذكر الظالمين ۝ والخسار في الاية قبل فاتصل
ذكر الكفرة ويحتمل ان يكون الانسان في هذه الاية لعموم الجنس على معنى ان هذا
الخلق الذميم في سجيته فالكافر يبالغ في الاعراض والعاصي ياخذ بحظه منه
وقد قال عليه السلام في مومن فاعرض فاعرض الله عنه ومعنى اعرض ولانا
عرضه ۝ وناى اي بعد وهذه استعارة وذلك انه يفعل افعال المعرض
النائي في تركه الايمان بالله وشكر نعمه عليه وقرا ابن عامر وحده وناء ومعناه
نهض اي متباعدا هذا قول طائفة وقالت اخرى هو قلب الالف من ناى
بعينه وهي لغة كراى وراء ومنه هذه اللفظة قول الشاعر في صفة رام
حتى اذا ما التامت مفاصله ۝ وناء في شق الشمال كاهله ۝ اي نهض

الهمز بعد

مُتوركا على شماله والذى عندى ان نأى وناأ لغتان مثنا بانه ونأى بجانبه
عبارة عن التحبر والاستبداد ونأى عبارة عن البعد والفراق ۵ ثم وصف
الله تعالى الكفرة بانهم اذا مسّهم شرّ من مرض او مصيبه في مال او غير ذلك
يئسوا من رحمته لا يومنون بالله ولا يرجون تصرف اقداره ۵ ثم قال يا محمد
قل كلٌ يعمل على شاكلته اى على طريقته وبحسب نيته ومذهبه الذى يشبهه
وهو شكله ومثله وهذه تدل دلالة ما على ان الانسان اولا لم يرد به
العموم اى الكفار بهذه الصفات والمومنون بخلافها وكل منهم يعمل على ما
يليق به والرب تعالى اعلم بالمهتدين وقال مجاهد على شاكلته معناه
على طبيعته وقال ايضا معناه على حدته وقال ابن عباس معناه على
ناحيته وقال قتادة على ما ينوى وقال ابن زيد على دينه قال ع وارجحها
قول ابن عباس وقتادة ۵ وقوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا توعد
بيّن **قوله عز وجل** ويسئلونك عن الروح الايه الضمير في يسالونك لليهود
وقيل ان الايه مدنيه روى ابن مسعود انه كان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حرث بالمدينه وهو متوكى على حرب واذا فيه جماعة من اليهود
على ح
فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فان اجاب فيه عرفتم انه ليس بنبى
وذلك انه كان عندهم في التوراه ان الروح مما انفرد الله بعلمه ولا يطلع
عليه احدا من عباده قال ابن مسعود وقال بعضهم لا تسالوه لئلا ياتى فيه
بشي تكرهونه قال ع يعنون والله اعلم من انه لا يفسره فتقوى الحجة عليهم
في نبوته قال فسالوه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكّا على
عسيب فظننت انه يوحى اليه ثم تلا عليهم الايه وقيل انها مكيه والضمير
لقريش وذلك انهم قالوا نسئل عن محمد اهل الكتاب من اليهود فارسلوا اليهم
الى المدينه النضر بن الحرث وعقبه بن ابى معيط فقال اليهود لهما جربوه
بثلاث مسايل سلوه عن اهل الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان فسّر

الثلثه فهو كذاب وان سكت عن الروح فهو نبى فسالته قريش عن الروح
فروى ان النبى عليه السلم قال لهم غدا اخبركم به ولم يقل ان شاء الله ۵
فاستمسك الوحى عنه خمسه عشر يوما معاتبه على وعده لهم دون استثنا
ثم نزلت هذه الايه واختلف الناس في الروح المسوول عنه اى روح هو
فقالت فرقه هي جمهور وقع السوال عن الارواح التى في الاشخاص الحيوانيه ما
هى فالروح اسم جنس على هذا وهذا هو الصواب وهو المشكل الذى لا تفسير
له وقال قتاده الروح المسوول عنه هو جبريل عليه السلم قال وكان ابن
عباس يكتمه وقالت فرقه عيسى بن مريم وقال على بن ابى طالب ملك له سبعون
الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغه
يسبح الله سبحانه بكل تلك اللغات يخلق من كل تسبيحه ملك يطير مع
الملايكه الى يوم القيمه ذكره الطبرى قال ع وما اظن هذا القول يصح عن
على وقالت فرقه الروح القران وهذه كلها اقوال مفسره والاول اظهرها
واصوبها ۵ وقوله من امر ربى يحتمل تاويلين احدهما ان يكون الامر اسم
جنس للامور اى الروح من جمله امور الله التى استاثر بعلمها هى اضافه
خلق الى خالق والثانى ان يكون مصدرا من امر يامر اى الروح مما امره امرا
بالكون فكان وقرا ابن مسعود والاعمش وما اوتوا ورواها ابن مسعود
عن النبى عليه السلم وقرا الجمهور اوتيتم واختلف فيمن خوطب بذلك فقالت
فرقه السايلون فقط ترجم بذلك الطبرى ثم ادخل تحت الترجمه عن قتاده
انهم اليهود وقالت فرقه المراد اليهود بجملتهم وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود
وقالت فرقه العالم كله وهذا هو الصحيح لان قول الله له قل الروح امر بالقول
انما هو
لجميع العالم اذ كذلك هي اقواله كلها وعلى ذلك تمت المخاطبه الكل ويحتمل ايضا
الايه مرح
ان تكون مخاطبة من الله للنبي ولجميع الناس ويتصف ما عند جميع الناس من العلم
بالقله باضافته الى علم الله عز وجل الذى هو بهذه الامور التى عندنا من علمها

طرف يسير جدا كما قال الخضر لموسى عليهما السلم ما نقص علمي وعلمك وعلم جميع الخلايق
من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من البحر واراد الخضر علم الله بهذا الموجودات
التي عند البشر من علمها طرف يسير بنسبته الى ما يخفى عليهم نسبة النقطة
الى البحر واما علم الله على الاطلاق فغير متناه ويحتمل ان يكون التجوز في قول
الخضر كما نقص هذا العصفور اي انا لا ينتقص علمنا شيا من علم الله تعالى على
الاطلاق ثم مثل بنقرة العصفور في عدم النقص اذ نقصه غير محسوس فكانه
معدوم فهذا احتمال وللقول فيه نظر وقد قالت اليهود لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لم نوت من العلم الا قليلا وقد اوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فعارضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلبوا
وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في بعض الاحاديث كلا تعني بان
المراد بالوتيتم جميع العالم وذلك ان اليهود قالت الينا عنيت ام قومك فقال
كلا نعني اعني وفي هذا المعنى نزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام حكى
ذلك الطبري رحمه الله وقوله ولين شينا الاية اية فيها شدة على النبي صلى
الله عليه وسلم وهي عتاب على قوله غدا اعلمكم فامر بان يقول ان الروح
من امر ربي ويدعو الى التسليم لله في انه يعلم بما شا ويمسك عن عباده ما
شا ثم قيل له يا محمد وما اوتيتم يا محمد انت وجميع الخلايق من العلم الا قليلا
فالله يعلم من علمه بما شا ويدع ما شا ولين شينا لنذهبن بالوحي الذي اتاك
ثم لا ناصر لك منه اي فليس بعظيم ان لا تجي بتفسير في الروح الذي اردت ان
تفسره للناس ووعدتهم بذلك وروي ابن مسعود انه ستخرج ريح حمرا
من قبل الشام تزيل ملاحف القران من المصاحف ومن الصدور وتذهب به
ثم تلوا هذه الاية قال ع اراد ابن مسعود بتلاوة الاية ان يبدي ان الامر
جايز الوقوع ليظهر مصداق خبره من كتاب الله تعالى والوكيل القايم
بالامر في الانتصار والمحاصة ونحو ذلك من وجوه النفع وقوله الا

الا رحمة

رحمة استثنا منقطع اي لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك وهذا
الاستثنا المنقطع يخصص تخصيصا ما وليس كالمتصل لان المتصل يخصص
من الجنس او الجملة والمنقطع يخصص اجنبيا من ذلك ولا ينكر وقوع المنقطع
في القران الا اعجمي وحكى ذلك عن ابن خويز منداد ثم عدد عليه عز وجل
كبر فضله في اختصاصه بالنبوة وحمايته من المشركين الى غير ذلك مما لا
يحصى وقوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن الاية سبب هذه
الاية ان جماعة من قريش قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لو
جيتنا باية غريبة غير هذا القران فانا نحن نقدر على المجي بمثل هذا فنزلت
هذه الاية المصرحة بالتعجيز المعلمة بان جميع الخلايق لو تعاونوا انسا
وجنا على ذلك لم يقدروا عليه والعجز في معارضة القران انما وقع في
النظم والرصف لمعانيه وعلة ذلك الاحاطة التي لا يتصف بها الا الله
عز وجل والبشر معرض ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وانواع النقص
فاذا نظم كلمة خفي عنه للعلل التي ذكرنا الاليق الكلام بها في المعنى وقد ذكرت
هذه المسلة في صدر هذا الديوان وقوله لا ياتون بمثله في موضع رفع ولا
متلقيه قسما واللام في قوله لين موذنة غير لازمة قد تحذف احيانا وقد
تجي هذه اللام موكدة فقط وتجي الفعل المنفي مجزوما وهذا اعتماد على الشرط
ومنه قول الاعشى لين منيت بنا عن غب معركة لا تلفنا عن دما
القوم ننتفل والظهير المعين ومنه قوله تعالى وان تظاهرا
عليه الاية قال ع وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها
به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة
وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة
واحدة وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي واعماله مشاهدة علم ضرورة وعلمنا
نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر فحصل للجميع القطع لكن في مرتبتين وفهم

اعجاز القران ارباب الفصاحة الذين لهم غوايب في منزع الكلام الاترى الى فهم
الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة في قوله يعد الناسبون الى تميم الابيات
كلها والاترى الى قصة جرير في نوادره مع الفرزدق في قول الفرزدق علام
تلفتين وفي قوله تلفت انها تحت ابن قيس والاترى الى قول الاعرابي عز
فحكم والاترى الى الاستدلال الاخر على البعث بقوله حتى زرتم المقابر فقال ان
الزيارة تقتضي الانصراف ومنه علم بشار بقول ابي عمرو بن العلاء في شعر الاعشى
وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
ومنه قول الاعرابي للاصمعي من احوج الكريم الى ان يقسم ومن فهمهم انهم
بدايههم يأتون بكلمة منثورة تفضل المنتخب من الشعر وامثلة ذلك محفوظة
ومن ذلك اجوبتهم المسكتة الى غير ذلك من براعتهم في الفصاحة وكونهم فيها
النهاية كما كان السحر في زمن موسى والطب في زمن عيسى فهم مع هذه
الافهام اقروا بالعجز ولجأ المحاد منهم الى السيف ورضي بالقتل والسبا
وكشف الحرم وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة وكذلك التحدي
بالعشر السور والتحدي بالسورة انما وقع كله على حد واحد في النظم خاصة
وقيد العشر بالافترا لانهم ذكروا ان القران مفترى فدعاهم بعقب ذكر ذلك
الى الاتيان بعشر سور مفتريات ولم يذكر الافترا في السورة لانه لم يجر عنهم ذكر
ذلك قبل بل قال ان كنتم في ريب على انه قد جا ذكر السورة مع ذكرهم الافترا
هود وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقيل دعوا الى السورة مع المماثلة في
النظم والغيوب وغير ذلك من الاوصاف وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق فلما
عسر عليهم خفف بالدعوة الى المفتريات وقيل غير هذا مما ينحل عند تحصيله
قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القران الاية هذه اية تنبيه على
فضل الله في القران على العالم وتوبيخ للكفار منهم على قبح فعلهم وتصريف القول
هو ترديد البيان عن المعنى وقرا الجمهور صرفنا بتشديد الرا وقرا الحسن صرفنا

بفتح الرا خفيفة ، وقوله من كل مثل يجوز ان تكون من لابتدا الغاية وتكون
المفعول بصرفنا مقدرا تقديره ولقد صرفنا في هذا القران التنبيه والعبر في كل
مثل ضربناه ويجوز ان تكون مؤكدة زايدة التقدير ولقد صرفنا كل مثل وهذا كقوله
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ، وقوله فابى عبارة عن تكسب الكفار الكفر
واعراضهم عن الايمان وفي العبارة بابى تغليظ والكفر بالخلق والاختراع هو من
فعل الله تعالى وبالتكسب والدؤوب هو من الانسان ، وكفورا مصدر كالخروج
وقوله وقالوا لن نؤمن لك الاية قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر حتى تفجر
وقرا عاصم وحمزة والكساي حتى تفجر بفتح التا وضم الجيم وفي القران فانفجرت
وانفجر مطاوع فجر فهذا انما يقوي القراة الثانية واما الاولى فتقتضي المبالغة
في التفجير ، والينبوع الما الجاري وهي صفة مبالغة انما تقع للما الكثير وطلبت
قريش هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة واياها عنوا بالارض وانما يراد
باطلاق لفظة الارض هنا الارض التي يكون فيها المعنى المتكلم فيه كقوله او ينفوا
من الارض فانما يريد من ارض تصرفهم وقطعهم السبل ومعاشهم وكذلك ايضا اقتراحهم
بالجنة انما هو بمكة لامتناع ذلك فيها والا ففي ساير البلاد كان ذلك ممكنة وانما
طلبوه بامر الاهي في ذلك الموضع الجدب وقرا الجمهور وجنة وقرى جنات ذكره
المهدوي ، وقوله فتفجر تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية كغلقت الابواب
وخلالها ظرف معناه اثناها وفي داخلها وروي في قول هذه المقالة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث طويل مقتضاه ان عتبة وشيبة ابني ربيعة
وعبد الله بن ابي امية والنضر بن الحرث وغيرهم من مشيخة قريش وسادتهم
اجتمعوا عليه فعرضوا عنه ان يملكوه ان اراد الملك ويجمعوا له كثيرا من المال
ان اراد الغنى او يطبوه ان كان به داء ونحو هذا من الاقاويل فدعاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند ذلك الى الله وقال انما جيتكم من عند الله بامر فيه صلاح دينكم
ودنياكم فان سمعتم واطعتم فحسن والا صبرت لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم

بما شا فقالوا له حينئذ فان كان ما تزعمه حقا فجر ينبوعا ونؤمن لك ولتكن لك
جنة الى غير ذلك مما كلفوه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كله الى الله
ولا يلزمني اقتراح هذا ولا غيره وانما انا مستسلم لامر الله ع هذا هو معنى
الحديث وفي الالفاظ اختلاف وروايات متشعبة يطول سوق جميعها فاختصرت
لذلك ه وقوله او تسقط السما الاية قرا الجمهور او تسقط بضم التا السما
نصب وقرا مجاهد بفتح التا السما رفع باسناد الفعل اليها ه وقوله كما زعمت
اشارة الى ما تلي عليهم قبل ذلك في قوله عز وجل ان يشا نخسف بهم الارض الاية
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي كسفا بسكون السين الا في الروم فانهم حركوها
ومعناها قطعا واحدا قال مجاهد السما جميعا وتقول العرب كسفت الثوب
ونحوه قطعته فالكسف بفتح السين المصدر والكسف الشي المقطوع قال
الزجاج المعنى او تسقط السما علينا طبقا واشتقاقه من كسفت الشي اذا
غطيته وليس بمعروف في كتب اللغة كسف بمعنى غطى وكان كسوف الشمس والقمر
قطع منهما وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر كسفا بفتح السين اي قطعا جمع كسفة
وقوله قبيلا قيل معناه مقابلة وعيانا وقيل معناه ضامنا وزعيما بتصديقك
ومنه القبالة وهي الضمان والقبيل والمتقبل الضامن وقيل معناه نوعا وجنسا
لا نظير له عندنا وقرا الاعرج قبلا وهو بمعنى المقابلة قوله عز وجل او يكون
لك بيت من زخرف قال المفسرون الزخرف الذهب في هذا الموضع والزخرف ما
تزين به كان بذهب او غيره ومنه حتى اذا اخذت الارض زخرفها وفي قراة عبد الله
بن مسعود او يكون لك بيت من ذهب قال مجاهد ما كنا ندري ما الزخرف حتى قرانا
في حرف عبد الله من ذهب ه قوله او ترقى في السما يريد في الهوا علوا والعرب
تسمي الهوا علوا سما لانه في حيز السمو ويحتمل ان يريدوا السما المعروفة وهو
اظهر لانه اعلمهم ان الله الخلق فيها وانه ياتيه خبرها ه وترقى معناه تصعد
والرقي الصعود ويروى ان قايل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي امية فانه

قال

وانما هو معنى قطع

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا اومن لك حتى تاتيني بكتاب من السما اري
فيه بطاقة من الله الى عبد الله بن ابي امية وروي ان جماعتهم طلبت نحو ذلك منه
فامره الله تعالى ان يقول سبحان ربي اي تنزيها له من الاتيان الكيل مع الملايكة
قبيلا ومن ان يخاطبكم بكتاب كما اردتم ومن اقترح عليه انا هذه الاشيا وهل
انا الا بشر مثلكم ارسلت اليكم بالشريعة فانما علي التبليغ فقط وقرا ابن كثير وابن
عامر قال سبحان ربي على معنى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سبح
قولهم ه وقوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا هذه الاية على معنى التوبيخ
والتلهف من النبي عليه السلم والبشر كانه يقول متعجبا منهم ما شا الله كان
ما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي
لا يستند الى حجة ه وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب فيها يقع الافهام
والتمكن من النظر كما لو كان في الارض ملايكة يسكنونها مطمئنين اي وادعين
بها مقيمين لكان الرسول اليهم من الملايكة ليقع الافهام واما البشر فلو بعث اليهم
ملك لنفرت طباعهم من رويته ولم تحمله ابصارهم ولا تجلدت له قلوبهم وانما
اراد الله اجرا احوالهم على معتادها قوله عز وجل قل كفى بالله شهيدا الاية
روي ان الملا من قريش الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المقالات المتقدمة
من عرض الملك عليه والغنى وغير ذلك قالوا له في اخر قولهم فلتجي معك طايفة من
الملايكة تشهد لك بصدقك في نبوتك قال المهدوي روي انهم قالوا له فمن يشهد
لك ع ومعنى قولهم انما هو طلب شهادة دون ان يذكروها ففي ذلك نزلت هذه
الاية اي الله يشهد بيني وبينكم الذي له الخبر والبصر بجميعنا صادقنا وكاذبنا
ثم رد الامر الى خلق الله تعالى واختراعه الهدى او الضلال في قلوب البشر اي ليس
بيدي من امركم اكثر من التبليغ وفي قوله فلن تجد لهم اوليا من دونه وعيد ثم اخبر
عز وجل انهم يحشرون على الوجوه عميا وبكما وصما وهذا قد اختلف فيه فقيل
هي استعارات اما لانهم من الحيرة والهم والذهول يشبهون اصحاب هذه الصفات

وانما من حيث لا يرون ما يسرهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة وقيل هي حقيقة
كلها وذلك عند قيامهم من قبورهم ثم يرد الله اليهم ابصارهم وسمعهم ونطقهم فعند
رد ذلك اليهم يرون النار ويسمعون زفيرها ويتكلمون بكل ما حكى عنهم في ذلك
ويقال للمنصرف عن امر خايبا مهموما انصرف على وجهه ويقال للبعير المثقل
كانما يمشي على وجهه ومن قال ذلك في الاية حقيقة قال اقدرهم الله على التنقل
على الوجوه كما اقدر في الدنيا على التنقل على الاقدام وفي هذا المعنى حديث قيل
يا رسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال اليس الذي امشاه في الدنيا على
رجلين قادرا ان يمشيه في الاخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا وقوله
كلما خبت زدناهم اي كلما فرغت من احراقهم فسكن التهيب القايم عليهم
قدر ما يعادون ثم تثور فتلك زيادة السعير قاله ابن عباس ع فالزيادة
في حيزهم واما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور وخبت النار معناه
سكن التهيب والجمر على حاله وخمدت معناه سكن الجمر وضعف وهمدت معناه
طفيت جملة ومن هذه اللفظة قول الشاعر

امن زينب ذي النار قبيل الصبح ما تخبوا ۞
اذا ما خمدت يلقى عليها المندل الرطب ۞ ومنه قول عدي بن زيد
وسطه كاليراع او سرج المجدل طورا تخبو وطورا تنير ۞ ومنه قول
القطامي ۞ فتخبوا ساعة وتهب ساعا ۞ وقوله تعالى ذلك
جزاؤهم الاية الاشارة الى الوعيد المتقدم بجهنم وقوله باياتنا يعم الدلايل
والحجج التي جا بها محمد عليه السلام ويعم ايات القران وما تضمن من خبر وامر
ونهي ۞ ثم عظم عليهم امر انكار البعث وخصه بالذكر مع كونه في عموم الكفر
بايات القران ووجه تخصيصه التعظيم له والتنبيه على خطارة الكفر
في انكاره وقد تقدم اختلاف القراء في الاستفهامين في غير هذا الموضع ۞ والرفات
بقية الشي الذي قد اصارها البلى الى حال التراب ۞ والبعث تحريك الشي الساكن

وهذا

وهذا الاستفهام منهم هو على جهة الانكار والاستبعاد للمحال بزعمهم **قوله عز وجل**
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الاية احتجاج عليهم فيما استبعدوه
من البعث وذلك انهم قرروا على خلق الله واختراعه لهذه الجملة التي البشر
جزء منها فهم لا ينكرون ذلك فكيف يصح لهم ان يقروا بخلقه للكل واخراجه
من العدم وينكرون اعادته للبعض فحصل الامر في حيز الجواز واخبر الصادق
الذي قامت دلايل معجزاته بوقوع ذلك الجايز والرويه في هذه الايات رويه
القلب والاجل هاهنا يحتمل ان يريد به القيامة او اجل الموت والاجل على هذا
التاويل اسم جنس لانه وضعه موضع الاجال ومقصد هذا الكلام بيان قدرة الله
عز وجل وملكه لخلقه وتقرر ذلك يقوي جواز بعثه لهم حين يشا لا اله الا هو
وقوله فابى عبارة عن تكسبهم وجحودهم وقد مضى تفسيرها ۞ وقوله تعالى
قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي الاية لو هنا يليها الفعل اما مظهرا واما
مضمرا يفسره الظاهر بعد ذلك فالتقدير هنا قل لو تملكون انتم خزاين فانتم رفع
على تبع الضمير والرحمة في هذه الاية المال والنعم التي تصرف في الارزاق ومن هذا
سميت رحمة والانفاق المعروف اذهاب المال وهو مود الى الفقر فكان معنى
خشية عاقبة الانفاق وقال بعض اللغويين انفق الرجل معناه افتقر كما
تقول اترب واقتر ۞ وكان الانسان قتورا اي ممسكا يريد ان في طبعه
ومنتهى نظره ان الاشيا تتناهى وتفنى فهو لو ملك خزاين رحمة الله لامسك خشية
الفقر وكذلك يظن ان قدرة الله تقف دون البعث والامر ليس كذلك بل قدرته
لا تتناهى فهو يخترع من الخلق ما يشا ويخترع من الرحمة الارزاق ما يشا فلا يخاف
نفاد خزاين رحمته وبهذا النظر يتلبس هذه الاية بما قبلها ومن الاقتار
قول ابي داود ۞ لا اعد الاقتار عدما ولكن فقد من قد رزيته الاعدام ۞
وقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات الاية اتفق المتاولون والرواة
ان الايات الخمس التي في سورة الاعراف هي من هذه التسع وهي الطوفان

والجراد والقمل والضفادع والدم واختلفوا في الاربع فقال ابن عباس
هي يده ولسانه حين انحلت عقدته وعصاه والبحر وقال محمد بن كعب القرظي
هي البحر والعصا والطمسة والحجر وقال سالني عن ذلك عمر بن عبد العزيز
فاخبرته فقال لي وما الطمسة فقلت دعا موسى وامن هرون
فطمس الله اموالهم وردها حجارة فقال عمر وهل يكون الفقه الا هكذا ثم دعا
بخريطة فيها غرايب كانت لعبد العزيز بن مروان جمعها بمصر فاستخرج
منها الجوزة والبيضة والعدسة وهي كلها حجر كانت من بقايا اموال آل
فرعون وقال الضحاك هي القا العصا مرتين واليد وعقدة لسانه وقال
عكرمة ومطر الوراق والشعبي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات
وقال الحسن هي العصا في كونها ثعبانا واليد والسنون وتلقف العصا
ما يافكون وقال ابن عباس هي السنون في بواديهم ونقص الثمرات في قراهم
واليد والعصا وروى مطرف عن مالك انها العصا واليد والجبل اذ نتق
والبحر وروى ابن منبه عنه مكان البحر الحجر والذي يلزم من الاية ان الله تعالى
خص من ايات موسى اذ هي كثيرة جدا تنيف على اربع وعشرين تسعا بالذكر
ووصفها بالبيان ولم يعينها واختلف العلما في تعيينها بحسب اجتهادهم
في بيانها ورواياتهم التوقيف فيها وقالت فرقة ايات موسى انما اريد بها
ايات التوراة التي هي اوامر ونواهي روي في هذا صفوان بن عسال ان يهوديا
من يهود المدينة قال لاخر سر بنا الى هذا النبي نساله عن ايات موسى فقال
له الاخر لا تقل انه نبي فانه لو سمعك صارت له اربعة اعين قال فسارا الى رسول
الله فسالاه فقال هي ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة
يهود ان لا تعدوا في السبت وقرا الجمهور فاسال بني اسرايل وروي عن

فاجابه انه

الكساى

الكسائي فسل على لغة من قال سال يسال وهذا كله على معنى الامر لمحمد عليه السلم
اي اسال معاصريك عما اعلمناك به من غيب القصة ثم قال اذ جاءهم يريد اباهم
وادخلهم في الضمير اذ هم منهم ويحتمل ان يريد فسل بني اسرايل الاولين جاءهم
موسى وتكون احالته اياه على سوالهم بطلب اخبارهم والنظر في احوالهم
وما في كتبهم نحو قوله تعالى وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهذا كما
تقول لمن تعظه سل الامم الخالية هل بقي منها مخلد ونحو هذا مما يجعل النظر
فيه مكان السوال قال الحسن سوالك اياهم نظرك في القران وقرا ابن عباس
وقرا ابن عباس فسال فعلا ماضيا اي فسال موسى بني اسرايل اي طلبهم
لينجيهم من العذاب وقوله مسحورا اختلف فيه المتاولون فقالت
فرقة هو مفعول على بابه اي انك قد سحرت فكلامك مختل وما تاتي به غير
مستقيم وقال الطبري هو مفعول بمعنى فاعل كما قال حجابا مستورا
وكما قالوا مشوم وميمون وانما هو شايم ويامن وهذا لا يتخرج الا على
النسب اي ذا سحر ملكته وعلمته فانت تاتي بهذه الغرايب لذلك وهذه
مخاطبة تنقص فيستقيم ان يكون مسحورا مفعولا على ظاهره وعلى ان يكون
بمعنى ساحر وتعارضنا ما حكي عنهم انهم قالوا له على جهة المدح
يا ايها الساحر ادع لنا ربك فاما ان يكون القايلون هنا الملا بينهم فرعون
واما ان يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه الى تعظيمه وفي هذا نظر
قوله عز وجل قال لقد علمت ما انزل هولا الاية روي عن علي بن
ابي طالب وغيره انه قرا علمت بتا المتكلم مضمومة وقال ما علم عدو الله
قط وانما علم موسى ويقوي هذه القراة المنزل مسحورا على بابه فلما رماه
فرعون بانه سحر فقد فسد نظره وعقله وكلامه رد هو عليه بانه يعلم بايات
الله وانه ليس بمسحور بل محرر لما ياتي به وهي قراة الكسائي وقرا الجمهور لقد
علمت بتا المخاطب مفتوحة فكان موسى عليه السلم رماه بانه يعلم

الذين م

جحادًا ومن قال بوقوع الكفر عنادًا فلابد أن يتعلق بهذه الآية وجعلها كقوله
عز وجل وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وقد حكى الطبري عن ابن عباس
ونحا إليه الزجاج وهي بعد معرضة للاحتمال على أن يكون قول موسى عليه
السلام إبلاغًا على فرعون في التوبيخ أي إن شكك أن تعلم هذا وهي من الوضوح
بحيث تعلمها ولم يكن ذلك على جهة الخبر عن علم فرعون ومن يريد من الآية
وقوع الكفر عنادًا فإنما يجعل هذا إخبارًا من موسى عن علم فرعون والإشارة
بهؤلاء إلى التسع الآيات ۝ وقوله بصائر جمع بصيرة وهي الطريقة أي طرائق
يهتدى بها وكذلك غلب على البصيرة أنها تستعمل في طريقة النفس في
نظرها واعتقادها ونصب بصائر على الحال ۝ والمثبور المهلك قاله
مجاهد وقال ابن عباس والضحاك هو المغلوب وقال ابن زيد هو المخبول
وروي عن ابن عباس الملعون وقال بعض العلماء كان موسى عليه السلام
في أول أمره يجزع ويأمر بالقول اللين ويطلب الوزير فلما تقوت نفسه
بقوى النبوة وتجلد وقابل فرعون بأكثر مما أمر به بحسب اجتهاده الجائز له
قال ابن زيد أخبر موسى أن يقول له فوق ما أمره الله وقالت فرقة بل المثبور
المغلوب المخدوع وما كان موسى عليه السلام ليكون لعانًا ومن اللفظة قول
عبد الله بن الزبعرى ۝ إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور
وقوله فأراد أن يستفزهم من الأرض معناه يستخفهم ويقلعهم بقتل أو بإجلاء
والأرض هي أرض مصر وقد تقدم أنه متى ذكرت الأرض عمومًا فإنما يراد بها
ما يناسب القصة المتكلم فيها وقد يحسن عمومها في بعض القصص ۝ ع
واقتضت هذه الآية قصص بني إسرائيل مع فرعون وإنما ذكرت عظم
الأمر وخطره وذلك طرفاه أراد فرعون غلبتهم وقتلهم وهذا كان بدء
الأمر فأغرقه الله وأغرق جنوده وهذا كان نهاية الأمر ثم ذكر تعالى أمر
بني إسرائيل بعد إغراق فرعون بسكنى أرض الشام ۝ ووعد الآخرة

بهاولاء

اماج

هو

هو يوم القيامة ۝ واللفيف الجمع المختلط الذي قد لف بعضه ببعض فليس
ثم قبائل ولا انحياز قال بعض اللغويين هو من أسماء الجموع ولا واحد له
من لفظه وقال الطبري هو بمعنى المصدر كقول القائل لففته لفًّا ولفيفًا
وفي هذا نظر فتأمله **قوله عز وجل** وبالحق أنزلناه الضمير عائد على
القرآن المذكور في قوله ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن ويجوز أن يكون
الكلام آنفًا وأشار بالضمير إلى القرآن على غير ذكر متقدم لشهرته كما
قال حتى توارت بالحجاب وهذا كثير قال الزهراوي معناه بالواجب الذي
هو المصلحة والسداد للناس وبالحق في نفسه ۝ وبالحق نزل يريد بالحق
في أوامره ونواهيه وأخباره إلى أنهما بمعنى واحد فبهذا التأويل يكون
يكون تكرار اللفظ غير الأول وذهب الطبري إلى أنهما بمعنى واحد أي
بأخباره وما هو أمره وبذلك نزل ۝ قوله وقرآنا مذهب سيبويه أن
نصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر بعد أي وفرقنا قرآنا ويصح أن يكون
معطوفًا على الكاف في أرسلناك من حيث كان إرسال هذا وإنزال هذا
لمعنى واحد وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء معناه بيناه وأوضحناه
وجعلناه فرقانًا وقرأ ابن عباس وقتادة وأبو رجاء وعلي بن أبي طالب
وابن مسعود وأبي بن كعب والشعبي والحسن بخلاف وحميد وعمرو بن فائد
فرقناه بتشديد الراء وفي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب فرقناه عليك
لتقرأه أي أنزلناه شيئًا بعد شيء لا جملة واحدة ويتناسق هذا المعنى مع قوله
لتقرأه على الناس على مكث وهذا كان لما أراد الله من نزوله بأسباب تقع
في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معينة واختلف أهل العلم
في نزول القرآن من المدة فقيل في خمس وعشرين وقال ابن عباس في ثلاث
وعشرين وقال قتادة في عشرين وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذلك أن الوحي بدأ وهو ابن أربعين وتم بموته وحكى الطبري

بمعنى في

ابن هم

عن الحسن البصري انه قال نزل القران في ثماني عشرة سنة وهذا قول يحتمل الا يصح عن
الحسن والله اعلم وبه اقول وقوله عز وجل على مكث اي على ترسل في التلاوة
وترتيل هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد والتاويل الاخر اي على
مكث وتطاول في المدة شيئا بعد شيء وقوله ونزلناه تنزيلا مبالغة وتاكيد
بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره في الفاظ الاية واجمع القراء على ضم الميم من مكث
ويقال بفتحها وكسرها وقوله قل امنوا به الاية تحقير للكفار وفي ضمنه
ضرب من التوعد والمعنى انكم لستم بحجة فسواء علينا امنتم ام كفرتم وانما
ضرر ذلك على انفسكم وانما الحجة اهل العلم من قبله وهم بالصفة المذكورة واختلف
الناس في المراد بالذين اوتوا العلم من قبله فقالت فرقة هم مومنوا اهل الكتاب
وقالت فرقة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما وقيل ان
جماعة من اهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا امر النبي عليه السلم وما
انزل عليه وقرئ عليهم شيء منه فخشعوا وسبحوا الله وسجدوا له وقالوا هذا
وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا
الى الاسلام هذا الجنوح فنزلت الاية فيهم وقالت فرقة المراد بالذين اوتوا العلم
من قبله محمد عليه السلم والضمير في قبله عائد على القران حسب الضمير في به
ويبين ذلك قوله اذا يتلى وقيل الضميران لمحمد عليه السلم واستانف ذكر القران
في قوله اذا يتلى وقوله للاذقان اي لناحيتها كما تقول تساقط لليد والفم اي
لناحيتهما وعليهما قال ابن عباس المعنى للوجوه وقال الحسن المعنى للحى والاذقان
اسافل الوجه حيث يجتمع اللحيان وهي اقرب ما في راس الانسان الى الارض لا
سيما عند سجوده قال الشاعر

فخروا لاذقان الوجوه تنوشهم سباع من الطير العوادي وتنتف

وان في قوله ان كان هي عند سيبويه المخففة من الثقيلة واللام بعدها لام التاكيد
وهي عند الفراء النافية واللام بمعنى الا ويتوجه في هذه الاية وجه اخر ان يكون قوله

امنوا

امنوا به او لا تؤمنوا مخلصا للوعيد دون التحقير المعنى فستندمون مما تجاوزونه
ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من اهل الكتاب اي ان الناس لم
يكونوا كالنعم في الكفر بل كان الذين اوتوا التوراة والانجيل والزبور والكتب المنزلة
في الجملة اذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وامنوا قوله عز وجل ويخرون للاذقان
يبكون الاية هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحض لكل من توسم بالعلم وحصل
منه شيئا ان يجري الى هذه الرتبة وحكى الطبري عن التيمي انه قال ان من اوتي من العلم
ما لم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت العلماء ثم تلا الاية
كلها وقوله قل ادعوا الله الاية سبب نزولها ان المشركين سمعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد
وهو يدعو الهين قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فقال في دعائه يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة
رجل يسمى الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو رحمن اليمامة فنزلت الاية
مبينة انها اسم لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذلك وان دعوتموه بالرحمن
فهو ذلك وقرا طلحة بن مصرف ايا من تدعوا فله الاسماء اي وله سائر الاسماء
الحسنى التي تقتضي افضل الاوصاف وهي بتوقيف لا يصح وضع اسم لله بنظر
الا بتوقيف من القران او الحديث وقد روي ان لله تسعة وتسعون اسما
الحديث ونصها كلها الترمذي وعدد بسند وتقدير الاية اي الاسماء دعوتم به
فانت مصيب له الاسماء الحسنى ثم امر رسوله عليه السلم ان لا يجهر بصلاته
وان لا يخافت بها وهو الاسرار الذي لا يسمعه المتكلم به وهذا هو حقيقته
ولكنه في الاية عبارة عن خفض الصوت وان لم ينته الى ما ذكرناه واختلف
المتاولون في الصلاة ما هي فقال ابن عباس وعائشة وجماعة هي الدعاء وقال ابن عباس
ايضا هي قراءة القران في الصلاة فهذا على حذف مضاف التقدير ولا تجهر بقراءة
صلاتك قال والسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة فسمعه المشركون

فيسبوا القران ومن انزله فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوسط ليسمع اصحابه
المصلون ومن معه ويذهب عنه اذى المشركين قال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون
بتشهدهم فنزلت الاية في ذلك وكان ابو بكر يسر قراءته وكان عمر يجهر بها فقيل
لهما في ذلك فقال ابو بكر انما اناجي ربي وهو يعلم حاجتي اليه وقال عمر انا اطرد
الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت هذه الاية قيل لابي بكر ارفع انت قليلا
وقيل لعمر اخفض انت قليلا وقالت عائشة ايضا الصلوة يراد بها في هذه الاية
التشهد وقال ابن عباس والحسن المراد والمعنى لا تحسن صلاتك في الجهر ولا تسيئها
في السر بل ابتغ طريقا وسطا يكون دايما في كل حالة وقال ابن زيد معنى الاية
النهي عما يفعله اهل الانجيل والتوراة من رفع الصوت احيانا فيرفع الناس
معه ويخفض احيانا فيسكت من خلفه وقال ابن عباس في الاية ان معناها
ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل وابتغ سبيلا من امتثال الامر كما رسم
لك ذكره يحيى بن سلام والزهراوي وقال ابن مسعود لم يخافت من اسمع اذنيه
ع وما روي انه قيل لابي بكر ارفع انت قليلا يرد هذا ولكن هذا الذي قال ابن مسعود
هو اصل اللغة ويستعمل الخفوت في ارفع من ذلك ۝ وقوله تعالى وقل الحمد لله
الاية رادة على اليهود والنصارى والعرب في امر عزير وعيسى والملايكة سبحانه
وتعالى عن اقوالهم ورادة على العرب في قولهم لولا اولياء الله لذل وقيد لفظ الاية بنفي
الاولياء لله عز وجل بطريق الذل وعلى جهة الانتصار اذ ولايته موجودة بتفضله
ورحمته لمن والى من صالحي عباده وقال مجاهد المعنى لم يحالف احدا ولا ابتغى نصر
احد ۝ وقوله وكبره تكبيرا ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال
ثم اكدها بالمصدر تحقيقا لها وابلاغا لمعناها وروى مطرف عن عبد الله بن
كعب ان التوراة افتتحت بفاتحة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة ۝ [قدم]

۝ تفسير سورة الكهف ۝

هي مكية في قول جميع المفسرين
وروي عن فرقة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وهي

من

من افضل سور القران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بسورة عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي
سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قراها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين
الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام في رواية انس ومن قراها اعطي نورا بين السما
والارض ووقي بها فتنة القبر **قوله عز وجل** الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب الاية كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله عوجا سكتة خفيفة وعند
مرقدنا في يس وسبب هذه الاية في هذه السورة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سألته قريش عن المسايل الثلاث الروح والكهف وذي القرنين حسب
ما امرتهم به يهود قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم بجواب
سؤالكم ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله بان استمسك الوحي عنه خمسة عشر
يوما فارجفت به كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه رييه الذي كان ياتيه
من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه الى غير ذلك فشق ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الامر الذي اراد الله عتاب محمد
اليه جاءه الوحي من الله بجواب الاسولة وغير ذلك فافتتح الوحي بحمد الله الذي انزل
على عبده الكتاب اي بزعمكم انتم يا قريش وهذا كما تقول لرجل يحب مساءتك فلا
يرى الا نعمك الحمد لله الذي انعم علي وفعل بي كذا على جهة النعمة عليه ۝ والكتاب
هو القران ۝ وقوله ولم يجعل له عوجا اي لم يزله عن طريق الاستقامة والعوج
فقد الاستقامة وهو بكسر العين في الامور والطرق وما لا يحس متنصبا شخصا
والعوج بفتح العين في الاشخاص كالعصا والحايط ونحوه وقال ابن عباس معناه
ولم يجعله مخلوقا قال ع وهذه الاية نعم هذا وجميع ما ذكر الناس من انه لا تناقض
فيه ومن انه لا خلل ولا اختلاف فيه ۝ وقوله قيما نصب على الحال من الكتاب
فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ اي انزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذي الحال
قوله ولم يجعل له عوجا ذكر الطبري هذا التاويل عن ابن عباس ويجوز ان يكون منصوبا

وقوله ولم يجعل له عوجا

نعقل مضمر تقديره انزله او جعله قيما وفي بعض مصاحف الصحابه ولم يجعل له
لكن جعله قيما قاله قتاده . ومعنى قيم مستقيم هذا قول ابن عباس والضحاك وقيل
معناه انه قيم على سائر الكتب بتصديقها ذكره الهروي قال ع وهذا محتمل وليس
من الاستقامه ويصح ان يكون معنى قيم قيامه بامر الله على العالم وهذا المعنى يؤيده
ما بعده من النذاره والبشاره اللذين عما العالم والباس الشديد عذاب
الاخره ويحتمل ان يندرج معه في النذاره عذاب الدنيا ببدر وغيرها ونصبه على
المفعول الثاني والمعنى لينذر العالم ه وقوله من لدنه اي من عنده ومن قبله
والضمير في لدنه عايد على الله تعالى وقرا الجمهور من لدنه بضم الدال والهاء
وسكون النون وقرا عاصم في روايه ابي بكر بسكون الدال واشمام الضم فيها
بكسر النون والهاء وفي لدن لغات يقال لدن مثل سبع ولدن بسكون الدال ولدن
بضم اللام ولدن بفتح اللام والدال وهي لفظه مبنيه على السكون ويلحقها حذف
النون مع الاضافه وقرا عبد الله وطلحه ويبشر بفتح الباء وسكون الباء وضم
الشين ه وقوله ان لهم اجرا تقديره بان لهم اجرا والاجر الحسن نعيم الجنه
ويتقدمه خير الدنيا ه وماكثين حال من الضمير في لهم ه وابدا ظرف لانه
دال على زمن غير متناه ه قال ع وقد اشرت في تفسير هذه الايه الى امر
اليهود وقريش بسوال النبي صلى الله عليه وسلم عن المسايل الثلاث وينبغي
ان نتقصى كيف كان ذلك ذكر ابن اسحق عن ابن عباس بسند انه قال بعثت
قريش النضر بن الحرث وعقبه بن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينه فقالوا
لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم ما
ليس عندنا من علم الانبيا فخرجا حتى اتيا المدينه فسالا احبار اليهود
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهما احبار يهود سلوه عن ثلاث
نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا
رايكم سلوه عن فتيه ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه كان لهم

حديث

حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما
كان نباؤه وسلوه عن الروح فاقبل النضر وعقبه الى مكه وسالوا رسول
الله عن ذلك وكان من الامر ما ذكرناه ه وقوله وينذر الذين قالوا الايه
اهل هذه المقاله هم بعض اليهود في عزير والنصارى في المسيح وبعض العرب
في الملايكه والضمير في به يحتمل ان يعود على القول الذي تتضمنه قالوا المتقدم
ويكون جمله قوله ما لهم به من علم في موضع الحال اي قالوا جاهلين ويحتمل ان
يعود على الولد اي لا علم لهم بهذا الولد الذي ادعوه فتكون الجمله صفه للولد
قاله المهدوي وهو معترض لانه لا يصفه الا القايل وهم ليس في قصدهم ان
يصفوه والصواب وعندي انه نفي مؤتنف اخبر الله بجهلهم في ذلك فلا
موضع للجمله من الاعراب ويحتمل ان يعود على الله عز وجل وهذا التاويل
اذم لهم واقضى بالجهل التام عليهم وهو قول الطبري ه قوله ولا لاباهم يريد
الذين اخذوا هذا ولا هذه المقاله عنهم وقرا الجمهور كبرت كلمة بنصب الكلمه كما
تقول نعم رجلا زيد وفسر الكلمه وصفها بالخروج من افواههم وقال بعضهم نصبها
على التفسير على حد نصب قوله تعالى وساءت مرتفقا وقالت فرقه نصبها على
الحال والتقدير كبرت فريتهم او نحو هذا كلمه وسميت هذه الكلمات كلمه من حيث
هي مقاله واحده كما يقولون للقصيده كلمه قال ع وهذه المقاله هي قايمه
في النفس معنى واحدا فيحسن ان تسمى كلمه وقرا الحسن ويحيى بن يعمر وابن محيصن
والقواس عن ابن كثير كبرت كلمة بالرفع على انها فاعله بكبرت ه وقوله
ان يقولون اي ما يقولون معنى الايه **قوله عز وجل** فلعلك باخع نفسك
على اثارهم الايه تسليه للنبي عليه السلم وقوله فلعلك تقرير وتوقيف
بمعنى الانكار عليه اي لا تكن كذلك والباخع نفسه هو مهلكها وجدا وحزنا
على امر ما ومنه قول الشاعر

الا ايهذا الباخع الوجد نفسه لشي نحته عن يديه المقادر

يريد تحته تحفف وقوله على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار
وتباعد عن الايمان واعراض عن الشرع فكانهم من فرط ادبارهم قد تباعدوا
فهو في آثارهم يحزن عليهم ٥ وقوله بهذا الحديث اي بالقران الذي يحدثك
به ٥ واسفا نصبا على المصدر قال الزجاج الاسف المبالغة في حزن او
غضب ع والاسف في هذا الموضع الحزن لانه على من لا تملك ولا هو تحت يد
الاسف ولو كان الاسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه لكان
غضبا كقوله تعالى فلما آسفونا اي اغضبونا واذا تاملت هذا في كلام
العرب اطرد وذكره منذر بن سعيد وقال قتادة هنا اسفا غضبا وقال
مجاهد اسفا جزعا وقال قتادة به ايضا ومن هذه اللفظة قول
الاعشى ٥ ارى رجلا منكم اسيفا كانما يضم الى كشحيه كفا مخضبا ٥
يريد حزينا كانه مقطوع اليد ٥ وقوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها الاية بسط في التسلية اي لا تهتم للدنيا واهلها فامرها وامرهم
اقل لفنائه وذهابه فانا انما جعلنا ما على الارض زينة وامتحانا واختلف
في المراد بما فقال ابن جبير عن ابن عباس المراد الرجال وقاله مجاهد
وروى عكرمة عن ابن عباس ان الزينة الخلفاء والعلماء والامراء وقالت
فرقة اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه
زينة ولم يدخل في هذا الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب
وقالت فرقة اراد كل ما على الارض عموما وليس شيء الا وفيه زينة من جهة
خلقه وصنعته واحكامه وفي معنى هذه الاية قول النبي صلى الله عليه وسلم
الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا
الدنيا واتقوا النساء ٥ وزينة مفعول ثان او مفعول من اجله بحسب
معنى جعلنا ٥ وقوله لنبلوهم ايهم احسن اي لنختبرهم وفي هذا وعيد ما
قال سفين الثوري احسنهم عملا ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني

حزنا

اتركهم لها ع وكان ابي يقول احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان
واداء الفرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه ٥ وقوله
وانا لجاعلون ما عليها الاية اي يرجع كل ذلك ترابا غير متزين بنبات ونحوه
والجرز الارض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة فهي البلقع وهذه حال الارض العامرة
الخالية بالزين لا بد لها من هذا في الدنيا جزءا جزءا ثم تعمها ذلك باجمعها عند
القيامة يقال جرزت الارض بقحط او جراد او نحوه اذا ذهب نباتها وبقيت
لا شيء فيها ولا نفع وارضون اجراز قال الزجاج والجرز الارض التي لا تنبت ع وانما
ينبغي ان يقال التي لم تنبت ٥ والصعيد وجه الارض وقيل التراب خاصة وقيل
الارض الطيبة وقيل المرتفعة من الارض المنخفضة ٥ وقوله ام حسبت
ان اصحاب الكهف الاية مذهب سيبويه ان ام اذا جاءت دون ان يتقدمها الف
استفهام انها بمعنى بل والف الاستفهام كانه قال بل أحسبت اضرابا عن الحديث
الاول واستفهاما عن الثاني وقال بعض النحويين هي بمنزلة الف الاستفهام واما
معنى الكلام فقال الطبري هو تقرير النبي صلى الله عليه وسلم على حسابه ان اصحاب
الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه اي لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السا
من الكفرة فان سائر آيات الله اعظم من قصتهم وابلغ وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة وابن اسحق وذكر الزهراوي ان الاية تحتمل معنى آخر وهو ان تكون استفهاما
له هل علم ان اصحاب الكهف والرقيم عجب بمعنى اثبات انهم عجب وتكون فائدة
تقريره جمع نفسه للامر المذكور لان جوابه ان يقول لم احسب ولا علمته فيقال له
وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا التاويل هو في لفظة حسبت فتامله والكهف
النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع فهو غار وحكى النقاش عن انس بن مالك
قال الكهف الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في الرقيم فقال كعب
الرقيم القرية التي كانت بازاء الكهف وقال ابن عباس وقتادة الرقيم الوادي
الذي كان بازائه وهو واد بين عصان وايلة دون فلسطين وقال ابن عباس

يلون

واتسع ح

ايضا هو الجبل الذي فيه الكهف وقال السدي الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف
وقال ابن عباس الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين
عيسى وقيل من دين قبل عيسى وقال ابن زيد كتاب عمى الله علينا امره ولم
يشرح لنا قصته وقالت فرقة الرقيم كتاب في لوح نحاس وقال ابن عباس في لوح
رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا
لهم وذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا وقال سعيد بن جبير هو لوح من
حجارة كتبوا فيه اصحاب الكهف ووضعوه على باب الكهف ع ويظهر من هذه
الروايات انهم كانوا قوما مؤرخين للحوادث وذلك من نبل المملكة وهو امر
مفيد وهذه الاقوال ماخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الارقم لتخطيطه
ومنه رقمة الوادي اي مكان جري الما وانعطافه يقال عليك بالرقمة وخل الضفة
وقال النقاش عن قتادة الرقيم دراهمهم وقال انس بن مالك والشعبي الرقيم الكلب
وقال عكرمة الرقيم الدواة وقالت فرقة الرقيم كان لفتية اخرى في السراة جرى لهم
ما جرى لاصحاب الكهف وروي عن ابن عباس انه قال ما ادري ما الرقيم اكتاب ام
بنيان وروى عنه انه قال كل القران اعلمه الا الحنان والاواه والرقيم قوله عز وجل
اذ اوى الفتية الى الكهف الاية الفتية فيما روي قوم من اشراف مدينة دقيوس الملك
الكافر ويقال فيه دقيانوس ويقال دقيلوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين
بالذهب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واما اسماؤهم
فهي اعجمية والسند في معرفتها واه ولكن التي ذكر الطبري هي هذه مكسلمينا
وهو اكبرهم والمتكلم عنهم ومحسلمينا وتمليخا قال ع وهو الذي مضى بالورق الى
المدينة عند بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكسوطونس ودينموس وبطونس ه
واختلف الرواة في قصص هؤلاء الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم الى الكهف
واكثر المؤرخون في ذلك ولكن نختصر من حديثهم ونذكر ما لا تستغني الاية عنه ونذكر
من الخلاف عيونه بحول الله تعالى ه روى مجاهد عن ابن عباس ان هؤلاء الفتية كانوا

فقه ح

اثناء

دقيوس خ

في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر بالله وتابعه على ذلك اهل المدينة
فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مؤمني الامم
قبلهم بحسب الخلاف الذي حكيناه فامنوا بالله وراوا ببصائرهم قبيح فعل
الناس فاخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك وقيل
له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك الى مجلسه
وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما
روي ربنا رب السموات والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وروي انهم قالوا
نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم الملك انتم شبان اغمار لا عقول لكم وانا لا اعجل
بل استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا رايكم وارجعوا الى امري وضرب لهم في
ذلك اجلا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب باديانهم فقال
لهم احدهم اني اعرف كهفا في جبل كذا كان ابي يدخل فيه غنمه فلنذهب اليه فنختفي
فيه حتى يفتح لنا فخرجوا فيما روي يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها
الى نحو طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وقيل انهم كانوا مثقفين فحضر عيد فخرجوا
اليه فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا في اللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك
وروت فرقة ان امر اصحاب الكهف انما كان انهم من ابنا الاشراف فحضر عيد
لاهل المدينة فراى الفتيان ما يمتثله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة
الاصنام والذبح لها فوقع الايمان في قلوبهم واجمعوا على مفارقة الناس لئلا ينالهم
العذاب معهم فزايلوا الناس وذهبوا الى الكهف وروى وهب بن منبه ان امرهم
انما كان ان حواريا لعيسى بن مريم جا الى مدينة اصحاب الكهف يريد
دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل فيه فراى صاحب الحمام في
اعماله بركة عظيمة فالقى اليه بكل امره وعرف ذلك الرجل فتيانا من اهل
المدينة فنشر فيهم الايمان وعرفهم الله تعالى فامنوا واتبعوه على دينه
واشتهرت خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة بغي اراد

مرة اخرى

الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري فانتهى ثم جا فنهاه فشتمه وامضى عزمه
في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا فيه جميعا فاتهم ذلك الحواري واصحابه
بقتله ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف وقال عبيد بن عمير ان اصحاب
الكهف كانوا فتية من ابنا العظما مطوقين مسورين ذوي ذوائب
قد داخلهم الايمان افذاذا وان مع كل واحد منهم الفرار بدينه من بلد
الكفر فاخرجهم الله في يوم واحد لما اراده بهم فخرج احدهم فجلس
في ظل شجرة على بعد من المدينة فخرج الثاني فلما راى الجالس جلس
اليه ثم الثالث ثم الباقون حتى حل جميعهم في ظل الشجرة فالقى الله
في نفوسهم ان غرضكم واحد فتساءلوا ففزع بعضهم من بعض وتكاتموا
ثم تراضوا برجلين منهم وقالوا انفردا وتواثقا وليفش كل واحد
سريرته لصاحبه فان اتفقتما كنا معكما فنهضا بعيدا وتكلما
فافصحا بالايمان والهروب بالدين فرجعا وافصحا الامر وتتابعا
مع الاخرين ونهضوا الى الكهف ۝ واما الكهف الكلب فروي انه كان
كلب صيد لبعضهم وروي انهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم
الراعي على رايهم وذهب الكلب معهم واسم الكلب حمران وقيل قطمير
ثم دخلوا الغار على جميع هذه الاقوال فروي وقد ان الله ضرب على اذانهم
عند ذلك لما اراده من سترهم وخفي على اهل المملكة مكانهم وتعجب الناس
من غرابة فقدهم فارخوا ذلك ورقموه في لوحين من رصاص او نحاس وجعلوه
على باب المدينة فيه اسماوهم واسما ابايهم وذكر شرفهم وانهم فقدوا
بصورة كذا في وقت كذا وقيل ان الذي كتب هذا وتهمم به رجلان
قاضيان مومنان يكتمان ايمانهما من اهل بيت المملكة وتسترا بذلك
ودفنا اللوحين عندها وقيل على الرواية بان الملك اتى باب الغار
وانهما دفنا ذلك في بنا الملك على الغار وروي وقد ان الملك لما ذهب

الفتية

الفتية امر بتقص اثارهم فانتهى ذلك بمتبعهم الى باب الغار فعرف الملك فركب
في جنده حتى وقف عليه فامر بالدخول عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض
وزرايه الست ايها الملك ان اخرجتهم قتلتهم قال نعم قال فاي قتلة ابلغ
من الجوع والعطش ابن عليهم باب الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد
ضرب الله على اذانهم قبل ذلك لما اراد من ايتهم وارخ الناس امرهم
في اللوحين او ارخه الرجلان بحسب الخلاف ۝ واسم احد الرجلين فيما
ذكر الطبري بيدروس واسم الاخر روناس وروي ان هذا الملك الذي فر
الفتية من دينه كان قد امتحن الله به المومنين حيث احضرهم يقتلهم ويعلقهم
اشخاصا ورووسا على اسوار مدينته وكان يريد ان يذهب دين عيسى وكان
هو وقومه من الروم ثم اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لما اووا الى الكهف اي
دخلوه وجعلوه ماوي لهم وموضع اعتصام دعوا الله بان يوتيهم من عنده
وهي الرزق فيما ذكره المفسرون وان يهيى لهم من امرهم رشدا اي خلاصا جميلا
وقرا الجمهور بفتح الراء والشين وقرا ابو رجا بضم الراء وسكون الشين والاولى
ارجح لشبهها بفواصل الايات قبل وبعد وهذا الدعا منهم كان في امر
دنياهم والفاظه تقتضي ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الاخرة ورحمتها
وينبغي لكل مومن ان يجعل دعاه في امر دنياه هذه الاية فقط فانها كافية
ويحتمل ذكر الوجه ان يراد بها امر الاخرة وقد اختصرت هذا القصص ولم
اغفل من مهمه شيا بحسب اجتهادي والله المعين ۝ وقوله فضربنا
على اذانهم الاية عبارة عن القا الله تعالى النوم عليهم ويعبر عن هذا ونحوه
بالضرب ليتبين قوة المباشرة وشدة اللصوق في الامر المتكلم فيه والالزام ومنه
ضربت الذلة والمسكنة ومنه ضرب الجزية وضرب البعث ومنه قول
الفرزدق ۝ ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضي عليك به الكتاب المنزل ۝
فهذا يستعمل في اللزوم البليغ واما تخصيص الاذان بالذكر فلانها الجارحة

فيما ذكره

رحمة

التي منها عظم فساد النوم وقل ما ينقطع نوم نايم الا من جهة اذنه ولا
يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذن في النوم قوله صلى الله
عليه وسلم ذاك رجل بال الشيطان في اذنه اشار عليه السلم الى رجل
طويل النوم لا يقوم بالليل ۞ وقوله عددا نعت للسنين والقصد
به العبارة عن التكثير اي تحتاج الى عدد وهي ذات عدد قال
الزجاج ويجوز ان يكون نصب عددا على المصدر والبعث التحريك
بعد سكون وهذا مطرد مع لفظ البعث حيث وقعت وقد يكون
السكون في الشخص او عن الامر المبعوث فيه وان كان الشخص متحركا
وقوله لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشي الى الوجود وهذا على
نحو كلام العرب اي لنعلم ذلك موجودا والا فقد كان الله علم اي
الحزبين احصى للامد وقرا الزهري ليعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر
من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني
هم اهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ
بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من
من الكافرين اختلفا في مدة اصحاب الكهف وقالت فرقة هما حزبان من
المومنين قال ع وهذا لا يرتبط من الفاظ الاية واما قوله احصى
فالظاهر الجيد فيه انه فعل ماض وامدا منصوب به على المفعول والامد
الغاية وتاتي عبارة عن المدة من حيث للمدة غاية هي امدها على الحقيقة
وقال الزجاج احصى هو افعل وامدا على هذا نصب على التفسير
ويلحق هذا القول من الاختلال ان افعل لا يكون من فعل رباعي الا في الشاذ
واحصى فعل رباعي ويحتج لقول الزجاج بان افعل من الرباعي قد كثر كقولك
ما اعطاه للمال وآتاه للخير وقال عليه السلم في صفة جهنم هي اسود من
القار وقال في صفة حوضه وماؤه ابيض من اللبن وقال عمر بن الخطاب

اهو

رضي الله عنه فهو لما سواها اضيع وهذه كلها افعل من الرباعي وقال مجاهد
امدا معناه عددا قال ع وهذا تفسير بالمعنى وعلى جهة التقريب وقال
الطبري نصب امدا بلبثوا وهذا غير متجه **قوله عز وجل** نحن نقص عليك
نباهم بالحق الاية لما اقتضى قوله لنعلم اي الحزبين احصى اختلافا وقع في امر
الفتية عقب بالخبر عن انه عز وجل يعلم من امرهم بالحق الذي وقع وفي مجموع
هذه الايات جواب قريش عن سوالهم الذي امرتهم به بنو اسرايل والقصص الاخبار
بامر يتبين دلالة الكلام يروى شيا شيا لان تلك المخاطبة ليست بقصص ۞ وقوله
وزدناهم هدى اي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع الى الله تعالى ومباعدة
الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الايمان ۞ وقوله وربطنا
على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها الله لهم ولما كان الفزع
وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم
ان يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا تفرق نفسه
عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى ۞ وقوله اذ قاموا
يحتمل معنيين احدهما ان يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر فانه مقام
يحتاج الى الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخالفوا دينه ورفضوا في ذات الله
هيبته والمعنى الثاني ان يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم في الهروب الى الله
ومنابذة الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد وبهذه
الالفاظ التي هي قاموا فقالوا تعلقت الصوفية في القيام والقول وقرا الاعمش
اذ قاموا قياما فقالوا ۞ وقولهم لقد قلنا اذا شططا اي لو دعونا من دون ربنا
الها والشطط الجور وتعدي الحد والغلو بحسب امر امر ومنه اشط الرجل
في السوم اذا طلب في سلعته فوق قيمتها ومنه شطوط النوى والبعد ومن
اللفظة قول الشاعر ۞ الا يا لقومي قد اشطت عواذلي ويزعمن ان اودى
بحقي باطلي ۞ وقولهم هاولا قومنا مقالة تصلح ان تكون مما قالوه في مقامهم

بين يدي الملك ويصح ان يكون من قول بعضهم لبعض عند قيامهم للامر الذي عزموا
عليه ٥ وقوله لولا يأتون تخضيض بمعنى التعجيز لانه تخضيض على ما لا يمكن
واذا لم يمكنهم ذلك لم يجب ان يلتفت لدعواهم ٥ والسلطان الحجة وقال
قتادة المعنى بعذر بين وهذه عبارة محلقة ثم عظموا جرم الداعي مع الله الها
وظلمهم بقوله على جهة التقرير ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ٥ وقوله واذ اعتزلتموهم
الآية ان كان القيام في قوله اذ قاموا عزما كما نص النحاس وبذل الواحد وكان
القول منهم فيما بينهم فهذه المقالة يصح ان يكون من قولهم الذي قالوه عند قيامهم وان
كان القيام المذكور مقامهم بين يدي الملك فهذه المقالة لا تترتب ان يكون فيها
بل يكون في الكلام حذف تقديره وقال بعضهم لبعض وبهذا يترجح ان قوله تعالى
اذ قاموا فقالوا انما المراد اذ عزموا ونفذوا لامرهم ٥ وقوله الا الله ان
فرضنا الكفار الذين فر اهل الكهف منهم لا يعرفون الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون
الالوهية في اصنامهم فقط فهو استثناء منقطع ليس من الاول وان فرضناهم يعرفون
الله ويعظمونه كما كانت تفعل العرب لكنهم يشركون اصنامهم معه في العبادة
فالاستثناء متصل لان الاعتزال وقع في كل ما يعبده الكفار الا في جهة الله تعالى
وفي مصحف ابن مسعود وما يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسيرها
قال هارون وفي بعض مصاحفه وما يعبدون من دوننا فعلى ما قال قتادة
تكون الا بمنزلة غير وما في قوله وما يعبدون في موضع نصب عطفا على
الضمير في قوله اعتزلتموهم ومضمن هذه الاية ان بعضهم قال لبعض اذ قد
فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على الله تعالى
فانه سيبسط لنا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله
دعاء بحسب الدنيا وعلى ثقة كانوا من الله في امر آخرتهم ٥ وقرا نافع وابن عامر
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر كالرفق فيما حكى ابو زيد وهي قراءة ابي جعفر
وشيبة والاعرج وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والحسن وطلحة

والاعمش وابن ابي اسحق مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء ويقالان جميعا في الامر وفي الجارحة
حكاه الزجاج وذكر مكي عن الفراء انه قال لا اعرف في الامر وفي اليد وفي كل
شيء الا كسر الميم وانكر الكسائي ان يكون المرفق من الجارحة الا بفتح الميم وكسر الفاء
وخالفه ابو حاتم وقال المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان قوله عز وجل
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين الآيات بين هاتين الآيتين
اقتضاب بينه ما تقدم من الايات تقديره فأووا وضرب الله على آذانهم ومكثوا
كذلك وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو تزاور بتشديد الزاي وادغام التاء وقرا عاصم
وحمزة والكسائي تزاور بتخفيفها بتقدير تتزاور وحذف احدى التاءين وقرا ابن عامر
وابن ابي اسحق وقتادة تزور في وزن تحمر وقرا الجحدري وابو رجاء تزوار
بالف بعد الواو ومعنى اللفظة على كل هذا التصريف تعدل وتروغ وتميل
وهذه عبارات المفسرين اما الاخفش فقال تزور معناه تنقبض والزور
الميل والازور في العين المائل النظر الى ناحيته وتستعمل في غير العين كقول
ابن ابي ربيعة ٥ وجنبي خيفة القوم ازور ٥ ومن اللفظة قول
عنترة ٥ فازور من وقع القنا بلبانه ٥ ومنه قول بشر بن ابي
خازم ٥ تؤم بها الحداة مياه نخل وفيها عن ابانين ازورار ٥
وفي حديث غزوة مؤتة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في سرير
عبد الله بن رواحة ازورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثة ٥ وقرا
الجمهور تقرضهم بالتاء وقرأت فرقة بالياء اي الكهف كانه من القرض وهو
القطع اي يقتطعهم الكهف بظله من ضوء الشمس وجمهور من قرأ بالتاء
فالمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة وهو قول ابن عباس فيتأول
تقرضهم بمعنى تتركهم اي كانها عنه تقطع كل ما لا تناله عن نفسه وقرأت
فرقة بالتاء تأول انها كانت بالعشي تنالهم فكأنها تقرضهم اي تقتطعهم مما
لا تناله وقالوا كان في مسها لهم بالعشي صلاح لاجسامهم وحكى الطبري

ان العرب تقول قرضت موضع كذا اي قطعته ومنه قول ذي الرمة
الى ظُعُنٍ يقرضن اجواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس ۝ ومنه
اقرضني درهما اي اقطعه من مالك وهذه الصفة مع الشمس تقتضي انه
كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاويته
وحكى الزجاج وغيره كان باب الكهف ينظر الى بنات نعش وقال عبد الله
بن مسلم وهذا نحو ما قلناه غير ان الكهف كان مستور الاعلى من المطر وذهب
الزجاج الى ان فعل الشمس كان اية من الله تعالى دون ان يكون باب
الكهف الى جهة توجب ذلك ۝ وقوله ذات اليمين وذات الشمال
يحتمل ان يريد ذات يمين الكهف بان يقدر باب الكهف بمثابة وجه
انسان فان الشمس تجي منه اول النهار عن يمين واخره عن شمال ويحتمل
ان يريد ذات يمين الشمس وذات شمالها بان يقدر الشعاع الممتد منها
الى الكهف بمثابة وجه الانسان والوجه الاول اصح والفجوة المتسع
وجمعها فجا قال قتادة في فضاء منه قال الزجاج ومنه الحديث كان عليه
السلام يسير العنق فاذا وجد فجوة نص وقال ابن جبير في فجوة في مكان
داخل ۝ وقوله ذلك من ايات الله الاشارة الى الامر بجملته وعلى قول
الزجاج ان الشمس كانت تزاور وتقرض دون حجاب تكون الاشارة الى
هذا المعنى خاصة ثم تابع بتعظيم الله عز وجل والتسليم له وما يقتضي صرف
الامال اليه ۝ وقوله وتحسبهم ايقاظا الاية صفة حال قد تقضت
وجاءت افعالها مستقبلة تجوزا واتساعا وايقاظا جمع يقظ كعضد
واعضاد وهو المنتبه قال اهل التفسير كانت اعينهم مفتوحة وهم
نايمون فلذلك كان الراي يحسبهم ايقاظا قال ع ويحتمل ان يحسب الراي
ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغير وذلك ان الغالب على
النوام ان يكون لهم استرخا وهيات تقتضي النوم ورب نايم على احوال لم

تتغير

تتغير عن حالة اليقظة فيحسبه الراي يقظانا وان كان مسدود العينين
ولو صح فتح اعينهم بسند يقطع العذر كان ابين في ان يحسب عليهم التيقظ
وقرا الجمهور وتقلبهم بنون العظمة وقرا الحسن ويقلبهم بالياء المفتوحة وضم
اللام والبا وهو مصدر مرتفع بالابتدا قاله ابو حاتم وحكى ابن جني القراه
عن الحسن بفتح التا وضم اللام وفتح البا وقال هذا نصب بفعل مقدر
كانه قال وترى او تشاهد تقلبهم قال ع وابو حاتم اثبت وراي فرقة
ان التقلب هو الذي من اجله كان الراي يحسبهم ايقاظا وهذا وان كان
التقلب لهم حاضرا فرويته دليلا على ذلك فان الفاظ الاية لم تشفه
الاخبار منها بها وقال ابن عباس كان هذا التقلب مرتين في السنة وقالت
فرقة كل سبع سنين مرة وقالت فرقة كل سنة مرة وقالت فرقة انما قلبوا
في التسع وروي عن ابن عباس انه قال لو مستهم الشمس لاحرقتهم ولولا
التقليب لاكلتهم الارض قال ع واية الله في نومهم هذه المدة الطويلة وحياتهم
دون تغذ اذهب في الغرابة من حفظهم مع مس الشمس ولزوم الارض ولكنها
روايات تجلب وتتامل بعد وظاهر كلام المفسرين ان التقلب كان بامر
الله تعالى وفعل ملايكته ويحتمل ان يكون ذلك باقدار الله اياهم على ذلك
وهم في غمرة النوم لا ينتبهون كما يعتري كثيرا من النوام لان القوم لم يكونوا
موتى ۝ وقوله تعالى وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة كان لصيد
احدهم فيما روي وقيل كان لراع مروا عليه فصحبهم وتبعه الكلب
قال ع وحدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت ابا الفضل الجوهري في
جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربع مايه يقول
ان من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله
في محكم تنزيله ۝ وقيل كان انمر وقيل احمر وقالت فرقة كان رجلا طباخا
لهم حكاه الطبري ولم يسم قايله وقالت فرقة كان احدهم وكان قعد عند باب

[Margin: ذكر بعض المفسرين [illegible] ان تقليبهم [illegible] حفظا من الارض [illegible] — ثم — ابو عاصم — الغارم]

طليعة لهم قال ع فتسمى باسم الحيوان اللازم لذلك الموضع من الناس كما سمي
النجم التابع للجوزاء كلبا لانه منها كالكلب للانسان ويقال له كلب الجبار
اما ان هذا القول يضعفه ذكر بسط الذراعين فانها في العرف من صفة الكلب
حقيقة ومنه قول النبي عليه السلام لا يبسط احدكم ذراعيه في السجود
انبساط الكلب وقد حكى ابو عمر المطرز في كتاب اليواقيت انه قرئ وكالئهم
باسط ذراعيه فيحتمل ان يريد بالكالئ هذا الرجل على ما روي اذ بسط
الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الريبة المستخفي
بنفسه ويحتمل ان يريد بالكالئ الكلب قوله باسط ذراعيه اعمل اسم
الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب
والوصيد العتبة التي لباب الكهف او موضعها حيث ليست وقال ابن عباس
ومجاهد وابن جبير الوصيد الفناء وقال ابن عباس ايضا الوصيد الباب وقال
ابن جبير ايضا الوصيد التراب والقول الاول اصح والباب الموصد المغلق
اي قد وقف على وصيده ○ ثم ذكر الله عز وجل ما حفهم من الرعب واكتنفهم من
الهيبة وقرأ جمهور القراء لو اطلعت بكسر الواو وقرأ الاعمش وابن وثاب
لو اطلعت بضمها وقد ذكر ذلك عن نافع وشيبة وابي جعفر وقرأ ابن كثير ونافع
وابن عباس واهل مكة والمدينة ولملئت بتشديد اللام على تضعيف المبالغة
اي ملئت ثم ملئت وقرأ الباقون بتخفيف اللام وهو الاشهر في اللغة
وقد جاء التثقيل في قول المخبل السعدي ○

○ واذ فتك النعمان بالناس محرما فملئ من كعب بن عوف سلاسله ○

وقالت فرقة انما حفهم هذا الرعب لطول شعورهم واظفارهم ذكره المهدوي
والزجاج وهو قول بعيد ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا لبثنا يوما او بعض يوم
وانما الصحيح في امرهم ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون
لهم ولغيرهم اية فلم يبل لهم ثوب ولا تغيرت صفة ولا انكر الناهض الى المدينة الا

معالم الارض والبناء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم ولراى
ذلك وقرأ الجمهور رعبا باسكان العين وقرأ رعبا بضمها ابو جعفر وعيسى
قال ابو حاتم هما لغتان **قوله عز وجل** ولذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الاية
الاشارة بذلك الى الامر الذي ذكره الله في جهتهم والعبرة التي فعلها فيهم
والبعث التحريك عن سكون واللام في قوله ليتساءلوا لام الصيرورة لان بعثهم
لم يكن لنفس تساؤلهم وقول القائل كم لبثتم يقتضي ان يكون هجس في خاطره
طول نومهم واستشعر ان امرهم خرج عن العادة بعض الخروج وظاهر امرهم
انهم انتبهوا في حال من الوقت والهواء الزمني لا تباين التي ناموا فيها
واما ان يجدوا الامر جدا فذلك بعيد وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي
وحفص عن عاصم بورقكم بكسر الراء وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم بفتح الواو
وسكون الراء وهما لغتان وحكى الزجاج قراءة بورقكم بكسر الواو وسكون الراء دون
ادغام وروي عن ابي عمرو الادغام وانما هو اخفاء لان الادغام مع سكون الراء
متعذر وادغم ابن محيصن القاف في الكاف قال ابو حاتم وذلك لا يجوز مع تحريك
الراء وقرأ علي بن ابي طالب بوارقكم اسم جمع كالجامل والباقر وقرأ ابو رجاء
بورقكم والادغام وروي انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو تمليخا وروي
انهم صلوا كانما ناموا ليلة واحدة وبعثوا تمليخا في صبيحتها وروي ان باب الكهف
انهدم بناء الكفار منه بطول السنين وروي ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه
واخذ تمليخا ثيابا رثة منكرة ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المتهدم
اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى فجعل ينكر الطرق والمعالم ويتحير وهو في ذلك لا
يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة
فراى على بابها امارة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيوس
وبالامس كنا معه تحت ما كنا فنهض الى باب اخر فراى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب
فزادت حيرته ولم ير بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى واستراب

بنفسه وظن انه جن او انه فسد عقله فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض
الى بايع الطعام الذي اراد شراه فقال يا عبد الله بعني من طعامك بهذه
الورق فدفع اليه دراهم كاخفاف الربع فيما ذكر فعجب لها البايع ودفعها
الى اخر يعجبه وتعاطاها الناس وقالوا له هذه دراهم عهد فلان الملك
من اين انت وكيف وجدت هذا الكنز فجعل يبهت ويعجب وقد كان بالبلد مشهورا
هو وبيته فقال ما اعرف غير اني واصحابي خرجنا بالامس من هذه المدينة فقال
الناس هذا مجنون اذهبوا به الى الملك ففزع عند ذلك فذهب به حتى جيء به
الملك فلما لم ير دقيوس تانس وكان ذلك الملك مؤمنا فاضلا يسمى بيدوسيس
فقال له الملك اين وجدت هذا الكنز فقال انما خرجت انا واصحابي امس من هذه
المدينة فاوينا الى الكهف الذي في جبل انجلوس فلما سمع الملك ذلك قال في
بعض ما روي لعل الله قد بعث لكم ايها الناس اية فلنسر الى الكهف معه حتى نرى
اصحابه فسار وروي انه او بعض جلسائه قال هؤلاء الفتية الذين ورخ
امرهم على عهد دقيانوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينة فسار الملك
اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف قال تمليخا ادخل عليهم لئلا يرعبوا
فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامة امة الاسلام فروي انهم سروا وخرجوا
الى الملك وعظموه وعظمهم ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا
حين حدثهم تمليخا فانتظرهم الناس فلما ابطا خروجهم دخل الناس اليهم فرعب
كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم موتى فتنازعوا بحسب ما ياتي في تفسير الاية
التي بعد هذه وفي هذه القصص من اختلاف الروايات والالفاظ ما تضيق به
الصحف فاختصرته وذكرت المهم الذي به تتفسر الفاظ هذه الايات
واعتمدت الاصح والله المعين برحمته وفي هذه البعثة بالورق صحة الوكالة
ووكل علي بن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمن رضي الله عنهم وقرا الجمهور فليتلطف
بسكون لام الامر وقرا الحسن فليتلطف بكسرها ه وازكى معناه اكثر فيما ذكر عكرمة

وقال

قتادة معناه خير وقال مقاتل المراد اطيب وقال ابن جبير احل قال ع
من جهة ذبائح الكفرة وغيرها وروي انه اراد شراء زبيب وقيل تمر ه وليتلطف
اي في اختفائه وتحيله وقرا الحسن وليتلطف بكسر اللام والضمير في انهم عائد
على الكفار الذي دقيوس ه ان يظهروا عليكم معناه يثقفوكم بعلوهم وغلبتهم ه
وقوله يرجموكم قال الزجاج معناه بالحجارة قال ع وهو الاصح لانه كان عازما
على قتلهم لو ظفر بهم والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قتلة لمخالف دين الناس
اذ هي اشفى لجملة ذلك الدين ولهم فيها مشاركة وقال الزجاج يرجموكم معناه
بالقول وباقي الاية بين **قوله عز وجل** وكذلك اعثرنا عليهم الاية الاشارة بذلك
في قوله وكذلك الى بعثهم ه ليتساءلوا اي كما بعثناهم اعثرنا عليهم واعثر تعدية عثر
بالهمزة واصل العثار في القدم فلما كان العاثر في الشيء منتبها له شبه به من تنبه
لعلم شيء عن له ثار بعد خفائه ه والضمير في قوله ليعلموا احتمل ان يعود على
الامة المسلمة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم والى هذا ذهب الطبري وذلك
انهم فيما روي دخلتهم حينئذ فتنة في امر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك
في ذلك بعض الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح فشق على ملكهم وبقي
حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد وتضرع الى
الله في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فلما بعثهم الله وتبين للناس امرهم
سر الملك ورجع من كان شك في بعث الاجساد ان البعث به والى هذا وقعت
الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم امرهم على هذا التاويل ويحتمل ان يعمل في اذ على
هذا التاويل اعثرنا ويحتمل ان يعمل فيه ليعلموا والضمير في ليعلموا احتمل ان يعود
على اصحاب الكهف اي جعل الله امرهم اية لهم دالة على بعث الاجساد من القبور
وقوله اذ يتنازعون على هذا التاويل ابتدا خبر عن القوم الذين بعثوا على
عهدهم والعامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر ويحتمل ان يعمل فيه فقالوا اذ
يتنازعون ابنوا عليهم والتنازع على هذا التاويل انما هو في امر البنا والمسجد

بلغ

لا في امر القيمة والريب الشك والمعنى ان الساعة في نفسها وحقيقتها
لا شك فيها وان كان الشك قد وقع للناس فذلك لا يلحقها منه شي وقد قيل ان
التنازع انما هو ان اطلعوا عليهم فقال بعضهم هم اموات وبعضهم احيا وروي
ان بعض القوم ذهب الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين فقالت الطايفة
الغالبة على الامر لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوه وقال قتادة الذين غلبوا
هم الولاة وقرا الحسن وعيسى الثقفي غُلبوا بضم الغين وكسر اللام والمعنى ان
الطايفة التي ارادت المسجد كانت اولا تريد الا يبنى عليهم شي وان لا يعرض
لموضعهم وروي ان طايفة اخرى مومنة ارادت ولا بد طمس الكهف فلما غلبت
الاولى على ان يكون بنيان ولا بد قالت يكون مسجدا فكان وروي ان الطايفة التي
دعت الى البنيان انما كانت كافرة ارادت بنا بيعة او مصنع لكفرهم فمانعهم المومنون
وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا وروي عن عبيد بن عمير ان الله عمى على الناس حينئذ
امرهم وحجبهم عنهم فلذلك دعا الى بنا البنيان ليكون معلما لهم **قوله عز وجل**
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الاية الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة من
معاصري محمد عليه السلام وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا الاختلاف
المنصوص وقرا الجمهور ثلاثة وقرا ابن محيصن ثلاث بادغام الثا في التا وقرا
شبل عن ابن كثير خمسة بفتح الميم اتباعا لعشرة وقرا ابن محيصن بكسر الخا والميم
وقوله رجما بالغيب معناه ظنا وهو مستعار من الرجم كان الانسان يرمي
الموضع المشكل المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجمه به عسى ان يصيب ومن
هذا هو الترجمان وترجمة الكتاب ومنه قول زهير ه
ه وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم ه والواو في قوله
وثامنهم كلبهم طريق النحويين فيها انها واو عطف دخلت في اخر اخبار عن عددهم
لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وتقول
فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن ابي بكر بن عياش وان

قرنيا كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في
الثمانية قال ع وقد تقدم شرحها وهي في القران في قوله الامرون بالمعروف والناهون
وفي قوله وفتحت واما قوله ثيبات وابكارا وقوله سبع ليال وثمانية ايام
فتوهم في هذين الموضعين انها واو الثمانية وليست بها بل هي لازمة لا يستغنى
الكلام عنها وقال امر الله نبيه في هذه الاية ان يرد علم عدتهم اليه سبحانه
ثم اخبر ان عالم ذلك من البشر قليل والمراد به قوم من اهل الكتاب وكان ابن عباس
يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال ع ويستدل على هذا
من الاية بان القران لما حكى قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول انه رجم بالغيب
فقدح ذلك فيهم ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشي بل تركها مسجلة وايضا
فيقوى على ذلك على القول بواو الثمانية لانها انما تكون حيث عدد الثمانية
صحيح ه وقوله تعالى فلا تمار فيهم الاية معناه على بعض الاقوال الا بظاهر ما
اوحينا اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى الظاهر ان تقول
ليس كما تقولون ونحو هذا ولا تحتج هو على امر مقدر في ذلك فان ذلك يكون
مراء في باطن من الامر وقال التبريزي ظاهرا معناه ذاهبا وانشد ه
ه وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ه ولم يبح له في هذه الاية ان يماري ولكن
قوله الا مرا استعارة من حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء
ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم والمرا مشتق من المرية وهو
الشك فكانه المشاكلة والضمير في قوله فيهم عايد على اهل الكهف وفي قوله
منهم عايد على اهل الكتاب المعاصرين ح وقوله فلا تمار فيهم يعني في عدتهم وحذف
العدة لدلالة ظاهر القول عليها ه وقوله تعالى ولا تقولن لشي الاية عاتب الله
تعالى فيها نبيه عليه السلم على قوله للكفار غدا اخبركم بجواب اسولتكم ولم يستثن
في ذلك فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار
به فنزلت عليه هذه السورة مفرجة وامر في هذه الاية الا يقول لشي امر من الامور

بقم

ولو كانت فيما ... [illegible]

وقد

المعاصرين

إني فاعل غدا كذا وكذا إلا وأن يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى واللام في قوله لشيء بمنزلة
في أو كأنه قال لأجل شيء وقوله إلا أن يشاء الله في الكلام حذف يقتضيه الظاهر
ويحسنه الإيجاز تقديره إلا أن تقول إلا أن يشاء الله أو إلا أن تقول إن شاء الله فالمعنى
إلا أن تذكر مشيئة الله فليس إلا أن يشاء الله من القول الذي نهي عنه وقالت فرقة
قوله إلا أن يشاء الله استثناء من قوله ولا تقولن قال ع وهذا قول حكاه الطبري
ورد عليه وهو من الفساد بحيث كان من الواجب ألا يحكى وقوله واذكر
ربك إذا نسيت قال ابن عباس والحسن معناه والإشارة به إلى الاستثناء أي فاستثن
بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا لتخرج من جملة من لم يعلق فعله بمشيئة الله وقال
عكرمة المعنى واذكر ربك إذا غضبت قال ع وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في
اليمين والآية ليست في الأيمان وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين ولكنها
من حيث تكلم الناس فيها ينبغي أن نذكر شيئا من ذلك أما مالك رحمه الله
وجميع أصحابه فيما علمت وكثير من العلماء فيقولون لا ينفع الاستثناء ويسقط
الكفارة إلا أن يكون متصلا باليمين وقال عطاء له أن يستثني في قدر حلب
الناقة الغزيرة وقال قتادة إن استثنى قبل أن يقوم أو يتكلم فله ثنياه
وقال ابن حنبل له الاستثناء ما دام في ذلك الأمر وقاله ابن راهويه وقال
طاوس والحسن ينفع الاستثناء ما دام الحالف في مجلسه وقال ابن جبير
ينفع الاستثناء ولو بعد سنة وقال مجاهد بعد سنتين وقال أبو العالية
ينفع أبدا قال ع واختلف الناس في التأويل عن ابن عباس فقال الطبري
وغيره إنما أراد ابن عباس أنه ينفع في أن يحصل الحالف في رتبة المستثني
بعد سنة من حلفه وأما الكفارة فلا تسقط عنه قال الطبري ولا أعلم
أحدا يقول ينفع الاستثناء بعد مدة يقول بسقوط الكفارة قال ويرد ذلك
قول النبي عليه السلام من حلف على يمين ثم رأى غيرها خيرا منها فليكفر عنها
وليأت الذي هو خير فلو كان الاستثناء يسقط الكفارة لكان أخف على

الأمة

الأمة ولم يكن لذكر الكفارة فائدة وقال الزهراوي إنما تكلم ابن عباس في أن
الاستثناء بعد سنة لمن قال أنا أفعل كذا لا لحالف أراد حل يمينه قال ع
وذهبت فرقة من الفقهاء إلى أن مذهب ابن عباس سقوط الكفارة وألزموا
كل من يقول ينفع الاستثناء بعد مدة إسقاط الكفارة وردوا على القول
بعد إلزامه وليس الاستثناء إلا في اليمين بالله لا يكون في طلاق ونحوه ولا في
مشي إلى مكة هذا قول مالك وجماعة وقال الشافعي رضي الله عنه وأصحاب
الرأي وطاوس وحماد الاستثناء في ذلك جائز وليس في اليمين الغموس استثناء
ينفع ولا يكون الاستثناء بالقلب وإنما يكون قولا ونطقا وقوله قل عسى
الآية قال مجاهد الكوفي المفسر إنها بألفاظها مما أمر أن يقولها كل من لم
يستثن وإنها كفارة لنسيان الاستثناء وقال الجمهور هو دعاء مأمور به
دون هذا التخصيص وقرأ الجمهور يهدين بإثبات الياء وهي قراءة ابن كثير ونافع
وأبو عمرو وقرأها طلحة بن مصرف دون ياء في الوصل وهي قراءة ابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي والإشارة بهذا إلى الاسترشاد الذي ينفع من نسي الاستثناء
وقال الزجاج المعنى عسى أن ييسر الله من الأدلة على نبوتي أقرب من دليل أصحاب
الكهف قال ع وما قدمناه أصوب أي عسى أن يرشدني فيما أستقبل من أمري
وهذه الآية مخاطبة للنبي عليه السلام وهي بعد تعم جميع أمته لأنه حكم يتردد في
الناس لكثرة وقوعه والله الموفق **قوله عز وجل** ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة
سنين الآية قال قتادة ومطر الوراق وغيرهما الآية حكاية عن بني إسرائيل
أنهم قالوا ذلك واحتجا بأن قراءة ابن مسعود وفي مصحفه وقالوا لبثوا في كهفهم
وذلك عند قتادة على غير قراءة عبد الله عطف على سيقولون سبعة ذكره الزهراوي
ثم أمر الله نبيه بأن يرد العلم إليه ردا على مقالهم وتقييدا لها له قال
الطبري وقال بعضهم لو كان ذلك خبرا من الله لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا
وجه مفهوم قال ع أن ذهب بهذا القائل وما الوجه المفهوم البارع إلا أن يكون

السلام

مقالهم

الايه خبرًا عن لبثهم ۞ ثم قيل لمحمد عليه السلام قل الله اعلم بما لبثوا فخبره هذا
هو الحق من عالم الغيب فليزل اختلافكم ايها المتخرصون وقال المحققون
بل قوله ولبثوا في كهفهم الايه خبر من الله تعالى عن مده لبثهم ثم اختلف في
معنى قوله بعد الاخبار قل الله اعلم بما لبثوا فقال الطبري ان بني اسرائيل
اختلفوا فيما مضى لهم من المده بعد الاعثار عليهم الى مدة النبي عليه السلام
فقال بعضهم انهم لبثوا ثلثمايه سنه وتسع سنين فاخبر الله نبيه ان
هذه المده في كونهم نياما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فامر الله نبيه ان
يرد علم ذلك اليه قال ع فقوله على هذا التاويل لبثوا الاول يريد في نوم
الكهف ولبثوا الثاني يريد بعد الاعثار موفي الى مدة محمد عليه السلام
او الى وقت عدمهم بالبلى على اختلاف سنذكره وقال بعضهم انه لما قال
وازدادوا تسعا لم يدر الناس اهي ساعات ام ايام ام جمع ام شهور
ام اعوام واختلف بنو اسرائيل بحسب ذلك فامره الله برد العلم اليه
يريد في التسع فهي على هذا مبهمه قال ع وظاهر كلام العرب والمفهوم منه
انها اعوام والظاهر من امرهم انهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير
وقد بقيت من الحواريين بقيه وحكى النقاش ما معناه انهم لبثوا ثلثمايه سنه
شمسيه بحساب الامم فلما كان الاخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع اذ
المفهوم عنده من السنين القمريه فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين وقرا
الجمهور ثلثمايه سنين بتنوين مايه ونصب سنين على البدل من ثلثمايه او عطف
البيان وقيل على التفسير والتمييز وقرا حمزه والكسائي ويحيى وطلحه والاعمش
باضافة مايه الى سنين وترك التنوين كانهم جعلوا سنين بمنزلة سنه اذ المعنى
بهما واحد قال ابو علي اذ هذه الاعداد التي تضاف في المشهور الى الاحاد
نحو ثلثمايه رجل وثوب وقد تضاف الى الجموع واحتج ابو حاتم على هذه القراه
وفي مصحف ابن مسعود ثلثمايه سنه وقرا الضحاك ثلثمايه سنون بالواو

وقرا ابو عمرو بخلاف تسعًا بفتح التا وقرا الجمهور بكسرها ۞ وقوله ابصر به واسمع
اي ما اسمعهم وابصرهم قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا اسمع قال ع وهذه
العبارات عن الادراك ويحتمل ان يكون ابصر به اي بوحيه وارشاده هداك
وحججك والحق من الامور واسمع به العالم فيكونان امرين لا على وجه التعجب ۞
وقوله ما لهم من دونه من ولي يحتمل ان يعود الضمير في لهم على اصحاب الكهف
اي هذه قدرته وحده لم يوالهم غيره بتلطف لهم ولا اشرك معه احدا في هذا
الحكم ويحتمل ان يعود الضمير في لهم على معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكفار ومشاقيه ويكون الايه اعتراضا بتهديد وقرا الجمهور ولا يشرك
بالبا من تحت الكاف مرفوعه على معنى الخبر عن الله تعالى وقرا ابن عباس والحسن
وابو رجا وقتاده والجحدري بالتا من فوق وجزم الكاف على جهه النهي للنبي
عليه السلم ويكون قوله ولا تشرك عطفا على ابصر واسمع وقرا مجاهد ولا يشرك
بالبا من تحت وبالجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه وحكى الطبري عن الضحاك
بن مزاحم انه نزلت ولبثوا في كهفهم ثلثمايه فقط فقال الناس هي اشهر ام ايام
ام اعوام فنزلت سنين وازدادوا تسعا وانما هلك اهل الكهف وبقيت
اشخاصهم محفوظه بعد الموت فاختلفت الروايات في ذلك فروي عن ابن عباس
انه مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس
اليه فوجدوا عظاما فقالوا هذه عظام اهل الكهف فقال لهم ابن عباس
اوليك قوم فنوا وعدموا منذ مده طويله فسمعه راهب فقال ما كنت احسب
ان احدا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا فسكت وروت
فرقه ان النبي عليه السلم قال ليحجن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم
لم يحجوا بعد قال ع وبالشام على ما سمعت من ناس كثير كهف كان فيه موتى
يزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف وعليهم مسجد وبنا يسمى الرقيم ومعهم كلب
رمه وبالاندلس في جهه غرناطه بقرب قريه تسمى كهف فيه موتى ومعهم كلب

عامر

قال مح

لوشه م

رمته واكثرهم نواخر دحجة وبعضهم منها ساكن وقد مضت القرون السالفة
ولم يجد من علم شانهم اثاره ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف دخلت اليهم ورايتهم
سنة اربع وخمسمائة وهم بهذه الحال وعليهم وقرب منهم بنا رومي يسمى الرقيم
كانه قصر يخلق قد بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وبا على حضرة
غرناطة مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة رومية يقال لها مدينة دقيوس
وجدنا في اثارها غرايب في قبور ونحوها وانما استسهلت ذكر هذا مع بعده
لانه عجب يخلد ذكره ما شا الله تعالى ۝ وقوله واتل ما اوحي اليك الاية
من قرا ولا تشرك بالنهي عطف قوله واتل عليه ومن قرا ولا يشرك بالياء جعل
هذا امرا يجي به كلام اخر ليس من الاول وكان هذه الاية في معنى الاعتاب للنبي
عليه السلم عقيب العتاب الذي على تركه الاستثنا كانه يقول هذه اجوبة الاسولة
فاتل ما اوحى الله اليك اي اتبع في اعمالك وقيل اسرد بتلاوتك ما اوحي اليك من
كتاب ربك لا نقض في قوله ولا مبدل لكلماته وليس لك جانب سواه تميل اليه وتستند
والملتحد الجانب الذي يمال اليه ومنه اللحد لانه الميل في احد شقي القبر ومنه
الالحاد في الحق وهو الميل عن الحق ولا ينفسد قوله لا مبدل لكلماته امر النسخ لان
المعنى اما ان يكون لا مبدل سواه فتبقى الكلمات على الاطلاق واما ان يكون
اراد من الكلمات الخبر ونحوه مما لا يدخله نسخ والاجماع ان الذي لا يبدل هو الكلام
القايم بالذات الذي بحسبه يجري القدر فاما الكتب المنزلة فمذهب ابن عباس
انها لا تبدل الا بالتاويل ومن العلما من يقول ان بني اسرايل بدلوا الفاظ التوراة
قوله عز وجل واصبر نفسك الاية سببها ان عظما الكفار قيل من اهل مكة
وقيل عيينة بن حصن واصحابه والاول اصوب لان السورة مكية قالوا للنبي
عليه السلم لو ابعدت هولاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك يريدون عمار
بن ياسر وصهيب بن سنان وسلمان الفارسي وابن مسعود وغيرهم من الفقرا
كبلال ونحوه وقالوا ان ريحهم يوذينا فنزلت الاية بسبب ذلك وروي ان

مسجدهم

النبي

النبي عليه السلم خرج اليهم وجلس بينهم وقال الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت
ان اصبر نفسي معه وروي انه قال لهم مرحبا بالذين عاتبني فيهم ربي وروى
سلمان ان المولفة قلوبهم عيينة بن حصن والاقرع وذووهم قالوا ما ذكرت فنزلت
الاية فهي على هذا مدنية ويشبه ان تكون مكية وفعل المولفة فعل قريش فرد
بالاية عليهم ۝ واصبر معناه احبس ومنه المصبورة التي جا فيها الحديث نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صبر الحيوان اي حبسه للرمي ونحوه وقرا
الجمهور بالغداة وقرا ابن عامر بالغدوة وهي قراة نصر بن عاصم ومالك بن دينار
وابي عبد الرحمن والحسن وهي في الخط على القراتين بالواو وقد يقراوها بالغداة بحذفها
بالواو كالصلوة والزكوة وفي قراة من قرا بالغدوة ضعف لان غدوة اسم معرف
فحقه ان لا تدخل عليه الالف واللام ووجه القراة بذلك انهم الحقوها ضربا
من التنكير اذ قالوا جئت غدوة يريدون من الغدوات فحسن دخول الالف واللام
كقولهم العشية وقنية اسم معروف والاشارة بقوله يدعون ربهم بالغداة والعشي
الى الصلوات الخمس قاله ابن عمر ومجاهد وابرهيم وقال قتادة المراد صلاة الفجر
وصلوة العصر قال ع ويدخل في الاية من يدعوا في غير صلوة ومن يجتمع لمذاكرة
علم وقد روى عبد الله بن عمرو عن النبي عليه السلم انه قال لذكر الله بالغداة
والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطا المال سحا وقرا ابو عبد
الرحمن بالغدو دونها وقرا ابن ابي عبلة بالغدوات والعشيات على الجمع ۝
وقوله ولا تعد عيناك اي لا تتجاوز عنهم الى ابنا الدنيا والملابس من الكفار
وقرا الحسن ولا تعد بضم التا وفتح العين وشد الدال المكسورة اي لا تجاوزها
انت عنهم وروي عنه ولا تعد بضم التا وسكون العين وكسر الدال ۝ وقوله
من اغفلنا قيل انه اراد بذلك معينا وهو عيينة بن حصن والاقرع قاله خباب وقيل
انما اراد من هذه صفته وانما المراد اولا كفار قريش لان الاية مكية وقرا الجمهور
اغفلنا قلبه بنصب البا على معنى جعلناه غافلا وقرا عمرو بن فايد وموسى

مرحبا

عينيك

الاسواري اغفلنا بفتح اللام فلبنذ دفعا على معنى اهملذ ذكرنا وتركه قال ابن جني المعنى من ظننا غافلين عنه وذكر عمرو الداني انها قراة عمرو بن عبيد والفرط يحتمل ان يكون بمعنى التفريط والتضييع اي امره الذي يجب ان يلتزم ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف اي امره وهواه الذي هو سبيله وقد فسر المتاولون بالعبارتين اعني التضييع والاسراف وعبر خباب عنه بالهلاك وداود بالندامة وابن زيد بالخلاف للحق وهذا كله تفسير بالمعنى ۝ وقوله تعالى وقل الحق الاية المعنى وقل لهم يا محمد هو الحق من ربكم اي هذا القران او هذا الاعراض عنكم وترك الطاعة لكم وصبر النفس مع المومنين وقرا قعنب ابو السمال وقل بفتح اللام قال ابو حاتم وذلك رديء في العربية ۝ وقوله فمن شاء فليومن الاية توعد وتهديد اي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله وتاولت فرقة فمن شاء الله ايمانه فليومن ومن شاء كفره فليكفر وهو متوجه اي تحققه الايمان او تحققه الكفر ثم عبر عن ذلك بلفظ الامر الزاما وتحريضا من حيث للانسان في ذلك التكسب الذي يتعلق ثواب الايمان وعقاب الكفر وقرا الحسن وعيسى الثقفي فليومن وليكفر بكسر اللامين ۝ واعتدنا ماخوذ من العتاد وهو الشي المعد الحاضر ۝ والسرادق هو الجدار المحيط كالحجرة التي تدور وتحيط بالفسطاط وقد يكون من نوع الفسطاط اديما او ثوبا او نحوه ومنه قول رؤبة

۝ يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق العز عليك ممدود ۝

ومنه قول سلامة بن جندل هو الموج النعمان بيتا سماوه صدور الفيول بعد بيت مسردق ۝ ۝ وقال الزجاج السرادق كل ما احاط بشي فالع وهو عندي اخص مما قال الزجاج واختلف في سرادق النار فقال ابن عباس سرادقها حائط من نار وقالت فرقة سرادقها دخان يحيط

بالكفار

وهو قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقالت فرقة هي الاحاطة في الدنيا والسرادق البحر وروي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق يعلى بن امية فيجي قوله احاط بهم اي بالبشر ذكر الطبري الحديث عن يعلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم وتلا هذه الاية ثم قال والله لا ادخله ابدا او ما دمت حيا وروي عنه ايضا من طريق ابي سعيد الخدري انه قال لسرادق النار اربعة جدر كثف عرض كل جدار مسيرة اربعين سنة ۝ وقوله يغاثوا اي يكون لهم مقام الغوث وهذا نحو قول الشاعر ۝ تحية بينهم ضرب وجيع ۝ اي القايم مقام التحية ۝ والمهل قال ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم هو دردي الزيت اذا انتهى حره وقالت فرقة هو كل مايع سخن حتى انتهى حره وقال ابن مسعود وغيره هو كل ما اذيب من ذهب او فضة او رصاص او نحو هذا من الفلز حتى يميع وروي ان عبد الله بن مسعود اهديت اليه سقاية من ذهب او فضة فامر بها فاذيبت حتى تميعت وتلونت الوانا ثم دعا من بابه من اهل الكوفة فقال ما رايت في الدنيا شيا ادنى شبها بالمهل من هذا يريد ادنى شبها بشراب اهل النار وقالت فرقة المهل الصديد والدم اذا اختلطا ومنه قول ابي بكر الصديق في الكفن انما هو للمهلة يريد لما يسيل من الميت في قبره ويقوي هذا بقوله ويسقى من ما صديد الاية ۝ وقوله يشوي الوجوه روي في معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقرب الشربة من الكافر فاذا دنت كرهها فاذا دنت اكثر شوت وجهه ثم سقطت فيها فروة وجهه واذا شرب تقطعت امعاوه ۝ والمرتفق الشي الذي يرتفق به اي يطلب رفقه والمرتفق الذي هو المتكا اخص من هذا الذي في الاية لانه في شي واحد من معنى الرفق على ان الطبري قد فسر الاية به ولا اظهر

يكون

عندي أن المرتفق بمعنى الشيء الذي يطلب رفقه باتكاء وغيره وقال مجاهد
هو المجتمع كأنه ذهب بها إلى موضع الرفاقة ومنه الرفقة وهذا كله
راجع إلى الرفق وأنكر الطبري أن يعرف لقول مجاهد هذا معنى والقول بيّن
الوجه قوله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر
من أحسن عملا اعتراض موكد للمعنى مذكر بما فضل الله منبه على حسن
جزائه بين قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين قوله أولئك لهم جنات
عدن فقوله أولئك لهم جنات عدن مبتدأ وخبر جملة هي خبر إن الأولى ونحو هذا
من الاعتراض قول الشاعر
إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
قال الزجاج ويجوز أن يكون خبر إن في قوله إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا
لأن المحسنين هم المؤمنون فكان المعنى لا نضيع أجرهم ومذهب سيبويه
أن الخبر في قوله إنا لا نضيع على حذف العائد تقديره من أحسن عملا منهم
والعدن الإقامة ومنه المعدن لأن جوهره مقيم فيه ثابت وقوله من
تحتهم يريد من تحت غرفهم ومبانيهم وقرأ الجمهور من أساور وروى أبان
عن عاصم من أسورة من غير ألف وبزيادة هاء وواحد الأساور إسوار وحذفت
الياء من الجمع لأن الباب أساوير وهي ما كان من الحلي في الذراع وقيل أساور
جمع أسورة وأسورة جمع سوار وإنما الإسوار بالفارسية القائد ونحوه وقال
في حلي الذراع إسوار ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى ومنه قول الشاعر
والله لولا صبية صغار كأنما وجوههم أقمار تضمهم من العتيك دار
أخاف أن تصيبهم إقتار أو لاطم ليس له إسوار لما رآني ملك جبار
ببابه ما وضح النهار أنشده أبو بكر الأنباري في حاشية في كتاب أبي
عبيدة والسندس رقيق الديباج والإستبرق ما غلظ منه وقال بعض
الناس هي لفظة أعجمية عربت وأصلها استبره وقال بعضهم بل هو

الفعل

الفعل العربي سمي به وهو استبرق من البريق فغير حين سمي به بقطع الألف
ويقوي هذا القول أن ابن محيصن قرأ من سندس وإستبرق جعله موصول
الهمزة حيث وقع ولا يجريه بل يفتح القاف ذكره الأهوازي وذكره أبو الفتح
وقال هذا سهو أو كالسهو والأرائك جمع أريكة وهي السرير في الحجال والضمير
في قوله وحسنت للجنات وحكى النقاش عن أبي عمران الجوني أنه قال الإستبرق
الحرير المنسوج بالذهب وحكى مكي والزهراوي وغيرهما حديثا مضمنه أن
قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية نزلت في الخلفاء أبي بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله عنهم سأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الآية فقال عليه السلام أعلم قومك أنها نزلت في هؤلاء الأربعة وكانوا
حضورا قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين الآية الضمير في لهم عائد على الطائفة
المتجبرة التي أرادت من النبي عليه السلام أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي وعلى أولئك الداعين أيضا فالمثل مضروب للطائفتين
إذ الرجلان الكافر وصاحب الجنتين هو بإزاء متجبري قريش أو بني تميم على الخلاف
المذكور أولا والرجل المؤمن المقر بالربوبية هو بإزاء بلال وعمار وصهيب
وأقرانهم وحففناهما معنى جعلنا لها ذلك من كل جهة تقول حفك الله بالخير
أي عمك به من جميع جهاتك والحفاف الجانب من السرير والعيدان ونحوه
وظاهر هذا المثل أنه بأمر وقع وكان موجودا وعلى ذلك فسره أكثر أهل
التأويل ويحتمل أن يكون المثل مضروبا بمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في
وجود قط والأول أظهر وروي في ذلك أنهما كانا أخوين من بني إسرائيل
ورثا أربعة آلاف دينار فصنع أحدهما بماله ما ذكر واشترى عبيدا وتزوج وأثرى
وأنفق الآخر ماله في طاعة الله حتى افتقر والتقيا ففخر الغني ووبخ
المؤمن فجرت بينهما هذه المحاورة وروي أنهما كانا شريكين حدادين كسبا
مالا كثيرا وصنعا نحو ما روي في أمر الأخوين فكان من أمرهما ما قص الله

في كتابه وذكر ابرهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجايب البلدان ان بحيرة تنيس كانت
هاتين الجنتين وكانتا لاخوين احدهما نصيبه من الاخر وانفق في طاعة الله
حتى عيره الاخر وجرت بينهما هذه المحاوره قال فغرقها الله في ليلة واياها
عنى بهذه الايه وفي بسط قصصها طول فاختصرته واقتصرت على معناه
لقله صحته ولان في هذا ما يغني بفهم الايه فتامل هذه الهيئة التي ذكر الله
فان المرء لا يكاد يتخيل اجل منها في مكاسب الناس جنتا عنب احاطتهما نخل
بينهما نخل بينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والما الغدق يسقي جميع ذلك
من النهر الذي قد جلل هذا المنظر وعظم النفع وقرب الكد واغنى عن النواضح
وغيرها وقرا الجمهور كلتا وفي مصحف عبد الله كلا والتا في كلتا منقلبة من واو
وعند سيبويه هو بالتا وبغير التا اسم مفرد على الشي الشي وليس باسم مثنى ومعناه
كل واحد منهما والاكل ثمرها الذي يوكل منها قال الفرا وفي قراة ابن مسعود
كل الجنتين اتى اكله ه وقوله ولم تظلم منه شيا اي لم تنقص عن العرف الاتم
الذي يشبه فيها ومنه قول الشاعر
ه تظلمني مالي كذا ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه ه وقرا الجمهور وفجرنا
بتشديد الجيم وقرا سلام ويعقوب وعيسى بن عمر بتخفيفها مع الفتح وقرا الجمهور
نهرا بفتح الها وقرا ابو السمال والفياض بن غزوان وطلحة بن سليمان بسكونها
وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكساي وابن عباس ومجاهد وجماعة
قرا المدينه ومكه ثمر وبثمره بضم الثا والميم جمع ثمار وقرا ابو عمرو والاعمش وابو
رجا بسكون الميم فيهما تخفيفا وهي في المعنى كالاولى ويتجه ان يكون جمع ثمرة كبدنة
وبدن وقرا عاصم ثمر وبثمره بفتح الثا والميم فيهما وهي قراة ابي جعفر والحسن
وجابر بن زيد والحجاج واختلف المتاولون في الثمر بضم الثا والميم فقال ابن عباس
وقتاده جميع المال من الذهب والفضه والحيوان وغير ذلك واستشهد لهذا القول
ببيت النابغة الذبياني ه وما اثمر من مال ومن ولد ه وقال مجاهد

فباع

المثنى

يراد بها الذهب والفضه خاصه وقال ابن زيد الثمر هي الاصول التي فيها الثمر
قال ع كانها ثمار وثمر ككتاب وكتب واما من قرا بفتح الثا والميم فلا اشكال
في ان المعنى ما في رووس الشجر من الاكل ولكن فصاحة الكلام تقتضي ان تعبر ايجازا
عن هلاك الثمر والاصول بهلاك الثمر فقط فخصها بالذكر اذ هي مقصود المستغل
واذ هلاك الاصول انما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل وكما يقتضي
قوله ان له ثمرا ان له اصولا كذلك يقتضي الاحاطة المطلقة بالثمر ان الاصول
قد هلكت وفي مصحف ابي واتيناه ثمرا كثيرا وقرا ابو رجا وكان له ثمر بفتح الثا
وسكون الميم والمحاوره مراجعة القول وهو من حار يحور واستدل بعض الناس من
قوله واعز نفرا على انه لم يكن له اخ وقال المنافس اراد بالنفر العبيد والخول
اذ هم الذين ينفرون في رغايبه وفي هذا الكلام من الكبر والزهو والاغترار ما بابا
يغني عن القول فيه وهذه المقاله بازا قول عيينه والاقرع للنبي عليه السلم نحن
سادات العرب واهل الوبر والمدر فنح عنا سلمان وقرناه ه قوله عز وجل
ودخل جنته الايه افرد الجنه من حيث الوجود كذلك اذ لا يدخلهما معا في وقت
واحد وظلمه لنفسه كفره وعقايده الفاسده في الشك في البعث وقد نص
على ذلك قتاده وابن زيد وفي شكه في حقيقة العالم ان كانت اشارته بهذه الى الهيئه
من السموات والارض وانواع المخلوقات وان كانت اشارته الى جنته فقط
فانما في الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل كانه من شدة العجب بها
والسرور افرط في وصفها بهذا القول ثم قاس ايضا الاخرة على الدنيا وظن انه لم
يمل له في دنياه الا لكرامة يستوجبها في نفسه فقال فان كان ثم رجوع كما تزعم
فسيكون حالي كذا وكذا ولبيت مقالة العاصي بن وايل لخباب على حد هذه بل
بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وابن الزبير وثبت في مصاحف اهل المدينه منهما يريد به الجنتين المذكورتين
اولا وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة والكساي والعامة وكذلك في مصاحف اهل البصرة

منها يريد من الجنة المدخولة ه وقوله قال له صاحبه حكاية ان المومن لما سمع
كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفره بالله وقرا ابي بن كعب وهو يخاصمه
وقرا ثابت البناني ويلك اكفرت ثم جعل يعظم الله تعالى عنده باوصاف تضمنت النعم
والدلايل على جواز البعث من القبور ه وقوله من تراب اشارة الى ادم عليه السلم
وقوله ثم سواك رجلا كما تقول سواك شخصا او حيا او نحو هذا من التاكيدات
وقد يحتمل ان يقصد تخصيص الرجولة على وجه تعديد النعمة في ان لم يكن انثى ولا خنثى
وذكر الطبري نحو هذا واختلف القرا في قوله لكنا فقرا ابن عامر ونافع
في رواية المسيبي لكنا في الوصل والوقف وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي
لكن في الوصل ولكنا في الوقف ورجحها الطبري وهي رواية ورش وقالون عن نافع
وقرا ابن مسعود وابي بن كعب والحسن لكن انا هو الله ربي وقرا عيسى الثقفي والاعمش
بخلاف لكن هو الله ربي فاما هذه الاخيرة فتبنى عن الامر والشان واما الذي
قبلها فعلى معنى لكن انا اقول ومن هذه الفرقة من قرا لكنا على حذف الهمزة على
وتخفيف النونين وفي هذا نظر واما من قرا لكنا فاصله عنده لكن انا حذفت الهمزة
على غير قياس وادغمت النون في النون وقد قال بعض النحويين نقلت حركة الهمزة الى
النون فجا لكننا ثم ادغمت بعد ذلك فجا لكنا فراى بعض القراء ان الادغام
استغنى عن الالف الاخيرة فمنهم من حذفها في الوصل ومنهم من اثبتها في الوصل
والوقف ليدل على اصل الكلمة ويتوجه في لكنا ان تكون لكن لحقتها نون
الجماعة التي في خرجنا وضربنا ووقع الادغام لاجتماع المثلين ثم وحد في
ربي على المعنى ولو اتبع اللفظ لقال ربنا ذكره ابو علي ويترجح بهذا التعليل
قول من اثبت الالف في حالي الوصل والوقف ويتوجه في لكنا ان تكون المشهورة
من اخوات ان المعنى لكن قولي هو ربي الا اني لا اعرف بها وصلا ولا وقفا
وذلك يلزم من توجيه هذا الوجه وروى هرون عن ابي عمرو لكنه هو الله بضمير
لحق لكن وباقي الاية بين ه وقوله ولولا اذ دخلت جنتك الاية وصية من

من توجيه

المومن للكافر ولولا تحضيض بمعنى هلا وما يحتمل ان تكون بمعنى الذي بتقدير
الذي شا الله كان وفي شا ضمير عايد ويحتمل ان تكون شرطية بتقدير ما
شا الله كان ويحتمل ان تكون خبر ابتدا محذوف تقديره هو ما شا الله او الامر ما
شا الله ه وقوله لا قوة الا بالله تسليم لقول الكافر ما اظن ان تبيد
هذه ابدا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة الا ادلك
على كلمة من كنز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا قوة الا بالله اذا قالها
العبد قال الله اسلم عبدي واستسلم وفي حديث ابي موسى ان النبي عليه
السلم قال له يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال افعل
يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واختلف القراء في
حذف اليا من ترن واثباتها فاثبتها ابن كثير وقفا ووصلا وحذفها
فيهما ابن عامر وعاصم وحمزة واثبتها وصلا فقط نافع وابو عمرو ه وقرا
الجمهور اقل بالنصب على المفعول الثاني ه وقوله انا فاصلة ملغاة
وقرا عيسى بن عمر اقل بالرفع على ان يكون انا مبتدا واقل خبره والجملة في
موضع المفعول الثاني والرؤية رؤية القلب في هذه الاية **قوله عز وجل**
عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك الاية هذا الترجي بعسى يحتمل ان يريد به
في الدنيا ويحتمل ان يريد به في الاخرة وتمني ذلك في الاخرة اشرف مقطعا
واذهب مع الخير والصلاح وان يكون ذلك يراد به الدنيا اذهب في نكاية
العدو المخاطب واشد ايلاما لنفسه ه والحسبان العذاب كالبرد
والقر ونحوه واحد الحسبان حسبانة وهي المرامي من هذه الانواع المذكورة
وهي ايضا سهام ترمى دفعة بالة لذلك ه والصعيد وجه الارض والزلق
الذي لا تثبت فيه قدم يعني انه تذهب اشجاره ونباته ويبقى ارضا قد
ذهبت منافعها حتى منفعة المشي فيها فهي وحل لا تنبت ولا تثبت فيه قدم
والغور مصدر يوصف به الما المفرد والمياه الكثيرة كقولك رجل عدل وامراة

عَدَدُ ونحوه ومعناه ذاهبًا في الارض لا يستطيع تناوله وقرات فرقه غُورًا
بضم الغين وفرقه بضمها وهمز الواو وَغَوْرٌ مثل نوح يوصف به الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قول الشاعر ۞
۞ تظل جيادهم نوحًا عليه مقلدة اعنتها صفونا ۞ وهذا كثير وباقي
الاية بيّن ۞ وقوله تعالى واحيط بثمره الاية هذا خبر عن الله عز وجل
عن احاطة العذاب بحال هذا الممثل به وقد تقدم القول في التعبير بالاحاطة
كناية عن عموم العذاب والفساد وتقلب كفيه يريد يضع
بطن احدهما على ظهر الاخرى وذلك فعل المتلهف المتاسف على ذاهب
او خسارة او نحوها ومن عثر بمصيبة فلم يتق ۞ وقوله خاوية على
عروشها يريد ان السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان
عليها فهي خاوية والحيطان على العروش ۞ ويقول يا ليتني الاية قال بعض
المفسرين هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الاخرة ويحتمل ان يريد انه
قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة ويكون فيها زجر للكفرة
من قريش وغيرهم لئلا تجي لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم وقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر وعاصم وابو عمرو والحسن وابو جعفر وشيبة ولم تكن
بالتا على لفظ الفئة وقرا حمزة والكساي ومجاهد وابن وثاب ولم يكن
بالياء على المعنى والفئة الجماعة التي يلجا الى نصرها قال مجاهد هي العشيرة
قال ع وهي عندي من فا يفي وزنها فعله حذفت العين تخفيفا وقال ابو
علي وغيره هي من فاوت ولبس من فا وهذا الذي قالوه ادخل في التصريف والاول
اجمل في المعنى وقرا ابن ابي عبلة فئة تنصره ۞ وقوله هنالك يحتمل ان يكون
ظرفا لقوله منتصرا ويحتمل ان تكون الولاية مبتدا وهنالك خبره وقرا حمزة
والكساي والاعمش ويحيى بن وثاب الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرياسة
والزعامة ونحوه وقرا الباقون الولاية بفتح الواو وهي بمعنى الموالاة والصلة

جادنا

ايدم

ونحو

همّا
ونحوه وحكي عن ابي عمرو والاصمعي ان كسر الواو لحن لان فعالة انما تجي فيما كان صنعة
او معنى متقلدا وليس هنا تولي امر وقرا ابو عمرو والكساي لله الحق رفعا
على جهة النعت للولاية وقرا الباقون الحق بالخفض على النعت لله عز وجل
وقرا ابو حيوة الحق نصبا ۞ وقرا الجمهور عقبا بضم العين والقاف وقرا
عاصم وحمزة والحسن عُقْبا بضم العين وسكون القاف وتنوين البا وقرا
عاصم ايضا عقبى بيا التانيث والعُقب والعُقبى بمعنى العاقبة ۞
قوله عز وجل واضرب لهم مثل الحياة الدنيا الاية يريد حياة الانسان بما
يتعلق بها من نعم وزينة ۞ وقوله كما انزلناه يريد هي كماء وقوله فاختلط
به اي فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الما فالبا في به باء السبب ۞
فاصبح عبارة عن صيرورته الى ذلك لانه اراد اختصاصا بوقت الصباح وهذا
كقول الربيع بن ضبع ۞ اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا ۞
والهشيم المتفتت من يابس العشب ومنه قوله تعالى كهشيم المحتظر ومنه
هشيم الثريد ۞ وتذروه بمعنى تفرقه وقرا ابن عباس تذريه والمعنى تقلعه
وترمي به وقرا الحسن تذروه الريح بالافراد وهي قراة طلحة والنخعي والاعمش ۞
وقوله وكان الله عبارة للانسان عن ان الامر قبل وجود الانسان هكذا كان
اذ نفسه حاكمة بذلك في حال عقله هذا قول سيبويه وهو معنى صحيح وقال
الحسن كان اخبار عن الحال قبل ايجاد الموجودات اي ان القدرة كانت وهذا
ايضا حسن فمعنى هذا المثل تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وزهوه
ونظره بالنبات الذي له خضرة ونضرة عن المطر النازل ثم يعود بعد ذلك هشيما
ويصير الى عدم فمن كان له عمل صالح يبقى في الاخرة فهو الفائز فكان الحياة بمثابة
الما والخضرة والنضارة بمنزلة النعيم والعزة ونحوه ۞ وقوله تعالى المال
والبنون زينة الحياة الدنيا لفظه لفظ الخبر لكن معه قرينة الصفة للمال
والبنين لانه في المثل قبل حقر الدنيا وبينه فكانه يقول انما هذه فانما المال والبنون

تعلا

امره

زينة هذه الحياة المحقرة فلا تتبعوها نفوسكم ه وقوله زينة مصدر وقد اخبر به
عن اشخاص فاما ان يكون على تقدير محذوف تقديره مقر زينة الحياة واما ان
نضع المال والبنون بمنزلة الغنى والكثرة ه واختلف الناس في الباقيات
الصالحات فقال ابن عباس وابن جبير وابو ميسرة وعمرو بن شرحبيل هي الصلوات
الخمس وقال الجمهور هي الكلمات الماثور فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وروي في هذا حديث اكثروا
من الباقيات وقاله ابن عباس ايضا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طريق ابي هريرة وغيره ان هذه الكلمات هي الباقيات الصالحات وقال ابن
عباس ايضا الباقيات الصالحات كل عمل صالح من قول او فعل يبقى اجره في
الاخرة ورجحه الطبري وقول ابن عباس تكمل الاقوال دليل على قوله بالعموم ه
وقوله خير ثوابا وخير املا اي صاحبها ينتظر الثواب وينبسط امله على
خير من حال ذي المال والبنين دون عمل صالح ه وقوله ويوم نسير الجبال
الاية التقدير واذكر يوم وهذا افصح ما يتاول في هذا هنا وقرا نافع والاعرج
وشيبة وعاصم وابن مصرف وابو عبد الرحمن نسير بنون العظمة وقرا ابن كثير
وابو عمرو والحسن وشبل وقتادة وعيسى تسير بالتاء وفتح الياء المشددة ه
الجبال رفعا وقرا الحسن يسير بياء مضمومة والياء الثانية مفتوحة مشددة
الجبال رفعا وقرا ابن محيصن تسير بتاء مفتوحة وسين مكسورة الجبال رفعا
باسناد الفعل اليها وقرا ابي بن كعب ويوم سيرت الجبال ه وقوله بارزة
اما ان يريد ان الارض لذهاب الجبال والظراب والشجر برزت وانكشفت
واما ان يريد بروز اهلها والمحشورين من سكان بطنها ه وحشرناهم اي اقمناهم
من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة وقرا الجمهور نغادر بنون العظمة وقرا
قتادة تغادر على الاسناد الى القدرة او الى الارض وروى ابان بن يزيد
عن عاصم يغادر بياء مضمومة وفتح الدال احد بالرفع وقرا الضحاك فلم نغدر

بنون

بنون مضمومة وكسر الدال وسكون الغين والمغادرة الترك ومنه غدير الماء
وهو ما تركه السيل ه وقوله صفا افراد نزل منزلة الجمع اي صفوفا وفي الحديث
الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر الحديث بطوله وفي حديث اخر اهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفا
انتم منها ثمانون صفا ه وقوله تعالى لقد جئتمونا الى اخر الاية مقاولة للكفار
المنكرين للبعث ومضمنها التقريع والتوبيخ والمومنون المعتقدون في الدنيا
انهم يبعثون يوم القيامة لا تكون هذه المخاطبة لهم بوجه وفي الكلام حذف يقتضيه
القول ويحسنه الايجاز تقديره يقال للكفرة منهم كما خلقناكم اول مرة ويفسره
قوله عليه السلم انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
قوله عز وجل ووضع الكتاب فترى المجرمين الاية الكتاب اسم جنس يراد به
كتب الناس التي احصتها الحفظة لواحد واحد ويحتمل ان يكون الموضوع كتابا
واحدا حاصرا لا من ظلم ولا حيف واشفقوا والمجرمين في عمومه من كشفه لهم وفضحه
فشكاية المجرمين انما هي من الاحصا لا من ظلم ولا حيف وقدم الصغيرة اهتماما
بها لينبه منها وليدل ان الصغيرة اذا احصيت فالكبيرة احرى بذلك والعرب
ابدا تقدم في الذكر الاقل من كل مقترنين ونحو هذا قولهم القمران والعمران سموا
باسم الاقل تنبيها منهم وقال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وهذا
مثال ربما في الاية بين ه وقوله واذ قلنا الاية مضمنها تقريع الكفرة وتوبيخهم
على خطاياهم في ولايتهم العدو دون الذي انعم بكل نعمة على العموم صغيرها وكبيرها
وتقدير الكلام واذكر اذ قلنا وتكررت هذه العبارة حيث تكررت هذه القصة
اذ هي توطية للنازلة فاما ذكر النازلة هنا فمقدمة للتوبيخ وذكرها في البقرة
اعلام بمبادي الامور واختلف الناس ولو في السجود لادم فقالت فرقة هو
السجود المعروف ووضع الوجه بالارض جعله الله تعالى من الملائكة عبادة له
وتكرمة لادم فهذا كالصلوة للكعبة وقالت فرقة بل كان ايماء منهم نحو الارض وذلك .

بلغ مراجعة

القصة

وذلك يسمى سجوداً لان السجود في كلام العرب عبارة عن غاية التواضع ٥
ومنه قول الشاعر ٥ ترى الاكم فيها سجداً للحوافر ٥ وهذا جائز
ان يفعله قوم ومنه قوله عليه السلام للانصار قوموا الى سيدكم ومنه
تقبيل ابي عبيدة بن الجراح يد عمر بن الخطاب حين يلقاه في سفرته الى الشام
ذكره سعيد بن منصور في مصنفه ٥ وقوله الا ابليس فقالت فرقة هو
استثنا منقطع لان ابليس ليس من الملايكة بل هو من الجن وهم الشياطين
المخلوقون من مارج من نار وجميع الملايكة انما خلقوا من نور واختلفت هذه
الفرقة فقال بعضها ابليس من الجن وهو اولهم وبدايتهم كادم من الانس ٥
وقالت فرقة بل ابليس وقبيله من الجن لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته
فهو كنوح في الانس واحتجوا بهذه الاية وبتعنيف ابليس على عصيانه
ينبغي انه امر مع الملايكة وقالت فرقة ان الاستثنا متصل وابليس
من قبيل من الملايكة خلقوا من نار وابليس من الملايكة وعبر عن الملايكة
بالجن من حيث هم مستترون وهي صفة تعم الملايكة والشياطين وقال بعض
هذه الفرقة كان في الملايكة صنف تسمى الجن وكانوا في السما الدنيا وفي الارض
وكان ابليس مدبر امرهم ولا خلاف ان ابليس كان من الملايكة في المعنى اذ كان
متصرفا بالامر والنهي مرسلاً والملك مشتق من المالكة وهي الرسالة فهو في
عداد الملايكة يتناوله قول اسجدوا وفي سورة البقرة والاعراف استيعاب
هذه الامور ٥ وقوله ففسق معناه خرج وانتزح وقال رؤبة
٥ يهوين في نجد وغوراً غايراً فواسقاً عن قصدها جوايراً ٥
ومنه يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وفسقت النواة
اذا خرجت عن الثمرة وفسقت الفارة اذا خرجت من جحرها وجميع هذا
الخروج المستعمل في هذه الامثلة انما هو في فساد وقول النبي عليه السلم
خمس فواسق يقتلن في الحرم انما هن مفسدات ٥ وقوله عن امر ربه يحتمل
ان

ان يريد خرج عن امر ربه اباه اي فارقه كما يفعل الخارج عن طريق وحذاي
من امر ربه ويحتمل ان يريد فخرج عن الطاعة بعد امر ربه بها وعن قد تجي
بمعنى بعد في مواضع كثيرة كقولك اطعمني عن جوع ونحوه فكان المعنى
فسق بعد امر ربه بان يطيع ويحتمل ان يريد فخرج بامر ربه اي بمشيه
ذلك له ويعبر عن المشيه بالامر اذ هي احد الامور وهذا كما تقول فعلت ذلك
عن امرك اي بحسب مرادك وقال ابن عباس في قصص هذه الاية كان
ابليس من اشرف صنف وكان له سلطان في السما والارض فلما عصى صارت
حالته الى ما تسمعون وقال بعض العلما اذا كانت خطيئة المرء من الشهوات
فلترجه كادم وان كانت من الكبر فلا ترجه كابليس ثم وقف الله الكفرة
على جهة التوبيخ بقوله افتتخذونه يريد ابليس ٥ وقوله وذريته
ظاهر اللفظ يقتضي الموسوس من الشياطين الذين يامرون بالمنكر ويحملون
على الاباطيل وذكر الطبري ان مجاهدا قال ذرية ابليس الشياطين
وكان يعدهم زلنبور صاحب الاسواق يضع رايته في كل سوق ٥ وثبر
صاحب المصايب والاعور صاحب الربا ومسوط صاحب الاخبار ياتي
بها فيلقيها في افواه الناس ولا يجدون لها اصلاً وداسم الذي اذا دخل
الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع مالم يرفع وهذا وما
جانسه مما لم يات به سند صحيح فلذلك اختصرته وقد طول النقاش في
هذا المعنى وجلب حكايات تبعد من الصحة فتركتها اختصاراً ولم يتر في
في هذا صحيح الا ما في كتاب مسلم من ان للوسوسة الوضو شيطانا يسمى
خنزب وذكر الترمذي ان للوضو شيطانا يسمى الولهان والله العليم
بتفاصيل هذه الامور ٥ وقوله وهم لكم عدو اي اعدا فهو اسم الجنس
وقوله بيس للظالمين بدلا اي بدل ولاية الله بولاية ابليس وذريته
وذلك هو التعوض من الحق بالباطل وذلك هو نفس الظلم لانه وضع الشي

الموسوسين

في غير موضعه ❊ قوله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات والارض الضمير في
اشهدتهم عايد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الاية الرد على طوايف
من المنجمين والمتحكمين من الاطبا واهل الطبايع وسواهم من كل متخوض
في هذه الاشيا قال القاضي ابو محمد رضي الله عنه سمعت الفقيه ابا عبد الله محمد
بن معاذ المهدوي بالمهدية يقول سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول
ويتاول هذا التاويل في هذه الاية وانها رادة على هذه الطوايف وذكر هذا
بعض الاصوليين والضمير في اشهدتهم عايد على ذرية ابليس فهذه الاية [وقيل]
على هذا تتضمن تحقيرهم والقول الاول اعظم فايدة واقول ان الغرض المقصود
اولا بالاية هم ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوايف
المذكورة وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعظمين للجن حين يقولون
اعوذ بعزيز هذا الوادي اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته
وهم اضلوا الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه الطوايف في
معناهم ❊ وقرا الجمهور وما كنت وقرا ابو جعفر والجحدري والحسن بخلاف
وما كنتَ والصفة بالمضلين تترتب في الطوايف المذكورة وفي ذريته
ابليس لعنه الله ❊ والعضد استعارة للمعين والموازر وهو تشبيه
بالعضد للانسان الذي يستعين به وقرا الجمهور عضدا بفتح العين وضم
الضاد وقرا ابو عمرو والحسن بضمهما وقرا الضحاك بكسر العين وفتح الضاد
وقرا عكرمة بضم العين وسكون الضاد وقرا عيسى بن عمر بفتح العين والضاد
وفيه لغات غير هذا لم يقرا بها ❊ وقوله ويوم يقول الاية وعيد
المعنى واذكر يوم وقرا طلحة ويحيى والاعمش وحمزة نقول بنون العظمة
وقرا الجمهور بالياء اي يقول الله تعالى للكفار الذين اشركوا به في الدنيا
سواه نادوا شركاي على وجه الاستغاثة بهم ❊ قوله شركاي اي على
دعواكم ايها المشركون وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم وقرا ابن كثير

واهل

واهل مكة شركاي بيا مفتوحة وقرا الجمهور شركائي بهمزة فمنهم من حققها
ومنهم من خففها ❊ والزعم انما هو مستعمل ابدا في غير اليقين بل اغلبه
في الكذب ومنه هذه الاية وارفع مواضعه ان يستعمل زعم بمعنى اخبر
حيث تبقى عهدة الخبر على المخبر كما يقول سيبويه زعم الخليل ❊ وقوله تعالى
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ظاهره ان ذلك حقيقة ويحتمل ان يكون استعارة
كان فكرة الكفار ونظرهم في ان تلك الجمادات لا تغني شيا ولا تنفع هي بمنزلة
الدعا وترك الاجابة والاول ابين واختلف المتاولون في قوله موبقا
قال عبد الله بن عمرو وانس بن مالك ومجاهد هو واد في جهنم يجري بدم وصديد
قال انس بن مالك يحجز بين اهل النار وبين المومنين فقوله على هذا بينهم ظرف
وقال الحسن موبقا معناه عداوة وبينهم على هذا ظرف وبعض هذه
الفرقة يرى ان الضمير في قوله بينهم يعود على المومنين والكافرين ويحتمل
ان يعود على المشركين ومعبوداتهم وقال ابن عباس موبقا معناه مهلكا
بمنزلة موضع وهو من قولك وبق الرجل واوبقه غيره اذا اهلكه فقوله على [بينهم]
هذا التاويل يصح ان يكون ظرفا والاظهر فيه ان يكون اسما بمعنى جعلنا تواصلهم
امرا مهلكا لهم ويكون بينهم مفعولا اولا لجعلنا وعبر بعضهم عن الموبق
بالموعد وهذا ضعيف ❊ ثم اخبر عز وجل عن رؤية المجرمين النار ومعا [ينتهم]
لها ووقوع العلم لهم بانهم مباشروها واطلق الناس ان الظن هنا بمعنى
اليقين ولو قال بدل ظنوا ايقنوا لكان الكلام متسقا على مبالغة فيه ولكن
العبارة بالظن لا تجي ابدا في موضع يقين تام قد ناله الحس بل اعظم درجاته
ان يجي في موضع علم متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والا فقد يقع ويحس لا يكاد
يوجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتامل هذه الاية وتامل قول
دريد ❊ فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ❊ وقرا الاعمش وظنوا انهم ملاقوها
وكذلك في مصحف ابن مسعود وحكى ابو عمرو الداني عن علقمة انه قرا ملا [فوجا]

بعا مشددة من لغتك وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة ٥
والمصرف المعدل والمراغ ومنه قول ابي الهلالي ٥

كثيرة

٥ ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف ٥ ا) وهو
ماخوذ من الانصراف من شي الى شي ٥ وقوله ولقد صرفنا الايه المعنى ولقد
خوفنا ورجينا وبالغنا في البيان وهذا كله تمثيل وتقريب للاذهان ٥ وقوله
من كل مثل اي من كل مثل له نفع في الغرض المقصود بهم وهو الهدايه ٥ وقوله
وكان الانسان اكثر شي جدلا خبر مقتضب في ضمنه فلم ينفع فيهم تصريف
الامثال بل هم منحرفون يجادلون بالباطل والانسان يريد به الجنس وروى
ان سبب هذه الايه هو النضر بن الحرث وقيل ابن الزبعري وروي انه عليه السلم
دخل على علي بن ابي طالب وقد نام عن صلاة الليل فايقضه وعاتبه فقال له علي انما
نفسي بيد الله اتحو هذا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه
بيده ويتلو هذه الايه وكان الانسان اكثر شي جدلا فقد استعمل الايه على العموم في
جميع الناس والجدل الخصام والمدافعه بالقول فالانسان اكثر جدلا من كل ما
يجادل من ملايكه وجن وغير ذلك ان فرض وفي قوله وكان الانسان الايه هذا تغليم
وتفجع ما على الناس ويتبين فيما بعد **قوله عز وجل** وما منع الناس الايه ما سيق
وتنبيه على فساد حالهم لان هذا المنع لم يكن بقصد منهم ان يمتنعوا ليجيهم العذاب
وانما امتنعوا هم مع اعتقادهم انهم مصيبون لكن الامر في نفسه يسوقهم الى هذا
فكان حالهم يقتضي التاسف عليهم والناس يراد بهم هنا كفار عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذين تولوا دفع الشريعه وتكذيبها والهدى هو شرع الله
والبيان الذي جا به محمد والاستغفار هنا هو طلب المغفرة على فارط الذنب كفر
او غيره ٥ وسنة الاولين هي عذاب الامم المذكورة من الغرق والصيحة والظلة
والريح وغير ذلك ٥ وقوله او ياتيهم العذاب قبلا اي مقابله عيانا والمعنى عذاب

عن المعهود فتظهر فايدة التقسيم وكذلك صدق هذا الوعد في بدر وقال مجاهد
قبلا معناه فجاة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر ومجاهد وعيسى بن عمر قبلا
بكسر القاف وفتح البا وقرا عاصم وحمزة والكسائي والحسن والاعرج قبلا بضم القاف
والبا ويحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى قبل لان ابا عبيدة حكى انهما بمعنى واحد
في المقابله والاخر ان يكون جمع قبيل اي يجيهم العذاب انواعا والوانا وقرا ابو رجا
والحسن ايضا بضم القاف وسكون البا ٥ وقوله وما نرسل المرسلين الايه كانه
لما تفجع عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم باراهم الى الخسار قال وليس الامر كما ظنوا
والرسل لم نبعثهم ليجادلوا ولا ليتمنى عليهم الاقتراحات وانما بعثناهم مبشرين
من امن بالجنة ومنذرين من كفر بالنار ٥ ويدحضوا معناه يزهقوا والدحض
الطين الذي يزهق فيه ومنه قول الشاعر ٥ ١٠

٥ وردت ونجا اليشكري نجاه وحاد كما حاد البعير عن الدحض ٥ وفي
قوله واتخذوا الى اخر الايه توعد والايات تجمع ايات القران والعلامات
التي ظهرت على لسان النبي عليه السلم ٥ وقوله وما انذروا هزوا اي يريد من عذاب
الاخرة اي وما انذروه فحذف الضمير والهزو السخر والاستخفاف كقولهم اساطير
الاولين وقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا ٥ وقوله ومن اظلم استفهام بمعنى
التقرير وهذا من افصح التقرير ان يوقف المرء على ما لا جواب له فيه الا الذي
يريد خصمه فالمعنى لا احد اظلم ممن هذه صفته ان يعرض عن الايات بعد الوقوف
عليها بالتذكير وينسى ويطرح كبايره التي اسلفها وهذه غاية الانهمال ونسب
السيات الى اليدين من حيث كانت اليدان اله التكسب في الامور الجرمية فجعلت
كذلك في المعاني استعارة ٥ ثم اخبر الله تعالى عنهم وعن فعله بهم جزا على اعراضهم
وتكسبهم القبيح بانه جعل على قلوبهم اكنه وهي جمع كنان وهو كالغلاف السانر واختلف
الناس في هذا وما اشبهه من الختم والطبع ونحوه هل هو حقيقه او مجاز والحقيقه
في هذا غير مستحيله والتجوز ايضا فصيح اي لما كانت هذه المعاني مانعة في الاجسام

وجابلها استعيرت للقلوب التي قد افسدها الله واعماها عن الخير ۝ واما الوقر في الاذان فاستعارة بينة لانهم لما كانوا لا يسمعون الدعا الى الشرع سماعا نافعا ولكن لما كانوا لا يوثرون ذلك فهم لا كانوا يوثرون الذي به وقر فلا يسمع شيا ابدا وكذلك العمي والصم والبكم كلها استعارات وانما الخلاف في اوصاف القلب هل هي حقيقة او مجاز والوقر الثقل في السمع ۝ ثم اخبر عنهم انهم وان دعوا الى الهدى فانهم لا يهتدون ابدا وهذا الحرج على احد تاويلين احدهما ان يكون هذا اللفظ العام يريد به الخاص ممن حتم الله عليه انه لا يومن ولا يهتدي ابدا ويخرج عن العموم كل من قضى الله بهداه في ثاني حال والاخر ان يريد وان تدعهم الى الهدى جميعا فلن يومنوا ابدا اي انهم ربما امن منهم الافراد ويضطرنا الى هذين التاويلين انا وجدنا المخبر عنهم بهذا الخبر قد امن منهم واهتدى كثير ۝

قوله عز وجل وربك الغفور ذو الرحمة لما اخبر تعالى عن القوم الذين حتم بلوغهم انهم لا يهتدون عقب بانه للمومنين غفور ذو رحمة وتحمل للكفار من صفتي الغفران والرحمة ترك المعاجلة ولو اخذوا بحسب ما يستحقونه لبادرهم بالعذاب المبيد لهم ولكنه تعالى اخرهم الى موعد لا يجدون عنه منجا قالت فرقة هو اجل الموت وقالت فرقة هو عذاب الاخرة وقال الطبري هو يوم بدر والحشر والموئل المنجا وال الرجل يئل اذا نجا ومنه قول الشاعر ۝

۝ ولا وألت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلم ۝ ومنه قول الاعشى

۝ وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئل ۝ ثم عقب تعالى توعدهم بذكر الامثلة من القرى التي نزل بها ما توعدها ولا يمثله وفي قوله وتلك القرى حذف مضاف تقديره وتلك اهل القرى يدل على ذلك قوله اهلكناهم ورد الضمير على اهل القرى والقرى المدن وهذه الاشارة الى عاد وثمود ومدين وغيرهم وتلك ابتدا والقرى صفة واهلكناهم خبر ويصح ان يكون تلك منصوبا بفعل يدل عليه اهلكناهم وقرا الجمهور وجعلنا لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام من اهلك ومفعل في مثل

بهامش الصفحة: ب منفتحه نعبر بالغفران

هذا يكون لزمن الشي ولمكانه ويكون مصدرا فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وقرا عاصم في رواية ابي بكر بفتح الميم واللام وفي رواية حفص بفتح الميم وكسر اللام وهذا مصدر من هلك وهو في مشهور اللغة غير متعد فالمصدر على هذا مضاف الى الفاعل لانه بمعنى وجعلنا لان هلكوا موعدا وقالت فرقة ان هلك يتعدى تقول اهلكت الرجل وهلكته بمعنى واحد وانشد ابو علي في ذلك ۝

۝ ومهمه هالك من تعرجا ۝ فعلى هذا يكون المصدر في كل وجه مضافا الى المفعول ۝ وقوله واذ قال موسى لفتاه ابتدا قصة ليست من الكلام الاول المعنى واذكر واتل وموسى هو ابن عمران بمقتضى الاحاديث والتواريخ وبظاهر القران اذ ليس في القران موسى غير واحد وهو موسى بن عمران ولو كان في هذه الاية غير لبينه وقالت فرقة منها نوف البكالي انه ليس ابن عمران وهو موسى بن منشى ويقال ابن منسى ۝ واما فتاه فعلى قول من قال هو موسى بن عمران فهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب واما من قال هو موسى بن منشى فليس الفتى يوشع ولكنه قول غير صحيح رده ابن عباس وغيره والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة اكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة لذلك في قوله عليه السلم لا يقل احدكم عبدي ولا امتي وليقل فتاي او فتاتي فهذا ندب الى التواضع والفتى في الاية هو الخادم وهو يوشع بن نون ويقال هو ابن اخت موسى عليه السلم وسبب هذه القصة فيما روي عن النبي عليه السلم ان موسى جلس يوما في مجلس لبني اسرايل وخطب فابلغ فقيل له هل تعلم احدا ابلغ منك فقال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا خضر فقال يا رب دلني على السبيل الى لقيه فاوحى الله اليه ان يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فانه اذا فقد الحوت فانه هنالك وامره ان يتزود حوتا ويرتقب زواله عنه ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضا العزيمة لا ابرح اسير اي لا ازال وانما قال هذه المقالة وهو سائر ومن هذا قول الفرزدق

فما برحوا حتى نهادت نساؤهم بسطحها ذي فار عباب اللطائم ٥ وذكر
الطبري عن ابن عباس قال لما ظهر موسى عليه السلم وقومه على مصر انزل قومه بمصر فلما
استقرت الحال خطب يوما فذكر آلاء الله وايامه عند بني اسرايل ثم ذكر نحو ما تقدم
قال ع وما مر بي قط ان موسى انزل قومه بمصر الا في هذا الكلام وما اراه يصح بل
المتظاهر ان موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين وفي هذه القصة من
الفقه الرحلة في طلب العلم والتواضع للعالم وقرا الجمهور مجمع البحرين بفتح الميمين
وقرا الضحاك بكسر الثانية واختلف الناس في مجمع البحرين اين هو فقال مجاهد
وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر الروم قال ع وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من
شمال الى جنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين
مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول وقالت فرقة منهم محمد بن كعب مجمع
البحرين هو عند طنجة وهو حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه الساير
من دبور الى صبا وروي عن ابي بن كعب انه قال مجمع البحرين بافريقية وهذا
يقرب من الذي قبله وقال بعض اهل العلم هو بحر الاندلس من البحر المحيط وهذا
كله واحد حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيرا ويذكر ان القرية التي ابت ان
تضيفهما هي الجزيرة الخضرا وقالت فرقة مجمع البحرين يريد بحرا ملحا وبحرا عذبا
فعلى هذا انما كان الخضر عند موقع نهر عظيم في البحر وقالت فرقة البحران انما
هما كناية عن موسى والخضر لانهما بحرا علم وهذا قول ضعيف والامر بين من الاحاديث
انه رسم له بحر ماء ٥ وقوله امضي حقبا معناه لو امضي على وجهي زمانا
واختلف القرا فقرا الحسن والاعمش وعاصم حقبا بسكون القاف وقرا
الجمهور بضمها وهو تثقيل حقب وجمع الحقب احقاب واختلف في الحقب
فقال عبد الله بن عمرو ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون وقال الفرا سنة
واحدة وقال ابن عباس وقتادة الحقب ازمان غير محدودة وقالت فرقة الحقب جمع
حقبة وهي السنة كانه قال او امضي سنين قوله عز وجل فلما بلغا مجمع

بينهما

بينهما (الاسم) الضمير للبحرين قاله مجاهد وقيل هو لموسى والخضر والاول اصوب وقرا
عبد الله بن مسلم مجمع بكسر الميم الثانيه وقوله نسيا وانما كان النسيان من الفتى
وحده نسي ان يعلم موسى بما راى من حاله من حيث كانا لها زادا وكانا بسبب
منه فنسب فعل الواحد فيه اليهما وهذا كما تقول فعل بنو فلان لامر
انما فعله بعض منهم وروي في الحديث ان يوشع راى الحوت قد حيي من
المكتل الى البحر فراه قد اتخذ السرب وكان موسى نايما فاشفق ان يوقظه
وقال اوخر حتى يستيقظ فلما استيقظ نسي يوشع ان يعلمه ورحلا
حتى جاوزا والسبيل المسلك والسرب المسلك في جوف الارض فشبه
به مسلك الحوت في الما حين لم ينطبق الما بعده بل بقي كالطاق وهذا الذي
ورد في الحديث عن النبي عليه السلم وقال جمهور المفسرين ان الحوت بقي موضع
سلوكه فارغا وقال قتاده بقي موضع سلوكه ماجامدا وقال ابن عباس صار
موضع سلوكه حجرا صلدا وقال ابن زيد انما اتخذ سبيله سربا في البر حتى
وصل الى البحر ثم عام على العادة قال ع وهذا لا شيا ولو سربا بمعنى تصرفا
وجولانا من قولهم فحل سارب اي مهمل يرعى حيث شا ومنه قوله تعالى
وسارب بالنهار اي متصرف وقالت فرقة اتخذ سربا في التراب من المكتل
الى البحر وصادف في طريقه حجرا فثقبه وظاهر الامر ان السرب انما كان
في الما ومن غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الاية
ان الحوت انما حيي لانه مسه ما عين هنالك تدعا عين الحياة ما مست
قط شيا الا حيي ومن غريبه ايضا ان بعض المفسرين ذكر ان موضع سلوك
الحوت عاد حجرا طريقا وان موسى مشى عليه متبعا الحوت حتى افضى
به ذلك الطريق الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات
والكتاب انه انما وجد الخضر في ضفة البحر يدل على ذلك قوله تعالى فارتدا
على اثارهما قصصا وروي في قوله فلما جاوزا ان موسى نزل عند صخرة عظيمة

ناحية البحر نسي يوشع الحوت هنالك ثم استيقظ موسى ورحلا مرحلة بقية
الليل وصدر يوم مما جاع موسى ولحقه تعب الطريق فاستدعى الغدا قال ع
رضي الله عنه سمعت ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى موسى الى المناجاة
فبقي اربعين يوما لم يحتج الى الطعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع في بعض يوم والنصب
والتعب والمشقة وقرا عبد الله بن عمير نصبا بضم النون والصاد ويشبه
عُبَيد
ان يكون جمع نصب وهو مخفف نصب ❁ وقوله ارايت الاية حكى الطبري
ان فرقة قالت الصخرة هي بالشام عند نهر الذيب وقد تقدم الخلاف في موضع
هذه القصة ❁ وقوله فاني نسيت الحوت يريد نسيت ذكر ما جرى فيه
لك واما الانساء فوحده انسانيه وقرا ابن كثير في الوصل انسانيهي بيا في
الوصل بعد الها وفي مصحف عبد الله بن مسعود ما انسانيه ان اذكره الا الشيطان
وقوله ان اذكره بدل من الحوت بدل اشتمال ❁ وقوله واتخذ سبيله في البحر
عجبا يحتمل ان يكون من قول يوشع لموسى اي اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس
ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله في البحر تمام الخبر ثم استانف التعجب فقال من
قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع العجب ان يكون حوت قد مات فاكل شقه الايسر
ثم حيي بعد ذلك قال ابو شجاع في كتاب الطبري رايته اتيت به فاذا هو
شقة حوت وعين واحدة وشق اخر ليس فيه شي قال ع وانا رايته والشق الذي
ليس فيه شي عليه قشرة رقيقة تنشق تحتها شوكه وشقه الاخر ويحتمل ان يكون
قوله واتخذ سبيله الاية اخبار من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن
موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اي تعجب منه واما ان يخبر عن الحوت
انه اتخذ سبيله عجبا للناس وقرا ابو حيوة واتخاذ سبيله فهذا مصدر معطوف
على الضمير في اذكره ❁ وقوله تعالى قال ذلك الاية المعنى قال موسى لفتاه
امر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب فان الرجل الذي جئنا له ثم فرجعا
يقصان اثارهما لئلا يخطئا طريقهما وقرا الجمهور نبغي باثبات اليا وقرا عاصم

وقوم نبغ دون يا وكان الحسن يثبتها اذا وصل ويحذفها اذا وقف وقص الاثر اتباعه
وتطلبه في موضع خفايه والعبد هو الخضر في قول الجمهور وبمقتضى الاحاديث وخالف
من لا يعتد بقوله فقال ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم اخر والخضر نبي عند الجمهور
وقيل هو عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته لان بواطن افعاله هل كانت الا
بوحي الله وروي في الحديث ان موسى عليه السلم وجد الخضر مسجى في ثوب مستلقيا
على الارض فقال له السلام عليك فرفع الخضر راسه وقال واني بارضك السلام قال
قال موسى ح
له من انت قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال الم يكن لك في بني اسرائيل ما يشغلك
عن السفر الى هنا قال بلى ولكن احببت لقاءك وان اتعلم منك قال اني على علم من علم
الله علمنيه لا تعلمه انت وانت علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه انا قال ع
علي ح
كان علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا تعطي ظواهر الاحكام افعاله
بحسبها وكان علم موسى عليه السلم علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس
وافعالهم وروي ان موسى وجد الخضر قاعدا على ثبج البحر وسمي الخضر خضرا لانه
جلس على فروة يابسة فاهتزت تحته خضرا روي ذلك عن النبي عليه السلم
والرحمة في هذه الاية النبوة وقد ذكرنا الحديث المتضمن ان سبب هذه
القصة ان موسى عليه السلم قيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا وحكى الطبري
حديثا اخر مضمنه ان موسى عليه السلم قال من قبل نفسه اي عبادك اعلم
اي رب ح
قال الذي يبتغي علم الناس عسى ان يصيب كلمة خير تهديه قال رب فهل
الى علمه ح
في الارض احد قال نعم قال فسال السبيل الى لقيه والحديث الاول في صحيح البخاري
وقرا الجمهور من لدنا بتشديد النون وقرا ابو عمرو بتخفيفها قال ابو حاتم هما
بضم النون ح
لغتان **قوله عز وجل** قال له موسى هل اتبعك الاية هذه مخاطبة المستنزل
المبالغ في حسن الادب المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما في الحديث هل
تستطيع ان تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضى وعلى بعض التاويلات
يجي كذلك قوله يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما وقرا ابن كثير ونافع

بضم م

وعاصم رُشدًا بسكون الشين وهي قراءة حمزة والكسائي وقرأ ابن عامر الرا
والشين وقرأ ابو عمرو بفتحهما ونصبه على وجهين احدهما ان يكون مفعولا
ثانيا بتعلمني والاخر ان يكون حالا من الضمير في قوله اتبعك قال الخضر
انك لن تستطيع معي صبرا اي انك يا موسى لا تطيق ان تصبر على ما
تراه من علمي لان الظواهر التي هي علمك لا تعطيك اياه وكيف تصبر على
ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب فقوي له
موسى الامر بوعده انه سيجده ثم استثنى حين حكم على نفسه بامر فقوي
الخضر وصاته وامره بالامساك عن السؤال والانكار لما يراه حتى
يبديه الخضر ويشرح ما غاب شرحه وقرأ نافع فلا تسالنّي بفتح اللام وتشديد
النون واثبات اليا وقرأ ابن عامر كذلك الا انه حذف اليا وقرأ ابن كثير وابو
عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بسكون اللام واثبات الياء وقرأ الجمهور
خبرا بسكون البا وقرأ الاعرج بضمها ه وقوله فانطلقا روي عن النبي
عليه السلم انهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة
فعرف الخضر فحملا بغير نول الى مقصد امّه الخضر وعرّف السفينة

فلما ركبا م

بالالف واللام تعريف الجنس لا لعهد عينها عمد الخضر الى وتد فجعل يضرب
في جنب السفينة حتى قلع به فيما روي لوحين من الواحها فذلك هو معنى
خرقها فلما راى ذلك موسى غلبه ظاهر الامر على الكلام حين راى فعلا
يؤدي الى غرق جميع من في السفينة فوقفه بقوله اخرقتها وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم لتغرق اهلها بالتا وقرأ حمزة والكسائي

بالياء

وقوم ليغرق اهلها رفعا باسناد الفعل اليهم وقرأ ابو رجا لتغرّق
بتشديد الرا وفتح الغين ه والامر الشنيع من الامور كالداهية
والادّ ونحوه ومنه امر امر ابن ابي كبشة ومنه امر القوم اذا كثروا
وقال مجاهد الامر المنكر قال ع والامر اخص من المنكر وقال الخضر

مجاوبا

مجاوبا يا موسى الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تنبيه لموسى لما اتى منه فاعتذر
بالنسيان للعهد الذي كان بينهما هذا قول الجمهور وفي كتاب التفسير من صحيح
البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت الاولى من موسى نسيانا
وفيه عن مجاهد انه قال كانت الاولى نسيانا والثانية شرطا والثالثة

عمدًا ح

عمدًا وهذا كلام معترض لان الجميع شرط ولان العمد يبعد على موسى عليه السلم
وانما هو التاويل اذ حذف صيغة السؤال او النسيان وروي الطبري عن
ابي بن كعب انه قال ان موسى عليه السلم لم ينس ولكن قوله هذا من معاريض
الكلام ومعنى هذا القول صحيح والطبري لم يبينه ووجهه عندي ان موسى
عليه السلم انما راى العهد في ان يسال ولم ير انكار هذا الفعل الشنيع
سوالا بل راه واجبا فلما راى الخضر قد اخذ العهد على اعم وجوهه فضمنه
السؤال والمعارضة والانكار وكل اعتراض اذ السؤال اخف من هذه كلها
اخذ معه في باب المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب فقال له لا تؤاخذني
بما نسيت ولم يقل له اني نسيت العهد بل قال لفظا يعطي المتاول انه نسي
العهد وتستقيم ايضا تاويله وطلبه مع انه لم ينس العهد لان قوله
لا تؤاخذني بما نسيت كلام جيد طلبه وليس فيه للعهد ذكر هل نسيه
ام لا وفيه تعريض انه نسي العهد فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق
وما يخل بهذا القول الا ان الذي قال ابي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كانت الاولى من موسى نسيانا ه قوله ترهقني معناه تكلفني

لمّا و
تمادى

وتضيق علي وفي قصص من امرهما انهما ركبا السفينة وجاء عصفور على
جنب السفينة فنقر في الما نقرة فقال الخضر لموسى ماذا ترى نقص من البحر
فقال موسى قليلا فقال له يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا ما نقص
هذا العصفور من ما البحر قال ع فقيل معنى هذا الكلام وضع العلم
موضع المعلومات والا فعلم الله تعالى لا يتبعض بمتناهي اذ لا يتناهى والبحر

لو فوضت له عما فيه على عدد نقطه لا تنتهي وعندي ان الاعتراض باق لان
تناهي معلومات الله تعالى محال اذ بيننا هي العلم بينا هي المعلومات وقيل
فرارًا عن هذا الاعتراض يحتمل ان يريد من علم الله الذي اعطاه العلما قبلهما
وبعدهما الى يوم القيامة فيجي نسبة علمهما الى علم البشر نسبة تلك النقطه
الى البحر وهذا قول حسن لولا ان في بعض طرق الحديث ما علمي وعلمك وعلم الخلايق
في علم الله الا كنقرة هذا العصفور فلم يبق مع هذا الا ان يكون التشبيه تجوزا
اذ لا يوجد في المحسوسات اقوى في القله من نقطه بالاضافه الى البحر فكانها
لا شي اذ لا يوجد لها الى البحر نسبة معلومه ولم يعن الخضر التحرير والموازنة في المثال
وبين علم الله تعالى قوله عز وجل فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله الايه
انطلقا اي في موضع نزولهما من السفينه فمرا بغلمان يلعبون فعمد الخضر الى
غلام حسن الهيئه وضي فاقتلع راسه ويقال رضخه بحجر ويقال ذبحه
وقال بعض الناس كان هذا الغلام لم يبلغ الحلم ولذلك قال موسى زاكية اي
لم تذنب وقالت فرقة بل كان بالغا شابا والعرب تبقي على الشاب اسم
الغلام ومنه قول ليلى الاخيلية ٥

غلام اذا هز القناة سقاها ٥ وهذا في صفة الحجاج وفي الخبر
ان هذا الغلام كان يفسد في الارض ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان
على قسمه ويحميانه ممن يطلبه وقرا ابن عباس والاعرج وابو جعفر ونافع
والجمهور زاكية وقرا الحسن وعاصم والجحدري زكية والمعنى واحد وقد
ذهب قوم الى الفرق وليس بين ٥ وقوله بغير نفس يقتضي انه لو كان
عن قتل نفس لم يكن به باس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم
لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس ٥ وقرا الجمهور نكرا وقرا ابن عامر وابو
بكر عن عاصم وابو جعفر وشيبة نكرا بضم الكاف واختلف عن نافع ومعناه
شي ينكر واختلف الناس ايهما ابلغ امرا او نكرا فقالت فرقه هذا قتل بين

وهناك

وهناك مترقب فنكرا ابلغ وقالت فرقه هذا قتل واحد وذلك قتل جماعه فامرا
ابلغ وعندي انهما لمعنيين ٥ وقوله امرا اقطع واهول من حيث هو متوقع
عظيم ونكرا بين في الفساد لان مكروهه قد وقع وهذا نصف القران بعدد
الحروف انتهى الى النون من قوله نكرا قال الم اقل لك فيه زجر واغلاظ ليس
في الاول وقوله بعدها يريد بعد هذه القصه فاعاد الضمير عليها وان كانت
لم يتقدم لها ذكر صريح من حيث كانت في ضمن القول وقرا الجمهور فلا تصاحبني
ورواها ابي عن النبي عليه السلم وقرا عيسى ويعقوب فلا تصحبني وقرا عيسى
ايضا فلا تُصحِبني بضم التا وكسر الحا ورواها سهل عن ابي عمرو فلا تصحبني
علمك وقرا الاعرج بفتح التا والبا وشد النون ٥ قد بلغت من لدني عذرا
اي قد اعذرت الي وبلغت الى العذر من قبلي ويشبه ان يكون هذه القصه
اصلا للاجال في الاحكام التي هي ثلثه وايام التلوم ثلاثه فتامله وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح اللام وضم الدال
وشد النون وهي لدن اتصلت بها نون الحكاية التي في ضربني ونحوه فوقع الادغام
وهي قراه النبي عليه السلم وقرا نافع وعاصم لدني كالاولى الا ان النون مخففه فهي
لدن اتصلت بها يا المتكلم التي في غلامي وفرسي وكسر ما قبلها كما كسر في هذه وقرا
ابو بكر عن عاصم بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون وهي تخفيف التي
قبلها وروي عن عاصم بضم اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط
قال ابو علي هذا التغليط يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما على قياس العربيه فهي صحيحه وقرا
الحسن لدني بفتح اللام وسكون الدال وقرا الجمهور عذرا وقرا ابو عمرو و
عيسى عذرا بضم الدال وحكى الداني ان ابيا روى عن النبي عليه السلم عذري
بكسر الرا ويا بعدها واسند الطبري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا لاحد بدا بنفسه فقال يوما رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر
على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا

ح قبل التا

وفي البخاري عن النبي عليه السلم قال يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص
علينا من امرهما وروي في تفسير هذه الاية ان الله جعل هذه الامثلة التي وقعت
لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبا له وذلك انه لما انكر امر خرق السفينة
نودي يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر
امر الغلام قيل له اين انكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه فلما انكر
اقامة الجدار نودي اين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر
وقوله فانطلقا يريد انطلق الخضر وموسى عليهما السلم يمشيان لارتياد الخضر
امرا ينفذ فيه ما عنده من علم الله فمرا بقرية فطلبا من اهلها ان يطعموهما
فابوا وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اولئك القوم يستطعمانهم
وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله واختلف الناس في القرية فقال
محمد بن سيرين هي الابلة وهي ابخل قرية وابعدها من السما وقالت فرقة هي
انطاكية وقالت فرقة هي برقة وقالت فرقة هي قرية بجزيرة الاندلس وروي ذلك
عن ابي هريرة وغيره ويذكر انها الجزيرة الخضرا وقالت فرقة هي ابو حوران وهي بناحية
اذربيجان وهذا كله بحسب الخلاف في اي ناحية من الارض كانت قصة موسى ۝
والله اعلم بحقيقة ذلك ۝ وقرا الجمهور يضيفوهما بفتح الضاد وشد اليا وقرا
ابو رجا باسكانها وهي قراءة ابن محيصن وابن الزبير والحسن وابي رزين ۝ والضيف
ماخوذ من ضاف الى المكان اذا مال اليه ومنه الاضافة وهي امالة شي الى شي
وقرا الاعمش فابوا ان يطعموهما وقوله في الجدار يريد استعارة وجميع الافعال
التي حقها ان تكون للحي الناطق متى اسندت الى جماد او بهيمة فانما هي استعارة
اي لو كان مكان الجماد انسان لكان ممتثلا لذلك الفعل فمن ذلك قول
الاعشى ۝ اتنتهون ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل ۝
فاسند النهي الى الطعن ومن ذلك قول الشاعر ۝
۝ يريد الرمح صدر ابي برا ويرغب عن دما بني عقيل ۝ ومنه قول عنترة

۝ وشكا الي بعبرة وتحمحم ۝ وقد فسر هذا المعنى بقوله لو كان يدري ما
المحاورة البيت ۝ ومنه قول الناس داري تنظر الى دار فلان ومنه
قوله عليه السلم لا تتراءى ناراهما وهذا كثير جدا وقرا الجمهور ينقض اي يسقط
وقرا النبي عليه السلم فيما روي عنه ينقض بضم اليا وتخفيف الضاد
وهي قراءة ابي وامام علي وعكرمة يقرا ان ينقاص بالصاد غير منقوطة بمعنى
ينشق طولا يقال انقاص الجدار وطي البير وانقاصت السن اذا انشقت
طولا وقيل اذا تصدعت كيف كان ومنه قول ابي ذؤيب ۝
۝ فراق كقيص السن فالصبر انه لكل اناس عثرة وجبور ۝ ويروى
عثرة وجبورة ۝ بالثا والجيم وقرا ابن مسعود والاعمش يريد لينقض
واختلف المفسرون في قوله فاقامه فقالت فرقة هدمه وقعد
يبنيه ووقع هذا في مصحف ابن مسعود ويؤيد هذا التاويل قول
موسى لو شئت لاتخذت عليه اجرا لانه فعل يستحق الاجر وقال سعيد
بن جبير مسحه بيده واقامه فقام وروي في هذا حديث وهو الاشبه
بافعال الانبيا عليهم السلم فقال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه
اجرا اي طعاما ناكله وقرا الجمهور لاتخذت وقرا ابن كثير وابو عمرو
لتخذت وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وادغم بعض القرا الذال
في التا ولم يدغمها بعضهم ومن قولهم تخذ قول الشاعر ۝
۝ وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها نسيفا كافحوص القطاة المطرق ۝
وفي حرف ابي لو شئت لاوتيت عليه اجرا ۝ قال الخضر لموسى
بحسب شرطهما هذا فراق بيني وبينك واشترط الخضر واعطاه موسى ان
لا يقع سؤال عن شي والسؤال اقل وجوه الاعتراضات فالانكار والتخطئة
اعظم منه ۝ وقوله لو شئت لاتخذت وان لم يكن سؤالا ففي ضمنه الانكار
لفعله والقول بتصويب اخذ الاجر وفيه تخطئة تركه ۝ والبين الصلاح الذي

يكونون من المصطلحين ونحوها وذلك مستعاذ فيه من الطريقة ومستعمل
لاستعمال الاسماء واما فصله وتكريره بيني وبينك وعدوله عن بيننا فللمعنى
التاكيد والسين في قوله سانبئك فارقة بين الحادرين والصحبتين ومؤذنة
بان الاولى قد انقطعت ثم لخبره في مجلسه ذلك او في مقامه ما وقيل بتلك
القصص والتاويل هنا المال **قوله عز وجل** اما السفينة الاية قرا
الجمهور لمساكين بتخفيف السين واختلف في صفتهم بهذا فقال فرقة كانت
لقوم تجار ولكن من حيث هم مسافرون على قلة وفي لجة بحر وبحال الضعف عن
مدافعة غصب جائر عبر عنهم بمساكين اذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها
قال ع وهذا كما تقول لرجل غني اذا وقع في وهلة او خطب مسكين وقالت
فرقة كانوا عشرة اخوة اهل عاهات خمسة منهم عاملون بالسفينة وخمسة لا
قدرة لهم على العمل وقرات فرقة لمساكين بشد السين واختلف في تاويل ذلك
فقالت فرقة اراد ملاحي السفينة وذلك ان المسال هو ممسك رجل المركب وكل
الخدمة يصلح لامساكه فسموا بذلك وهي الجمع مسالين وقالت فرقة اراد بالمساكين
دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والاظهر القراة الاولى وان المعنى لقوم
ضعفاء ينبغي ان يشفق لهم واحتج الناس بهذه الاية في ان المسكين الذي له بلغة
من العيش كالسفينة لهاولا وانه اصلح حالا من الفقير واحتج من يرى خلاف
هذا بقول الشاعر ٥ اما الفقير الذي كانت حلوبته ٭ وفق
العيال فلم يترك له سبد ٥ والحق عندي انهما لفظان يدلان على
ضعف الحال جدا ومع المسكنة انكسار وذل سؤال وذلك لاجل جعلهما
الله صنفين في قسم الصدقات واما الحديث النبوي وهو ليس المسكين هذا
الطواف فجعل المساكين في اللغة اهل الحاجة الذين قد كشفوا وجوههم واما
قوله تعالى للفقراء الذين احصروا الاية فجعل الفقراء اهل الحاجة الذين لم يكشفوا
وجوههم وقد تقدم الكلام باوعب من هذا ٥ وقوله وكان وراءهم ملك قال

تعزية المسلم

قوم

قوم معناه امامهم وقالوا وراء من الاضداد وقرا ابن جبير وابن عباس وكان
امامهم ملك ياخذ كل سفينة صحيحة وقرا عثمان بن عفان وكان
وراءهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة وقوله وراءهم هو عندي على بابه وذلك
ان هذه الالفاظ انما تجي مراعى بها الزمن وذلك ان الحدث المتقدم الوجود
هو الامام وبين اليد لما ياتي بعده في الزمن والذي ياتي بعد هو الوراء وهو ما
خلف وذلك بخلاف ما يظهر بادي الراي وتامل هذه الالفاظ في مواضعها
حيث وردت تجدها تطرد فمعنى هذه الاية ان هؤلاء وعملهم وسعيهم ياتي
بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي انهم
كانوا يسيرون الى بلده ٥ وقوله تعالى في التوراة والانجيل انهما بين يدي
القرآن مطرد على ما قلناه في الزمن وكذلك قوله من ورائهم جهنم مطرد كما
قلناه من مراعاة الزمن ٥ وقوله عليه السلام الصلاة امامك يريد في المكان
والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمن فتامل هذه المقالة فانها
مريحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري وكان وراءهم
ملك قال قتادة امامهم الا ترى انه يقول من ورائهم جهنم وهي بين ايديهم وهذا
القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن ابي الحسن يضج منها
قاله الزجاج ويجوز ان كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة
وقيل اسم هذا الغاصب هدد بن بدد وقيل اسمه الجلندي وهذا
كله غير ثابت ٥ وقوله كل سفينة عموم معناه الخصوص في الجياد منها
الصحاح المارة به **قوله عز وجل** واما الغلام تقدم الخلاف في بلوغه
وصغره وفي الحديث ان ذلك الغلام طبع يوم طبع كافرا وهذا يؤيد ظاهره
انه كان غير بالغ ويحتمل ان يكون خبرا عنه مع كونه بالغا وقيل اسم الغلام
جيسور بالراء وقيل بالنون وهذا كله امر غير ثابت وقرا ابي بن كعب فكان كافرا
وكان ابواه مومنين وقرا ابو سعيد الخدري فكان ابواه مومنان فجعلها كان التي

جيسور

بهما الامر والشأنه ۞ وقوله فخشينا قيل هو من كلام الخضر وهذا متخلص
والضمير عندي للخضر واصحابه الصالحين الذين اهمهم الامر وتكلموا فيه وقيل
هو في جهة الله وعنه عبّر الخضر قال الطبري معناه فعلنا وقال غيره معناه
فكرهنا والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه
انها استعارة اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم
خشية الرهق للابوين وقرا ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين في الاستعارة
وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله من لعل وعسى فان جميع ما في هذا
كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم ايها المخاطبون ۞ ويرهقهما
معناه يجشمهما ويكلفهما بشدة والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه وقرا الجمهور
يبدلهما بفتح البا وبالتشديد للدال وقرا عاصم وابن محيصن والحسن يبدلهما بسكون
البا وتخفيف الدال ۞ والزكاة شرف الخلق والوقار والسكينة المنطوية على
خير ونية ۞ والرحم الرحمة والمراد عند فرقة اي يرحمهما وقيل اي يرحمانه
ومنه قول رؤبة بن العجاج ۞ يا منزل الرحم على ادريسا ومنزل
اللعن على ابليسا ۞ وقرا ابن عامر رحما بضم الحا وقرا الباقون بسكونها
واختلف عن ابي عمرو وقرا ابن عباس رحما ازكا منه واقرب رحما وروي عن
ابن جريج انهما بدلا غلاما مسلما وروي عنه انهما بدلا جارية وحكى النقاش
ولدت هي وذريتها سبعين نبيا وذكره المهدوي عن ابن عباس وهذا بعيد ولا
تعرف كثرة الانبيا الا في بني اسرائيل وهذه المراة لم تكن منهم وروي عن ابن جريج
ان ام الغلام يوم قتل كانت حاملا بغلام مسلم ۞ وقوله واما الجدار
فكان لغلامين هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتم وقد قال
عليه السلم لا يتم بعد بلوغ هذا الظاهر وقد يحتمل ان يبقى عليهما اسم اليتم
بعد البلوغ اي كانا يتيمين على معنى الاشفاق عليهما واختلف الناس في الكنز
فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما وقال ابن عباس كان علما في صحف مدفونة

وقال

وقال عمر مولى غفرة كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجبا للموقن بالرزق كيف يتعب
وعجبا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت كيف يفرح ونحو
هذا ذوي ثماني معناه ۞ وقوله وكان ابوهما صالحا ظاهر اللفظ والسابق
منه انه والدهما دنية وقيل هو الاب السابع وقيل العاشر فحفظا به وان
لم يذكرا بصلاح وفي الحديث ان الله يحفظ الرجل الصالح في ذريته وجاء في ابنا
للخضر عليه السلم في اول قصة فاردت ان اعيبها وفي الثانية فاردنا وفي الثالثة
فاراد ربك وانما انفرد في الاولى في الارادة لانها لفظة عيب فلم يرد تادبا اسنادها
الا الى نفسه اذ هو معنى نقص كما تادب الخليل عليه السلم في قوله واذا مرضت فهو
يشفين فاسند الفعل قبل وبعد الى الله واسند الى نفسه اذ هو معنى نقص
ومصيبة وهذا المنزع يطرد في فصاحة القران كثيرا الا ترى الى تقديم فعل
البشر في قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم فعل الله في قوله ثم
تاب عليهم ليتوبوا وانما قال الخضر في الثانية فاردنا لانه امر كان قد راه
هو واصحابه الصالحون وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين وتمني التبديل
لهما وانما اسند الارادة في الثالثة الى الله لانها في امر مستانف في الزمن طويل
غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله وان كان الخضر قد اراده ايضا
لاعلام الله له انه يريده فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا
المقصر والله اعلم ۞ والاشد كمال الخلق والعقل واختلف الناس في قدر ذلك من
السن فقيل خمسة وثلثون وقيل ستة وثلثون وقيل اربعون وقيل غير هذا مما
فيه ضعف ۞ وقول الخضر وما فعلته عن امري يقتضي انه نبي وقد اختلف
الناس فيه فقيل هو نبي وقيل هو عبد صالح وليس بنبي وكذلك جمهور الناس على ان
الخضر مات وتقول فرقة انه حي لانه شرب من عين الحياة وهو باق في الارض وانه
يحج البيت وغير هذا وقد اطنب النقاش في هذا المعنى وذكر في كتابه اشياء كثيرة
عن علي بن ابي طالب وغيره وكلها لا تقوم على ساق ولو كان الخضر حيا يحج لكان له في

حله لاسلام طهور والله العليم بتفاصيل الاشباه ومما يقضي بموت الخضر الان
قوله عليه السلام ارايتكم ليلتكم هذه فانه لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض على راس
مايه سنه منها احد ۝ وقوله ذلك تاويل اي مال وقرات فرقه تستطع
والجمهور تستطيع قال ابو حاتم كذا نقرا نتبع المصحف وانتزع الطبري من
اتصال هذه القصه بقوله لن يجدوا من دونه موئلا ان هذه القصه جلبت على
معنى المثل للنبي ع في قومه اي لاتهتم باملاء الله لهم واجرا النعم لهم على ظاهرها
فان البواطن سايره الى الانتقام منهم ونحو هذا مما هو محتمل لكن بتعسف ما فتامله
قوله عز وجل ويسلونك عن ذي القرنين الايه اختلف فيمن ساله عن هذه القصه
فقيل ساالته طايفه من اهل الكتاب وروى في ذلك عقبه بن عامر حديثا
ذكره الطبري وقيل انما ساالته قريش حين دلتها اليهود على سواله عن الروح والرجل
الطواف وفتيه ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك ۝ وذو القرنين هو الاسكندر
الملك اليوناني المقدوني وقد تشدد قافه فيقال المقدوني وذكر ابن اسحق في كتاب
الطبري انه يوناني وقال وهب بن منبه هو رومي وذكر الطبري حديثا عن النبي عليه
السلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند فيه عن شيخين من تجيب
واختلف الناس في تسميته بذي القرنين فاحسن الاقوال انه كان ذا ضفيرتين
من شعرهما قرناه فسمي بهما ذكره المهدوي وغيره والضفاير قرون الراس ومنه
قول الشاعر ۝ فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف لبرد ما
الحشرج ۝ ومنه الحديث في غسل بنت النبي عليه السلم قالت ام عطيه
فضفرنا راسها ثلثه قرون وكذا الحج تسميه النواصي قرونا وروي انه كان
اول ملك روي في نومه انه تناول الشمس ويمسك قرنيها بيديه فقص ذلك
فعبر انه سيغلب على ما ذرت عليه وسمي ذا القرنين وقالت فرقه سمي بهذا
لانه بلغ المشرق والمغرب فكانه حاز قرني الدنيا وقالت فرقه انه لما بلغ مطلع
الشمس كشف بالرويه قرنيها فسمي بذلك او قرني الشيطان بها وقال وهب

ب

كان له [illegible]
على قرون راسه

بن منبه سمي بذلك لان جنبتي راسه كانتا من نحاس وقال وهب بن منبه ايضا
كان له قرنان تحت عمامته وهذا كله بعيد وقال علي انما سمي ذا القرنين لانه
ضرب على قرن راسه الاخر فمات فسمي بذلك لانه جرح على قرني راسه
جرحين عظيمين في يومين عظيمين من ايام حربه فسمي بذلك وهذا قريب
والتمكين له في الارض انه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها فروي ان جميع من ملك
الدنيا كلها اربعه مومنان وكافران فالمومنان سليمان بن داود والاسكندر
والكافران نمرود وبخت نصر ۝ قوله واتيناه من كل شي سببا
معناه علما في كل امر واقيسه يتوصل بها الى معرفه الاشيا وقوله كل شي
عموم معناه الخصوص في كل ما يمكن ان يعلمه ويحتاج اليه وثم لا محاله اشيا لم
يوت منها سببا يعلمها به واختلف في ذي القرنين فقيل هو نبي وهذا ضعيف
وقيل هو ملك بفتح اللام وروي عن علي عليه السلم انه سمع رجلا يدعوا اخر يا
ذا القرنين فقال اما كفاكم ان تتسموا باسما الانبيا حتى تتسموا باسما الملايكه
وروي ان النبي عليه السلم سيل عنه فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب
وقيل هو عبد ملك بكسر اللام صالح نصح الله فايده قاله علي بن ابي طالب ايضا
وقال فيكم اليوم مثله عني بذلك نفسه ۝ وقوله فاتبع سببا قرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو فاتبع بشد التا وقرا عاصم وحمزه والكسائي فاتبع
بسكون التا على وزن افعل قال بعض اللغويين هما بمعنى واحد وكذلك
تبع وقالت فرقه اتبع بقطع الالف هي عباره عن المجد المسرع الحثيث
الطلب واتبع انما يتضمن معنى الاقتفا دون هذه القراين قاله ابو زيد وغيره
واستقرا هذا القايل هذه المقاله من القران كقوله فاتبعه شهاب ثاقب
وكقوله فاتبعهم فرعون وكقوله فاتبعه الشيطان وهذا قول حكاه النقاش
عن يونس بن حبيب واذا تاملت اتبع بشد التا لم يربط لك هذا المعنى
ولابد والسبب هنا هو الطريق المسلوكه لانها سبب الوصول الى المقصد

وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم في عين حمئة على وزن فعلة
اي ذات حمأة وقرأ عاصم في رواية ابي بكر والباقون حامية اي حارة
وقد اختلف فيها معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معوية
حامية فبعثا الى كعب الاحبار ليخبرهم الامر كيف هو في التوراة فقال
لهما اما العربية فانتما اعلم بها مني ولكني اجدها في التوراة انها تغرب في عين
ثاط وهو الطين فلما انفصلا قال رجل لابن عباس لوددت اني حضرت يا
ابا العباس فكنت انجدك بشعر تبع الذي يقول فيه في ذي القرنين ٥

ذكره

فقد كان ذو القرنين جدي مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتحشد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... اسباب امر من حكيم مرشد

فراى مغار الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

فالخلب الطين والثاط الحماة والحرمد الاسود ومن قرا حامية جعلها
الحارة وروى عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى
الشمس وهي تغيب فقال في نار الله الحامية لولا ما يزعها من الله لاحرقت
ما على الارض وروى ابو ذر ان النبي عليه السلم نظر الى الشمس عند غروبها
فقال اتدري اين تغرب يا ابا ذر قلت لا قال انها تغرب في عين حامية
فهذا يدل على العين هنالك حارة حامية وهي قراءة طلحة بن عبيد الله وعمرو
بن العاص وابنه وابن عمر وذهب الطبري الى الجمع بين الامرين وقال يحتمل
ان تكون العين حارة ذات حماة فكل قراءة وصف بصفة من احوالها وذهب
بعض البغداديين الى ان في بمنزلة عند كانها مساميته من الارض فيما
يرى الراي لعين حمئة وقال بعضهم قوله في عين انما المراد ان ذا القرنين كان
فيها اي هي اخر الارض وظاهر هذه الاقوال تخيل والله اعلم قال ابو حاتم
وقد يمكن ان تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حماة فتكون القراءتان بمعنى
واحد واستدل بعض الناس على ان ذا القرنين نبي بقوله قلنا يا ذا القرنين

دعوة قال انه ليس بنبي قال كانت هذه المقالة من الله له بالهام ٥ اما ان تعذب
معناه بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي بالاجبار على الايمان واتباع
الهدى فكانه قيل له هذه لا تعطيها الا احدى خطتين اما ان تكفر فتعذبها
واما ان تؤمن فتحسن اليها وذهب الطبري الى ان اتخاذ الحسن هو الاسر
مع كفرهم فالمعنى على هذا انهم كفروا ولا بد فخيره الله تعالى بين قتلهم او اسرهم
ويحتمل ان يكون الاتخاذ ضرب الجزية ولكن تقسيم ذي القرنين بعد هذا
الامر الى كفر او ايمان يرد هذا القول بعض الرد فتامله **قوله عز وجل**
قال اما من ظلم الاية الظلم في هذه الاية بمعنى الكفر ثم توعد الكافرين بتعذيبه
اياهم قبل عذاب الله وعقب لهم بذكر عذاب الله لان تعذيب ذي القرنين
الاحق عندهم المحسوس لهم اولا قرب نكاية وقال في نعيم المومنين بتقديم فعل
الله الذي هو الاحق عند المومنين والاجر بازاء حيفتهم ثم اعقبه بذكر احسانه
في قول البشر وجعله قولا اذ الافعال كلها خلق الله وكانه سلمها ولم ينازع
تكسبه وقرات فرقة نكرا بضم الكاف وفرقة بسكونها ومعناه المنكر الذي
تنكره الاوهام لعظمه وتستهوله وقرا ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر
وابو عمرو وابن عامر جزاء الحسنى باضافة الجزاء الى الحسنى وذلك يحتمل معنيين
احدهما ان يريد بالحسنى الجنة وهي الجزاء فاضاف ذلك كما يقال دار الاخرة وهي
هي والثاني ان يريد بالحسنى اعمالهم الصالحة في ايمانهم فوعدهم بجزائها وقرا
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم جزاء منونا على المصدر في موضع الحال
والحسنى ابتداء خبره في المجرور يراد بها الجنة وقرا عبد الله بن ابي اسحق جزاء
رفعا منونا وقرا ابن عباس ومسروق جزاء بالنصب بغير تنوين مضافا الى
الحسنى قال المهدوي يجوز حذف التنوين لالتقاء الساكنين ووعدهم بعد
ذلك بانه ييسر عليهم امور دنياهم وقرا ابن القعقاع يسرا بضم السين ٥
قوله ثم اتبع سببا المعنى ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية الى مقصده

بدوس

فهي سبب الوصول وكان ذو القرنين على ما وقع في كتب التواريخ يدوّخ الارض
بالجيوش الثقال والسيوف الحديدة والاعداد الموفي والحزم المنضبط المستبد
والتأييد المتواصل وتقوى الله تعالى اشدّ ولا من عبد بنيه الا دانت له ودخلت
في طاعته وكل من عارضه او توقف عن امره جعله عظة وآية لغيره وله في
هذا المعنى اخبار كثيرة وغرائب تذهب التطويل بها لانها علم تاريخ وقرأ الجمهور
مطلع بكسر اللام وقرأ الحسن بخلاف وابن كثير واهل مكة بفتحها ● والقوم الزنج
قاله قتادة وهم الهنود وما وراءهم وقال الناس في قوله لم نجعل لهم من دونها
سترا معناه ليس لهم بنيان اذ لا تحتمل ارضهم البناء وانما يدخلون من حر الشمس
في اسراب وقيل يدخلون في ماء البحر قاله الحسن وقتادة وابن جريج والزجاج والنقاش
وغيره في هذا المعنى والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم
وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم ولو كان لهم اسراب تغني لكان سترا
كثيفا وانما هم في قبضة القدرة سواء كان لهم اسراب او دور او لم تكن الا ترى ان
الستر عندنا نحن انما هو من السحاب والغمام وبرد الهواء ولو سلط الله علينا
الشمس لاحرقتنا فسبحان المتفرد بالقدرة التامة ● وقوله كذلك معناه
فعل معهم كفعله مع الاولين اهل المغرب فاوجز بقوله كذلك ثم اخبر الله تعالى
عن احاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف من افعاله ويحتمل ان يكون كذلك
استئنافا للقول ولا يكون راجعا على الطائفة الاولى فتأمله والاول اصوب
قوله عز وجل ثم اتبع سببا الآية قرأت فرقة بتشديد التاء وفرقة بتخفيفها
وقد تقدم وهذه الآية تقتضي انه لما بلغ مطلع الشمس اي ادنى الارض من
مطلعها اتبع بعد ذلك سببا اي طريقا آخر فهو والله اعلم اما يمنة واما
يسرة من مطلع الشمس والسدان فيما ذكر اهل التفسير جبلان سدا
مسلك تلك الناحية من الارض وبين طرفي الجبلين فتح هو موضع الردم
قال ابن عباس الجبلان اللذان بينهما السداد ارمينية واذربيجان وقالت

فرقة هما من وراء بلاد الترك ذكره المهدوي وهذا كله غير متحقق وانما
هما في طرف الارض مما في المشرق ويظهر من الفاظ التواريخ انه الى ناحية
الشمال واما تعيين موضع فضعيف وقرأ نافع وعاصم وابن عامر السدين
بضم السين وكذلك سدا حيث وقع وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله
من جميع القرآن وهي قراءة مجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وقرأ ابن كثير بفتح
السين هنا وضم سدا في يس واختلف بعد فقال الخليل وسيبويه الضم هو
الاسم والفتح وقال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد وقال عكرمة وابو عمرو
بن العلاء وابو عبيدة ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه احد بعمل فهو بالضم
وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقرأوا هنا السدين
بالضم وبعد ذلك سدا بالفتح وهي قراءة حمزة والكسائي وحكى ابو حاتم عن ابن عباس
وعكرمة عكس ما قال ابو عبيدة وقال ابن ابي اسحق ما رأته عيناك فهو سدّ
بالضم وما لا يرى فهو السد بالفتح والضمير في دونهما عائد على الجبلين اي وجدهم
في الناحية التي تلي عمارة الناس الى المغرب واختلف في القوم فقيل هم بشر
وقيل جن والاول اصح من وجوه ● وقوله لا يكادون يفقهون قولا عبارة عن
بعد لسانهم عن السنة الناس كلهم لكنهم فقهوا وافهموا بالترجمة ونحوها وقرأ
حمزة والكسائي يُفقِهون من افقه والباقون يَفقَهون من فقه والضمير في
قالوا للقوم الذين من دونهما السدين ● ويأجوج ومأجوج قبيلتان من بني
آدم لكنهم ينقسمون انواعا كثيرة واختلف الناس في عددها فاختصرت ذكرها
لعدم الصحة وفي خلقهم تشويه منهم المفرط الطول ومنهم المفرط القصر على قدر
الشبر واقل واكثر ومنهم صنف عظام الآذان الاذن الواحدة وبرة والاخرى
زعرى يصيف في الواحدة ويشتو في الاخرى وهي تعده واختلف القراء فقرأ
عاصم وحده يأجوج ومأجوج بالهمز والباقون بغير همز فاما من همز فاختلف فقال
فرقة هو اعجمي علتاه في منع الصرف العجمة والتأنيث وقالت فرقة هو معرب من

المصدر

من أن واجج علمناه في منع الصرف التعريف والتأنيث وأما من لم يهمز فإما أن
يراهما اسمين أعجميين وإما أن يسهل من الهمز وقرأ رؤبة بن العجاج آجوج ومأجوج
بهمزة بدل الياء واختلف في إفسادهم الذي وصفوهم به فقال سعيد بن عبد العزيز
هو أكل بني آدم وقالت فرقة إنما كان إفسادهم عندهم متوقعاً أي سيفسدون
فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة إفسادهم هو الظلم والغشم والقتل
وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وهذا أظهر الأقوال لأن الطائفة الشاكية
إنما تشكت من ضرر قد نالها ۝ وقولهم فهل نجعل لك خرجاً استفهام على جهة
حسن الأدب والخرج المجبي وهو الخراج وقال قوم الخرج المال يخرج مرة والخراج
المجبي المتكرر فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالاً يقيم بها أمر السد وقال ابن عباس
خرجاً أجراً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم خرجاً وقرأ حمزة والكسائي خراجاً
وهي قراءة طلحة بن مصرف والأعمش والحسن بخلاف عنه وروي في أمر يأجوج
ومأجوج أن أرزاقهم من التنين يمطرونها ونحو هذا مما لا يصح وروي أيضاً
أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف ولد والأنثى لا تموت حتى يخرج من بطنها
ألف ولد فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا ويروى أنهم يتناكحون في الطرق
كالبهائم وأخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرتها لضعف صحتها ۝ وقوله
ما مكني المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من
خرجكم وأموالكم ولكن أعينوني بقوة الأبدان وبعمل منكم بالأيدي وقرأ ابن كثير
وحده مكنني بنونين وقرأ الباقون بإدغام الأولى في الثانية وهذا من تأييد الله
لذي القرنين فإنه تهدّى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه فإن القوم لو جمعوا
له خرجاً لم يعنه منهم أحد ولوكلوه إلى البنيان ومعونتهم بالقوة أجمل
به وأسرع في انتجاز العمل وربما أربى على الخرج والردم أبلغ من السد إذ السد
كل ما سد به والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم
من ذلك حجاب منيع ومنه ردم ثوبه إذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها

فوق

فوق بعض ومنه قول عنترة هل غادر الشعراء من متردم ۝
أي من قول يركب بعضه على بعض قوله عز وجل آتوني زبر الحديد الآية
قرأ عاصم وحمزة ايتوني بمعنى جيئوني وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر
والكسائي آتوني بمعنى أعطوني وهذا كله إنما هو استدعاء المناولة لا استدعاء
العطية والهبة لأنه قد ارتبط من قوله أنه لا يأخذ منهم الخرج فلم يبق إلا استدعاء
المناولة وإعمال القوة وايتوني أشبه بقوله فأعينوني بقوة ونصب الزبر به على
نحو قول الشاعر ۝ أمرتك الخير ۝ حذف الجار فنصب الفعل وقرأ الجمهور
زبر الحديد بفتح الباء وقرأ الحسن بضمها وكل ذلك جمع زبرة وهي القطعة العظيمة
منه والمعنى فرصفه وبناه حتى إذا ساوى بين الصدفين فاختصر ذلك
لدلالة الظاهر عليه وقرأ الجمهور ساوى وقرأ قتادة سوّى والصدفان الجبلان
المتناوحان ولا يقال للواحد صدف وإنما يقال الصدفان للاثنين لأن أحدهما
يصادف الآخر وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الصاد والدال وشدها
وهي قراءة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بضم
الصاد والدال وهي قراءة مجاهد والحسن وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بضم الصاد
وسكون الدال وهي قراءة أبي رجاء وأبي عبد الرحمن وقرأ الماجشون بفتح الصاد
وضم الدال وقرأ قتادة بفتح الصاد وسكون الدال وكل ذلك بمعنى واحد وهما
الجبلان المتناوحان وقيل الصدفان السطحان الأعليان من الجبلين وهذا
نحو من الأول ۝ وقوله قال انفخوا الآية معناه أنه كان يأمر بوضع طاقة
من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها حتى تحمى ثم يؤتى بالنحاس المذاب أو بالرصاص
أو بالحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة
فإذا التأم واشتد استأنف طاقة أخرى في رصفها إلى أن استوى العمل
وقرأ بعض الصحابة بقطر أفرغ عليه وقال أكثر المفسرين القطر النحاس المذاب
ويؤيد هذا ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول

الله اني رايت سد ياجوج وماجوج قال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة
طريقة صفرا وطريقة حمرا وطريقة سودا فقال عليه السلم رايته وقالت
فرقة القطر الرصاص المذاب وقالت فرقة القطر هو الحديد المذاب
وهو مشتق من قطر يقطر والضمير في قوله اسطاعوا لياجوج وماجوج ٥
وقرات فرقة اسطاعوا بغير تا وبتخفيف الطا وقرات فرقة بتشديد الطا
وفيها تكلف الجمع بين ساكنين ٥ يظهروه معناه يعلوه بصعود فيه
ومنه قوله في الموطا والشمس في حجرتها قبل ان تظهر ٥ وما استطاعوا
له نقبا لبعد عرضه وقوته ولا سبيل سوى هذين اما ارتقا او نقب وروي
ان في طوله ما بين طرفي الجبلين مايه فرسخ وفي عرضه خمسين فرسخا وروي غير
هذا مما لا ثبوت له وروي عنه غير هذا مما لا ثبوت له فاختصرناه اذ لا غنا به
٥ وقوله انفخوا يريد بالاكيار ٥ وقوله اسطاعوا بتخفيف
الطا على قراة الجمهور قيل هي لغة بمعنى استطاعوا وقيل بل استطاعوا
بعينه لكن في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التا فقال اسطاعوا
وحذف بعضهم منه الطا فقالوا استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع
وهي لغة مشهورة وقرا حمزة وحده بتشديد الطا وهي قراة ضعيفة الوجه
قال ابو علي هي غير جايزة وقرا الاعمش فما استطاعوا بالتا في الموضعين
قوله هذا رحمة من ربي القايل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة
عليه والانتفاع به وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة والوعد يحتمل ان يريد به
يوم القيمة ويحتمل ان يريد به وقت خروج ياجوج وماجوج وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر دكا مصدر دك يدك اذا هدم ورض
وقرا عاصم وحمزة والكساي دكا بالمد وهذا على التشبيه بالناقة الدكا
وهي التي لا سنام لها وفي الكلام حذف تقديره فجعله مثل دكا واما النصب
في دكا فيحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لجعل ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق

وينصب

وينصب دكا على الحال وكذلك النصب ايضا في قراة من مد يحتمل الوجهين
والضمير في تركنا لله عز وجل ٥ وقوله يوميذ يحتمل ان يريد به يوم القيمة
لانه قد تقدم ذكره فالضمير في قوله بعضهم على ذلك لجميع الناس ويحتمل
ان يريد بقوله يوميذ يوم كمال السد فالضمير في قوله بعضهم على ذلك لياجوج
وماجوج واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض
كالمولهين من هم وخوف ونحوه فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه
ببعض ٥ وقوله ونفخ في الصور الاية يعني به يوم القيمة فلا احتمال
لغيره ثم تاول الاية كلها في يوم القيمة انسق تاويله ومن تاولها الى قوله
يموج في بعض في امر ياجوج وماجوج تاول القول وتركناهم يموجون دابا
على مر الدهور وتناسل القرون منهم وفيهم ٥ ثم نفخ في الصور فيجمعون
والصور في قول الجمهور وظاهر الاحاديث الصحاح هو القرن الذي
الذي ينفخ فيه للقيمة وفي الحديث ان النبي عليه السلم قال كيف انعم
وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا الجبهة واصغى بالاذن متى يومر
فشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا
الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا ولو اجتمع اهل منى ما اقلوا ذلك القرن
واما النفخات فاسند الطبري الى ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الصور قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية
نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وقال بعض الناس
هما نفختان نفخة الفزع وهي نفخة الصعق ثم الاخرى التي هي للقيام وملك
الصور هو اسرافيل وقالت فرقة الصور جمع صورة وكانه اراد صور البشر
والحيوان نفخ فيها الروح والاول ابين ٥ وقوله وعرضنا جهنم معناه
ابرزناها لهم لتجمعهم وتحطمهم ثم اكد بالمصدر عبارة عن شدة الحال وروي
في هذا حديثا مضمنه ان النار ترفع لليهود والنصارى كانها السراب فيقال

هل لكم في الماء حاجة فيقولون نعم ونحو هذا مما لا صحة له **قوله عز وجل**
الذين كانت اعينهم كناية عن البصاير لان عين الجارحة لا نسبة بينها وبين
الذكر والمعنى الذين فكرهم بينها وبين ذكري والنظر في شرعي حجاب وعليها
غطاء ثم قال انهم كانوا لا يستطيعون سمعا يريد لاعراضهم ونفارهم
عن دعوة الحق وقرا جمهور الناس افحسب بكسر السين بمعنى اظنوا وقرا
علي بن ابي طالب والحسن وابن يعمر ومجاهد وابن كثير بخلاف عنه افحسب بسكون
السين وضم البا لكافيهم ومنتهى غرضهم وفي مصحف ابن مسعود افظن الذين
كفروا وهذه حجة لقراة الجمهور وقال جمهور المفسرين يريد كل من عبد من دون الله
تعالى كالملايكة وعزير وعيسى فيدخل في الذين كفروا بعض العرب واليهود والنصارى
والمعنى ان ذلك ليس كظنهم بل ليس لهم من ولاية هولا المذكورين شي ولا يجدون
عندهم منتفعا ۞ واعتدنا معناه يسرناه ۞ والنزل موضع النزول والنزل
ايضا ما يقدم للضيف او القادم من الطعام عند نزوله ويحتمل ان يراد
بالاية هذا المعنى اي ان المعد لهم بدل النزل جهنم كما قال الشاعر

تحية بينهم ضرب وجيع ۞

المعنى القايم بعد التحية ضرب وجيع صح

ثم قال تعالى قل هل ننبيكم اي قل لهولا الكفرة
على جهة التوبيخ هل نخبركم بالذين خسر عملهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم مع ذلك يظنون انهم يحسنون صنعا فيما يصنعونه فاذا طلبوا ذلك
قيل لهم اوليك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه وقرا ابن وثاب قل سننبيكم
وهذه صفة للمخاطبين من كفار العرب المكذبين بالبعث ۞ وحبطت
معناه بطلت واعمالهم يريد ما كان لهم من عمل خير ۞ وقوله فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا يحتمل ان يريد انهم لا حسنة لهم توزن في موازين القيمة ومن لا
حسنة له هو في النار لا محالة ويحتمل ان يريد المجاز والاستعارة كانه قال
فلا قدر لهم عندنا يومئذ فهذا معنى الاية عندي وروى ابو هريرة ان النبي
عليه السلم قال يوتى بالاكول الشروب الطويل فلا يزن جناح بعوضة ثم تلا

هذه الاية وقالت فرقة ان الاستفهام تم في قوله اعمالا ثم قال هم الذين ضل سعيهم
الاية فقال سعد بن ابي وقاص هم عباد الله اليهود والنصارى واهل الصوامع
والديارات وقال علي بن ابي طالب هم الخوارج وهذا ان صح عنه فهو على جهة
مثال فيمن ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب انه يحسن وروي ان ابن
الكوا ساله عن الاخسرين اعمالا فقال له انت واصحابك ويضعف هذا قوله
اوليك الذين كفروا الاية وليس هذه الطوايف ممن يكفر بلقاء الله وانما هذه صفة
مشركي عبدة الاوثان فتتجه بهذا ما قلناه اولا وعلي وسعد ذكرا قوما اخذوا
بحظهم من صدر الاية ۞ وقوله اعمالا نصب على التمييز وقرا الجمهور بكسر البا
حبطت وقرا ابن عباس وابو السمال بفتحها وقرا كعب بن عجرة والحسن وابو عمرو
ونافع والناس نقيم بنون العظمة وقرا مجاهد بيا الغايب يريد فلا يقيم الله
وقرا عبيد بن عمير فلا يقوم ويلزمه ان يقرا وزن وكذلك قرا مجاهد يقوم لهم
يوم القيمة وزن ۞ وقوله ذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن ۞ وجزاوهم
خبر الابتدا في قوله ذلك ۞ وجهنم بدل منه وما في قوله بما كفروا مصدرية
والهزو الاستخفاف والسخرية **قوله عز وجل** ان الذين امنوا الاية
لما فرغ من ذكر الكفرة والاخسرين اعمالا الضالين عقب بذكر حالة المومنين ليظهر
التباين وفي هذا بعث النفوس على اتباع الحسن القويم واختلف المفسرون
في الفردوس فقال قتادة انه اعلى الجنة وربوتها وقال ابو هريرة انه جبل
يتفجر منه انهار الجنة وقال ابو امامة انه سرة الجنة ووسطها وروى
ابو سعيد الخدري انه تتفجر منه انهار الجنة وقال عبد الله بن الحرث بن كعب
انه جنات الكرم والاعناب خاصة من الثمار وقاله كعب الاحبار واستشهد
قوم لذلك بقول امية بن الصلت ۞

۞ كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة ۞ فيها الفراديس والفومان والبصل ۞

وقال الزجاج قيل ان الفردوس كلمة سريانية وقيل رومية ولم يسمع

بالفردوس في كلام العرب الا في بيت حسان بن ثابت

وان ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد ٥ وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله عز وجل فسلوه الفردوس
وقالت فرقة الفردوس البستان بالرومية وهذا اقتضاب القول في
الفردوس وعيون ما قيل ٥ وقوله لا يبغون عنها حولا اي لا يحتمل الوجهين المذكورين
والحول بمعنى التحول قال مجاهد متحولا ومنه قول الشاعر
لكل دولة اجل ثم يتاح لها حول ٥ وكانه اسم جمع وكان واحده
حوالة وفي هذا نظر وقال الزجاج عن قوم هي بمعنى الحيلة في التنقل وهذا
ضعيف متكلف ٥ واما قوله قل لو كان البحر الى اخر الايه فروي ان سببها
ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تزعم انك نبي الامم كلها ومبعوث
اليها وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وانت مقصر قد سئلت في
الروح ولم تجب فيه ونحو هذا من القول فنزلت الايه معلمة باتساع معلومات
الله وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع ولا نكير فعبر عن
هذا بتمثيل ما يستكثرونه وهو قوله في الايه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس
وهي المعلومات ومعلومات الله عز وجل لا تتناهى والبحر متناه ضرورة
وقرا الجمهور تنفد بالتاء من فوق وقرا عمرو بن عبيد ينفد بالياء وقرا ابن مسعود
وطلحة قبل ان تقضى كلمات ربي ٥ وقوله مددا اي زيادة كذا قرا
الجمهور وقرا ابن عباس وابن مسعود والاعمش ومجاهد والاعرج مددا
والمعنى لو كان البحر مدادا يكتب به معلومات الله تعالى لنفد قبل ان
يستوفيها وكذلك الى ما شئت من العدد لان ما لا يتناهى اكثر منه فليس ببدع
ان اجهل انا شيئا من معلوماته تعالى وانما انا بشر مثلكم لم اعط الا
ما اوحي الي وكشف لي ٥ وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء من تحت ٥

واما غير متناهيه

والباقون

والباقون بالتاء من فوق ٥ وقوله انما انا بشر مثلكم يتبع على الحد انما
يوحى الي وتتمة ما يوحى الي انما الهكم اله واحد وكان كفرهم بعبادة الاصنام
فلذلك خصص هذا الفصل مما اوحي اليه ٥ ثم اخذ في الموعظة والوصاة
البينة الرشد ٥ ويرجوا على بابها وقالت فرقة يرجوا بمعنى يخاف وقد تقدم
القول في هذا اذ المقصد من كان يوقن بلقاء ربه وكل موقن بلقاء ربه فلا
محالة انه بحال التي خوف ورجا فلو عبر بالخوف لكان المعنى تاما على جهة التخويف
والتحذير واذا عبر بالرجا فعلى جهة الاطماع وبسط النفوس الى احسان
الله اي من كان يرجو النعيم المؤبد من ربه فليعمل وبا في الايه بين في الشرك
بالله وقال ابن جبير في تفسيرها لا يرائي في عمله وقد روي حديث انها نزلت
في الريا حين سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن تجاهد ويحب ان يحمده الناس
وقال معاوية بن ابي سفيان هذه اخر اية نزلت من القران ٥

تم الجزء بحمد الله تعالى وكرمه في يوم الاحد تاسع عشر
... الاخر ... وارتوع ... علي يد العبد الضعيف الى
ربه المستغفر ... محمد ...
غفر الله له ولمالكه
ولجميع المسلمين
امين

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الكهف هي مكية في قول جميع المفسرين وروي عن فرقة ان اولها نزل بالمدينة
الى قوله جرزا والاول اصح وهي من افاضل سور القران روي عن النبي عليه السلم انه قال
الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي سورة
هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قراها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة
ثلاثة ايام وفي رواية انس ومن قراها اعطي نورا بين السما والارض ووقي بها فتنة القبر ه
قوله الحمد لله الاية كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله عوجا سكتة خفيفة وعند من فسر ما
في بشر وسبب هذه القراءة في هذه السورة ان رسول الله لما ساله المشركون عن المسايل الثلاث حسب
ما امرتهم به يهود قال لهم غدا اخبركم بجواب سؤالكم ولم يقل ان شا الله فعاتبه الله بان استمسك
الوحي عنه خمسة عشر يوما فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا قد تركه رئيه الذي كان ياتيه
من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه الى غير ذلك فشق ذلك على رسول الله وبلغ منه فلما
انقضى الامد الذي اراد الله عتاب محمد جاءه الوحي من الله بجواب الاسولة وغير ذلك فافتتح الوحي
بحمد الله الذي انزل على عبده الكتاب اي بزعمكم انتم يا قريش وهذا كما تقول لرجل يحب مساءتك فلا
يرى لا نعمة الحمد لله الذي انعم علي وفعل وكذا على جهة النعمة عليه والكتاب هو القران ه قوله
ولم يجعل له عوجا اي لم يزله عن طريق الاستقامة والعوج فقد الاستقامة وهو بكسر العين في الامور
والطرق وما لا يحس متنصبا شخصا وبفتح العين في الاشخاص كالعصا والحايط وغيره قال ابن
عباس معناه ولم يجعله مخلوقا والاية تعم هذا وجميع ما ذكره الناس من انه لا تناقض فيه ومن انه
لا خلل ولا اختلاف فيه ه قوله قيما نصب على الحال من الكتاب فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ
اي انزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذي الحال قوله ولم يجعل له عوجا ذكر الطبري هذا التاويل
عن ابن عباس ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره انزله او جعله قيما وفي بعض مصاحف الصحابة
ولم يجعل له عوجا لكن جعله قيما قاله قتادة ومعنى قيم مستقيم هذا قول ابن عباس والضحاك وقيل
معناه انه قيم على ساير الكتب بتصديقها ذكره المهدوي وهذا محتمل وليس من الاستقامة ويصح
ان يكون معنى قيم قيامه بامر الله على العالم وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين

عم العالم والباس الشديد بعذاب الاخرة ويحتمل ان يندرج معه في النذارة عذاب الدنيا ببدر وغيرها
ونصبه على المفعول الثاني والمعنى لينذر العالم ه قوله من لدنه اي من عنده ومن قبله والضمير
في لدنه عايد على الله وقرا الجمهور بضم الدال والهاء وسكون النون وقرا عاصم في رواية ابي بكر عن عاصم بسكون
الدال واشمامها الضمة وكسر النون والهاء وفي لدن لغات يقال لدن مثل سبع ولدن بسكون الدال ولدن
اللام والدال ولد بفتح اللام والدال وهي لفظة مبنية على السكون ويلحقها حذف النون مع الاضافة
وقرا عبد الله وطلحة ويبشر بفتح اليا وضم الشين ه ان لهم اجرا تقديره بان والاجر الحسن يعني الجنة
ويتقدمه خير الدنيا ه ماكثين حال من الضمير في لهم ابدا ظرف لانه دال على زمن غير متناه وقد
اشرت في تفسير هذه الاية الى امر اليهود قريشا بسؤال النبي عن المسايل الثلاث وينبغي ان نقص كيف كان
ذلك ذكر ابن اسحق عن ابن عباس بسنده انه قال بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
الى احبار يهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم ما
ليس عندنا من علم الانبيا فخرجا حتى اتيا المدينة فسالا احبار يهود عن النبي عليه السلم فقالوا لهم سلوه
عن ثلاث يامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقول فروا فيه رايكم سلوه عن
فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ
مشارق الارض ومغاربها ما كان نباه وسلوه عن الروح فاقبل النضر وعقبة الى مكة وسالوا رسول الله
عن ذلك وكان من الامر ما ذكرناه ه قوله وينذر الذين قالوا الاية اهل هذه المقالة هم اليهود في عزير
والنصارى في المسيح وبعض العرب في الملايكة في به يحتمل ان يعود على القول الذي يتضمنه قالوا المتقدم
ويكون جملة قوله ما لهم به من علم في موضع الحال اي قالوا جاهلين ويحتمل ان يعود على الولد اي لا علم لهم بهذا
الولد الذي ادعوه فتكون الجملة صفة للولد قاله المهدوي وهو معترض لانه لا تصفه الا القايل وهم ليس
في قصدهم ان يصفوه والصواب عندي انه نفي مؤتنف اخبر الله بجهلهم في ذلك فلا موضع للجملة
من الاعراب ويحتمل ان يعود على الله وهذا التاويل اذم لهم واقضى بالجهل التام عليهم وهو قول الطبري
قوله ولا لابائهم يريد الذين اخذ هؤلاء هذه المقالة عنهم وقرا الجمهور كبرت كلمة بالنصب كما تقول
نعم رجلا زيد وفسر الكلمة ووصفها بالخروج من افواههم وقال بعضهم نصبها على التفسير على حد
نصب قوله وساءت مرتفقا وقالت فرقة نصبها على الحال والتقدير كبرت فريتهم ونحوها كلمة وسميت

بعض ح

هذه الكلمات كلمة من حيث هي مقالة واحدة كما يقولون للقصيدة كلمة وهذه المقالة هي قائمة
بالنفس معنى واحدا فيحسن ان تسمى كلمة وقرا الحسن ويحيى بن يعمر وابن محيصن والقواس عن ابن كثير
برفع كلمة على انها فاعلة بكبرت ان اي ما يقولون فهي النافية فلعلك الاية تسلية للنبي عليه السلم
فلعلك توقيف وتقرير بمعنى الانكار عليه اي لا تكن كذلك والباخع نفسه هو مهلكها وجدا وحزنا
على امر ما ومنه قول الشاعر الا ايهذا الباخع الوجد نفسه بشي نحته عن يديه المقادر ٥
يريد نحته فخفف ٥ على اثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار ونا عن الايمان واعراض عن الشرع
فكانهم من فرط ادبارهم قد بعدوا فهو في اثارهم يحزن عليهم ٥ قوله بهذا الحديث اي القران الذي
يحدثك به ٥ اسفا نصب على المصدر قال الزجاج الاسف المبالغة في حزن او غضب والاسف في
هذا الموضع الحزن لانه على من لا يملك ولا هو تحت يد الاسف ولو كان الاسف من مقتدر على من هو في قبضته
وملكه لكان غضبا كقوله فلما اسفونا واذا تاملت هذا في كلام العرب اطرد وذكره منذر بن سعيد
وقال قتادة هنا اسفا غضبا وقال مجاهد اسفا جزعا وقال قتادة ايضا حزنا ومن هذه اللفظة
قول الاعشى ٥ ارى رجلا منكم اسيفا كانما يضم الى كشحيه كفا مخضبا ٥ يريد
حزينا كانه مقطوع اليد ٥ انا جعلنا ما على الارض الاية بسط في التسلية ان لا يهتم للدنيا
واهلها فامرها وامرهم اقل لفنائه وذهابه فانا جعلنا ما عليها زينة وامتحانا واختبارا
واختلف في المراد بما فقال ابن جبير عن ابن عباس المراد الرجال وقاله مجاهد وروى عكرمة
عن ابن عباس ان الزينة الخلفاء والعلماء والامرا وقالت فرقة اراد النعم والملابس والثمار
والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل في هذا الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات
والعقارب وقالت فرقة اراد كل ما على الارض عموما وليس شي الا وفيه زينة من جهة
خلقه وصنعته واحكامه وفي معنى الاية قوله عليه السلم الدنيا خضرة حلوة وان الله
مستخلفكم فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا ٥ وزينة مفعول ثاني او مفعول
من اجله بحسب معنى جعلنا ٥ قوله لنبلوهم ايهم احسن عملا اي لنختبرهم وفي هذا
وعيد ما قال سفيان الثوري احسنهم عملا ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني اتركهم
لها وكان ابي يقول احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان واداء الفرائض واجتناب

المحارم

تفسير سورة مريم عليها السلام

هي مكية باجماع الا السجدة منها فقالت فرقة
هي مكية وقالت فرقة هي مدنية ٥ قوله كهيعص اختلف الناس في الحروف التي في
اوائل السور على قولين فقالت فرقة هو سر الله في القران لا ينبغي ان يعرض له يؤمن
بظاهره ويترك باطنه وقال الجمهور بل ينبغي ان نتكلم فيها ونطلب معانيها فان العرب قد
تاتي بالحرف الواحد دالا على كلمة وليس في كتاب الله ما لا يفهم ثم اختلف هذا الجمهور على
اقوال قد تقدمت مستوفاة في البقرة ونذكر الان ما يخص هذه السورة قال ابن عباس وابن جبير
والضحاك هذه حروف دالة على اسما من اسما الله تعالى الكاف من كبير وقال ابن جبير ايضا
هي من كاف وقال ابن عباس من كريم فتقتضي اقواله انها دالة على كل اسم فيه كاف من اسمايه
قالوا والها من هاد والياء من علي وقيل من حكيم وقال الربيع بن انس هي من يا من يجير ولا يجار
عليه قال ابن عباس والعين من عزيز وقيل من عليم وقيل من عدل والصاد من صادق وقال
قتادة بل كهيعص جملتها اسم للسورة وقالت فرقة هي اسم من اسما الله وروي عن علي بن ابي طالب
عليه السلم انه كان يقول يا كهيعص اغفر لي فهذا يحتمل ان تكون الجملة اسما من اسما الله ويحتمل
ان يريد علي ان ينادي الله بجميع الاسما التي تضمنها كهيعص كانه اراد ان يقول يا كريم يا هادي
يا علي يا عزيز اغفر لي فجمع هذا كله اختصارا في قوله يا كهيعص وقال ابن المستنير وغيره كهيعص
عبارة عن حروف المعجم ونسبه الزجاج الى اكثر اهل اللغة اي هذه الحروف منها ٥ ذكر رحمة
ربك عبده زكريا وعلى هذا يترتب قول من يقول ارتفع ذكر بانه خبر عن كهيعص وهي حروف تهج يوقف
عليها بالسكون وقرا الجميع كاف يا بالفتح والف وقرا نافع الها والياء بين الكسر والفتح ولا يدغم
الدال في الذال وقرا ابن كثير ونافع ايضا بفتح الها والياء وقرا الحسن بن ابي الحسن بضم الها
وفتح الياء وقد روي عنه ايضا ضم الياء وروي عنه انه قرا كاف بضم الكاف قال ابو عمرو الداني
معنى الضم في الها والياء اشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب وقرا ابو
عمرو بكسر الها وفتح الياء وقرا عاصم بكسرها وقرات فرقة باظهار النون من عين وهي قراءة حفص عن
عاصم وهو القياس اذ هي حروف منفصلة وقرا الجميع غيره باخفاء النون جعلوها في حكم الاتصال
وقرا الاكثر باظهار الدال من صاد وقرا ابو عمرو بادغام الدال في الذال من قوله ذكر وقرا ابو جعفر

باصادق

بن القعقاع باظهار هذه الحروف كلها وتخليص بعضها من بعض وارتفع ذكر بما قاله وفيه
بقوله كهيعص وقد تقدم وجه ذلك قال وقد ارتفع على خبر ابتدا تقديره هذا ذكر وقال
وقد ارتفع بالابتدا والخبر مقدر تقديره فيما اوحي اليك ذكر وقرا الحسن بن ابي الحسن وابن يعمر ذكر
بفتح الدال والكاف والرا على معنى هذا المتلو ذكر رحمة بالنصب هذا حكاية ابي الفتح وحكى
ابو عمرو الداني عن ابن يعمر انه قرا ذكر بفتح الذال وتشديد الكاف وكسرها وجزم الرا رحمة
نصبا وعبده نصب بالرحمة ذكر ان رحمة ربك عبده ومن قال في الكلام تقديم وتاخير فقد تعسف
وقرا الجمهور زكريا بالمد وقرا الاعمش ويحيى وطلحة وقوم بالقصر وهما لغتان وفيه لغات
غيرهما قوله نادى معناه بالدعا والرغبة واختلف في معنى اخفايه هذا النداء فقال
ابن جريج ذلك لان الاعمال الخفية افضل وابعد من الريا ومنه قول النبي عليه السلم خير الذكر
الخفي وقال غيره يستحب الاخفا بين العبد ومولاه في الاعمال التي يزكوا بها البشر وفي
الدعا الذي هو في معنى العفو والمغفرة لانه يدل من الانسان على انه خير فاخفاوه ابعد
من الريا واما دعا زكريا وطلبه فكان في امر دنيوي وهو الولد وانما اخفاه لئلا يلومه
الناس في ذلك وليكون على اول امره ان اجيب نال بغيته وان لم يجب لم يعرف احد بذلك
وقيل وصف بالخفا لانه كان في جوف الليل ه ووهن معناه ضعف والوهن في الشخص او
الامر الضعف وقرا الاعمش وهن بكسر الهاء ه واشتعل استعارة للشيب من اشتعال
النار على التشبيه به ه وشيبا نصب على المصدر في قول من راى اشتعل في معنى شاب وعلى
التمييز في قول من لا يرى ذلك بل يراه فعلا اخر فالامر عنده كقولهم تفقات شحما وامتلات
غيظا ه وقوله ولم اكن الاية شكر لله على سالف اياديه عنده معناه اي قد احسنت
الي فيما سلف وسعدت بدعاي اياك فالانعام يقتضي ان يشفع اخره باوله ه قوله
واني خفت الموالي من وراي الاية اختلف الناس في المعنى الذي من اجله خاف الموالي فقال
ابن عباس ومجاهد وقتاده وابو صالح خاف ان يرثوا ماله ولا يرثه الكلالة فاشفق من ذلك
وروى قتادة والحسن عن النبي عليه السلم انه قال يرحم الله اخي زكريا ما كان عليه ممن يرث
ماله وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم

بالدين

بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وفيه انه لا يجوز ان يسال زكريا من يرث ماله اذ الانبيا
لا تورث وهذا يؤيده قول النبي عليه السلم انا معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه فهو صدقة
ويوهن هذا ذكر العاقر والاكثر من المفسرين على انه اراد وراثة المال ويحتمل قوله انا معاشر
الانبيا لا نورث الحديث ان لا يريد به العموم بل على انه غالب امرهم فتامله والاظهر الاليق بزكريا
ان يريد وراثة العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة الا ترى انه انما طلب وليا ولم يخصص
ولدا فبلغه الله امله على اكمل الوجوه وقال ابو صالح وغيره قوله يرثني يريد المال وقوله يرث
من ال يعقوب يريد العلم والنبوة وقال السدي رغب زكريا في الولد ه وخفت من الخوف
هي قراة الجمهور وعليها هو هذا التفسير وقرا عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد
بن العاصي وابن يعمر وابن جبير وعلي بن الحسين وغيرهم بفتح الخا والفا مشددة من خفت وكسر
التا على اسناد الفعل الى الموالي والمعنى على هذا انقطع اولياي وماتوا وعلى هذه القراة
فانما طلب وليا يقوم بالدين والموالي بنو العم والقرابة الذين يلونه بالنسب وقوله
من وراي اي من بعدي في الزمن فهو الورا على ما بيناه في سورة الكهف وقال ابو عبيدة في
هذه الاية اي من بين يدي ومن امامي وهذا قلة تحرير وقرا ابن كثير وراي بالمد والهمز وفتح
اليا وقرا ايضا وراي بالقصر واليا مفتوحة مثل عصاي والباقون همزوا ومدوا وسكنوا
اليا والعاقر من النسا التي لا تلد من غير كبر وكذلك العاقر من الرجال ومنه قول عامر
بن الطفيل ه لبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا جبانا فما عذري لدى كل محضر ه وزكريا
لما راى من حاله انما طلب وليا ولم يصرح بولد لبعد ذلك عنده بسبب المراة ثم وصف
الولي بالصفة التي هي قصده وهو ان يكون وارثا وقالت فرقة بل طلب الولد ثم شرط
ان تكون الاجابة في ان يعيش حتى يرثه تحفظا من ان تقع الاجابة في الولد لكن يخترم فلا يحصل
منه الغرض المقصود وقرا الجمهور يرثني ويرث برفع الفعلين على معنى الصفة
للولي وقرا ابو عمرو والكسائي بجزمهما وهذا على مذهب سيبويه ليس هو جواب هب وانما
تقديره ان تهبه يرثني والاول اصوب في المعنى لانه طلب وارثا موصوفا ولضعف الجزم انه
ليس كل موهوب يرث وقرا علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهما يرثني وارث من ال

قال ابو الفتح هذا هو التجريد المستعذب يرثني منه او به وارث وقرا مجاهد يرثني ويرث نصب
الفعلين وقرات فرقة يرثني او يرث من آل يعقوب على التصغير ه قوله من آل
يعقوب يريد منهم الحكمة والحبورة والعلم والنبوة والميراث في هذه الاية كلها استعارة
ورضيا معناه مرضيا وهو فعيل بمعنى مفعول ه قوله يا زكريا المعنى قيل له باثر دعائه
يا زكريا انا نبشرك بغلام يولد لك اسمه يحيى وقرا الجمهور نبشرك مشددة الشين وقرا
اصحاب ابن مسعود بالتخفيف وضم الشين قال قتادة سمي يحيى لان الله احياه بالنبوة
والايمان وقال بعضهم لان الله احيى به الناس بالهدى ه قوله سميا معناه في اللغة
لم يجعل له مشاركا في هذا الاسم اي لم يتسم قبل يحيى وهذا قول مجاهد وقتادة وابن عباس
وابن اسلم والسدي وقال غيرهم سميا معناه مثيلا ونظيرا وهذا كانه من المساماة والسمو
وفي هذا بعد لانه لا يفضل على ابرهيم وموسى اللهم الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر وقال
ابن عباس لم تلد العواقر مثله ه وقوله انى يكون لي غلام اختلف الناس فيه فقالت فرقة
انما طلب الولي دون تخصيص ولد فلما بشر بالولد استفهم عن طريقه مع هذه الموانع منه
وقالت فرقة انما كان طلب الولد وهو بحال يرجو الولد فيها بزواج غير العاقر او بالتسري
فلم تقع اجابته الا بعد مدة طويلة صار فيها الى حال من لا يولد له فحينئذ استفهم واخبر
عن نفسه بالكبر والعتو فيه وقالت فرقة بل طلب الولد فلما بشر به لحقه من الوصول
الى هذا ولم تغذ الفرح به لانه بعد عنده هذا في قدرة الله والعتي والعسي المبالغة
في الكبر او يبس العود او شيب الراس او عقيدة ما او نحو هذا وقرا حمزة والكسائي بكسر
العين والباقون بضمها وقرا ابن مسعود بفتحها وحكى ابو حاتم ان ابن مسعود قرا عسيا
بضم العين وبالسين حكاها الداني عن ابن عباس ايضا وحكى الطبري عن ابن عباس انه قال
ما ادري اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر والعصر ولا ادري اكان يقرا
عتيا او عسيا وحكى الطبري عن السدي انه قال لما نادى جبريل زكريا عليهما السلم ان الله
يبشرك بيحيى لقيه الشيطان فقال له ان ذلك الصوت لم يكن للملك وانما كان للشيطان
فحينئذ قال زكريا انى يكون لي غلام ليثبت ان ذلك من عند الله وزكريا هو من ذرية هارون عليه

بغلام اسمه

السلم

السلم وقال قتادة جرى له هذا الامر وهو ابن بضع وسبعين سنة وقيل ابن سبعين سنة
وقال الزجاج ابن خمس وستين سنة فقد كان غلب على ظنه انه لا يولد له ه قوله قال
كذلك قيل المعنى قال له الملك كذلك فليكن الوجود كما قيل لك قال ربك خلق الغلام
عليه هين اي غير بديع كما خلقتك من قبل واخرجتك من عدم الى وجود كذلك افعل
الان وقال الطبري معنى قوله كذلك اي الامر ان تلد ذكرت في المراة العاقر
والكبرة هو كذلك ولكن قال ربك والمعنى قال الملك كذلك اي على هذه الحال قال ربك هو علي
هين وقرا الجمهور وقد خلقتك وقرا حمزة والكسائي خلقناك ه قوله ولم تك شيئا اي
موجودا فقال زكريا رب اجعل لي اية علامة اعرف بها صحة هذا وكونه من عندك
وروي ان زكريا لما عرف ثم طلب الاية بعد ذلك عاقبه الله بان اصابه بذلك السكوت
عن كلام الناس وذلك وان لم يكن عن مرض وخرس ونحوه ففيه على كل حال عقاب ما
وروي عن ابن زيد ان زكريا لما حملت زوجته منه بيحيى اصبح لا يستطيع ان يكلم احدا
وهو مع ذلك يقرا التوراة ويذكر الله فاذا اراد مقاولة احد لم يطقه ويحتمل على هذا
ان يكون قوله اجعل لي اية معناه علامة اعرف بها ان الحمل قد وقع وبذلك فسر الزجاج
ومعنى قوله سويا فيما قال الجمهور صحيحا من غير علة ولا خرس وقال ابن عباس ايضا ذلك عائد
على الليالي اراد كاملات مستويات ه قوله فخرج على قومه المعنى ان الله اظهر
الاية بان خرج زكريا من محرابه وهو موضع مصلاه والمحراب ارفع المواضع والمباني اذ هي
تحارب من ناواها ثم خص بهذا الاسم مبنى الصلاة وكانوا يتخذونها فيما ارتفع من الارض واختلف
الناس في اشتقاقه فقالت فرقة هو ماخوذ من الحرب كان ملازمه يلقى منه
حربا وتعبا ونصبا وفي اللفظ بعد هذا نظر ه قوله فاوحى قال قتادة وابن
منبه كان ذلك بالاشارة وقال مجاهد بل بان كتبه في التراب ع وكلا الوجهين وحي ه
ان سبحوا ان مفسرة بمعنى اي وسبحوا قال قتادة معناه صلوا والسبحة الصلاة وقالت
فرقة بل امرهم بذكر الله وقول سبحان الله وقرا طلحة ان سبحوه بضمير وباقي الاية بين ويقال
وحى واوحى بمعنى واحد ه قوله يا يحيى المعنى فولد له وقال الله تعالى للمولود يا يحيى وهذا

احتصارا لما يدل الكلام عليه والكتاب التوراة بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى ولم يكن الانجيل
عند الناس موجودا ، وقوله بقوة اي العلم به والحفظ له والعمل به والالتزام للوازمه
ثم اخبر تعالى فقال واتيناه الحكم صبيا واختلف في الحكم فقالت فرقة الاحكام والمعرفة بها وصبيا
يريد شابا لم يبلغ حد الكهول وقال الحسن الحكم النبوة وفي لفظة صبي على هذا تجوز واستصحاب
حال وقالت فرقة الحكم الحكمة وروى معمر في ذلك ان الصبيان دعوه وهو طفل الى اللعب فقال
ما للعب خلقت ، فتلك الحكمة التي اتاه الله وهو صبي وقال ابن عباس من قرا القران من قبل
ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكم صبيا ، قوله وحنانا عطف على قوله صبيا اي وجعل
حنانا منا وزكاة له والحنان الرحمة والشفقة والمحبة قاله جمهور المفسرين وهو تفسير
اللغة وهو فعل من افعال ومنه قال حنانك وحنانيك فقيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل
حنانيك تثنية الحنان وقال عطاء بن ابي رباح حنانا من لدنا بمعنى تعظيما من لدنا
والحنان في كلام العرب ايضا ما عظم من الامور في ذات الله ومنه قول زيد بن عمرو
بن نفيل في خبر بلال بن رباح والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره ويروى قتله حنانا
وقد روى عن ابن عباس انه قال والله ما ادري ما الحنان ، والزكاة هي التطهير والتنمية
في وجوه الخير والبر والتقي بمعنى تقوى الله وروى في تفسير هذه الاية من طريق عبد
الله بن عمرو عن النبي عليه السلام انه قال كل بني ادم ياتي يوم القيمة وله ذنب الا ما كان من
يحيى بن زكريا وقال قتادة ان يحيى لم يعص الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولا هم بامراة وقال
مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان للدمع في خده مجاري ثابتة ومن الشواهد في
الحنان قول امرى القيس ، ويمنعها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان ،
وقال النابغة ، ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض ،
وقال الاخر ، حنان ما اتى بك ها هنا اذو نسب ام انت بالحي عارف ، قوله
وبرا بوالديه هو الكثير البر والجبار المتكبر كانه يجبر الناس على اخلاقه والغلظة والجبارة
العظيمة والعصي اصله عصوي فعول بمعنى فاعل وروى ان يحيى لم يواقع معصية
قط صغيرة ولا كبيرة ، قوله وسلام قال الطبري وغيره معناه امان ، والاظهر عندي

انا

النحية المعروفة فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان
عنه وهي اقل درجاته وانما الشرف في ان يسلم الله عليه وتحيته في المواطن التي الانسان
فيها في غاية الضعف والحاجة والفقر الى الله وعظيم الهول وذكر الطبري عن الحسن ان
عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع لي فانت خير مني فقال له
عيسى بل انت ادع لي فانت خير مني سلم الله عليك وانا سلمت على نفسي ع قال ابي
انتزع بعض العلما من هذه الاية في التسليم فضل عيسى بان قال ادلاله في التسليم على
نفسه ومكانته من الله التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل اعظم في
المنزلة من ان يسلم عليه ولكل وجه ، قوله واذكر في الكتاب مريم هذا ابتدا
قصة ليست من الاولى والخطاب لمحمد عليه السلام والكتاب القران ومريم هي بنت
عمران ام عيسى اخت ام يحيى عليهما السلام والانتباذ التنحي واختلف الناس لم انتبذت
فقال السدي لتطهر من الحيض وقال غيره لتعبد الله وهذا احسن لان مريم كانت وقفا
على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك ، قوله شرقيا
يريد في جهة الشرق من مساكن اهلها وسبب كونه في الشرق انهم كانوا يعظمون جهة المشرق من
حيث تطلع الانوار وكانت الجهات الشرقية من كل شي افضل من سواها حكاه الطبري
وحكى عن ابن عباس انه قال اني لاعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة لقوله تعالى اذ
انتبذت الاية فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة وقال بعض الناس الحجاب هي اتخذته لتستتر
به عن الناس لعبادتها قال السدي كان من جدران وقيل من ثياب وقال بعض المفسرين
اتخذت المكان بشرقي المحراب ، والروح جبريل عليه السلام وقيل عيسى حكى الزجاج القولين
قال انه جبريل قدر الكلام فتمثل هو لها ومن قال انه عيسى قدر الكلام فتمثل الملك لها قال
النقاش ومن قرا روحنا مشددة النون جعله اسم ملك من الملايكة ولم ار هذه القراءة
واختلف الناس في نبوة مريم فقيل كانت نبية بهذا الارسال والمحاورة وقيل لم تنبا وانما
كلمها مثال بشر ورويتها للملك كما رئي جبريل في صفة دحية وفي سؤاله عن الايمان والاسلام
والاول اظهره قوله قالت اني اعوذ بالرحمن منك قالت مريم للملك الذي تمثل لها بشرا

لما رأته قد خرق الحجاب الذي اتخذته فأساءت به الظن أعوذ بالرحمن منك إن كنت ذا
تقى قال أبو وائل علمت أن التقي ذو نهية قال وهب بن منبه تقي رجل فاجر كان في ذلك
الزمان في قومها فلما رأته متسورا عليها ظنته إياه فاستعاذت بالرحمن منه حكى هذا مكي
وغيره وهو ضعيف ذاهب مع التخرص فقال لها جبريل إنما أنا رسول ربك لأهب لك جعل الهبة
من قبله لما كان الإعلام بها من قبله كذا قرأ الجمهور وقرأ أبو عمرو ونافع ليهب بالياء أي ليهب الله لك
واختلف عن نافع وفي مصحف ابن مسعود ليهب الله لك فلما سمعت مريم ذلك واستشعرت
استفهمت عن طريقه وهي لم يمسها بشر بنكاح ولم تك زانية وهي البغي المجاهرة المشتهرة
في الزنا فهي طالبة له بغوي على وزن فعول كبتول وفتول ولو كانت فعيلا لقوي أن
يلحقها هاء التأنيث فيقال بغية ه قوله قال كذلك المعنى قال لها الملك كذلك هو
كما وصفت ولكن قال ربك ويحتمل أن يريد على هذه الحال قال ربك والمعنى متقارب والآية
العبرة المعرضة للنظر والضمير في لنجعله عائد للغلام ورحمة منا معناه طريق هدى لعالم
كثير فينالون الرحمة بذلك ثم أعلمها بأن الأمر قد قضي وانحتم والأمر هنا واحد الأمور وليس بمصدر
أمر يأمر وروي أن جبريل حين قال لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها فسرت النفخة بإذن الله حتى

جيبه م

حملت منها قاله وهب بن منبه وغيره وقال ابن جريج نفخ في جيب درعها وكمها وقال أبي بن
كعب دخل الروح المنفوخ من فمها فذلك قوله فحملته أي الغلام ويذكر أنها بنت ثلاث عشرة سنة
فلما أحست بذلك وخافت تعنيف الناس وأن يظن بها الشر انتبذت به أي تنحت مكانا
بعيدا حياء وفرارا على وجهها وروي في هذا أنها فرت إلى موضع يعرف ببلاد مصر ونحوها
قاله وهب بن منبه وروي أنها خرجت إلى موضع يعرف ببيت لحم وبينه وبين إيلياء أربعة أميال
فأجاءها معنى اضطرها وهو تعدية جاء بالهمز وقرأ شبل بن عزرة وروي عن عاصم فاجأها
من المفاجأة وفي مصحف أبي بن كعب فلما أجاءها المخاض وقال ——— زهير ه
وجار سار معتمدا إليكم أجاءته المخافة والرجاء ه وقرأ الجمهور المخاض بفتح الميم وقرأ ابن
كثير فيما روي عنه بكسرها وهو الطلق وشدة الولادة وأوجاعها وروي أنها بلغت إلى موضع
كان فيه جذع نخلة بال يابس في أصله مذود بقرة على جرية ماء فاشتد بها الأمر هنالك

واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها
لما رأته من الآلام والتغرب وإنكار قومها وصعوبة الحال من غيرها وجه يا ليتني مت
ولم يجر على هذا القدر وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة وعاصم وأبو عمرو مُت بضم الميم
والأعرج وطلحة ويحيى والأعمش مِت بكسرها واختلف عن نافع وتمنت الموت مريم من جهة
الدين إذ خافت أن يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك وهذا مباح وعلى هذا
الحد تمناه عمر بن الخطاب وجماعة من الصالحين ونهي النبي عليه السلام عنه أي الموت إنما
هو لضر نزل بالبدن وقد أباحه عليه السلام في قوله يأتي على الناس زمن يمر الرجل بقبر الرجل فيقول
يا ليتني مكانه ع لا ما في الزمان من يذهب بالدين ه وكنت نسيا منسيا أي شيئا متروكا
محتقرا والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذي شأنه أن ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد
والحبل للمسافر ونحوه ويقال بفتح النون وكسرها وهي قراءة الجمهور وقرأ حمزة وحده بالفتح
واختلف عن عاصم وبها قرأ طلحة ويحيى والأعمش وقرأ محمد بن كعب القرظي نسئا بكسر
النون وقرأها كذلك نوف البكالي إلا أنه فتح النون وحكاها أيضا أبو الفتح والداني عن
القرظي وقرأ بكر بن حبيب بفتح النون وتشديد من غير همز قال الشنفرى ه ا،
ه كأن لها في الأرض نسيا تقصه إذا ما عنت وإن تحدثك تقلب ه وحكى الطبري
في قصص مريم أنها لما حملت بعيسى حملت أيضا أختها بيحيى فجاءتها أختها زائرة فقالت يا مريم
أشعرت أني حملت فقالت لها أختها وإني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك

مريم اشعرت انت
اني حملت قالت الكلام

أنه روي أنها أحست جنينها يخر برأسه إلى ناحية بطن مريم قال السدي فذلك قوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله وفي هذا كله ضعف فتأمله وذكر الطبري أن مريم خرجت
فارة مع رجل من بني إسرائيل يقال له يوسف النجار كان يخدم معها المسجد وطول في ذلك
ما اختصرته لضعفه وهذه القصة تقتضي أنها حملت واستمرت حاملا على عرف البشر واستحيت
من ذلك ومرت بسببه وهي حامل وهو قول جمهور المتأولين وروي عن ابن عباس أنه قال
ليس إلا أن حملت فوضعت في ساعة واحدة والله أعلم وظاهر قوله فأجاءها المخاض يقتضي
أنها كانت على عرف النساء وتظاهرت الروايات أنها ولدته لثمانية أشهر ولذلك قيل لا

يعيش ابن ثمانية اشهر حفظا لخاصة عيسى وقيل ولدته لسبعة وقيل لستة ٥ قوله
فناداها الاية من تحتها قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر وابن عباس والحسن
وزر بن حبيش ومجاهد والجحدري وجماعة من على انها فاعل نادي والمراد عيسى
اي ناداها المولود وقاله مجاهد والحسن وابن جبير وابي كعب وقال ابن عباس المراد
من جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وقال علقمة والضحاك ومجاهد وقتادة
ففي هذه اية لها وامارة ان هذا من الامور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم الا
سيما والمنادي عيسى فانه يتبين عذر مريم ولا يبقى بها استرابة فلذلك ٥ كان النداء
ان لا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم والبراء بن عازب والضحاك
وعمرو بن ميمون واهل المدينة واهل الكوفة وابن عباس ايضا والحسن بكسر الميم على
انها لابتداء الغاية ولختلفوا فقال بعضهم المراد عيسى وقالت فرقة المراد جبريل
المجاوب لها قبل قالوا وكان في بقعة من الارض اخفض من البقعة التي كانت عليها والاول
اظهر وابين وعليه كان الحسن بن ابي الحسن يقسم وقرا علقمة وزر بن حبيش من تحتها
وقرا ابن عباس فناداها ملك من تحتها ٥ قوله الا تحزني تفسير النداء فان مفسرة بمعنى
اي والسري من الرجال العظيم الخالص السيد والسري ايضا الجدول من الماء بحسب
هذا اختلف الناس في هذه الاية فقال قتادة وابن زيد اراد جعل تحتك عظيما من الرجال
له شان وقال الجمهور اشار لها الى الجدول الذي كان قرب جذع النخلة وروى ان الحسن
فسر الاية فقال اجل لقد جعله سريا كريما فقال حميد بن عبد الرحمن الحميري يا ابا سعيد انما يعني
بالسري الجدول فقال الحسن لهذه واشباهها احب قربك ولكن غلب علينا الامراء ومن الشاهد
فيه قول لبيد ٥ فتوسطا عرض السري وصدعا ٭ مسجورة متجاورا قلامها ٥
ثم امرها بهز الجذع اليابس لترى اية اخرى في احيا موات الجذع وقالت فرقة بل كانت
النخلة مطعمة رطبا وقال السدي كان الجذع مقطوعا واجرى تحتها النهر لحينه والظاهر
من الاية ان عيسى هو المكلم لها وان الجذع كان يابسا وعلى هذا يكون ايات تسليها وتسكن
اليها والباء في قوله بجذع زايدة موكدة قال ابو علي كما يقال الغي بيده اي الغي يده ع وفي هذا

المبالغة عندي نظر وانشد الطبري ٥ بواد يمان ينبت السدر صدره ٭ واسفله بالمرخ والشبهان ٥
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم والجمهور من الناس بفتح التاء
وشد السين وقرا البراء بن عازب والاعمش بالياء يريد الجذع وقرا حمزة وحده بفتح التاء وفوق
وتخفيف السين وهي قراءة مسروق وابن وثاب وطلحة وابي عمرو بخلاف وقرات فرقة بالياء
من تحت على ما تقدم من ارادة النخلة او الجذع وقرا عاصم في رواية حفص تساقط بضم التاء
وكسر القاف مخففة وقرا ايضا تسقط وحكى ابو علي في الحجة انه قرئ يساقط بالياء وروي عن
مسروق تسقط بضم التاء وسكون السين وكسر القاف وكذلك عن ابي حيوة وعنه ايضا بفتح الياء
وضم القاف رطب جني رفعا بهما واما نصب رطب فيختلف بحسب معاني القراءات المذكورة
فمرة يستند الفعل الى الجذع ومرة الى الهز ومرة الى النخلة وجنيا معناه قد طابت وصلحت للاجتناء
وهو من جنيت الثمرة وقرا طلحة بن سليمان بكسر الجيم وقال عمرو بن ميمون ليس شيء للنفساء خير من
التمر والرطب وقال محمد بن كعب كان رطب عجوة وقد استدل بعض الناس من هذه الاية على ان الرزق
وان كان محتوما فان الله قد وكل ابن ادم الى سعي ما فيه لان مريم امرت بهز الجذع لترى اية وكانت
الاية تكون مع ان لا تهز هي وحكى الطبري ان ابن زيد قال لها عيسى لا تحزني فقالت وكيف لا احزن
وانت معي لا ذات زوج ولا مملوكة اي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت الاية فقال لها انا اكفيك
الكلام ٥ وقوله فكلي واشربي وقري عينا قرا الجمهور بفتح القاف وحكى الطبري قراءة بكسرها
وقرة العين ماخوذة من القر وذلك انه يحكى ان دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس
وضعفت فرقة هذا وقالت الدمع كله سخن وانما معنى قرة العين ان البكاء الذي يسخن العين
ارتفع اذ لا حزن بهذا الامر الذي قرت به العين وقال الشيباني وقري عينا معناه نامي
حضها على الاكل والشرب والنوم وقوله عينا نصب على التمييز والفعل في الحقيقة انما
هو للعين فينقل ذلك الى ذي العين وينصب الذي كان فاعلا على الحقيقة على التفسير ومثله
طبت نفسا وتفقات شحما وتصببت عرقا وهذا كثير وقرا الجمهور ترين واصله ترايين حذفت
النون للجزم ثم نقلت حركة الهمزة الى الراء ثم قلبت الياء الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان
الالف والياء فحذفت الالف فجاء ترين وعلى هذا النحو قول الافوه ٥ اما ترى راسي ازرى به

ثم دخلت النون وانما دخلت النون هنا بتوطيه ما كما توطي لدخولها ايضا لا والقسم وقرا
ابو عمرو فيما روى عنه تري بالهمز وقرا طلحة وابو جعفر وشيبة ترين بسكون اليا وفتح
النون خفيفه قال ابو الفتح وهي شاذة ومعنى هذه الايه ان الله امرها على لسان جبريل
او انها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع
عنها خجلها وتبين الايه فيقوم عذرها وظاهر الايه انها ابيح لها ان تقول هذه الالفاظ
التي في الايه وهو قول الجمهور وقالت فرقه معنى قولي بالاشارة لا بالكلام والا مكان التنافض
بين في امرها وقرا ابن عباس وانس بن مالك نذرت للرحمن وصمت وقال قوم معناه
صوما عن الكلام اذ أصل الصوم الامساك ومنه قول ــــــــ الشاعر خيل صيام ۵
البيت ۵ وقال ابن زيد والسدي كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل والكلام
وقرات فرقه اني نذرت للرحمن صمتا وقرا ابن مسعود من فعل بالنطق والكلام قال
المفسرون امرت مريم بهذا ليكفيها عيسى للاحتجاج ۵ قوله فاتت به قومها روي ان
قومها خرجوا في طلبها فلقوها وهي مقبلة والفري العظيم الشنيع قاله مجاهد والسدي
والكثر استعماله وهو من الفريه فان جا الفري بمعنى المفتري فماخوذ من فريت الاديم للاصلاح
وليس بالبين واما قولهم في المثل جا يفري الفري فمعناه يعمل عملا عظيما من العمل من قول او فعل
مما قصد ضرب المثل له وهو يستعمل فيما يختلق ويفتعل والفري من الاسقيه الجديد وقرا
ابو حيوه شيا فريا بسكون الرا واختلف المفسرون في معنى قوله يا اخت هرون فقالت فرقه
كان لها اخ اسمه هرون لان هذا الاسم كان كثيرا في بني اسرايل تبركا باسم اخي موسى عليهما السلام
وروي المغيرة بن شعبه ان النبي عليه السلم ارسل الى اهل نجران في امر من الامور فقال له النصارى
ان صاحبكم يزعم ان مريم هي اخت هرون وبينهما في المدة ستماية سنة قال المغيرة فلم ادر ما
اقول فلما قدمت على رسول الله ذكرت ذلك له فقال الم يعلموا انهم كانوا يسمون باسما الانبيا
والصالحين فالمعنى انه اسم وافق اسما وقال السدي وغيره بل نسبوها الى هرون اخي موسى لانها
كانت من نسله وهذا كما تقول لرجل من قبيله يا اخا فلان ومنه قول النبي عليه السلام
ان اخا صدا اذن ومن اذن فهو يقيم وقال كعب الاحبار بحضرة عايشة ام المومنين ان مريم ليست

[marginal note:] في التسوية ... الا بان ... ان ... ما ... علي ... مريم ... السلام ... قبل ... المعصوم ... بعض ... وروي ان ...

باخت هرون اخي موسى فقالت عايشه كذبت فقال لها يا ام المومنين ان رسول الله قاله
فهو اصدق وخبر والا فاني اجد من المدة بينهما ستماية سنة قال فسكتت وقال قتادة كان
في ذلك الزمان في بني اسرايل عابد منقطع الى الله يسمى هارون فنسبوها الى اخوته من حيث كانت
على طريقته قيل اذ كانت موقوفة على خدمة البيع اي يا هذه المراة الصالحة ما كنت اهلا لما
اتيت به وقالت فرقه بل كان في ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هرون فنسبوها اليه على جهة
التعيير والتوبيخ ذكره الطبري ولم يسم قايله والمعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعله
فكيف جيت انت بها والبغي التي تبغي الزنا اي تطلبه اصلها بغوي فعول وقد تقدم قوله
فاشارت اليه التزمت ما امرت به من ترك الكلام ولم ترد في هذه الايه انها نطقت باني نذرت
للرحمن صوما وانما ورد انها اشارت فيقوى بهذا قول من قال انما امرها بقولي انما يريد به
الاشارة ويروى انهم لما اشارت الى الطفل قالوا استخفافها بنا اشد علينا من زناها ثم
قالوا لها على جهة التقرير كيف نكلم من كان في المهد صبيا وكان هنا ليس يراد بها المضي لان كل
احد قد كان في المهد صبيا وانما هي في معنى هو ويحتمل ان تكون الناقصة والاظهر انها التامة
وقد قال ابو عبيدة كان هنا لغو وقال الزجاج والفرا من شرطيه في قوله من كان ع ونظير
كان هذه قول ــــــــ رويته أبعد ارواح بكل الغتيره والراس قد كان له شكيره
وصبيا اما خبر كان على تجوز وتخيل في كونها ناقصة واما حال يعمل فيه الاستقرار المقدر في الكلام
وروي ان المهد يراد به حجرامه فقال لهم عيسى من مرقده اني عبد الله الايه وروي انه قام متكيا
على يساره واشار اليهم بسبابته اليمنى والكتاب هو الانجيل ويحتمل ان يريد به التوراة والانجيل
ويكون الاتيا فيهما مختلفا واتاني معناه قضى بذلك وانفذه في سابق حكمه وهذا نحو قوله اتى امر
الله وغير هذا واما الكساي اتاني واوصاني والباقون لا يميلون قال ابو علي الامالة في اتاني احسن
لان في اوصاني مستعليا ومباركا قال مجاهد معناه نفاعا وقال سفين معلم خير وقيل امرا بمعروف
وناهيا عن منكر وقال رجل لبعض العلما ما الذي اعلن من علمي قال الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فانه دين الله الذي بعث به انبياه واسند النقاش عن الضحاك انه قال كان مباركا
معناه قضا للحوايج ع وقوله مباركا يعم هذه الوجوه وغيرها ۵ والصلاة والزكاة قيل هما

المشروعات في البدن والمال وقيل زكوة الرؤوس في الفطر وقيل الصلاة الدعا والزكوة التطهير
من كل عيب ونقص ومعصية وقرأ ذُرّيةً بضم الدال عاصم وجماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
واهل المدينة بكسر الدال وقرأ الجمهور وبرًّا بفتح البا وهو الكثير البر ونصبه عطف على قوله
مباركًا وقرأ ابن نهيك وابو مجلز وجماعة بِرًّا بكسر البا فقال بعضهم نصبه على العطف على
قوله مباركا فكانه قال وذا برّ فانتصب بالمصدر كالعدل ونحوه وقال بعضهم بقوله
اوصاني اي واوصاني بِرًّا بوالدتي حذف الجار كانه يريد واوصاني ببرّ والدتي وحكى
الزهراوي هذه القراءة وبِرٍّ بالخفض عطفا على الزكوة ه وقوله بوالدتي بيان لانه لا
والدة له وبهذا القول برّاها قومها والجبار المتعظم وهي خلق مقرونة بالشقا لانها تجمع الناس
فلا يلقى صاحبها من احد الا مكروها وقال عيسى عليه السلم في غاية التواضع يأكل الشجر
ويلبس الشعر ويجلس على التراب ويأوي حيث جنّه الليل لا مسكن له قال قتادة وكان
يقول سلوني فاني لين القلب صغير في نفسي وقد تقدم ذكر تسليمه على نفسه وادلاله في
ذلك وذكر المواطن التي خصها لانها اوقات حاجة الانسان الى رحمة الله وقال مالك بن انس
في هذه الاية ما اشدها على اهل القدر اخبر عيسى بما قضي من امره وبما هو كائن الى ان يموت
وفي قصص هذه الاية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعوا كلام عيسى اذعنوا وقالوا ان هذا الامر
عظيم وروي ان عيسى انما تكلم في طفولته بهذه الاية ثم عاد الى حالة الاطفال حتى مشى على
عادة البشر وقالت فرقة ان عيسى كان اوتي الكتاب وهو في ذلك السن وكان يصوم ويصلي
وهذا في غاية الضعف ه قوله ذلك عيسى بن مريم المعنى قل يا محمد لمعاصريك من اليهود
والنصارى ذلك الذي هذه قصته عيسى بن مريم وانما قدرنا في الكلام قل يا محمد لان الاية
بعده وان الله ربي وربكم وهذه مقالة بشر وليس يقتضي ظاهر الاية قائلا من البشر سوى محمد عليه
السلم وقد يحتمل ان يكون قوله ذلك عيسى الى قوله فيكون اخبارا لمحمد اعتراضا اثنا كلام عيسى
ويكون قوله وان بفتح الالف عطفا على قوله الكتاب وقد قال وهب بن منبه عهد عيسى اليهم ان الله
ربي وربكم ومن كسر الالف عطف على قوله اني عبد الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ونافع وحمزة والكسائي
وعامة الناس قول الحق وقرأ عاصم وابن عامر وابن ابي اسحق قولَ بنصب اللام على المصدر قاله

منافقته
وكان يحمر
يصوم الدهر
يحرم

عبد الرحمن المقري كان يجالس ضرير ثقة فقال رايت النبي عليه السلم في النوم يقرا قول الحق
نصبًا قال ابو عبد الرحمن وكنت اقرا بالرفع فجئت فصرت اقراهما جميعا وقرا ابن مسعود
قال الله بالاضافة يعني كلمة الله وقرا عيسى قال الحق وقرا نافع والجمهور يمترون بالياء على الحكاية
عنهم وقرا نافع ايضا وابو عبد الرحمن وداود بن ابي هند تمترون بالتاء على الخطاب لهم والمعنى يختلفون
ايها اليهود والنصارى فيقول بعضهم هو لزنية ونحو هذا وهم اليهود ويقول بعضهم هو الله تعالى
فهذا هو امتراؤهم وسياتي شرح ذلك من بعد هذا ه قوله ما كان لله معناه النفي وهذا
هو معنى هذه الالفاظ حيث وقعت ثم ينضاف الى ذلك بحسب حال المذكور اما نهي وزجر كقوله
ما كان لاهل المدينة الاية واما تعجيز كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها واما تنزيه كهذه الاية
وقوله من ولد دخلت من مؤكدة للجحد لتنفي الواحد فما فوقه مما تحتمله نظير هذه العبارة اذا
لم تدخل من وقوله قضى امرا اي واحدا من الامور وليس بمصدر امر يامر ومعنى قضى اوجد
واخرج من العدم وهذه المقاربة في هذه الافعال من مضي واستقبال هي بحسب تجوز العرب
واتساعها وقد تقدم القول في كن فيكون وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وان الله بفتح الالف
وذلك عطف على قوله هذا قول الحق وان الله ربي كذلك وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وان بكسر
الالف وذلك بين على الاستيناف وقرا ابي بن كعب ان الله بكسر الالف دون واو ه قوله
فاعبدوه وقف ثم ابتدا هذا صراط مستقيم اي ما اعلمتكم به عن الله من وحدانيته ونفي الولد
عنه وعن ذلك كما بينته عنه طريق واضح مفض الى النجاة ورحمة الله ه قوله فاختلف الاحزاب
ابتدا اخبار من الله لنبيه بان بني اسرائيل اختلفوا احزابا اي فرقا ه وقوله من بينهم معناه
ان الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين وروي في هذا ان بني اسرائيل جمعوا من انفسهم اربعة
احبار غاية في المكانة والجلالة عندهم وطلبوهم ان يبينوا امر عيسى فقال احدهم عيسى هو الله نزل
الى الارض فاحيى من احيى وامات من امات فقال له الثلثة كذبت فاتبعه اليعقوبية ثم قيل
للثلاثة فقال احدهم عيسى ابن الله فقال له الاثنان كذبت واتبعه النسطورية ثم قيل للاثنين فقال
احدهما عيسى احد ثلثة الله اله ومريم اله وعيسى اله فقال له الرابع كذبت واتبعه الاسرائيلية
فقيل للرابع فقال مقالة الاسلام فاتبع كل واحد من الاربعة فريق من بني اسرائيل ثم اقتتلوا فغلب

المومنون وقُتِلوا وظهرت اليعقوبية على الجميع ورُوي انّ في ذلك نزلت ان الذين يكفرون بايات
الله في آل عمران الى قوله اليم ۝ الويل الحرب والثبور وقيل هو واد في جهنم ومَشهد اليوم
العظيم هو مشهد يوم القيمه ويحتمل ان يراد مشهد يوم عظيم يوم قتل المومنون حين اختلف
الاحزاب وقد اشار الى هذا المعنى قتاده ۝ وقوله اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم
يوم يرجعون الينا ويرون ما يصنع بهم من العذاب فان اعراضهم حينئذ تزول ويقبلون على
الحقيقه حيث لا ينفعهم الاقبال عليها وهم في الدنيا صم عمي اذ لا ينفعهم النظر مع اعراضهم قال
لكنهم اليوم في الدنيا في ضلال وهو جهل المسلك والمبين البين في نفسه وان لم يبن لهم وحكى
الطبري عن ابي العاليه انه قال اسمع بهم وابصر هو بمعنى الامر لمحمد عليه السلم اي اسمع الناس
اليوم بهم وابصرهم بمعنى الامر باشاعه حديثهم وماذا يصنع بهم من العذاب اذا اتوا
محشورين مغلوبين ۝ قوله وانذرهم يوم الحسرة الخطاب ايضا فيها لمحمد والضمير في انذرهم لجميع
الناس واختلف في يوم الحسرة فقال الجمهور هو يوم ذبح الموت وفي هذا حديث صحيح وقع في البخاري
وغيره ان الموت يجاء به في صورة كبش املح وفي بعض الطرق كانه كبش املح وقال عبيد بن عمير كانه
دابه فيذبح على الصراط بين الجنه والنار وينادي يا اهل الجنه خلود لا موت ويروى ان اهل النار
يشرئبون اليه خوفا على ما هم فيه والامر المقضي هو ذبح الكبش الذي هو مثال الموت وهذا عند
حذاق العلما كما تقول تدفن الغوايل وتجعل التراب تحت القدم ونحو ذلك وعند ذلك تصيب
اهل النار حسرة لا حسرة مثلها وقال ابن زيد وغيره يوم الحسرة هو يوم القيمه وذلك ان اهل النار
قد حصلوا من اول امرهم في سخط الله وامارته فهم في حال حسرة والامر المقضي على هذا هو الحكم عليهم
بالعذاب وظهور انفاذ ذلك عليهم وقال ابن مسعود يوم الحسرة حين يرى الكفار مقاعدهم التي
فاتتهم من الجنه لو كانوا مومنين ويحتمل ان يكون يوم الحسرة اسم جنس لان هذه حسرات كثيرة في
مواطن عده ومنها يوم الموت ومنها اخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك فقوله نرث تجوز وعبارة
عن فنا المخلوقات وبقا الخالق فكانها وراثه وقرا عاصم ونافع وابو عمرو والحسن والاعمش يرجعون
بالياء وقرا الاعرج ترجعون بالتاء فوق وقرا ابو عبد الرحمن وابن ابي اسحق وعيسى بالياء من تحت ولكن
بكسر الجيم وفتح الياء وحكى عنهم ابو عمرو الداني بالتاء ۝ قوله واذكر يعني واتل وشهر لانّ

رجا ان يخرجوا مما هم
فيه وان اهل الجنه
يشرئبون فرحا

الله هو المذاكر والكتاب هو القران وهذا وشبهه من لسان الصدق الذي ابقاه الله عليهم ۝
والصديق فعيل بناء مبالغة من الصدق وقرا ابو البرهسيم انه كان صادقا والصدق عرفه
في اللسان وهو مطرد في الافعال والخلق الا ترى انه يستعار لما لا يعقل فيقال صدقني الطعام
كذا وكذا قفيزا ويقال عود صدق للصلب فكان ابرهيم عليه السلم يوصف بالصدق على العموم
في اقواله وافعاله وذلك يعرف صدق اللسان الذي يضاد الكذب وابو بكر وصف بصديق
لكثرة ما صدق في تصديقه الحقائق وصدق في مبادرته الى الايمان وما يقرب من الله والصديق
رتبه الا ترى ان المومنين صديقون لقوله اولئك هم الصديقون ۝ قوله يا ابت اختلف
النحاة في التا من ابت فمذهب سيبويه انها عوض من يا الاضافه فالوقف عنده عليها
بالها ومذهب الفراء ان يوقف عليها بالتا لان يا الاضافه عنده منوية وجمهور القراء
على كسر التاء وفي مصحف ابن مسعود وابي يا ابتا وقرا ابن عامر والاعرج وابو جعفر
بفتح التا ووجهها انه اراد يا ابتا فحذف الالف وترك الفتحة دالة عليها ووجه اخر
ان تكون التا المقحمة كالتي في قولهم يا طلحة وفي هذا نظر وقد لحن هرون هذه القراءة ۝ قوله
ما لا يسمع ولا يبصر هو الصنم ولو سمع وابصر كما هي حال الملايكه وغيرهم ممن عبد لم يحسن عبادتهما
لكن بين لهم بنفي السمع والبصر شنعة الراي في عبادتها وفساده ۝ قوله جاني يدل
ان هذه المقاوله هي بعد ان نبي ۝ والصراط السوي معناه الطريق المستقيم وهو طريق
الايمان وقوله يا ابت لا تعبد الشيطان مخاطبه بر واستعطاف على حاله كفره قوله
لا تعبد الشيطان يحتمل ان يكون ابوه ممن عبد الجن ويحتمل ان يجعل طاعة الشيطان ۝
المغوي في عبادة الاوثان والكفر بالله عبادة له والعصي فعيل من عصى يعصي اذا خالف
الامر قوله اخاف ان يمسك قال الطبري وغيره اخاف بمعنى اعلم والظاهر عندي
انه خوف على بابه وذلك ان ابرهيم لم يكن من وقت هذه المقالة يايسا من ايمان ابيه فكان
يرجو ذلك ويخاف ان لا يومن ويتمادى على كفره الى الموت فيمسه العذاب ۝ والولي
الخالص المصاحب القريب النسب او موده قال ازر وهو نازح اراغب انت عن الهتي
والرغبة ميل النفس فقد يكون في الشي وقد يكون عنه وقوله اراغب رفع بالابتدا وانت

فاعل به نبيذ مسد الخبر وحسن ذلك وقويه اعتماد راغب على الف الاستفهام ويجوز
ان يكون راغب خبرا مقدما وانت ابتدا والاول اصوب وهو مذهب سيبويه وقوله
عن الهتي يريد الاصنام وكان فيما روي ينحتها ويجرها بيده ويبيعها ويحض عليها فقوى
ابيه ابرهيم على رغبته عنها على جهة الانكار عليه ثم اخذ بتوعده وقوله لا رجمنك
اختلف فيه المتاولون فقال السدي وابن جريج والضحاك معناه بالقول اي لاشتمنك
واهجرني انت اذا شيت مدة من الدهر او سالما حسب الخلاف الذي سنذكره وقال
الحسن بن ابي الحسن معناه لارجمنك بالحجارة وقالت فرقة معناه لاقتلنك وهذان القولان
بمعنى واحد وقوله اهجرني على هذا التاويل انما يترتب بانه امر على حاله كانه قال
ان لم تنته فتلك بالرجم ثم قال له واهجرني اي مع انتهايك كانه جزم له الامر بالهجرة والا فمع
الرجم لا يترتب الهجرة وقوله مليا معناه دهرا طويلا ماخوذا من الملوين وهما الليل والنهار
هذا قول الجمهور الحسن ومجاهد وغيرهما فهو ظرف وقال ابن عباس وغيره مليا معناه
سليما منا سويا فهو حال من ابرهيم وتلخيص هذا ان يكون بمعنى قوله مستبدا بحالك غنيا
عني مليا بالاكتفا قوله قال سلام عليك قرا ابو البرهسيم سلاما بالنصب واختلف
اهل العلم في معنى تسليمه عليه فقال بعضهم تحيه مفارق وجوزوا تحيه الكافر وان
يبداها وقال الجمهور ذلك التسليم بمعنى المسالمه لا بمعنى التحيه قال الطبري معناه
امنة مني لك وهذا قول الجمهور وهم لا يرون ابتدا الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب
سفيها كما قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ورفع السلام بالابتدا وجاز ذلك مع نكرته
لانها نكرة مخصصة فقربت المعرفه ولانه في موضع المنصوب الذي هو سلمت سلاما وهذا كما يجوز
ذلك فيما هو في معنى الفاعل كقولهم شر ما اهر ذا ناب هذا مثال سيبويه وقوله ساستغفر
لك معناه سادعو الله في ان يهديك فيغفر لك بايمانك وهذا اظهر في ان يتاول على الخليل انه لم
يعلم ان الله لا يغفر لكافر وقد يجوز ان يكون ابرهيم اول نبي اوحي الله اليه انه لا يغفر لكافر لان هذه
العقيدة انما طريقها السمع فكانت هذه المقالة منه لابيه قبل ان يوحى اليه ذلك وابرهيم انما
تبين له في ابيه انه عدو لله باحد وجهين اما بموته على الكفر كما روي واما بان اوحي اليه الحتم عليه

ابرهيم م

وقال جبير يحكي عن السدي اخره بالاستغفار الى السحر وهذا تعسف وانما ذكر ذلك في ابن يعقوب
ونبيه واما هذا فوعد باستغفار كثير موتنف فالسين متمكنه والحفي المهتبل اللطيف
وهذا شكر من ابرهيم لنعم الله تعالى عليه ثم اخبر انه يعتزلهم اي يصير عنهم بمعزل ويروى انهم كانوا
بارض كوثا فرحل ابرهيم حتى نزل بالشام وفي سفرته للشام تلك لقي الجبار الذي اخدم هاجر لساره
وتدعون معناه تعبدون وقوله عسى تبرح في ضمنه خوف شديد قوله فلما اعتزلهم
لا به اخبار من الله لمحمد انه لما رحل عن بلد ابيه وقومه عوضه الله من ذلك اسحق وابن ابنه يعقوب
وجعل له الولد تسلية وشدا لعضده واسحق اصغر من اسمعيل ولما حملت هاجر باسمعيل غارت
ساره فحملت باسحق هذا فيما روي قوله ووهبنا لهم الايه يريد العلم والمنزلة والشرف في الدنيا
والنعيم في الاخرة كل ذلك من رحمة الله ولسان الصدق هو الثنا الباقي عليهم اخر الابد قاله ابن عباس
واللسان في كلام العرب المقاله الذايعه كانت في خير او شر ومنه قول الشاعر
اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا كذب فيها ولا سخر وقال اخر ندمت على لسان فات
وابرهيم ونبيه معظم في جميع الامم والملل قوله واذكر في الكتاب موسى هذا امر من الله بذكر
موسى بن عمران على جهة التشريف له واعلمه بانه كان مخلصا وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعليهم
مخلصا بكسر اللام وهي قراة الجمهور اي اخلص نفسه لله وقرا حمزة والكساي وعاصم بفتح اللام وهي
قراة ابي رزين ويحيى وقتادة اي اخلصه الله للنبوة والعبادة كما قال تعالى انا اخلصناهم
والرسول من الانبيا الذي يكلف تبليغ امة وقد يكون نبي غير رسول قوله وناديناه
هو تكليم الله والطور الجبل المشهور بالشام الايمن صفة للجانب وكانت على يمين موسى بحسب
وقوفه فيه والا فالجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة ولا يوصف بشي من ذلك الا بالاضافة الى ذي
يمين ويسار ويحتمل ان يكون قوله الايمن ماخوذا من اليمن كانه قال الابرك والاسعد فيصح على
هذا ان يكون صفة للجانب وللجبل بجملته وقربناه نجيا قال الجمهور هو تقريب التشريف
بالكلام والنبوة وقال ابن عباس بل ادني موسى من الملكوت ورفعت له الحجب حتى سمع صريف
الاقلام وقاله ميسرة وقال سعيد ارتدف جبريل عليهما السلام والنجي فعيل من المناجاة وهي
المسارة بالقول وقال قتادة نجيا معناه نجا بصدقه وهذا مختل وانما النجي المنفرد بالمناجاة

الخليلم

واو عكرم

وكان هرون اسن من موسى وطلب من الله ان يشد ازره بنبوته ومعونته فاجابه الله الى ذلك
وعدها من نعمه عليه ٥ قوله واذكر في الكتاب اسمعيل هو ايضا من لسان الصدق والرفع
المضمون بقاوه على ان ابرهيم واسمعيل هو ابو العرب اليوم وذلك ان اليمنية والمضرية ترجع
الى ولد اسمعيل وهو الذي اسكنه ابوه بواد غير ذي زرع وهو الذبيح في قول الجمهور وقالت
فرقة الذبيح اسحق والاول يترجح بجهات منها قوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب فولد قد
بشر ابوه به سيكون منه حفيد لهم كيف يؤمر بعد ذلك بذبحه وهذه العلة قد تقدمت وجهة
اخرى وهو ان الذبح لا خلاف بين العلماء انه كان بمنى عند مكة وما روى قط ان اسحق دخل
تلك البلاد واسمعيل بها نشا وكان ابوه يزوره مرارا كثيرة ياتي من الشام ويرجع من يومه على
البراق وهو مركب الانبيا عليهم السلام وجه اخرى وهي قول النبي عليه السلم انا ابن الذبيحين
وهما ابو عبد الله لانه فدي بالابل من الذبح والذبيح الثاني هو ابوه اسمعيل وجه اخرى فهي الايات
في سورة الصافات وذلك انه لما فرغ من ذكر الذبح قال وبشرناه باسحق فترتيب تلك الايات
تكاد تنص على ان الذبيح غير اسحق ووصفه الله بصدق الوعد لانه كان مبالغا في ذلك وروى
انه وعد رجلا ان يلقاه في موضع فجا اسمعيل وانتظر الرجل يومه وليلته فلما كان في اليوم الاخر
جا الرجل فقال له ما زلت هاهنا في انتظارك من امس وفي كتاب ابن سلام انه انتظره سنة وهذا
بعيد غير صحيح والاول اصح وقد فعل نبينا عليه السلم قبل بعثه ذكره النقاش وخرجه الترمذي
وغيره وذلك في مبايعته وتجارته وقيل وصفه بصدق الوعد لوفائه بنفسه في امر الذبح اذ قال
ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال سفين بن عيينة اسوا الكذب اخلاف الميعاد ورمي الابرياء
بالتهم وقال النبي عليه السلم العدة دين فناهيك بفضيلة الصدق في هذا واهله يريد به قومه
وامته قاله الحسن وفي مصحف ابن مسعود يامر قومه ٥ قوله مرضيا اصله مرضويا لقيت
الواو وهي ساكنة اليا فابدلت يا وادغمت ثم كسرت الضاد للتناسب في الحركات وقرا ابن ابي عبلة
مرضوا ٥ قوله واذكر في الكتاب ادريس هو من اجداد نوح عليهما السلم وهو اول نبي بعث
الى اهل الارض فيما روي من بعد ادم وهو اول من خط بالقلم وكان خياطا ووصفه الله بالصدق
والوجه ان يحمل ذلك على العموم في الاحاديث والاعمال هو الياس بعث الى قومه بان يقولوا لا

وامته م

قال ابن مسعود هم

اله

اله الا الله ويعملوا ما شاوا فابوا فاهلكوا وقال الاشهر انه لم يبعث باهلاك امة وانه نبي فقط
واختلف الناس في قوله ورفعناه مكانا عليا فقالت جماعة من العلما هو رفع النبوة والتشريف
والمنزلة وهو في السما كسائر الانبيا وقالت فرقة بل رفع الى السما قال ابن عباس كان ذلك بامر الله
كما رفع عيسى وهنا لكنات وقاله مجاهد الا انه قال ولم يمت وكذلك قال وهب بن منبه
وقال كعب الاحبار لابن عباس كان له خليل من الملايكة فحمله على جناحه وصعد به حتى بلغ السما
الرابعة فلقي هنالك ملك الموت فقال له انه قيل لي اهبط الى السما الرابعة فاقبض فيها روح ادريس
واني لاعجب كيف يكون هذا فقال له الملك الصاعد هذا ادريس معي فقبض روحه وروي ان هذا
كله في السما السادسة قاله ابن عباس وكذلك هي رتبته في حديث الاسرا في بعض الروايات
وحديث انس بن مالك وابي هريرة يقتضي انه في السما الرابعة ٥ قوله اولئك الاية الاشارة
الى من تقدم ذكره ٥ قوله من ذرية ادم يريد ادريس ونوحا وممن حملنا مع نوح ابرهيم ومن
ذرية ابرهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ومن ذرية اسرايل موسى وهرون وزكريا ويحيى ومريم
وممن هدينا الان هدي الله قد نال ذو عن هولا واجتبينا معناه اخترنا واصطفينا وكانه من جبيت
الما اذا جمعته ومنه جبيت المال وكان جابيه يصطفيه وقرا الجمهور اذا تتلى بالتا وقرا نافع وشيبة
وابو جعفر باليا والايات هنا الكتب المنزلة وسجدا نصب على الحال لان مبتدا السجود سجود
وقرا عمر بن الخطاب والجمهور بكيا قالت فرقة هو جمع باك كما يجمع عات وجاث على عتي وجثي
وقالت فرقة هو مصدر بمعنى البكا التقدير وبكوا بكيا واحتج الطبري ومكي لهذا القول بان عمر
بن الخطاب روي انه قرا سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فاين البكي يعني البكا واحتجاجهم
بهذا فاسد لانه يحتمل ان يريد عمر فاين الباكون فلا حجة فيه لهذا وهذا الذي ذكروه عن عمر ذكره ابو حاتم
عن النبي عليه السلام وقرا ابن مسعود ويحيى والاعمش وبكيا بكسر البا وهو مصدر على هذه القراة
لا يحتمل غير ذلك ٥ قوله فخلف من بعدهم خلف الخلف بفتح اللام القرن ياتي بعد اخر يمضي
والابن بعد الاب وقد يستعمل في سائر الامور والخلف بسكون اللام مستعمل اذا كان الاتي مذموما
هذا مشهور كلام العرب وقد ذكر عن بعضهم ان الخلف والخلف بمعنى واحد وحجة ذلك قول الشاعر
٥ لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة تابع ٥ وقرا الجمهور الصلاة بالافراد وقرا الحسن اضا

الله م

عوا

الصلوات وكذلك في مصحف ابن مسعود والمراد بالخلف من كفر او عصى بعد من بني اسرائيل
وقال مجاهد المراد هذا النصارى خلفوا بعد اليهود وقال محمد بن كعب ومجاهد وعطا هم قوم من امة
محمد في اخر الزمان اي يكون في هذه الامة من هذه صفته لا انهم المراد بهذه الاية وروى ابو سعيد
الخدري عن النبي عليه السلم انه قال كان الخلف بعد ستين سنة وهذا اعرف الى يوم القيمة ويتجدد
ايضا المبادي واختلف الناس في اضاعة الصلوة منهم فقال محمد بن كعب القرظي وغيره كانت اضاعة
كفر وجحد وقال القاسم بن مخيمرة وابن مسعود كانت اضاعة اوقاتها والمحافظة على ادائها ذكره
الطبري عن عمر بن عبد العزيز في حديث طويل والشهوات عموم وكل ما ذكر من ذلك فقال والغي
الخسران والحصول في الورطات ومنه قول الشاعر

٥ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ٥ وبه فسر ابن زيد هذه
الاية وقد يكون الغي ايضا بمعنى الضلال فيكون على هذا حذف مضاف تقديره يلقون جزاء الغي
وبهذا فسر الزجاج وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود غي واد في جهنم وبه وقع التوعد في هذه
الاية وقيل غي واثام نهران الا من تاب استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع وقوله وامن يقتضي
الاضاعة اولا هي اضاعة كفر هذا مع اتصال الاستثنا وعليه فسر الطبري وقرا الجمهور يدخلون
بضم اليا وفتح الخا وقرا الحسن كذا في القران بفتح اليا وضم الخا وقوله جنات عدن قرا
جمهور الناس بنصب الجنات على البدل من قوله يدخلون الجنة وقرا الحسن وعيسى بن عمر وابو حيوة
جنات برفعها على تقدير تلك جنات وقرا علي بن صالح جنة على الافراد والنصب وكذلك في مصحف ابن
مسعود وقراها الاعمش جنات العدن وهي الاقامة المستمرة ٥ قوله بالغيب اي اخبرهم
من ذلك بما غاب عنهم وفي هذا مدح لهم على سرعة ايمانهم وبدارهم اذ لم يعاينوا والماتي مفعول
على بابه والاتي هو الاخبار والفعل الذي تضمنه الوعد وكان اتيانه انما يقصد به الوعد الذي
تقدمه وقال جماعة من المفسرين هو مفعول في اللفظ بمعنى فاعل بمعنى آتٍ وهذا بعيد والنظر
الاول اصوب واللغو السقط من القول وهو انواع مختلفة كلها ليست في الجنة ٥ وقوله
الا سلاما استثنا منقطع لكن يسمعون سلاما وهو تحية الملايكة لهم في كل الاوقات ٥ وقوله بكرة
وعشيا يريد في التقدير اي ياتيهم طعامهم مرتين في مقدار اليوم والليلة من الزمن ويروى ان

اهل الجنة تنسد لهم الابواب بقدر الليل في الدنيا فهم يعرفون البكرة عند انفتاحها والعشي
عند انسدادها وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشي ولكن يؤتون على ما كانوا يشتهون في الدنيا
وقد ذكر نحوه قتادة ان تكون مخاطبة بما تعرفه العرب وتستغربه في رفاهية العيش وجعل
ذلك عبارة عن ان رزقهم ياتي على اكمل وجوهه قال الحسن خوطبوا على ما كانت العرب تعلم من افضل
العيش وذلك ان كثيرا من العرب انما كان يجد الطعام المرة في اليوم وهي غايته وكان عيش اكثرهم
من شجر البرية ومن الحيوان ونحوه الا ترى الى قول الشاعر

٥ عصرته نطفة تضمنها لصب تلقى مواقع السبل ٥ او وجبة من جناة اشكله ان لم يرعها
الوجبة الاكلة في اليوم وقرا الجمهور نورث بسكون الواو وقرا الاعمش نورثها وقرا الحسن والاعرج
وقتادة نورث بفتح الواو وتشديد الرا ٥ قوله وما نتنزل الا بامر ربك قرا الجمهور بالنون كان
جبريل عنى نفسه والملايكة عليهم السلام وقرا الاعرج باليا على انه خبر من الله ان جبريل لا يتنزل قال
هذا التاويل بعض المفسرين ويرده قوله ما بين ايدينا لانه لا يطرد معه وانما يتجه ان يكون خبرا من
جبريل ان القران لا يتنزل الا بامر الله في الاوقات التي يقدرها وروت قراة الاعرج بضم اليا وقرات
مسعود الا بقول ربك وقال ابن عباس وغيره سبب هذه الاية ان النبي عليه السلم ابطا عنه جبريل
مرة فلما جاء قال يا جبريل اشتقت اليك افلا تزورنا اكثر مما تزورنا وقال مجاهد والضحاك سببها
ان جبريل تاخر عن النبي عليه السلم عند قوله لقريش غدا اخبركم حتى فرح بذلك المشركون واهم رسول
الله ثم جا جبريل ونزلت هذه الاية في ذلك المعنى فهي كالتي في الضحى وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل
هي عاطفة جملة كلام على اخرى وواصلة بين القولين وان لم يكن معناهما واحدا وحكى النقاش عن قوم ان
قوله وما نتنزل متصل بقوله انما انا رسول ربك لاهب الاية وهذا قول ضعيف قوله له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك لفظ يحتاج الى ثلاثة مراتب واختلف المفسرون فيها فقال ابو العالية
ما بين الايدي الدنيا باسرها الى النفخة الاولى وما خلف الاخرة من وقت البعث وما بين ذلك ما بين
النفختين وقال ابن جريج ما بين الايدي هو ما مر من الزمان قبل ايجاد ما في الضمير وما خلف هو ما بعد
موتهم الى استمرار الاخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة والاية انما المقصد بها الاشعار بملك الله للملايكة
وان قليل تصرفهم وكثيره انما هو بامره وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحد يحده لهم والمراد بما بين ذلك

هم انفسهم ومعاماتهم فلو قيل ذلك لكان وجها كانه قال نحن متعبدون بالعبادة لا نتنزل
ولا نتنزل الا بامر ربك وقال ابن عباس وقتادة فيما روي وما اراه صحيحا عنهما ما بين الايدي
هو الآخرة وما خلف هو الدنيا وهذا يحتمل المعنى الا على التشبيه بالمكان لان ما بين اليد
انما هو ما تقدم وجوده في الزمان بمثابة التوراة والانجيل من القرآن وقول ابي العالية انما
يتصور في بني آدم وهذه المقالة هي للملائكة فتامله ٥ قوله وما كان ربك نسيا اي ممن
يلحقه نسيان ليبعثنا اليك وقت المصلحة به فانما ذلك عن قدر له اي فلا تطلب انت يا
محمد الزيادة اكثر مما شاء الله هذا ما يقتضيه قوة الكلام على التاويل الواحد او فلا تهتم يا محمد
بما جرى ولا تلتفت لفرح المشركين بذلك على التاويل الثاني ونسيا فعيل من النسيان والذهول
عن الامور وقالت فرقة نسيا هنا معناه تاركا وفي هذا ضعف لانه انما نفى النسيان
مطلقا فيلزم ذلك نفي النسيان الذي هو نقص واما الترك فلا ينبغي مطلقا الا ترى قوله
وتركهم في ظلمات وقوله وتركنا بعضهم فلو قال نسيتك او نحوه من التقييد لصح ذلك ان يحمل
على الترك ولا حاجة بنا ان نقول انها التعيير في النية لان المعنى الآخر اظهر وقرا ابن مسعود
وما نسيك ربك وروى ابو الدرداء ان النبي عليه السلم قال ما احل الله في كتابه فهو حلال
وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا عافيته ثم تلا هذه الآية ٥ وقوله رب
بذلك من ملكه ٥ قوله فاعبده واصطبر امر بحمل تكاليف الشرع واشعار بما يصعب منها كالجهاد
والحج والصدقات فهي شريعة تحتاج الى اصطبار اعاننا الله عليها بمنه وقرا الجمهور هل تعلم
باظهار اللام وقرا علي بن نصر عن ابي عمرو بادغام اللام في التا وهي قراءة عيسى والاعمش والحسن
وابن محيصن قال ابو علي ذكر سيبويه ادغام اللام في الطا والتا والدال والثا والصاد والسين
والزاي وقرا ابو عمرو هل ثوب بادغامها في الثا وادغامها في التا احسن لانها ادخل معها في الفم
ومن ادغامها في التا ما روي من قول مزاحم العقيلي ٥ :. فذر ذا ولكن هتعين متيما على ضوء برق
آخر الليل ناصب ٥ وقوله سميا قال قوم وهو ظاهر اللفظ معناه موافقا في الاسم
وهذا احسن فيه ان يريد بالاسم ما تقدم من قوله رب السموات والارض وما بينهما اي هل
تعلم من يسمى بهذا او يوصف بهذه الصفة وذلك ان الامم والفرق لا يسمون بهذا الاسم وثنا ولا شيئا

سوى

سوى الله واما الالوهية والقدرة وغير ذلك فقد يوجد فيها السمي وذلك باشتراك لا بمعنى
واحد وقال ابن عباس وغيره قوله سميا معناه مثلا وشبيها او نحو ذلك وهذا قول حسن وكان
السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو وهذا القول يحسن في هذه الآية ولا يحسن فيما
تقدم في ذكر يحيى ٥ قوله ويقول الانسان الآية روي ان القائل هو ابي بن خلف جاء الى
النبي عليه السلم بعظم رفات ففتته وقال ايبعث هذا وكذب وسخر وقيل ان القائل هو العاص
بن وائل والانسان اسم للجنس يراد به الكافر ويروى ان السبب ان رجالا من قريش كانوا
يقولون هذا ونحوه وقرا الاعرج وابو عمرو أاذا ما مت بالاستفهام الظاهر وقرات فرقة
اذا دون الف استفهام وقد تقدم هذا مستوعبا وقرات فرقة مت بكسر الميم وفرقة بضمها
واللام في لسوف مجلوبة على الحكاية لكلام مضاف معلم هذا المعنى كان قائلا قال للكافر اذا مت
يا فلان لسوف اخرج حيا فقرر الكافر على جهة الاستبعاد وكرر اللام حكاية للقول الاول وقرا
جمهور الناس اخرج بضم الهمزة وفتح الرا وقرا الحسن بخلاف وابو حيوة اخرج بفتح الهمزة وضم الرا ٥
قوله اولا يذكر احتجاج خاطب الله به نبيه رادا على مقالة الكافر وقرا نافع وعاصم وابن عامر
يذكر وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد في الذال والكاف وقرا ابي بن كعب يتذكر
والنشأة الاولى والاخراج من العدم الى الوجود اوضح دليل على جواز البعث من القبور ثم قرر ذلك
واوجبه السمع وفي قوله ولم يك شيئا دليل على ان المعدوم لا يسمى شيئا وقال ابو علي الفارسي
اراد شيئا موجودا وهذه نزعة اعتزالية فتاملها ٥ وقوله فوربك الآية وعيد بان يكون ما
بعده على اصعب وجوهه والضمير في لنحشرنهم عائد على الكفار القائلين ما تقدم ثم اخبر انه يقرن
بهم الشياطين المغوين لهم ٥ وقوله جثيا جمع جاث كقاعد وقعود وجالس وجلوس واصله
جثووا وليس في كلام العرب واو متطرفة قبلها ضمة فوجب لذلك ان تعل ولم يعتد هاهنا بالساكن
الذي بينهما لخفته وقلة حوله فقلبت يا فجاء جثويا فاجتمع الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون
فقلبت يا ثم ادغمت ثم كسرت الثا للتناسب بين الكسرة والياء وقرا الجمهور جثيا وصليا
بضم الجيم والصاد وقرا ابن وثاب وطلحة والاعمش بكسرها واخبر تعالى انه يحضرهم ونحوه وقال
قتادة جثيا معناه على ركبهم وقال ابن زيد الجثي شر الجلوس ٥ وقوله شيعة هي الفرقة

هولاء المنكرين للبعث مع الشياطين يجثون حول جهنم وهي قعدة الخايف الذليل على ركبتيه كالاسير

المربطه بمذهب واحد المبتغا وبه قيه كان بعضهم بتبيع النار بالحطب وهو وقودها به شيا بعد شي ومنه قيل للشجاع متبع الغلب فاخبر الله انه ينزع من كل شيعه اعتاها واولاها بالعذاب فتكون تلك مقدمتها الى النار قال ابو الاحوص المعنى يبدا بالاكابر جرما ثم اخبر تعالى انه اعلم بمستحقي ذلك وابر لانه لم يخف عليه حالهم من اولها الى اخرها وقرا بعض الكوفيين ومعاذ بن مسلم وهارون القاري ايهم بالنصب وقرا الجمهور بالرفع الا ان طلحه والاعمش سكنا ميم ايهم واختلف الناس في وجه رفع اي فقال الخليل رفعه على الحكايه بتقدير الذي يقال فيه من اجل عتوه ايهم اشد وقرنه بقول الشاعر

ولقد ابيت من الفتاة بمنزل فابيت لا حرج ولا محروم ۝ اي فابيت يقال في لا حرج ولا محروم ورجح الزجاج قول الخليل وذكر عنه النحاس انه غلط سيبويه في قوله في هذه المسله قال سيبويه ويلزم على هذا ان يجوز اضرب السارق الخبيث الذي يقال له وليس بلازم من حيث هذه اسما مفرده والايه جمله وتسلط الفعل على المفرد اعظم منه على الجمله ومذهب سيبويه ان ايهم مبني على الضم اذ هي اخت الذي ولما خالفتها في جواز الاضافه فيها اعربت لذلك فلما حذفت من صلتها ما يعود عليها ضعفت ورجعت الى البنا وكان التقدير ايهم هو اشد قال ابو علي حذف ما الكلام مفتقر اليه فوجب البنا وقال يونس علق عنها الفعل وارتفعت بالابتدا قال ابو علي معنى ذلك انه يعمل في كل موضع من كل شيعه لا انه ملغي لانه لا يعلق جمله الا افعال الشك كظننت ونحوها مما لم يتحقق وقوعه وقال الكسائي لننزعن اراد به لننادين فعومل معامله الفعل المراد فلم يعمل في اي وقال المبرد ايهم متعلق بشيعه فلذلك ارتفع والمعنى من الذين تشايعوا ايهم اشد كانهم يتبادرون الى هذا ويلزم ان يقدر مفعولا لننزع محذوفا وقرا طلحه بن مصرف ايهم اكثر وعتيا مصدر اصله عتووا وعلل كما علل به جثيا روى ابو سعيد الخدري انه يندلق عنق من النار فيقول اني امرت بكل جبار عنيد فيلتقطهم الحديث ۝ قوله ثم لنحن اعلم اي نحن اعلم في ذلك النزع لا نضع شيا في غير موضعه لانا قد احطنا علما بكل احد فالاولى بصلي النار يعرفه والصلي مصدر صلي يصلى اذا باشر قال ابن جريج المعنى اولى بالخلود ۝ وقوله وان منكم الا واردها قسم والواو تقتضيه وتفسره

قول

قول النبي عليه السلام من مات له ثلثه من الولد لم تمسه النار الا تحله القسم وقرا ابن عباس وعكرمه وجماعه وان منهم بالها على اراده الكفار قال شعبه في هذه القراه وقالت فرقه من الجمهور القاريين منكم المعنى قل لهم يا محمد فاما المخاطب منكم الكفره قال وعلى هولا ايضا سهل التناول وقال الاكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع واختلفوا في كيفيه ورود المومنين فقال ابن مسعود وابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم ورود دخول لكنها لا تعدو على المومنين ثم يخرجهم الله منها بعد معرفتهم حقيقه ما نجوا منه وروي عن ابن عباس انه قال في هذه المسله لنافع بن الازرق الخارجي اما انا وانت فلا بد ان نردها فاما انا فينجيني الله منها واما انت فما اظنه ينجيك وقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمه فاوردهم النار وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله انتم لها واردون وقالوا انه كان من دعا السلف اللهم ادخلني النار سالما واخرجني منها غانما وروى جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلم انه قال الورود في هذه الايه هو الدخول واشفق كثير من العلما من تحقق الورود والجهل بالصدر وقالت فرقه بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الما اذا جيته وليس يلزم ان تدخل فيه قالوا وحسب المومن بهذا هولا ومنه قوله ولما ورد ما مدين وروت فرقه اثرا ان الله يجعل يوم القيمه النار جامده الاعلى كانها اهاله فياتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ باهلها ويخرج المومنون الفايزون لم ينلهم ضر قالوا فهذا هو الورود وروت حفصه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اهل بدر والحديبيه قالت فقلت يا رسول الله واين قول الله وان منكم الا واردها فقال عليه السلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم الايه وذكر النقاش عن بعضهم انه قال نسخ قوله تعالى وان منكم الا واردها بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذا ضعيف وليس هذا موضع نسخ وقال ابن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك ان الحديث الصحيح تضمن ان الصراط مضروب على جسر جهنم فيمر الناس كالبرق وكالريح وكالجواد من الخيل وعلى مراتب ثم يسقط الكفار في جهنم وتاخذهم كلاليب قالوا فالجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الايه وقال مجاهد ورود المومنين هو الحمى التي تصيب المومنين في الدنيا وفي الحديث الحمى من فيح جهنم فابردوها بالما

وفي الحديث الحمى حظ كل مومن من النار وروى ابو هريرة ان النبي عليه السلم قال لرجل عاده من الحمى
ان يقول هي ناري اسلطها على عبدي المومن لتكون حظه من النار في الاخرة فهذا هو الورود والجثم الام
المستقر الجثوم وقرا ابي بن كعب وابن عباس ثم ننجي بفتح الثاء على الظرف وقرا ابن ابي ليلى ثمه ننجي بفتح الثاء
وبها السكت وقرا نافع وابن كثير وجمهور من الناس ننجي مشددة وقرا يحيى والاعمش مخففة وقرات
فرقة نجي بنون واحدة مضمومة وجيم مشددة وقرا علي بن ابي طالب ثم ننحي بحاء غير منقوطة الذين
اتقوا معناه اتقوا الكفر وقال بعض العلما لا يضيع احد بين الايمان والشفاعة وتدل داله
على انهم كانوا فيها والظلم هنا هو ظلم الكفر وقد تقدم القول في قوله جثيا وقرا ابن عباس ثم ننجي
الذين اتقوا منها ونترك الظالمين ه قولـــه واذا تتلى عليهم اياتنا قرا الاعرج وابن محيصن وابو
حيوة يتلى بيا من تحت وسبب هذه الاية ان كفار قريش لما كان يكلم الرجل منهم في امر الدين فيقرا
عليه المومن القران وينبهه بايات النبي عليه السلم كان الكافر منهم يقول ان الله انما يحسن لاحب
الخلق اليه وانما ينعم على اهل الحق ونحن قد انعم علينا دونكم فنحن اغنيا وانتم فقرا ونحن احسن مجلسا
واجمل شارة فهذا المعنى ونحوه هو المقصود في التوقيف في أي الفريقين وقرا نافع وابن عامر مقاما
بفتح الميم ولا مقام لكم بالفتح ايضا وهو المصدر من قام او الظرف منه اي موضع القيام فهذا
مقتضى لفظ المقام الا ان المعنى في هذه الاية يحرز انه واقع على الظرف فقط وقرا في مقام امين
بضم الميم وقرا ابن كثير مقاما بضم الميم وهو ظرف من اقام وكذلك ايضا يجي المصدر منه مثل
مجراها ومرساها وقرا في مقام امين ولا مقام لكم بالفتح وقرا ابو عمرو وحمزة والكساي وابو بكر
عن عاصم جميعهن بالفتح وروى حفص عن عاصم لا مقام لكم بالضم والندي والنادي المجلس فيه
الجماعة ومنه قولــــ حاتم الطاي :: فدعيني اجول الندي ولم ينظر الى باغي حرور ه
قولــه وكم خاطبة من الله لمحمد وهو خبر يتضمن كسر حجتهم واحتقار امرهم لان المعنى ان هذا الذي
افتخروا به لا قدر له عند الله وليس بمنج لهم وكم اهلك الله من الامم لما كفروا وهم اشد من هولا
واكثر اموالا واجمل منظرا والقرن الامة يجمعها العصر الواحد واختلف الناس في قدر المدة
التي اذا اجتمعت امة سميت تلك الامة قرنا فقيل مايه سنة وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون
سنة وقد تقدم القول في هذا غير مرة ه والاثاث المال العين والعرض والحيوان وهو اسم عام

واختلف

واختلف هل هو جمع او افراد فقال الفرا هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كالمتاع وقال خلف
الاحمر هو جمع واحده اثاثة كحمام وحمامة ومنه قولــــ الشاعر ::
ه اشاقتك الظعاين يوم بانوا بذي الرئي الجميل من الاثاث ه وانشد ابو العباس
ه لقد علمت عرينة حيث كانوا بانا نحن اكثرهم اثاثا ه وقرا نافع بخلاف واهل المدينة
وريا بيا مشددة وقرا ابن عباس فيما روي عنه وطلحة وريا بيا مخففة وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم وحمزة والكساي بهمزة بين الرا واليا على وزن رعيا وروي عن نافع وابن عامر رواها
اشهب عن نافع وقرا ابو بكر عن عاصم وريئا بيا بعد الرا وهمزة بعد اليا وهو على القلب وزنه فلعا
وكانه من راء قال الشاعر :: وكل خليل راني فهو قايل من اجلك هذا هامة اليوم او غد ه
واما القراءتان المهموزتان فهما من روية العين الرئي اسم المرئي الظاهر للعين كالطحن والسقي
قال ابن عباس هو المنظر قال الحسن معناه صورا واما المشددة اليا فقيل هو بمعنى المهموزة
الا ان الهمزة خففت لتستوي برؤوس الاي وذكر منذر بن سعيد عن بعض اهل العلم انه من الري في
السقيا كانه اراد انه خيرهم بلادا واطيب ارضا واكثر نعما اذ جملة النعم انما هي من الري
والمطر واما القراءة المخففة اليا فضعيفة الوجه وقد قيل هي لحن وقرا سعيد بن جبير ويزيد
البربري وابن عباس ايضا وزيا بالزاي وهو بمعنى الملبس وهيئته تقول زييت واما قوله
قل من كان في الضلالة الاية فيقول يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى الدعا والابتهال كانه يقول
الاضل منا او منكم مد الله له اي املى له حتى يؤول ذلك الى عذابه والمعنى الاخر ان يكون بمعنى
الخبر كانه يقول من كان ضالا من الامم فعادة الله فيه انه يمد له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك الى عذابه
في الاخرة فاللام في قوله فليمدد على المعنى الاول لام رغبة في صيغة الامر وعلى المعنى الثاني لام امر دخلت
في معنى الخبر ليكون اوكد واقوى وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها ه قولـــه حتى اذا راوا
حتى في هذه الاية حرف ابتدا دخلت على جملة وفيها معنى الغاية واذا شرط وجوابها في قوله فسيعلمون
والرؤية رؤية العين والعذاب والساعة بدلان من ما التي وقعت عليها راوا واما هي المدخلة للشك
في اول الكلام والثانية عطفت عليها والعذاب يريد به عذاب الدنيا ونصر المومنين عليهم والجند
النصرة والقايمون بامر الحرب ه وشر مكانا بازا قولهم خير مقاما واضعف جندا بازا قولهم احسن

نديًا وذلك مثل قوله الكفرة واربابهم في الافتخار بنعم الدنيا وعماهم عن الطريق المستقيم عقب ذلك
بذكر نعمه على المؤمنين في انه يزيدهم هدى في الارتباط الى الاعمال الصالحة والمعرفة بالدلايل
الواضحة وزيادة العلم دايما قال الطبري عن بعضهم المعنى بناسخ القران ومنسوخه وهذا
مثال والباقيات الصالحات اشارة الى ذلك الهدى الذي يزيدهم الله اي وهذه النعم على هذا
خير عند الله ثوابا وخير مرجعا والقول في زيادة الهدى سهل بين الوجوه واما الباقيات الصالحات
فقال بعض العلما هي كل عمل صالح رفع الله به درجة عامله وقال الحسن هي القراين وقال ابن عباس
هي الصلوات الخمس وروي عن النبي عليه السلام انها الكلمات المشهورات سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وقد قال النبي عليه السلام لابي الدردا خذهن يا ابا الدردا قبل ان يحال بينك
وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة وروى عنه عليه السلام انه قال يوما
خذوا جنتكم فقالوا يا رسول الله امن عدو حضر قال من النار قالوا ما هي قال سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وهي الباقيات الصالحات وكان ابو الدردا يقول اذا ذكر هذا الحديث
لاهللن ولاكبرن ولاسبحنه حتى اذا راني الجاهل ظنني مجنونا قوله افرايت الفا عاطفة
بعد الف الاستفهام وهي عاطفة جملة على جملة والذي يعني به العاص بن وايل السهمي قاله الجمهور
المفسرين وكان خبره ان خبابا كان قينا في الجاهلية فاجتمع له عنده دين على عمله لقد دين فجاءه
يتقاضاه فقال له العاص لا انصفك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك
فقال العاص او مبعوث انا بعد الموت وعند ذلك اقضيك دينك فنزلت الاية في ذلك وقال
الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض وقرا
ابن كثير وابو عمرو وولدا على اسم الجنس بفتح الواو واللام وكذلك في سائر ما في القران الا في سورة
نوح ماله وولده فانهما قراها بضم الواو وسكون اللام وقرا نافع وعاصم وابن عامر بفتح الواو
واللام في كل القران وقرا حمزة والكسائي بضم الواو وسكون اللام في جميع القران وقرا ابن مسعود
بكسر الواو وسكون اللام واختلف مع ضم الواو فقال بعضهم هو جمع ولد كاسد واسد
واحتجوا بقول الشاعر فلقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا وقال
بعضهم هو مفرد بمعنى الولد واحتجوا بقول الشاعر ٥

فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار وقال ابو علي في قراءة
حمزة والكسائي ما كان منه مفردا قصدا به المفرد وما كان جمعا قصدا به الجمع وقال
الاخفش الولد الابن والابنة والولد الاهل والولد وقال غيره الولد وسط الرجل الذي
هو منه حكاه ابو علي في الحجة قوله اطلع توقيف والالف للاستفهام وحذفت
الف الوصل للاستغنا عنها واتخاذ العهد معناه بالايمان والاعمال الصالحة وكلا
زجر وردع ثم اخبر ان قول هذا الكافر سيكتب على معنى حفظه عليه ومعاقبته
به وقرا سنكتب بالنون ابو عمرو والحسن وعيسى وقرا عاصم والاعمش بيا مضمومة
ومد العذاب اطالته وتعظيمه وقوله ما يقول اي هذه الاشيا التي سمى انه
يوتاها في الاخرة يرث الله ما له منها في الدنيا باهلاكه وتركه لها فالوراثة مستعا
ويحتمل ان تكون حقيقة في الاخرة كوراثه ما امل وفي حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده
وقال النحاس نرثه ما يقول معناه نحفظه عليه لنعاقبه ومنه قوله عليه السلام
العلما ورثة الانبيا اي حفظة ما قالوا فكان هذا المجرم يورث هذه المقالة وقوله
فردا يتضمن ذلته وقلة انصاره وقوله واتخذوا افتعلوا من اخذ لكنه يتضمن اعدادا
من المتخذ للمتخذ ليس ذلك في اخذ والضمير في اتخذوا لعبدة الاوثان والالهة الاصنام
وكل من عبد من دون الله ومعنى قوله عزا العموم في النصرة والمنفعة وغير ذلك من وجوه
الخير وقوله كلا زجر وردع وهذا المعنى لازم لكلا فان كان القول المردود منصوصا
عليه بان المعنى وان لم يكن منصوصا عليه فلابد من امر مردود يتضمنه القول كقوله كلا
ان الانسان ليطغى فان قوله علم الانسان ما لم يعلم يتضمن مع ما قبله ان الانسان لزعم
من نفسه ويرى ان له حولا ولا يفكر جدا في ان الله علمه ما لم يعلم وانعم عليه بذلك والا كان
مغمورا جهلا وقرا الجمهور كلا على ما قررناه وقرا ابو نهيك بفتح الكاف والتنوين وهو منصوب
بفعل مضمر يدل سيكفرون تقديره يرفضون او يتركون او يجحدون ونحوه واختلف المفسرون
في الضمير الذي في سيكفرون وفي بعبادتهم فقالت فرقة الاول للكفار والثاني للمعبودين
والمعنى انه سيجي يوم القيمة من الهول على الكفار والشدة ما يدفعهم الى جحد الكفر وعبادة

الأوثان وذلك كقوله حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقالت فرقة الأول للمعبودين والثاني
للكفار والمعنى أن الله يجعل للأصنام حياة ينكرون بها ومعها عبادة الكفار وأن يكون لها هي
من ذلك ذنب وأما المعبودون من الملائكة وعزير فمنهم بري ٥ قوله ضدا معناه يجيئهم منه
خلاف ما كانوا أملوه فيؤول ذلك بهم إلى ضد ما أملوه من العز وهذه صفة عامة وقال
قتادة ضدا معناه قرناء وقال ابن عباس معناه أعوانا وقال الضحاك أعداء وقال ابن زيد
بلاء وقيل عن هذا إنما لفظ القرآن عامة واجمع للمعنى المقصود والضد هنا مصدر وصف
به الجمع كما يوصف به الواحد وحكى الطبري عن أبي نهيك أنه قرأ كلا بالرفع ورفعها بالابتدا
وقوله ألم تر أنا الرؤية هنا رؤية القلب أرسلنا معناه سلطنا ولم نحل بينهم وبينهم فكله
تسليط وهو مثل قوله نقيض له شيطانا وتعديته بعلى دالة على أنه تسليط ٥ تؤزهم معناه
تقلقهم وتحركهم إلى الكفر والضلال قال قتادة تزعجهم إزعاجا قال ابن زيد تشليهم إشلاء
ومنه أزيز القدر وهو غليانه وحركته ومنه الحديث أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجدته يصلي وهو يبكي ولصدره أزيز كأزيز المرجل قوله فلا تعجل عليهم أي لا تستبطئ
عذابهم وتحب تعجيله إنما نعد لهم عدا أي مدة نعمتهم وقبيح أفعالهم لنصيرهم إلى العذاب ما في
الدنيا أو في الآخرة قال ابن عباس نعد أنفاسهم ع وما تضمنته هذه الألفاظ من الوعيد [بعذاب]
الآخرة هو العامل في قوله يوم ويحتمل أن يعمل فيه فعل مقدر تقديره واذكر واحذر ونحو هذا
والحشر الجمع وقد جاء في عرف ألفاظ الشرع البعث من القبور وقرأ الحسن يوم يحشر المتقون
ويساق المجرمون وروي عنه ويسوق المجرمين بالياء والمتقون هم المؤمنون الذين قد عمهم وطاهم
هذه الوفادة إنما بعد انقضاء الحساب وإنما هي النهوض إلى الجنة وكذلك سوق المجرمين إنما هو
لدخول النار وفدا قال المفسرون ركبانا وهي عادة الوفود لأنهم سراة الناس وأحسنهم شكلا [معناه م]
فشبه أهل الجنة بأولئك لا أنهم في معنى الوفادة إذ هو يتضمن الانصراف وإنما المراد تشبيههم
بالوفد هيئة وكرامة وروي عن علي عليه السلم أنهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بحلية الجنة
خطمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا وروى عمرو بن قيس الملائي أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم [التي م]
وهي في غاية الحسن وروي أنه يركب كل أحد منهم ما أحب فمنهم من يركب الخيل ومنهم من يركب السفن

[الإبل ومنهم من يركب ع]

فتجيء عابرة بهم وقد ورد في العطايا أنها مطايا بكم إلى الجنة وفي أكثر هذا بعد لكن ذكرناه
بحسب الأقوال والسوق يتضمن هوانا لأنهم يحفزون من ورائهم والورد العطاش قاله ابن [الجمع ع]
عباس وأبو هريرة والحسن ع وهم القوم الذين يحفزون من عطشهم إلى ورود الماء ويحتمل أن يكون
المصدر المعنى بورودهم وردا وهذا يجعله من رأى أن في القرآن أربعة أوراد في النار
وقد تقدم ذكر ذلك واختلف المتأولون في الضمير في قوله يملكون فقالت فرقة هو عائد على [بهذه السورة م]
المجرمين أي لا يملكون أن يشفع لهم أحد وعلى هذا التأويل فهم مشركون خاصة ويكون قوله
إلا استثناء منقطعا أي لكن من اتخذ عهدا يشفع له والعهد على هذا الإيمان قال ابن عباس
العهد لا إله إلا الله وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم خمس [وفي الحديث م]
صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن تامات كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة والعهد أيضا [لم يضيع منهن شيئا استخفافا]
الأمان وبه فسر قوله لا ينال عهدي الظالمين ع ويحتمل أن يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة ثم أخبر [بحقهن م]
أنهم لا يملكون الشفاعة إلا العصاة المؤمنون فإنهم يشفع فيهم فيكون الاستثناء متصلا وقال
عليه السلم لا أزال أشفع حتى أقول يا رب شفعني فيمن قال لا إله إلا الله فيقول يا محمد إنها
ليست لك ولكنها لي وقالت فرقة الضمير في قوله لا يملكون إنما للمتقين وقوله إلا من اتخذ عند الرحمن
عهدا أي إلا من كان له عمل صالح مبرور يحصل به في حيز من يشفع وقد تظاهرت الأحاديث بأن أهل
الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعوا وروي أن النبي عليه السلم قال إن في أمتي رجلا
يدخل الله الجنة بشفاعته أكثر من بني تميم قال قتادة وكنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين
وقال بعض هذه الفرقة معنى الكلام لا من اتخذ عند الرحمن عهدا أي لا يملك المتقون الشفاعة
إلا لهذه الصنيفة فيجيء الضمير في التأويل الواحد للشافعين وفي الثاني للمشفوع فيهم ويحتمل
الآية أن يراد بمن محمد عليه السلم والشفاعة الخاصة له العامة للناس ويكون الضمير في يملكون
لجميع أهل الموقف ألا ترى أن سائر الأنبياء يتدافعون الشفاعة حتى تصير إليه فيقوم إليها مدلا
والعهد على هذا هو النص على أن الشفاعة له وهو قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير للكفار من العرب في قولهم الملائكة بنات الله وللنصارى وكل
من كفر بهذا النوع من الكفر وقوله جئتم شيئا بعد الحكاية عنهم بمعنى قل لهم يا محمد لقد جئتم والإد الأمر الشنيع

الصعب وهي الدواهي والشنع العظيمة ويروى عن النبي عليه السلام ان هذه المقالة
اول ما قيلت في العالم شاك الشجر وحدثت قرابه واسعرت جهنم وغضبت الملائكة وقرا
الجمهور إدًّا بكسر الهمزة وقرا ابو عبد الرحمن بفتحها ويقال الإدّ والأدّ والآدّ بمعنى وقرا ابن كثير هنا
وفي عسق تكاد بالتا ينفطرن بيا ونون وفتح الطا مشددة ورواها حفص عن عاصم وقرا ابو
عمرو وعاصم في رواية ابي بكر تكاد بالتا ينفطرن بيا ونون وكسر الطا خفيفة وقرا نافع والكسائي
يكاد بالياء على تاويل علامة التانيث يتفطرن بيا وتا كالاول في الموضعين وقرا حمزة وابن عامر في مريم
مثل ابي عمرو وفي عسق مثل ابن كثير قال ابو الحسن الاخفش تكاد بمعنى تريد وكذلك قوله اكاد
اخفيها وانشد على ان كاد بمعنى اراد قول الشاعر
٥ كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من زمن الصبابة ما مضى ٥ ولا حجة في هذا البيت
وهذا قول قلق وقال الجمهور انما هي استعارة لشنعة الامر اي هذا حقه لو فهمت الجمادات
قدره وهذا المعنى مهيع للعرب ومنه قول جرير
٥ لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع ٥ ومنه قول
الاخر ٥ الم تر صدعا في السما مبينا على ابن لبينى الحارث بن هشام ٥ وقال
الاخر ٥ واصبح بطن مكة مقشعرا كان الارض ليس بها هشام ٥ والانفطار الانشقاق
على غير ترتيب مقصود والهد الانهدام والتفرق في سرعة وقال محمد بن كعب كاد اعدا الله
ان يقيموا علينا الساعة ٥ وقوله وما ينبغي على جهة التنزيه له عن ذلك وقد تقدم
ذكر هذا المعنى واقسام هذا اللفظ في هذه السورة ٥ قوله ان كل من في السموات
والارض الاية ان نافية بمعنى ما وقرا الجمهور اتي الرحمن بالاضافة وقرا طلحة بن مصرف آتٍ بالتنوين
الرحمنَ نصبا وقرا ابن مسعود لما اتى الرحمن واستدل بعض الناس بهذه الاية على ان الولد لا يكون
عبدا وهذا انتزاع بعيد وعبدا حال ثم اخبر عن احاطته ومعرفته بعبيده فذكر الاحصا
ثم كرر المعنى بغير اللفظ وقرا ابن مسعود لقد احصيهم وعدهم وفي مصحف ابي لقد احصاهم
فاجملهم عددا ٥ وقوله عدا تاكيد للفعل وتحقيق له ٥ وقوله فردا يتضمن معنى قلة
النصر والحول والقوة لا مجير له مما يريد الله به ٥ قوله سيجعل لهم الرحمن ودا ذهب

[margin: اشد الطاء فتحام] [margin: هذه]

الاكثر المفسرين الى ان هذا هو القبول الذي يضعه الله لمن يحب من عباده حسب ما
في الحديث المأثور وقال عثمان بن عفان انها بمنزلة قول النبي عليه السلام من اسر سريرة
البسه الله رداها وفي حديث ابي هريرة قال عليه السلام ما من عبد الا وله في السماء صيت
فان كان حسنا وضع في الارض حسنا وان كان سيئا وضع كذلك وقال عبد الرحمن بن عوف
ان الاية نزلت فيه وذلك انه لما هاجر من مكة استوحش بالمدينة فشكا ذلك الى رسول
الله فنزلت الاية اي في ذلك سيستنفر نفوس المومنين ويودون حالهم ومنزلتهم وذكر
النقاش انها نزلت في علي بن ابي طالب وقال ابن الحنفية لا تجد مومنا الا وهو يحب عليا
واهل بيته ويحتمل ان تكون الاية متصلة بما قبلها في المعنى اي ان الله لما اخبر عن اتيان كل
من في السموات والارض في حالة العبودية والانفراد آنس المومنين بانه سيجعل لهم في ذلك
اليوم ودا وهو ما يظهر عليهم من كرامته لان محبة الله للعبد انما هي ما يظهر عليه من نعمه
وامارات غفرانه له ٥ قوله فانما يسرناه بلسانك الضمير للقران وهو كقوله حتى توارت
بالحجاب لان المعنى يقتضي المراد وان لم يتقدم ذكره ووقع التيسير في كونه بلسان محمد وبلغته
المفهومة المبينة وبشارة المتقين هي بالجنة والنعيم الدائم والعز في الدنيا والقوم اللد
هم قريش ومعناه مجادلين مخاصمين بالباطل والالد المخاصم المبالغ في ذلك وقال مجاهد
لد فجار وهذا عندي تجوز الخصومة ولا يلد الا المبطل والالد والالوى بمعنى واحد وفي
الحديث ابغض الرجال الى الله الالد الخصم ثم لما وصفهم بانهم لد وهي صفة سوء بحكم الشرع
والحق وجب ان يشتد عليهم بالوعيد والتمثيل باهلاك من كان اشد منهم والد واعظم
قدرا مما كان يبرهم في انفسهم من الوصف بلد فان العرب تحملها وتعنوها ولذلك كانت
تمدح بالالد وتراه ادراكا وشهامة قال الشاعر
٥ ان تحت الاحجار حزما وعزما وخصيما الد ذا مغلاق ٥ فمثل لهم باهلاك من قبلهم
ليخافوا انفسهم ويسير صغر شانهم وعبر المفسرون عن اللد بالفجرة وبالظلمة ونحوه
معناها ما ذكرناه والقرن الامة والركز الصوت الخفي دون نطق بالحروف ولا فم
وانما هو صوت وحسيسها ومنه قول لبيد فتوجست ركز الانيس فراعها
الحركات م

[margin: في يسرناه م] [margin: ونحلبف اصل]

والابيس سفاهها فكانه يقول ويسمع من اخبارهم قليلا وكثيرا او وطوقا خفيا ضعيفا
وهذا يراد به من تقدم امره من الامم ودرس خبره وقد يحتمل ان يريد هل بقي لاحد منهم كلام
او تصويت بوجه من الوجوه فيدخل في هذا من عرف هلاكهم من الامم ،، ٥

تفسير سورة طه وهي مكية ،،

قوله طه اختلف الناس فيها بسبب
اختلافهم في كل الحروف المتقدمة في اوايل السور فالاقوال فيها الا ان الحروف اشارة الى
حروف المعجم كما تقول اب ح د فانه لا يترتب هاهنا لان ما بعد طه من الكلام لا يصح ان يكون
خبرا عنها واختصت ايضا طه باقوال لا يترتب في اوايل السور المذكورة فيها قول من قال
طه اسم من اسماء محمد عليه السلم وقول من قال طه معناها يا رجل بالسريانية وقيل بعضها
من لغات العجم وقيل هي لغة يمنية في عك وانشد الطبري في ذلك ،، ٥
٥ دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موايلا ٥ ويروى مزايلا ٥
وقال الاخر ٥ ان السفاهة طه من خلايقكم لا بارك الله في القوم الملاعين ،، ٥
وقالت فرقة سبب نزول الآية انما هو ما كان رسول الله يتحمله من المشقة في الصلاة حتى
كانت قدماه تتورم ويحتاج الى الترويح من قدميه فقيل له طا الارض اي لا تتعب حتى
تحتاج لذلك الترويح والضمير في طها للارض وخففت الهمزة فصارت الفا ساكنة وقرات
فرقة طه واصلها طا فحذفت الهمزة وادخلت ها السكت وقرا ابن كثير وابن عامر بفتح الها
والطاء وروي ذلك عن نافع وروي عن يعقوب كسرهما وروي عنه بين الكسر
والفتح وامالت فرقة وفخمت فرقة والتفخيم لغة الحجاز والنبي عليه السلم وقرا عاصم وحمزة
والكسائي بكسر الطا والها وقرا ابو عمرو بفتح الطا وكسر الها وقرات فرقة بفتح الطا وسكون
الها وقد تقدمت وروي عن الضحاك وعمرو بن فايد انهما قرا طاوي ٥ قوله لتشقى
قالت فرقة معناه لتبلغ من نفسك في العبادة والقيام في الصلاة وقالت فرقة انما سببها
ان قريشا لما نظر الى عيش رسول الله وشظفه وكثرة عبادته قالت ان محمدا مع ربه في شقى
فنزلت الآية رادة عليهم اي ان الله لم ينزل القران ليجعلك شقيا بل ليجعلك اسعد ولد ادم
بالنعيم المقيم في اعلى المراتب فالشقا الذي رأيتم هو نعيم النفس ولا شقا مع ذلك فهذا التاويل

أعم من الاول في لفظ الشقاء وقوله الا تذكرة يصح ان ينصب على البدل من موضع لتشقى ويصح
ان ينصب بفعل مضمر تقديره لكن انزلناه تذكرة ٥ قوله يخشى يتضمن الايمان والعمل الصالح
اذ الخشية باعثة على ذلك ٥ قوله تنزيلا نصب على المصدر ومن خلق الآية صفة اقامها
مقام الموصوف وافاد ذلك العزة والتذكرة وتحقير الاوثان وبعث النفوس على النظر ٥ والعلى
جمع عليا فعلى ٥ قوله الرحمن رفع بالابتدا ويصح ان يكون بدلا من الضمير المستتر في خلق ٥
وقوله استوى قالت فرقة هي بمعنى استولى وقال ابو العالية وغيره من المتكلمين هو بمعنى استوى
القهر والغلبة وقال سفيان الثوري فعل فعلا في العرش سماه استوا وقال الشعبي وجماعة
غيره هذا من متشابه القران نؤمن به ولا نعرض لمعناه وقال مالك رضي لرجل ساله عن هذا الاستوا
فقال الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والسوال عن هذا بدعة واظنك رجل سوء اخرجوه عني فادبر
السايل وهو يقول يا ابا عبد الله لقد سالت عنها اهل العراق والشام فما وفق احد توفيقك وضعف
ابو المعالي قول من قال لا نتكلم في تفسيرها بان قال ان كل مومن مجمع على ان لفظة الاستوا ليست على
عرفها في معهود الكلام العربي فاذا فعل هذا فقد فسر ضرورة ولا فايدة في تاخره عن طلب الوجه والمخرج
البين بل في ذلك إلباس على الناس وإيهام للعوام وقد تقدم القول في مسلة الاستواء ٥ قوله
ما في السموات الآية تمادي في الصفة المذكورة المنبهة على الخالق المنعم ٥ وفي قوله وما تحت الثرى
قصص في امر الحوت ونحوه اختصرته لعدم صحته والآية متضمنة ان كل موجود محدث فهو لله بالملك
والاختراع ولا قديم سواه تعالى والثرى التراب الندي ٥ قوله وان تجهر بالقول معناه وان تجهر ايها
الناس اذا اردتم اعلام احد بامر او مخاطبة وغير ذلك فانتم تجهرون بالقول فان الله يعلم السر واخفى والمخاطبة
نحو لمحمد عليه السلم وهو مراد بها جميع الناس اذ هي اية اعتبار واختلف الناس في ترتيب السر وما هو اخفى
منه فقالت فرقة السر هو الكلام الخافي الخافت كقراءة السر في الصلاة والاخفى ما هو في النفس وقالت فرقة
هو ما في النفس متحصلا والاخفى هو ما سيكون فيها من المستانف وقالت فرقة السر هو ما في نفوس
البشر وكل ما يمكن ان يكون فيها من المستانف بحسب الممكنات من معلومات البشر والاخفى هو ما هو من
معلومات الله لا يمكن ان يعلمه البشر البتة وهذا كله معلوم لله وقد يتاول على بعض السلف انه
جعل واخفى فعلا ماضيا وهذا ضعيف ٥ والاسما الحسنى يريد بها التسميات التي تضمنت المعاني التي

هي في غاية الحسن ووحد الصفة مع جمع الموصوف لما كانت السموات لا تعقل وهذا جار
مجرى مآرب اخرى وبآجال اذى معه وغيره وذكر اهل العلم ان هذه الاسما هي التي قال فيها
رسول الله ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وذكرها الترمذي
وغيره مسندًا ه وقوله وهل اتاك هذا الاستفهام توقيف مضمنه تنبيه النفس الى استماع
ما يورد عليها وهذا كما تبدأ الرجل اذا اردت اخباره بامر غريب فتقول اعلمت كذا وكذا ثم
تبدأ تخبره والعامل في اذ ما تضمنه قوله حديث من معنى الفعل وتقديره هل علمت ما فعل موسى
اذ راى نارا او نحو هذا وكان من قصة موسى عليه السلم انه رحل من مدين باهله بنت شعيب وهو
يريد ارض مصر وقد طالت مدة جنايته فرجا خفا امره وكان فيما يزعمون رجلا غيورا وكان يسير
الليل باهله دون النهار مخافة كشفة الناس فضل عن طريقه في ليلة مظلمة ذات اندية ويروى
انه فقد الما فلم يدر اين يطلبه فبينا هو كذلك وقد قدح بزنده فلم يور شيئا اذ راى نارا فقال لاهله
امكثوا اي اقيموا وذهب هو الى النار فاذا هي مضطرمة في شجرة خضرا يانعة قيل كانت من عناب
وقيل من عوسج وقيل من عليقه فكلما دنى منها تباعدت منه ومشت فاذا رجع عنها اتبعته فلما
راى ايقن ان هذا امر من امور الله الخارقة للعادة ونودي وانقضى امره كله في تلك الليلة هذا
قول الجمهور وهو الحق وحكى النقاش عن ابن عباس انه اقام في ذلك الامر حولا ومكنه اهله وهذا
غير صحيح عن ابن عباس وضعيف في نفسه ه قوله آنست معناه احسست ومنه قول
الحارث بن حلزه ه آنست نبأة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامسا ه والنار على
البعيد لا تحس الا بالبصر فلذلك فسر بعضهم اللفظة برايت وانس اعم من رايت لانك تقول آنست
من فلان خيرا او شرا والقبس الجذوة من النار تكون على راس العود او القصبة او نحوه والهدى
اراد هدى الطريق اي لعلي اجد ذا هدى اي مرشدا الي او دليلا وان لم يكن مخبرا والهدى
يعم هذا كله واما رجا موسى هدى بارزا له فصادف الهدى على الاطلاق وفي ذكر قصة موسى
باسرها في هذه السورة تسلية للنبي عليه السلم عما لقي في تبليغه من المشقات وكفر الناس
فانما هي له على جهة التمثيل في امره وروي عن نافع لاهله امكثوا بضم الهاء الثانية وكذلك
في القصص وكسر الباقون الهاء ه قوله فلما اتاها الضمير عايد على النار قوله نودي كناية

عن تكليم الله له وفي نودي ضمير يقوم مقام الفاعل وان شئت جعلته موسى اذ قد جرى ذكره
وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي اني بكسر الالف على الابتدا وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتحها
على معنى لاجل اني ربك فاخلع نعليك ونودي قد توصل بحرف الجر انشد ابو علي ه
ه ناديت باسم ربيعة بن مكدم ان المنوه باسمه الموثوق ه واختلف المتاولون في السبب الذي
من اجله امر بخلع النعلين فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فامر بطرح النجاسة وقالت فرقة
بل هو من جلد يعني ذكي لكن امر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي
وتحتمل الاية معنى اخر هو الاليق بها عندي وذلك ان الله امره ان يتواضع لعظم الحال الذي حصل
فيها والعرف عند الملوك ان تخلع النعلان ويبلغ الانسان الى غاية تواضعه فكان موسى عليه السلم
امر بذلك على هذا الوجه ولا يبالي كانت نعلاه من ميتة او غيرها والمقدس معناه المطهر وطوى
معناه مرتين مرتين فقالت فرقة معناه قدس مرتين وقالت فرقة معناه طويته انت سرت به
اي طويت لك الارض مرتين من طيك وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي طوى بالتنوين على انه … اسم المكان
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بغير تنوين على انه اسم البقعة وكلهم قرا بضم الطا وروى ابو زيد عن ابي عمرو
كسرها وقرات فرقة طاوي وقالت فرقة هو اسم الوادي وطوى على التاويل الاول مثل قولهم
ثنى وثنى اي مثنيا وقرا السبعة غير حمزة وانا اخترتك ويؤيد هذه القراة تناسبها مع قوله انا ربك
وفي مصحف ابي بن كعب واني اخترتك وقرا حمزة وحده وانا اخترناك بالجمع وفتح الهمزة وتشديد
النون والاية على هذا بمنزلة قوله سبحان الذي اسرى ثم قال واتينا وخرج من افراد الى جمع وقرات
فرقة وانا اخترتك بكسر الالف قال ابي سمعت ابن الجوهري يقول لما قيل لموسى استمع لما يوحى
وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان
كل لباسه صوفا وقرات فرقة طاوي وقوله واقم الصلوة لذكري يحتمل ان يريد لتذكرني فيها او
لاذكرك علي بها فالمصدر على هذا يحتمل الاضافة الى الفاعل او المفعول واللام لام السبب وقالت
فرقة معنى قوله لذكري اي عند ذكري اي اذا ذكرتني وامري لك بها واللام على هذا كلام لدلوك الشمس
وقرات فرقة للذكرى بغير تعريف وفرقة للذكرة ه قوله ان الساعة اتية هي هنا القيمة بلا خلاف
وقرا ابن كثير والحسن ومجاهد وعاصم اكاد اخفيها على معنى اظهرها اي انها من صحة وقوعها وتيقن

بفتح الهمزة

كونها تكاد تظهر لكن تحجب الى الاجل المعلوم والعرب تقول خفيت الشي بمعنى اظهرته
قال امرؤ القيس ٭ خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من سحاب مجلّب ٭
ومنه قوله ايضا ٭ فان تدفنوا الداء لا نخفه وان توقدوا الحرب لا نقعد ٭
قال ابو علي المعنى ازيل خفاها وهو ما تلف به القربة ونحوها وقرا الجمهور بضم الهمزة
واختلف المتاولون في معنى الاية فقالت فرقة معناه اظهرها واخفيت من الاضداد
وهو قول مختل وقالت فرقة معناه اكاد اخفيها من نفسي على معنى العبارة عن
شدة غموضها على المخلوقين وقالت فرقة المعنى ان الساعة اتية اكاد وتم الكلام
بمعنى اكاد انفذها لقربها وصحة وقوعها ثم استانف الاخبار بانه يخفيها وهذا قلق
وقالت فرقة اكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل تضمنت الاية الاخبار بان الساعة
اتية وان الله يخفي وقت اتيانها عن الناس وقالت فرقة اكاد بمعنى اريد فالمعنى اريد
اخفاها عنكم لتجزى كل نفس بما تسعى واستشهد قايل هذه المقالة بقول الشاعر
كادت وكدت وتلك خير ارادة ٭ وقد تقدم وقالت فرقة اكاد على بابها بمعنى
انها مقاربة ما لم تقع لكن الكلام جار على استعارة العرب ومجازها فلما كانت الاية
عبارة عن شدة خفا امر القيمة ووقتها وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت اهيب
على النفوس بالغ قوله في ابهام وقتها فقال اكاد اخفيها حتى لا تظهر البتة ولكن
ذلك لا يقع ولا بد من ظهورها فهذا تلخيص هذا المعنى الذي اشار اليه بعض المفسرين وهو
الاقوى عندي وراى بعض القايلين بان المعنى اكاد اخفيها من نفسي ما في القول من القلق
فقالوا من نفسي من تلقاي ومن عندي وهذا رفض للمعنى ورجوع الى هذا القول الذي
اخترناه اخيرا فتامله واللام في قوله لتجزى متعلقة بقوله اتية وهكذا يترتب الوعيد
وتسعى معناه تكسب وتجترح والضمير في قوله عنها يريد عن الايمان بالساعة فاوقع
الضمير عليها ويحتمل ان يعود على الصلاة وقالت فرقة المراد عن لا اله الا الله وهذا متجه
والاول ابين ٭ قوله فتردى معناه فتهلك والردى الهلاك ومنه قول دريد بن
الصمة ٭ تنادوا فقالوا اردت الخيل فارسا فقلت اعبد الله ذلكم الردي ٭

وهذا الخطاب كله لموسى عليه السلم وكذلك ما بعده وقال النقاش الخطاب بلا يصدنك
لمحمد عليه السلم وهذا بعيد وفي مصحف ابن مسعود اكاد اخفيها من نفسي وعلى هذه القراة
تركب ذلك القول المتقدم ٭ قوله وما تلك بيمينك يا موسى تقرير مضمنه التنبيه وجمع
النفس لتلقي ما يورد عليها والا فقد علم الله ما هي في الازل وقوله بيمينك في صلة تلك وهذا
نظير قول الشاعر ٭ عدس ما لعباد عليك امارة امنت وهذا تحملين طليق ٭ قال الجوهري
روي في بعض الاثار ان الله عتب موسى على اضافة العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له
القها لترى منها العجب فتعلم انه لا ملك له عليها ولا تضاف اليه وقرا الحسن وابو عمرو بخلاف
عنه عصاي بكسر اليا مثل غلامي وقرات فرقة عصي وهي لغة هذيل ومنه قول ابي ذؤيب
٭ سبقوا هوي واعنقوا لهواهم ٭ وقرا الجمهور عصاي بفتح اليا وقرا ابن ابي اسحق عصاي بيا
ساكنة ثم ذكر موسى من منافع عصاه عظمها وجمهورها واجمل سائر ذلك وقرا الجمهور واهش معناه واخبط
الشجر بها حتى ينتثر الورق للغنم وقرا ابرهيم النخعي بكسر الهاء والمعنى كما تقدم وقرا عكرمه مولى ابن عباس
بضم الهاء وسين غير منقوطة والمعنى ازجرها واخوف وقرات فرقة على غنمي بالجر وقرات فرقة
على غنمي فاوقع الفعل على الغنم وقرات فرقة غنمي بسكون النون ولا اعرف لها وجها قوله
اخرى فوحد مع تقدم الجمع هو المهيع في توابع جمع ما لا يعقل والحكاية عنه فان ذلك يجري مجرى
الواحدة المونثة كقوله الاسما الحسنى وكقوله يا جبال اوبي معه وقد تقدم القول في هذا المعنى غير
مرة وعصى موسى هي التي كان اخذها من بيت عصي الانبيا الذي كان عند شعيب حين اتفقا
على الرعيه وكانت عصا ادم هبط بها من الجنة وكانت من العرا الذي في ورق الريحان وهو الجسم
المستطيل في وسطها وقد تقدم شرح امرها فيما مضى ٭ قال القها لما اراد الله ان يدربه في
تلقي النبوة وتكاليفها امره بالقا العصا فالقاها فقلب الله اوصافها واعراضها وكانت عصا
ذات شعبتين فصار الشعبتان لها فما وصارت حية تسعى اي تمشي وتنتقل وتلتقم الحجارة فلما
راها موسى راى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوجس في نفسه
خيفة اي لحقه ما يلحق البشر وروي ان موسى تناولها بكم جبته فنهي عن ذلك فاخذها بيده فصارت
عصا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى ثم امره ان يضم يده الى جيبه وهو الجناح استعارة

ومجازاً ومنه قول الراجز ه أضمّه للصدر والجناح ه وبعض الناس يؤولون الجناح
اليد وهذا كله صحيح على طريق الاستعارة الا ترى ان جعفر بن ابي طالب يسمى ذا الجناحين بسبب يديه
حين ابينت له الجناحان مقام الجناحين فشبه بجناح الطاير وكل مرعوب من ظلمة او نحوها فانه
اذا ضم يده الى جناحه فتر رعبه وربط جاشه فجمع الله لموسى عليه السلم تفسير الرعب مع الاية في
وروي ان يد موسى خرجت بيضا تشف وتضي كانها شمس ه وقوله من غير سوء اي من غير برص
ولا شين بل هو امر يخرج ويعود على الحاجة اليه ه قوله لنريك من اياتنا الكبرى يحتمل ان يريد وصف
الايات بالكبرى على ما تقدم من قوله الاسما الحسنى ومارب اخرى ونحوه ويحتمل ان يريد
تخصيص هاتين الايتين بانهما اكبر الايات كانه قال لنريك الكبرى من اياتنا فهما معنيان
ثم امره بالذهاب الى فرعون ه قوله رب اشرح لي صدري لما امره الله بالذهاب
الى فرعون علم انها الرسالة وفهم ان العقدة التي دعا في حلها هي التي اعترته بالجمرة
التي جعلها في فمه حين جربه فرعون اذ لا حول له الا به واشرح لي صدري لفهم ما يرد
علي من الامور وروي ان فرعون اراد قتل موسى وهو طفل حين مد يده الى لحيته فقالت
له امراته انه لا يعقل فقال بل هو يعقل وهو عدو لي فقالت له نجربه فقال افعل فدعت
بجمرات من نار وبطبق فيه ياقوت فقالا ان اخذ الياقوت علمنا انه يعقل وان اخذ النار
عذرناه فمد موسى يده الى جمرة فاخذها فلم تعد على يده فجعلها في فمه فاحرقته واورثت لسانه
عقدة في كلامه اي حبسة تلبس عليه بعض الحروف قال ابن الجوهري كف الله عن يده لئلا
يقول انا طعني واحرق لسانه لئلا يقول موسى مكاني وموسى انما طلب من حل العقدة
ان يفقه قوله فجائز ان يكون ذلك كله زال وجائز ان يكون بقي منه القليل فيجتمع ان يوتى
هو سؤله وان يقول فرعون ولا يكاد يبين ولو فرضناه زال جملة لكان قول فرعون سبا
لموسى بحالته القديمة ه والوزير المعين القايم بوزر الامور وهو ثقلها ويحتمل الكلام
ان طلب الوزير من اهله على الجملة ثم ابدل هارون من الوزير المطلوب ويحتمل ان يريد واجعل
هرون فاما ابتدا الطلب فيه فيكون على هذا مفعولا اولا للجعل وكان هرون اكبر من موسى
باربعة اعوام ه وقرا ابن عامر وحده اشدد بالف قطع مفتوحة واشركه بالف قطع مضمومة

وزيراً

ونصب الكاف على ان موسى اسند هذه الافعال الى نفسه ويكون الامر هنا لا يريد به النبوة
بل يريد تدبيره ومساعدته لان النبوة لا يكون لموسى ان يشرك فيها بشرا وقرا الباقون على معنى
الدعا في شد الازر وتشريك هرون في النبوة وهو الوجه لانها تناسب ما تقدم من الدعا
وتعضد هذه الايات تقتضي بطلبه تصديق هرون اياه والازر بمعنى الظهر حكاه ابو عبيدة
كانه قال شد به عوني واجعله مقاوما فيما احاوله قال امرو القيس
ه بمحنية قد ازر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب ه اي قاومه وصار في طوله
وفتح ابو عمرو وابن كثير يا اخي وسكنها الباقون وروي عن نافع واشركه بزيادة واو وتعد الها
ثم جعل موسى ما طلب من نعم الله سببا يلزم كثرة العبادة والاجتهاد في امر الله ه قوله كثيرا
نصب بالنعت لمصدر محذوف تقديره تسبيحا كثيرا ه قال قد اوتيت سؤلك يا موسى المعنى
قال الله تعالى قد اعطيت يا موسى طلبتك في شرح الصدر وتيسير الامر وحل العقدة اما بالكل
واما على قدر الحاجة في الافقاه وابنا ان هذا السؤل منة من الله فقرن اليها قديم منة عنده على
جهة التوقيف ليعظم اجتهاده ويقوى بصيرته وكان من قصة موسى فيما روي ان فرعون ذكر
له خراب ملكه على يدي غلام من بني اسرايل فامر بقتل كل مولود يولد لهم ثم انه راى مع اهل مملكته
ان فنا بني اسرايل يعود على القبط بالضرر اذ هم كانوا عملة الارض والصناع ونحو هذا فعزم على
ان يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة فولد هرون في سنة الاستحيا فكانت امه امنة ثم ولد
موسى في العام الرابع سنة القتل فخافت امه عليه الذبح فبقيت متحيرة مهتمة فاوحى الله اليها
قيل بملك جاءها فاخبرها وامرها قال بعض من روى هذا ولم تكن نبية لا ناخذ في الشرع
ورواية ان الملايكة قد كلمت من لم يكن نبيا وقال بعضهم بل كانت نبية بهذا الوحي وقالت بل كان
الوحي رؤيا راتها في النوم وقالت فرقة بل هو وحي الهام وتسديد كوحي الله الى النحل وغير ذلك
فالهمها الله الى ان اتخذت تابوتا فقذفت فيه موسى راقدا في فراش ثم قذفته في يم النيل وكان فرعون
جالسا في موضع يشرف على النيل اذ راى التابوت فامر به فسيق اليه وامراته معه ففتح فراوه
فرحمته امراته وطلبت ليتخذه ابنا فاباح لها ذلك وروي ان التابوت جاء في الما الى المشرعة
التي كان جواري امراة فرعون يستقون بها الما فاخذن التابوت وجلبنه اليها فاخرجته واعلمت

فرعون وطلبته سنة ثم انها عرضته للرضاع فلم يقبل امراة فجعلت تنادي عليه في المدينة
ويطاف به يعرض للمراضع فكلما عرضت عليه امراة اباها وكانت امه حين ذهب عنها في الليل
بيت مغمومة فوادها فارغ الا من همه فقالت لاخته اطلبي امره في المدينة عسى ان يقع الينا
منه خبر فبينا الاخت تطوف اذ بصرت به وفهمت امره فقالت لهم انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفين هذا الصبي فقالت لا غير اني اعلم من اهل هذا
البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها فتركوها الى ان جاءت بام موسى
فلما قربته شرب ثديها فسرت اسية امراة فرعون وقالت لها كوني معي في القصر فقالت لها ما كنت
لادع بيتي وولدي ولكنه يكون عندي قالت نعم فاحسنت الى اهل ذلك البيت غاية الاحسان
واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والسبب من الملكة واقام موسى حتى كمل رضاعه فارسلت
اليها اسية ان جيئي بولدي ليوم كذا وامرت حرمها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس
فوصل اليها على ذلك وهو بخير وشباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه ويهبه فراه وعجبه
وقربه فاخذ موسى بلحية فرعون وجبذها فاستشاط فرعون وقال هذا عدو لي وامر بذبحه
فناشدته فيه امراته وقالت انه لا يعقل فقال لها فرعون بل يعقل فاتفقا على تجربته بالجمر والياقوت
فنجاه الله بذلك ورجع الى امه فشب عندها فاعتز به بنو اسرائيل الى ان ترعرع وكان فتى جلدا
فاضلا فاعتز به بنو اسرائيل بظاهر ذلك الرضاع وكان يحميهم وميله معهم ويعلم من نفسه انه
منهم ومن صميمهم فكانت بصيرته في حمايتهم وكليته وكان يعرف ذلك اعيان بني اسرائيل ثم ان قصة
القبطي المتقاتل مع الاسرائيلي جرت كما سنذكرها فخرج موسى من مصر حتى وصل الى مدين وكان
من امره مع شعيب ما سياتي ويختص منه بهذا الموضع انه تزوج ابنته الصغرى على رعية الغنم عشر
سنين ثم انه اعتزم للرحيل بزوجته الى بلاد مصر فجاء في طريقه فضل في ليلة مظلمة فراى النار كما
ذكر فعدد الله على موسى في هذه الاية ما تضمنته هذه القصة من لطف الله به في كل فصل وتخليصه
له من كل قصة الى اخرى وهذه الفتون التي فتنه بها اي اختبره وخلصه حتى صلح للنبوة وسلم
لها ه وقوله ما يوحى ابهام يتضمن عظم الامر وجلالته في النعم وهذا نحو قوله اذ يغشى السدرة
ما يغشى وهو كثير في القران والكلام وان في قوله ان اقذفيه بدل من ما والضمير الاول في اقذفيه

عليه

عايد على موسى وفي الثاني على التابوت ويجوز ان يعود على موسى وقوله فليلقه اليم خبر
خرج في صيغة الامر مبالغة اذ الامر اقطع الافعال واوجبها ومنه قول النبي عليه السلام قوموا
فلاصلي لكم فاخرج الخبر في صيغة الامر لنفسه مبالغة وهذا اكثر من حيث خرج الفعل مخرج
الامر حسن جوابه كذلك والعدو الذي هو لله ولموسى كان فرعون ولكن ام موسى لم تعرف به
على الابهام ولذلك قالت لاخته قصيه وهي لا تدري اين ثم اخبر الله تعالى موسى انه القى عليه محبة منه
فقال بعض الناس اراد محبة اسية لانها كانت من الله وكانت سبب حياته وقالت فرقة اراد
القبول الذي يضعه الله في الارض لخيار عباده وكان حظ موسى منه في غاية الوفر وقالت
اعطاه جمالا يحبه به كل من راه وقالت فرقة اعطاه ملاحة العينين وهذان القولان فيهما
ضعف واقوى الاقوال انه القبول وقرا الجمهور ولتصنع بكسر اللام وضم التا على معنى ولتغذى
ولتطعم وتربا وقرا ابو نهيك ولتصنع بفتح التا قال ثعلب معناه لتكون حركتك وتصرفك على عين
مني وقرا ابو جعفر بن القعقاع ولتصنع بسكون اللام على الامر للغايب وذلك متجه ه قوله
على عيني معناه برائي مني وامر مدرك مبصر مراعى ه قوله اذ تمشي اختك العامل في اذ فعل
مضمر تقديره ومننا اذ وتقدم تفسير هذه الاية في القصص المذكورة انفا وقرات فرقة تقر بفتح القاف
وقرات فرقة بكسرها والنفس التي قتل هي نفس القبطي الذي قاتل الاسرائيلي وقوله موسى فقضى عليه
والغم هو ضيق النفس وكان غم موسى بامرين طلبه ليثأر به ه قوله وفتناك فتونا معناه
وخلصناك تخليصا هذا قول جمهور المفسرين وقالت فرقة معناه اختبرناك وعلى هذا التاويل لا يراد
الا ما اختبر به موسى بعد بلوغه وتكليفه وما كان قبل ذلك فلا يدخل في اختبار موسى وعدة سنيه في
اهل مدين عشرة اعوام لانه انما قضى اوفى الاجلين ه وقوله على قدر اي لميقات محدود للنبوة
التي قدرها الله لك ومنه قول الشاعر
نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر ه واصطنعتك معناه جعلتك موضع
الصنيعة ومقر الاجمال والاحسان وقوله لنفسي اضافة تشريف وهذا كما تقول بيت الله
ونحوه والصبا لحي وعز بالنفس عن شدة القرب وقوة الاختصاص ه قوله اذهب انت واخوك
باياتي امرهما الله في هذه الاية بالنفوذ الى دعوة فرعون وخاطب موسى وحده تشريفا له وتحملا لهرون

اوحي الله اليه مع ملك ان يتقدم باياتي معناه بعلاماتي التي اعطيتكموها من معجزة وايه ووحي
وامر ونهي كالتوراه ولا تنيا معناه تضعفا وتبطيا تقول ونى فلان في امر كذا اذا
تباطا فيه عن ومنه قول الشاعر فما انا بالواني ولا الضرع الغمر
والوني الكلال والفشل في البهايم والانس وفي مصحف ابن مسعود ولا تهنا في ذكري
معناه ولا تلينا من قولك هين لين والقول اللين قالت فرقه معناه كنياه وقالت فرقه
بل امرهما بتحسين الكلمه وهذا هو الوجه وذلك ان كل من يريد دعا الانسان الى امر يكرهه
فانما الوجه ان يتحرى في عبارته المعنى الذي يريد ويجتهد بعد ذلك في ان تكون عبارته لطيفه
ومقابلته لينه فذلك اجلب للمراد وامر الله موسى وهرون ان يسلكا مع فرعون اجمال
الدعوة في لين من القول وقوله لعله معناه على رجايكما وطمعكما فالتوقع فيها انما
هو راجع الى جهه البشر وقرا الجمهور يفرط بفتح اليا وضم الرا ومعناه يعجل ويتسرع بمكروه
فينا ومنه الفارط في الما الذي يتقدم القوم اليه قال الشاعر
واستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تقدم فراط لوراد وقرات فرقه بضم اليا
وكسر الرا ومعناه يشتط في اذايتنا وقرا ابن محيصن بضم اليا وفتح الرا ومعناه ان يحمله حامل
على التسرع الينا قوله انني معكما يريد بالنصر والمعونه والقدرة على فرعون وهذا كما
تقول الامير مع فلان اذا اردت انه يحميه واسمع واري عبارتان عن الادراك الذي لا تخفى معه
خافيه تبارك الله رب العالمين قوله فاتياه المعنى فاتيا فرعون فاعلماه انكما رسولاي
اليه وعبر لفرعون بربك تحقيرا له اذ كان هو يدعي الربوبيه ثم امر بدعوته الى ان يبعث معهما
بني اسرايل ويخرجهم من ذل خدمه القبط وقد تقدم في هذه الايات دعاوه الى الايمان وهذه
جمله ما دعي اليه الايمان وارسال بني اسرايل والظاهر ان رسالته اليه انبنت على حد رساله
الى بني اسرايل وتعذيب بني اسرايل كان ذبح اولادهم وتسخيرهم واذلالهم والايه التي احالا
عليها هي العصا واليد وقالا جيناك وانما الجاي بها موسى تجوزا من حيث كانا مشتركين وقوله
والسلام على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون اخر الكلام وفصله فيقوى ان يكون السلام بمعنى
التحيه كانهما رغبا به عنه وجريا على العرف في التسليم عند الفراغ من القول فسلما على متبعي

الهدى

فائده

الهدى وفي هذا توبيخ له وعلى هذه الجهه استعمل الناس هذه الايه في مخاطباتهم ومحاوراتهم
ويحتمل ان يكون في درج القول متصلا بقوله انا قد اوحي الينا فيقوى على هذا ان يكون خبرا
بان السلامه للمهتدي وهذان المعنيان كل واحد منهما قوله فرقه لكن دون هذا التلخيص وقالوا
السلام بمعنى السلامه وعلى بمعنى اللام اي السلامه لمن اتبع الهدى ولما فرغ من المقاله
التي امرا بها عند قوله فقولا خاطبهما فرعون وفي سرد هذه الايه حذف يدل عليه ظاهر
الكلام تقديره فاتياه فلما قالا جميع ما امرا به قال لهما فرعون فمن ربكما وقوله يا موسى بعد
جمعه مع هرون نداله بمعنى التخصص والتوقيف اذ كان صاحب عظم الرساله وكريم الايات
قوله قال ربنا استند موسى بجوابه من حيث خصه في السوال ثم اعلمه من صفات الله
بالتي لا مدخل لفرعون فيها بوجه ولا مجاز واختلف المفسرون في قوله الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى
فرقه اعطى الذكران من الحيوان نوعه وخلقته انثى ثم هدى للاتيان وقالت فرقه بل المعنى اعطى
كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته اي الكمال لكل واتقنه ثم هدى اي يسر كل شي لمنافعه
ومرافقه وهذا القول اشرف معنى واعم في الموجودات وقرات فرقه خلقه بفتح اللام ويكون
المفعول الثاني باعطي مقدرا تقديره كماله او مصلحته وقول فرعون ما بال القرون الاولى يحتمل
ان يريد محاجته بحسب ما تقدم من القول ومناقضته فيه فليس يتجه على هذا ان يريد الا ما بال
القرون الاولى لم تبعث ولم يوجد امرك عندها فرد موسى علم ذلك الى الله ويحتمل ان يريد فرعون
قطع الكلام والرجوع الى سوال موسى عن حاله من سلف من الناس روغانا في الحجه وحيده وقيل
البال الحال فكانه ساله عن حالهم كما جا في الحديث يهديكم الله ويصلح بالكم وقال النقاش انما قال
فرعون ما بال القرون لما سمع مومن آله يقول يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب
الايه ورد موسى العلم الى الله لانه لم تاته التوراة بعد وقوله في كتاب يريد في اللوح المحفوظ
او فيما كتبته الملايكه من احوال البشر وقرات فرقه لا يضل ربي بفتح اليا وكسر الضاد واختلف في
معنى هذه القراه فقالت فرقه هو ابتدا الكلام وتنزيه لله عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام
تم في قوله في كتاب وقيل معناه يتلف ويبعه وقالت فرقه بل لا يضل ربي ولا ينسى من صفه الكتاب
اي ان الكتاب لا يغيب عن الله تقول العرب ضلني الشي اي لم اجده واضللته انا ومنه قول النبي

عليه حكاية عن الاسرايلي الذي طلب ان يحرق بعد موته لعلي اضل الله الحديث وينسوا طهو ما بعده
يعود ضميره الى الله ويحتمل ان يعود الى الكتاب في بعض التاويلات يصفه بانه لا ينسى اي لا يدع شيا
فالنسيان هنا استعارة كما قال في موضع اخر الا احصاها فوصفه بالاحصا من حيث حصرت
فيه الحوادث ٥ قوله الذي جعل لكم الارض الاية انظر ان هذه الاشيا التي ذكرها موسى هي
مما تقتضي بداية العقول ان فرعون وكل بشر بعيد عنها لانه لو قال هو القادر الرازق المريد العالم
ونحو هذا من العبارات لامكن فرعون ان يغالط فيقول انا افعل هذا كله فاما اتاه موسى بصفات
لا يمكنه ان يقول انا ذلك له وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر مهادا بكسر الميم وبالف وقيل هو جمع
مهد وقيل هو اسم مفرد كفرش وفراش وقرا عاصم وحمزة والكسائي مهدا بفتح الميم وسكون الها
قوله وسلك بمعنى نهج وجعل والسبل الطرق ٥ قوله فاخرجنا به يحتمل ان يكون من كلام
موسى على تقدير يقول الله فاخرجنا ويحتمل ان يكون تم كلام موسى عند قوله ماء ثم وصل تعالى الكلام
موسى باخباره لمحمد والمراد الخلق اجمع بهذه الايات المنبهة عليها والازواج هنا بمعنى الانواع
قوله شتى نعت للازواج اي مختلفات ٥ كلوا وارعوا انعامكم بمعنى هي صالحة لذلك فاخرج
العبارة في صيغة الامر لانه ارجى لافعال الواهرها للنفس والنهى جمع نهية وهو العقل الناهي
عن القبائح ٥ وقوله منها خلقناكم يريد من الارض وهذا من حيث خلق ادم من تراب وقوله
وفيها نعيدكم يريد بعد الموت والدفن او الغرق او بعد كان ٥ ومنها نخرجكم يريد بالبعث ليوم القيامة
قوله ولقد اريناه الاية اخبار لمحمد عن فرعون وهذا يؤيد ان الكلام من قوله فاخرجنا
انما هو خطاب لمحمد ٥ وقوله كلها انما هو عايد على الايات التي راها لا انه راى كل اية وانما
المعنى لما اراه ايات ما وهي العصا واليد والطمسة وغير ذلك وكانت رؤيته لهذه الايات
مستوعبة يرى الاية كلها كاملة كانه قال ولقد اريناه ايات ما بكمالها فاضاف الايات الى ضمير
العظمة تشريفا لها ٥ وقوله وابى يقتضي تكسب فرعون وهذا هو الذي يتعلق به الثواب
والعقاب ٥ قوله قال اجئتنا هذه المقاولة من فرعون تدل على ان موسى قد كان قوي وكثر
متبعوه من بني اسرايل ووقع امره في نفوس الناس وذلك انها مقاولة من يحتاج الى الحجة لا من يصدع
بامر نفسه وارضهم هي ارض مصر وقرات فرقة لا نخلفه بالرفع وقرات فرقة لا نخلفه جزما حملا

على جواب الامر ونحن تاكيد للضمير من حيث احتاج الكلام الى العطف عليه الذي ٥ وموعدا
مفعول اول بجعل ومكانا مفعول ثان هذا الذي اختاره ابو علي ومنع ان يكون مكانا معمولا لقوله
موعدا لانه قد وصف وهذه الاسما العاملة عمل الفعل اذا نعتت او عطف عليها او لخبر عنها
او صغرت او جمعت وتوغلت في الاسمية بمثل هذا لم تعمل ولا يتعلق بها شي هو منها وقد يتوسع
في الظروف فتعلق بعد ما ذكرنا كقوله تعالى ينادون لمقت الله الاية فقوله اذ تدعون متعلق بقوله
لمقت الله وهو قد اخبر عنه وانما جاز هذا في الظروف خاصة ولذلك منع ابو علي ان يكون مكانا
نصبا على الظرف الساد مسد المفعول وفي هذا نظر ومنع قوم ان يكون مكانا نصبا على المفعول
الثاني بنخلفه وجوزه جماعة من النحاة ووجهه ان يتسع في ان يخلف الموعد وقرا ابن كثير
وابو عمرو ونافع والكسائي سوى بكسر السين وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بضمها والجمهور
نونوا الواو وقرا الحسن بن ابي الحسن بكسر السين غير منونة الواو وقال ابو الفتح نزل الصرف هنا
مشكل والذي ينبغي ان يكون محمولا على الوقف وقرات فرقة سوى ذكره ابو عمرو عن ابن ابي عبلة
ومعناه عدلا ونصفة قال ابو علي كانه قال مكانا قريبه سلم قربه يتساوى اما اراد ان حالنا فيه
مستوية فيعم ذلك القرب وان تكون المنازل فيه واحدة في تعاطي الحق لا تعترضكم فيه الرياسة
وانما تقصد الحجة وهي لغة وهي لغى في سوى ومن هذه اللفظة قول الشاعر ٥
٥ وان ابانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان والفزر ٥ وقالت فرقة معناه مستويا
من الارض لا وهد فيه ولا نشز وقالت فرقة معناه سوى مكاننا هذا فقال موسى موعدكم يوم
يوم الزينة اتسع في الظرف من قراه برفع يوم فجعله خبرا وقرا الاعمش والثقفي يوم بالنصب على
الظرف والخبر مقدر وروي ان يوم الزينة كان عيدا ويوما مشهورا وصادف يوم عاشورا
وقيل كان يوم سبت وقيل هو يوم كسر الخليج الباقي الى اليوم ٥ وقوله وان يحشر الناس ضحى عطف على
الزينة فهو في موضع خفض ويحتمل ان يكون في موضع رفع على تقدير موعدكم ان يحشر ويتعلق عطفه
على اليوم وفيه نظر وقرا الجمهور يحشر الناس رفعا وقرا ابن مسعود والجحدري وجماعة نحشر
بفتح اليا وضم الشين الناس نصبا وقرات فرقة نحشر بالنون والحشر الجمع ومعناه يحشر الناس
لمشاهدة المعارضة والنهي لقبول الحق حيث كانه ٥ قوله فتولى فرعون فجمع كيده المعنى فجمع

لحسن

السحرة وعدهم وامرهم بالاعداد لموسى هذا كيده ثم اتى فرعون بجمعه واهله وله السحرة
معه وكانت عصابة لم يخلق الله اسحر منها وجا ايضا موسى عليه السلم ببني اسرايل معه فقال
موسى للسحرة ويلكم وهذه مخاطبة محذر وندبهم في هذه الاية الى قول الحق اذا راوه وان لا
يباهتوا الحق وقرا ابن عباس ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر فيسحتكم بفتح اليا والحاء
وقرا حمزة والكساي وحفص عن عاصم بضم اليا وكسر الحا وهما لغتان بمعنى فيقال سحت واسحت
اذا اهلك واذهب ومنه قول الفرزدق ۝ وعض زمان يا ابن مروان لم
يدع من المال الا مسحتا او مجلف ۝ هذا من اسحت فلما سمع السحرة هذه المقالة هالهم
هذا المنزع ووقع في نفوسهم من مهابته شديد وتنازعوا امرهم والتنازع يقتضي اختلافا
كان منهم في السرار فقال بعضهم لبعض هو محق وقال بعضهم هو مبطل وقال بعضهم ان
كان من عند الله فسيغلبنا ونحو هذا من الاقوال التي تعهد من الجموع الكثيرة في وقت الخوف
والحرب ونحو هذا ومعلوم ان جميع تناجيهم انما كان في امر موسى وقالت فرقة انما كان تناجيهم
بالاية التي بعد هذا ان هذان لساحران والاظهر ان تلك قيلت علانية ولو كان تناجيهم ذلك لم
يكن ثم تنازع والنجوى المسارة اي كان كل رجل يناجي من يليه ثم جعلوا ذلك سرا مخافة فرعون
ان يتبين فيهم ضعفا لانهم لم يكونوا حينئذ مصممين على غلبة موسى بل كان ظنا من بعضهم قالوا
ان هذان لساحران هكذا قرا نافع وابن عامر وحمزة والكساي ان مشددة هذان بالالف ونون
مخففة للتثنية وقرا ابو عمرو وحده كذلك الا ان هذين باليا وقرا ابن كثير ان مخففة هذان بالف
ونون مشددة وقرا حفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرات فرقة ان ذان لساحران
بغير ها وقرات فرقة ما هذان الا ساحران وقرات فرقة ان هذان بتشديد النون فيهما فاما
القراة الاولى فقالت فيها فرقة ان بمعنى نعم كما روي ان النبي عليه السلام قال في خطبته ان الحمد
لله برفع الحمد وقال ابن الزبير ان وراكبها للذي قال له ابعد الله ناقة حملتني اليك ويلحق هذا
هذا التاويل ان اللام تدخل في خبر الابتدا وهو مما يجوز في الشعر ومنه قول الشاعر
أم الحليس لعجوز شهربه ۝ ترضى من اللحم بعظم الرقبه ۝ وذهبت فرقة الى ان هذه الاية
على لغة بلحارث بن كعب وهي ابقا الف التثنية في حال النصب والخفض فمن ذلك قول

الشاعر ۝ تزود منا بين اذناه ضربة ۝ دعته الى هابي التراب عقيم ۝
وقول الاخر ۝ فاطرق اطراق الشجاع ولو راى ۝ مساغا لناباه الشجاع لصمما ۝
وتعزى هذه اللغة لكنانة وخثعم وقال الفرا الالف في هذان دعامة وليست بمجلوبة
للتثنية وانما هي الف هذا تركت في حال التثنية كما تقول الذي ثم تزيد في الجمع نونا
وتترك اليا في حال الرفع والنصب والخفض وقال الزجاج في الكلام ضمير تقديره انه
هذان لساحران وفي هذا التاويل دخول اللام في الخبر وقال بعض النحاة الف هذان
هاهنا مشبهة بالف تفعلان وقال ابن كيسان لما كان هذا الحال واحدة في رفعه
ونصبه وخفضه تركت مبنية هنا كذلك وقالت جماعة منهم عايشة وابو عمرو هذا مما لحن الكاتب
فيه واقيم بالصواب وهو تخفيف النون من ان ع وهذه الاقوال معترضة الا ما قيل من
انها لغة فهي عند سيبويه المخففة من الثقيلة ويرتفع بعدها الاسم ويقول الفرا هي
بمعنى ما واللام بمعنى الا ووجه ساير القراآت بين وعبر كثير من المفسرين عن الطريقة
بالسادة وانما يراد بها اهل العقل والحجر والسن والحجى ولكن حكوا ان العرب تقول
فلان طريقة قومه اي سيدهم والاظهر في الطريقة انها السيرة والمملكة والحال التي هم
عليها ۝ والمثلى تانيث امثل اي الفاضلة الحسنة وقرا جمهور القرا فاجمعوا الف قطع
وكسر الميم على معنى انفذوا واعزموا وقرا ابو عمرو وحده بالف وصل وفتح الميم من جمع اي ضموا
سحركم بعضه الى بعض وقرا ابن كثير ثم ايتوا بكسر الميم قال ابو علي هذا غلط لا وجه له وقرا
الجمهور بفتحها وقوله صفا حال اي مصطفين وتداعوا الى هذا لانه اهيب واظهر
لهم معناه ظفر ببغيته واستعلى معناه طلب العلو في امره وسعى سعيه ۝ قوله
قالوا يا موسى خيرة السحرة في ان تبتدي بالالقاء او يتاخر بعدهم وروي انهم كانوا سبعين
الف ساحر وروي انهم كانوا ثلثين الف ساحر وروي انهم كانوا خمسة عشر الفا وروي
انهم كانوا تسعماية ثلث ماية من الفيوم وثلث ماية من الفرما وثلث ماية من الاسكندرية
وكان مع كل رجل منهم حبل وعصا قد استعمل فيها السحر ۝ وقوله فاذا هي للمفاجاة كما
تقول خرجت فاذا زيد وهي التي تليها الاسما وقرات فرقة عصيهم بكسر العين وفرقة بضمها

وقرات فرقة تخيل على بنا الفعل للمفعول فقوله انها في موضع رفع على ما لم يسم فاعله
وقرا الحسن والثقفي تخيل بتا منقوطة من فوق مضمومة وكسر اليا واسندوا الفعل الى الحبال
والعصي فقوله انها في موضع نصب وقرات فرقة بفتح التا واليا واسناد الفعل الى
الحبال والعصي فقوله انها مفعول من اجله والظاهر من الخطاب والقصص في كتب
المفسرين ان الحبال والعصي كانت تتحرك وتنتقل وذلك تخييل السحر وتدبير الاجسام الثقيلة
المتابعة فيها وكان تحركها يشبه تحرك الذي له ارادة كالحيوان وهو السعي فانه لا يوصف
بالسعي الا من يمشي من الحيوان وذهب قوم الى انها لم تتحرك لكن سحروا اعين الناس وكان الناظر
يخيل انها تتحرك وتنتقل وهذا محتمل والله اعلم اي ذلك كان ۝ قوله فاوجس عبارة
عما يعتري الانسان اذا وقع ظنه في امر على شي يسوؤه وظاهر الامر كله الصلاح فهذا
الفعل من افعال النفس يسمى الوجس وعبر المفسرون عن اوجس باضمر وهذه العبارة
اعم من الوجس ۝ وخيفة يصح ان يكون خوفه قلبت الواو يا للتانيث ويحتمل ان تكون
خوفه بفتح الخا قلبت الواو يا ثم كسرت الخا للتناسب وخوف موسى عليه السلام انما كان
على الناس ان يضلوا لهول ما راوا والاول اصوب انه اوجس على الجملة وبقي ينتظر الفرج
قوله انت الاعلى الغالب لمن ناواك في هذا المقام وقرا الجمهور تلقف بالجزم على جواب
الامر والقاف مشددة وقرا ابن عامر وحده برفع الفا وهو في موضع الحال ويصح ان يكون
من الملقي على اتساع ويصح ان يكون من الملقى وهي العصا وهذه حال وان كانت لم تقع بعد
كقوله هديا بالغ الكعبة وهذا كثير وقرا حفص عن عاصم تلقف بسكون اللام وتخفيف
القاف وانث الفعل وهو مسند الى ما في اليمين من حيث كانت العصا مرادة بذلك وروى
البزي عن قنبل انه كان يشدد التا كانه ادغم فيها اخرى وكره ابو علي هذه القراة ويشبه
ان قاريها انما يلتزمها في الوصل حين يستغني عن جلب الالف وقرا الجمهور كيد ساحر برفع
كيد وقرا حمزة والكسائي كيد سحر وقرات فرقة كيد سحر بالنصب وهذا على ان كافة وكيد
منصوب بصنعوا ورفع كيد على ان ما بمعنى الذي ۝ ولا يفلح بظفر ببغيته وقالت فرقة
معناه ان الساحر يقتل حيث ثقف وهذا جزا من عدم الفلاح وقرات فرقة اين اتى

نفرج

والمعنى بهما متقارب وروي من قصص هذه الاية ان فرعون لعنه الله جلس في علية
لطولها ثمانون ذراعا والناس تحته في بسيط وجا سبعون الف ساحر فالقوا من حبالهم
وعصيهم ما فيه وقر ثلث مائة بعير فهال الامر ثم ان موسى عليه السلام القى عصاه من يده
فاستحالت ثعبانا وجعلت تنمو حتى روي انها علت النهر بذنبها وقيل البحر وفرعون
في هذا يضحك ويرى ان الاستوا حاصل ثم اقبلت تاكل الحبال والعصي حتى افنتها ثم فغرت
نحو فرعون فاها ففزع عند ذلك وقال يا موسى فمد موسى يده اليها فرجعت عصا فنظر
السحرة وعلموا الحق وراوا عدم الحبال والعصي فامنوا هو قوله فالقي السحرة سجدا وفي
خلال هذه الايات تقديره حذف يدل ظاهر القول عليه المقدر من ذلك هنا فالقى موسى عصاه
فالتقمت كل ما جاوا به او نحو هذا وروي ان السحرة لما راوا العصا لا اثر فيها للسحر ثم راوا
انقلابها حية واكلها الحبال والعصي ثم رجوعها الى حالها وعدم الحبال والعصي ايقنوا
بنبوة موسى وان الامر من عند الله وقدم هرون قبل موسى لتستوي اي السورة فنقل معنى
القول من السحرة وهذا كقوله ولزاما من بات شتى انما التعديل الى السورة روس الاي ولذلك
قوله ولولا كلمة فتاخير قوله واجل مسمى انما هو لتستوي روس الاي وقرا ابن كثير وحفص
عن عاصم وورش عن نافع امنتم على الخبر وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر بهمزة بعدها مدة وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بهمزتين قبل ان اذن لكم متقاربه منه وبعض الذعان قوله
من خلاف يريد قطع اليمنى يدا واليسرى رجلا ۝ قوله في جذوع النخل اتساع من حيث
هو مربوط في الجذع وليس على حد قولك زيد في الدار ويصلح في هذا المعنى على من حيث مربوط
في اعلاها وليس على حد قولك ركبت على الفرس ۝ وقوله اينا يريد نفسه ورب موسى
وقال الطبري يريد نفسه وموسى والاول اذهب مع مخرقة فرعون قالوا لن نوثرك اي نفضلك
ونفضل السلامة منك على ما راينا من حجة الله واياته المبينات وعلى الذي فطرنا هذا على قول
جماعة ان الواو في والذي عاطفة وقالت فرقة هي واو القسم وفطرنا معناه خلقنا واخترعنا
فافعل يا فرعون ما شئت فانما تقضي وكنت في هذه الحياة الدنيا والاخرة بين ورا ذلك لنا بالنعيم ولك
بالعذاب وها ولا السحرة اختلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون فقالت طايفة صلبهم على

هو

الجذوع كما قال واصبح القوم سحرة واسموا شهدا بلطف الله ورحمته وقالت
فرقة ان فرعون لم يفعل ذلك وقد كان الله وعد موسى انه ومن معه الغالبون وهذا
كله محتمل وصلب السحرة وقطعهم لا يدفع ان موسى ومن معه غلب الا بظاهر العموم
والانفصال عن ذلك بين ه قوله وما اكرهتنا قالت فرقة ارادوا ما اضطرهم اليه
من معارضة موسى وحملهم عليه من ذلك وقالت فرقة بل كان فرعون قديما ياخذ
ولدان الناس بتعلم السحر ويجبرهم على ذلك واليه اشار السحرة وقولهم خير وابقى
رد على قوله اشد عذابا وابقى ه قوله انه من يات ربه مجرما قالت فرقة هذه الاية
بجملتها هي من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه وقالت فرقة
بل هي من كلام الله لمحمد عليه السلام تنبيها على قبح ما فعل فرعون وحسن ما فعل السحرة
وموعظة وتحذيرا قد تضمنت القصة المذكورة مثاله والمجرم الذي اكتسب الخطايا
والجرائم ه قوله لا يموت فيها ولا يحيى مختص بالكافر فانه معذب عذابا ينتهي به الى
الموت ثم لا يجهز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عقابه فهو لا يحيى حياة هنية واما
من يدخل النار من المومنين بالمعاصي فهم قبل ان تخرجهم الشفاعة في غمرة قد فارقوا الموت
الا انهم لا يجهز عليهم ولا يجدد عذابهم فهذا فرق ما بينهم وبين الكفار وفي الحديث الصحيح انهم
يماتون اماتة وهذا هو معناها لانه لا موت في الاخرة ه والدرجات العلى هو القرب من
الله ه وتزكى معناه اطاع الله واخذ بازكى الامور وتامل التكسب في لفظة تزكى فانه
بين ه قوله ولقد اوحينا الى موسى هذا استيناف اخبار عن شي من امر موسى بينه
وبين امر السحرة وغلب موسى وقوي امره ووعده فرعون ان يرسل معه بني اسرايل
فاقام موسى بعده حتى غدره فرعون ونكث واعلمه انه لا يرسلهم معه فبعث الله حينئذ
الايات المذكورة في الاعراف الى اخرها كلما جات اية وعد فرعون ان يرسل بني اسرايل
عند انكشافها فاذا انكشفت نكث حتى تاتي فلما كملت الايات اوحى الله الى موسى ان
يخرج بني اسرايل من مصر في الليل ساريا والسرى سير الليل وان في قوله ان اسر يجوز ان
تكون مفسرة لا موضع لها من الاعراب كقوله وانطلق الملا منهم ان امشوا ويجوز ان تكون

الناصبة للافعال ويكون في موضع نصب باوحينا ه قوله بعبادي اضافة تشريف
وكل الخلق عباد الله ولكن هذا كقوله ونفخت فيه من روحي وروي من قصص هذه الاية
ان بني اسرايل لما اشعرهم موسى بليلة الخروج استعاروا من معارفهم من القبط حليا وثيابا
وكل احد ما اتفق له ويروى ان موسى اذن لهم في ذلك وقال لهم ان الله سينفلكموها ويروى انهم
فعلوا ذلك دون رايه وهو الاشبه به عليه السلام وسياتي في جمع الحلي ما يويد ذلك
ويروى ان بني اسرايل عجنوا ازوادهم ليلة سراهم ووضعوه للخبز فاعجلهم موسى في الخروج
فحملوا فطيرا هي سنتهم في ذلك الوقت من العام الى العام ويروى ان موسى نفر ببني اسرايل
وهم ست مائة الف انسان فسار بهم من مصر يريد بحر القلزم واتصل الخبر بفرعون فجمع
جنوده وحشرهم ونهض وراه فاوحى الى موسى ان يقصد البحر فخرج بنو اسرايل وراوا ان
البحر من امامهم والعدو من وراءهم وموسى يثق بصنع الله فلما راهم فرعون قد نهضوا نحو
البحر طمع فيهم وكان مقصدهم الى موضع تنقطع فيه الخوض والطرق الواسعة واختلف
في عدد جند فرعون فقيل كان في خيله سبعون الف ادهم ونسبة ذلك من سائر الالوان
وقيل اكثر من هذا مما اختصرته لقلة صحته فلما وصل موسى الى البحر وقارب فرعون لحاقه
وقوي فزع بني اسرايل اوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ويروى ان الوحي اليه بذلك
كان متقدما بمصر وهو ظاهر هذه الاية ويروى انه انما اوحي اليه ذلك في موطن وقوعه
واتصل الكلام في هذه الاية على جهة وصف الحال وضم بعض الامور الى بعض فضرب موسى البحر
فانفرق اثني عشرة فرقة طرقا واسعة بينها حيطان ما واقف فدخل موسى بعد ان بعث
الله الريح الصبا فجففت تلك الطرق حتى يبست ودخل بنو اسرايل ووصل فرعون الى المدخل
وبنو اسرايل كلهم في البحر فراى الماء على تلك الحال فجزع قومه واستعظموا الامر فقال لهم انما
انفلق لهيبتي وها هنا كمل اضلاله لهم وحملهم الله على الدخول وجا جبريل عليه السلام
راكبا على فرس انثى فدخل فاتبعها فرس فرعون وتتابع الناس حتى تكاملوا في البحر فانطبق عليهم
فسمع بنو اسرايل انطباقا في البحر وهم قد خرجوا باجمعهم منه ففزعوا واخبرهم موسى ان فرعون وقومه
قد هلكوا فيه فطلبوا مصداق ذلك فلفظ البحر الناس والقى الله فرعون على نجوة من الارض

بذريعة المعروف له فهذا اختصار ما تضمنت هذه الاية بحسب الفاظها وقد تقصى امر فرعون
باوعب من هذا في موضع اقتضائه وقوله يبسا مصدر وصف به وقرا بعض الناس
يابسا واشار الى ذكره الزجاج وقرا حمزة وحده لا تخف دركا وذلك على انه جواب الامر وعلى
نهي مستانف وقرا الجمهور تخاف وذلك على ان يكون بهذه الصفة ومعنى هذا القول لا تخاف
دركا من فرعون وجنوده ولا تخشى غرقا من البحر وقرا ابو عمرو فيما روي عنه فاتبعهم بشد
التا وتبع واتبع انما يتعدى الى مفعول واحد كقولك سويت واستويت وقديت واقتديت
وقوله بجنوده اما ان يكون البا وما جرته في موضع الحال كما تقول خرج زيد بسلاحه واما
ان تكون لتعدي الفعل الى مفعول ثاني اذ لا يتعدى دون حرف الجر الا الى واحد وقرا الجمهور
فاتبعهم بسكون التا وهذا يتعدى الى مفعولين فالبا على هذا اما زايدة والتعدي فاتبعهم
جنده واما ان تكون با الحال ويكون المفعول الثاني مقدرا كانك قلت روساه او عزمه
ونحو هذا والاول اظهر وقرات فرقة فغشيهم وقرات فرقة فغشاهم الله ما غشيهم ابهام اهول من
النص على قدر ما كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى ه واضل فرعون قومه يريد من اول امره
الى هذه النهاية ثم اكد بقوله وما هدى مقابلة لقول فرعون وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله
يا بني اسرايل الاية ظاهرها ان هذا القول قيل لهم حينيذ عند حلول هذه النعم التي عدد الله عليهم
ومن خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث ولكن خص الله بالذكر ما شا ويحتمل ان تكون هذه
المقالة خوطب بها معاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعنى هذا فعلنا باسلافكم ويحتمل
قوله كلوا بتقدير قيل لهم كلوا وتكون الاية على هذا اعتراضا في اثنا قصة موسى والقصد به توبيخ هولاء
الحضور اذ لم يصبر سلفهم على ادا شكر نعم الله والاول اظهر وابين وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر انجيناكم وواعدناكم ونزلنا ورزقناكم كلها الا ان ابا عمرو قرا ووعدناكم بغير الف في كل القران
وقرا حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ونزلت ورزقتكم ه قوله وواعدناكم قيل هي لغة في وعد
لا تقتضي فعل اثنين ع وان حملت على المعهود فلان التلقي والعزم على ذلك كالمواعدة وقصص هذه
الاية ان الله لما انجى بني اسرايل واغرق فرعون وعد موسى ان يسيروا الى جانب طور سينا
ليكلم فيه موسى ويناجيه بما فيه صلاحهم باوامره ونواهيه فلما اخذوا في السير تعجل موسى للقاء

ربه بحسب ما ياتي بعد وقالت فرقة هذا الطور هو الذي كلم فيه موسى ولاحت له النار
وكان في طريقه من الشام الى مصر وقالت فرقة ليس به والطور الجبل الذي لا شعرا فيه ه وقوله
الايمن اما ان يريد به اليمين بالاضافة الى ذي يمين انسان او غيره ه والمن والسلوى طعامهم وقد
مضى استيعاب تفسيرهما ه قوله من طيبات يريد الحلال الملذ لان المعنى هنا قد جمعهما
واختلف الناس ما القصد الاول بلفظة الطيب في القران فقال مالك الحلال وقال الشافعي
ما يطيب للنفوس وساق الى هذا الخلاف تفقههم في الخشاش والمستقذر من الحيوان ه ولا
تطغوا معناه تتعدون الحد وتتعسفوا كالذي فعلوا وقرا جمهور الناس فيحل بكسر الحا ومن
يحلل بكسر اللام الاولى وقرا الكسائي وحده بضم الحا من فيحل وبضم اللام من يحلل ومعنى الاول فيجب
ويحق ومعنى الثاني فيقع وينزل ه وهوى معناه سقط من علو الى سفل ومنه قول خنافر
ه فهوى هوي العقاب ه وان لم يكن سقوطا فهو تشبيه فالساقط والسقوط حقيقة
قول الاخر ه هوي الدلو اسلمه الرشا ه وشبه الذي يقع في طامة او ورطة بعد
ان كان ينجو منها كالساقط فالاية من هذا اي هوى في جهنم وفي سخط الله وقيل اخذ الفعل
من لفظ الهاوية وهو قعر جهنم ولما حذر الله غضبه والطغيان في نعمه فتح باب الرجا
للتائبين والتوبة فرض على جميع الناس لقوله وتوبوا الى الله جميعا الاية والناس فيها على مراتب
اما مواقع للذنب وقدرته على ذلك باقية فتوبته الندم على ما مضى والاقلاع التام عن مثله
في المستقبل واما الذي واقع الذنب ثم زالت قدرته عن مواقعته لشيخ او افة فتوبته الندم
واعتقاد الترك ان لو كانت قدرته واما من لم يواقع ذنبا فتوبته العزم على ترك كل ذنب والتوبة
من ذنب مع الاقامة على غيره وهي توبة مقيدة واذا تاب العبد ثم عاود الذنب بعينه بعد مدة
فيحتمل عند حذاق اهل السنة ان لا يعيد الله عليه الذنب الاول لان التوبة قد كانت قد محته
ويحتمل ان يعيده لانها توبة لم يواف بها واضطرب الناس في قوله ثم اهتدى من حيث وجدوا
التهدي ضمن الايمان والعمل فقالت فرقة معناه لم يشك في ايمانه وقالت فرقة معناه ثم
استقام وقالت فرقة معناه ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وقالت فرقة ثم اخذ بسنة نبيه
وقالت فرقة ثم اصاب العمل وقالت فرقة ثم عرف امر مثيبه وقالت فرقة ثم والى اهل البيت

وهذه كلها تخصيص في احد منها دون ما هو من نوعه بعيد ليس بالقوي يقوي في معني
اهتدي ان يكون تم حفظ معتقداته من ان تخالف الحق في شي من الاشيا فان الاهتدا علي هذا
الوجه غير الايمان وغير العمل ورب مومن عمل صالحا فاقدا وبغيه عدم الاهتدا كالقدريه
والمرجيه وساير اهل البدع والخوارج فمعني ثم اهتدي ثم مشي في طرايق الشرع علي طريق
قويم وفي حفظ المعتقدات ينحصر عظم امر الشرع ٥ قوله وما اعجلك عن قومك يا موسي
قصص هذه الايه ان موسي لما شرع في النهوض ببني اسرايل الي جانب الطور الايمن حيث كان جهه
الموعد بكليمه الله تعالى فيه بما فيه لهم شرف العاجل والاجل راي علي وجه الاجتهاد ان يتقدم
وحده مبادرة لامر الله وحرصا علي القرب منه وشوقا الي مناجاته واستخلف هرون علي بني
اسرايل وقال لهم موسي تسيرون الي جانب الطور فلما انتهي موسي وناجي ربه زاده في
الاجل عشرا وحينئذ وقفه علي استعجاله دون القوم ليخبره موسي انهم علي الاثر فيقع الاعلام
لما صنعوا وقرات فرقه هم اولاء علي اثري وقرات فرقه اولاي بيا مفتوحه وقوله
علي اثري يحتمل ان يكون في موضع رفع خبرا بعد خبر ويحتمل ان يكون في موضع نصب علي موضع
الحال وقرات فرقه علي اثري بفتح الهمزة والثا وقرات فرقه بكسر الهمزة وسكون الثا واعلمه
موسي انه انما استعجل طلب الرضي فاعلمه الله انه قد فتن بني اسرايل اي اختبرهم بما صنع
السامري ويحتمل ان يريد القيناهم في فتنه اي في ميل مع الفعل الي السامري وقرات
فرقه واضلهم بضم اللام علي الابتدا والاخبار عن السامري بانه اضل القوم والقراه الاولي
اكثر واشد في تزنيب السامري وهو رجل من بني اسرايل يقال انه كان ابن خال موسي وقالت
فرقه لم يكن من بني اسرايل بل كان اصله من العجم من كرمان والاول اصح وكان قصصه انه كان منافقا
عنده حيل وسحر وقبض القبضه من اثر فرس جبريل عليه السلام وعلم بما اقدره الله عليه لفتنته
القوم انه يتهيا له بتلك القبضه ما يريد مما يجوز علي الله لانه لو ادعي النبوه مع ذلك العجل
لما صح ولا جاز ان يجوز ولا ان يتم الحيله فيه لكنه لما ادعي له الربوبيه وعلامات الكذب
عليه قايمه لاحه صحت الفتنه به وجاز ذلك علي الله كصفه الدجال التي تخرق له العادات
لانه يدعي الربوبيه ولو كان يدعي نبوه لما صح شي من ذلك فلما راي السامري موسي قد غاب

ورأى سفر بني اسرايل في طلبهم من موسي اله حين مروا علي قوم يعبدون اصناما علي
صفه البقر وقيل كانت بقرا حقيقيه علم انه سيفتنهم من هذا الطريق فيروي انه قال لهم
ان الحلي الذي عندكم من مال القبط قبيح بكم حبسه ولكن اجمعوه عندي حتي يحكم الله فيه
وقيل ان هرون عليه السلام امرهم بجمعه ووضعه في حفرة حتي يجي موسي ويستاذن فيه
ربه وقيل بل كان المال الذي جمعوه للسامري مما لفظ البحر من اموال القبط الغارقين مع
فرعون فروي مع هذا الخلاف ان الحلي عند السامري وانه صاغ العجل والقي القبضه فيه
فخار وروي وهو الاصح ان الناس القوا الحلي في حفرة والقي هو عليه القبضه فتجسد العجل وهذا
هو فتنة الله بهم وعلي هذا القول اخرق للسامري عاده واما علي ان يصوغه فلم يخرق له عاده
وانما فتنوا بجسده وخواره فقط وذلك الصوت قد يتولد في الاجرام بالصنعة فلما اخبر الله موسي
بما وقع رجع الي قومه غضبان اسفا عليهم من حيث له قدرة علي تغيير منكرهم فرقا من حيث علم
انه موضع عقوبه لابد منها ولابد له بد فعها والاسف في كلام العرب متي كان من ذي قدرة علي من
دونه فهو غضب ومتي كان من الاقل علي الاقوي فهو حزن وتامل ذلك فهو مطرد ان شا الله ٥
قوله قال يا قوم الايه وبخهم موسي بهذه المقاله ٥ قوله وعدا حسنا هو ما وعدهم من الوصول
الي جانب الطور الايمن وما بعد ذلك من الفتوح في الارض والمغفرة لمن تاب وامن وعمل صالحا وغير ذلك مما وعد
الله به اهل طاعته وقوله وعدا اما ان يكون نصبا علي المصدر والمفعول الثاني بعينه ثم وقفهم علي
اعذار لم تكن ولا تصح لهم وهي طول العهد حتي بين لهم خلف في الموعد وارادة غضب الله وذلك كله
لكنهم عملوا عمل من لم يتدين وسمي العذاب غضبا من حيث هو من الغضب والغضب ان جعل
بمعني الارادة فهو صفه ذات وان جعل ظهور النقمه فهو صفه فعل فهو متردد بين الحالتين
وقرا نافع وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرا حمزة والكسائي بضمها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
بكسرها قال ابو علي هذه لغات في ظاهر هذا الكلام انها بمعني واحد ولكن ابا علي وغيره
قد فرق بين معانيها فاما ضم الميم فمعناه علي قول الي علي لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك بقوته
وسلطانه وانما اخلفناه بنظر ادي اليه ما فعله السامري وليس المعني ان لهم ملكا وانما
هذا كقول ذي الرمة لا تشتكي سقطة منها وقد رقصت بها المفاوز حتي ظهرها حدب ٥

اي لا يكون فيها سقطة فتشتكي اي ليس منهم سؤال فيكون منهم الحاف وهذا كله في
هذه الامثلة غير متقن من قول ابي علي واما مشي في ذلك على اثر الزجاج دون تعقب وقد
شرحت هذا المعنى في سورة البقرة في تفسير لا يسالون الناس الحافا وبعد ان هذه
الاية ليست بهذه الامثلة لانهم لم يرفعوا الاختلاف والامثلة فيها رفع الوجهين واما فتح
الميم فهو مصدر من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بانا ملكنا الصواب ولا وفقنا عليه بل
غلبتنا انفسنا واما كسر الميم فقد كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل في الامور
التي يبرمها الانسان ومعناها كمعنى التي قبلها والمصدر مضاف في الوجهين الى الفاعل
والمفعول مقدر اي بملكنا الصواب وهذا كما قد يضاف احيانا الى المفعول والفاعل مقدر
كقوله بسؤال نعجتك ومن دعاء الخير وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم حُمِّلنا
بضم الحا وشد الميم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي حَمَلنا بفتح الحا والميم والاوزار الاثقال وتحتمل
هذه التسمية ان تكون من حيث هي ثقيلة الاجرام وتحتمل ان تكون من حيث تاثموا في قذفها
وظهر لهم ان ذلك هو الحق فكانت آثاما لمن حملها قوله فكذلك اي فكما قذفناها نحن فكذلك
ايضا القى السامري ما كان بيده وهذه الالفاظ تقتضي ان العجل لم يصغه السامري ثم اخبر
تعالى عن فعل السامري بقوله فاخرج لهم عجلا جسدا ومعنى قوله جسدا اي شخصا لا روح
فيه وقيل جسدا لا يتغذى والخوار صوت البقر وقالت فرقة كان هذا العجل يخور ويمشي
وبهذا تكون الفتنة من قبل الله قاله ابن عباس وقالت فرقة انما كان خواره بالريح
كانت تدخل من دبره وتخرج من فيه فيصوت بذلك فقالوا هذا الهكم الضمير في فقالوا لبني اسرائيل
اي ضلوا حين قال كبارهم لصغارهم وهذا اشارة الى العجل وقوله فنسي يحتمل ان يكون من كلام
بني اسرائيل اي فنسي موسى ربه والهه وذهب يطلبه في غير موضعه ويحتمل ان يكون قوله
فنسي اخبارا من الله عن السامري اي نسي دينه وطريق الحق فالنسيان في التاويل الاول بمعنى
الذهول وفي الثاني بمعنى الترك ثم قرر موضع خطاهم بقوله افلا يرون المعنى افلم يتبين هولا الذين
ضلوا ان هذا العجل انما هو جماد لا يتكلم ولا يرجع قولا ولا يبصر ولا يسمع وهذه خلال لا تخفى معها
الحدوث والعجز لانها لو حصلت له اوجبت كونه الها وقرات فرقة يرجع برفع العين وان

معناه

على

على هذه القراءة مخففة من الثقيلة والتقدير انه لا يرجع وقرات فرقة بنصب العين وان على
هذه القراءة هي الناصبة ان هرون قد كان قال لهم في اول الامر يا قوم انما هي فتنة وبلا وتمويه
من السامري وانما ربكم الرحمن الذي له القدرة والعلم والخلق والاختراع فاتبعوني الى الطور
الذي واعدكم الله اليه واطيعوا امري فيما ذكرته لكم وقرات فرقة انما وان ربكم بكسر الهمزة فيهما
وفرقة بفتحهما وفرقة انما بالكسر وان بالفتح والقراءة الوسطى ضعيفة فقال بنو اسرائيل حين
وعظهم هرون وندبهم الى الحق لن نبرح عليه عاكفين لهذا الاله عاكفين عليه اي ملازمين له
والعكوف الانحنا على الشي من شدة ملازمته ومنه قول الراجز
ه عكف النبيط يلعبون الفنزجا ه قوله قال يا هرون سرد القصص اقتضاب يدل
عليه ما ذكر تقديره فرجع موسى فوجد الامر كما ذكره الله له فجعل يؤنب هرون بهذه المقالة
وقرا الجمهور تتبعن بحذف اليا وقرا ابن كثير وابو عمرو باثباتها وصلا وابن كثير يقف بيا دون ابي
عمرو ويحتمل قوله ان لا تتبعني بني اسرائيل نحو جبل الطور فيجي اعتذار هرون بمعنى اي ولو
فعلت ذلك مشت معي طائفة واقامت طائفة على عبادة العجل فتفرق الجموع فخفت لومك
على التفريق ويحتمل قوله ان لا تتبعني ان لا تسير بسيرتي وعلى طريقتي في الاصلاح والتسديد
فيجي اعتذار هرون بمعنى ان الامر كان متفاقما فلو تقويت عليه وقع القتال وتفرق الكلمة
فكان تفريقا بين بني اسرائيل وانما لاينت جهدي وقوله ان لا تتبعني بمعنى ما منعك ان تتبعني
واختلف الناس في وجه دخول لا فقالت فرقة هي زائدة وذهب حذاق النحاة الى انها
مؤكدة وان في الكلام فعلا مقدرا كانه قال ما منعك ذلك او حضك ونحو هذا على ان لا تتبعني وما
قبل وما بعد يدل على هذا ويعضده وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم يا ابن ام
فيحتمل ان يريد يا ابن اما فحذف الالف تخفيفا ويحتمل ان يجعل الاسمين اسما واحدا وبناه
كخمسة عشر وقرا ابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بكسر الميم على حذف اليا تخفيفا وهو شاذ لانها
ليست كاليا في قولك يا غلامي وانما هي كاليا في قولك يا غلام غلامي وهذه لا تحذف ويحتمل ان يجعل
الاسمين اسما واحدا ثم اضاف الى نفسه فحذف اليا كما تحذف من الاسما المفردة اذا اضيفت نحو
يا غلام وقالت فرقة لم يكن هرون اخا موسى الا من امه وهذا ضعيف وقالت فرقة كان شقيقه

ما خطبك

وانما دعاه بالام لان النداء بالام اشفق واشد استرحاما واخذ موسى بلحية هرون غضبا وكان حديد الخلق عليه السلام ۝ قوله قال فما خطبك يا سامري المعنى قال موسى فما خطبك وهو كما تقول ما شانك وما امرك لكن اللفظة تقتضي انتهارا لان الخطب يستعمل في المكاره فكانه قال ما نحسك وما شومك وما هذا الخطب الذي فيه جاء من قبلك والسامري قيل منسوب الى قبيلة من بني اسرايل وقيل الى قرية يقال لها سامرة وهي معروفة اليوم ببلاد مصر وقيل اسمه موسى بن ظفر وقرات فرقة بصرت بضم الصاد على معنى صارت بصيرتي بصورة ما كظرفت وشرفت وقرات فرقة بكسر الصاد فيحتمل ان يراد من البصيرة ويحتمل ان يراد من البصر وذلك انه روي ان السامري ما زاد على الناس بالبصر وهو وجه جبريل وفرسه وبالبصيرة وهو ما علمه من ان القبضة اذا نبذها مع الحلي جاء من ذلك ما يريد وقرا الجمهور يبصروا بالياء يريد بني اسرايل وقرا حمزة والكسائي بالتاء من فوق يريد موسى مع بني اسرايل وقرا الجمهور فقبضت قبضة بضاد معجمة فيهما بمعنى اخذت بملء مع الاصابع وقرا ابن مسعود وابن الزبير وابي بن كعب وغيرهم بالصاد المهملة فيهما بمعنى اخذت باطراف اصابعي فقط وقرا الحسن بخلاف عنه قبضة بضم القاف والرسول جبريل عليه السلام والاثر هو تراب تحت حافر فرسه وسبب معرفة السامري وتمييزه له فيما روي ان ام السامري ولدته عام الذبح وطرحته في مغارة فكان جبريل يغذوه فيها ويحميه حتى كبر وشب فميزه لذلك وهو ضعيف ۝ قوله فنبذتها اي على الحلي فكان فيها ما رآه وهذا المحذوف من اللفظ يقتضيه الحال والمخاطبة ثم قال وكذلك سولت لي نفسي اي كما وقع وحدث قربت لي نفسي وجعلته لي سولا وارا حتى فعلته وكان موسى لا يقتل احدا من بني اسرايل الا في حد او وحي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونحاه عن الناس وامر بني اسرايل باجتنابه واجتناب قبيله وان لا يواكلوا ولا يناكحوا ونحو هذا وعلمه مع ذلك وجعل له ان يقول مدة حياته لا مساس اي لا مماسة ولا اذاية وقرا الجمهور بكسر الميم وفتح السينين على النصب بالتبرية وهو اسم معروف ومنه قول النابغة ۝ فاصبح من ذاك كالسامري اذ قال موسى له لا مساسا ۝ ومنه قول رؤبة ۝ حتى يقول الاسل لا مساسا ۝ واستعاله على هذا اكثر وقرا ابو حيوة بفتح الميم وكسر السين الثانية وهو معدول عن المصدر كفجار ونحوه وشبهه ابو عبيدة وغيره بنزال وكذلك

دعي

ونحوه والتشديد صحيح من حيث هي معدولات وفارقته في ان هذه عدلت عن الامر ومساس وفجار عدلت عن المصدر ومن هذا قول الشاعر ۝ تميم كرهط السامري وقوله الا لا يريد السامري مساس ۝ وقرا الجمهور لن تخلفه بفتح اللام على معنى لن يقع فيه خلف وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسرها على معنى لن تستطيع الروغان عنه والحيدة فتزول عن موعد العذاب وقرا الحسن بن ابي الحسن نخلفه بالنون قال ابو الفتح المعنى لن نصادفه مخلفا وكلها بمعنى الوعيد والتهديد ثم وبخه بقوله وانظر الى الهك اي انظر صنيعك وتغيرنا القدرة الامر فيه الى الواجب وقرات فرقة ظلت بفتح الظا على حذف اللام الواحدة وقرات فرقة بكسر الظا على نقل حركة اللام اليها ثم حذفها بعد ذلك نحو قول الشاعر ۝ خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس ۝ اراد احسسن فنقلت حركة السين الى الحا ثم حذفت تخفيفا وفي بعض الروايات حسين وقرات فرقة ظللت وظل معناه اقام يفعل الشي نهارا ولكنها تستعمل في الدايب ليلا ونهارا بمثابة طفق وعاكفا معناه ملازما حربا وقرات فرقة لنحرقنه بتخفيف الحا وكسر الرا بمعنى النار وقرا علي بن ابي طالب وابن عباس بضم الرا وفتح النون بمعنى لنبردنه بالمبارد وقرا نافع وغيره بالتشديد مبالغة لا تضعيف تعدية وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل البرد بالمبرد وفي مصحف ابي وابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه وهذه القراءة مع رواية من روى ان العجل صار لحما ودما وعلى هذه الرواية تتركب ان يكون هناك حرق بالنار والا فاذا كان جمادا من ذهب فانما حرق بمبرد اللهم الا ان يكون اذابة ويكون النسف مستعارا للتفريق في اليم مذابا وقرات فرقة لننسفنه بكسر السين وقرات بضمها وهو تفريق الريح الغبار وكل ما هو مثله كتفريق الغربال ونحوه وهو نسف واليم عمر الماء من بحر او نهر وكل ما عمر الانسان من الما فهو يم ونسفا تاكيد بالمصدر واللام في لنحرق لام القسم وفي هذه الاية من القصص ان موسى برد العجل حتى رجع كالغبار ثم ذراه في اليم ثم امر بني اسرايل ان يشرب جميعهم من الما فكلما شرب من في قلبه حب العجل خرج على شاربه فضيحة له من الذهب واسند مكي ان موسى كان مع السبعين في المناجاة وحينئذ وقع امر العجل وان الله اعلم موسى بذلك فكتمه موسى عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لغط بني اسرايل حول العجل فحينئذ اعلمهم

٤٠

موسى بقوله وهذه رواية الجمهور على خلافها وانما تعجل موسى وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسى
وصنع ما صنع بالعجل ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني اسرائيل وان
يطلعهم ايضا على امر المناجاة فكان لموسى نهضتان والله اعلم ۝ قوله انما الهكم الله هذه
مخاطبة من موسى لجميع بني اسرائيل مبينا لهم وسع كل شيء علما بمعنى وسع علمه كل شيء وعلما تمييز وهذا
كقولهم تفقأت شحما وتصببت عرقا والمصدر في الاصل فاعل ولكن يسند الفعل الى غيره وينصب هو
على التمييز وقرا مجاهد وقتادة وسع بفتح السين مشددة بمعنى خلق الاشيا وكثرها بالاختراع
فوسعها موجودات ۝ قوله كذلك نقص عليك مخاطبة لمحمد عليه السلام اي كما قصصنا عليك
نبا بني اسرائيل هذا في خبر العجل كذلك نقص عليك فكانها تعديد نعمة ۝ قوله ما قد سبق
يريد به سوف مدة محمد والذكر القران وقرات فرقة فانه يحمل بكسر الميم وفرقة بفتحها مشددة
قوله من اعرض عنه يريد بالكفر والتكذيب به والوزر الثقل وهو هاهنا ثقل العذاب
بدليل قوله خالدين فيه وحملا تمييز ويوم ظرف ويوم الثاني بدل منه وقرا الجمهور ينفخ بالياء
مضمومة على ما لم يسم فاعله انه ينفخ الملك وقرا ابو عمرو وحده بنون العظمة اي بامرنا واذننا
وهذه تناسب قوله ونحشر وقرا الجمهور في الصور بسكون الواو ومذهب الجمهور انه القرن الذي
ينفخ فيه اسرافيل وبهذا جاءت الاحاديث وقالت فرقة هو جمع صورة كثمرة وثمر وقرا ابن عباس
بفتح الواو وهذه صريحة في بعث الاجساد من القبور وقرا الجمهور ونحشر بالنون وقرات فرقة
بالياء مضمومة وفرقة مفتوحة المجرمون على المفعول لمن ضم اليا وهي قراءة مخالفة لخط المصحف
قوله زرقا اختلف الناس في معناه فقالت فرقة يحشرهم اول قيامهم سود الالوان زرق
العيون فهو تشويه ثم يعمون بعد ذلك وهي مواطن وقالت فرقة انهم يحشرون عطاشا
والعطش الشديد هو يرد سواد العين الى البياض فكانهم يبيض سواد عيونهم من شدة
العطش وقالت فرقة اراد زرق الالوان وهي غاية في التشويه لانهم يجيئون كلون الرماد
وفي كلام العرب يسمع ان يسمى هذا اللون ازرق ومنه قيل زرقة الما قال الشاعر
۝ فلما وردن الماء زرقا جمامه ۝ وضعن عصي الحاضر المتخيم ۝ ومنه قولهم سنان ازرق لانه نحو
ذلك اللون ۝ قوله يتخافتون اي المجرمون بينهم اي يتسارون والمعنى انهم لهول المطلع

ثم شدة ذهاب ازمانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوها واختلف الناس فيما ذا
فقالت فرقة في دار الدنيا ومدة العمر وقالت في الارض مدة البرزخ وقالت فرقة ما بين نفختي
الصور ۝ وامثلهم طريقة معناه اثبتهم يقينا واعلمهم بالحقيقة بالاضافة اليهم فهم في هذه
المقالة يظنون ان هذا قدر لبثهم والصحيح في قوله ويسالونك قيل ان رجلا من ثقيف سال
النبي عليه السلام ما يكون من الجبال يوم القيامة وقيل بل جماعة من المومنين سالوه عنها
وقد تقدم معنى النسف وروي ان الله تعالى يرسل على الجبال ريحا فتدكدكها حتى تكون كالعهن
المنفوش ثم تتوالى عليها حتى يعيدها كالهباء المنبث فذلك هو النسف ۝ قوله فيذرها
يحتمل ان يريد مواضعها ويحتمل ان يريد التراب الذي نسفه لانه انما يقع على الارض باعتدال
حتى تكون الارض كلها مستوية والقاع المستوي من الارض المعتدل الذي لا نشز فيه ومنه قول
ضرار بن الخطاب ۝ لتكونن بالبطاح قريش ۝ فقعة القاع في اكف الاماء ۝ والصفصف
نحوه في المعنى والعوج ما يعتري اعتدال الارض من الاخذ يمنة ويسرة بحسب النشز من جبل
وظرب وكدية ونحوه والامت ما يعتري الارض من ارتفاع وانخفاض يقال امتر جله حتى ما
ترك فيه امتا وكان الامت في الاية العوج في السما تجاه الهوا والعوج في الارض مختص بالعرض
وفي هذا نظر ۝ قوله يوميذ المعنى يوم ينسف الجبال يتبع الخلايق داعي الله الى المحشر وهذا
نحو قوله مهطعين الى الداعي ۝ قوله لا عوج له يحتمل ان يريد به الاخبار اي لا شك فيه ولا
يخالف وجوده خبره ويحتمل ان يريد لا محيد لاحد عن اتباعه والمشي نحو صوته ۝ والخشوع
التطامن والتواضع وهو في الاصوات استعارة بمعنى الخفا والاستسرار ۝ للرحمن اي لهيبته
وهول مطلع قدرته والهمس الصوت الخفي الخافت وقد يحتمل ان يريد بالهمس المسموع تخافتهم
بينهم وكلامهم السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وان اصوات النطق ساكتة ومن في قوله الا
من يحتمل ان يكون الاستثنا متصلا وتكون من في موضع نصب يراد بها المشفوع له فكان المعنى
الا من اذن له الرحمن في ان يشفع له ويحتمل ان يكون الاستثنا منقطعا على تقدير لكن من اذن له الرحمن
يشفع فمن في موضع نصب بالاستثنا ويصح ان تكون في موضع رفع كما يجوز الوجهان في قولك ما في الدار
احد الا حمار والا حمارا والنصب اوجه ومن على هذه التاويلات للشافع ويحتمل ان تكون للمشفوع

فيه ۵ قوله ما بين ايديهم وما خلفهم قالت وفيه يريد الملايكه وقالت وفيه يريد خلقه
اجمعين وقد تقدم القول فيما بين اليد وما خلف في غير موضع علي ان جماعه من المفسرين
قالوا في هذه الايه ما خلفهم الدنيا وما بين ايديهم الاخره والثواب والعقاب وهذا
بان تعرضها حاله وقوف حتي نجعلها كالاجرام وانما انعقدنا ها في نسق الزمان فالامر
علي العكس لما بيناه قبل ۵ وعنت معناه ذلت والعاني الاسير ومنه قوله عليه السلام
ذا امر النسا فانهن عوان عندكم وهذه حاله الناس يوم القيمه وقال طلق بن حبيب اراد
سجود الناس علي الوجوه والاراب السبعه ع ان كان روي هذا ان الناس سجود يوم
القيمه وجعل هذه الايه اخبارا عنه فقوله مستقيم وان كان اراد سجود الدنيا فانه
افسد نسق المعني ۵ والقيوم بنا مبالغه من قيامه عز وجل بما يجب فيه ۵ وخاب معناه
لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه ۵ والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبه كل حامل بقدر ما حمل من الظلم
فخيبه المشرك علي الاطلاق وخيبه العاصي مقيده لوقت في العقوبه ۵ قوله ومن يعمل
معادل لقوله ومن حمل ظلما وفي قوله من الصالحات تيسير في الشرع لانها من التي للتبعيض
والظلم اعم من الهضم وهما يتقاربان في المعني ويتداخلان ولكن من حيث تناسقا في هذه
الايه ذهب قوم الي تخصيص كل واحد منهما بمعني فقالوا ان الظلم ان تعظم عليه سياته
وتكثر اكثر مما يجب والهضم ان ينقص من حسناته ويبخسها وكلهم قرا فلا يخاف غير ابن كثير
فانه قرا فلا يخف علي النهي ثم قال وكذلك انزلناه اي كما قدرنا هذه الامور وجعلناها حقيقه
بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هولا امرهاه وانزلناه قرانا عربيا ووعدنا فيه بانواع من الوعد
لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه فيومنون ويتذكرون نعمه
عندهم وما حذرهم من اليم عقابه هذا تاويل فرقه في قوله او يحدث لهم ذكرا وقالت فرقه معناه
او يكسبهم شرفا ويبقي عليهم ايمانهم ذكرا صالحا في الغابرين وقرا الحسن البصري او نحدث
ثنا ساكنه وقرا مجاهد نحدث بنون وثا ساكنه ولا وجه للجزم الا علي ان يسكن حرف الاعراب استثقالا
لحركته نحو قول جرير ۵ ولا تعرفكم العرب ۵ فتعالي الله الملك الحق ختم للقول لانه
لما قدم صفه سلطانه يوم القيمه وعظم قدرته وذله عبيده وحسن تلطفه بهم ختم ذلك

بهذه

بهذه الكلمه وجعل ذلك الامر بنوع اخص من القول ۵ قوله ولا تعجل بالقران الايه قالت فرقه
سببه ان النبي عليه السلام كان يخاف وقت تكلم جبريل ان ينسي اول القران فكان يقرا
قبل ان يستتم جبريل قراته وهو علي هذا في معني لا تحرك به لسانك لتعجل به وقالت فرقه
سببها انه كان اذا اوحي اليه القران بادر ان يكتب للحين فامر ان يتانا حتي تفسر له المعاني
ويتقرر عنده وقالت فرقه سببها ان امراه شكت الي النبي ان زوجها لطمها فقال لها بينكما
القصاص ثم نزلت الرجال قوامون علي النسا الايه ونزلت هذه بمعني الامر بالتثبت في الحكم بالقران
والله اعلم وقرا الجمهور يقضي اليك وحيه وقرا ابن مسعود نقضي بنون العظمه وحيه نصبا وباقي
الايه بين رغبه في خيره ۵ قوله ولقد عهدنا قال الطبري المعني وان يعرض هولا الكفره عن اياتي
ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما فعل ذلك ابوهم ادم وهو ضعيف وذلك ان كون ادم مثالا
للكفار الجاحدين بالله ليس بشي وادم انما عصي بتاويل ففي هذا غضاضه عليه عليه السلام وانما
الظاهر في هذه الايه اما ان يكون ابتدا قصص لا تعلق له بما قبله واما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الي
محمد ان لا يعجل بالقران مثل له بنبي قبله عهد اليه فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير وابلغ في
العهد الي محمد والعهد ها هنا في معني الوصيه ونسي معناه ترك ونسيان الذهول لا يمكن ها هنا لانه
لا يتعلق بالناسي عقاب وقرا الاعمش فنسي بسكون اليا ووجهها طلب الخفه والعزم والمضي علي
المعتقد في اي شي كان وادم قد كان معتقدا ان لا ياكل من الشجره لكنه لما وسوس اليه ابليس لم يعزم
علي العقيده وعبر بعض المفسرين عن العزم هنا بالصبر والحفظ وغير ذلك مما هو اعم من حقيقه
العزم والشي الذي عهد الي ادم هو ان لا يقرب الشجره واعلم مع ذلك ان ابليس عدو له وقال
ابو امامه لو ان احلام بني ادم جمعت منذ خلق الله ادم الي يوم القيمه ووضعت في كفه ميزان
ووضع حلم ادم في كفه اخري لرجحهم وقد قال الله ولم نجد له عزما ۵ واذ قلنا للملايكه اسجدوا
قصه والعامل في اذ فعل مضمر وقد تقدم استيعاب هذه القصه ولكن نذكر من ذلك ما يقتضيه
الفاظ هذه الايه فالملايكه قد كان جميعهم مامورا بذلك وقيل بل فرقه منهم فاصله عددهم اثنان
وعشرون والسجود الذي امروا به سجود تكرمه لادم وعباده لله ۵ قوله الا ابليس استثنا متصل
في قول من جعل ابليس من الملايكه ومنقطع في قول من قال هو من قبيله غير الملايكه يقال لها الجن ۵

وقيل

قوله فلا يخرجنكما اي لا تقع منكما طاعة له في اغوايه فيكون ذلك سبب خروجكما من الجنة
ثم خص ادم بقوله فتشقى من حيث كان المخاطب اولا والمقصود في الكلام وقيل بل ذلك لان الله
جعل الشقا في معيشة الدنيا في حيز الرجال وروي ان ادم لما اهبط اهبط معه ثور احمر فكان
يحرث حتى يمسح العرق فهذا هو الشقا الذي خوف منه ٥ قوله ان لك الا تجوع المعنى ان لك نعمة
تامة وعطية مستمرة ان لا يصيبك جوع ولا عري ولا ظما ولا بروز للشمس يوذيك وهو الضحا وقرا
نافع وعاصم في رواية ابي بكر وانك بكسر الالف وقرا حفص والباقون بفتحها وجعل الله في هذه الايه
الجوع مع العري مع الضحا فكان عرف الكلام ان يكون الجوع مع الظما للتناسب والعري مع الضحا
للتضاد اذ العري يمس بسببه البرد فيوذي والحر يفعل ذلك بالضاحي وهذه الطريقة مهيع في كلام
العرب ان تفرق النسب ومنه قول امري القيس ٥

كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ٥

ولم اسبا الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال ٥ وقد ذهب بعض الادبا الى ان
بيتي امري القيس حافظ لنسب وان ركوب الخيل للصيد وغيره من الملاذ يناسب تبطي ومن
الضحا قول الشاعر ٥ راى رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحا واما بالعشي فيخصر ٥
ووسوسة الشيطان قيل كانت دون مشافهة القا في النفس وقيل بل كانت بالمشافهة والمخاطبة
وهو ظاهر القصة من غير ما موضع وكان دخوله الى الجنة فيما روي في فم الحية وكان ادم قد قال
الله لا تاكل من هذه الشجرة وعين له شجرة فلذلك تقدم الخلاف في جنسها فلما وصفها له ابليس بانها
شجرة الخلد اي من اكلها كان ملكا مخلدا عمد ادم الى غير تلك الشجرة التي نهي عنها من جنسها فاكلها
تاولا وقيل ان النهي عن تلك المعينة وقيل بل تاول ان النهي انما كان على الندب لا على التحريم البت
وسارع لذلك هو وحوا وكانت معه في النهي فلما راها اكلت اكل فطارت عنهما ثيابهما وظهر
تبري الاشيا منها وبدت سواتهما وطفقا معناه جعلا يفعلان ذلك دايما ويخصفان معناه
يلصقان ويضمان شيا الى شي فكانا يستتران بالورق وروي انه كان ورق التين ثم نص تعالى
على ادم انه عصى وغوى معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشاد ومنه قول الشاعر
٥ فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما ٥ وقرات فرقة وانك لا تبغ

والظماء

الكاعب

الالف عطفا على ان لا تجوع وقرات فرقة بكسرها عطفا على قوله ان لك ٥ قوله ثم اجتباه
ربه معناه تخيره واصطفاه ٥ وتاب عليه معناه رجع به من حال المعصية الى حال
الندم ٥ وهداه بصالح الاقوال والاعمال وامضى عقوبته في اهباطه من الجنة قوله
اهبطا مخاطبة لادم وحوا ثم اخبرهما بقوله جميعا ان ابليس والحية يبطان معهما وبان
العداوة بينهم وبين انسالهم الى يوم القيمة وعدو يوصف به الواحد والاثنان والجمع
وقوله فاما ياتينكم شرط وجوابه في قوله فمن اتبع هداي وما بعده الى اخر القسم
الثاني والهدى معناه دعوة شرعي ثم اعلمهم ان من اتبع هداه وامن به فانه لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة وان من اعرض عن ذكره وكفر به فان له معيشة ضنكا وهو النكد الشاق
العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها ومنه قول عنترة ٥

٥ ان ينزلوا بضنك انزل ٥ يوصف به الواحد والجمع والمونث وقرات فرقة ضنكى اتبعت
بالصفة لفظ المعيشة واختلف الناس في المعيشة الضنكى هو الوقت الذي هي فيه فقالت
فرقة هي في الدنيا ومعنى ذلك عندهم ان الكافر وان كان متسع الحال والمال فعنده الحرص والامل
والتعذب بامور الدنيا والرغبة وامتناع صفا العيش لذلك ما يصير معيشته ضنكا وقالت
فرقة هي ضنك باكل الحرام وقالت فرقة بل المعيشة الضنك في البرزخ وهي ان يرى مقعده من النار
غدوا ورواحا وبالجملة عذاب القبر على ما روي وحمل هذه الفرقة على هذا التاويل ان لفظ الاية
يقتضي ان المعيشة الضنك هي قبل يوم القيمة بقوله ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله ولعذاب
الاخرة اشد وابقى وقالت فرقة بل المعيشه الضنك في الاخرة وهي عذابهم في جهنم واكلهم الزقوم
وذكر الله من وعيده لهم ثم اخبر عن حالة اخرى هي ايضا في القيمة وهي حشرهم عميا ثم يجي قوله ولعذاب
الاخرة اشد وابقى بمعنى هذا الذي ذكرناه من المعيشه والعمى ونحوه هو عذابه في الاخرة وهو
اشد وابقى من كل ما يقع عليه الظن والتخيل فكانه ذكر نوعا من عذاب الاخرة اشد وابقى
وقرات فرقة ونحشره بالنون وفرقة بسكون الرا وفرقة اعمى بالفتح وفرقة بالامالة وقالت فرقة
هو عمى البصر عن الحجة ولو كان هذا لم يحس الكافر بذلك لانه مات اعمى البصر وحشر كذلك وقالت فرقة
العمى عمى البصر وهذا هو الاوجه مع ان عمى البصيرة حاصل في الوجهين واما قوله ونحشر المجرمين يوميذ

الا الف عطفًا على ان لا تجوع وقرات فرقة بكسرها عطفًا على قوله ان لك قوله ثم اجتباه ربه
معناه تخيره واصطفاه وتاب عليه معناه رجع به من حال المعصية الى حال الندم وهداه
بصالح الاقوال والاعمال وامضى عقوبته في اهباطه من الجنة قوله اهبطا مخاطبة
لحوا وادم ثم اخبرهما بقوله جميعا ان ابليس والحية يهبطان معهما وان العداوة بينهم وبين ابنائهم
الى يوم القيمة وعدو يوصف به الواحد والاثنان والجمع قوله فاما ياتينكم شرط وجوابه
في قوله فمن اتبع هداي وما بعده الى اخر القسم الثاني والهدى معناه دعوة شرعية ثم اعلمهم ان
من اتبع هداه وامن به فانه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وان من اعرض عن ذكره وكفر به
فان له معيشة ضنكًا وهو النكد الشاق من العيش والمنازل ومواطن الحرب ونحوها ومنه
قول عنترة ان ينزلوا فبضنك انزل يوصف به الواحد والجمع والمونث
وقرات فرقة ضنكى اتبعت بالصفة لفظ المعيشة واختلف الناس في المعيشة الضنك متى هو
الوقت الذي هي فيه فقالت فرقة هي في الدنيا ومعنى ذلك عندهم ان الكافر وان كان متسع الحال
والمال فمعه الحرص والامل والتعذب بامور الدنيا والرغبة وامتناع صفاء العيش لذلك
ما يصير معيشته ضنكا وقالت فرقة هي ضنك باكل الحرام وقالت فرقة بل المعيشة الضنك في
البرزخ وهي ان يرى مقعده من النار غدوًا ورواحًا وبالجملة عذاب القبر على ما روي فيه وحمل
الضنك هذه الفرقة على هذا انا وبان لفظ الاية يقتضي ان المعيشة الضنك م ذرقا من دائم في العيش
فلا تختص بزمان دون زمان قوله فيها مع هذه اما انها في طائفتين او في موطنين قوله اتتك اياتنا فنسيتها
ذلك اشارة الى العمى الذي حل به اي مثل هذا في الدنيا اذ اتتك اياتنا فنسيتها والنسيان في هذه الاية
بمعنى الترك ولا مدخل للذهول في هذا الموضع وتنسى ايضا بمعنى تترك وروي ان هذه الاية نزلت
في القرشي قوله وكذلك اي وكما وصفنا من اليم العقاب نجزي المسرفين المعتدين الكفار بالله
ولعذاب الاخرة ان كانت معيشة الضنك في الدنيا او في البرزخ فهذا وعيدا بعذاب الاخرة
بعد وعيد وان كانت المعيشة في الاخرة فالكلام وعيد بعينه بهذا القول الذي فعل به عذاب
الاخرة فوق كل عذاب يتخيله الانسان ويقع في الدنيا ثم ابتدا يوبخهم ويذكرهم العبر بقوله افلم يهد
لهم وقرات فرقة بالياء بمعنى يبين واختلف هذه الفرقة في الفاعل فقال بعضها هو كم وهذا قول

كوفي ولا يجيزه البصريون لكن لها صدر الكلام وفي قراة ابن مسعود افلم يهد لهم من اهلكنا وقالت
هذه القراة تناسب ذلك التاويل في كم وقال بعضهم الفاعل الله والمعنى افلم يهد الله لهم
ما جعل من الايات والعبر فاضاف الفعل الى اسمه بهذا الوجه بهذا الوجه قاله الزجاج وقال
بعضهم الفاعل مقدر الهدى او الامر او النظر والاعتبار وهذا احسن ما يقدر به عندي
وقرات فرقة نهد بالنون وهذه القراة تناسب تاويل من قال في التي قبلها الفاعل الله وكم على
هذه الاقوال مفعول باهلكنا ثم قيد القرون بانهم يمشون في مساكنهم وانما اراد عادًا
وثمودًا والطوائف التي قريش تجوز على بلادهم في المرور الى الشام وغيره وقرات فرقة يمشون
بفتح الياء وفرقة بضمها وفتح الميم وتشديد الشين والنهى جمع نهية وهو ما ينهى الانسان
عن فعله قوله اجل مسمى عده في ترتيب الكلام ولولا كلمة سبقت في التاخير واجل
مسمى لكان العذاب لزامًا كما تقول حتمًا او واجبًا واقعًا لكنه قدم واخر لتشبيه رؤوس الاي
واختلف الناس في الاجل فيحتمل ان يريد يوم القيمة والعذاب المتوعد به على هذا هو عذاب
جهنم ويحتمل ان يريد بالاجل موت كل واحد منهم فالعذاب على هذا هو ما يلقى في قبره وما بعده
ويحتمل ان يريد بالاجل يوم بدر فالعذاب على هذا هو قتلهم بالسيف ولكل احتمال مما ذكرناه قالت
فرقة وفي صحيح البخاري ان يوم بدر هو اللزام وهو البطشة الكبرى ثم امره تعالى بالصبر على قولهم
انه ساحر وكاهن وكذاب وغير ذلك والمعنى لا تحفل بهم فانهم مدرجة الهلاك وكون اللزام يوم
بدر ابلغ في ايات نبينا عليه السلام قوله وسبح بحمد ربك قال اكثر المتاولين هذه اشارة
الى الصلوات الخمس قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن اناء الليل العتمة
واطراف النهار المغرب والظهر وقالت فرقة اناء الليل المغرب والعشا واطراف النهار الظهر
وحدها ويحتمل اللفظ ان يراد به سبحان الله وبحمده من بعد صلاة الصبح الى ركعتي الضحى وقبل غروب
الشمس فقد قال عليه السلام من سبح عند غروب الشمس سبعين تسبيحة غربت بذنوبه وسمى الطرفين
اطرافا على احد الوجهين اما على نحو قوله فقد صغت قلوبكما واما على ان يجعل النهار للجنس فلكل
يوم طرف وهي التي تجمع واما من قال اطراف النهار لصلاة الظهر وحدها فلا بد له ان يتمسك بان يكون
النهار للجنس كما قلنا او يقول ان النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال ولكل قسم طرفان فعند الزوال

طرفان الاخر من القسم الاول والاول من القسم الاخر فقال عن الطرفين اطرافا على نحو فقد
صغت قلوبكما واشار الى هذا النظر ابن فورك في المشكل والاناء جمع اني وهو الساعة من الليل
ومنه قول الهذلي حلو ومر كعطف القدح مرته في كل اني حداه الليل ينتعل
وقالت فرقة في الاية اشارة الى نوافل فمنها اناء الليل ومنها قبل طلوع الشمس وركعتا الفجر والمغرب
اطراف النهار وقرا الجمهور ترضى بفتح التا اي تثاب على هذه الاعمال بما ترضى به وقرا الكسائي وابو بكر
عن عاصم بضم التا اي لعلك تعطى ما يرضيك قوله ولا تمدن عينيك قال بعض الناس سببها
ان النبي عليه السلام نزل به ضيف ولم يكن عنده شي فبعث الى يهودي ليسلفه شعيرا فابى اليهودي
الا برهن فبلغ ذلك النبي عليه السلام فقال والله اني لامين في السما امين في الارض ورهنه درعه
فنزلت الاية وهذا معترض ان يكون سببا لان السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر عمر
النبي عليه السلام لانه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت وانما الظاهر ان الاية
متناسقة مع ما قبلها وذلك ان الله وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة وعدهم بالعذاب
المؤجل ثم امر نبيه بالاحتقار لشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض عن اموالهم وما في ايديهم ذلك
اذ ذلك بمحضر منهم صائر بهم الى خزي وقوله ولا تمدن ابلغ من لا تنظر لان الذي يمد بصره انما
يحمله على ذلك حرص مقترن والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه والازواج الانواع فكانه قال الى
ما متعنا به اقواما منهم واصنافا وقوله زهرة الحياة الدنيا شبه نعمها ولا الكفار بالزهر وهو ما
اصفر من النور وقيل هو النور جملة وقيل لان الزهر له منظر ثم يضمحل فكذلك حال هؤلاء ونصب
زهرة اما على اضمار فعل تقديره جعلنا زهرة او على الحال وذلك ان تعرفها ليس بمحض وقرات
فرقة بسكون الها وقرات فرقة بفتحها ثم اخبر نبيه ان ذلك انما هو ليختبرهم فيه ويجعله فتنة لهم وامرا
يجازون عليه بالسوء الفساد تقلبهم فيه ورزق ربك الذي احله للمتقين من عباده خير وابقى
اي رزق الدنيا ثم امره بان يامر اهله بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها ويتكفل
هو برزقه لا اله الا هو واخبره ان العاقبة لاولي التقوى وفي خبرها فتم نصر الله في الدنيا
ورحمته في الاخرة وهذا خطاب للنبي ويدخل في عمومه جميع امته وروي ان عروة بن الزبير
كان اذا راى شيئا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله فدخله وهو يقرا هذه الايات

ثم ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله ويصلي وكان عمر بن الخطاب يوقظ اهل داره لصلاة
الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية نحن نرزقك بضم القاف وقرات فرقة بسكونها ثم اخبر عن طوائف
من الكفار قالوا عن محمد لولا ياتينا باية اي بعلامة مما اقترحناه عليه او بما نهوى ويضطر
ورسل الله انما اقترنت معهم ايات معرضة للنظر محفوفة بالبراهين العقلية ليضل من
سبق في علم الله ضلاله ويهتدي من سبق هداه فوبخهم الله بقوله اولم تاتهم بينة ما في
الصحف الاولى يعني التوراة اعظم شاهد واكبر اية له وقرا نافع وابو عمرو وحفص عن عاصم
تاتهم على بينة وقرا ابو بكر عن عاصم والباقون بالياء على المعنى وقرات فرقة بينة ما بالاضافة
وفرقة بالتنوين وما بدل على هذه القراءة فاعله بتاتي وقرا الجمهور الصحف بضم الحا وفرقة بسكونها
قوله ولو انا اهلكناهم الاية اخبر نبيه انه لو اهلك هذه الامة الكافرة قبل ارساله اليهم محمدا
لقامت لهم حجة وقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الاية وروى ابو مسعود البدري عن
النبي عليه السلام قال يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة والمغلوب على
عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله رب لم تجعل لي عقلا ويقول الصبي نحوه
ويقول الهالك في الفترة رب لم ترسل الي رسولا ولو جاءني لكنت اطوع خلقك لك فترفع
لهم نار فيقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله انه سعيد ويكع عنها
الشقي فيقول الله اياي عصيتم فكيف برسلي لو اتتكم ع اما الصبي والمغلوب على عقله
فامرهما بين واما صاحب الفترة فليس ككفار قريش قبل النبي لان كفار قريش ممن علم وسمع
عن نبوة ورسالة في اقطار الارض فليس بصاحب فترة فليس والنبي عليه السلام قد قال ابي
وابوك في النار وراى عمرو بن لحي في النار الى غير هذا مما يطول ذكره وانما صاحب الفترة يفرض
ابدا دهره لم يطرا اليه ان الله بعث رسولا ولا دعا الى دين وهذا قليل الوجود اللهم الا ان يشذ
في اطراف الارض والمواضع المنقطعة من العمران والذل والخزي مقترنان بعذاب
الاخرة ثم امر نبيه ان يتوعدهم ويحيلهم ونفسه على التربص وانتظار الفرج والتربص التاني
والصراط الطريق وقرات فرقة السوي وفرقة السوء وكان هذه القراءة قسيم المرتضى اي
ستعلمون هذا من هذا وقرات فرقة بتشديد الواو وفتحها وقرات فرقة بضم السين وهمزة على

بلغ

الواو على وزن فعلى ومن اهتدى معناه رشد والله اعلم

تفسير سورة الانبيا عليهم السلام هي مكيه باجماع وكان ابن مسعود يقول
الكهف ومريم وطه والانبيا من العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم ما كسبت
وحفظت من القران كالمال التلاد ٥ قوله اقترب للناس حسابهم روي ان رجلا من الصحابه
كان يبني جدارا فمر به اخر في يوم نزول هذه السورة فقال الذي كان يبني الجدار ماذا نزل
اليوم من القران فقال الاخر نزل اليوم اقترب للناس حسابهم وهم في غفله معرضون فنفض يده من
البنيان وقال والله لا بنيت ابدا وقد اقترب الحساب ٥ قوله اقترب للناس عام في جميع
الناس بالمعنى وان كان المشار اليه في ذلك الوقت كفار قريش يدل على ذلك ما بعد من الايات
وهم في غفله معرضون يريد ونحوه من هذه الالفاظ على عصاة المومنين قسطهم ٥ قوله ما ياتيهم
وما بعده مختص بالكفار قوله من ذكر من ربهم محدث قالت فرقه المراد ما ينزل من القران ومعناه
محدث نزوله واتيانه اياهم لا هو في نفسه وقالت فرقه المراد بالذكر اقوال النبي عليه السلام
في امر الشريعه ووعظه وتذكيره فهو محدث على الحقيقه جعله من ربهم من حيث ان النبي لا ينطق
عن الهوى ولا يقول الا ما هو من عند الله وقالت فرقه الذكر الرسول نفسه واحتجت بقول قد انزل
الله اليكم ذكرا رسولا فهو محدث على الحقيقه ويكون قوله استمعوه بمعنى استمعوا اليه ٥ وهم يلعبون
جمله في موضع الحال اي استماعهم في حال اللعب فهو غير نافع ولا واصل للنفس ٥ قوله لاهيه
قلوبهم حال بعد حال واختلف النحاة في اعراب قوله واسروا النجوى الذين ظلموا فمذهب سيبويه
ان الضمير في اسروا فاعل وان الذين بدل منه وقال لغة من قال اكلوني البراغيث ليست في القران
وقال ابو عبيدة وغيره الواو والالف علامه ان الفاعل مجموع كالتاء في قولك قامت هند والذين
فاعل باسروا وهذا على لغة من قال اكلوني البراغيث وقالت فرقة الضمير فاعل والذين مرتفع
بفعل مقدر تقديره اسرها الذين وقال الذين ع والوقف على النجوى في هذا القول وفي القول
الاول احسن ولا يحسن في الثاني وقالت فرقه الذين مرتفع على خبر ابتدا مضمر تقديره هم الذين ظلموا
والوقف مع هذا احسن وقالت فرقه الذين في موضع نصب بفعل تقديره اعني الذين وقالت فرقه
الذين في موضع خفض بدل من الناس في قوله اقترب وهذه اقوال ضعيفه ومعنى اسروا النجوى

الكفار

سع

تكلموا بينهم في اسرار المناجاة بعضهم لبعض وقال ابو عبيدة اسروا اظهروا وهو من الاضداد
ثم بين تعالى الامر الذي تناجوا به وهو قول بعضهم لبعض هل هذا الا بشر مثلكم ثم قال بعضهم لبعض
على جهة التوبيخ في الجهاله افتاتون السحر وانتم تبصرون اي تدركون انه سحر وتعلمون ذلك
كانهم قالوا تضلون على بينه ومعرفه ثم امر تعالى نبيه ان يقول لهم وللناس جميعا ربي يعلم القول
في السما والارض اي يعلم اقوالكم هذه وهو بالمرصاد في المجازاة عليها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر قل ربي وقرا حمزة والكساي قال ربي على الخبر عن النبي واختلف عن عاصم قال
الطبري وهما قراتان مستفيضتان في قراة الامصار ٥ قوله بل قالوا اضغاث احلام
اقتضت الاية التي قبل هذه انهم قالوا انما عنده سحر عدد الله في هذه جميع ما قالته طوايفهم
ووقع الاضراب بكل مقالة عن المتقدمه لها ليتبين اضطراب امرهم فهو اضطراب عن جحد
متقدم لان الثاني ليس بحقيقه في نفسه والاضغاث الاخلاط واصل الضغث القبضه
المختلطة من العشب والحشيش فشبه تخليط الحلم بذلك وهو ما لا يفسر ولا يتحصل ثم حكى قول
من قال انه مفتر قاصد للكذب ثم قول من قال شاعر وهي مقالة فرقه عاميه منهم لان نبلا العرب
لم يخف عليهم بالبديهة ان مباني القران ليست مباني شعر ثم حكى اقتراحهم وتمنيهم انه يفطرهم ويكون
في غاية الوضوح كناقة صالح وغيرها ٥ قوله كما ارسل الاولون دال على معرفتهم باتيان الرسل
للامم المتقدمه ٥ قوله ما امنت قبلهم قبله مقدرا كلام يدل عليه المعنى تقديره والايات التي
طلبوها عادتنا ان القوم ان كفروا بها عاجلناهم وما امنت قريه من القرى التي نزلت بها هذه
النازلة امنه كانت تومن ٥ وقوله اهلكناها جمله في موضع الصفه للقريه والجمل اذا اتبعت
النكرات فهي صفات لها واذا اتبعت المعارف فهي احوال كلها ٥ قوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا رد على فرقه منهم كانوا يستبعدون ان يبعث الله من البشر رسولا بشق على نوعه
من البشر بهذا القدر من الفضل فمثل الله في الرد عليهم ثم سبق من الرسل من البشر وقرا الجمهور يوحى
وقرا حفص بالنون ثم احالهم على سوال اهل الذكر من حيث لم يكن عند قريش كتاب ولا اثاره من علم
واختلف الناس في اهل الذكر من هم فروي عن عبد الله بن سلام انه قال انا من اهل الذكر وقالت فرقه
هم احبار اهل الكتاب وروي عن علي بن ابي طالب انه قال انا من اهل الذكر وقالت فرقه هم اهل

القران وهذا موضع ينبغي ان يتامل وذلك ان الذكر هو كل ما ياتي من تذكير الله عباده
فاهل القران اهل ذكر وهذا اراد علي عليه السلام واما الحال علي سوالهم في تصح ان يكونوا
اهل القران في ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم وانما احيلوا علي سوال الاحبار اهل الكتاب
من حيث كانوا موافقين لهم علي ترك الايمان بمحمد النبي فشهادتهم بان الرسل قديما من البشر
لا مطعن فيها لازمة للكفار وتبصرة ه قوله وما جعلناهم جسدا الاية قيل الجسد
الاشيا تقع علي ما لا يتغذي ومنه قوله عجلا جسدا فعلي هذا المعني ما جعلناهم
اجسادا لا يتغذي وقيل الجسد يعم المتغذي من الاجسام وغير المتغذي فالمعنى
ما جعلناهم اجسادا وجعلناهم مع ذلك لا ياكلون الطعام كالجمادات او كالملايكة فجعلناهم
جسدا علي التاويل الاول منفي وعلي الثاني موجب والنفي واقع علي صفته وقوله
لا ياكلون الطعام كناية عن الحدث ثم نفي عنهم الخلد لانه من صفات القديم وكل محدث
فغير خالد في دار الدنيا ه قوله ثم صدقناهم الوعد هذه اية وعيد في ضمن وصفه
تعالي سيرته في الانبياء ومن امته تصدق مواعيدهم ولذلك تصدق لمحمد ولاصحابه ما وعدهم
من النصر وظهور الكلمة وقوله ومن نشا معناه من المومنين بهم والمسرفون الكفار
المفرطون في غيهم وكفرهم وكل من ترك الايمان مفرط مسرف ثم وبخهم تعالي بقوله لقد
انزلنا الاية والكتاب القران وقوله فيه ذكركم يحتمل ان يريد فيه الذكر الذي اوله الله
لكم باموردينكم واخراكم وحذركم من عذابه فاضاف الذكر اليهم من حيث هو في امرهم ويحتمل
ان يريد فيه شرفكم وذكركم اخر الدهر كما يذكر عظام الامور وفي هذا تحريض بقوله افلا
تعقلون وحركهم بذلك الي النظر ثم مثل لهم علي جهة الوعيد بمن سلف من الامم المعذبة
وكم للتكثير وهي في موضع نصب بقصمنا ومعناه اهلكنا واصل القصم الكسر في الاجرام
فاذا استعير للقوم والقرية فهو ما يشبه الكسر وهو اهلاكهم واوقع هذه الامور علي
القرية والمراد اهلها وهذا مهيع كثير ومنه ما امنت قبلهم من قرية وغيره ه وقوله
وانشانا اي خلقنا وبثثنا امة اخري غير المهلكة وقوله فلما احسوا وصف عن قرية
من القري المجملة اولا قيل كانت باليمن تسمى حضورا بعث الله الي اهلها رسولا فقتلوه فارسل

عليهم بخت نصر صاحب بني اسرايل فهزموا جيشه مرتين فنهض في الثالثة بنفسه فلما
هزمهم واخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ويحتمل ان لا يريد بالاية قرية بعينها وانه وصف حال
قرية من القري المعذبة وان اهل كل قرية كانوا اذا احسوا العذاب من اي نوع كان اخذ
في الفرار واحسوا اي باشروه بالحواس والركض تحريك القدم علي الصفة المعهودة في الفار
والجاري بالجملة راكضا اما دابة واما الارض فتشبيها بالدابة ه قوله لا تركضوا يحتمل ان يكون
من قول رجال بخت نصر علي الرواية المتقدمة فالمعني علي هذا انهم خدعوهم واستهزوا
بهم بان قالوا للهاربين منهم لا تفروا وارجعوا الي مواضعكم لعلكم تسالون صلحا او جزية
او امرا تتفقون عليه فلما انصرفوا امر بخت نصر ان ينادي فيهم يا ثارات النبي المقتول فقتلوا
بالسيف عن اخرهم هذا كله مروي ويحتمل ان لا تركضوا الي اخر الاية من كلام ملايكة العذاب
علي التاويل الاخر ان الاية وصف قصة كل قرية وانه لم يرد تعيين حضورا ولا غيرها فالمعني
علي هذا ان اهل هذه القري كانوا باغترارهم يرون انهم من الله بمكان وانهم لو جاءهم عذاب
او امر لم ينزل بهم حتى يخاصموا ويسالوا عن وجه تكذيبهم لنبيهم فيحتجوا هم عند ذلك بحجج تنفعهم
في ظنهم فلما نزل العذاب دون هذا الذي املوا وركضوا فارين نادتهم الملايكة علي وجه الهزء
بهم لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسالون كما كنتم تطمعون بسفه رايكم ثم يكون قوله حصيدا اي بالعذاب
تركوا كالحصيد والاتراف التنعيم ه ودعواهم معناه دعاوهم وكلامهم اي لم ينطقوا بغير
التاسف والحصيد يشبه بحصيد الزرع بالمنجل اي ردهم الهلاك كذلك وخامدين اي
اي موتي دون ارواح يشبههم بالنار اذا طفيت ولما فرغ وصف هذه الحال وعظ الله تعالى
السامعين بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي كما ظن هولاء الذين حل
بهم ما نزل وكما تظنون انتم ايها الكفرة الان ففي الاية وعيد بهذا الوجه والمعنى انما خلقنا هذا
كله ليعتبر به وينظر فيه ويومن بالله بحسبه قال بعض الناس يسالون معناه يفهمون ويفقهون
وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ وقالت فرقة يسالون معناه شيا من اموالكم وعرض دنياكم علي
وجه البر وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا ظاهرها الرد علي قول من قال من الكفار امر مريم
وما ضارعه من الكفر تعالي الله عن قول المبطلين واللهو في هذه الاية المراة وروي انها في

بعض لغات العرب تقع على الوجه، وان في قوله ان كنا يحتمل ان يكون الشرطية
بمعنى لو كنا اي ولسنا لذلك وللمتكلمين هنا اعتراض وانفصال ويحتمل ان يكون نافيه
بمعنى ما وعلى هذا فقيل واللهو عام في القران والرساله والشرع وكل ما هو حق والباطل
ايضا عام لكن لكذه ويدمغه معناه يصيب دماغه وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق مهلك
الباطل والويل الخزي والهم وقيل هو اسم واد في جهنم فهو المراد في هذه الايه وهذه مخاطبة للكفار
الذين وصفوا الله بما لا يجوز عليه ولا يليق به تعالى الله عن قولهم ٥ قوله وله من في السموات
والارض ومن عنده يحتمل ان يكون ابتدا كلام ويحتمل ان يكون معادلا لقوله ولكم الويل مما تصفون
كانه تقسيم الاية في نفسه اي للمختلقين هذه المقالة الويل ولله من في السموات والارض واللام
في له لام الملك وقوله من في السموات والارض يعم الملايكة والنبيين وغيرهم ثم خصص من هذا
العموم من اراد تشريفه من الملايكة بقوله ومن عنده لان عندها ليست في المسافات انما هي
تشريف في المنزلة فوصفهم تعالى بانهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يسامونها ولا يكلون
ولا يكلون فيها والحسير من الابل المعيي ومنه قول الشاعر ٥
٥ لهن الوجا لم كن عونا على النوى ولا زال منها طالع وحسير ٥ حسر واستحسر بمعنى
واحد وهذا موجود في كثير من الافعال وان كان الباب في استفعل ان يكون لطلب الشي وقوله
لا يفترون روي عن كعب الاحبار انه قال جعل الله لهم التسبيح كالنفس وطرف العين للبشر يقع منهم
دايما دون ان يلحقهم فيه سامه وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما
هو جالس مع اصحابه اذ قال اتسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شي يا رسول الله فقال اني
لاسمع اطيط السما وحق لها ان تيط ليس فيها موضع راحه الا وفيه ملك ساجدا وقايم ٥
قوله ام اتخذوا الهة هذه ام التي هي بمنزلة الف الاستفهام وهي هنا تقرير وتوقيف ومذهب
سيبويه انها بمنزلة بل مع الف الاستفهام كانت في القول اضرابا عن الاول وقوله الله هل اتخذوا
الهة يحيون ويخترعون اي ليست الهتهم كذلك فهي غير الهة لان من صفة الاله القدرة على الاحيا
والاماته وقرات فرقه ينشرون بضم اليا بمعنى يحيون غيرهم وقرات فرقه ينشرون بمعنى يحيون هم
ويدوم حياتهم يقال نشر الميت وانشره الله ثم بين تعالى امر التمانع بقوله لو كان فيهما آلهة

الا الله لفسدتا وذلك انه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق وانقضاب القول في هذا
ان الهين لو فرضا وفرض بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه فمحال ان تتم الارادتان ومحال
ان لا تتم جميعا واذا تمت الواحدة كان صاحب الاخرى عاجزا وهذا ليس باله وجواز الاختلاف
عليهما بمنزلة وقوعه منهما ونظر اخر وذلك ان كل جزء يخرج من العدم الى الوجود فمحال ان
يتعلق به قدرتان فاذا كانت قدرة احدهما موجودة بقي الاخر فضلا لا معنى له في ذلك الجزء ثم يتمادى
النظر هكذا اجزاء اجزاء ثم نزه تعالى نفسه عما وصفه اهل الجهالة والكفر ثم وصف نفسه بانه لا
يسال عما يفعل وهذا وصف يحتمل معنيين اما ان يريد انه بحق ملكه وسلطانه لا يعارض ولا
يسال عن شي يفعله اذ له ان يفعل في ملكه ما يشا واما ان يريد انه محكم الافعال وواضع كل
شي موضعه فليس في افعاله موضع سوال ولا اعتراض وها ولا من البشر يسالون لهاتين العلتين
لانهم ليسوا مالكين ولانهم في افعالهم خلل كثير ثم قررهم تعالى بانه على اتخاذ الالهة وفي تكرار هذا
التقرير مبالغة في تكره وبيان فساد وفي هذا التقرير زيادة على الاول فهي قوله من دونه فكانه
قررهم هنا على الكفر بالله ثم دعاهم الى الحجه والاتيان بالبرهان وقوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي
يحتمل ان يكون يريد هذا جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها ليس فيها برهان على اتخاذ الهة من
دون الله بل فيها ضد ذلك ويحتمل ان يريد بهذا القران والمعنى فيه ذكر الاولين والاخرين بالدعوة
وبيان الشرع لهم وردهم على طريق النجاة وذكر الاولين بقص اخبارهم وذكر الغيوب في امورهم ومعنى
الكلام على هذا التاويل عرض القران في معرض البرهان اي هاتوا برهانكم فهذا برهاني انا ظاهر في
ذكر من معي وذكر من قبلي وقرات فرقه هذا ذكر من بالاضافه فيهما وفرقه بالاضافه في الاول والتنوين
في الثاني وكسر الميم من من فيهما وقرا يحيى بن يعمر وابن مصرف بتنوين ذكر في الموضعين وكسر الميم
من فيهما وضعف ابو حاتم كسر الميم في الاول على هذه القراة ولم ير لها وجها ثم حكم الله عليهم بان اكثرهم
لا يعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لانهم لا يعلمون الحق وقرا الحسن وابن محيصن
الحق بالرفع على معنى هذا القول هو الحق والوقف على هذه القراة لا يعلمون ٥ قوله وما
ارسلنا من قبلك من رسول كما اخبرهم تعالى انهم لا يعلمون الحق لاعراضهم اتبع ذلك باعلامه انه

ما ارسل قط رسولا الا اوحي اليه ان الله فرد صمد وهذه عقيدة لم تختلف فيها النبوات وانما
اختلف في الاحكام وقراءة الكسائي نوحي بنون مضمومة وقرا الباقون بيا مضمومة وفتح
الحا واختلف عن عاصم ثم عدد بعد ذلك نوعا اخر من كفرهم وذلك انهم مع اتخاذهم الهة كانوا
يقرون بان الله هو الخالق الرازق الا انهم قال بعضهم اتخذ الملايكه بنات لو قالت نحو هذه المقالة
النصارى في عيسى واليهود في عزير فجاءت هذه الايه ردا على جميعهم منبهة عليهم ثم نزه نفسه
عن مقالة الكفرة واضرب عنها ونص ما هو الامر في نفسه بقوله بل عباد مكرمون وهذه عبارة
تشمل الملايكه وعيسى وعزيرا ه قوله لا يسبقونه بالقول عبارة عن حسن طاعتهم ومراعاتهم
لامتثال الامر قوله يعلم ما بين ايديهم الايه اي ما تقدم من اعمالهم والحوادث المنسوبه
اليهم وما تاخر ثم اخبر انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى قال بعض المفسرين لاهل لا اله الا الله ه
والمشفق المبالغ في الخوف المحترق النفس من الفزع على امر ما قوله ومن يقل منهم المعنى لو قال
احدهم هكذا وليس منهم من قاله قال بعض المفسرين المراد بالايه ابليس وهذا ضعيف لانه لم يرد قط
انه ادعى ربوبيه وقرا الجمهور نجزيه بفتح النون وقرا ابو عبد الرحمن وعبد الله بن يزيد بضمها وضم
الها ووجهها ان المعنى نجعلها يكتفي به من قولك اجزاني الشي ثم خففت الهمزة يا ؛ كذلك نجزي اي
كجزائنا هذا القايل جزاؤنا الظالمين ثم وقفهم على عبرة دالة على وحدانية الله والرتق الملتصق بعضه
ببعض المبهم الذي لا صدع فيه ولا فتح ومنه امراة رتقا واختلف المفسرون في المعنى فقالت فرقة
كانت السما ملتصقة بالارض ففتقهما الله بالهوا وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها
من بعض والارضون كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا وعلى هذين القولين فالرويه الموقف عليها
رؤية القلب وقالت فرقة السما قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقهما الله بالمطر
والنبات كما قال الله تعالى والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع وهذا قول حسن يجمع
العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بين ومناسب قوله وجعلنا من الما كل شي حي اي
الما الذي اوجده الفتق فيظهر معنى الايه ويتوجه الاعتبار وقالت فرقة السما والارض رتق
بالظلمة وفتقهما الله بالنور والرؤيه على هذين القولين رؤية العين والارض هنا اسم الجنس فهي
جمع وقرا الجمهور رتقا بسكون التا والرتق مصدر وصف به كالزور والعدل وقرا الحسن والثقفي ابو حيوه

كانتا

كانتا رتقا بفتح التا وهو اسم المرتوق كالنقض والخبط والحبط وقال كانتا من حيث هما
نوعان ونحوه قول عمرو بن شييم الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا ه
وقوله كانتا في القولين الاولين الاخرين بمنزلة قولك كان زيد حيا اي ثم لم يكن
وفي القولين الاخرين بمنزلة قولك كان زيد عالما اي وهو كذلك وقرا ابن كثير وحده
الم ير بغير واو وقوله وجعلنا من الما كل شي حي يقتضي انه ليس على العموم فان الملايكه والجن
قد خرجوا من ذلك ولكن المتوجه ان تحمل على اعم ما يمكن فالحيوان اجمع والنبات على ان
الحياة فيه مستعارة داخل في هذا وقالت فرقه المراد بالما المني من جميع الحيوان ثم وقفهم
على ترك الايمان توبيخا وتقريعا ه قوله وجعلنا في الارض رواسي جمع راسية اي ثابتة يقال
رسا يرسو اذا ثبت واستقر ولا يستعمل الا في الاجرام الكبار كالجبال والسفينة ونحوه
ويروى ان الارض كانت تكفا باهلها حتى ثقلها الله بالجبال فاستقرت والميد التحرك والفجاج
الطرق المتسعة في الجبال وغيرها وسبلا جمع سبيل والضمير في قوله فيها يحتمل ان يعود على
الرواسي ويحتمل ان يعود على الارض وهو احسن ويهتدون معناه في مسالكهم ونظرهم والسقف
ما علا والحفظ هنا عام في الحفظ من الشياطين ومن الوهن والسقوط وغير ذلك من الافات
واياتها كواكبها وامطارها والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك مما يشبهه وقرات فرقة وهم
عن ايتها معرضون على الافراد الذي يراد به الجنس والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة
فالكل في ذلك سابح متصرف وعن بعض المفسرين كلام فيما هو الفلك فقال بعضهم كحديدة الرحا
وقال بعضهم كالطاحونة وغير هذا مما لا ينبغي التسور عليه غير انا نعرف ان الفلك جسم مستدير ويسبحون
معناه يتصرفون وقالت فرقة الفلك موج مكفوف ورا وقوله يسبحون من السباحة وهي
العوم ه قوله وما جعلنا لبشر قبلك الخلد سبب هذه الايه ان بعض المسلمين قال ان محمدا لن يموت
وانما هو مخلد فبلغ ذلك النبي عليه السلام فانكره فنزلت والمعنى لم نخلد احدا وانت لا تخلد
وينبغي ان لا يشمت احد من المشركين عليك في هذا ام مخلدون ان انت مت فيصح لهم انعام وقالت
سبب هذه الايه ان كفار مكه طعنوا على النبي بانه بشر وانه ياكل الطعام ويموت فكيف يصح ارساله
فنزلت الايه ردا عليهم والف الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط وقدمت في اول الجملة

لان الاستفهام له صدر الكلام والتقدير اهم الخالدون ان مت والفاء في قوله افان عاطفة جملة
على جملة وقرات فرقة مت بضم الميم وفرقة بكسرها قوله كل نفس عموم يراد به الخصوص والمراد
كل نفس مخلوقة والذوق هنا مستعار وبلوكم بالشر معناه نختبركم وقدم الشر لان الابتلا به
اكثر ولان العرب من عادتها ان تقدم الاقل والاردى ومنه قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
وقوله فمنهم ظالم لنفسه الاية وبدا في تقسيم امة محمد بالظلم وقال الطبري عن ابن عباس
انه جعل الخير والشر هنا عاما في المعنى والغنى والفقر والصحة والمرض والطاعة والمعصية والهدى
والضلال ونحو والظاهر ان المراد من الخير والشر كل ما يصح ان يكون فتنة وابتلا وذلك خير
المال وشره وخير البدن وشره وخير الدنيا وشرها واما الهدى والضلال فغير داخل في هذا
ولا الطاعة والمعصية لان من هدي فليس نفس هداه اختبارا بل قد تبين خيره فعلى هذا ففي
الخير والشر ما ليس فيه اختبار كما يوجد ايضا اختبار بالاوامر والنواهي وليس بداخل في هذه
الاية وفتنة معناه امتحانا وكشفا ثم اخبر عن الرجعة اليه والقيام من القبور وفي قوله
والينا يرجعون وعيد وقرات فرقة بضم اليا وفتح الجيم وقرات فرقة باليا مضمومة على الخروج
من الخطاب الى الغيبة قوله واذا راك الذين كفروا الاية روي ان ابا سفين بن حرب
وابا جهل بن هشام راا رسول الله في المسجد فاستهزا به فنزلت بسببهما وظاهرها ان
كفار قريش او عظماهم يعمهم هذا المعنى من انهم ينكرون احد رسول الله في امر الهتهم وذكره
لهم بفساد وان معنى ما وفي الكلام حذف تقديره اهذا الذي وقوله يذكر لفظة تعم المدح
والذم لكن قرينة المقال تدل على المراد من الذكر وتم ما حكي عنهم في قوله الهتكم ثم رد عليه بان
قرن بانكارهم ذكر الاصنام وكفرهم بذكر الله اي فهم احق بالملام المخطيون وقوله بذكر اي
اي بما يجب ان يذكر به ولا اله الا الله منه وقوله بذكر الرحمن هم كافرون روي ان الاية نزلت
حين انكروا هذه اللفظة وقالوا ما نعرف الرحمن الا في اليمامة وظاهر الكلام ان الرحمن قصد به
العبارة عن الله كما لو قال وهم بذكر الله وهذا التاويل اعرق في ضلالهم وخطابهم وقوله خلق
الانسان من عجل توطية للرد عليهم في استعجالهم العذاب وطلبهم اية مقترحة وهي معروفة بعد
بجهر ان كفروا بعد ذلك ووصف تعالى الانسان الذي هو اسم الجنس بانه خلق من عجل وهذا على

جهة المبالغة كما تقول للرجل البطال انت من لعب ولهو وكما قال عليه السلام لست من
دد ولا الدد مني وهذا نحو قول الشاعر
وانا لمما نضرب الكبش ضربة على راسه تلقي اللسان من الفم كانهم مما كانوا اهل
ضرب الهام وملازمة الحرب قال انهم من الضرب وهذا التاويل يتم به معنى الاية المقصود
ان ذمت عجلتهم وقيل لهم على جهة الوعيد ان الايات ستاتي فلا تستعجلون وقال بعض
المفسرين في قوله خلق الانسان من عجل انه على المقلوب كانه اراد خلق العجل من الانسان
على معنى انه جعل طبيعة من طبايعه وخلقا من اخلاقه وهذا التاويل ليس فيه مبالغة
وانما هو اخبار مجرد وانما حمل قايليه عليه عدمهم وجه التجوز والاستعارة في ان بقي الكلام على
ترتيبه ونظير هذا القلب الذي قالوه قول العرب اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحربا
وكما قالوا عرضت الناقة على الحوض وقال الشاعر
حسرت كفي على السربال اخذه فردا اجر على ايدي المفديا واما المعنى فتاويل من راى
الكلام من المقلوب كالمعنى الذي فسرناه وقالت فرقة من المفسرين في قوله خلق الانسان من عجل
انما اراد ان ادم خلقه الله في اخر ساعة من يوم الجمعة فعجل به قبل مغيب الشمس وروي بعضهم
ان ادم قال يا رب اكمل خلقي فان الشمس على الغروب او قد غربت وهذا قول ضعيف ومعناه
لا يناسب معنى الاية وقالت فرقة العجل الطين والمعنى خلق ادم من طين وانشد النعاس
والنخل ينبت بين الما والعجل وهذا ايضا ضعيف ومعناه مباين لمعنى الاية وقالت فرقة
اراد قوله كن فهو حال عجلة وهذا ايضا ضعيف وفيه تخصيص ابن ادم بكل شي مخلوق يشاركه وليس
في هذه الاقوال ما يصح معناه ويلتيم مع الاية الا القول الاول وقرات فرقة خلق على ما لم فاعله
الانسان رفعا وقرات فرقة خلق فعلا ماضيا الانسان نصب على معنى خلق الله فعلى الاية
يحملها خلق الانسان من عجل على معنى التعجب من تعجلها ولا المقصودين بالرد ثم توعدهم بقوله
ساريكم اياتي فلا تستعجلون اي ستاتي ما يسوكم اذا دمتم على كفركم يريد يوم بدر وغيره ثم فسر
استعجالهم بقولهم متى هذا الوعد وكان استفهامهم على جهة الهزء والتكذيب وقولهم ان كنتم صادقين
يريدون محمدا عليه السلام ومن امن به من المومنين لانهم كانوا يتوعدونهم على لسان الشرع وموضع متى

نسخ

وقع عند البصريين وقال بعض الكوفيين موضعه نصب على الظرف والعامل فعل مقدر تقديره
يكون او يجي والاول اصوب قوله لو يعلم الذين كفروا حذف جواب لو اختصارا لدلالة الكلام عليه
وابهم قدر العذاب لانه ابلغ واهيب من النص عليه وهذا محذوف نحو قوله تعالى ولو ان قرانا
الاية وتقدير المحذوف في هذه الاية لما استعجلوا ونحوه قوله حين لا يكفون عن وجوههم يريد يوم القيمة
وذكر الوجوه خاصة لشرفها من الانسان وانها موضع حواسه وهو احرص على الدفاع عنه
ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار بجميع ابدانهم وقال تاتيهم اسند الى مقدر قبله نحو تعذيبهم ان
الايات لا تاتي بسبب اقتراحهم بل تاتيهم بغتة والضمير للساعة التي تصيرهم الى العذاب ويحتمل ان
ان يكون للنار وقرئ فيه ياتيهم بالياء على ان الضمير للوعد فيبهتهم بالياء ايضا والبغتة الفجاه
عن غير تقدمه وينظرون معناه يؤخرون ثم انس محمدا عليه السلام بما جرى على سائر الانبيا
من استهزا قومهم بهم وحلول العذاب بالمستهزئين وحاق معناه نزل وحل مستعمله في العذاب
والمكاره وقوله ما كانوا به محذوف تقديره جزا ما كانوا او نحوه ومع هذا التانيس الذي
لمحمد وعيد للكفرة وضرب مثل لهم بمن سلف من الامم ٥ قوله قل من يكلؤكم اي قل يا محمد لهولا الكفرة
المستهزئين بك وبما جيت به الكافرين بذكر الرحمن الجاهلين به قل لهم على جهة التوبيخ والتقريع من
يحفظكم ويكلا معناه حفظ ومنه قول النبي عليه السلام لبلال اكلا لنا الفجر وفي اخر الكلام تقديره
محذوف كانه قال ليس لهم مانع ولا كالئ وعلى هذا النفي تركب بل في قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون
ثم تقضي عليهم التقدير بانه لا مانع لهم من الله بان كشف امر الهتهم والمعنى ايظنون ان الهتهم
التي بهذه الصفة تمنعهم من دوننا بل لا يمنعهم احد الا نحن ه قوله يصحبون يحتمل تاويلين
احدهما يجارون ويمنعون والاخر لا يصحبون بخير ولا بركة ونحوه وفي الكلام العرب ثم
تقدير بعد محذوف كانه قال ليس ثم شي من هذا كله بل متعناهم واباهم
فنسوا عقاب الله وظنوا ان حالهم لا تبيد والمعنى طال العمر في رخائهم وتنعمهم على مواضع
العبر في الامم او في البشر بحسب الخلاف في الاطراف والروية في قوله يرون روية العين
تتبعها روية القلب ونأتي معناه بالقدرة والباس والارض عام في الجنس وقوله من اطرافها
اما ان يريد فيما خرب من العمور فذلك نقص الارض واما ان يريد موت البشر فهو نقص للقرون

جوابه

ولو

ويكون المراد حينئذ ناتي اهل الارض وقال قوم النقص من الاطراف موت العلماء ثم وقفهم
على جهة التوبيخ افهم الغالبون اي اغلب من جميع اهل الارض وقد تهيا الكل بسلطانه
وعظمته اي ان ذلك محال اذ يبين بل هم مغلوبون مقهورون ٭ قل انما انذركم بالوحي المعنى
قل يا ايها المقترحون المستعجلون انما انذركم بوحي يوحيه الله الي وبالادلة على العبر
التي نصبها الله لينظر فيها كنقصان الارض من اطرافها وغيره ولم ابعث باية مقترحه
ولا مضطرة ثم قال ولا يسمع الصم بمعنى وانتم معرضون عما انذر به فهو غير نافع لكم وصل
امرهم بالصم وقرا جمهور القرا ولا يسمع بالياء والصم فاعل وقرا ابن عامر وحده بضم التا
وكسر الميم ونصب الصم وقرات فرقة بيا مضمومه وفتح الميم وبنا الفعل لما لم يسم فاعله
والفرقتان بنصب الدعا وقرات فرقة باضافه الصم الدعا وهي قراه ضعيفه وان كانت
متوجهه ثم خاطب محمدا متوعدا لهم ٭ ولين مستهم نفحه وهي الخطرة والمسة كما تقول نفح يده
اذا قال بها هكذا ضاربا الى وجهه ومنه نفحة الطيب كانه يخطر خطرات على الحاسه
ومنه نفح له من عطاياه اذا اجزاه منه نصيبا ومنه نفح الفرس برجله اذا ركض والمعنى
ولين مسهم هولا الكفرة صدمة عذاب في دنياهم ليندمن وليقرن بظلمهم ه قوله ونضع
الموازين القسط لما توعدهم بنفحة من عذاب الدنيا عقب ذلك بتوعده بوضع الموازين وانما
جمعها وهو ميزان واحد من حيث لكل واحد وزن يخصه ووحد القسط وهو قد جا بلفظ
الموازين مجموعا من حيث القسط مصدر وصف به كما تقول قوم عدل ورضى وقرات فرقه
القصط بالصاد ليوم القيمة اي لحساب او لحكم يوم القيمة فهو بتقدير حذف مضاف والجمهور
على ان الميزان في يوم القيمة بعمود وكفتين يوزن به الاعمال ليبين الناس المحسوس المعروف
عندهم والخفة والثقل متعلقه كاجسام يقرنها الله يوميذ بالاعمال فاما ان تكون صحفا
او مثالات تخلق او ما شا الله وقرا نافع وحده مثقال بالرفع على ان تكون كان تامه وقرا
الجمهور بالنصب على معنى وان كان الشي او العمل وقرا الجمهور اتينا على معنى جينا وقرا ابن
عباس ومجاهد وغيرهما اتينا بالمد على معنى واتينا من المواتاة ولا يتقدر ولا يفسر باعطينا لما
تعدت بحرف جر ويوهن هذه القراه ان بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف وانما يعرف

ذلك في المضمومة والمكسورة وفي قوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون تقدم ما في التمثيل بامر موسى
والفرقان فيها فالمراد به التوراة وهي الضياء والنور والذكر وقرا ابن كثير وحده وضئا
بهمزتين قبل الالف وبعدها وقرا الباقون بهمزة واحدة بعد الالف وقرا ابن عباس
الفرقان ضيا بغير واو وهي قراءة عكرمة والضحاك وهذه القراءة تويد قول من قال المراد
بذلك كله وقالت فرقة الفرقان هو ما رزقه الله من نصر وظهور حجة وغير ذلك مما فرق
بين امره وامر فرعون والضيا التوراة والذكر يعني التذكرة وقوله بالغيب يحتمل
ثلاث تاويلات احدها في غيبهم وخلواتهم وحيث لا يطلع عليهم احد وهذا ارجحها
والثاني انهم يخشون الله على ان امره غائب عنهم واستدلوا بدلائل المشاهدة والثالث
انهم يخشونه بهم بما اعلمهم به مما غاب عنهم من امر اخرتهم ودنياهم والاشفاق
اشد الخشية والساعة القيمة قوله وهذا اشارة الى القران وانزلناه اما
ان يكون بمعنى اثبتناه كما تقول انزل السلطان بمكان كذا اذا اثبته له واما ان
يتعلق النزول بالملك ثم وقفهم تقريرا وتوبيخا هل يصح لهم انكار بركته وما فيه من الدعا
الى الله والى صالح العمل قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل هو عام في هدايته
الى رفض الاصنام والكواكب والشمس والقمر والنبوة وغيرها مما دونها قال بعضهم وهو للخبر
صغيرا وهذا كله متقارب ومن قبل معناه من قبل موسى وهرون فبهذه الاضافة هو قبل
كما في نسبة نوح منه وقوله وكنا به عالمين مدح لابرهيم اي انه يستحق ما اهل له وهذا نحو
قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته والعامل في اذ قوله اتيناه والتماثيل الاصنام لانها كانت
على صورة الانسان من خشب والعكوف الملازمة للشي وقطعهن عبادة عنها كانها تعقل
وهذه من حيث لها طاعة وانقياد وقد وصفت في مواضع بما يوصف به من يعقل وقوله
وتالله لاكيدن الاية وروي انه حضرهم عيد لهم فعزم قوم منهم على ابرهيم في حضوره طمعا منهم ان يستحسن شيا
من اخبارهم فمشى معهم فلما كان في الطريق انثنى عزمه على التخلف عنهم فقعد وقال لهم اني سقيم
فمر به جمهورهم ثم قال في خلوة من نفسه وتالله لاكيدن اصنامكم فسمعه قوم من ضعفتهم ممن كان
يسير في اخر الناس قوله بعد ان تولوا مدبرين معناه الى عيدهم ثم انصرف ابرهيم الى بيت اصنامهم

فدخله ومعه قدوم فوجد الاصنام قد وقفت اكبرها اولا ثم الذي يليه فالذي يليه وقد جعلوا
اطعمتهم في ذلك اليوم بين يدي الاصنام تبركا لينصرفوا من ذلك العيد الى اكله فجعل يقطعها بذلك القدوم
ويهشمها حتى افسد اشكالها كلها حاشا الكبير فانه تركه بحاله وعلق القدوم من يده وخرج عنها
وجذاذا معناه قطعا صغارا والجذ القطع وقرا الجمهور بضم الجيم والكسائي وحده بكسرها وقرا ابن
عباس وابو نهيك وابو السمال بفتحها وهي لغات والمعنى واحد وقوله جعلهم ونحوه معاملة
للاصنام بحال من يعقل من حيث كانت تعبد وتنزل منزلة من يعقل والضمير في اليه اظهر ما فيه انه عائد
على ابرهيم اي فعل هذا كله توخيا منه ان يعقب ذلك منهم رجعة اليه والى شرعه ويحتمل ان يعود
الضمير على الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك قول الزجاج ان الرجوع دخل في الكلام قوله قالوا
من فعل هذا بالهتنا المعنى فانصرفوا من عيدهم فراوا ما حدث بالهتهم فاكبروا ذلك وحينئذ قالوا
من فعل هذا على جهة البحث والانكار له النافية الضمير فيها للقوم الضعفة الذين سمعوا مقالة ابرهيم
واختلف الناس في وجه رفع قوله ابرهيم فقالت فرقة هو مرتفع بتقدير النداء كانهم ارادوا الذي يقال
له عند ما ابرهيم وقالت فرقة رفعه على اضمار الابتدا تقديره هو ابرهيم والاول ارجح وقال الاستاذ
ابو الحجاج الاشبيلي الاعلم هو رفع على الاهمال لما راى وجوه الرفع كانها لا توضح المعنى الذي قصدوه
ذهب الى رفعه بغير شي كما قد يرفع التجرد والعرو عن العوامل الابتدا والوجه عندي انه مفعول
ما لم يسم فاعله على ان تجعل ابرهيم غير دال على الشخص بل تجعل النطق به دالا على بنا هذه اللفظة
وهذا كما تقول زيد وزن فعل او زيد ثلاثة احرف فلم تدل بوجه على الشخص بل دلت بنطقك على
نفس اللفظة وعلى هذه الطريقة قلت ابرهيم ويكون مفعولا صحيحا انزلته منزلة قول وكلام فلا
يتعذر بعد ذلك ان يبنى الفعل فيه للمفعوله وقوله على اعين الناس يريد في محضر الشهود
الجمهور وقوله يشهدون يحتمل ان يريد به الشهادة عليه بما يريدون بفعله او بقوله لاكيدن
ويحتمل ان يريد به المشاهدة اي يشاهدون عقوبته او غلبته المودية الى عقوبته المعنى فجا
ابرهيم حين احضر فقالوا انت فعلت هذا بالالهة فقال لهم بل فعله كبيرهم هذا على جهة الاحتجاج عليهم
اي انه غار من ان يعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك وقالت فرقة هي الاكثر ان هذا الكلام قاله
ابرهيم لانها كذبة في ذات الله تودي الى خزي قوم كافرين والحديث الصحيح يقتضي ذلك وهو قوله

عليه السلام لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
للملك هذه اختي ثم طرق الى موضع حزبهم بقوله فسئلوهم ان كانوا ينطقون على جهة التوقيف
وذهبت فرقة الى نفي الكذب عن هذه المقالات وقالت فرقة معنى قوله عليه السلام لم يكذب
ابرهيم اي لم يقل كلاما ظاهره الكذب او يشبه الكذب وذهبت الى ترجيح هذه المقالات
فرقة هذه الاية على معنى انه اراد تعليق فعل الكبير بنطق الاخرين كانه قال بل هو الفاعل
ان انطقوها ولم يجزم الخبر على ان الكبير فعل ذلك وفي الكلام تقديم على هذا التاويل في
قوله فسئلوهم وذهب الفراء الى جهة اخرى بان قال قوله فعله ليس من الفعل وانما هو فعله
على جهة التوقع حذف اللام من اوله ثم خففت اللام وهذا تكلف ٥ فرجعوا الى انفسهم المعنى
فظهر لهم ما قال ابرهيم من ان الاصنام التي قد اهلوها للعبادة ينبغي ان تسال وتستفسر فقالوا
انكم انتم ظالمون في توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وانتم معكم من تسالون ثم ارتكسوا في ظلام
وردوا بالفكرة وبهديه العقل ان الاصنام لا تنطق فساءهم ذلك حين نطقوا عنه الى موضع قيام
الحجة عليهم ٥ وقوله نكسوا على رؤسهم استعارة للذي يرتطم في غيه كانه منكوس على راسه
فهي اقبح هيئة للانسان وكذلك هذا هو في اسوا حالات النظر فقالوا لابرهيم نكسوا في
حيرتهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اي فما بالك تدعونا الى ذلك فوجد ابرهيم عند هذه المقالة
موضع الحجة ووقفهم موبخا على عبادتهم تماثيل لا تنفع عبادها ولا تضرهم ثم حقر شانها
وازدرى بها في قوله اف لكم وقرا ابن كثير اف بفتح الفاء وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في
رواية ابي بكر اف بالكسر وترك التنوين فيهما وقرا نافع وحفص عن عاصم بالكسر والتنوين واف لفظة
تقال عند المستقذرات من الاشياء فيستعار ذلك للمكروه من المعاني هكذا وغيره فلما غلبهم
ابرهيم من جهة النظر والحجة نكسوا رؤسهم واخذتهم عزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغشم والغلبة
فقالوا حرقوه وروي ان قائل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها
خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقوله ان كنتم فاعلين تحريض كما تقول
اعزم على كذا ان كنت عازما وروي انهم لما اجمع رايهم على تحريقه حبسه نمروذ الملك وامر بجمع
الحطب فجمع في مدة اشهر وكانت المراة تجعل على نفسها نذرا اذا هو برا ان تحمل كذا وكذا حزمة

حتى

حتى اجتمع من الحطب ما يتبرع به الناس وما جلب للملك من الرساتيق كالجبل من الحطب ثم اضرم
نارا فلما ارادوا طرح ابرهيم فيها لم يقدروا على القرب منه فجاء ابليس في صورة شيخ فقال انا اصنع
لكم الة يلقى بها في النار فعلمهم صنعة المنجنيق ثم اخرج ابرهيم مشدودا رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي
به فوقع في النار وقد قيل لها كوني بردا وسلاما على ابرهيم فاحترق الحبل الذي ربط به فقط
وروي ان جبريل جاءه وهو في الهوا فقال له الك حاجة فيروى انه قال له اما اليك فلا وروي
انه قال له اني انما اطلب حاجتي من خليلي لا من رسوله فقال الله يا ابرهيم قطعت الواسطة
بيني وبينك لاقطعنها بيني وبين النار يا نار وروي انه حين خوطبت النار خمدت كل نار في الارض
وروي ان الغراب كان ينقل الحطب الى نار ابرهيم وروي ان الوزغة كانت تنفخ عليه لتضرم
وكذلك البغل وروي ان العصفور والخطافة والضفدع كانوا ينقلون الماء لتطفا النار فابقى
الله على هذه الوقاية وسلط الله على تلك الاخر النوائب والايدي وروى بعض العلماء ان الله لو لم
يقل وسلاما لهلك ابرهيم من برد النار وقد اكثر الناس في قصص حرق ابرهيم وذكروا تحديد مدة بقائه
في النار وصورة بقائه فيها بما رابت احضاره لقلة صحته والصحيح من ذلك انه القي في النار فجعلها
الله عليه بردا وسلاما فخرج منها سالما وكانت اعظم اية وروي انهم قالوا انها كانت نارا مسحورة
لا تحرق فرموا فيها شيخا منهم فاحترق وروي ان ابرهيم كان له بسط وطعام في تلك النار كلها من
الجنة وروي ان العيدان اينعت واثمرت له هنالك ثمارها التي كانت اصولها ثمرة وقوله وسلاما
معناه وسلامة وقالت هي تحية من الله لابرهيم وهذا ضعيف وكان الوجه ان يكون مرفوعا والكيد
هو ما ارادوه في حرقه وكانوا في خسارة من كفرهم وغلبه لهم وحرق الشيخ الذي جربوا به النار ورأى
ابرهيم ومعه ناس فعجب وسال هل طرح معه احد فقيل له لا فناداه فقال من اولئك فقال هم
ملائكة ربي والمروي في ذكر عن صحيح ٥ قوله ونجيناه ولوطا روي انه لما خرج من النار احضره
النمروذ وكلمه ثم ختم الله عليه بالكفر فلج وقال لابرهيم في بعض قوله يا ابرهيم اين جنود ربك الذي تزعم
فقال سيريك فعل اضعف جنوده فبعث الله على نمروذ واصحابه سحابة من بعوض فاكلتهم عن اخرهم
ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضا ودخلت منها بعوضة في راس نمروذ فكان راسه يضرب
بالعيدان وغيرها ودام تعذيبه بها زمنا طويلا وهلك منها وخرج ابرهيم وابن اخيه لوط عليهما

السلام من تلك الارض وهي كوثا من العراق ومع ابرهيم ابنة عمه ساره زوجته وفي تلك السفرة
لقي الجبار الذي رام اخذها منه واختلف الناس في الارض التي بورك فيها ودعا اليها ابرهيم ولوط
فقالت فرقة هي مكة وذلك لقوله تعالى للذي ببكة مباركا وقال الجمهور هي ارض الشام وهي الارض التي
بارك الله فيها اما من جهة الاخرة فبالنبوة والاديان واما من جهة الدنيا فهي اطيب بلاد الله ارضا
واعذبها ماء واكثرها ثمرة ونعمة وهو الموضع المعروف بسكنى ابرهيم وعقبه وروى انه ليس في الارض
ماء عذب الا واصله وخروجه من تحت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف وهي ارض المحشر وبها يجمع
الناس وبها ينزل عيسى بن مريم وبها يهلك المسيح الدجال وروى ان النبي عليه السلام قال يوما
في خطبته كان بالشام جند وبالعراق جند فقال رجل يا رسول الله خر لي فقال عليك بالشام
فان الله قد تكفل لي بالشام واهله ومن بقي فليلحق بأمنه وليستق بغدره وقال عمر لكعب الاحبار
الا تتحول الى المدينة فقال يا امير المومنين اني اجد في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه
وبها كنزه من عباده وروي ان ابرهيم ولوطا هاجرا من كوثا ومرا بمصر ولبست بالطريق ولكنهم
نكبوا خوف الاتباع حتى جاوا الشام فنزل ابرهيم السبع من ارض فلسطين وهو بربد الشام ونزل
لوط بالموتفكة واسحق ابن ابرهيم ويعقوب بن اسحق والنافلة العطية كما تقول نفلني الامام كذا
ونافلة الطاعة كانها عطية من الله لعبادة يثيبهم عليها وقالت فرقة الموهوب اسحق والنافلة
يعقوب والاول ابين ويهدون معناه يرشدون غيرهم والاثام مصدر وفي هذا نظر
ولوطا اتيناه حكما وعلما التقدير واتينا لوطا اتيناه فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه
الظاهر والحكم فصل القضا بين الناس والخبايث اتيان الرجال وضراطهم في مجالسهم الى
غير ذلك من كفرهم وقوله في نوح من قبل اي بالاضافة الى ابرهيم ولوط والكرب العظيم
الغرق وما نال قومه من الهلكة بدعائه عليهم الذي استجيب قوله ونصرناه لما كان
جل نصرته النجاة وكانت غلبة قومه بامر اجنبي منه حسن ان يقول نصرناه من ولا يتمكن
في امر محمد مع قومه وذكرها ولا الانبيا عليهم السلام ضرب مثل لقصة محمد مع قومه ونجاة
الانبيا وهلاك مكذبيهم ضمنها توعد لكفار قريش قوله وداود وسليمان المعنى واذكر
هكذا قدره جماعة من المفسرين ويحتمل عندي ويقوى ان يكون واتينا داود عطفا على

ونوحا وذلك عطف على قوله ولوطا اتيناه والمعنى على هذا التاويل متسق وسليمان هو
ابن داود وداود من بني اسرائيل وكان ملكا عند الانبيا يحكم بين الناس فوقعت بين يديه
هذه النازلة وكان ابنه اذ ذاك قد كبر وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا
يدخلون على داود على باب اخر فتحاصم الى داود رجل له زرع وقيل كرم والحرث يقال
فيهما وهو في الزرع ابعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل اخر فافسدت عليه فراى
داود ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث فقالت فرقة على ان يبقى كرمه بيده وقالت فرقة بل دفع
الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى صاحب الغنم فيشبه على القول الواحد انه راى الغنم تقاوم
الغلة التي افسدت وعلى القول الثاني راها تقاوم الحرث وغلته ولا يبطل بعد داود الا ان حكمه
بحكم متوجه فلما خرج الخصمان على سليمان تشكى صاحب الغنم فجا سليمن الى ابيه فقال يا
نبي الله انك حكمت بكذا وكذا واني رايت ما هو ارفق للجميع قال وما هو قال ان ياخذ صاحب
الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان وياخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة
ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل وغير ذلك فاذا كمل الحرث وعاد الى حاله صرف كل واحد
مال صاحبه اليه فرجعت الغنم الى ربها والحرث الى ربه فقال داود وفقت يا بني وقضى بينهما
بذلك ولا اشكال ان سليمن راى ان ما يتحمل صاحب الغنم من فقد مرافق غنمه تلك من مدة اصلاح
الحرث يوازي ما فسد في الحرث وفضل حكمه حكم ابيه احرازه ان يبقى ملك كل واحد منهما
على متاعه وتبقى نفسه بذلك طيبة وذهبت فرقة الى ان هذه النازلة لم يكن الحكم فيها باجتهاد
وانما حكم داود بوحي وحكم سليمن بوحي نسخ الله به حكم داود وجعلت فرقة منها ابن فورك قوله
ففهمناها سليمن اي فهمناه القضا الفاصل الناسخ الذي اراد الله ان يستقر في النازلة
ويحتاج هذه الفرقة في هذه اللفظة الى هذا التعسف ويبقى لها المعنى الذي بعد مقلقا وقال
جمهور الامة ان حكمهما كان باجتهاد وادخل العلما هذه الاية في كتبهم على مسئلة اجتهاد العالمين
فينبغي ان نذكرها هنا بالخيص مسئلة الاجتهاد اختلف اهل السنة في العالمين اذا ديفتيان
من الفروع والاحكام في المسئلة فيختلفان فقالت فرقة الحق في مسائل الفروع في طرف واحد
عند الله وقد نصب على ذلك ادلة وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف العين

مسايل الاجتها

العين المطلوب في المسئلة فهو المصيب على الاطلاق وله اجران اجر في الاجتهاد واجر في الاصابه
ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده ومخطي في ان لم يصب العين فله اجر وهو غير معذور
وهذا هو الذي قال النبي عليه السلام فيه اذا اجتهد العالم فاخطا فله اجر وكل كلا ايضا
يدخل فيه العالم يجتهد فيخالف نصا لم يجده كقول سعيد بن المسيب في النكاح انه العقد
في المسئلة التحليل للزوج المطلق ونحوه وهذا الجمع بين قوله اذا اجتهد العالم فاخطا وبين قوله
كل مجتهد مصيب اي اخطا العين المطلوبه واصاب في اجتهاده وراث هذه الفرقه ان العالم
المخطي لا اثم عليه في خطايه وان كان غير معذور وقالت فرقه الحق في طرف واحد ولم ينصب الله عليه
دليلا بل الامر الى نظر المجتهدين فمن اصابه اصاب ومن اخطاه فهو معذور ماجور ولم يتعبدنا
بالعين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط وقال الجمهور اهل السنه وهو المحفوظ عن مالك واصحابه الحق في
مسايل الفروع في الطرفين وكل مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل في ظنه فكل مجتهد
فقد اداه نظر اجتهاده الى الافضل في ظنه والدليل على هذه المقالة ان الصحابه فمن بعدهم قرر
بعضهم خلاف بعض ولم ير احد منهم ان يقع الاجماع على قوله دون قول مخالفه ومنه رد مالك للمنصور
ابي جعفر حمل الناس على الموطا الى كثير من هذا المعنى واذا قال عالم في امر ما حلال فذلك هو
الحق فيما يختص به ذلك العالم عند الله وبكل من اخذ بقوله واذا قال اخر حرام وكل ذلك باجتهاد
فذاك ايضا حق عند الله فيما يختص به وبمقلده فاما من قال الحق مختص بطرف واحد في مسئلة داود
وسليمن مطردة على قوله وان سليمن صادف العين المطلوبه وهي التي فهم ومن راى ان الحق
في الطرفين راى ان سليمن فهم القضيه المثلى والتي هي ارجح لان الاولى خطا وعلى هذا
يحملون الحديث اي فاخطا الافضل وكثيرا ما يكون بين الاقوال في هذه المسايل تباين الا
ان ذلك الشفوف يشرف القول وكثيرا ما يبين الفضل بين القولين بادنى نظر ومسايل الفروع
تخالف مسايل الاصول في هذا ومسئلة المجتهدين في نفسها مسئلة اصليه والفرق بين مسايل
الفروع ومسايل الاصول ان الكلام في الاصول انما هو في وجود شي ما كيف هو كقولنا يرى الله
يوم القيمه وقالت المعتزله لا يرى وكقولنا الله واحد وقالت النصارى ثلاثه وهذا اهل
المسايل عين وليس لها عين مطلوبه ومسايل الفروع انما الكلام فيها على شي متقرر الوجود

لذ

كيف حكمه من تحليل او تحريم ونحو هذا والاحكام خارجه عن ذاته ووجوده وانما هي في ليس
والنسيئه لا الاب وتعتبر مسايل الفروع بانها كل ما امكن ان ينسخ بعضه ببعض ومسايل الاصول
ما لو تقرر الوجه الواحد لم يصح ان يطرا الاخر عليه ناسخا ومسئلة الاجتهاد طويله متشعبه
الا ان هذه النبذه تليق بالايه وتقتضيها حرصا على الاختصار وتتعلق بالايه فصل اخر لابد من ذكره
وهو رجوع الحاكم بعد قضايه من اجتهاد الى اخر ارجح منه فان داود فعل ذلك في هذه النازله
واختلف فيها مذهبنا في القاضي يحكم في قضيه ثم يرى بعد ذلك ان غير ما حكم به اصوب فيريد ان
ينقض الاول ويقضي بالثاني فقال عبد الملك ومطرف في الواضحه ذلك له ما دام في ولايته واما
ان كانت ولايه اخرى فليس ذلك وهو بمنزلة غيره من القضاة وهذا هو ظاهر في قول مالك في المدونه
وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد فيه قول الى غيره مما راه اصوب ليس ذلك له وقال ابن عبد الحكم
له ان ينقض الحكم بما يقوى عنده اخرا من ذي قبل قال سحنون الا ان يكون نسي الاقوى عنده او وهم
فحكم بغيره فله نقضه واما ان حكم بحكم هو الاقوى عنده في ذلك الوقت ثم قوي عنده غيره بعد ذلك فلا
سبيل له الى نقض الاول قاله سحنون في كتاب ابنه وقال اشهب في كتاب ابن المواز ان كان رجوعه الى
الاصوب في مال فله نقض الاول وان كان في طلاق او نكاح او عتق فليس له نقضه وقد تقدم القول
في الحرث وروي وقته انه كان زرعا وقيل انه كان كرما ونفشت النفش ترعى البهايم في الزرع
وغيرها بالليل والهمل ترعيها في ذلك بالنهار والليل قال ابن سيده لا يقال الهمل في الغنم وانما
هو في الابل ومعنى الحكم في الاسلام يتضمن ارباب النعم ما افسدت بالليل لان على اهلها ان يثقفوها
وعلى اهل الزرع وغيرها حفظها بالنهار هذا مقتضى الحديث في ناقة البرا بن عازب وهو مذهب
مالك وجمهور الايمه ووقع في كتاب ابن سحنون ان هذا الحديث انما جا في امثال المدينه التي هي حيطان
محدقه واما البلاد التي هي زروع متصله غير محظره وبساتين كذلك فيضمن ارباب الغنم ما افسدت
من ليل او نهار كانه ذهب الى ان ترك تثقيف الحيوان في مثل هذه البلاد تعدي لانها تفسد بلا بد
وقال ابو حنيفه في ذلك لا ضمان وادخله في عموم قوله عليه السلام جرح العجما جبار وقاس جميع
افعالها على جرحها وقوله وكلا اتينا حكما وعلما تاول قوم منه ان داود لم يخطي في هذه النازله
بل فيها اوتي الحكم والعلم وقالت فرقه بل لانه لم يصب العين المطلوبه في هذه مدحه الله بان له

له حكما وعلما يرجع المعنى عن هذه النازلة قوله وكلا اتينا علما مبالغة في الخبر وتحقيق لمعنى اللفظ معنى وداود في حقه وعند مستوجبه ما فكانه قال وكلا اتينا لاجل استيجابه ذلك وحذف اختصارا او لدلالة ظاهر القول على ما حذف منه وقوله لحكمهم يريد داود وسليمان والخصم لان الحكم مضاف الى جميعهم وان اختلفت جهات الاضافة وقرأت فرقة لحكمهما واختلف الناس في قوله يسبحن فذهب الاكثر الى انه قول سبحان وذهبت فرقة منها منذر بن سعيد الى انها يصلين بصلاته قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم عدد على البشر ان علم داود صنعة الدروع والآلة الحديد فكان يصنعها احكم صنعة ليكون وقاية في الحرب وسبب نجاة من العدو واللبوس في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيف والرمح وغير ذلك ومنه قول الشاعر

ومعي لبوس للبئيس كانه روق بجبهة ذي نعاج مجفل

يعني الرمح وقرأ نافع والجمهور ليحصنكم بالياء على معنى داود او اللبوس وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء على معنى الصنعة على الدروع التي وقع عليها اللبوس وقرأ ابو بكر عن عاصم لنحصنكم بالنون على معنى رد الفعل الى الله وروي انه كان الناس قبل يتخذ القوي منهم لباسا من صفائح الحديد فكان ثقله يقطع باكثر الناس وقرأت فرقة الريح بالنصب على معنى وسخرنا لسليمن الريح وقرأت فرقة بالرفع على الابتدا والخبر في المجرور قبله ويروى ان الريح العاصفة كانت تهب على سرير سليمن الذي فيه بساطه وقد مد حول البساط بالخشب والالواح حتى صنع سريرا يحمل جميع عسكره واقواته فتقله من الارض الى الهواء ثم تولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله الى حيث اراد سليمن وقوله الى الارض التي باركنا فيها اختلف الناس فيها فقالت فرقة هي ارض الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه وخصص في هذه الاية انصرافه من سفراته الى ارضه لان ذلك يقتضي مسيره الى المواضع التي سافر اليها والبركة في ارض الشام بينة الوجوه وقد قال بعضهم ان العاصفة هي في القفول على عادة البشر والدواب في الاسراع الى الوطن والرخاء كانت في البداءة حيث اصاب اي حيث يقصده لان ذلك وقت تان وتدبير وتقلب راي وقال منذر بن سعيد في الاية ما تقدم وتاخير والكلام تام عند قوله الى الارض وقوله التي باركنا فيها صفة للريح ويحتمل ان يريد الارض التي يسير اليها سليمن كاينة ما كانت وذلك انه لم يكن يسير الى ارض الا اصلحها وقتل كفارها واثبت فيها الايمان وبث فيها العدل ولا بركة اعظم من هذا فكانه قال الى اي ارض باركنا فيها فبعثنا

سليمن اليها قوله ومن الشياطين من يغوصون له يحتمل ان يكون من يغوصون في موضع نصب على معنى وسخرنا من ويحتمل ان يكون في موضع رفع على الابتدا وتناسب هذا مع القرائتين المتقدمتين في قوله ولسليمن الريح بالرفع والنصب وقوله يغوصون جمع على معنى من لا على لفظها والغوص الدخول في الما والارض والعمل دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوه قوله وكنا لهم حافظين قيل معناه عادين وحاصرين اي لا يشذ عن علمنا وتسخيرنا احد منهم قوله وايوب احسن ما فيه النصب بفعل مضمر تقديره واذكر ايوب وفي قصص ايوب طول واختلاف من المفسرين وتلخيص ذلك انه روي ان ايوب كان نبيا مبعوثا الى قوم وكان كثير المال من الابل والبقر والغنم وكان صاحب البثنية من ارض الشام فعبر كذلك مدة ثم ان الله لما اراد محنته وبلاءه اذن لابليس في ان يفسد ماله فاستعان بذريته فاحرقوا ماله ونعمه اجمع فكان كلما اخبر بشي من ذلك حمد الله تعالى وقال هي عارية استردها صاحبها والمنعم بها فلما راى ابليس ذلك جاء فاخبره بعجزه عنه فاذن الله له في اهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك اجمع فدام ايوب على شكره وصبره فاخبر ابليس بعجزه فاذن الله في اصابته في بدنه وحجر عليه لسانه وعينيه وقلبه فجاء ابليس وهو ساجد فنفخ في انفه نفخة احترق بدنه منها وجعلها الله اكلة في بدنه فلما عظمت وتقطع اخرجه الناس من بينهم وجعلوه على بساطه ولم يبق معه بشر حاشا زوجته ويقال كانت بنت يوسف الصديق وقيل اسمها رحمة وقيل في ايوب انه من بني اسرايل وقيل انه من الروم من قرية عيصو وكانت زوجته تسعى عليه وتاتيه بما ياكل وتقوم عليه فدام في هذا العذاب مدة طويلة قيل ثلثين سنة وقيل ثمانية عشر وقيل اثني عشر وقيل تسعة اعوام وقيل ثلاثة وهو في كل ذلك صابر شاكر حتى جاءه فيما روي ثلثة ممن قد امن به فوقذوه بالقول والتوبة ونحوه وقالوا ما صنع بك هذا الا بخبث باطنه فيك فراجعهم ايوب في اخر قوله بكلام مقتضاه انه دليل لا يعتذر على امانة محمد ولا يان ظلامة تخاطبه الله مخاطبا على هذه المقالة ومبينا انه لا محمد لاحد مع الله ولا يسئل عما يفعل ثم عرفه بانه قد اذن في صلاح حاله وعاد عليه بفضله فدعا ايوب عند ذلك فاستجيب له وروي انه لم يجد دعوا في كشف ما به وكان فيما روي تقع الدودة فيردها بيده حتى مر قوم كانوا اعادوه فشمتوا به فتالم لذلك ودعا

حينئذ فاستجيب له وكانت امراته عليه عنه في بعض شانها فانبع الله له عينا وامره بالشرب منها فبرئ باطنه وامره بالاغتسال فبرئ ظاهره ورد الي افضل حاله واتي باحسن الثياب وهب عليه رجل من جراد من ذهب فجعل يحثي منها في ثوبه فناداه الله يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلي يا رب ولكن لا غنا بي عن بركتك فبينا هو كذلك اذ جاءت امراته فلم تره على المساطح فجزعت وظنت انه ازيل عنها وجعلت تتوله فقال لها ما شانك ايتها المراة فهابته بحسن هيئته وقالت اني فقدت مريضا كان يجي في هذا الموضع ومعالم المكان قد تغيرت وتاملته في اثنا المقاولة فرات ايوب فقالت انت ايوب فقال لها نعم واعتنقها وبكي وروي انه لم يفارقها حتى اراه الله جميع ماله حاضرا بين يديه واخلف الناس في اهله وولده الذين اتاه الله فقيل كان ذلك كله في الدنيا فرد الله عليه ولده باعيانهم وجعل مثلهم له عدة في الاخرة وقيل بل اوتي جميع ذلك في الدنيا من اهل ومال قوله وذكرى للعابدين اي تذكرة وموعظة للمومنين ولا يبعد الله المومن والذكرى انما هي في محنته والرحمة في زوال ذلك وقوله اني مسني الضر تقديره بان مسني فحذف الجار ويعني ان في موضع نصب وروي ان سبب محنة ايوب انه دخل مع قوم على ملك جبار عليهم فاغلظ له القوم ولين له ايوب القول خوفا منه على ماله فعاقبه الله على ذلك وروي انه كان يقال له مالك لا تدعو الي العافية فيقول اني لاستحيي من الله ان اساله زوال عذابه حتى تتم عليه ما تم من الرخا واصابه البلا فيما روي وهو ابن ثمانين سنه قوله واسمعيل المعني واذكر اسمعيل وهو ابن ابرهيم الخليل وهو ابو العرب المعروفين اليوم في قول بعضهم وادريس هو خنوخ وهو اول من بعث الله من بني ادم قد روي انه كان خياطا وكان يسبح الله عند ادخال الابرة وعند اخراجها وذو الكفل كان نبيا وروي انه بعث الي رجل واحد وقيل لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا وروي ان اليسع جمع بني اسرايل فقال من يتكفل بصيام النهار وقيام الليل ولا يغضب واوليه النظر للعباد بعدي فقام اليه شاب فقال انا اتكفل بذلك وراجعه ثلاثا في كل ذلك يقول انا اتكفل بذلك فاستعمله فلما مات اليسع قام بالامر فجا ابليس ليغضبه وكان لا ينام الا في القايلة فكان ياتيه وقت القايلة ايا ما فيوقظه ويشتكي ظلامته ويقصد تضييق صدره فلم يضق به صدرا ومضى معه لينصفه بنفسه فلما

راى ابليس ذلك اعلم عنه ووقاه الله شره فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفي به وياتي الاية بعد قوله وذا النون المعنى واذكر ذا النون وهو الحوت وصاحبه يونس بن متى عليه السلام ونسب الي الحوت الذي التقمه على الحالة التي ياتي ذكرها في موضعها وهو نبي من اهل نينوى وهو الذي قال فيه النبي عليه السلام من قال اني خير من يونس بن متى فقد كذب وفي حديث لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى وقوله لا تفضلوني على موسى وفي شو[...] انهما يعارضان مع قوله على المنبر انا سيد ولد ادم ولا فخر والانفصال على هذا بوجهين احدهما ذكره الناس وهو ان يكون انا سيد ولد ادم متاخرا في التاريخ لانها منزلة اعلمه الله بها لم يكن علمها وقت تلك المقالات الاخر ووجه ثاني وهو عندي احرى مع حال النبي عليه السلام انه انما نهى عن التفضيل بين شخصين مذكورين وذهب مذهب التواضع ولم يزل سيد ولد ادم ولكنه نهى ان يفضل على موسى كراهيه ان يغضب لذلك اليهود فيزيد نفارها عن الايمان وسبب الحديث يقتضي هذا وذلك ان يهوديا قال لا والذي فضل موسى على العالمين فقال له رجل من الانصار تقول هذا ورسول الله بين اظهرنا ولطمه فسرى الامر وارتفع الى النبي عليه السلام فنهى عن تفضيله على موسى ونهى عن تفضيله على يونس لئلا يظن احد بيونس نقص فضيله بسبب ما وقع له فنهيه عن التفضيل على شخص معين وقوله في حديث ثالث لا تفضلوا بين الانبيا هذا كله مع قوله انا سيد ولد ادم واطلاق الفضل له دون اقتران باحد بين صحيح وتامل هذا فانه يلوح وقد قال عمر للحطيئة امدح محمد وحك ولا تفضل بعض الناس على بعض ولفظه سيد ولفظه خير شيئان فهذا ابدا اجمع اخو بين الاحاديث يذهب ما يظن من التعارض قوله مغاضبا قيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه وقد كان الله امره بملازمتهم والصبر على دعايهم فكان ذنبه في مخالفة هذا الامر وروي انه كان شابا ولم يحمل اثقال النبوة وتفسخ تحتها كما تتفسخ الربع تحت الحمل ولهذا قيل للنبي عليه السلام ولا تكن كصاحب الحوت اي اصبر ودم على الشقا بقومك وقالت فرقه انما غاضب الملك الذي كان على قومه وهذا نحو من الاول فيما يلحق فيه يونس قال الحسن بن ابي الحسن وغيره انما ذهب مغاضبا ربه واستفزه ابليس ورووا في ذلك ان يونس لما طال عليه امر قومه طلب من الله عذابهم فقيل له ان العذاب يجيئهم يوم كذا فاخبرهم بذلك فقالوا ان رحل عنا فالعذاب وان قام بيننا

لم يبال فلما كان صبح ذلك اليوم قام يونس فرحل فلما تيقنوا بالعذاب فخرجوا باجمعهم الى البراز
وفرقوا بين صغار الحيوان وامهاتها وتابوا وتضرعوا فرفع الله عنهم العذاب ومضى يونس
في الموضع الذي خرج اليه ينظر الخبر فلما عرف انهم لم يعذبوا ساءه ان عدوه كاذبا وقال والله
لا انصرف اليهم ابدا وروي انه كان من دينهم قتل الكذاب فغضب حسبه على ربه وخرج على
وجهه حتى ركب في سفينة في البحر وفي هذا القول من الضعف ما لا خفا فيه مما لا يتصف به نبي
واختلف الناس في قوله فظن ان لن نقدر عليه فقالت فرقة استزله ابليس ووقع في ظنه ان
معناه
انه لا يقدر عليه الله بمعاقبته وهذا قول مردود وقالت فرقة معناه ظن ان لن نضيق
عليه في مذهبه من قوله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر وقالت فرقة هو من القدر ظن ان لن
يقدر الله عليه بعقوبته وقالت فرقة الكلام بمعنى الاستفهام اي افظن ان لن يقدر الله عليه
وحكى منذر بن سعيد ان بعضهم قرا افظن بالالف وقرا الزهري يقدر وقرا الحسن يقتدر وعنه
ايضا يقدر وبعد هذا الكلام حذف كثير اقتضب لبيانه في غير هذه الاية المعنى فدخل البحر
وكذا وكذا حتى التقمه الحوت وصار في ظلمة جوفه واختلف الناس في جمع الظلمات ما المراد
فقال قوم ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقالت فرقة وظلمة حوت التقم الحوت
الاول ع ويصح ان يعبر بها عن جوف الحوت الاول كما قال في غيابات الجب وفي كل جهاته ظلمة
فجمعها سائغ وروي ان يونس سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر قال
في دعائه اللهم اني قد اتخذت لك مسجدا في موضع لم يتخذه احد قبلي وان مفسرة نحو قوله ان امشوا
وفي هذا نظر وقوله من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم هذا
احسن الوجوه وقد تقدم ذكر غيره فاستجاب الله له واخرجه الى البر وسياتي هذا والغم ما
كان ناله حين التقمه الحوت وقرا جمهور القرا ننجي المومنين بنونين الثانية ساكنة وقرا عاصم
في رواية ابي بكر نجي بنون واحدة مضمومة وشد الجيم وروت عن ابي عمرو وقرات فرقة بنونين الاولى
مضمومة والثانية مفتوحة والجيم مشددة فاما القراة الاولى والثانية فبينتان الاولى فعلها
تعدى بالهمزة والاخرى بالتضعيف واما القراة الوسطى التي هي بنون واحدة والياء ساكنة فقال
ابو علي لا وجه لها وانما هي وهم من السامع وذلك ان عاصما قرا ننجي والثانية لا يجوز اظهارها
والنون ع

لانها تخفى مع هذه الحروف يعني الجيم وما جرى مجراها فجاء الاخفاء شبيها بالادغام ويمتنع ان يكون الاصل
ننجي ثم يدعوا اجتماع النونين الى ادغام احدهما في الجيم لان اجتماع المثلين انما يدعوا الى ذلك اذا كانت
الحركة فيهما متفقة ويمتنع ان يكون الاصل نجي ويسكن الياء ويكون المفعول الذي لم يسم فاعله المصدر
كانه قال نجي النجاء المومنين لان هذا لا يجوز الا في ضرورة وليس في كتاب الله والشاهد فيها قول
الشاعر ۞ ولو ولدت قفيرة جرو كلب ۞ لسب بذلك الجرو الكلابا ۞ واسكان الفعل الذي بني للمفعول
اذا كان ماضيا لم يسكن آخره والمصاحف فيها نون واحدة كتبت كذلك من حيث النون الثانية مخفية قوله
وزكريا تقدم امره في مريم واصلاح الزوجة بان جعلت ممن تحمل وهي عاقر فحاضت وحملت وهذا
هو الذي يشبه الاية وقيل بان ازيل بذا كان في لسانها وهذا ضعيف وعموم اللفظة يتناول جميع وجوه
الاصلاح وقرات فرقة يدعوننا وفرقة يدعونا وقرات فرقة رغبا بفتح الراء والغين ورهبا كذلك وقرات
فرقة بضم الراء فيهما وسكون الغين والهاء وقرات فرقة بفتح الراء وجزم الغين والهاء والمعنى انهم يدعون
في وقت تعبدهم وهو حال رغبة ورجاء ورهبة وخوف في حال واحدة لان الرغبة والرهبة متلازمان وقال
بعض الناس الرغب ان ترفع بطون الاكف نحو السماء والرهب ان ترفع ظهورها وتلخيص هذا ان عادة
كل داع من البشر ان يستعين بيديه فالراغب من حيث هو طالب يحسن منه ان يوجه باطن الراح نحو المطلوب
منه اذ هي موضع اعطا او بها يتملك والراهب من حيث هو دافع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الى ذهابه
وتوقيه بنفض اليد ونحوه والخشوع التذلل بالبدن المركب على التذلل بالقلب قوله والتي احصنت
فرجها المعنى واذكر وهي مريم بنت عمران ام عيسى والفرج فيما قال الجمهور وهو ظاهر القران الجارحة المعهودة
واحصانها فيه المدح وقالت فرقة الفرج هنا هو فرج ثوبها الذي منه نفخ الملك وهذا ضعيف واما نفخ
الولد فيها فقال كثير من العلماء انما نفخ من جيب درعها واضافة الروح اضافة الملك الى المالك وابنها
هو عيسى عليه السلام واراد تعالى انه جعل مجموع قصتهما اية لمن اعتبر والعالمين يريد من عاصرهما
بعد ذلك وقوله ان هذه امتكم تحتمل ان يكون الكلام منقطعا خطابا للمعاصرين لمحمد ثم اخبر عن الناس انهم
تقطعوا ثم وعدوا واوعدوا ويحتمل ان يكون متصلا معناه اية للعالمين بان بعث لهم بملة وكتاب وقيل لهم ان هذه
امتكم اي دعا الجميع الى الايمان بالله وعبادته ثم اخبر انهم بعد ذلك اختلفوا وتقطعوا امرهم ثم اخبر ما بين
المحسن والمسيء فذكر المحسن بالوعد اي من عمل من الصالحات وهو مومن فهو بسعيه مجازى وذكر المسيء بالوعيد

في قوله وحرام الاية فتامل الوعيد فيها على كل قول تلقاه فانه بين والكفران مصدر كالكفر ومنه
قول الشاعر رايت اناسا لا تنام جدودهم وجدي ولا كفران لله نايم ○ واختلف
القراء في قوله وحرام فقرا عكرمة وغيره بفتح الحا وكسر الرا وقرا جمهور السبعة وحرام وقرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم بكسر الحا وسكون الراء وقرا ابن عباس بخلاف عنه بفتح الحا وسكون الرا وقرات فرقة
بفتح الحا والرا وشدها وقرا قتادة ومطر الوراق بفتح الحا وضم الرا والمستفيض من هذه القراءات
قراة حرم وحرام وهما مصدران بمعنى نحو الحل والحلال فاما معنى الاية فقالت فرقة حرام وحرم
معناه حتم وجزم فالمعنى وحتم على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا فيتوبون ويستعتبون
بل صايرون الى العقاب وقال بعض هذه الفرقة الاهلاك هو بالطبع على القلوب ونحوه والرجوع هو
الى التوبة والايمان وقالت طايفة المعنى وحرام اي ممتنع وحرم كذلك على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
وقالوا لا زايدة في الكلام واختلفوا في الاهلاك والرجوع بحسب القولين المذكورين وقال ابو علي يحتمل ان
يرتفع حرام بالابتدا والخبر رجوعهم ولا زايدة ويحتمل ان يرتفع على خبر ابتدا كانه قال والاقالة والتوبة
حرام ثم يكون التقدير بانهم لا يرجعون فيكون لا على بابها كانه قال هذا عليهم ممتنع بسبب كذا فالعزم في
الاية بالجملة ليس كتحريم الشرع الذي انما المنهي كبدع وبيحه في الاية معنى ضمنه وعبد بين وذلك
انه ذكر من عمل صالحا وهو مومن ثم عاد الى ذكر الكفرة الذين من فخرهم ومعتقدهم انهم لا يحشرون الى رب
ولا يرجعون الى معاد فهم يظنون بذلك انه لا عقاب ينالهم فجاءت الاية مكذبة لظن هولاء اي وممتنع على
الكفرة المهلكين انهم لا يرجعون بل هم راجعون الى عقاب الله واليم عذابه فيكون لا على بابها والحرام على بابه
قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج يحتمل ان تكون حتى في هذه الاية متعلقة بقوله وتقطعوا ويحتمل
على بعض التاويلات المتقدمة ان يتعلق يرجعون ويحتمل ان يكون حرف ابتدا وهو الاظهر بسبب اذا
لانها تقتضي جوابا هو المقصود ذكره واختلف هنا في الجواب فقالت فرقة الجواب قوله واقترب
الواو زايدة وقالت فرقة منها الزجاج وغيره وقالت في قوله يا ويلنا التقدير قالوا يا ويلنا وليست
الواو بزايدة والذي اقول ان الجواب في قوله فاذا هي وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره لانه رجوعهم
الذي كانوا يكذبون به وحرم عليهم امتناعه وقرا الجمهور فتحت مخففة وشددها ابن عامر وحده
وروي ان ياجوج وماجوج يحفرون في كل يوم على السد فيقولون غدا نفتح ولا يردون المشية الى

الله

الله فلما كان غد وجدوا الردم كما تركوه حتى اذا اذن الله في فتحه قال قايلهم غدا نفتحه ان شا الله
فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه حينيذ وقرا عاصم وحده بهمز الاسمين وقرا الجمهور
بالتسهيل وقد تقدم في سورة الكهف التوجيه وكثير من الفاظه ○ والحدب كل مسنم من
الارض كالجبل والظرب والكدية والقبر ونحوه وقالت فرقة المراد بقوله وهم الاسمان يعني
انهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويعمون الارض وذلك انهم من الكثرة بحيث قال عليه السلام
يقول الله يوم القيمة اخرج بعث النار من ذريتك فيخرج من كل الف تسع مايه وتسعة وتسعين
قال ففزع الناس فقال عليه السلام الواحد منكم ومن ياجوج وماجوج الف الا رجل ويروى ان
الرجل منهم لا يموت حتى يولد له الف من رجل وامراة وقالت فرقة المراد بقوله وهم جميع العالم
وانما هو تعريف بالبعث من القبور وقرا ابن مسعود جدث بالثا وهي تويد هذا التاويل فينسلون
يسرعون في تطامن ومنه قول الشاعر ○ عسلان الذيب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل
وقرات فرقة بكسر السين وقرت بضمها واسند الطبري عن ابي سعيد قال يخرج ياجوج وماجوج
فلا يتركون الا اهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمر اخرهم فيقول كان هنا مرة ما قال
ثم يبعث الله عليهم النغف حتى يكسر اعناقهم فيقول اهل الحصون لقد هلك اعدا الله فيدلون رجلا
ينظر لهم انهم قد هلكوا قال فيرسل الله ما من السما فيقذف بهم في البحر فيطهر الارض منهم وروي
نحو هذا وقال في الحجر وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها وروي ان ابن عباس راي صبيانا
يلعبون ينزو بعضهم على بعض فقال هكذا خروج ياجوج وماجوج قوله واقترب الوعد
الحق يريد يوم القيمة وروي في الحديث ان الرجل ليتخذ الفلو من بعد ياجوج وماجوج فلا يبلغ منفعته
حتى تقوم الساعة وقوله هي مذهب سيبويه انها ضمير القصة كانه قال فاذا القصة هي او
الحادثة شاخصة ابصار وجوز الفرا ان تكون ضمير الابصار تقدمت لدلالة الكلام ومجي ما
يفسرها وانشد على ذلك ○ فلا وابيها لا تقول خليلتي الا فر عني مالك بن ابي كعب ○ والشخوص
بالعين احداد النظر دون ان يطرف وذلك يعتري من الخوف المفرط او علة او نحوه وقوله يا
ويلنا تقديره يا ويلنا لقد كنا في غفلة عما وجدنا الان وتبينا من الحقايق ثم تركوا الكلام الاول ورجعوا
الى نقد ما كان يداخلهم من تعسف الكفر وقصد الاعراض فقالوا بل كنا ظالمين قوله انكم مخاطبة لكفار

مكة اي انكم واصنامكم حصب جهنم وهو ما توقد به النار اما لانها تحصب به اي ترمى وانما
ان يكون لغة في الحطب اذا رمي واما قبل ان يرمى به فلا يسمى حصبا الا تجوزا وقرا الجمهور بصاد
مفتوحة وسكنها ابن السميقع وذلك على ايقاع المصدر موقع اسم المفعول وقرا علي وابي
وعايشة وابن الزبير بالطا وقرا ابن عباس بالضاد المعجمة مفتوحة وسكنها كثير عزة وهو
ايضا ما يرمى به في النار لتوقد به والحضب العود والحديدة التي تحرك بها النار او نحوه ومنه
قول الشاعر فلا تك في حربنا محضبا لتجعل قومك شتى شعوبا ه وقوله
وما تعبدون يريد الاصنام وحرقها في النار على جهة التوبيخ لعابديها ومن حيث تقع ما لمن يعقل
في بعض المواضع اعترض في هذه الاية عبد الله بن الزبعرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان عزيرا وعيسى قد عبدا من دون الله ونحوهما فيلزم ان يكونا حصبا لجهنم فنزلت
ان الذين سبقت لهم ثم قرر الامر بالاشارة الى الاصنام التي ارادها في قوله ما فقال لو كان
هولاء الهة وعبر عن الاصنام بها ولا من حيث هي عندهم بحال من يعقل والورود في هذه الاية
ورود الدخول قوله لهم فيها زفير الضمير عايد على من يعقل ممن توعد والزفير صوت المعذب
وهو كنهيق الحمير وشبهه الا انه من الصدر وقوله لا يسمعون قالت فرقة ان عذابهم ان
جعلوا في توابيت في داخل توابيت اخر فيصيرون هنالك لا يسمعون شيا ولما اعترض ابن الزبعرى
بامر عيسى وعزير نزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى مبينة ان هذا ولا لبسوا عن المراد لانهم
لم يرضوا ذلك ولا دعوا اليه والحسنى يريد كلمة الرحمة والحتم بالتفضيل والحسيس وهو بالجملة
ما يتادى الى الحس من حركة الاجرام وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضي ان في
الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الا جثا على ركبتيه والفزع الاكبر عام في كل
هول يكون في يوم القيمة فكان يوم القيمة بجملته هو الفزع الاكبر وان خصص شي من ذلك فيجب ان يقصد
لاعظم هوله فقالت فرقة في ذلك هو ذبح الموت وقالت فرقة هو وقوع طبق جهنم وقالت فرقة
هو الامر باهل النار الى النار وقالت فرقة هو وقت النفخة الاخرة وهذا وما قبله من الاوقات
اشبه ان يكون فيها الفزع لانها وقت لترائي الظنون وتعرض الحوادث فاما وقت ذبح الموت
ووقوع الطبق فوقت قد حصل فيه اهل الجنة في الجنة فذلك فزع بين الا انه لا يصيب احدا

القيمة

من

من اهل الجنة فضلا عن الانبيا اللهم الا ان يريد لا يحزنهم الشي الذي هو عند اهل النار فزع
اكبر فاما ان كان فزعا للجميع فلا بد منه فلنا من انه قبل دخول الجنة وقد ذهب بعض الناس
الى ان هذه الاية تعم كل مومن وروي عن علي انه قال عثمان منهم ولا مزية لهما مع نزولها في خصوص
مقصود بينا ولكل من سعد في الاخرة قوله وتتلقاهم الملايكة يريد بالسلام عليهم والتبشير
لهم اي هذا يومكم الذي وعدتم فيه الثواب والنعيم قوله يوم نطوي السما قرات فرقة
بنون العظمة وقرات فرقة بيا مفتوحة على معنى يطوي الله وقرات فرقة بيا مضمومة السما رفعا على ما
لم يسم فاعله واختلف الناس في السجل فقالت فرقة هو ملك يطوي الصحف وقالت فرقة هو
رجل كان يكتب للنبي عليه السلام وهذا وما شاكله ضعيف وقالت فرقة السجل الصحيفة التي
يكتب فيها والمعنى كطي اي كما يطوى السجل من اجل الكتاب الذي فيه فالمصدر مضاف الى المفعول
ويحتمل ان يضاف الى الفاعل اي ليكتب فيه فكانه قال يوم نطوي السما كالهيئة التي فيها طي
السجل للكتابة فهذا التشبيه يجوز وقرا الحسن بن ابي الحسن بسكون الجيم وتخفيف اللام وفتح
ابو السمال السين وقراها ابو زرعة بن عمرو بن جرير بضم السين والجيم وقرا الجمهور للكتاب وقرا
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب ه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا يحتمل معنيين
احدهما ان يكون خبرا عن البعث اي كما اخترعنا الخلق اولا على غير مثال كذلك ننشيهم تارة اخرى
فنبعثهم من القبور والثاني ان يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيمة على هيئته التي خرج
بها الى الدنيا ويويد هذا التاويل قوله عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده والكاف متعلقة بنعيده ه انا كنا فاعلين تاكيد للامر بمعنى ان الامر واجب فيه
ذلك ه والزبور قيل هو اسم يعم جميع الكتب لانه ماخوذ من زبرت الكتاب اذا كتبته قالوا والذكر
اراد به اللوح المحفوظ وقال الذكر الذي في السما وقالت فرقة الزبور هو زبور داود والذكر اراد به
التوراة وقالت فرقة الزبور ما بعد التوراة من الكتب والذكر التوراة وقرات فرقة منهم حمزة الزبور بضم
الزاي والارض المورثة قيل ارادها ارض الدنيا اي كل ما يناله المومنون من الارض وقيل اراد ارض
الجنة واستشهد بقوله واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا وقالت فرقة المراد بهذه الاية
الاخبار عما كان صنعه مع بني اسرايل اي فاعلموا انا كما وفينا لهم بما وعدناهم فكذلك ننجز لكم ما وعدناكم

من المنزه فان في هذا الاشارة الي الايات المتقدمة وقالت فرقة الاشارة للقران بجملته والعبادة
متضمن الايمان بالله الا رحمة للعالمين قالت فرقة عم العالمين وهو يريد من امن فقط وذلك انه ليس برحمة
على من كفر ومات على الكفر وقالت فرقة عام ورحمته للمومنين بينة وهي للكافرين بان الله رفع عن
الامة ان تصيبهم ما يصيب القرون قبلهم من انواع العذاب المستاصلة كالطوفان وغيره
ويحتمل ان يكون معنى الكلام وما ارسلناك للعالمين الا رحمة اي هو رحمة في نفسه وهدى مبين
اخذ به من اخذ واعرض عنه من اعرض قوله اذنتكم على سوا معناه عرفتكم بنذاري واردت
ان تشاركوني في معرفة ما عندي من الخوف عليكم من الله ثم اعلمهم انه لا يعرف تعيين وقت عذابهم
بل هو مترقب في القرب والبعد وهذا اهول واخوف قوله انه يعلم الضمير عايد على الله
وفي الاية تهديد اي يعلم جميع الاشيا الواقعة منكم وهو بالمرصاد في الجزا عليها وقوله تعالى لعل
وان ادري بفتح اليا فيها وفي التي بعدها وانكر ابن مجاهد فتح هذه اليا ووجهه ابو الفتح والضمير
في لعله عايد على الاملا لهم وصفح الله عن عذابهم وتمادي النعمة وقوله فتنة معناه ابتلا
وامتحان ومتاع ما يستمتع به مدة الحياة الدنيا ثم امره ان يقول على جهة الدعا رب احكم
بالحق وفيه توعد اي الحق انما هو في نصرتي عليكم وامر الله له بهذا الدعا دليل على الاجابة
والعدة بها وقرا فرقة رب خفضا وقرا فرقة رب رفعا على المنادي المفرد وقرات فرقة ربي احكم على
وزن افعل وذلك على الابتدا والخبر وقرا فرقة ربي احكم على انه فعل ماضي ومعنى هذه القراات
بينة ثم توكل في اخر الاية واستعان بالله وقرا الجمهور قل وقرا عاصم فيما روي عنه قال وقرا ابن
عامر وحده يصفون باليا والباقون بالتا على المخاطبة

تفسير سورة الحج وهي مكية

سوى ثلث ايات اولها هذان خصمان الى تمام ثلث ايات قاله بلغ
ابن عباس ومجاهد وروي ايضا عن ابن عباس زيادة انه يعدهن الى عذاب الحريق وقال الضحاك
هي مدنية الا اربع ايات من قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا الى قوله عذاب عقيم
فهن مكيات وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر ايات وقال الجمهور السورة مختلطة فيها
مكي ومدني وهذا هو الاصح والله اعلم لان الايات تقتضي ذلك وروي عن انس بن مالك انه قال
نزل اول السورة في السفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى بها فاجتمع اليه الناس فقال

اتدرو

اتدرون اي يوم هذا فسكتوا فقال يوم يقول الله يا ادم ابعث بعث النار الحديث قوله يا ايها
الناس الاية صدرها تحذير بجميع العالم ثم اوجب الخبر واكده بامر زلزلة القيمة وهي احدى شرايطها
وسماها شيا اما لانها حاصلة متيقن وقوعها فيستسهل لذلك ان تسمى شيا وهي معدومة اذ المتيقن
يشبه الموجودات واما على المال اي هي اذا وقعت شي عظيم فكانه لم يطلق الاسم الا بالمعنى
انها اذا كانت فهي شي عظيم والزلزلة التحريك العنيف وذلك مع نفخة الفزع ومع نفخة الصعق
حسب ما تضمن حديث ابي هريرة من تلك نفخات ومن لفظة الزلزلة قول الشاعر
يعرف الجاهل المضلل ان الدهر فيه النكرا والزلزال يحتمل ان يكون فيه الاية عبارة
عن اهوال يوم القيمة كما قال تعالى وزلزلوا وكما قال عليه السلام اللهم اهزمهم وزلزلهم فالجمهور
على ان زلزلة الساعة كالمعهود في الدنيا الا انها في غاية الشدة واختلف المفسرون في الزلزلة
المذكورة هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيمة ام هي يوم القيمة على جميع العالم فقال
الجمهور هي في الدنيا والضمير في ترونها عايد عندهم على الزلزلة وقوى عندهم ان الرضاع والحمل
انما هو في الدنيا وقالت فرقة هي يوم القيمة واحتجت بحديث انس المذكور انفا ولا حجة فيه
اذ يحتمل ان النبي قرا الاية المضمنة ابتدا امر الساعة ثم قصد في تذكيره وتخويفه الى فصل من فصول
يوم القيمة فنص ذكره وهذا من الفصاحة والضمير عند هذه الفرقة عايد على الساعة اي
يوم ترون ابتداها في الدنيا فيصح لهم بهذا التاويل ان لا يلزمهم وجود الرضاع والحمل في يوم القيمة
ولو اعادوه على الزلزلة فسد قولهم بما يلزمهم على ان النقاش ذكر ان المراد بكل ذات حمل من مات
من الاناث وولدها في جوفها وهذا ضعيف والذهول الغفلة عن الشي بطريان ما يشغل عنه
من هم او وجع او غيره قال ابن زيد تترك ولدها للكرب الذي نزل بها وقرا ابن ابي عبلة تذهل
بضم التا وكسر الها ونصب كل ولحق الها في مرضع لانه اراد فاعلات ذلك في ذلك اليوم فاجراه
مجرى الفعل واما اذا اخبرت عن المراة بان لها طفلا ترضعه فانما تقول مرضع مثل حامل
قال علي بن سليمن هذه الها في مرضعة تدل على الرد على الكوفيين في قولهم ان الها لا تكون فيما لا تلتبس
له بالرجال وحكى الطبري ان بعض نحويي الكوفة قال ام الصبي مرضعه والمستاجرة له مرضع والحمل
بفتح الحا ما كان في بطن او على راس شجرة قوله وترى الناس سكارى تشبيه اي من الهم ثم نفي

عنهم السكر الحقيقي الذي هو من الخمر قاله الحسن وغيره وقرا جمهور القرا سكارى بضم
السين وثبوت الالف وكذلك في الثاني وهذا هو الباب فيه جعله سيبويه جمعا ومره
جعله اسم جمع وقرا ابو هريرة بفتح السين فيهما وهذا ايضا قد يجي في هذه الجموع وقال ابو
الفتح هو تكسير وقال ابو حاتم هي لغة تميم وقرا حمزة والكسائي سكرى في الموضعين ورواه
عمران بن حصين وابو سعيد الخدري عن النبي عليه السلام وهي قراة ابن مسعود وحذيفة واصحاب
عبد الله قال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى لانهما شيان يدخلان على الانسان
ثم جعلوا روبى مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرايب قال ابو علي ويصح ان
يكون سكرى جمع سكر كزمن وزمنى وقد حكى سيبويه رجل سكر بمعنى سكران فيجي سكرى حينئذ
لتانيث الجمع كالعلامة وطايفة لتانيث الجمع وقرا سعيد بن جبير وترى الناس سكرى وما هم
بسكارى وحكى المهدوي عن الحسن بعكس هذه وقرا الحسن والاعرج وابو زرعة بن عمرو بن جرير في
الموضعين سكرى بضم السين قال ابو الفتح هو اسم مفرد كالبشرى وبهذا افتاني ابو علي وقد سالته
عن هذا وقرا ايضا ابو زرعة وابو هريرة وابن نهيك وترى بضم التا الناس بالنصب قال وانما
هي بحسبه وروت هذه القراة ترى بضم التا الناس رفعا اي ترى جماعة الناس قوله ومن
الناس الاية نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف وقيل في ابي جهل بن هشام ثم هي بعد تتناول كل من
اتصف بهذه الصفة وتعني بالمجادلة المحاجة والمراداة ماخوذ من الجدل وهو الفتل يعني في
قدرة الله وصفاته وكان سبب الاية كلام من ذكر وزعمهم ان الله لا يبعث ولا يقيم الاجساد من القبور
والشيطان هنا هو مغويهم من الجن ويحتمل ان يكون الشيطان من الانس والاجا على متبعيه والمريد
المتجرد من الخير للشر ومنه الامرد وشجرة مردا اي ملسا والضمير في عليه عايد على الشيطان
قاله قتادة ويحتمل ان يعود على المجادل وانه في موضع رفع على مفعول ما لم يسم فاعله وانه
الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها وقيل هي مكررة للتاكيد فقط وهذا معترض بان الشي لا يؤكد
الا بعد تمامه وتمام ان الاولى انما هو بصلتها في قوله السعير ولذلك لا يعطف عليه ولسيبويه في
مثل هذا انه بدل وقيل ان الثانية خبر ابتدا محذوف تقديره فشانه انه يضله وقدره ابو علي
فله انه يضله ويظهر لي ان الضمير في انه الاولى للشيطان وفي الثانية لمن الذي هو المتولي

ولي

قوله ويهديه الى عذاب يعني يدله على طريق ذلك وليست بمعنى الارشاد على الاطلاق
وقرا ابو عمرو انه فانه بالكسر فيهما قوله ان كنتم في ريب من البعث احتجاج على العالم بالبداة
الاولى وضرب امثلة في هذه متى تبين اذا اعتبرها الناظر جوز في العقل البعثة من القبور ثم ورد
خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه والريب الشك ان كنتم شرط مضمنه التوقيف وقرا
الحسن البعث بفتح العين وهي لغة عند البصريين وهي عند الكوفيين تخفيف البعث قوله
خلقناكم من تراب يريد ادم ثم سلط الفعل عليهم من حيث هم ذريته وقوله ثم من نطفة يريد
المني الذي يكون منه البشر والنطفة تقع على قليل الما وكثيره وقال النقاش المراد نطفة ادم وقوله
من علقة يريد من الدم الذي يعود اليه النطفة في الرحم او المقارن للنطفة والعلق الدم العبيط
وقيل الشديد الحمرة فسمي الدم لذلك قوله من مضغة يريد بضعة لحم على قدر ما يمضغ قوله
مخلقة معناه متممة البنية وغير مخلقة غير متممة اي التي تسقط قاله مجاهد وقتادة
والشعبي وابو العالية فالمخلقة بنا مبالغة من خلق ولما كان الانسان فيه اعضا
وكل واحد منها مختص بخلق حسن في جملته تضعيف الفعل لان فيه خلقا كثيرة وقرا ابن ابي
عبلة مخلقة وغير بالنصب فيهما ويتصل بهذا الموضع من الفقه ان العلما اختلفوا في ام
الولد اذا اسقطت مضغة لم تتصور هل تكون ام ولد ام لا فقال مالك والاوزاعي وغيرهما
هي ام ولد بالمضغة اذا علم انها مضغة الولد وقال الشافعي وابو حنيفة لا حتى يتبين فيه
خلق ولو عضو واحد قوله لنبين قالت فرقة يعني امر البعث فهو اعتراض بين الكلامين
وقرات هذه الفرقة بالرفع في ونقر المعنى ونحن نقر وهي قراة الجمهور وقالت فرقة لنبين
معناه تكون المضغة غير مخلقة وطرح النسا اياها كذلك نبين للناس ان الما قبل في الرحم هي كذلك
هكذا وقرات هذه الفرقة ونقر بالنصب ولذلك قرات ثم نخرجكم بالنصب وهي قراة المفضل
عن عاصم وحكاها ابو عمرو الداني عنه بالياء في يقر ويخرجكم وفي الرفع على هذا التاويل سايغ
ولا يجوز النصب على التاويل الاول وقرا ابن ما نشا بكسر النون والاجل المسمى هو مختلف بحسب
جنين جنين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا وقوله طفلا اسم الجنس اي اطفالا
واختلف الناس في الاشد من ثمانية عشر الى ثلثين الى اثنين وثلثين الى ستة وثلثين الى اربعين

الي خمس وسبعين واللفظه تنال باشتراكها اسنان علي العموم عن اشتقاق اليتيم الذي هو الاحتلام
وهو في هذه الايه يحتمل المعنيين والرد الي ارذل العمر هو حصول الانسان في زمانه واختلال
قوه حتي لا يقدر علي اقامة الطاعات واختلال عقل حتي لا يقدر علي اقامة ما يلزمه من المعتقدات
وهذا يجي مع الكبر وقد يكون ارذل العمر قليل من السن بحسب تخصيص الحكمة زمانه وقد ذكر
عن علي بن ابي طالب ان ارذل العمر خمس وسبعون سنه وهذا فيه نظر وان صح عن علي فلا يوجه الكذب
يزيد علي الاكثر فقد نرى ابنا ثمانين سنه ليسوا في ارذل العمر وقرا الجمهور العمر بضم الميم وقراها نافع
ساكنه واختلف عنه وقوله لكيلا يعلم اي لينسي معارفه وعلمه الذي كان معه فلا يعلم من ذلك
شيا وهذا مثال واحد يقضي للمعتبر به ان القادر علي هذه المناقل المتنقل لها قادر علي اعادة تلك
الاجساد التي اوجدها بهذه المناقل الي حالها الاولي قوله وترى الارض هامدة هذا هو
المثال الثاني الذي يعطي للمعتبر فيه جواز بعث الاجساد وذلك ان احيا الارض بعد موتها
بين وكذلك الاجساد وهامده معناه ساكنه دارسه باليه ومنه قيل هامد الثوب اذا بلي وقال
الاعشي ه قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا واري ثيابك بالبلاد هوامدا ه واهتزاز
الارض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعتريها وربت معناه نشزت وارتفعت ومنه الربوة
وهو المكان المرتفع وقرا ابو جعفر بن القعقاع وربات بالهمز وروي عن ابي عمرو وقراها عبد الله
بن جعفر وخالد بن الياس وهي وجيه ووجهها ان يكون من ربات للقوم اذا علوت شرفا من الارض
طليعة فكان الارض بالما تتطاول وتعلو والزوج النوع والبهيج فعيل من البهجه وهي الحسن قاله
قتادة وغيره قوله ذلك اشارة الي كون ما تقدم ذكره وذلك ابتدا وخبره بان اي هو بان الله
هو الحق وقادر قوله ان الساعة اتيه ليس بسبب لما ذكر لكن المعني ان الامر مرتبط بعضه ببعض
او علي تقدير والامر ان الساعة اتيه قوله ومن الناس اشاره الي القوم المتقدم ذكرهم وحكي
النقاش عن محمد بن كعب انه قال نزلت هذه الايه في الاخنس بن شريق وكرر هذه علي جهة التوبيخ فكانه
يقول هذه الامثال في غاية الوضوح والبيان ومن الناس مع ذلك من يجادل فكان الواو واو
الحال وفي الايه المتقدمه واو عطفت جملة الكلام علي ما قبلها والايه علي معني الاخبار وهي مكررة
هنا للتوبيخ وثاني حال من الضمير في يجادل ولا يجوز ان يكون حالا من من لانها في معني الانفعال

اذ

اذ تقديره ثانيا عطفه وهي عبارة عن المتكبر المعرض قاله ابن عباس وغيره وذلك ان صاحب
الكبر يرد وجهه عما يتكبر عليه فهو يرد وجهه يصعر خده ويولي صفحته ويلوي عنقه ويثني عطفه
وهذه عبارات المفسرين والعطف الجانب وقرا الحسن بفتح العين والعاطف السيد
لان صاحبه يتعطفه اي يصله بجنبه وقرا الجمهور ليضل بضم اليا وقرا مجاهد واهل
مكه بفتحها وكذا قرا ابو عمرو والخزي الذي توعد به النضر بن الحرث صدق في اسره يوم
بدر وقتله بالصفرا والحريق طبق من طبقات جهنم قوله ذلك بما قدمت يداك يعني
يقال له ونسب التقديم الي اليدين اذ هما آلة الاكتساب واختلف في الوقف علي يداك
فقيل لا يجوز لان التقدير وبان الله اي ان هذا هو العدل فيك بجرايمك وقيل يجوز بمعني والامر
ان الله ليس بظلام للعبيد وذكر العبيد هنا في معني مسكنتهم وقلة قدرتهم فلذلك جات
هذه الصيغه قوله ومن الناس من الايه نزلت في اعراب وقوم لا يقين لهم كان احدهم اذا
اسلم فاتفق له اتفاقات حسان من نمو ماله وولد يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد
وتمسك به لذلك وان كان الامر بخلاف تشام به وارتد كما صنع العرنيون وغيرهم قال
هذا المعني ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وقوله علي حرف معناه علي انحراف منه عن
العقيدة البيضا او علي شفا منها معدا للزهوق والفتنة الاختبار قوله انقلب
علي وجهه عبارة للمولي عن الامور وخسارته الدنيا والاخرة اما الدنيا فالمقادير التي جرت
واما الاخره فارتداده وسو معتقده وقرا مجاهد وحميد الاعرج خاسرا نصبا علي الحال
قوله ما لا يضره يريد الاوثان ومعني يدعوا يعبد ويدعوا ايضا في مهماته واختلف الناس
في قوله يدعوا لمن ضره فقالت فرقة من الكوفيين اللام مقدمة علي موضعها وانما التقدير يدعوا
من ضره ويؤيد هذا التاويل ان ابن مسعود قرا يدعوا من ضره وقال الاخفش يدعوا بمعني
يقول ومن مبتداه وضره مبتدا وخبره اقرب والجملة صلة وخبر من محذوف والتقدير يقول
لمن ضره اقرب من نفعه اله وشبه هذا بقول عنترة ه يدعون عنتر والرماح كانها ه
وهذا قول فيه نظر والذي تامل افساده المعني اذ لم يعتقد الكافر قط ان ضر الاوثان
اقرب من نفعها واعتذار ابي علي هو بمرة وايضا فهو لا يشبه البيت الذي استشهد

اقرب م

به وقيل المعنى في يدعوا يسمي وهذا كالذي قبله الا ان المحذوف آخرا مفعول تقديره الها
وقال الزجاج يجوز ان يكون يدعوا في موضع الحال وفيه هاء محذوفة والتقدير ذلك هو
الضلال البعيد يدعوه او يدعوه فيوقف على هذا قال ابو علي ويحسن ان يكون ذلك بمعنى الذي
اي الذي هو الضلال البعيد يدعوا فيكون قوله ذلك موصولا بقوله هو الضلال البعيد ويكون
يدعوا عاملا في قوله ذلك وهذا عن سهل وشبهه المهدوي بقوله وما تلك بيمينك وقد تظهر
في الايذان يكون قوله يدعوا منفصلا عما قبله ويكون فيه معنى التوبيخ كانه قال يدعوا من لا يضر ولا ينفع
ثم كرر يدعوا على جهة التوبيخ غير معدى اذ قد عدي اول الكلام ثم ابتدا الاخبار بقوله لمن ضره
واللام مؤذنة بمجي القسم والثانية التي هي لبئس لام القسم وان كان ابو علي مال الى انها لام
الابتدا والثانية لام اليمين وان كان في الاية ان يكون المراد يدعوا من ضره ثم علق الفعل باللام
ويصح ان يعتقد هذا الفعل من الافعال التي تعلق وهي افعال النفس كظننت وحسبت واشار
ابو علي الى هذا ورد عليه ه والعشير القرين المعاشر في الامور وذهب الطبري الى ان المراد
بالمولى والعشير الوثن الذي ضره اقرب من نفعه وهو قول مجاهد وقد يكون المراد بهما هو الانسان
الذي يعبد الله على حرف ويدعوا الاصنام قوله ان الله يدخل الذين امنوا لما ذكر حاله من يعبده
على حرف وسفه رايهم توعدهم بخسارة الاخرة وعقب ذلك بذكر حاله مخالفيهم من اهل الايمان
وذكر ما وعدهم به من ادخالهم الجنة ثم اخذت الاية في توبيخ اولئك الاولين واسلامهم الى رايهم واحالتهم
على ما فيه غيظهم وليس فيه راحتهم كانه يقول هؤلا العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا
ان الله لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب
وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم
دونك الحبل فاختنق يقال ذلك لمن يريد من الامر ما لا يمكنه والسبب الحبل والنصر معروف الا ان
ابا عبيدة ذهب به الى معنى الرزق كما قالوا ارض منصورة اي ممطورة وكما قال الشاعر
ه وانك لا تعطي امرأ فوق حقه ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره ه وقال وقف بنا سائل
من بني ابي بكر الصديق فقال من ينصرني نصره الله والسما على هذه الاقوال الهوا علوا فكانه اراد
سقفا او شجرة ونحوه وقال ابن زيد السما هي المعروفة وذهب الى معنى اخر كانه قيل لمن

يظن ان الله لا ينصر محمدا ان كنت تظن ذلك فامدد سببا الى السما واقطعه ان كنت تقدر على
ذلك فان عجزت فكذلك لا تقدر على قطع سبب محمد من السما اذ نصرته من هنالك والوحي الذي ياتيه
والقطع على هذا التاويل ليس بالاختناق بل هو جذم السبب وفي مصحف ابن مسعود ثم
ليقطعه بها والجمهور على ان القطع هنا هو الاختناق قال الخليل وقطع الرجل اذا اختنق
بحبل او نحوه ثم ذكر الايه ويحتمل الايه معنى اخر وهو ان يريد به الكفار وكل من يغتاظ بان ينصره
الله ويطمع ان لا ينصر قيل لهم من ظن ان هذا لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان
غيظا وكمدا ويؤيد هذا ان الطبري والنقاش قالا ويقال نزلت في نفر من بني اسد وغطفان
قالوا نخاف ان ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى الاول
الذي قيل للعابدين على حرف ليس بهذا ولكنه بمعنى من قلق واستبطأ النصر وظن ان محمدا لا ينصر
فليختنق سفاهة اذ تعدى الامر الذي حد له في الصبر وانتظار صنع الله وقال مجاهد الضمير في ينصره
عائد على من والمعنى من كان يظن من المتقلقين من المؤمنين والضمير في التاويل الذي ذكرناه
وفي انه يراد به الكفار لا يعود الا على النبي فقط وقالت فرقة الضمير عائد على الدين والقران
وقرا ابو عمرو وابن عامر بكسر اللام من ليقطع فلينظر على الاصل وهي قراة الجمهور وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بسكونها فيهما وفي لام الامر من كل القران مع الواو والفا وثم واختلف عن نافع وهي قراة الحسن وابي
عمرو وعيسى ع اما الواو والفا اذا دخلتا على لام الامر فحكى سيبويه انهم يرونها كانها من الكلمة
بسكون اللام تخفيفا وهو افصح من تحريكها واما ثم فهي كلمة مستقلة فالوجه تحريك اللام بعدها
وقد راى بعض النحويين الميم من ثم بمنزلة الفا والواو وقوله ما يغيظ يحتمل ان يكون بمعنى
الذي وفي يغيظ عائد عليها ويحتمل ان تكون مصدرية حرفا فلا عائد عليها والكيد هو مد السبب
وليس وجوه هذه الاية ان يكون مثلا ويكون النصر المعروف والقطع الاختناق والسما الارتفاع
في الهوا بسقف او شجرة ونحوه فتامله قوله وكذلك انزلناه الى تمهيد المعنى وكما وعدنا بالنصر
وامرنا بالصبر كذلك انزلنا القران ايات بينات لمن نظر واهتدى لا ليغتش معها ويستعجل القدر وقال
الطبري المعنى وكما بينت حججي على من جحد قدرتي على احيا الموتى كذلك انزلناه والضمير عائد على القران
وجاز هذا الضمير كلها هكذا ولم يتقدم ذكر لشهرة المشار اليه نحو قوله حتى توارت بالحجاب وغيره

وقوله وان في موضع الابتدا والتقدير والامر ان الله يهدي من يريد وهدايه الله هي خلقه
الرشاد والايمان في نفس الانسان ثم اخبر عن فعله بالفرق المذكورين المومنون محمد وغيره
واليهود والنصارى والصابون قوم يعبدون الملايكه ويستقبلون القبله ويوحدون
الله ويقروون الزبور قاله قتاده والنصارى والمجوس وهم عبده النار والشمس والقمر والمشركون
وهم عبده الاوثان قال قتاده الاديان سته خمسه للشيطان وواحد للرحمن وخبر ان قوله ان
الله يفصل ثم دخلت ان على الخبر موكده وحسن ذلك لطول الكلام فهي وما بعدها خبر الاولى
وقرن الزجاج هذه بقول الشاعر
ان الخليفه ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ٥ نقله من الطبري وليس هذا البيت
كالايه لان الخبر في البيت في قوله به ترجى وان الثانيه وجملتها معترضه بين الكلامين ثم تم الكلام
كله في قوله القيمه واستانف الخبر عن ان الله على كل شي قدير شهيد عالم به وهذا خبر مناسب
للفصل بين الفرق وفصل الله بين هذه الفرق هو بادخال المومنين الجنه والكافرين النار قوله الم
تر
معناه من رويه القلب وهذه اعلام بتسليم جميع المخلوقات لله وخضوعها وذكر فيها كل ما عبد الناس
اذ في المخلوقات اعظم ما ذكر كالبحار والرياح والهوا فمن في السموات الملايكه ومن في الارض من عبد من
البشر والشمس وكانت حمير تعبدها وهم قوم بلقيس والقمر كانت كنانه تعبده قاله ابن عباس
وكانت تميم تعبد الدبران وكانت لخم تعبد المشتري وكانت طي تعبد الثريا وكانت قريش تعبد
الشعرى وكانت اسد تعبد عطارد وكانت ربيعه تعبد المرزم والجبال والشجر منها النار
واصنام الحجاره والخشب والدواب منها البقر وغير ذلك مما عبد من الحيوان كالديك ونحوه والسجود
في هذه الايه هو بالخضوع والانقياد للامر كقوله ٥ ترى الاكم فيه سجدا للحوافر ٥ وهذا
ما يفسد فيه السجود المتعارف وقال مجاهد سجود هذه الاشيا هو بظلالها وقال بعضهم سجودها
هو بظهور الصنعه فيها وهذا وهم وانما خلطه هذه الايه بايه التسبيح وهنالك يحتمل ان يقال باثار
الصنعه قوله وكثير حق عليه العذاب يحتمل ان يكون معطوفا على ما تقدم اي وكثير حق عليه
العذاب يسجد اي كراهيه وعلى رغمه اما بظله واما بخضوعه عند المكاره ونحو ذلك قاله
مجاهد وقال سجوده بظله ويحتمل ان يكون رفعا بالابتدا مقطوعا مما قبله وكان الجمله معادله

لقوله وكثير من الناس لان المعنى انهم مرحومون بسجودهم ويويد هذا قوله بعد ذلك ومن يهن الله
فما له من مكرم الايه وقرا جمهور الناس من مكرم بكسر الرا وقرا ابن ابي عبله بفتحها على موضع اكرامه
او على انه مصدر كمدخل وقرا الجمهور الدواب مشدده البا وقرا الزهري وحده بتخفيفها وهي
قراه ضعيفه وهي تخفيف على غير قياس كما قالوا اطلب واحسب وكما قال علقمه
دكانا بربيهم طبى على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم ٥ اراد بسبايب الكتان
وانشد ابو علي في مثله ٥ حتى اذا ما لم اجد غير الشر كنت امرا من مالك بن جعفر ٥ وهذا
باب انما يستعمل في الشعر فلذلك ضعفت هذه القراه قوله هذان خصمان الايه اختلف
الناس في المشار اليه بهذان فقال قيس بن عباده وهلال بن يساف نزلت في المبارزين يوم بدر
وهم سته حمزه وعلي وعبيده بن الحارث برزوا لعتبه بن ربيعه وشيبه بن ربيعه والوليد بن
عتبه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال انا اول من يجثو يوم القيمه للخصومه بين يدي الله
واقسم ابو ذر على هذا القول وان الايه فيهم في صحيح البخاري وقال ابن عباس الاشاره الى المومنين
واهل الكتاب وذلك انه وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن اقدم دينا منكم ونحو هذا فنزلت
الايه وقال عكرمه المخاصمه بين الجنه والنار وقال مجاهد وعطا بن ابي رباح والحسن بن ابي الحسن
وعاصم والكلبي الاشاره الى المومنين والكفار على العموم وهذا قول تعضده الايه وذلك انه تقدم
قوله وكثير من الناس يعني هم مومنون ساجدون ثم قال وكثير حق عليه العذاب ثم اشار
الى هذين الصنفين بقوله هذان خصمان والمعنى ان الايمان واهله والكفر واهله خصمان
مذ كانوا الى قيام الساعه بالعداوه والجدال والحرب وقوله خصمان يريد طايفتين لان
لفظه خصم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد ويدل على انه اراد الجمع قوله اختصموا
فانها قراه الجمهور وقرا ابن ابي عبله اختصما قوله في ربهم اي في شانه وصفاته وتوحيده
ويحتمل ان يريد في رضاه وفي ذاته ثم بين حكم الفريقين فتوعد الكفار بعذاب جهنم قطعت
معناه جعلت لهم بتقدير كما يفصل الثوب وروي انها من نحاس وقيل ليس شي من الحجاره والفلز
احر منه اذا حمي وروي في صب الحميم انه الما المغلي الذي يضرب رووسهم بالمقامع
حتى ينكشف ادمغتهم عند صبه عليهم وقيل بل يصب اولا فيفعل ما وصف ثم يضرب بالمقامع

بعد ذلك والحميم الما المغلى ه ويصهر معناه يذاب وقيل معناه يعصر وهذه العبارة
فلقه وقيل معناه ينضج ومنه قول الشاعر ،، ،، ه
تصهره الشمس ولا ينصهر ،، وانما يشتد فيمن قال بعضنا انه اراد ان الحميم
بحرارته يحبط كل ما يلقى في الجوف ويكشطه ويسلته وقد روى ابو هريرة نحوه عن النبي
عليه السلام انه يسلته ويبلغ به قدميه ويذيبه ثم يعاد كما كان وقرا الجمهور يصهر
وقرات فرقه بالتشديد والمقمعة بكسر الميم مقرعة من حديد يقمع بها المضروب ه كلما
ارادوا روى ان لهب النار اذا ارتفع رفعهم فيصلون الى ابواب النار فيريدون الخروج
فيضربون بالمقامع وتردهم الزبانية وفي قوله من غم يحتمل ان يكون لبيان الجنس ويحتمل
ان يكون لابتداء الغاية ايضا وهي بدل من الاولى وقوله وذوقوا ههنا حذف تقديره ويقال
لهم ذوقوا والحريق فعيل بمعنى منفعل اى محرق وقرا الجمهور هذان بتخفيف النون وابن
كثير وحده شددها وقرابها شبل وهي لغة لبعض العرب في المبهمات كاللذان وهذان
ذكر ذلك ابو علي قوله ان الله يدخل الذين امنوا هذه معادلة فالذين كفروا وقرا الجمهور لقوله م
يحلون بضم اليا وتشديد اللام من الحلى وقرا ابن عباس بفتح اليا واللام والتخفيف يقال
حليت المراة وحلي الرجل اذا صار لهما حلي وقيل هي من قولهم لم يحل فلان بطائل ومن في
قوله من اساور هي لبيان الجنس ويحتمل ان يكون للتبعيض والاساور جمع سوار بكسر الهمزة
وقيل جمع اسورة واسورة جمع سوار وقرا ابن عباس من اسورة من ذهب ه واللولو الجوهر
وقيل كباره والاشهر انه اسم للجوهر وقرا نافع وعاصم في رواية ابي بكر بالنصب عطفا على موضع
الاساور لان التقدير يحلون اساور وهي قراة الحسن والجحدري ويعقوب والاعرج وابي جعفر
وعيسى وعمرو وحمله ابو الفتح نصبه على اضمار فعل وقرا باقي السبعة ولولو بالخفض عطفا
على لفظ الاساور ويكون اللولو غيرها واما على الذهب لان الاساور ايضا تكون من لولو
فيجمع بعضه الى بعضه وروت هذه القراة عن الحسن وطلحة وابن وثاب والاعمش واهل
مكة وثبت في الامام الف بعد الواو قاله الجحدري وقال الاصمعي ليس فيها الف وروى
يحيى عن ابي بكر عن عاصم همز الواو الثانية دون الاولى وروى المعلى بن منصور عن ابي بكر عن عاصم

ضد ذلك قال ابو علي وهو فيما تحسبها وهم احدها دون الاخرى جائز كله وقرا ابن عباس ولبسا
بكسر اللام اللباس والخبر عنهم بلباس الحرير لانها من اجل حالات الاخرة وقد روي ان النبي عليه
السلام قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وقال ابن عباس لا تشبه امور الدنيا
امور الاخرة الا في الاسما فقط واما الصفات فمتباينة والطيب من القول لا اله الا الله
وما جرى معها من ذكر الله وتقديسه وساير كلام اهل الجنة من محاورة وحديث طيب فانه
لا يسمع فيها لاغية وصراط الحميد هو طريق الله الذي دعا عباده اليه ويحتمل ان يريد
بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافة دار الاخرة قوله ان الذين كفروا
تقديره وهم يصدون وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي وقال فرقة الواو زايدة
ويصدون خبر ان وهذا مفسد للمعنى المقصود وانما الخبر محذوف مقدر عند قوله
والباد تقديره خسروا او هلكوا وجا ويصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه كما جا
قوله الذين امنوا وتطمئن ونحوه وهذه الاية نزلت عام الحديبية حين صد رسول الله عن
المسجد الحرام وذلك انه لم يعلم انه صد قبل ذلك جمع الا ان يراد صدهم لافراد من الناس فقد
وقع ذلك في صدر المبعث وقالت فرقة المسجد الحرام اراد به مكة كلها وهذا صحيح لكنه
قصد بالذكر المهم المقصود من ذلك وقرا الجمهور الناس سوا بالرفع وهو على الابتدا والعاكف
خبره وقيل سوا خبر مقدم وهو قول ابي علي والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة او متعبدا
وقرا حفص عن عاصم سوا بالنصب وهي قراة الاعمش وذلك يحتمل وجهين احدهما ان يكون
مفعولا ثانيا بالجعل ويرتفع العاكف به لانه مصدر ومعنى مستوي يعمل عمل اسم الفاعل والوجه
الثاني ان يكون حالا من الضمير في جعلناه وقرات فرقة سوا بالنصب العاكف بالخفض
عطفا على الناس والعاكف المقيم في البلد والبادي القادم عليه من غيره وقرا ابن كثير
البادي باليا وصلا ووقفا وقرا ابو عمرو بغير يا ووصل باليا وقرا نافع بغير يا في
الحالين وفي رواية المسيبي وابي بكر واسمعيل ابني ابي اويس وروى عنه ورش الوصل باليا
وقرا عاصم وحمزة والكسائي بغير يا وصلا ووقفا وهي في الامام بغير يا واجمع الناس على
الاستوا في نفس المسجد الحرام واختلفوا في مكة فذهب عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد

وجماعة معهم الى ان الامر كذلك في دور مكة وان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل
ان يؤويه شاء او ابى وقال ذلك سفيان الثوري وغيره وكذا كان الامر في الصدر الاول قال ابن
سابط وكانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق
بابا في وجه حاج بيت الله تعالى فقال انما اردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب
وقال جمهور من الامة منهم مالك ليست الدور كالمسجد ولاهلها الامتناع بها والاستبداد
وهذا هو العمل اليوم ويتركب هذا الاختلاف على ان مكة هل فتحت عنوة كما روي عن مالك والاوزاعي
او صلحا كما روي عن الشافعي فمن راها صلحا فان الاستواء عنده بعيد ومن راها عنوة امكنه ان
يقول الاستواء فيها قررة الائمة الذين لم يقطعوها احدا وانما سكنى من سكن من قبل نفسه وظاهر
قوله عليه السلام وهل ترك لنا عقيل من منزل يقتضي ان لا استواء وانها متملكة ممنوعة على
الناس وليس في قوله عليه السلام لانه تاول معنى انه ورث جميع منازل ابي طالب وغيره وتناول
معنى انه باع منازل بني هاشم حين هاجروا ومن الحجة لتملك اهلها دورهم ان عمر اشترى
من صفوان بن امية دارا للسجن باربعة الف ويصح مع ذلك ان يكون الاستواء في وقت الموسم
للضرورة والحاجة فيخرج الامر حينئذ عن الاعتبار بالعنوة او بالصلح قوله بالحاد قال ابو
عبيدة الباء زائدة ومنه قول الشاعر بواد يمان ينبت الشث صدره واسفله
بالمرخ والشبهان ومنه قول الاعشى
ضمنت برزق عيالنا ارماحنا وهذا كثير ويجوز ان يكون التقدير ومن يرد فيه
الناس بالحاد والالحاد الميل وهذا الالحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر الى الصغا
فلعظم حرمة المكان توعد الله على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب
بها الا في مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم وقال ابن عباس الالحاد في هذه
الاية الشرك وقال ايضا هو استحلال الحرم وحرمته وقال مجاهد هو العمل السيء فيه وقال
عبد الله بن عمر وقول لا والله وبلى والله بمكة من الالحاد وقال حبيب بن ابي ثابت الحكرة بمكة من
الالحاد بالظلم والعموم يأتي على هذا كله وقوله ومن يرد من الورود وحكاه الفرا
والاولى ابين واعم وامدح للبقعة ومن شرطية جازمة للفعل وذلك يمنع من عطفها على

في المنازل

للقدس قوله واذ بوأنا المعنى واذكر اذ بوأنا وبوأ هي تعدية باء بالتضعيف وباء بمعناه
رجع وكان المبوئ يرد المبوأ الى المكان واستعملت اللفظة بمعنى نزل ومنه قوله نتبوأ
من الجنة وقال الشاعر كم صاحب لي صالح بوأته بيدي لحدا ٥ واللام في
قوله لابرهيم قالت فرقة هي زائدة وقالت فرقة قوله بوأنا نزلنا فعل يتعدى باللام كنحو جعلنا
والاظهر ان يكون المفعول الاول لبوأنا محذوفا تقديره والناس او العالم ثم قال لابرهيم بمعنى
كانت هذه الكرامة له وعلى يديه بوأنا والبيت هو الكعبة وكان فيما روي قد جعل الله
متعبدا لادم عليه السلام ثم درس بالطوفان وغيره فلما جاءت مدة ابرهيم عليه السلام امره الله
ببنيانه فجاء الى موضعه وجعل يطلب اثرا فبعث الله ريحا فكشف له عن اساس ادم فرتب
قواعده عليه قوله ان لا تشرك هي مخاطبة لابرهيم في قول الجمهور وحكيت لنا بمعنى على ان قال
له لا تشرك بي وقرا عكرمة يشرك بالياء على نقل معنى القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد من نصب
الكاف على هذه القراءة بمعنى اذن لا يشرك ع يحتمل ان يكون ان في قراءة الجمهور مفسرة او يكون
مخففة من الثقيلة وفي الاية طعن على من اشرك من قطان البيت اي هذا كان الشرط على ابيكم فمن
بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم وقالت فرقة الخطاب من قوله ان لا تشرك لمحمد وامر بتطهير البيت
والاذان بالحج والجمهور على ان ذلك لابرهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس
والدماء وغير ذلك والقائمون هم المصلون وذكر تعالى من اركان الصلاة اعظمها وهي القيام والركوع
والسجود وقرا جمهور الناس واذن من الاذان وقرا الحسن وابن محيصن وآذن بمده والتخفيف
وتصحف هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن على فعل ماض واعرب على ذلك بان جعله عطفا
على بوأنا وروي ان ابرهيم عليه السلام لما امر بالاذان بالحج قال يا رب واذا اذنت فمن يسمعني
فقيل له ناد يا ابرهيم فعليك النداء وعلينا البلاغ فصعد على ابي قبيس وقيل على حجر المقام ونادى ايها
الناس ان الله امركم بحج هذا البيت فحجوا واختلفت الروايات في الفاظه واللازم ان يكون فيها
ذكر البيت والحج وروي انه يوم نادى اسمع كل شيء في ذلك الوقت من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك
فجرت التلبية على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير وقرا جمهور الناس بالحج بفتح الحاء وقرا ابن ابي اسحق في
كل القران بكسرها رجالا جمع راجل كتاجر وتجار وقرا عكرمة ايضا وابن ابي اسحق رجالا بضم الراء وتخفيف

قدم

وابن عباس وابو مجلز وجعفر بن محمد
رجالا بضم الراء وشد الجيم كالكاس وكان
وقرا عكرمة مم

الجيم وهو قليل في ابنية الجمع وروت عن مجاهد وقرأ مجاهد رُجالى على وزن فعالى فهو مثل
كسالى والضامر قالت فرقة اراد بها الناقة وذلك انه يقال ناقة ضامر ومنه قول
الاعشى ۝ عهدي بها في الحي قد درعت هيفاء مثل المهرة الضامر ۝ فجيء قوله يأتين مستقيما
على هذا التأويل وقالت فرقة الضامر هو ما اتصف بذلك من جمل وناقة وغير ذلك وهذا هو الاظهر
لكنه يتضمن معنى الجماعات او الرفاق فيحسن لذلك قوله يأتين وقرأ اصحاب ابن مسعود يأتون وهي
قراءة ابن ابي عبلة والضحاك وفي تقديم رجالا تفضيل للمشاة في الحج قال ابن عباس ما آسى على شيء فاتني
الا ان اكون حججت ماشيا فاني سمعت الله يقول يأتوك رجالا وقال ابن ابي نجيح حج ابرهيم واسمعيل ماشيين
واستدل بعض العلماء بسقوط ذكر البحر من هذه الاية على ان فرض الحج بالبحر ساقط قال مالك في الموازية
لا اسمع للبحر ذكرا وهذا لا انه يلزم من سقوط ذكره سقوط الفرض به وذلك ان مكة ليست في ضفة بحر
فيأتيها الناس في السفن ولا بد لمن ركب البحر ان يصير في اتيان مكة اما راجلا واما على ضامر فانما
ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض الحج بمجرد البحر ليس بالكثير ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو وخوف
او هول شديد او مرض يلحق شخصا ما فمالك والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب بهذه
الاعذار وانه ليس بسبيل يستطاع وذكر صاحب الاستظهار في هذا المعنى كلاما ظاهره ان الوجوب
لا يسقطه شيء من هذه الاعذار وهذا ضعيف ۝ والفج الطريق الواسعة والعميق معناه البعيد
قال الشاعر ۝ اذا الخيل جاءت من فجاج عميقة يمد بها في السير اشعث شاحب ۝
والمنافع في هذه الاية التجارة في قول اكثر المتأولين ابن عباس وغيره وقال ابو جعفر محمد بن علي اراد الاجر
ومنافع الاخرة وقال مجاهد بعموم الوجهين قوله ويذكروا اسم الله يحتمل ان يريد بالاسم هنا
المسمى بمعنى ويذكروا الله على تجوز في هذه العبارة الا ان يقصد ذكر القلوب ويحتمل ان يريد بالاسم
التسميات وذكر الله انما هو بذكر اسمائه ثم تذكر الغلب السلطان والصفات وهذا كله على ان يكون
الذكر بمعنى حمده وتقديسه شكرا على نعمته في الرزق ويؤيده قوله عليه السلام انها ايام اكل
وشرب وذكر الله وذهب قوم الى ان المراد ذكر اسم الله على الذبح والنحر وقالوا ان في ذكر الايام دليلا
على ان الذبح في الليل لا يجوز وهو مذهب مالك واصحاب الرأي وقال ابن عباس الايام المعلومات هي
ايام التشريق ويوم النحر وقال ابن سيرين بل ايام العشر فقط وقالت فرقة بل ايام التشريق ذكره العتبي

وقالت فرقة منها مالك واصحابه هي يوم النحر ويومان بعده واما ايام التشريق هي المعدودات
فيكون يوم النحر معلوما لا معدودا واما ايام التشريق هي المعدودات فيكون يوم النحر معلوما
لا معدودا والرابع معدود لا معلوم وما بينهما معدود معلوم ومحل هؤلاء على هذا التفصيل انهم
اخذوا ذكر اسم الله هنا على الذبح للاضاحي والهدي وغيره فاليوم الرابع لا يضحي فيه عند مالك والجماعة
واخذوا التعجل والتأخر بالنفر في الايام المعدودات فتأمل هذا تبين لك قصدهم ويظهر ان تكون
المعدودات والمعلومات بمعنى اي تلك الايام الفاضلة كلها ويبقى امر الذبح وامر الاستعجال
لا يتعلق بمعدود ولا معلوم ويكون فائدة قوله معلومات ومعدودات التحريض على هذه الايام وعلى
اغتنام فضلها اي ليست كغيرها فكأنه قال هي مخصوصات فلتغتنم وقوله فكلوا ندب واستحب
اهل العلم للرجل ان يأكل من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثر مع تجويزهم الصدقة بالكل واكل الكل
والبائس الذي قد مسه ضر الفاقة وبؤسها يقال بئس الرجل يبأس وقد يستعمل فيمن نزلت به
نازلة دهر وان لم يكن فقيرا ومنه قوله عليه السلام لكن البائس سعد بن خولة والمراد في هذه
اهل الحاجة قوله ثم ليقضوا تفثهم اختلف القراء في سكون اللامات من ليقضوا وليوفوا
وليطوفوا وتحريكها جميع ذلك بالكسر وفي تحريك ليقضوا وتسكين الاثنين وقد تقدم في قوله فليمدد
بسبب توجيه جميع ذلك والتفث ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر او حلقه وازالة شعث
ونحوه ومن اقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه اذ لا يقضي التفث
الا بعد ذلك وقرأ عاصم وحده في رواية ابي بكر وليوفوا بالتشديد ووفى واوفى لغتان مستعملتان
في كتاب الله واوفى اكثر والنذور ما معهم من هدي وغيره والطواف المذكور في هذه الاية هو طواف
الافاضة الذي هو من واجبات الحج قال الطبري لا خلاف بين المتأولين في ذلك قال مالك هو واجب
يرجع تاركه من وطنه الا ان يطوف طواف وداع فانه يجزيه منه ويحتمل بحسب الترتيب ان يكون
الاشارة الى طواف الوداع اذ المستحسن ان يكون ولا بد وقد اسند الطبري عن عمر بن ابي سلمة
قال سألت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هو طواف الوداع وقاله مالك
في الموطأ واختلف في وجه وصف البيت بالعتيق فقال مجاهد والحسن العتيق القديم يقال سيف
عتيق وقد عتق الشيء وهذا قول يعضده النظر اذ هو اول بيت وضع للناس الا ان ابن الزبير قال سمي

عتيقا لان الله اعتقه من الجبابرة بمنعه اياه منهم وروي في هذا حديث عن النبي عليه السلام ولا
نظر مع الحديث وقالت فرقة سمي عتيقا لان الله يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب وهذا يرده
التصريف وقيل سمي عتيقا لانه اعتق من غرق الطوفان قاله ابن جبير ويحتمل ان يكون العتيق صفة
مدح تقتضي جودة الشي كما قال عمر بن الخطاب حملت على فرس عتيق الحديث ونحوه قولهم طين حر
وكلام حر وقوله ذلك يحتمل ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل
ان يكون في موضع نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذا الاضمار واحسن الاشيا مضمرا احسنها
مظهرا ذكر هذه الاشارة البليغة قول زهير " " "
هذا وليس كمن يعيا بخطته وسط الندي اذا ما قايل نطقا ﻫ والحرمات المقصودة
هنا هي افعال الحج المشار اليها في قوله ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك تعظيم
المواضع قاله ابن زيد وغيره ووعد على تعظيمها بعد ذلك بخير بقا ثم لفظ الاية بعد ذلك يتناول كل
كل حرمة لله تعالى في جميع الشرع وقوله فهو خير ظاهره انها ليست للتفضيل وانما
هي عدة بخير ويحتمل ان يجعل خير للتفضيل على تجوز في هذا الموضع وقوله احلت اشارة
الى ما كانت العرب تفعله من تحريم اشيا برايها كالبحيرة والسايبة فاذهب الله ذلك
واحل لهم جميع الانعام الا ما يتلى عليهم في كتاب الله تعالى في غير موضع ثم امرهم باجتناب
الرجس من الاوثان والكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون من لبيان الجنس فيقع نهيه
عن رجس الاوثان فقط ويبقى سائر الارجاس نهيها في غير هذا الموضع والمعنى الثاني
ان يكون من لابتدا الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبداه الذي منه
يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ويظهر الى الذبايح التي كانت للاوثان
فيكون هذا مما يتلى عليهم ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الاية وافسده والمروي عن ابن عباس
وابن جريج ان الاية نهي عن عبادة الاوثان والزور عام في الكذب والكفر وذلك ان كل ما عدا
الحق فهو كذب وباطل وزور وقال ابن مسعود وايمن بن خريم ان رسول الله صلى الله عليه وعلى
اله وسلم قال عدلت شهادة الزور بالشرك وتلا هذه الاية والزور مشتق من الزور وهو
الميل ومنه في جانب فلان زور ويظهر ان الاشارة زورا قوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا
الى

ان الاشارة صح

قد

قد شرعوا في الانعام ﻫ وحنفا معناه مستقيمين او مائلين الى الحق بحسب ان لفظة الحنف
من الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل وحنفا نصب على الحال وقال قوم حنفا
معناه حجاجا وهذا تخصيص لا حجة معه ﻫ غير مشركين يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون صفة
لقوله حنفا ثم ضرب مثلا للمشرك بالله اظهره به في غاية السقوط وعدم الهول والاياس
من النجاة بخلاف ما ضرب للمومن في قوله فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك ومنه
قول علي اذا حدثتكم عن رسول الله فلان اخر من السما الى الارض اهون علي من ان اكذب عليه
الحديث وقرا نافع وحده فتخطفه بالتشديد على حذف تا التفعل وقرا الباقون بسكون الخا
وتخفيف الطا وقرا الحسن فيما روي عنه بكسر التا والخا وفتح الطا مشددة وقرا ايضا
هو وابو رجا بفتح التا وكسر الخا والطا وتشديدها وقرا الاعمش من السما تخطفه بغير واو
وعلى نحو قراة الجماعة وعطف المستقبل على الماضي لانه بتقدير فهو تخطفه الطير وقرا
ابو رجا الرياح ﻫ والسحيق البعيد ومنه قولهم اسحقه الله ومنه قوله عليه السلام فاقول
فسحقا فسحقا ومنه نخلة سحوق للبعيدة في السما قوله ذلك ومن يعظم شعاير الله التقدير
في هذا الموضع الامر ذلك والشعاير جمع شعيرة وهو كل شي لله فيه امر اشعر به واعلم وقالت
فرقة قصد بالشعاير في هذه الاية الهدي والانعام المشعرة ومعنى تعظيمها التسمين والاهتبال
بامرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة وعود الضمير في انها على التعظيمة والفعلة
التي يتضمنها الكلام وقري تقوى القلوب بالرفع على انها فاعله بالمصدر الذي هو تقوى ثم اختلف
المتاولون في قوله لكم فيها منافع الاية فقال مجاهد وقتادة اراد ان للناس في انعامهم منافع
الصوف واللبن وغير ذلك ما لم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها فهو الاجل المسمى وقال عطا بن ابي
رباح اراد لكم في الهدي المبعوث منافع من الركوب والاحتلاب لمن اضطر والاجل نحرها وتكون
ثم لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند هذين ثم محلها الى موضع النحر فذكر البيت لانه
اشرف الحرم وهو المقصود بالهدي وغيره وقال ابن زيد وابن عمر والحسن ومالك الشعاير في هذه
الاية مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة ومزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك وفي الاية
التي تاتي ان البدن من الشعاير والمنافع التجارة وطلب الرزق ويحتمل ان يريد كسب الاجر والمغفرة

احوي

ولكل اجتماع فقالت فرقة والاجل الرجوع الى مكة لطواف الافاضة وقوله ثم محلها ماخوذ من
احلال المحرم معناه ثم اخر هذا كله الى الطواف للافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التاويل
مراد بنفسه قاله مالك في الموطأ ثم اخبر تعالى انه جعل لكل امة من الامم المومنة منسكا اي موضع
نسك وعبادة هذا على ان المنسك ظرف كالمذبح ونحوه ويحتمل ان يريد بها المصدر كانه قال
عبادة ونحو هذا والناسك العابد وقال مجاهد سنة في هراقة دما الذباح وقرا معظم
القرا بفتح السين وهو من نسك ينسك بضم سين المستقبل وقرا حمزة والكسائي بكسرها وقال
ابو علي الفتح اولى لانه اما المصدر واما المكان وكلاهما مفتوح والكسر في هذا من الشاذ في اسم
المكان ان يكون مفعل من يفعل مثل مسجد من سجد يسجد ولا يسوغ فيه القياس ويشبه
ان الكسائي سمعه من العرب وقوله ليذكروا اسم معناه امرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وان
يكون الذبح له لانه رازقكم ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم الى اخبار الحاضرين بما معناه
فالاله واحد لجميعكم وكذلك الامر في الذبيحة انما ينبغي ان تخلص له ٥ واسلموا معناه لحقه
ولوجهه ولانعامه امنوا واسلموا ويحتمل ان يريد الاستسلام ثم امر نبيه ان يبشر بشارة
على الاطلاق وهو ابلغ من المفسرة لانها مرسلة مع نهاية التخيل ٥ والمخبتين المتواضعين
الخاشعين من المومنين والخبت ما انخفض من الارض والمخبت المتواضع الذي مشيه
متطامن كانه في حدور من الارض قال عمرو بن اوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم
ينتصروا وهذا مثال شريف من خلق المومن الهين اللين وقال مجاهد هم المومنون المطمئنون
بامر الله ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم
وكانهم بين يديه ووصفهم بالصبر واقامة الصلاة وادامتها وقرا الجمهور الصلاة بالخفض وقرا
ابن ابي اسحق والحسن نصبها على توهم النون وان حذفها للتخفيف وروبت عن ابي عمرو وقراها
الاعمش بالنون ونصب الصلاة وقرا الضحاك والمقيم الصلاة مفردا وروي انها نزلت في الخلفاء
الاربعة والبدن جمع بدنة وهي ما اشعر نافقا وبقرة قاله عطا وغيره وسميت بذلك لانها
تبدن اي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالابل وقالت فرقة البدن جمع بدن بفتح البا والدال
ثم اختلفوا فقال بعضهم البدن جمع بدنة كثمرة وثمر وقرا الجمهور باسكان الدال وقرا ابو جعفر

وشيبة والحسن وابن ابي اسحق بضمها فيحتمل ان يكون جمع بدنة كثمرة وثمر وعدد الله في هذه
الاية نعمة على الناس في هذه البدن وقد تقدم القول في الشعائر والخير هنا قيل فيه وفي
المنافع والصواب عمومه في خير الدنيا والاخرة وقوله عليها يريد عند نحرها وقرا جمهور
الناس صواف بفتح الفا المشددة جمع صافة اي مصطفة في قيامها وقرا الحسن ومجاهد
وزيد بن اسلم وابو موسى الاشعري وشقيق وسليمان التيمي والاعرج صوافي جمع صافية اي
خالصة لوجه الله لا تشركه فيها لشي كما كانت الجاهلية وقرا الحسن ايضا صواف بكسر الفا
مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت اليا تخفيفا على غير قياس وفيه نظر وقرا ابن مسعود
وابن عمر وابن عباس وابو جعفر محمد بن علي صوافن بالنون جمع صافنة وهي التي قد رفعت احدى
يديها بالعقل لئلا تضطرب والصافن من الخيل الرافع لفراهيته احدى يديه وقيل احدى
رجليه ومنه قوله الصافنات الجياد وقال عمرو بن كلثوم ٥ ٥
٥ تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا ٥ ووجبت معناه سقطت بعد
نحرها ومنه وجبت الشمس قال اوس بن حجر ٥ ٥
٥ الم تكسف الشمس والبدر والكواكب للجبل الواجب ٥ وقوله فكلوا ندب وكل العلما
يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من
هديهم وقال مجاهد وابرهيم والطبري هي اباحة ٥ والقانع السائل يقال قنع الرجل يقنع
قنوعا اذا سال بفتح النون في الماضي وقنع بكسر النون يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف
واستغنى ببلغته قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ ٥
٥ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع ٥ فيحرر وا القول من اهل العلم
قالوا القانع السائل ٥ والمعتر المتعرض من غير سوال قاله محمد بن كعب القرظي
ومجاهد وابرهيم والكلبي والحسن وعكست فرقة هذا القول حكى الطبري عن ابن عباس
انه قال القانع المستغني بما اعطيته والمعتر هو المتعرض وحكي عنه انه قال القانع
المتعفف والمعتر السائل وحكي عن مجاهد انه قال القانع المتعفف والمعتر السائل
وحكي عنه انه قال القانع الجار وان كان غنيا وقرا ابو رجا القنع فعلى هذا التاويل معنى

الاية اطعموا القانع والمعتر الذي لا يلح معترضا والمعترض ذهب ابن جني ابو الفتح الى انه القانع
بحذف الالف تخفيفا وهذا بعيد لان توجيهه على ما ذكرته انفا احسن واما الحال الى هذا اذ لم
يوجد سنده وقرا ابو رجا وعمرو بن عبيد المعتري والمعنى واحد وروي عن ابي رجا
المعتر بتخفيف الرا وقال الشاعر لعمرك ما المعتر يغشى بلادنا لنمنعه بالضايع المتهضم
وذهب ابن مسعود الى ان الهدي اثلاث وروى جعفر بن محمد عن ابيه اطعم القانع والمعتر
ثلثا والبايس الفقير ثلثا واهلي ثلثا وقال ابن المسيب ليس لصاحب الهدي منه الا الربع
وهذا كله على جهة الاستحسان لا على الفرض ثم قال كذلك اي كما امرناكم فيها بهذا كله سخرناها
لكم لعلكم تؤجرون حقا وبالاضافة الى نظرنا وقوله لن ينال الله عبارة مبالغة وتوكيد وهي بمعنى
لن يرتفع عنده وتحصل بسبب ثواب وقال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يضرجون البيت بالدما
فاراد المؤمنون فعل ذلك فنهى الله عنه ونزلت الاية والمعنى ولكن ينال الرفعة عنده والتحصيل
حسنه لديه التقوى اي الاخلاص وعمل الطاعات وقرا مالك بن دينار والاعرج وابن يعمر والزهري
تنال وتناله بالتا فيهما والتسمية والتكبير على الهدي والاضحية هو ان يقول الذابح بسم الله
والله اكبر وروي ان قوله وبشر المحسنين نزلت في الخلفا الاربعة فاما ظاهر اللفظ فيقتضي
العموم في كل محسن قوله ان الله يدافع روي ان هذه الاية نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا
بمكة واذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى ارض الحبشة اراد بعض مؤمني مكة ان يقتل من امكنه
من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت الى قوله كفور وعد فيها بالمدافعة ونهى افصح نهي
عن الخيانة والغدر وقرا نافع والحسن وابو جعفر يدافع ولولا دفاع وقرا ابن كثير وابو عمرو يدفع
الذي فيهما وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالفتح يدافع خاصة قال ابو علي اجريت دافع في
هذه القراءة مجرى دفع كعاقبت اللص وطارقت النعل فجا المصدر دفعا قال ابو الحسن الاخفش
اكثر الكلام ان الله يدفع ويقولون دافع الله عنك الا ان دفع عنك اكثر فحسن في الاية يدافع
لانه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فيجي معارضته ودفعه مدافعة عنهم ايدفاعا مصدر
دفع كحسب حسابا ثم اذن تعالى في قتال المؤمنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله اذن وصورة الاذن
مختلفة بحسب القراات فبعضها اقوى من بعض وقرا نافع وحفص عن عاصم اذن بضم الالف يقاتلون

بفتح التا اي في ان يقاتلوا هم فالاذن في هذه الاية ظاهره انه في مجازاة وقرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم
والحسن والزهري اذن بضم الالف يقاتلون بكسر التا فالاذن في هذه القراة في ابتدا القتال وقرا ابن
كثير وحمزة والكسائي اذن بفتح الالف يقاتلون بالكسر وقرا ابن عامر بفتح الالف والتا جميعا وفي
في مصحف ابن مسعود يقاتلون في سبيل الله بكسر التا وفي مصحف ابي بضم الهمزة للذين قاتلوا وكذا
قرا طلحة والاعمش الا انهما فتحا الهمزة قوله بانهم ظلموا معناه كان الاذن بسبب انهم ظلموا قال
ابن جريج وهذه الاية اول ما نقض الموادعة قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول الله الى
المدينة وقال ابو بكر الصديق لما سمعتها علمت انه سيكون قتال وقال مجاهد الاية في مؤمنين بمكة
ارادوا الهجرة الى المدينة فمنعوا وما بعد هذا في الاية يرد هذا القول لانهم ما منعوا الخروج لا اخرجوا
ثم وعد بالنصر في قوله وان الله الاية قوله الذين اخرجوا يريد كل من نبت بمكة واذاه اهلها حتى
اخرجوه باذايتهم طايفة للحبشة وطايفة للمدينة ونسب الاخراج للكفار لان الكلام في معرض تقرير
الذنب والزامه قوله الا ان يقولوا استثنا منقطع ليس من الاول هذا قول سيبويه ولا يجوز
عنده فيه البدل وجوزه ابو اسحق والاول اصوب ولولا دفاع الله الاية تقوية للامر بالقتال وذكر
انه بالمصلحة فيه وذكر انه متقدم في الامم وبه صلحت الشرايع واجتمعت المتعبدات فكانه قال اذن
في القتال فليقاتل المؤمنون ولولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل امة هذا اصوب تاويلات
الاية ثم ما قيل بعد من مثل الدفاع نوع للجهاد وقال مجاهد لولا دفاع الله ظلم قوم بشهادات
العدول ونحو هذا وقالت فرقة ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقال علي بن ابي طالب المعنى ولولا
دفع الله باصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم هذا كله فيه دفع قوم بقوم الا ان معنى القتال
اليق بما تقدم من الاية وقالت فرقة ولولا دفاع الله العذاب بدعا الفضلا والاخيار ونحوه وهذا
وما شاكله مفسد لمعنى الاية وذلك انها تقتضي ولا بد مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتامله
وقرا نافع وابن كثير لهدمت مخففة الباقون مشددة وهذه حسن من حيث هي صوامع كثيرة
ففي هدمها تكرار وكثرة كما قال في بروج مشيدة فتثقل اليا وقال قوم مشيد مخففها لكونه مفردا
ومنه وغلقت الابواب ومفتحة لهم الابواب والصومعة موضع العبادة وزنها فوعلة وهو بنا
مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى

ولعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في متعبدة المسلمين والبيع كنائس النصارى واحدتها
بيعة قاله الطبري وقيل هي كنائس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك والصلوات مشتركة
لكل ملة واستعير الهدم للصلوات من تعطيلها او اراد وموضع صلوات وذهبت فرقة الى انها جمع
صلوتا وانه اسم شائع لبيع اليهود وانها عبرانية عربت وليست بجمع صلاة وقال ابو العالية
الصلوات مساجد الصابئين واختلف القراء فيها فقرأ جمهور الناس بفتح الصاد واللام وبالتاء
منقوطتين وذلك اما بتقدير ومواضع صلوات واما على ان تعطيل الصلاة هدمها وقرأ جعفر بن
محمد بفتح الصاد وسكون اللام وقرأت فرقة بكسر الصاد وسكون اللام حكاها ابن جني وقرأ الجحدري
فيما روي عنه وصلوت بتاء منقوطتين من فوق وبضم الصاد واللام على وزن فعول قال وهي مساجد
النصارى وقرأ الجحدري والحجاج بن يوسف بضم الصاد واللام وبثا واحدة على انه جمع صليب وقرأ
الضحاك والكلبي بضم الصاد واللام وبثا بثلاث قالوا وهي مساجد اليهود وقرأت فرقة
صلوات بفتح الصاد وجزم اللام وقرأت فرقة بضم الصاد واللام حكاها ابن جني وقرأت فرقة
صلوثا بضم الصاد واللام وبالف بعد الثاء وحكى ابن جني ان خارج باب الموصل بيوتا يدفن فيها
النصارى يقال لها صلوث وقرأ عكرمة ومجاهد صلويثا بكسر الصاد وقصر الالف وذهب
خصيف الى ان هذه الاسما قصدها تقسيم متعبدات الامم فالصوامع للرهبان وقيل للصابئين
والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين والاظهر انها قصد بها المبالغة في ذكر
المتعبدات وهذه الاسما تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى في عرف لغة
العرب ومعاني هذه الاية هي في الامم الذين لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه الاية المجوس ولا اهل
الاشراك لان هولا ليس لهم ما يجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرايع قوله يذكر فيها
الضمير عايد على جميع ما تقدم ثم وعد الله بنصرة دينه وشرعه وفي ذلك حض على القتال والجد فيه
ثم الاية تعم كل من نصر حقا الى يوم القيمة قوله الذين ان مكناهم قالت فرقة هي في الخلفا الاربعة
ومعنى هذا التخصيص انهم مكنوا في الارض من جملة الذين يقاتلون المذكورين في صدر الاية والعموم
في هذا كله ابين وبه يتجه الامر في جميع الناس وانما الاية اخذ عهدا على كل من مكنه الله في الارض كل على
قدر ما امكن فاما الصلاة والزكوة فكل ماخوذ باقامتها واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكل بحسب

قوته والاية امكن ما هي في الملوك ولام لهم والمعروف والمنكر يعمان الايمان والكفر فما دونهما وقالت
فرقة وقالت فرقة نزلت في الصحابة خاصة من الناس وهذا على ان الذين بدل من قوله يقاتلون او
على ان الذين تابع لمن في قوله من ينصره فقوله ولله عاقبة الامور توعد للمخالف عن هذه الاوامر التي تقتضيها
الاية لمن مكن ۝ وان يكذبوك يعني قريشا اية تسلية للنبي ووعيد لقريش وذلك انه مثلهم بالامم
المكذبة المعذبة واسند فعلا فيه علامة التانيث الى قوم من حيث اراد الامة والقبيلة ليطرد القول
في عاد وثمود وقوم نوح هم اول امة كذبت نبيها ثم اسند التكذيب في موسى الى من لم يسم من حيث لم
يكذبه قومه بل كذبه القبط وقومه به مؤمنون ۝ وامليت معناه امهلت وكان الاملاء ان يمهل من تتوى
فيه المعاقبة وان في حين انها الى عالم بفعله والنكير مصدر كالعذير بمعنى الانكار والاعذار وهو في
هذه المصادر بنا مبالغة فالمعنى فكما فعلت بهذه الامم فكذا افعل بقومك قوله فكاين من هي كاف
التشبيه دخلت على اي قاله سيبويه وقرأ ابو عمرو فيما تفسرها في الاعراب وهي لفظة اخبار وقد تجي
استفهاما ما حكى الفرا كاين مالك اي كم مالك وقرأت فرقة اهلكناها وقرأت فرقة اهلكتها بالافراد
والمراد اهل القرية ۝ وظالمة معناه بالكفر ۝ وخاوية معناه خالية ومنه خوى النجم اذا خلا من النو
ساقطة على عروشها وهي السقوف المعنى انها سقطت ثم وقعت الحيطان عليها فهي على العروش ۝
قوله وبير معطلة وقصر مشيد قيل هو معطوف على العروش وقيل على القرية وهو اصوب وقرأت
فرقة بهمز البير والجمهور يسهلونها وقرأت فرقة معطلة بفتح الميم وسكون العين وتخفيف الطا مع
فتحها والجمهور على معطلة والمشيد المبني بالشيد وهو الجص وقيل المشيد المعلى بالاجر ونحوه
من الشيد قول عدي بن زيد ۝ شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور ۝
اي بناه بالشيد والاظهر في البيت انه اراد علاه بالمرمر وقد قالت فرقة في هذه الاية ان معناه
معلا محصنا وجملة معنى الاية يقتضي انه كان كذلك قبل خرابه ثم تحضهم على الغفلة وترك الاعتبار
بقوله افلم يسيروا في الارض اي في البلاد فينظروا في احوال الامم المكذبة المعذبة وهذه الاية
تقتضي ان العقل في القلب وذلك هو الحق ولا ينكر ان الدماغ اتصاله بالقلب يوجب فساد العقل
متى اختل الدماغ ۝ قوله فيكون نصب بالفا في جواب الاستفهام بمعنى صرف الفعل من الجزم الى النصب
وقوله فانها لا تعمى الابصار لفظ مبالغة كانه قال ليس العمى عمى العين وانما العمى كل العمى عمى القلب

ومعلوم ان الابصار تعمى ولكن المقصود ما ذكرناه وهذا كقوله عليه السلام ليس الشديد
بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير في انها للقصة ونحوها من التقدير قوله
التي في الصدور مبالغة كقوله يقولون بافواههم وكما تقول نظرت اليه بعيني ونحو هذا
والضمير في ويستعجلونك لقريش ولن يخلف الله وعده وعيد واخبار بان كل شي الى وقت
محدود والوعد هنا مقيد بالعذاب فلذلك ورد في مكروه وان يوما عند ربك قالت فرقة
معناه يوما من ايام عذاب الله كالف سنة من هذه لطول العذاب وبؤسه فكان المعنى فما
اجهل من يستعجل هذا وقالت فرقة معناه ان يوما عند الله لاحاطته فيه وعلمه وانفاذه
قدرته كالف سنة عندكم وهذا التاويل يقتضي ان عشرة الاف سنة والى ما لا نهاية له من العدد في حكم
الالف ولكنهم قالوا ذكر الالف لانه منتهى العدد دون تكرار فاقتصر عليه وهذا التاويل لا يناسب
الاية وقالت فرقة ان المعنى ان اليوم عند الله الف سنة من هذا العدد من ذلك قول النبي
عليه السلام اني لارجوا ان يوخروا امتي نصف يوم وقوله يدخل فقرا المسلمين الجنة قبل
الاغنيا بنصف يوم وذلك خمس مائة سنة ومنه قول ابن عباس مقدار الحساب يوم القيمة
الف سنة فكان المعنى وان طال الامهال فانه في بعض يوم من ايام الله وكرر قوله وكاين
لانه جلب معنى اخر ذكر اولا القرى المهلكة دون املا بل بعقب التكذيب ثم ثنى بالمهلة لئلا
يفرح هؤلا بتاخر العذاب عنهم وقرات فرقة تعدون بالتا وفرقة باليا على الغائب قوله
قل يايها الناس المعنى قل يا محمد انما انا نذير عذاب الله ليس الي ان اعجل عذابا ولا ان اوخره عن
للمومنين ثم
وقته ثم قسم حالة المومنين والكافرين بان ستر ذنوبهم ورزقه اياهم في الجنة والكريم نفي المذام
كما تقول ثوب كريم وبان للكافرين المعاجزين عذاب الجحيم وهذا كله معا امران بقوله اي هذا
معنى رسالتي لا ما تتمنون انتم وقوله سعوا معناه تحيلوا وكادوا من السعاية والايات
القران اي كادوه بالتكذيب وسائر اقوالهم وقرات فرقة معاجزين ومعناه مغالبين كانهم
طلبوا عجز صاحب الايات وهي تقتضي تعجيزهم فصارت مفاعلة وعبر بعض الناس في تفسيرها
ظانين انهم يعجزون الله وهذا تفسير خارج عن اللفظة وقرات فرقة بغير الف وبشد الجيم
ومعناه معجزين الناس عن الايمان اي جاعلوهم بالتثبيط عجزة عن الايمان وقال ابو علي معناه

ناسبين اصحاب النبي الى العجز كما تقول فسقت فلانا وزنيته اي نسبته الى ذلك وما ارسلنا
الاية تسلية للنبي عليه السلام عن النازلة التي القى الشيطان فيها في امنيته التي تمنى بمعنى
اراد واحب وقيل المراد ان الشيطان القى الفاظه بما تمناه رسول الله من مقاربة قومه
بسببه
وكونهم متبعين له فلما تمنى رسول الله من ذلك ما لم يقضه الله وجد الشيطان السبيل فحين قرا
رسول الله سورة النجم في مسجد وحضر المسلمون والمشركون بلغ الى قوله افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال
الكفار هذا محمد يذكر الهتنا بما نريد وفرحوا بذلك فلما انتهى الى السجدة سجد الناس اجمعون
الا امية بن خلف فانه اخذ قبضة من تراب ورفعها الى جبهته وقال يكفيني هذا كذا قال
البخاري وقال بعض الناس هو ابو احيحة سعيد بن العاص ثم اتصل بمهاجرة الحبشة ان اهل
مكة اتبعوا محمدا ففرحوا لذلك واقبل بعضهم فوجد القية الشيطان قد نسخت واهل مكة
قد ارتبكوا وافتتنوا وقالت تمنى الشيطان معناه تلا والامنية التلاوة ومنه قول
الشاعر ۝ تمنى كتاب الله اول ليله واخره لاقى حمام المقادر ۝ وقال
الاخر ۝ تمنى داود الزبور على رسل ۝ وتاولوا قوله الا اماني الا تلاوة وقالت هذه
الفرقة في معنى سبب القا الشيطان في تلاوة رسول الله ما تقدم ايضاح وهذا الحديث الذي
فيه الغرانيق وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا مصنف مشهور
فيما علمت بل يقتضي مذهب اهل الحديث ان الشيطان القى ولا يعينون هذا السبب ولا
غيره ولا خلاف ان القا الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة ثم اختلف
الناس في صورة هذا الالقا فالذي في التفاسير وهو مشهور القول ان النبي عليه السلام
تكلم بتلك الالفاظ على لسانه ورووا انه نزل اليه جبريل بعد ذلك فدارسه سورة النجم فلما
قالها رسول الله قال له جبريل لم اتك بهذا فقال عليه السلام افتريت على الله وقلت
ما لم يقل لي وجعل يتفجع ويغتم فنزلت هذه الاية وحدثني ابي انه لقي بالمشرق من شيوخ
العلما والمتكلمين من قال هذا لا يجوز على النبي عليه السلام وهو المعصوم في التبليغ وانما الامر
ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قوله الثالثة الاخرى وقرب صوته من صوت النبي حتى

البشر الا من على المشركين وقالوا محمد قواها وعق على هذا لنا دليل بمعنى بلا ولا بد ونحو هذا مروى عن امام الحرمين والوسول اخص من النبي وكثير من الانبيا لم يرسلوا وكل رسول نبي والنسخ في هذه الايه الاذهاب كما تقول نسخت الشمس الظل وليس برفع ما استقر من الحكم وطرق الطرق واسع الاسناد في ان لقا الشيطان كان على لسان النبي واختلفت الروايات في الالفاظ ففي بعضها تلك الغرانيقه وفي بعضها تلك الغرانيق وفي بعضها شفاعتهن وفي بعضها منها الشفاعه ترتجى والغرانيق السادة العظام الاقدار ومنه قول الشاعر

اهلا بصابره الغرانيق ۞ قوله ليجعل اللام متعلقه بقوله فينسخ والفتنه الامتحان والاختبار والذين في قلوبهم هم عامة الكفار والقاسيه قلوبهم خواص منهم عتاه كابي جهل والنضر وعقبه والشقاق البعد عن الخير والضلال الكون في شق غير شق الصلاح وبعيد معناه انه انتهى بهم وتعمق وجعلهم منه عن مرجوه والذين اوتوا العلم هم الصحابه والضمير في انه عايد على القران وتخبت معناه تطامن وتخضع وهو ماخوذ من الخبت وهو المطمئن من الارض وقرات فرقه لهاد بغير يا بعد الدال وقرات فرقه لهادي بيا وقرات فرقه بالتنوين وهذه الايه معادله لقوله قبل وان الظالمين لفي شقاق بعيد قوله ولا يزال الذين كفروا في مريه اي شك والضمير في قوله منه قالت فرقه هو عايد على القران وقالت فرقه على محمد وقالت فرقه على ما القى الشيطان وقال سعيد بن جبير ايضا على سجود النبي في سورة النجم والساعه قالت فرقه هي يوم القيمه واليوم العقيم يوم بدر وقالت فرقه الساعه ساعة موتهم او قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه واليوم العقيم يوم القيمه فقد افسدوا رتبه او وسمي يوم القيمه او يوم الاستيصال عقيما لانه لا ليله بعده ولا يوم والايام كانها تاتي لمجي واحد فكان اخر يوم قد عقم وهذه استعاره وجمله هذه الايه توعد قوله الملك يوميذ لله المساق منه انه في يوم القيمه من حيث لا ملك فيه لاحد من ملوك الدنيا ويجوز ان يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ قضا الله وحده وبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن اراد تعذيبه فاما من تاوله في يوم القيمه فاتسق له قوله فالذين امنوا الى قوله مهين ومن تاوله في يوم بدر ونحوه جعل قوله فالذين امنوا ابتدا خبر عن حالهم في ذلك اليوم العظيم من الايمان قوله والذين هاجروا في سبيل الله الاية ابدا معنى اخر وذلك

انه لما مات عثمن بن مظعون وابو سلمه بن عبد الاسد بالمدينه قال بعض الناس من قتل من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الايه مسويه بينهم في ان الله يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بمعارض بنسا ويهم في الفضل في الشريعه ان المقتول افضل وقد قال بعض الناس ان المقتول والميت في سبيل الله شهيدان ولكن للمقتول مزيه ما اصابه في ذات الله والرزق الحسن يحتمل ان يريد به رزق الشهدا عند ربهم في البرزخ ويحتمل ان يريد بعد يوم القيمه في الجنه وقرات فرقه مدخلا بضم الميم من ادخل فهو محمول على الفعل المذكور وقرات فرقه بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون مدخلا واسند الطبري عن سلامان بن عمر وقال كان فضاله بن عبيد اميرا على الارباع فخرج بجنازتي رجلين احدهما قتيل والاخر متوفى فراى ميل الناس مع جنازة القتيل فقال مالي اراكم ايها الناس تميلون مع جنازة القتيل وتفضلونه والذي نفسي بيده ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اقرءوا قول الله والذين هاجروا الاية وقوله سخر لكم ما في الارض يريد من الحيوان والمعادن وساير المرافق وقرا الجمهور والفلك بالنصب وله يحتمل وجهين من الاعراب احدهما ان يكون عطفا على ما تقديره وسخر الفلك والاخر ان يكون عطفا على المكتوبه تقديره وان الفلك وقوله تجري على الاعراب الاول في موضع الحال وعلى الاعراب الثاني في موضع الخبر وقرات فرقه والفلك تجري بالرفع فتجري خبر على هذه القراة وقوله الا باذنه يريد يوم القيمه كان طي السما ونقض هذه الهيئه كوقوعها ويحتمل ان يريد بذلك الوعيد لهم في انه ان اذن في سقوط كسفها عليكم سقطت ويحتمل ان يعود قوله الا باذنه على الامساك لان الكلام يقتضي بغير عمد ونحوه فكانه اراد الا باذنه فيه نمسكها وباقي الايه بين قوله وهو الذي احياكم الاحيا والاماته في هذه الايه ثلاث مراتب وسقط منها الموت الاول الذي نص عليه في غيرها الا انه بالمعنى في هذه الايه والمنسك المصدر فهو بمعنى العباده والشرعه وهو ايضا موضع النسك وقرات فرقه بفتح السين وفرقه بكسرها وقد تقدم القول فيه وفي قوله هم ناسكوه ما يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لعاله هم ناسكون فيه وروت فرقه ان هذه الايه نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذباح وقولهم للمومنين تاكلون ما ذبحتم وهو من قتلكم ولا تاكلون ما قتل الله من الميته فنزلت الايه بسبب هذه المنازعه قوله فلا ينازعنك

في الامر هذه التنبيه من الفعل والنهي يحتمل معنى التخويف ويحتمل معنى احتقار الفاعل والله
اكبر من ان تفاعل وهذا هو المعنى في هذه الاية وقال ابو اسحق المعنى فلا تنازعهم فينا زعوك
وهذا التقدير الذي قدرنا انما يحسن مع معنى التخويف وانما يحسن ان يتقدر هنا المعنى فلا
يقالهم بما زعنك فالنهي انما يراد به معنى من غير اللفظ كما يراد في قولهم لا اريتك هاهنا
اي لا تكن هاهنا وقرات فرقة فلا ينزعنك في الامر معناه على نا وقيل ان المنسكا الشرعة كانهار عكد
في الدين والحاب ونحوه وعلى ان المنسك موضع الذبح على ما روت الفرقة المذكورة من ان الاية
نزلت في الذبايح فيكون الامر الذبح والهدى به في هذه الاية الارشاد قوله وان جادلوك الاية موادعة
محضة نسختها اية السيف وباقي الاية وعيد قوله الم تعلم لما اخبر في الاية قبلها بانه يحكم
بين الناس يوم القيمة فيما اختلفوا فيه اتبع ذلك الخبر بان عنده علم كل شي ليقع الحكم في معلوم
فيقع العبارة على طريق التنبيه على علم الله واحاطته وان ذلك كله في كتاب وهو اللوح المحفوظ
قوله ان ذلك على الله يسير يحتمل ان تكون الاشارة الى كون ذلك في كتاب وكونه معلوما ويحتمل
ان يكون الاشارة الى الحكم في الاختلاف ثم ذكر تعالى على جهة التوبيخ فعل الكفرة في انهم يعبدون
من الاصنام من دون الله ما لم ينزل الله فيه حجة ولا برهانا والسلطان الحجة حيث في القران قوله
وما للظالمين من نصير توعد والنصير في عليهم عايد على كفار قريش والمعنى انهم كانوا اذا سمعوا
القران من النبي او من احد من اصحابه وسمعوا ما فيه من رفض الهتهم والدعا الى التوحيد عرفت
المساة في وجوههم والمنكر من معتقدهم وعداوتهم وانهم يديرون ويبرعون الى السطوة بالتالي
والمعنى انهم يكادون يبسطون دهرهم اجمع واما في الشاذ من الاوقات فقد سطوا بالتالي كما
فعل بعبد الله بن مسعود وبالنبي عليه السلام حين اغاثه وحل الامر ابي بكر الصديق وبعمر حين
اجارة العاص بن وايل وبابي ذر وغير ذلك والسطو ايقاع بمباطشة او امر بها ثم امر تعالى
نبيه ان يقول لهم على جهة الوعيد والتقريع انبيكم اي اخبركم بشر من ذلكم الاشارة بذلكم الى
السطو ثم ابتدأ ينبي كأن قايلا قال له وما هو قال النار اي نار جهنم قوله وعدها الله
الذين كفروا ويحتمل ان يكون اراد ان الله وعدهم بالنار فيكون الوعد في الشر وجود ذلك لما نص
عليه ولم يجي مطلقا ويحتمل ان يكون اراد ان الله وعد النار بان يطعمها الكفار فيكون الوعيد على

قوله

وعج

ما يراد الذي يتنضبه نتزعها الى الكفار وقولها هل من مزيد ونحوه ان ذلك الى مسارها
والمصير يتعلق بما اذا تحول من حال الى حال ومقتضى كلام الطبري في هذه الاية ان الاشارة
بذلكم هي الى احادث محمد التالين ثم قال الا اخبركم باكره اليكم من هذا وانتم الفيو وعدتم بالنار وسه
الطبري نحو هذا القول الى قايل لم يسمه وهذا كله ضعيف قوله يا ايها الناس قيل هو خطاب
يعم العالم وقيل هو خطاب للمومنين حينئذ المعنى اراد الله ان يبين عندهم خطأ الكافرين ولا
شك ان المخاطب هم ولكنه خطاب يعم جميع الناس متى نظر احد في امر عبادة الاوثان توجه
له الخطاب واختلف المتاولون في فاعل ضرب من هو فقالت فرقة المعنى ضرب اهل الكفر مثلا
لله واصنامهم واوثانهم فاستمعوا انتم ايها الناس لامر هذه الالهة وقالت فرقة المعنى ضرب
الله مثلا لهذه الاصنام وهو كذا وكذا فالمثال والمثل في التاويل الاول هو للاصنام والذي جعل
له المثال الله وفي الثاني هو في الذباب وامره والذي جعل له هي الاصنام ومعنى ضرب اثبت
والزم وهذا كقوله ضربت عليهم الذلة وكقوله ضربت الجزية وضرب البعث ويحتمل ان يكون
ضرب المثل من الضرب الذي هو المثل ومن قولك هذا ضرب هذا فكانه قال مثل مثل وقرات
فرقة يدعون بالياء من تحت والضمير للكفار وفرقة يدعون بضم الياء وفتح العين على ما لم يسم
فاعله والمعنى الاصنام وبدأ تعالى بنفي الخلق والاختراع عنهم من حيث هي صفة ثابتة له
مختصة به فكانه قال ليس لهم صفتي ثم ثنى بالامر الذي يبلغ بهم غاية التعجيز وذلك تعالى
امر سلب الذباب لانه كان كثيرا محسوسا عند العرب وذلك انهم يضمخون اوثانهم بانواع
الطيب فكان الذباب يذهب بذلك وكانوا امتالمين من هذه الجهة فجعلت مثلا والذباب
جمعه اذبة في القليل وذبان في الكثير كغراب واغربة وغربان ولا يقال ذبابات الا في
الذيون لا في الحيوان واختلف المتاولون في قوله ضعف الطالب والمطلوب فقالت فرقة
اراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب الذباب اي انهم ينبغي ان يكونوا طالبين لما يسلب من طيبهم
على معهود الانفة في الحيوان وقالت فرقة معناه ضعف الكفار في طلبهم الصواب والفضيلة
من جهة الاصنام وضعف الاصنام في اعطاء ذلك وانالته ويحتمل ان يريد ضعف الطالب وهو
الذباب في استلابه ما على الاصنام في ان لا منعة لهم وعلى كل قول فدل ضعف الذباب الذي هو

وضعف الاصنام

تشوش جمع عليه وضعف الاصنام عن هذا المجتمع على ضعفه على ان الاصنام في الحط
رتبته واخس منزله قوله ما قدروا الله حق قدره خطاب الناس المذكورين والضمير في قدروا
للكفار والمعنى ما وقروا واحقه من التعظيم والتوحيد ثم اخبر بقوة الله وعزته وهما صفتان
مناقضتان لعجز الاصنام قوله الله يصطفي روي ان هذه الايه الى قوله الامور نزلت بسبب
قول الوليد بن المغيرة أنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر تعالى انه يصطفي اي يختار من الملايكه
رسلا الى الانبيا وغيرهم حسب ما ورد في الاحاديث ومن الناس وهم الانبيا المبعوثون لاصلاح
الخلق الذين اجتمعت لهم النبوة والرسالة وقوله ما بين ايديهم وما خلفهم عبارة عن
احاطة علمه بهم وحقيقتها ما قبلهم من الحوادث وما بعدهم والامور جمع امر ليس بمراد
به المصدر ثم امر تعالى المومنين بعبادته وخص الركوع والسجود بالذكر تشريفا للصلاه
واختلف الناس هل في هذه الايه سجدة ومذهب مالك لا سجدة هنا قوله وافعلوا
الخير ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع وقوله لعلكم ترجي في
حق المومنين كقوله لعله يتذكر او يخشى والفلاح في هذه الايه نيل البغيه وبلوغ الامل قوله
وجاهدوا في الله حق جهاده قال فرقه هذه ايه فيها امر الله فيها بالجهاد في سبيله وهو قتال
الكفار وقالت فرقه بل هي اعم من هذا وهو جهاد النفس والكافرين والظلمه وغيرهم امر الله
عباده بان يفعلوا ذلك في ذات الله حق فعله والعموم حسن وبين ان عرف اللفظة تقتضي
الجهاد في سبيل الله وقال هبة الله وغيره ان قوله حق جهاده وحق تقاته منسوخ بالتخفيف
الاستطاعة ومعناها في هذه الامور هو المراد من اول الامر فلم يستقر تكليف بلوغ الغايه
شرعا ثابتا فيقال انه نسخ بالتخفيف واطلاق النسخ في هذا عن محذق واجتباكم معناه
تخيركم قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج معناه من تضييق يريد في شرعة الملة وذلك
انها حنيفيه سمحة ليست كشدائد بني اسرايل وغيرهم بل فيها التوبه والكفارات والرخص ونحو
هذا مما يكثر عدده والحرجة الشجر الملتف المتضايق ودفع الحرج بجمهور هذه الامه ولمن استقام
على منهاج الشرع واما السلابه والسراق واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه على
انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم من الزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع

صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج قوله ملة ابيكم نصب بفعل مضمر تقديره بل جعلها
او نحوه من افعال الاغرا وقال الفرا هو نصب على تقدير حذف الكاف كانه قال كملة وقيل
هو كما ينصب المصدر وقوله هو سماكم قال ابن زيد الضمير لابرهيم والاشارة الى قوله
ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال ابن عباس وقتادة ومجاهد الضمير لله ومن قبل معناه
في الكتب القديمه وفي هذا اي في القران وهذه اللفظة تضعف قول من قال الضمير
لابرهيم ولا يتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستانف وقوله ليكون الرسول شهيدا
عليكم اي بالتبليغ وتكونوا شهدا على الناس اي بتبليغ رسلهم اليهم على ما اخبركم نبيكم واسند
الطبري الى قتادة انه قال اعطيت هذه الامه ما لم يعطه الا نبي كان يقال للنبي انت شهيد
على امتك وقيل لهذه وتكونوا شهدا على الناس وكان يقال للنبي ليس عليك حرج وقيل لهذه
الامه وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي سل تعط وقيل لهذه ادعوني استجب لكم
ثم امر تعالى بالصلاة المفروضه اي تقام ويداوم عليها بجميع حدودها وبالزكوه ان تودي
كما انعم عليكم فافعلوا كذا ثم امر بالاعتصام بالله اي بالتعلق به والخلوص له وطلب النجاة منه
ورفض التوكل على سواه والمولى في هذه الايه معناه الذي يليكم نصره وحفظه وباقيها بين

تفسير سورة المومنين قوله قد افلح المومنون اخبر عن افلاحهم وانهم
نالوا البغيه واحرزوا البقا الدايم وروي عن كعب الاحبار ان الله لما خلق جنة عدن قال لها
تكلمي فقالت قد افلح المومنون وروي عن مجاهد ان الله لما خلق الجنة واتقن حسنها قال قد افلح
المومنون وقرا طلحة بن مصرف أفلح بضم الالف يريد افلحوا وهي قراة مردودة وروي عنه قد افلح
بضم الهمزة وكسر اللام ثم وصف هولا المفلحين فقال الذين هم في صلاتهم خاشعون والخشوع
التطامن وسكون الاعضا والوقار وهذا انما يظهر في الاعضا ممن في قلبه خوف واستكانه
وروي عن بعض العلما انه راي رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع هذا خشعت
جوارحه وروي ان سبب هذه الايه ان المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يمنة ويسرة
فنزلت وامروا ان يكون بصر المصلي حذا قبلته او بين يديه وفي الحرم الى الكعبه وروي عن ابن
سيرين وغيره ان النبي عليه السلام كان يلتفت في صلاته الى السماء فنزلت الايه في ذلك واللغو

سقط القول وهو يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع اداب الشرع وكذلك كان النبي عليه السلام
واصحابه وكان الاية فيها موادعة والذين هم للزكوة فاعلون ذهب الطبري وغيره الى انها
الزكوة المفروضة في الاموال وهذا بين ويحتمل اللفظ ان يريد بها الفضايل فانه اراد
الازكى من كل فعل كما قال خيرا منه زكوة قولــــه والذين هم لفروجهم حافظون صفة
العفة الا على ازواجهم الاية تقتضي تحريم الزنا والاستمنا ومواقعة البهايم وكل ذلك
في قوله وراء ذلك تزيد وراء هذا الحد الذي حد ومعنى ما ملكت ايمانهم من النسا ولما كان حافظون
بمعنى يحترزون حسن استعمال على والعادي الظالم والذين هم لاماناتهم قرا الجمهور بالجمع
وابن كثير بالافراد والامانة والعهد تجمع ما يحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا
وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك حفظه والقيام به والامانة
اعم من العهد وكل عهد هو امانة فيما تقدم فيه قول او فعل وقد تعين الامانة فيما لم
يعهد فيه تقدم هذا اذا اخذناهما بنسبتهما الى العبد فان اخذناهما من حيث هما
عهد الله الى عباده وامانته التي حملهم كان في رتبة واحدة وقرا الجمهور صلواتهم وقرا حمزة
والكسائي بالافراد وهو اسم جنس فهو في معنى الجمع والمحافظة على الصلاة وقت ادائها
والمبادرة الى وقت الفضل فيها ه والوارثون يريد الجنة وروي في حديث ابي هريرة
عن النبي عليه السلام ان الله جعل لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فاما المومنون
فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار في مساكنهم في النار ويحتمل ان
يسمي تعالى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصلوها دون غيرهم فهو اسم مستعار
على الوجهين ه والفردوس مدينة الجنة وهي جنة اعناب واللفظة فيما قال مجاهد
رومية عربت وقيل هي فارسية عربت والعرب تقول للكروم فراديس وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لام حارثة انها جنان كثيرة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى قولــه
ولقد خلقنا الانسان هذا ابتدا كلام والواو عاطفة جملة الكلام على جملة وان تباينت في
المعاني واختلف المفسرون في قوله الانسان فقال قتادة وغيره اراد ادم لانه استل
من الطين وجي الضمير في قوله ثم جعلناه عايدا على ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرة الامر وان

المعنى لا يصلح الا له نظيره حتى توارت بالحجاب وغيره وقال ابن عباس وغيره المراد بقوله
الانسان ابن ادم وسلالة من طين صفوة الما وهذا على انه اسم الجنس ويترتب فيه انه
سلالة من حيث كان الكل عن ادم او عن الابوين المتغذيين بما يكون عن الطين وذلك
السبع الذي جعله الله رزق ابن ادم ويجي قول ابن عباس فيها ان شا الله وعلى هذا يجي قول ابن
عباس ان السلالة هي صفوة الما يعني المني وقال مجاهد سلالة من طين مني ادم وهذا
نسل ادم من طين وذريته من سلالة وما يكون عن الشي فهو سلالته وتختلف وجوه ذلك
الكون فمنه قولهم للخمر سلالة لانها سلالة العنب ومنه قول الشاعر ه
ه اذا نتجت منها المهارى تشابهت على العود الا بالانوف سلالة ه ومن اللفظة
قول هند بنت النعمان بن بشير ه سليلة افراس تجللها بغل ه وقول
الاخر ه فجات به عضب الاديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين ه وهذه
الفرقة تترتب مع قولنا عود الضماير في جعلناه وانشاه ه والنطفة في اللغة تقع
على قليل الما وكثيره وهي هنا المني ابن ادم ه والقرار المكين من المراة هو موضع الولد
والمكين المتمكن في الرحم والعلقة الدم الغليظ والمضغة بضعة اللحم قدر ما يمضغ وقرا الجمهور
عظاما في الموضعين وقرا ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر عظما على الافراد فيهما وقرا السلمي
وقتادة والاعرج والاعمش بافراد الاول وجمع الثاني وقرا مجاهد وابو رجا وابرهيم بن ابي بكر
بعكس ذلك وقرا ابن مسعود ثم جعلنا المضغة عظما وعصبا فكسوناه لحما واختلف الناس في
الخلق الاخر فقال ابن عباس والشعبي وابو العالية والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه
وقال ابن عباس ايضا خروجه الى الدنيا وقال قتادة عن فرقة نبات شعره وقال مجاهد كمال
شبابه وقال ابن عباس تصرفه في امور الدنيا وهذا التخصيص كله لا وجه له وانما هو عام في هذا
وفي غيره من وجوه النطق والادراك وحسب المحاولة تقويها اخر واول رتبة من كونه اخر
هي نفخ الروح فيه والطرف الاخير من كونه اخر تحصيله المعقولات الى ان يموت وتبارك هو
مطاوع بارك فكانها بمنزلة تعالى وتقدس من معنى البركة وهذه الاية يروى ان عمر بن الخطاب
لما سمع صدرها خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله هكذا انزلت ويروى

ان قايل ذلك معاذ بن جبل وروي انه عبد الله بن ابي سرح وبهذا السبب ارتد وقال اتي بمثل
ما ياتي محمد به وفيه نزلت ومن قال سانزل مثل ما انزل الله وقوله احسن الخالقين معناه الصانعين
يقال لمن صنع شيا خلقه ومنه قول الشاعر ٥
٥ ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ٥ وذهب بعض الناس الى نفي هذه
اللفظة عن الناس فقال ابن جريج انما قال الخالقين لانه تعالى قد اذن لعيسى ان يخلق واضطرب
بعضهم في ذلك ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع وانما هي منفية بمعنى الاختراع والايجاد
من العدم ومن هذه الاية قال ابن عباس لابن عمر حين سال مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا
الله اعلم فقال ما تقول يا ابن عباس فقال يا امير المومنين ان الله خلق السموات سبعا والارضين
سبعا وخلق ابن ادم من سبع وجعل رزقه في سبع فاراها في ليلة سبع وعشرين فقال عمر اعجزتم
ان تاتوا بمثل ما اتى به هذا الغلام الذي لم تجتمع شوون راسه وهذا الحديث بطوله في مسند
ابن ابي شيبة فاراد ابن عباس بقوله خلق ابن ادم من سبع هذه الاية وبقوله جعل رزقه في سبع
قوله فانبتنا فيها حبا وعنبا الاية السبع منها لابن ادم والاب للانعام والقضب ياكله ابن ادم
ويسمن منه النسا هذا قول وقيل البقول لانها تقضب فهي رزق ابن ادم وقيل القضب والاب
للانعام والست الباقية لابن ادم والسابعة هي الانعام اذ هي من اعظم رزق ابن ادم قوله
ثم انكم بعد ذلك الاشارة الى ما ذكر من هذه الاحوال وقرا ابن ابي عبلة لمايتون بالالف ومعنى تبعثون
من قبوركم احيا وهذا خبر بالبعث والنشور والطرايق كل ما كانت طبقات بعضه فوق بعض
ومنه طارقت النعل ويريد بالسبع الطرايق السبع سموات ويجوز ان تكون الطرايق بمعنى المبسوطات
من طرقت الشي وقوله وما كنا عن الخلق غافلين نفي عام اي في انفاذ خلقهم وعن مصالحهم وعن
اعمالهم وقوله ما بقدر قال بعض العلما اراد المطر وقال بعضهم انما اراد الانهار الاربعة
سيحان وجيحان والفرات والنيل والصواب ان هذا كله داخل تحت الما الذي انزله الله
وقال مجاهد ليس في الارض ما الا وهو من السما ويمكن ان نقيد هذا بالعذب والا فالاجاج
ثابت في الارض مع القحط والعذب يقل مع القحط وايضا فالاحاديث تقتضي الما الذي كان قبل
خلق السموات والارض ولا محاله ان الله قد جعل في الارض ما وانزل من السما ما وقوله بقدر

اي على مقدار مصلح لانه لو كثر اهلك وانشانا معناه اوجدنا وخلقنا وذكر تعالى النخل والاعناب
لانهما ثمرة الحجاز بالطايف والمدينة وغيرها قاله الطبري ولانهما ايضا اشرف الثمار فذكرهما مثالا
تشريفا لهما وتنبيها عليهما وقوله لكم فيها يحتمل ان يعود الضمير على الجنات ويريد جميع انواع
الفواكه ويحتمل ان يعود على النخل والاعناب خاصة اذ فيها مراتب وانواع والاول اعم لسائر
الثمرات قوله وشجرة عطف على قوله جنات ويريد بها الزيتونة وهي كثيرة في طور سيناء
من ارض الشام وهو الجبل الذي كلم فيه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره والطور الجبل
في كلام العرب وقيل هو مما عرب من كلام العجم واختلف في سيناء فقال قتادة معناه الحسن
ويلزم على هذا التاويل ان ينون الطور وقال مجاهد معناه مبارك وقال معمر عن فرقة معناه شجر
ويلزمهم ان ينون الطور وقال الجمهور هو الجبل كما تقول جبل احد وسيناء اسم مضاف اليه الجبل وقرا
نافع وابو عمرو وابن كثير بكسر السين وقرا عمر بن الخطاب والباقون بفتحها وكلهم بالمد فعلى فتح السين لا
ينصرف في هذه الاية لانه جعل اسم بقعة او ارض وقرا الجمهور تنبت بفتح التا وضم البا فالتقدير
تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم التا وكسر البا واختلف
في التقدير على هذه القراة فقالت فرقة البا زايدة في بالدهن وهذا كقوله ولا تلقوا بايديكم وهذا
المثال عندي معترض وان كان ابو علي قد ذكره وكقول الشاعر ٥
٥ نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج ٥ ونحو هذا وقالت فرقة
التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف قاله ابو علي الفارسي ايضا وقد قيل
نبت وانبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى في قراة الجمهور والاصمعي ينكر انبت ويتهم قصيدة زهير التي
فيها انبت البقل وقرا الزهري والحسن والاعرج تنبت برفع التا ونصب البا قال ابو الفتح هي با
الحال اي تنبت ومعها دهنها وفي قراة ابن مسعود تخرج بالدهن وهي ايضا با الحال وقرا زر بن حبيش
بضم التا وكسر البا الدهن نصبا بغير با وقرا سليمان بن عبد الملك والاشهب بالدهان بالف والمراد
في هذه الاية تعديد نعمة الزيت على الانسان وهي من اركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها ويدخل في معنى
الزيتونة شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الاقطار وقرات فرقة وصبغ وقرات فرقة واصباغ
بالجمع وقرا عامر بن عبد قيس ومتاعا للاكلين قوله وان لكم في الانعام هي الابل والبقر والضان

اسم

والمعز والعبرة في خلقها وسائر اجناسها واجبارها وقرا الجمهور نسقيكم بضم النون من اسقى
وروي عن عاصم وقرا نافع وعاصم وابن عامر بفتح النون من سقى فمن الناس من قال هما لغتان
بمعنى ومنهم من قال سقيته اذا اعطيته لشفته واسقيته اذا جعلت له سقيا لارضه او لثمرته
ونحوه فكان الله جعل الانعام لعباده سقيا يشربون ويسقون وقرا ابو جعفر تسقيكم بالتاء
من فوق اي الانعام والمنافع الحمل عليها وجلودها واصوافها واوبارها وغير ذلك مما يطول عده
والفلك السفن واحدها فلك والحركات في الواحد حركات قفل وعود والحركات في الجمع حركات اسد
ولث في الجمع قوله ولقد ارسلنا هذا ابتدا تمثيل لكفار قريش بامم كفرت بانبيائها فاهلكوا
ففي ضمن ذلك الوعيد على بها ولا يجوا ما حل باولئك ونوح عليه السلام اول نبي ارسل الى الناس
وادريس اول من نبي ولم يرسل والملا الاشراف لانهم عنهم تصدر الملا وهو جمع القوم وفي
قولها ولا استبعاد بعثة البشر وهم قوم مقرون بالملائكة وذلك لا شك مستقر عندهم من بقايا
نبوة ادم وادريس وغيرها ولم يكن ذلك عن علم صحيح ولا معرفة باخبار نبوة والجنة الجنون وتربصوا
معناه اصبروا وانتظروا هلاكه وحتى حين معناه الى وقت ولم يعينوه وانما ارادوا الى وقت
يريحكم القدر منه ثم ان نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم وان كان دعاؤه في هذه
الاية ليس بنص وانما هو ظاهر من قوله بما كذبون فهذا يقتضي طلب العقوبة واما النصرة
مجردها فكانت تكون بردهم الى الايمان وقرا ابو جعفر وابن محيصن رب انصرني برفع الباء وكذلك
رب احكم وشبهه قوله فاوحينا اليه تقدم القول في صفة السفينة وقدرها في هود والفلك
هنا مفرد لا جمع قوله باعيننا عبارة عن الادراك هذا مذهب الحذاق ووقفت الشريعة
على اعين وعين ولا يجوز ان يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التثنية ووحينا
معناه في كيفية العمل ووجه البيان وذلك ان جبريل عليه السلام نزل الى نوح فقال له اصنع
كذا وكذا فجميع حكم السفينة وما يحتاج اليه واستجن الكفار نوحا لادعائه النبوة بزعمهم انها
دعوى سحر وامنة لعمله السفينة على غير بحر والكونها اول سفينة ان صح ذلك وقوله امرنا
يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى ان نامر الما بالفيض ويحتمل ان يريد واحد الامور اي اهلاكنا للكفرة
وقد تقدم القول في معنى قوله وفار التنور والصحيح من الاقوال فيه انه تنور الخبز وانها امارة

كانت

كانت بين الله وبين نوح عليه السلام وقوله فاسلك معناه فادخل ومنه قول
الشاعر ۝ حتى سلكن الشوى منهن في مسك من نسل جوابة الافاق مهداج ۝ ثم
وقول الاخر ۝ وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب ۝ ويقال
سلك واسلك بمعنى وقرا حفص عن عاصم من كل بتنوين كل وقرا الباقون وابو بكر عن عاصم
باضافة كل دون تنوين والزوجان كل ما شانه الاصطحاب من كل شيء نحو الذكر والانثى من الحيوان
ونحو النعال وغيرها كل واحد زوج للاخر هذا موقع اللفظة والعدديون يوقعون الزوج
على اثنين وعلى هذا امر استعمال العامة للزوج ۝ قوله واهلك يريد قرابته ثم استثنى
من سبق عليه القول بانه كافر وهو ابنه وامراته ثم امر نوح عليه السلام ان لا يراجع ربه
ولا يخاطبه شافعا في احد من الظالمين والاشارة الى من استثنى اذ العرف من البشر الحنو
على الاهل ثم امره ان يحمد ربه على النجاة من الظلمة عند استوائه وتمكنه في الفلك ثم امره بالدعا
في بركة المنزل وقرا عاصم في رواية ابي بكر منزلا بفتح الميم وكسر الزاي وهو موضع النزول وقرا
حفص عن عاصم والباقون منزلا وهو مصدر بمعنى الانزال بضم الميم وفتح الزاي ويجوز ان يراد به
موضع النزول قوله ان في ذلك لايات خطاب لمحمد عليه السلام اي ان فيما جرى على هذه الامم لعبرا
ودلايل لمن له نظر وعقل ثم اخبر انه تعالى يبتلي عباده الزمن بعد الزمن على جهة الوعيد لكفار
قريش بهذا الاخبار وان عند سيبويه هي المخففة من الثقيلة واللام لام التاكيد والفرا يقول ان نافية
واللام بمعنى الا ومبتلين معناه مصيبين ببلاء ومختبرين اختبارا يؤدي الى ذلك قوله ثم انشانا
الاية قال الطبري ان هذا القرن هم ثمود ورسولهم صالح ع وفي جل الروايات ما يقتضي انهم عاد
اقدم الا انهم يهلكوا بصيحة وفي هذه احتمالات كثيرة والله اعلم واترفناهم معناه نعمناهم وبسطنا
لهم الاموال والارزاق ومقالتها ولا ايضا تقتضي استبعاد بعثة البشر وهذه الطائفة
وقوم نوح لم يذكر في هذه الايات ان المعجزة ظهرت لهم وانهم كذبوا بعد وضوحها ولكن ذلك مقدر
معلوم وان لم يعين لنا المعجزة والعقاب لا يتعلق باحد الا بعد تركه الواجب عليه ووجوب
الاتباع انما هو بعد قيام الحجة عليها ولا فات على جميع من غراهم قوله ايعدكم استفهام
بمعنى التوقيف على جهة الاستبعاد وبمعنى الهزء بهذا الوعد وانكم الثانية بدل من الاولى

عند سيبويه وفيها معنى تاكيد الاولى وكررت لطول الكلام وكان المبرد ابى عبارة البدل لكونه
من غير مستقل اذ لم يذكر خبر ان الاولى والخبر عند سيبويه محذوف تقديره انكم تبعثون
اذا متم وهذا المقدر هو العامل في اذا وفي قراة ابن مسعود ايعدكم اذا متم انكم الاولى
وتعودون بالاخراج المنشور من القبور قوله هيهات هيهات استبعاد وهذه كلمة لها
معنى الفعل التقدير بعد كذا فطورا تلي الفاعل دون لام تقول هيهات مجي زيد اي بعد
ذلك ومنه قول جرير فايهات ايهات العقيق ومن به وايهات خل بالعقيق نواصله
واحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند اللام كهذه الاية التقدير بعد الوجود لما
توعدون ومن حيث كانت هذه اللفظة بمعنى الفعل اشبهت الحروف مثل صه وغيرها
فلذلك بنيت على الفتح وهذه قراة الجماعة بفتح التا وهي مفرد سمي به الفعل في الخبر اي
بعد كما ان شتان اسم افترق وغيره تسميه الفعل ان يكون في الفعل كصه وحسبي وقرا
ابو جعفر بكسر التا فيهما غير منونه وقراها عيسى بن عمر وابو حيوة بخلاف عنه بتا مكسورة
منونه وهي على هاتين القراتين عند سيبويه جمع هيهات وكان حقها ان تكون هيهيات
الا ان ضعفها لم يقتض اظهار التا قال سيبويه هي مثل بيضات اراد في انها جمع فظن
بعض النحاة انه اراد في اتفاق المفرد فقال واحد هيهه وليس كما قال وتنوين عيسى
لها على ارادة التنكير وتركه ابو جعفر على ارادة التعريف وقرا عيسى الهمداني بتا ساكنه
فيهما وهي على هذا جماعة لا مفرد وكذلك قراها الاعرج ورويت عن ابي عمرو وقرا ابو حيوة
بتا مرفوعة منونة فيهما وهذا على انه اسم معرب مستقل وخبره لما توعدون اي البعد
لوعدكم كما تقول النجح لسعيك وروي عن ابي حيوة بالرفع دون تنوين فيهما وقرا خالد بن الياس
بالنصب والتنوين والوقوف على هيهات من حيث مبنيه بالها ومن قرا بكسر اليا وقف
بالتاء وفي اللفظة لغات هيهاه وهيهات وهيهان وايهات وهيهاتٍ وهيهاتُ
وهيهاة وهيهاتا قال رؤبة هيهاه من منخرق هيهاؤه وقرا ابن ابي عبله
ما توعدون بغير لام قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا ارادوا انه لا وجود لنا غير هذا الوجود
وانما يموت منا طايفة فتذهب وتجي طايفة جديدة وهذا كفر الدهرية وبمومنين معناه

مصدقين ثم دعا عليهم نبيهم وطلب عقوبتهم على تكذيبهم قوله قال عما قليل المعنى
قال الله لهذا النبي الداعي عما قليل يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم ومن ذكر
الصيحه ذهب الطبري الى انهم ثمود قوله بالحق يعني بما استحقوا وعاجل
بنا في عقوبتهم والغثا ما يحمله السيل من زبد ومعتاده الذي لا ينتفع فيشبه
كل هامد وتالف بذلك وبعدا منصوب بفعل متروك اظهاره ثم اخبر انه انشا بعد
هاولا امما كثيرة كل امة باجل وفي كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها وتترى
مصدر بمنزلة فعلى مثل الدعوى والعدوى ونحوها وليس تترى بفعل وانما مصدر
من تواتر الشي وقراه الجمهور ووقفوا بالالف وحمزة والكسائي يميلانها قال ابو حاتم
هي الف تانيث وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتنوين ووقفا بالالف وهي الف الحاق قال
ابن سيده يقال جاوا تترى وتترى اي متواترين التا مبدله من الواو على غير قياس لان قياس
ابدال الواو تا انما هو في افتعل وما تصرف منها اذا كانت فاوه واوا فان فاه تقلب
تا وتدغم في تا افتعل وذلك اتزن واتجه وقوله فاتبعنا اي في الاهلاك وجعلناهم
احاديث يريد احاديث مثل وقلما يستعمل الجعل حديثا الا في الشر قوله ثم ارسلنا
موسى ثم على بابها لترتيب الامور واقتضا المهلة والايات التي جا بها موسى وهرون
هي العصا واليد البيضا اللتان اقترن بهما التحدي وهما السلطان المبين ويدخل
في عموم اللفظ سائر اياتهما كالبحر والمرسلات التسع واما غير ذلك مما جرى بعد
الخروج من البحر فليست تلك لفرعون بل هي خاصة بني اسرايل والملا هنا الجمع يعم
الاشراف وغيرهم فاستكبروا معناه عن الايمان بهما لانهم انفوا من ذلك قوله عالين
معناه قاصدين للعلو بالظلم والكبريا قوله عابدون معناه خادمون متذللون
ومن هذا قيل لعرب الحيرة العباد لانهم دخلوا من بين العرب في طاعة كسرى هذا احد
القولين في تسميتهم والطريق المعبد المذلل وعلوها ولا هو الذي ذكره الله لا يريدون
علوا في الارض من المهلكين يريد المغرقين ولقد اتينا موسى الكتاب هو التوراة لعلهم يريد
بني اسرايل لان التوراة انما نزلت بعد اهلاك قوم فرعون والقبط والترجي في لعل في حق

البشر اي ذات من فعلنا معهم ما يوجبوا معه ان ادم ايمانهم وهداهم والقضا منحتم بما جنتم
وجعلنا ابن مريم هو عيسى عليه السلام وقصتهما كلها انه عظم بمجموعها وهي ايات مع التفصيل
واحدها من كلي الوجهين متمكن واوى معناه ضم واستعمال اللفظة في الاماكن اي اقررناهاه
والربوة المرتفع من الارض وقرا الجمهور بضم الرا وقرا عاصم وابن عامر بفتحها وهي قراة الحسن وابي
عبد الرحمن وقرا ابن عباس ونصر عن عاصم بكسرها وقرا محمد بن ابي اسحق رباوه بضم الرا والف
وقرا الاشهب العقيلي بفتحها وقرات فرقة بكسرها وكلها لغات قرئ بها والقرار التمكن بمعنى
هذا انها مستوية للحرث والغراسة قاله ابن عباس وقال قتادة القرار هنا الثمار والحبوب
ومعنى الاية انها من البقاع التي كملت خصالها فهي اهل ان يستقر فيها وقد يمكن ان يستقر فيها
على الكمال في البقاع التي ماوها اجاج فبين بعد ان ما هذه الربوة ترى معينا جاريا على
وجه الارض قاله ابن عباس وهذا كمال الكمال والمعين الظاهر الجاري للعين فالميم زايده
وهو الذي يعاين جريه كالبئر ونحوه وكذلك ادخله الخليل وغيره هذه اللفظة في باب ع ي ن
وقد يحتمل ان يكون من قولهم معن الما اذا كثر ومن قولهم المعروف والجود فالميم فا الفعل
وانشد الطبري على هذا قول عبيد بن الابرص ۝
۝ داهيه او معين وهضبه دونها لهوب ۝ وقد قال عليه السلام يرحم الله هاجر
لو تركت زمزم لكانت عينا معينا وهذا يحتمل الوجهين وهذه الربوة هي الموضع الذي فرت
اليه مريم حين استحيت من قومها عيسى وهو الذي قيل لها فيه قد جعل ربك تحتك سريا هذا قول
بعض المفسرين واختلف الناس في موضعها فقال سعيد بن المسيب هي الغوطة بدمشق وهذا
اشهر الاقوال لانها صفتها على الكمال وقال ابو هريرة هو الرملة من فلسطين واسنده الطبري
عن كريب عن مرة البهزي عن النبي عليه السلام ويعارض هذا القول ان الرملة ليس يجري
فيها ما البتة ذكره الطبري وضعف القول به وقال كعب الاحبار الربوة بيت المقدس وزعم
ان في التوراة اقرب الارض الى السما وانه يزيد على اعلى الارض ثمانية عشر ميلا ويترجح ان الربوة
في بيت لحم من بيت المقدس لان ولادة عيسى كانت هنالك وحينئذ كان ايوا وقال ابن زيد
الربوة بارض مصر وذلك ان بها ربى يجي فيض النيل اليها فيملأ الارض ولا ينال تلك الربا وفيها

القرى

القرى وبها نجاتها ويضعف هذا القول انه لم يرو ان عيسى ومريم كانا بارض مصر
ولا حفظت لهما بها قصة قوله يا ايها الرسل يحتمل ان يكون معناه وقلنا يا ايها الرسل
فيكون هذه بعض القصص التي ذكر وكيف ما حول المعنى فلم يخاطبوا قط مجتمعين
وانما خوطب كل واحد في عصره وقالت فرقة الخطاب بهذا لمحمد عليه السلام ثم اختلفوا
فقال بعضهم اقامه مقام الرسل كما قال الذين قال لهم وقيل غير هذا مما لا يثبت مع النظر
والوجه في هذا ان يكون الخطاب لمحمد وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزا ان هذه
المقالة قد خوطب بها كل نبي او هي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها وهذا كما تقول
لتاجر يا تاجر ينبغي ان تجتنبوا الربا فانت تخاطبه بالمعنى وقد اقترن بذلك ان هذه
المقالة تصلح لجميع صنفه وقال الطبري الخطاب لعيسى روي انه كان ياكل من غزل امه
والمشهور عنه انه كان ياكل من بقل البرية ووجه الخطاب له ما ذكرناه في المقدر لمحمد
والطيبات هنا الحلال ملذه وغير ذلك وفي قوله اني بما تعملون عليم تنبيه ما على التحفظ
وضرب من الوعيد بالمباحثة واذا كان هذا معهم فما ظن كل احد بنفسه قوله وان هذه
قرا عاصم وحمزة والكسائي بكسرها وشد النون وقرا ابن عامر بفتحها وتخفيف النون وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتحها وشد النون فالاولى مبنية على القطع والثالثة مذهب
سيبويه انها متعلقة بقوله اخرا فاتقون على تقدير ولان هذه فاتقون لان امتكم
امة واحدة واني ربكم وهذا عنده نحو قوله وان المساجد لله الاية وان عنده في موضع
خفض وهي عند الخليل في موضع نصب لما زال الخافض وقد عكس هذا الذي نسب اليهما
بعض الناس وقال الفرا هي متعلقة بفعل مضمر تقديره واعلموا او واحفظوا وقرا
الحسن وابن ابي اسحق امة واحدة رفعا على البدل وقرا نافع وعاصم وابو عمرو نصبا
على الحال وقيل على البدل من هذه وفي هذا نظر وهذه الاية تقوي ان قوله تعالى يا ايها
الرسل المخاطبة بجميعهم بتقدير حضورهم وفي هذه الاية بعد ذلك بتقدير وقلنا للناس
واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبة لمحمد قلق اتصال هذه واتصال قوله فتقطعوا اما قوله
وانا ربكم فاتقون وان كان قيل للانبياء فامهم داخلون فيه بالمعنى فيحسن بعد ذلك اتصال

فتقطعوا ومعنى الامة هنا الملة والشريعة والاشارة بهذه الى الحنيفية السمحة ملة ابراهيم
عليه السلام وهو دين الاسلام وقوله فتقطعوا يريد الامم اي افترقوا وليس بفعل مضارع كما
تقول تقطع الثوب بل هو فعل ماض بمعنى قطعوا ومثاله تجهمني الليل وتخوفني السير وتعرقني
الزمن وقرا نافع زبرا بضم الزاي والباء جمع زبور وقرا الاعمش وابو عمرو بخلاف بضم الزاي وفتح
الباء فاما الاولى فتحتمل معنيين احدهما ان الامم تنازعت امرها كتبا منزلة فاتبعت فرقة
الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبدل وهذا قول
قتادة والثاني انهم تنازعوا امرهم كتبا وضعوها وضلالات الفوها وهذا قول ابن زيد واما
القراءة الثانية فمعناها فرقا كزبر الحديد ثم ذكر تعالى ان كل فريق منهم معجب برأيه وضلالة وهذه
غاية الضلال لان المرتاب بما عنده ينظر في طلب الحق من حيث كان ذكر الامم في هذه الاية
مثالا لقريش خاطب محمدا في شانهم متصلا بقوله فذرهم اى فذرها ولا الذين هم بمنزلة من تقدم
والغمرة ما عمهم من ضلالهم وفعل بهم فعل الماء الغمر بما حصل فيه وقرا ابو عبد الرحمن في غمراتهم
حتى حين اي الى وقت فتح فيهم غير محدود وفي هذه الاية موادعة منسوخة باية السيف ثم
وقفهم على خطائهم في ان نعم الله عندهم بالمال ونحوه انما هو لرضاه عن حالهم وبين تعالى
ان ذلك انما هو املاء واستدراج وخبر ان في قوله نسارع وقرا الجمهور النون نون العظمة
وفي الكلام على هذه القراءة ضمير عائد تقديره لهم به وقرا عبد الرحمن بن ابي بكرة بالياء تحت وكسر
الراء بمعنى ان امدادنا يسارع ولا ضمير مع هذه القراءة الا ما يتضمن الفعل وروي عن
ابن ابي بكرة المذكور بفتح الراء وقرا الحر النحوي نسرع بالنون بلا الف والخيرات هنا نعم
الدنيا قوله بل لا يشعرون وعيد وتهديد والشعور ماخوذ من الشعار وهو ما يلي
الانسان من ثيابه قوله ان الذين هم الاية لما فرغ ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك
ذكر المومنين ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم والاشفاق ابلغ التوقع والخوف ومن
في قوله من خشية هي لبيان جنس الاشفاق والاشفاق انما هو من عذاب الله ومن في قوله
من عذاب هي لابتداء الغاية والايات تعم القران والعبر ومصنوعات الله وغير ذلك مما فيه
نظر واعتبار وفي كل شيء له اية ثم ذكرهم من الطرف الاخر وهو نفي الاشراك لان الكفار قريش اذا

قولوا

يقولوا انحن نومن بايات ربنا ونصدق بانه المخترع الخالق فذكر تعالى نفي الاشراك الذي لا حظ
لهم فيه بسبب اصنامهم قوله والذين يوتون ما اتوا على قراءة الجمهور معناه يعطون ما اعطوا
وقال الطبري يريد الزكوة المفروضة وسائر الصدقة وروي نحوه عن ابن عمر ومجاهد وانما
ضمهم الى هذا التخصيص ان العطا مستعمل في المال على الاغلب قال ابن عباس وابن جبير هو
عام في جميع اعمال البر وهذا احسن كانه قال والذين يعطون من انفسهم من طاعة الله ما بلغه جهدهم
وقرات عايشة وابن عباس وقتادة والاعمش ياتون ما اتوا معناه يفعلون ما فعلوا وروت هذه
القراءة عن النبي عليه السلام وذهبت فرقة الى ان معناه من المعاصي وذهبت فرقة الى ان ذلك في
جميع الاعمال طاعتها ومعصيتها وهذا امدح واسند الطبري عن عايشة انها قالت قلت يا رسول
الله قوله ياتون ما اتوا هي في الذي يزني ويسرق قال لا يا ابنة ابي بكر بل هي في الرجل يصوم ويتصدق
وقلبه وجل يخاف ان لا يتقبل قوله وجلة الوجل هو الاشفاق والخوف وصورة هذا الوجل اما
المخلط فينبغي ابدا تحت خوف من ان يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه واما التقي والتائب فخوفه
امر الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وقال
الحسن معناه الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وهذه
عبارة حسنة وروي عن الحسن ايضا انه قال المومن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع اساءة
وامنا وقرا الجمهور بفتح الالف والتقدير بانهم او لانهم او من اجل انهم ويحتمل ان يكون قوله
وجلة عاملا في ان من حيث هي بمعنى خائفة وقرا الاعمش انهم بالكسر على اخبار مقطوع في ضمنه
تخويف ثم اخبر تعالى انهم يبادرون الى فعل الخيرات وقرا الجمهور يسارعون وقرا الحر النحوي يسرعون
وانهم اليها سابقون وهذا قول بعضهم في قوله لها وقالت فرقة معناه وهم من اجلها سابقون
فالسبق على هذا التاويل هو الى رضوان الله وعلى الاول هو الى الخيرات وقال الطبري عن ابن عباس
المعنى سبقت لهم السعادة في الازل فهم لها ورجح الطبري بان اللام متمكنة في المعنى قوله
ولا نكلف نفسا الا وسعها منبه لجميع ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق على الحقيقة وهو اربعة
اقسام ثلثة حقيقة والرابع مجازي وهو الذي لا يطاق للاشتغال بغيره مثل الايمان للكافر
والطاعة للعاصي وهذا التكليف باق وهو التكليف في اكثر الشريعة واما الثلثة فورد الاثبات

بها وفيها وقع النسخ المحال عقلاً في نازله الى لهب والمحال عادة في قوله وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه الايه والثالث لم يرد فيه شي وهو النوع المهلك لان الله لم يكلفه عبادة فاما قتل
القاتل ورجم الزاني فعقوبة بما فعل وقد تقصي القول مستوعبا في البقرة وفي قولنا ان الايه
هنا ناسخه نظر من جهه التواريخ وما نزل بالمدينه وما نزل بمكه قوله ولدينا كتاب ينطق بالحق
اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال الذي ترفعه الملايكة وفي الايه على هذا التاويل
تهديد وتاييس من الحيف والظلم وقالت فرقه الاشارة بقوله ولدينا كتاب هو القران وهذا
يحتمل والاول اظهر قوله في غمرة يريد في ضلال قد غمرها كما يفعل الما بالغمر بما حصل فيه
وقوله من هذا يشير الى القران ويحتمل الى كتاب الاحصاء ويحتمل ان يشير الى الاعمال الصالحه
المذكورة قبل اي هم في غمرة من اطراحها وتركها ويحتمل ان يشير الى الدين بجملته او الى محمد
عليه السلام وكل تاويل من هذه قد قالته فرقه قوله ولهم اعمال من دون ذلك الاشارة بذلك
الى الغمرة والضلال المحيط بهم فمعنى الايه بل هم ضالون معرضون عن الحق وهم مع ذلك
لهم سعاة فساد فوصفهم تعالى بحالتي شر قال هذا المعنى قتادة وابو العاليه وعلى
هذا التاويل والاخبار عما سلف من اعمالهم وعماهم فيه وقالت فرقه الاشارة بذلك
الى قوله من هذا فكانه قال لهم اعمال من دون الحق او القران ونحوه وقال الحسن بن ابي
الحسن ومجاهد انما اخبر بقوله ولهم اعمال عما يستانف من اعمالهم اي انهم لهم اعمال من الفساد
يستعملونها وحتى حرف ابتدا لا غير واذا والثانيه التي هي جواب يمنعان من ان تكون
حتى غاية لعاملون والمترف هو المنعم في الدنيا الذي هو منها في سرف وهذه حالة
سايغه في رؤسا الكفرة من كل امه ويجارون معناه يستغيثون بصياح كصياح
البقر وكثر استعمال الجوار في البشر ومنه قول الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا وذهب مجاهد وغيره
الى ان هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر وفيه نفذ على مترفيهم والضمير في
قوله اذا هم يحتمل ان يعود على المترفين فقط لانهم صاحوا حين نزل بهم الهزم والقتل
يوم بدر ويحتمل ان يعود على الباقين بعد المعذبين وقد حكى الطبري عن ابن جريج قال

ذكره

المعذبون

المعذبون قتلى بدر والذين يجارون اهل مكه لانهم ناحوا واستغاثوا قوله لا تجاروا
اليوم هذا القول يجوز ان يكون حقيقه اي تقول ذلك لهم الملايكة ويحتمل ان يكون مجازا
اي لسان الحال يقول ذلك وهذا على ان الذين يجارون هم المعذبون واما على قول ابن
جريج فلا يحتمل ان تقول ذلك الملايكه وقوله قد كانت اياتي تتلى عليكم يريد بها القران
وتنكصون معناه ترجعون وراكم وهذه استعارة للاعراض والادبار عن الحق وقرا علي بن
ابي طالب بضم الكاف وقرا على ادباركم بدل اعقابكم مستكبرين حال والضمير في به قال
الجمهور هو عايد على الحرم والمسجد وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامر والمعنى انكم تعتقدون
في نفوسكم ان لكم بالحرم والمسجد اعظم الحقوق على الناس والمنازل عند الله فانتم تستكبرون
لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقه الضمير عايد على القران من حيث ذكرت الايات
والمعنى يحدث لكم سماع اياتي كبرا وطغيانا وهذا قول جيد وذكر منذر بن سعيد ان الضمير
لمحمد عليه السلام وهو متعلق بما بعده كان الكلام تم في قوله مستكبرين ثم قال بمحمد عليه السلام
سامرا تهجرون قوله سامرا حال وهو مفرد بمعنى الجمع ويقال قوم سمر وسمر وسامر
معناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاشخاص من ضو القمر فكانت العرب
تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحرا فترى الطوالع من
الغوارب وقرا الجمهور سامرا وقرا ابو رجا سمارا وقرا ابن عباس وعكرمه وابن محيصن
سمرا ومن هذه اللفظة قول الشاعر
من دونهم ان جيتهم سمرا عزف القيان ومجلس غمر وكانت قريش تسمر حول الكعبه
مجالس في اباطيلها وكفرها وقرا الجمهور بفتح التا وضم الجيم واختلف المتاولون في معناها
فقال ابن عباس تهجرون الحق وذكر الله وتقطعون من الهجر المعروف وقال ابن زيد هو من
هجر المريض اذا هذى اي تقول اللغو من القول وقاله ابو حاتم وقرا نافع وحده من السبعه
بضم التا وهي قراة اهل المدينه وابن محيصن وابن عباس ايضا ومعناه يقولون الفحش والهجر من القول
وهذه اشارة الى سبهم رسول الله واصحابه قاله ابن عباس ايضا وغيره وفي الحديث كنت نهيتكم
عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا وقرا ابن محيصن وابو نهيك بضم التا وفتح الها وكسر

الجيم وشدها وهو تضعيف هجر وتكثير الهجر على المعنيين المتقدمين وقال ابن جني لو قيل
ان المعنى انكم تهجرون في الهاجرة حتى انكم وان كنتم سمرا بالليل فكانهم تهجرون في الهاجرة
على غاية الافصاح لكان وجها ع ولا تكون هذه القراءة بضم التا وكسر الجيم لان افعل لا يتعدى
ولا يكثر بتضعيف اذ التضعيف والهمزة متعاقبان ثم وبخهم على اعراضهم بعد تدبر القول
لانهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وسائر ذلك وقوله ام
جاءهم كذلك توبيخ ايضا والمعنى ابدع لهم امر لم يكن في الناس قبلهم بل قد جا الرسل قبل كنوح
وابرهيم واسمعيل وفي هذا التاويل من التجوز ان جعل سالف الامم اباء اذ الناس في الجملة اخرهم
من اولهم ويحتمل اللفظ معنى اخر على ان يراد بابائهم الاولين من قحطان سلفهم في العرب فكانه
قال افلم يدبروا القول ام جاءهم امر غريب من عند الله لم يات اباءهم فبهر عقولهم ونبت عنه
اذهانهم فكان التوبيخ بتيئس بان يقدر الكلام افلم يدبروا او بهر عقولهم ونبت اذهانهم
عن امر من امور الله غريب والاول ابين قوله ام لم يعرفوا رسولهم هذا ايضا توبيخ
والمعنى ام لم يعرفوه صادقا مدة عمره ولم يقع بينهم قط انكار لمعرفة وجه محمد وانما انكروا
صدقه وقوله ام يقولون به جنة توبيخ ايضا لان العرف بين الحكمة وفصل الخطاب الذي
جاء به وبين كلام ذي الجنة لا يخفى على فطنتهم ثم بين تعالى حال محمد عليه السلام في مجيئه بالحق
وقوله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم قال ابن جريج وابو صالح الحق الله تعالى وهذا ليس
نمط الاية وقال غيره الحق هنا الصواب والمستقيم وهذا هو الاحرى على ان يكون المذكور
قبل الذي جاء به محمد رسول الله ويستقيم على هذا فساد السموات والارض ومن فيهن لو
كان بحكم هوى هؤلاء وذلك انهم جعلوا لله شركاء واولادا ولو كان هذا حقا لم تكن لله الصفات
العلية ولو لم تكن له لم تكن الصنعة ولا القدرة كما هي وكان ذلك فساد السموات والارض
ومن فيهن ومن قال ان الحق في الاية الله تعالى تشغب له لفظة اتبع وصعب عليه ترتيب
الفساد المذكور في الاية لان لفظة الاتباع على كلي الوجهين انما هي استعارة بمعنى ان تكون
اهواؤهم يقرها الحق ويقررها فنحن نجد الله تعالى قد قدر كفر امم واهواءهم فليس في ذلك
فساد السموات واما الحق نفسه الذي هو الصواب فلو كان تبعا لاهواءهم لفسد كل شي

بلغ

نتاتله وقرا ابن وثاب ولو اتبع بضم الواو وقال ابو الفتح الضم في هذه الواو قليل والوجه
تشبيهها بواو الجمع كقوله اشتروا الضلالة قوله بذكرهم يحتمل ان يريد بوعظهم والبيان
لهم قاله ابن عباس وقرا قتادة نذكرهم بنون مضمومة وذال مفتوحة وكاف مكسورة
مشددة ورا مضمومة ويحتمل ان يريد لشرفهم وهو مروي وقرا عيسى بن عمر وابن ابي
اسحق بل اتيتهم بذكرهم بضم تا المتكلم وقرا ابن ابي اسحق بل اتيتهم بذكراهم خطابا لمحمد عليه
السلام وقرا الجمهور بل اتيناهم بذكرهم بنون العظمة بذكرهم اي جئناهم قوله ام تسالهم خرجا
هذا توبيخ لهم كانه قال ام سالتهم مالا فقلقوا لذلك واستثقلوك من اجله وقرا حمزة والكسائي
خراجا فخراج وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم خرجا فخراج وقرا ابن عامر خرجا فخرج وهو
المال الذي يجبى ويؤتى به لاوقات محدودة قال الاصمعي الخرج الجعل مرة واحدة والخراج ما
تردد لاوقات ما وهذا فرق استعمالي والا فهما في اللغة بمعنى وقد قرئ خراجا في قصة ذي
القرنين وقوله فخراج ربك يريد ثوابه سماه خراجا من حيث كان معادلا للخراج في هذا
الكلام ويحتمل ان يريد فخراج ربك رزق ربك ويؤيد هذا قوله وهو خير الرازقين والصراط
المستقيم دين الاسلام وناكبون معناه عادلون ثم اخبر عنهم انه لو زال عنهم القحط ومن
الله عليهم بالخصب ورحمهم بذلك لبقوا على كفرهم ولجوا في طغيانهم وهذه الاية نزلت في
المدة التي اصابت فيها قريشا السنون والجوع الذي دعا به رسول الله بقوله اللهم
سبعا كسبع يوسف قوله ولقد اخذناهم بالعذاب الاية اخبار من الله عن استكانتهم
بعد ما نالهم من الجوع هذا قول روي عن ابن عباس وابن جريج ان العذاب هو الجوع والجدب
المشهور نزوله بهم حتى اكلوا الجلود وما جرى مجراها وان العذاب المتوعد به يوم بدر وهذا
القول يرده ان الجدب الذي نالهم انما كان بعد وقعة بدر وروي انه لما بلغ بهم الجهد
جا ابو سفيان الى النبي عليه السلام فقال الست تزعم يا محمد انك رحمة للعالمين قال بلى
قال قد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع وقد اكلنا العلهز فنزلت الاية واستكانوا
معناه انخفضوا وتواضعوا ويحتمل ان يكون من السكون ويلزمه ان يكون استكنوا وجه
اذ فتحة الكاف مطلب فتولدت الف ويعطي التصريف انه من كان وان وزنه استفعل وعلى

الاول وزنه افتعل وكونه من كان يبغ والمعنى فاطلبوا ان تكونوا لو بهم اى طاعتهم عبد
خير وروي عن الحسن انه قال اذا اصاب الناس من قبل السلطان بلا فانما هي نقمه
فلا تستقبلوا نقمة الله بالحميه ولكن استقبلوها بالاستغفار واستكينوا وتضرعوا الى الله
وقرا هذه الايه والعذاب الشديد اما يوم بدر بالسيوف كما قال بعضهم واما توعد بعذاب
عن معين وهذا هو الصواب لما ذكرناه من تقدم بدر للمجاعة وروي عن مجاهد ان العذاب
والباب الشديد هو كله في مجاعة قريش وهذا احسن كان الاخذ في صدر الامر ثم فتح الباب
عند باهنه حين ابلسوا وجا ابو سفين والمبلس الذي قد نزل به شر ويئس من زواله
ونسجه تحبير قوله وهو الذى انشا لكم الايه ابتدا تعالى بتقرير نعم في نفس تعديدها
استدلال بها على عظيم قدرته وانها لا يعزب عنها امر البعث ولا يعظم وانشا بمعنى
اخترع والسمع مصدر فلذلك وحد فقيل اراد الجنس والافيده القلوب وهذه اشاره
الى النطق والعقل وقوله قليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا ما تشكرون
وذهب فرقه الى انه اراد قليلا منكم من يشكر اي من يومن ويشكر حق الشكر والاول اظهر
وذرا معناه بث وخلق قوله واليه فيه حذف مضاف اى الى حكمه وقضايه
تحشرون يريد البعث وله اختلاف الليل والنهار اى القدرة التي عنها ذلك والاختلاف
هنا التعاقب والكون خلفه ويحتمل ان يكون الذي هو المغايرة البينه وقوله
بل اضاب والحد فبله مقدر كانه قال ليس لهم نظر في هذه الايات او نحوها والاولون
يشير به الى الامم الكافرة كعاد وثمود وقوله مبعوثون اي لمعادون احيا قوله
او اباونا ان حكي المقاله عن العرب فمرادهم من سلف من العالم جعلوهم ابا من حيث
النوع واحد وان حكي ذلك عن الاولين فالامر مستقيم فيهم والاساطير جمع اسطوره
كاعجوبه واعاجيب واحدوثه واحاديث وقيل هي جمع جمع سطر واسطار واساطير
قوله قل لمن الارض الايه امر نبيه بتوقيفهم على هذه الاشيا التي لا يمكنهم الا الاقرار بها
ويلزمهم من الاقرار بها ان يومنوا بباريها ويذعنوا لشرعه ورسالة رسوله وقرا الجميع
في الاولى لله بلا خلاف واختلف في الثاني والثالث فقرا ابو عمرو وحده الله جوابا على

اللفظ وقرا باقي السبعة لله جوابا على كانه قال لمن ملك السموات اذا القولان واحد
في المعنى ثم جعل التوبيخ متدرجا بحسب وضوح الحجه شيا شيا فوقف على الارض ومن
فيها وجعل بازا ذلك التذكر ثم وقف على العرش وجعل بازا ذلك التقيه وهي ابلغ من
التذكر بحسب وضوح الحجه وفي قوله افلا تتقون وعيد ثم وقف على ملكوت كل شي وفي
الاقرار بهذا الالتزام كل ما يقع به الغلبة في الاحتجاج فوقع التوبيخ بعده في غاية
البلاغه بقوله قل فانى تسحرون ومعناه كيف ومن اين وفي هذا تقدير سحرهم وسوال
عن هيئته التي سحروا بها والسحر هنا مستعار لهم وهو تشبيه لما وقع منهم من التخليط
ووضع الافعال والاقوال في غير مواضعها ما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك وقالت فرقه
تسحرون معناه تمنعون وحكى بعضهم ذلك لغه وقرا ابن محيصن العظيم برفع الميم وملكوت
مصدر في بنايه مبالغه والاجارة المنع من الانسان والمعنى ان الله اذا منع احدا فلا
يقدر عليه واذا اراد احدا فلا مانع له وكذلك في سابق قدرته وما تقدم من قضايه
لا يعارض في ذلك شي ولا يحيله قوله بل اتيناهم بالحق المعنى ليس الامر كما يقولون من نسبتهم
الى الله ما لا يليق به بل اتيناهم وقرا ابن ابي اسحق بل اتيتهم على خطاب محمد والكاذبون يراد
به فيما ذكروا الله به من الصاحبه والولد والشريك وفي قوله وما كان معه من اله الايه دليل
التمانع وهذا هو الفساد الذي تضمنه قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والجزء
المخترع محال ان يتعلق به قدرتان فصاعدا ولتختلف الالهان في اراده فمحال نفوذهما
اوعجزهما فاذا انفذ من احدهما فهو العالي والاخر ليس باله فان قيل نقدرها لا يختلفان

اراده

في اراده قيل ذلك بعرض فاذا صوره الكفار قامت عليهم الحجه فان ما التوهم جوازه جار
في الحجه مجرى ما التوهم وقوعه اذا جواب لمحذوف تقديره لو كان معه اله اذا لذهب
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم عالم بكسر الميم اتباعا للمكتوب في قوله سبحان
وقرا الباقون وابو بكر عن عاصم بالرفع المعنى هو عالم قال الاخفش الجر اجود ليكون الكلام
من وجه واحد قال ابو علي ووجه الرفع ان الكلام قد انقطع والابتدا عند ابرع والفا
في قوله فتعالى عاطفه بالمعنى كانه قال علم الغيب والشهادة فتعالى وهذا كما تقول زيد

بشجاع فعظمت منزلته اي تجبر فعظمت ويحتمل ان يكون المعنى فاقول تعالى عما يشركون
على اخبار موتنف والغيب ما غاب عن الناس والشهادة ما يشاهدونه قوله قل
رب اما تريني امر الله له ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة وان كان قضى ان يرى ذلك
وان شرط وما زايدة وتريني جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة وهي لا تفارق ما عند المبرد
وتفارق عند سيبويه فقال اما تريني لكن استعمال القران لزومها فمن هنا الزم المبرد
وهذا الدعا فيه استصحاب الخشية والتحذير من الامر المعذب من اجله ثم نظيره
لساير الامة دعا في جودة الخاتمة وفي هذه الاية بجملتها اعلام بقرب العذاب منهم كما
كان في يوم بدر وقوله ثانيا رب اعتراض بين الشرط وجوابه قوله ادفع بالتي هي احسن
السيئة الامر بالصفح ومكارم الاخلاق وما كان منها لهذا فهو محكم باق في الامة ابدا وما
فيها من معنى الموادعة فمنسوخ بالقتال قوله نحن اعلم بما يصفون يقتضي انها اية
موادعة وقال مجاهد الدفع بالتي هي احسن هو السلام تسلم عليه اذا لقيته وقال الحسن
والله لا يصيبها احد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره وفي هذه الاية عدة للنبي عليه السلام
اي اشتغل انت بهذا وكل تعذيبهم والنقمة منهم الينا وامره بالتعوذ من الشيطان في
همزاته وهي سورات الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التي كانت تصيب
المومنين مع الكفار فتقع المحادة فلذلك اتصلت بهذه الاية وقال ابن زيد همزة الشيطان
الجنون وفي مصنف ابي داود ان النبي عليه السلام قال اللهم اني اعوذ بك من الشيطان
همزه ونفثه ونفخه وقال ابو داود همزه الموتة وهي الجنون ونفخه الكبر ونفثه الشعر
والنزغات وسورات الغضب من الشيطان وهي المتعوذ منها في الاية والتعوذ من
الجنون ايضا وكيد وفي قراة ابي بن كعب رب عايذا بك من همزات الشياطين وعايذا
بك رب ان يحضرون اي يكونوا معي في اموري فانهم اذا حضروا الانسان كانوا معدين للهمز
واذا لم يكن حضور فلا همز واصل الهمز الدفع والوخز بيد وغيرها ومنه همز الخيل وهمز الناس
باللسان وقيل لبعض العرب اتهمز الفارة سيل بذلك عن اللفظة فظن ان المراد نخس
الفارة فقال الهر يهمزها قوله حتى في هذا الموضع حرف ابتدا ويحتمل ان تكون غاية

مجردة بتقدير كلام محذوف والاول ابين لان ما بعدها هو المعني به المقصود ذكره والضمير
في احدهم للكفار ارجعون معناه الى الحياة الدنيا وجمع الضمير يتخرج على معنيين اما ان
تخاطبه مخاطبة الجمع تعظيما على نحو اخباره تعالى عن نفسه بنون الجماعة في غير موضع واما
ان تكون استغاثة بربه اولا ثم خاطب ملايكة العذاب بقوله ارجعون وقال الضحاك
هي في المشرك وقال النبي عليه السلام لعايشة اذا عاين المومن قالت له الملايكة نرجعك
فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون لعلي
اعمل صالحا وقرا الحسن والجمهور بسكون اليا وقرا طلحة بفتحها وكلا ردع وزجر
وهي من كلام الله وقوله انها كلمة هو قايلها تحتمل ثلاثة معان احدها الاخبار الموكد بان
هذا الشي يقع ويقول هذه الكلمة والاخر ان يكون المعنى انها كلمة لا تغني اكثر من ان
يقولها ولا نفع له فيها ولا غوث والثالث ان تكون اشارة الى انه لو رد لعاد فتكون اية
ذم لهم والضمير في ورايهم للكفار اي ياتي بعد موتهم حاجز من المدة والبرزخ في كلام العرب
الحاجز بين المسافتين ثم يستعار لما عدا ذلك فهو هنا للمدة التي بين موت الانسان وبين بعثه
هذا اجماع المفسرين وقرا الجمهور في الصور وهو القرن وقرا ابن عياض في الصور بفتح الواو جمع
صورة ويوم مضاف الى يبعثون وقوله فلا انساب بينهم اختلف المتاولون فقال ابن عباس
وغيره هذا عند النفخة الاولى وذلك ان الناس باجمعهم يموتون فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم
اموات وهذا التاويل يزيل في الاية من هول يوم الحشر وقال ابن مسعود وغيره انما المعنى انه عند
النفخة الثانية وقيام الناس من القبور فهم حينيذ لهول المطلع واشتغال كل امري بنفسه
قد انقطعت بينهم الوسايل وزال انتفاع الانساب فلذلك نفاها فالمعنى لا انساب نافعة وروي
عن قتادة انه ليس احد ابغض للانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة
وفي ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ويفرح كل احد يومئذ ان يذوب
له حق على ابيه وابنه وقد ورد بهذا حديث وكذلك ارتفاع التساول لهذه الوجوه ثم تاتي في القيامة
مواطن يكون فيها السوال والتعارف وهذا التاويل حسن وهو مروي المعنى عن ابن عباس وثقل
الموازين هو بالحسنات والثقل والخفة انما يتعلق باجرام يخترعها الله يومئذ ذلك وهي فيما روي براءات

قوله ومن خفت موازينه جمعها من حيث الموزون جمع وهي اعماله ومعنى الوزن قد مر والحجة
على الناس بالمحسوس على عادتهم وعرفهم ووزن الكافر على احد وجهين اما ان يوضع كفره
في كفة فلا يجد شيئا يعادله به في الكفة الاخرى واما ان يوضع اعماله من صلة الرحم ووجوه البر
في كفة الحسنات ثم يوضع كفره في الكفة الاخرى فتخف اعماله ه وتلفح النار اصابتها بالوهج والاحراق
وقرا ابو حيوة كلحون بغير الف والكلوح انكشاف الشفتين عن الاسنان وهذا يعتري الانسان
عند المباطشة مع الغضب ويعتري الرؤوس عند النار وقد شبه ابن مسعود ما في هذه الاية بما يعتري
رؤوس الكباش والاسد ويستعار للزمن والخطوب ه الم تكن اياتي قبله محذوف تقديره قال لهم
والايات القران هنا واخبر انهم اذا سمعوا هذا التقرير اذعنوا واقروا على انفسهم وسلموا بقولهم
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين وقرا جمهور الناس بكسر الشين دون الف وهي قراءة الحرميين وقرا حمزة
والكسائي بفتح الشين والف بعد القاف وهي قراءة ابن مسعود وخير عاصم في الوجهين وهما مصدران
من شقي يشقى ثم تدرجوا من الاقرار الى الرغبة والتضرع وذلك لانهم ذلوا الان للاقرار بالذنب اعتذار
وتفصل موقع جواب رغبتهم بما حتمه الله من عذابهم بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون لفظ نهي وهم
لا يستطيعون الكلام على ما روي مبالغة في المنع ويقال ان هذه الكلمة اذا سمعوها يئسوا وحكى
الطبري حديثا طويلا في مقاولة تكون بين الكفار وبين خازن النار ثم بينهم وبين الله وهذه الاية اخرها
قال فتطبق عليهم جهنم ويقع الياس ويبقون ينبح بعضهم في وجه بعض واختصرته لعدم صحته لكن
معناه صحيح قوله اخسئوا زجر يستعمل في الكلاب ومنه قوله عليه السلام لابن صياد اخسأ فلن
تعدو قدرك قوله انه كان فريق من عبادي قرأ هارون انه بفتح الالف وهي قراءة ابي بن كعب
وروي ان في مصحفه ان كان وهذا كله متعاضد وفي قراءة ابن مسعود تكلمون كان فريق بغير لفظ
انه وهذه تعضد الكسر لانها استئناف وهذه الهاء في انه مبهمة ضمير الامر والكوفيون يسمونها المجهولة وهي
عبارة فاسدة وهذه الاية كلها مما يقال للكفرة على وجه التوبيخ والفريق المشار اليه كل مستضعف من
المؤمنين يتفق ان يكون حاله مع كفار مثل هذه الحال ونزلت في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظرائهم
ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديما وباقي الدهر وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين والباقون بكسرها
فقالت طائفة هما بمعنى واحد ذكره الطبري عن ابي زيد الانصاري وانهما بمعنى الهزء وقال ابو عبيدة وغيره

ان الضم من السخرة والتخديم والكسر من الاستهزاء ومنه قول الاعشى
اني اتاني حديث لا اسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر قال ابو علي كسر السين اوجه
لانه بمعنى الاستهزاء والكسر فيه اكثر واليق بالاية لقوله وكنتم منهم تضحكون ع الا ترى الى اجماع
القراء على الضم في الزخرف لما تخلص الامر للتخديم قال يونس اذا اريد التخديم فالضم لا غير واذا اريد
الهزء فكلاهما قال اصحاب عبد الله والاعرج وابن ابي اسحاق كل ما في القران بالضم وقرا الحسن وابو
عمرو الكل بالكسر الا التي في الزخرف فبالضم كالناس لانها من التخديم واضاف الانساء الى الفريق من
حيث كان سببهم والمعنى اشتغلتم بالهزء بهم ولا انساكم ما ينفعكم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم وابن عامر انهم هم الفائزون مفتوحة وقراها حمزة والكسائي وخارجة عن نافع مكسورة
فالفتح يكون جزيتهم عاملا في ان ويجوز ان يعمل في مفعول محذوف ويكون التقدير لانهم والكسر يكون المفعول
الثاني جزيت مقدرا تقديره الجنة او الرضوان والفائزون المنتهون الى غاياتهم التي كانت املهم ومعنى
الفوز النجاة قوله قال كم قرا نافع وابو عمرو وابن عامر قال كم قال ان بالف فيهما والباقون قل
كم على الامر قل ان على الخبر وادغم ابو عمرو وحمزة والكسائي الثاء في التاء والباقون لا يدغمون فمعنى
الاول الاخبار عن ان الله يوقفهم بالسؤال على المدة ثم يعلمهم اخرا بلبثهم قليلا ومعنى الثاني الامر لواحد
منهم مشار اليه المعنى يقال لاحدهم قل كذا فاذا قالوا عن القوم قيل له قل ان لبثتم والمعنى في روايه البزي
التوقيف ثم الاخبار وفي المصاحف قال فيهما الا مصاحف الكوفة فانها بغير الف قوله في الارض
قال الطبري معناه في الدنيا احياء وعن هذا وقع السؤال والنسيان لفرط هول العذاب حتى قالوا
يوما او بعض يوم والغرض من هذا توقيفهم على ان اعمارهم قصيرة اداهم الكفر فيها الى عذاب طويل وقال
جمهور المتكلمين معناه في جوف التراب امواتا وهذا هو الاصوب من حيث انكروا البعث فكان قولهم
انهم لا يقومون قيل لهم لما قاموا كم لبثتم وقوله وانكم الينا لا ترجعون بمقتضى ما قلناه وعدد
نصب بكم على التمييز وقرا الاعمش عددا بتنوينه قال مجاهد ارادوا بالعادين الملائكة وقال
قتادة ارادوا اهل الحساب وظاهر اللفظ انهم ارادوا سل من يتصف بهذه الصفة ولم يعينوا
ملائكة ولا غيرها لان النائم والميت لا يعد الحركة فيستقدر له الزمان وقوله ان لبثتم الا قليلا
مقصده بيان اللبث في الدنيا اى قليل القدر في جنب ما يعذبون وعلى القول بان اللبث في

الغفور معناه انه قليل اذ كل آتٍ قريب ولكنكم كذبتم به اذ كنتم لا تعلمون اذ لم ترغبوا الى العلم
والهدى وعبثاً معناه باطلا لغير غاية مراده وقرا الجمهور بضم التا وفتح الجيم وقرا حمزة
والكسائي بفتح التا وكسر الجيم والمعنى فيهما بيّنٌ قوله فتعالى الله الملك عن مقالتهم
في جهته من الصاحبة والولد ومن حسابهم انهم لا يرجعون وغير ذلك اي تنزه الله عن تلك
الامور وتعالى عنها وقرا ابن محيصن الكريم بالرفع صفة للرب ثم توعد جلت قدرته عبدة الاصنام
بقوله ومن يدع مع الله الاية وعيد قوله فانما حسابه عند ربه والبرهان الحجة وظاهر
الكلام ان من شرط وجوابه في قوله فانما حسابه عند ربه وقوله لا برهان له به في موضع الصفة
وذهب قوم الى ان الجواب في قوله لا برهان وهذا هروب من دليل الخطاب من ان يكون ثم داع له
برهان وهذا تحفظ مما لا يلزم ويلحقه حذف الفا من جواب الشرط وهو غير فصيح قاله
سيبويه وفي حرف عبد الله عند ربك وفي حرف ابي عبد الله وروي ان فيه على اسمه ثم ختم والد
انا الكافر لا يبلغ امنيته ولا ينجح سعيه وقرا الجمهور انه بكسر الالف وقرا الحسن وقتادة انه
بفتحها والمعنى انه اذ لا يبدلكم ولا يفلح يؤخر حسابه وعذابه حتى يلقى ربه وقرا الحسن يفلح
بفتح اليا واللام ثم امر رسوله بالدعا في المغفرة والرحمة والذكر له بانه خير الراحمين كان كل
راحم فتصرف على ارادة الله وتوفيقه وتقديره لمقدار هذه الرحمة ورحمته تعالى لا مشارك له
لاحد فيها وايضا فوجه كل راحم في اشيا وباشيا حقيرات بالاضافة الى المعاني التي يقع فيها
رحمة الله من الاستنقاذ من النار وهبة نعيم الجنة وعلى ما في الحديث فرحمة كل راحم بمجموعها كلها
جزء من مائة من رحمة الله اذ بث في العالم واحدة وامسك عنده تسعا وتسعين وقرا ابن محيصن ربُّ
اغفر والباقون بكسرها ۞ تفسير سورة النور ۞ قوله عز وجل سورة انزلناها
قرا الجمهور بالرفع وقرا عيسى بن عمر ومجاهد سورةً بالنصب وروي ذلك ايضا عن عمر بن عبد العزيز
وعن ام الدردا فوجه الرفع خبر ابتدا مضمر تقديره هذه سورة او ابتدا وخبره مقدم تقديره
فيما يتلى عليكم ويحتمل ان يكون قوله سورة ابتدا وما بعدها صفة لها اخرجتها عن حد النكرة المحضة
فحسن الابتدا لذلك ويكون الخبر في قوله الزانية والزاني وفيما بعد ذلك والمعنى السورة المنزلة
المفروضة كذا وكذا اذا السورة عبارة عن ايات مسرودة لها بدء وختم ولكن يلحق هذا القول

ان يكون الابتدا هو الخبر ليس البين الا ان يقدر الخبر في السورة باسرها وهذا بعيد في القياس
وقول الشاعر ۞ فارسٌ ما تركوه ۞ ووجه النصب اضمار فعل تقديره بعضهم اتلوا
سورة او نحوه وجعل بعضهم انزلناها سورة انزلناها وقال الفرا هي حال من الها والالف والحال
من المكني يجوز ان يتقدم عليه وقرا جمهور الناس وفرضناها مخففة الرا ومعناه الاثبات والايجاب
بابلغ وجوهه اذ هو مشبه بالفرض في الاجرام وقرا مجاهد وابو عمرو وابن كثير وعمر بن عبد العزيز
وابن مسعود بالتشديد ومعناه جعلناها فرايض من حيث ترددت لك صيغة الفعل بالمبالغة
وقرا الاعمش وفرضناها لكم وحكى الزهراوي عن بعض العلما انه قال كل ما في السورة من امر ونهي فرض
لا حق بهذه اللفظة والايات البينات اياتها ومواعظها واحكامها وقال الزهراوي المعنى ليس فيها
مشكل تاويلها موافق لظاهرها وهذا تحكم وقوله لعلكم على توقع البشر ورجايهم وقرا جمهور الناس
الزانية بالرفع وقرا عيسى الثقفي بالنصب وهو وجه عند سيبويه لانه عنده كقولك زيدا ووجه
الرفع عنده خبر ابتدا تقديره فيما يتلى عليكم الزانية واجمع الناس على الرفع وان كان القياس عند
سيبويه النصب اما الفرا والمبرد والزجاج فان الرفع عندهم هو الوجه والخبر في قوله
فاجلدوا لان المعنى ان الزانية والزاني مجلودان بحكم الله وهذا قول جيد وهو قول اكثر النحاة
وان شيت قدرت الخبر ينبغي ان يجلدا وقرى والزان بغير يا وقدمت الزانية في اللفظ من حيث
كان في ذلك الزمان زنا النسا افشى وكان لاما العرب وبغايا الوقت رايات وكن مجاهرات
بذلك واذ العار بالنسا الحق اذ موضعهن الحجبة والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما
والالف واللام في قوله الزانية والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامة في جميع الزناة وهذه الاية
باتفاق ناسخة لاية الحبس واية الاذى التي في سورة النسا وجماعة من العلما على العموم لهذه
الاية وان حكم المحصنين منسوخ منها واختلفوا في الناسخ فقالت فرقة الناسخ السنة المتواترة
في الرجم وقالت فرقة بل القران الذي رفع لفظه وبقي حكمه وهو الذي قراه عمر في المنبر بمحضر الصحابة
الشيخ والشيخة فارجموهما البتة وقال انا قراناه في كتاب الله واتفق الجميع على ان لفظه
رفع وبقي حكمه وقال الحسن بن ابي الحسن وابن راهويه ليس في هذه الاية رجم بل سنة الرجم
جاءت بزيادة فالمحصن على راي هذه الفرقة يجلد ثم يرجم وهو قول علي بن ابي طالب وجعله

بسراحم ودليلهم قول النبي عليه السلام والثيب بالثيب جلد مايه والرجم ويرد
عليهم فعل النبي عليه السلام حيث رجم ولم يجلد وبه قال جمهور الامة اذ فعله كقوله
ورفع الجلد عن المحصن وقال ابن سلام وغيره هذه الايه خاصة في البكرين لانه لم
يبق من هذا حكمه الا البكران واستدلوا على ذلك بقول النبي عليه السلام البكر بالبكر جلد
وتغريب عام وبقوله عليه السلام على ابنك جلد مايه واستدلوا على انها عامة بخروج الاما
والعبيد وغيرهم منها وقد تقدم بسط كثير من هذه المعاني في سورة النسا والجلد يكون
والمجلود قاعد عند مالك ولا يجزي عنده الا في الظهر واصحاب الراي والشافعي يرون ان
يجلد الرجل وهو واقف وهو قول علي بن ابي طالب ويفرق الضرب على كل الاعضا واشار
ابن عمر بالضرب الى رجلي أمة جلدها في الزنا والاجماع في تسليم الوجه والعورة والمقاتل
ويترجح قول مالك بقول النبي عليه السلام البينة او حد في ظهرك وقول عمر او لاوجعن
متنيك ويعرى الرجل عند مالك والنخعي وابي عبيدة بن الجراح وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز
والحسن والشعبي وغيرهم يرون ان يضرب على قميص وهو قول عثمان وابن مسعود ايضا
والمراة تستر قولا واحدا وقرا الجمهور رافة بهمزة على وزن فعلة وقرا ابن كثير رافه على
وزن فعله بفتح العين وقرا عاصم ايضا رافة على وزن فعاله كسامه وكابه وهذه مصادر
اشهرها الاولى من رؤف اذا رق ورحم وقرا الجمهور تاخذكم بالتا من فوق وقرا ابو عبد
الرحمن ياخذكم بالياء من تحت واختلف الناس في الرافة المنهي عنها فيم هي فقال ابو مجلز لاحق
بن حميد ومجاهد وعكرمة وعطا هي في اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وهذا تاويل ابن عمر
وابن جبير وغيرهما ومن رايهم ان الضرب في الزنا والفرية والخمر على نحو واحد وقال قتادة
وابن المسيب وغيرهما الرافة المنهي عنها هي في تخفيف الضرب عن الزناة ومن رايهم ان يخفف
ضرب الخمر والفرية ويشتد ضرب الزنا وقال سليمن بن يسار نهي عن الرافة في الوجهين وقال
ابو مجلز انا لنرحم المحدود ولكن لا يسقط الحد وقول النبي عليه السلام في السوط دون
هذا ضرب من الرافة وقال عمر اضرب ولا تبدين ابطيك واتفق الناس على ان الضرب بسوط بين
سوطين وقال الزهري ضرب الزنا والفرية مشتد لانها بمعنى واحد وضرب الخمر مخفف

وقول

وقوله في دين الله بمعنى في الاخلال بدين الله اي بشرعه ويحتمل ان يكون الدين هنا بمعنى
الحكم ثم قررهم على معنى التثبيت والحض بقوله ان كنتم تومنون بالله وهذا كما تقول للرجل تحضه
ان كنت رجلا فافعل كذا اي هذه افعال الرجال وقوله وليشهد عذابهما طايفة من
المومنين المقصد بالاية الاغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس فلا خلاف ان الطايفة كلما
كثرت فهو اليق بامتثال الامر واختلف الناس في اقل ما يجزي فقال الحسن بن ابي الحسن لا بد
من حضور عشرة راي ان هذا العدد عقد خارج عن الاحاد وهي اقل الكثرة وقال ابن زيد
وغيره لا بد من حضور اربعة وراوا ان شهادة الزنا كذلك وان هذا باب منه وقال الزهري
الطايفة ثلثة فصاعدا وقال عكرمة وعطا لا بد من اثنين وهذا مشهور قول مالك فراها
موضع شهادة وقال مجاهد يجزي الواحد ويسمى طايفة الى الالف وقاله ابن عباس
واستدل بقوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وقوله وان طايفتان ونزلت في تقاتل
رجلين واختلف العلما في التغريب وقد غرب الصديق الى فدك وهو راي عمر وعثمان وعلي
وابي ذر وابن مسعود وابي بن كعب ولكن عمر بعد نفى رجلا فلحق بالروم فقال لا انفي احدا
بعدها وفيه عن مالك قولان ولا يرى تغريب النسا والعبيد واحتج بقوله عليه السلام لا
تسافر المراة مسيرة يوم الا مع ذي محرم وممن ابى التغريب جملة اصحاب الراي وقال الشافعي
ينفى البكر رجلا كان او امراة ونفى علي امراة الى البصرة قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
الاية فيها اربعة اوجه من التاويل احدها ان يكون مقصد الاية تشنيع الزنا وتبشيع امره
وانه محرم على المومنين واتصال هذا المعنى بما قبل حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح اي لا يطا
فيكون النكاح بمعنى الجماع وردد القصة مبالغة واخذا من كلا الطرفين ثم زاد تقسيم
المشركة والمشرك من حيث الشرك اعم في المعاصي من الزنا فالمعنى الزاني لا يطا في وقت زناه
الا زانية من المسلمين او من هو اخس منها من المشركات وقد روي عن ابن عباس واصحابه ان
النكاح في هذه الاية الوطي وانكر ذلك الزجاج وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى
التزويج وليس كما قال وفي القران حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه النبي عليه السلام انه بمعنى الوطي
وذكر الطبري ما ينحو الى هذا التاويل عن سعيد بن جبير وابن عباس وعكرمة ولكن غير ملخص ولا

ولا محمل والثاني ان تكون الاية نزلت في قوم مخصوصين وهذا القول يروى معناه عن عبد الله بن عمر
وعن ابن عباس قال وهم قوم يزنون في جاهليتهم ببغايا مشهورات فلما جا الاسلام واسلموا
لم يمكنهم الزنا فارادوا لفقرهم زواج اولئك النسوة اذ كان من عادتهن الانفاق على من ارتسم
بزواجهن فنزلت الاية بسببهم والاشارة الى احد اولئك حمل الزنا على الذي كان في الجاهلية
وقوله لا ينكح اي لا يتزوج وفي الاية على هذا التاويل معنى التشنيع عليهم وفي ذلك توبيخ كانه يقول
اي ما الزاني لا يريد ان يتزوج الا زانية او مشركة اي تنزع نفوسهم الى هذه الخسايس لقلة
انضباطهم ويرد على هذا التاويل الاجماع على ان الزانية لا يجوز ان يتزوجها مشرك وقوله
وحرم ذلك على المومنين اي نكاح اولئك البغايا فيزعم اهل هذا التاويل ان نكاح اولئك البغايا
حرمه الله على امة محمد ومن اشهرهن عناق البغي وكان الذي هم بتزوجها يلقب ذلك كان
يستخرج ضعفة المسلمين من مكة سرا فقطعت له ودعته الى نفسها فابى الزنا واراد التزوج
واستاذن في ذلك النبي عليه السلام فنزلت الاية ولما دعته وابى قالت له ابي تتبرز والله
لافضحنك وذكر الطبري ان من البغايا المذكورات ام مهزول جارية السايب المخزومي ويقال
فيها ام مهزوم وام عليط جارية صفوان بن امية وحنة القبطية جارية العاص بن وايل ومرية
جارية مالك بن عميلة بن السباق وحلالة جارية سهيل بن عمرو وام سويد جارية عمرو بن عثمان
المخزومي وشريفة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة وقريبا جارية
هلال بن انس وغيرهن ممن كان لهن رايات يعرفن بها وكذلك كان بالمدينة اماء عبد الله
بن ابي وغيره مشهورات وحكى الطبري عن ابن عباس انه قال بغايا هذا التاويل كانت بيوت
في الجاهلية تسمى المواخير كانوا يواجرون فيها فتياتهم وكانت بيوتا معلومة للزنا فحرم الله ذلك
على المومنين ويحتمل ان يكون هذا الكلام في التاويل الذي ذكرته قبل هذا وواحد المواخير
ماخور ومنه قول بعض المحدثين ه وكل واد هبطنا فيه ذكره وكل بيت صعدنا فيه
ماخور ه ، والتاويل الثالث تاويل ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه قال المراد
الزاني المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله لا يجوز لمحدود الا ان يتزوج
محدودة وروي ان محدودا تزوج غير محدودة فرد علي بن ابي طالب نكاحهما قوله وحرم

ذلك على المومنين من نكاح البغايا وحكى الزهراوي في هذا حديثا من طريق ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا ينكح الزاني المجلود الا مثله وهذا حديث لا يصح وقول فيه نظر وادخال
المشرك في هذه الاية يرده وألفاظ الاية تاباه وان قيدت المشركة بمعنى الكتابية فلا حيلة في
لفظ المشرك والرابع قول يروى عن ابن المسيب وذلك انه قال هذا حكم كان في الزناة عامة
ان لا يتزوج زان الا زانية ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم وروي نحو
هذا النسخ ايضا عن مجاهد الا انه قال ان التحريم انما كان في اولئك النفر خاصة لا في الزناة
عامة ذكر ذلك ابو عبيد في ناسخه ومنسوخه وذكر عن مجاهد انه قال حرم نكاح اولئك البغايا على
اولئك النفر وذكر الاشراك في الاية يضعف هذه المناحي وقرا ابو البرهسم وحرم الله ذلك
على المومنين واختلف فيمن زنا بامراة ثم اراد نكاحها فاجاز ذلك ابو بكر الصديق وابن عمر
وجابر بن عبد الله وطاوس وابن المسيب وجابر بن زيد وعطا والحسن وعكرمة وابن عباس
ومالك والثوري والشافعي ومنعه ابن مسعود والبرا بن عازب وعايشة وقالوا لا
يزالان زانيين ما اجتمعا قوله والذين يرمون المحصنات الاية نزلت في القاذفين قال
ابن جبير كان سببها ما قيل في عايشة ام المومنين وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما
لا في تلك النازلة وذكر الله تعالى في الاية قذف النساء من حيث هو اهم ورميهن بالفاحشة
اشنع وانكى للنفوس وقذف الرجال داخل في حكم الاية بالمعنى وباجماع الامة على ذلك وهذا
نحو نصه على لحم الخنزير ودخول شحمه وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى وبالاجماع وذكر الزهراوي
ان المعنى والانفس المحصنات فهي بلفظها تعم النساء والرجال ويدل على ذلك قوله والمحصنات
من النساء والجمهور على فتح الصاد من المحصنات وكسرها يحيى بن وثاب والمحصنات العفايف
في هذا الموضع لان هذا هو الذي يجب به جلد القاذف والعفة اعلى معاني الاحصان اذ في
طيها الاسلام وفي هذه النازلة الحرية ومنه قول حسان ه حصان رزان
ومنه قوله والتي احصنت فرجها وذكر الله من صفات النسا الصفة المناسبة للرمي بالزنا
والتخلص من ذلك من ثبت عليه الزنا وغير ذلك ممن لم يبلغ الوطي من الصاحب للقاذف وذلك
وعبر عن القذف بالرمي من حيث معناه الرمي بالحجارة والسهم فلما كان قول

القاذف موحدا يجعل رتبا وهذا كما قال ـــــ ٥ ومجح الكباش كجمح البد ٥ والقذف
والرمي بمعنى واحد وشدد الله على القاذف في اربعة شهدا رحمة بعباده وسترا لهم
وقرا الجمهور اربعة شهدا بالاضافة وقرا عبد الله بن مسلم بن يسار وابو زرعة
بتنوين اربعة شهدا على هذا اما بدل واما صفة للاربعة واما حال واما تمييز وفي
هذين نظر اذ الحال من نكرة والتمييز من مجموع وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته
انما يجوز في الشعر وقد حسن ابو الفتح هذه القراءة ورجحها على قراءة الجمهور وحكم شهادة الاربعة
ان تكون على معاينة مبالغة كالمرود في المكحلة في موطن واحد فان اضطرب واحد منهم جلد
الثلاثة والقاذف كما فعل عمر في امر المغيرة بن شعبة وذلك انه شهد عليه بالزنا ابو بكرة
نفيع بن الحرث واخوه نافع وقال الزهراوي عبد الله بن الحرث وزياد اخوهما لامهما وهو
مستلحق معوية وشبل بن معبد البجلي فلما جاوا لاداء الشهادة توقف زياد ولم يوديها كاملة
فجلد عمر الثلاثة المذكورين والجلد الضرب والمجالدة المضاربة في الجلود او بالجلود ثم استعير
الجلد لغير ذلك من سيف او غيره ومنه قول ـــ قيس بن الخطيم ٥
اجالدهم يوم الحديقة حاسرا كان يدي بالسيف مخراق لاعب ٥ ونصب ثمانين على
المصدر وجلدة على التمييز ثم امر تعالى ان لا تقبل للقذفة شهادة ابدا وهذا يقتضي مدة
اعمارهم ثم حكم عليهم بانهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله ثم استثنى من تاب واصلح من
بعد القذف بانه وعدهم الرحمة والمغفرة فتضمنت الاية ثلاثة احكام في القاذف جلده
ورد شهادته ابدا وفسقه فالاستثناء غير عامل في جلده باجماع واختلف الناس في عمله في رد
الشهادة فقال شريح القاضي وابرهيم النخعي والحسن والثوري وابو حنيفة لا يعمل الاستثنا
في رد شهادته وانما يزول فسقه عند الله واما شهادة القاذف فلا تقبل البتة ولو تاب
واكذب نفسه ولا بحال من الاحوال وقال الجمهور الناس الاستثنا عامل في رد الشهادة فاذا
تاب القاذف قبلت شهادته ثم اختلفوا في صورة توبته فمذهب عمر والشعبي وغيره ان توبته
لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك القذف الذي حد فيه وهكذا فعل شبل بن معبد ونافع اذ
القول في المغيرة واكذبا انفسهما فقبل عمر شهادتهما وابى ابو بكرة نفيع من اكذاب نفسه

فرد عمر شهادته حتى مات وقالت فرقة منها مالك وغيره توبته ان يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع
عن قوله بتكذيب واختلف فقهاء المالكية متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون
بنفس قذفه وقال ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط حتى يجلد فان منع من جلده مانع
عفو او غيره لم ترد شهادته قال الشيخ ابو الحسن اللخمي شهادته في مدة الاجل في الاثبات
موقوفة ورجح القول بان التوبة انما تكون بالتكذيب في القذف والا فاي رجوع لعدل ان قذف
وحد وبقي على عدالته وتابوا معناه رجعوا وهذا رجح وقد رجح الطبري وغيره قول مالك
واختلف ايضا على القول بجواز شهادته بعد التوبة في اي شيء تجوز فقال مالك تجوز في
كل شيء باطلاق وكذلك كل من حد في شيء من الاشيا وقال سحنون من حد في شيء من الاشيا فلا
تجوز شهادته في مثل ما حد فيه وقال مطرف وابن الماجشون من حد في قذف او زنا فلا تجوز
شهادته في شيء من وجوه الزنا ولا في قذف ولا لعان وان كان عدلا ورويا هذا القول عن مالك
واتفقوا فيما احفظ على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا قوله ــ والذين يرمون ازواجهم
لما نزلت الاية في المحصنات تناول ظاهرها الازواج وغيرهن فقال سعد بن عبادة يا رسول الله
وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة والله لاضربنه بالسيف غير مصفح فقال
عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير من سعد والله اغير مني وفي الفاظ سعد روايات
مختلفة هذا نحو معناها ثم جاء بعد ذلك هلال بن امية الواقفي فرمى زوجته بشريك بن سحما
البلوي فعزم رسول الله على ضربه حد القذف فنزلت هذه الاية عند ذلك فجمعهما رسول الله
في المسجد وتلاعنا فتلكات المراة عند الخامسة لما وعظت وقيل انها موجبة ثم قالت لا
افضح قومي ساير اليوم ومضت ففرق رسول الله بينهما وولدت غلاما كانه جمل اورق
ثم كان بعد ذلك الغلام اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا وجاء ايضا عويمر العجلاني
فرمى امراته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال قبل وانها سبب الاية وقيل نازلة عويمر
قبل وهو الذي وسط الى رسول الله عاصم بن عدي والازواج في هذا الحكم يعم المسلمات
والكافرات والاما فكلهن يلاعنهن الزوج للانتفاء من الحمل وتختص الحرة بدفع حد القذف
عن نفسه وقرا الجمهور اربع شهادات بالنصب وهو كانتصاب المصدر والعامل في

ذلك قوله فشهادة ورفع الشهادة على خبر ابتدا تقديره فالحكم او فالواجب او على الابتداء
بتقدير فعليهم ان يشهدوا ويتقدم حذف الخبر وتقديره في اخر الاية كافية او واجبة
وقوله بالله من صلة شهادات ويجوز ان يكون من صلة فشهادة وقرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم اربع بالرفع وذلك على خبر قوله فشهادة فقال ابو حاتم لا وجه للرفع
لان الشهادة ليست باربع شهادات وبالله على هذه القراة من صلة شهادات ولا يجوز ان
يكون من صلة شهادة لانك كنت تفصل بين الصلة والموصول بالخبر الذي هو اربع شهادات ٥
وقوله انه لمن الكاذبين في قول من نصب اربع شهادات يجوز ان يكون من صلة شهادة
وهي جملة في موضع نصب لان الشهادة اوقعها موقع المفعول وعند من رفع اربع شهادات
فقوله انه لمن الكاذبين من صلة شهادات لعلة الفصل المتقدمة في قوله بالله وقرا حفص
عن عاصم والخامسة بالنصب في الثانية وقراها بالنصب فيهما طلحة بن مصرف وابو عبد الرحمن
والحسن والاعمش وقرا الجمهور فيهما والخامسة بالرفع فاما من نصب فان كان من قرا انه نصب
شهادات فانه عطف الخامسة على ذلك لانها من الشهادات وان نصبوا بالرفع فانه جعل نصب
قوله والخامسة على فعل يدل عليه متقدم الكلام تقديره ويشهد الخامسة فان كان يقرا
اربع بالرفع فقوله والخامسة عطف على ذلك وان كان يقرا اربع بالنصب فانه حمل قوله
والخامسة على المعنى لان معنى قوله فشهادة احدهم اربع شهادات عليهم اربع شهادات والخا[مسة]
واستشهد ابو علي لهذا بحمل الشاعر قوله ٥ ومشجج اما سواد قذاله ٥ البيت على
قوله ٥ الا رواكد جمرهن هباء ٥ لان المعنى ثم رواكد ولا خلاف في السبع في رفع قوله
والخامسة في الاولى واما خلاف السبع في الثانية فقط فنصبه حملا على قوله ان تشهد اربع
والخامسة على القطع والحمل على المعنى وقرا نافع وحده ان لعنة الله وان غضب الله
وقرا الاعرج والحسن وقتادة وابو رجا وعيسى ان لعنة الله وان غضب الله وهذا على
اضمار الامر وهي الخفيفة كما هي في قول الشاعر ٥ في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك
كل من يحفى وينتعل ٥ .. وقرا باقي السبعة بتشديد ان فيهما ونصب اللعنة ورجح الاخفش
تثقيل النون لان الخفيفة انما اراد بها الثقيلة ويضمر معها الامر والشان ولا يحتاج معه الى

اضمار

اضمار اولى لا سيما وان الخفيفة على قراة نافع في قوله ان غضب الله قد وليها الفعل قال
ابو علي واهل العربية يستقبحون ان يليها الفعل الا ان يفصل بينها وبينه بشي نحو قوله علم
ان سيكون وقوله افلا يرون الا يرجع اليهم واما قوله وان ليس للانسان فذلك لقلة تمكن ليس
في الافعال واما قوله ان بورك من في النار فبورك على معنى الدعا فلم يجز دخول الفواصل
لئلا يفسد المعنى والعذاب المدرا في قول جمهور العلما الحد وحكى الطبري عن الحسن انه الحبس وهو
قول اصحاب الراي وانه لا حد عليها ان لم تلاعن وليس يوجبه عليها قول الزوج وظاهر حديث
الموقفة في الخامسة حتى تلكات ثم مرت في لعانها انها كانت تحد لقول النبي عليه السلام
لها فعذاب الدنيا ايسر من عذاب الاخرة وجعلت اللعنة للرجل الكاذب لانه مفتر مباهت
بالقول فابعد باللعنة وجعل الغضب الذي هو اشد على المراة التي باشرت المعصية بالفعل ثم
كذبت وباهتت بالقول هذا معنى هذه الالفاظ والله اعلم ولا بد ان نذكر في تفسير الاية ما
يتعلق بها من مسايل اللعان اذ لا يستغنى عنها في معرفة حكمه وحيث يجب اجمع مالك واصحابه
على وجوب اللعان بادعا الروية زنا لا وطي بعده من الزوج وذلك مشهور المذهب وقول مالك
اللعان يجب بنفي حمل يدعي قبله استبرا وحكى اللخمي عن مالك انه قال مرة لا ينفي الولد الا بالاستبرا الذي
للحمل الذي على الحمل وقاله اشهب في كتاب ابن المواز وقاله المغيرة وقال لا ينفي الولد الا بخمس سنين واختلف
المذهب في ان يقذف الرجل وينفي الولد حملا ولا يعلل ذلك لا برؤية ولا باستبرا فحمل رواية مالك على ان
ذلك لا يوجب لعانا بل يحد الزوج وهي رواية ابن القاسم وروي عنه ايضا انه قال يلاعن ولا يسال عن شي
واختلف بعد القول باللعان بالاستبرا فقال مالك والمغيرة في احد قوليه يجزي حيضة وقال مالك ايضا
لا ينفيه الا ثلاث حيض واما موضع اللعان ففي المسجد وعند الحاكم والمستحب ان يكون في المسجد
بحضرة الحاكم وكذلك يستحب بعد العصر تغليظا بالوقت وكل وقت مجزي ومن قذف امراته وهي
كبيرة لا تحمل تلاعنا وهو لدفع الحد وهي لدرء العذاب وان كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد
ولم تلاعن هي لانها لو اقرت لم يلزمها شي وقال ابن الماجشون لا حد على قاذف من لم تبلغ قال اللخمي فعلى
هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي لا تحمل والمستحب من الالفاظ ان تمشي مع ترتيب القران ولفظه
فيقول الزوج اشهد بالله لرايت هذه المراة تزني وانني في ذلك لمن الصادقين ثم يقول في الخامسة لعنة الله

ان كنت من الكاذبين ولا بد ان يقول كالمرود في المكحلة وقيل لا يلزمه ذلك ولكن يقول
اشهد بالله الذي لا اله الا هو واني في لعاني هذا لصادق يقول الرجل ما هذا
الولد مني ولزنت وقال ابن القاسم في الموازية لا يقول ولزنت من حيث يمكن ان تغصب
وتقول المراة اشهد بالله ما زنيت وانه في ذلك لمن الكاذبين ثم تقول في الخامسة غضب الله
علي ان كان من الصادقين فان منع جملتها من ترتيب هذه الالفاظ واتيا بمعناها اجزا
وحكى اللخمي عن محمد بن ابي صفرة انه قال اللعان لا يرفع العصمة لقول عويمر كذبت عليها ان
امسكتها قال فحدث طلاقا ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة
ولا يحتاج معه الى تفريق حاكم وابن ابي صفرة هذا ليس بعودي براجم به الجمهور ومذهب الشافعي ان
الفرقة حاصلة اثر لعان الزوج وحده وقال ابو حنيفة واصحابه لا تفريق الا بحكم السلطان
بعد تمام لعانهما بعد تمام لعانهما وقبل حكم القاضي ورثه الاخر ومذهب المدونة ان اللعان
حكم تفريقه حكم الطلاق ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق وفي مختصر ابن الجلاب لا شي لها وهذا
على ان تفريق اللعان فسخ وقال ابن القصار تفريق اللعان عندنا فسخ ويحرم اللعان ابدا
باجماع فيما احفظ من مذهب مالك ومن فقهاء الكوفة من لا يراه متابدا وان اكذب نفسه بعد
اللعان لم ينتفع بذلك وروي عن عبد العزيز بن ابي سلمة انه اذا اكذب نفسه بعد اللعان كان خاطبا
من الخطاب وان تقدمت المراة في اللعان فقال ابن القاسم لا تعيد وقال اشهب تعيد
والجواب في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكشف الزناة [illegible] لاخذهم بعذاب
من عنده ونحو هذا من المعاني التي اوجب تقديرها ابهام الجواب قوله ان الذين جاءوا بالافك
هذه الاية وما بعدها الى ست عشرة اية نزلت في عايشة وما اتصل بذلك من امر الافك وفي البخاري
في غزوة بني المصطلق عن عايشة قالت وانزل الله العشر الايات ثم انزل ما في عقب براتي وكانها
عدت ما يختص بها والافك الزور والكذب والافاك الكذاب والافك قلب الحقيقة
عن حالها بالاقوال وصرفها عن جهة الصواب وبذلك سمي الكذب واختصار حديث الافك
ان النبي عليه السلام خرج بعايشة معه في غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع قال
ابن اسحق وكانت سنة ست وقال موسى بن عقبة كانت سنة اربع فضاع لها عقد

فلما انصرف الى الرحل شعرت بضياعه فرجعت تطلبه وسار الناس حينئذ فوجدته
وانصرفت فلم تجد احدا وكانت شابة قليلة اللحم فرفع الرجال هودجها ولم يشعروا
بزوالها منه فلما لم تجد احدا اضطجعت في مكانها رجاء ان تفتقد فيرجع اليها فنامت
في الموضع فلم يوقظها الا قول صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه راجعون وذلك انه
كان تخلف وراء الجيش لحفظ الساقة وقيل انعقا فلما مر بسوادها ثوب منها
نفرتها فاسترجع وقال ظعينة رسول الله خلفت ها هنا ونزل عن ناقته وتنحى
عنها حتى ركبت عايشة واخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نحر الظهيرة فوقع اهل
الافك في مقالتهم وكان الذي يجتمع اليه فيه ويستوشيه ويشعله عبد الله بن ابي بن
سلول المنافق وكان من قاله حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش هذا
اختصار الحديث وهو بكماله واتقانه في البخاري ومسلم وهو في مسلم اكمل وكان صفوان
صاحب ساقة رسول الله في غزواته لشجاعته وكان من خيار الصحابة قال لما سمع ما قال
الناس سبحان الله والله ما كشفت كنف انثى قط اراد زنا ويدل على ذلك حديثه المروي
مع امراته وقول النبي عليه السلام في ابنيه لهما اشبه به من الغراب بالغراب وقيل كان
حصورا لا ياتي النسا ذكره ابن اسحق من طريق عايشة وقتل شهيدا في غزوة ارمينية سنة
تسع عشرة في زمان عمر وقيل ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمن معوية عصبة
رفع على البدل من الضمير في جاءوا وخبر ان في قوله لا تحسبوه والتقدير ان فعل الذين
وهذا انسق في المعنى واكثر فايدة من ان يكون عصبة خبر ان والعصبة الجماعة من العشرة
الى الاربعين قاله يعقوب وغيره ولا يقال عصبة لاقل من عشرة ولم يسم من اهل الافك الا حسان
ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الغير قاله عروة بن الزبير وقد سأله عن ذلك عبد الملك بن
مروان وقال الا انهم كانوا عصبة كما قال الله لا تحسبوه خطاب لكل من ساءه من المومنين
وقوله بل هو خير لكم يريد انه تبرية الدنيا وترفيع من الله في ان نزل وحيه بالبراءة من ذلك
واجر جزيل في الاخرة وموعظة للمومنين في غابر الزمن ونقمة من المفترين في الدنيا والاخرة
فوق ذلك شيا وخبر وهذه خمسة اوجه والضمير في قوله منهم عايد على العصبة المذكورة

وقوله

مما اكتسب مستعملة في المآثم ونحوها لانها تدل على اعتمال وقصد وهو ابلغ في التذنيب وكسب
مستعمل في الخير وذلك ان حصوله مغن عن الدلالة على اعتمال فيه وقد يستعمل كسب في الوجهين
ومثاله ٥ فحملت برة واحتملت فجار ٥ والاشارة بقوله والذي تولى كبره الى عبد الله
بن ابي والعذاب المتوعد هو عذاب الاخرة هذا قول الجمهور وهو ظاهر الحديث وروي
عن عايشة ان حسان دخل عندها يوما وقد عمي فانشدها مدحة فيها ٥
٥ حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ٥ فقالت له عايشة
لكنك لست كذلك تريد انه وقع في الغوافل فانشد ٥ ... ٥
٥ فان كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي الي اناملي ٥ فلما خرج قال لها مسروق
ايدخل هذا عليك وقد قال ما قال وتوعده الله بالعذاب على توليه كبر الافك فقالت
واي عذاب اشد من العمى وضرب الحد وفي بعض الروايات وضربه السيف فاما قولها عن
الحد فان حسان ومسطحا وحمنة حدوا ذكر ذلك ابن اسحق وذكره الترمذي واما ضربه
السيف فان صفوان بن المعطل لما بلغه قول حسان في الافك جرده بالسيف ضربه على راسه
وقال ٥ تلق ذباب السيف عني فانني غلام اذا هوجيت لست بشاعر ٥
فاخذ جماعة صفوان ولببوه وجاوا به رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فاهدر جرح
حسان واستوهبه اياه وهذا يقتضي ان حسان ممن تولى الكبر وقال قوم الاشارة بالذي الى
البادي بالفرية والذي اختلقها ولكل احد منهم ما اكتسب وللبادي المفتري عذاب عظيم
وهو على هذا غير متعين وهذا قول الضحاك والحسن وقال ابن زيد وغيره هو عبد الله بن ابي
وقرا جمهور الناس كبره بكسر الكاف وقرا حميد الاعرج ويعقوب والزهري وابو رجاء
والاعمش وابن ابي عبلة بضمها وهما مصدران من كبر الشي وعظم ولكن استعملت العرب
ضم الكاف في السن تقول هذا كبر القوم اي كبيرهم سنا او مكانة ومنه قوله في قصة حويصة
ومحيصة الكبر الكبر ومن استعماله بمعنى الثاني قول ... ابن الخطيم ٥
٥ تنام عن كبر شانها فاذا قامت رويدا تكاد تنقصف ٥ قوله لولا اذ سمعتموه الاية
الخطاب بها لجميع المومنين حاشا من تولى الكبر ويحتمل دخولهم في الخطاب وفي هذا عتاب

المومنين اي كان الانكار واجبا عليهم والمعنى انه كان ينبغي ان يقيس فضلاء المومنين والمومنات
الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد فيهم وكانوا يقضون بانه في صفوان وعايشة ابعد لفضلهما
وروي ان هذا النظر السديد وقع من ابي ايوب الانصاري وامراته وذلك انه دخل عليها فقالت
له يا ابا ايوب اسمعت ما قيل فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك قالت
لا والله قال فعايشة والله افضل منك قالت ام ايوب نعم فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاب الله
المومنين اذ لم يفعله جميعهم والضمير في قوله جاو الاولئك الذين تولوا الكبر واذ كانوا عند الله
كذبة فهو الحقيقة فيهم وعندهم هذا حدوا ولم يرو في شهير الدواوين ان عبد الله بن ابي حد وسببه
ان ذلك لم يقم عليه بالمقالة بينة لنفاقه وتستره وانما كان يخوض فيه مع من يثق به ولا يباشر
عن شهادة ولذا قال عروة في البخاري اخبرت انه كان يقره ويستمعه ويستوشيه ع النبي
استعذر منه على المنبر ووقته بالقول ووقع في امره بين الاوس والخزرج ما هو مسطور في مسلم
في جملة حديث الافك قوله ولولا فضل الله الاية عتاب من الله بليغ ذكر ان الحال التي وقع
فيها جميعهم من تعاطيهم الحديث ولم يكن المخبر والمخبر مصدقين ولكن نفس التعاطي والتلقي من
لسان الى لسان والافاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه وقرا محمد بن السميفع تلقونه
بضم التا وسكون اللام وضم القاف من الالقا وهذه قراة بينة وقرا ابي بن كعب وابن مسعود اذ
تتلقونه من التلقي بتاين وقرا جمهور السبعة بحذف التا الواحدة واظهار الذال دون ادغام وهو
ايضا من التلقي وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام الذال في التا وقرا ابن كثير باظهار الذال وادغام
التا في التا وهذه قراة قلقة لانها تقتضي اجتماع ساكنين وليست كالادغام في قراة من قرا فلا تناجوا
ولا تنابزوا لان دونه الالف الساكنة وكونها حرف لين حسنت هنالك ما لا تحسن مع سكون الدال
وقرا ابن يعمر وعايشة وهي اعلم الناس بهذا الامر بفتح التا وكسر اللام وضم القاف ومعناها
من قول العرب ولق الرجل ولقا اذا كذب قال ابن سيده في المحكم وقري اذ تلقونه وحكى اهل اللغة انها
من ولق اذا كذب فجاوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي وعندي انه اراد اذ تلقون فيه فحذف
الحرف ووصل الفعل بالضمير وحكى الطبري وغيره ان هذه اللفظة ماخوذة من الولق الذي هو اسراع بالشي
بعد الشي كعدو في اثر عدو وكلام في اثر كلام يقال ولق في سيره اذا اسرع ومنه قوله

الشاعر جاءت به عنس من الشام تلتق ۞ وقوله وتقولون بافواهكم مبالغة
والزام وتاكيد والضمير في قوله وتحسبونه للحديث والخوض فيه والاذاعة له قوله ولولا اذ سمعتموه
الاية عتاب لجميع المومنين اي كان ينبغي لكم ان تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية
وان تنزهوا الله عن ان يقع هذا من زوج نبيه عليه السلام وان تحكموا على هذه المقالة بانها بهتان
وحقيقة البهتان ان يقال في الانسان ما ليس فيه والغيبة ان يقال فيه ما فيه ثم وعظهم في
العودة الى مثل هذه الحالة وان مفعول من اجله بتقدير كراهية ونحوه قوله ان كنتم مومنين
توقيف وتاكيد كما تقول ينبغي لك ان تفعل كذا وكذا ان كنت رجلا وسائر الاية بين وعليم حكيم صفتان
تقتضيهما الاية قوله ان الذين يحبون الاية قال مجاهد وابن زيد الاشارة بها الى المنافقين عبد الله
بن ابي ومن اشبهه وهي خاصة في امر عائشة فحبهم شياع الفاحشة في المومنين متمكن على وجه
لعداوتهم في اهل الايمان وعذابهم الاليم في الدنيا والاخرة الحدود والنار وقالت فرقة وقولها
الاظهر الاية عامة في كل قاذف منافقا كان او مومنا فالقاذف المومن لا يقصد بحب شياع
الفاحشة في المومنين جملة لكنه يحبها للمقذوف وكذلك الاخر للمقذوفة واخرجه يحب شيع الفاحشة
من مجموع فعلهم فهم لها يحبون بهذا الوجه من حيث احب كل احد جزءا من شياعها والعذاب الاليم
في الدنيا الحدود وفي الاخرة العذاب الاليم يحتمل وجهين احدهما ان يكون القاذف متوعدا من بين
العصاة بعذاب في الاخرة لا يزيله الحد في الدنيا حسب مقتضى حديث عبادة بن الصامت ويكون
امره كامر المحاربين اذا صلبوا لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب والوجه الثاني ان يحكم بان الحد
يسقط عذاب الاخرة حسب حديث عبادة وان قوله والاخرة لا يريد به عموم القذفة بل يريد اما
المنافقين واما من لم يحد وقال الطبري معناه ان من مات مصرا غير تائب قوله والله يعلم معناه
البري من المذنب وسائر الامور ووجه الحكمة في سترهم والتغليظ في الوعيد والعذاب على قاذفهم
وقوله ولولا فضل الله الاية الجواب محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره لفضحكم بذنوبكم ولم
يسترهم ولعذبكم بما افضتم فيه من قول الباطل والبهتان قوله يا ايها الذين امنوا خطاب
لجميع المومنين وخطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي وكان المعنى لا تمشوا في
سبله وطرقه من الافعال الخبيثة وقال منذر بن سعيد يجوز ان يكون خطوات جمع خطي

من الخطيئة وتسلبه الحرمة ونطق به خطوات وقرا بضم الطاء الجمهور وسكنها عاصم
والاعمش وقرا الجمهور ما زكا بتخفيف الكاف اي ما اهتدى ولا اسلم ولا عرف رشدا وقرا ابو حيوة
والحسن زكا بتشديد الكاف اي ان تزكيته لكم وهدايته وتطهيره انما هي بفضله لا باعمالكم
وتحفظكم من المعاصي ثم ذكر انه يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح امارة
على سبق السعادة له ثم اخبر بانه سميع لاقوالهم وكلامهم من قذف وغيره عليم بحق ذلك من
باطله ولا يجوز عليه في ذلك وهم ولا غلط قوله ولا ياتل الاية المشهور من الروايات
انها نزلت في قصة ابي بكر الصديق ومسطح بن اثاثة وذلك انه كان ابن بنت خالته وكان
من المهاجرين المساكين وهو مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه
عوف ومسطح لقب وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع امر الافك وقال فيه مسطح
ما قال حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة ابدا فجاء مسطح فاعتذر وقال انما كنت
اغشى مجلس حسان فاسمع ولا اقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على
يمينه فنزلت الاية وقال الضحاك وابن عباس ان جماعة من المومنين قطعوا منافعهم عن كل
من قال في الافك وقالوا والله لا نصل من تكلم في شان عائشة فنزلت الاية في جميعهم والاول اصح
غير ان الاية تتناول الامة الى يوم القيامة بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ان لا ينفع من هذه
صفته غابر الدهر ورأى الفقهاء ان من حلف ان لا يفعل سنة من السنن او مندوبا وابد ذلك انها
جرحة في شهادته ذكره الباجي في المنتقى ومنه قوله عليه السلام ابغض المتالي على الله لا يفعل المعروف
ويأتل معناه يحلف ووزنها يفتعل من الالية وهي اليمين وقالت فرقة معناه يقصر من قولك الوت
في كذا اذا قصرت فيه ومنه قوله لا يالونكم خبالا وقرا ابو جعفر بن القعقاع وزيد بن اسلم ولا يتال
وهذا وزنه يتفعل من الالية بلا خلاف وهي في المصحف باللام فذلك شاع هذا الخلاف لابي جعفر
وزيد بن اسلم ورواه وذكر الطبري ان خط المصحف كقراءة الجمهور فظاهر قوله اولوا الفضل
والسعة هنا في المال قوله الا تحبون الاية تمثيل وحجة اي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم
فكذلك اغفروا لمن دونكم وينظر الى هذا المعنى قول النبي عليه السلام من لا يرحم لا يرحم وروي ان ابا
بكر لما نزلت هذه الاية قال اني لاحب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح النفقة والاحسان الذي كان

عري عليه قالت عايشه وكفر عن عينه وقرا ابن مسعود وسفين بن حسين ولتعفوا ولتصفحوا
بالتاء فيهما وروي عن النبي عليه السلام وقال بعض الناس هذه ارجى اية في كتاب الله من حيث
لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللطف ع وانما تعطي الايه تفضلا من الله في الدنيا وانما الرجا
في الاخرة اما ان الرجا في هذه الايه بقياس اي اذا امر اولي السعه بالعفو فيطرد هذا التفضل
لسعة رحمته وانما ايات الرجا قوله يا عبادي الذين اسرفوا الايات وقوله الله لطيف بعباده
سمعت ابي يقول ارجى ايه في كتاب الله عندي قوله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال
في اخرى في روضات الجنات لهم ما يشاؤن الايه فشرح الفضل الكبير في هذه وبشر به المومنين في تلك
وقال بعضهم ارجى ايه في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وذلك ان النبي عليه السلام لا يرضى
من امته في النار قوله ان الذين يرمون الايه قال سعيد بن جبير انها مقصوره وتضمنت لعن القاذف
وتوعده الشديد خاصه في عايشه وازواج النبي وقال ابن عباس والضحاك وغيرهما بل بجميع ازواج
النبي غلظ الله امر رميهن لمكانهن من الدين فلعن قاذفهن ولم يقرن باخر الايه توبه وقال جماعه
من العلما بل هي في شان عايشه الا انه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفه ثم نزلت بعد ذلك الايه
التي في صدر السورة وفيها التوبه وقد تقدم معنى المحصنات واللعنة في هذه الايه الابعاد
وضرب الحد واستيحاش المومنين منهم وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبه العداله وعلى قول من قال
ان هذه الايه خاصة لعايشه تترتب هذه الشدايد في شان عبد الله بن ابي واشباهه وهي فيمن
رمى المحصنه وكي صفها من رمي الرجال معها وقد يكون يومئذ والعامل في قوله يوم مضمر تقتضيه
العذاب اي يعذبون يومه يوم او نحو هذا واخبر الله تعالى ان جوارحهم تشهد عليهم وذلك اعظم
للخزي والتنكيل فتشهد اللسان وقلب المنافق لا يريد ما تشهد به وتشهد الايدي والارجل
كلاما يقدره الله عليها وقرا جمهور السبعه تشهد بالتا من فوق وقرا حمزة والكسائي باليا من تحت
والدين الجزا قال الشاعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اي
جازيناهم كما فعلوا ومنه المثل كما تدين تدان وقرا جمهور الناس الحق بالنصب صفه للدين
قاله على الصفه لله وفي مصحف ابي وابن مسعود يوفيهم الله الحق دينهم بتقديم الصفه
الموصوفه ويروى عن النبي عليه السلام قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين قوله من ذهب الي انها في

لا يوصي بقا احد
من
دمي ؟

المنافقين بان عبد الله بن ابي وغيره وذلك ان كل مومن في الدنيا يعلم ان الله هو الحق المبين والا فليس بمومن
قوله الخبيثات للخبيثين اختلف المفسرون في الموصوف بالخبث والطيب في هذه الايه فقال
ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتاده في الاقوال والافعال وقال بعض هذه الجماعه المعنى الكلمات
والفعلات الخبيثات لا يقولها ويرضاها الا الخبيثون من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه وكذلك
الطيبات للطيبين وقال بعضهم المعنى الكلمات والفعلات الخبيثات لا تليق وتلصق عند رمي
القاذف وفرق القاذف الا بالخبيثين من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه وقال ابن زيد الموصوف
بالخبث والطيب النسا والرجال وانما الايه على نحو ما تقدم من قوله الزاني لا ينكح الايه فمعنى هذه
التفريق بين حكم عبد الله بن ابي واشباهه وبين حكم النبي عليه السلام وفضلا اصحابه وامته اي ان
النبي طيب فلم يجعل الله له الا كل طيبه واوليك خبيثون فهم اهل النسا الخبايث وفي هذه الايه قيل
لازواج النبي الطيبات المبرات قوله اوليك اشارة الى الطيبين المذكورين في الايه وقال
النقاش الاشارة الى صفوان وعايشه وجمعهم في الضمير على حد قوله فان كان له اخوه والمراد
اخوان وفي هذا التمثيل نظر اذ المعاني تتقدر بالمراد والضمير في يقولون فيما ملهم وعدهم
بالمغفرة عند الحساب والرزق الكريم في الدنيا وفي الجنه قوله يا ايها الذين امنوا الايه سببها
فيما ذكر الطبري مسندا عن عدي بن ثابت ان امراة من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون في منزلي
على الحال احب ان لا يراني احد عليها اصلا لا والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي
وانا على تلك الحال فنزلت ثم هي عامه في الامه غابر الدهر من حيث هذه النازلة تعم جل الحدود
في نسبه وبيت الانسان هو البيت الذي لا احد معه فيه اذا البيت الذي فيه زوجه او امته
وما عداهما فهو غير بيته قال ابن مسعود وغيره وينبغي للانسان ان لا يدخل البيت الذي فيه امه
الا بعد الاستيذان وروي في ذلك حديث يروى ان رجلا قال يا رسول الله واستاذن على امي قال
نعم قال انما هي ولا خادم لها غيري قال احب ان تراها عريانه قال لا قال فاستاذن عليها وكذلك
كل ذات محرم منه لانه لا ينبغي ان يراهن عريانات قالت زينب امراة ابن مسعود كان اذا جا منزله
تنحنح مخافة ان يهجم على ما يكره وتستانسوا اي تستعلموا من في البيت وتستبصروا تقول انست اذا
علمت عن حس واذا ابصرت ومنه قوله تعالى انستم منهم رشدا وقال انست نارا وقول

حتى تستانسوا انظر خليلي بباب جلق هل تونس دون البلقا من احد وقول
الحرث انست نباه البيت ووزن انس افعل واستانس وزنه استفعل فكان المعنى
فيما تطلبوا ما يونسكم ويونس اهل البيت منكم واذا طلب الانسان ان يعلم امر البيت الذى
يريد دخوله فذلك يكون بالاستيذان على من فيه او بان يتنحنح ويشعر بنفسه باى وجه امكنه ويتانى
قدر ما يحفظ ويدخل اثر ذلك وذهب الطبري في تستانسوا الى انه بمعنى تونسوا اهل البيت من
انفسكم بالتنحنح والاستيذان ونحوه وتونسوا انفسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم وتصريف الفعل
يابى ان يكون من انس وقال الطبري كان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا وهي قراة ابي وذكرها
ابو حاتم قال ابن عباس تستانسوا خطا او وهم من الكاتب في مصاحف الاسلام كلها تستانسوا
والاجماع عليها من لدن عثمان فلا يجوز خلافها وقراة تستاذنوا ضعيفة واطلاق الخطا والوهم
على الكاتب فيما اجمع عليه الصحابة لا يجوز يصح عن ابن عباس والاشبه ان كان قرا تستاذنوا على
التفسير وظاهر ما حكى الطبري انها قراة برواية ولكن قد روي عن ابن عباس تستانسوا وانها
متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي عليه السلام استانس يا رسول الله وعمر
واقف على باب الغرفة والحديث مشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس بالنبي فكيف يخطي ابن عباس
الصحابة في مثل هذا وحكى الطبري ايضا مسندا عن ابن جريج عن ابن عباس وعكرمة والحسن انهم
قالوا نسخ واستثني من هذه الاية الاولى قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
الاية وهذا ايضا لا يترتب فيه نسخ ولا استثنا لان الاية الاولى في البيوت المسكونة والمقصودة والاية
الثانية في المباحة وان كان من ذهب الى الاستثنا راى الاولى عامة وصورة الاستيذان ان يقول
الرجل السلام عليكم اادخل فان اذن له دخل وان امر بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن
ثلاثا ثم ينصرف بعدهن ودليل ذلك ما روى الطبري ان رجلا جا النبي عليه السلام فقال االج
او انلج فقال النبي عليه السلام لامة له قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل
فقالها فقال له ادخل وروي ان ابن عمر اذته الرمضا يوما فاتى فسطاط امراة من قريش فقال
السلام عليكم اادخل فقالت المراة ادخل بسلام فاعاد فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت ذلك
فدخل كانه توقف لما قالت بسلام لاحتمال اللفظ ان تريد ادخل بسلامك لا بشخصك ثم لكل قوم

الاستيذان عرفهم في العبارة واما الرجوع بعد الاستيذان ثلثا فلحديث ابي موسى الاشعري الذي
استعمله مع عمر واستشهد له بابي سعيد الخدري ثم ابي بن كعب وهو مشهور قال عطا بن ابي رباح
الاستيذان واجب على كل محتلم وسبائي وروى ابو هريرة انه قال عليه السلام رسول الرجل اذنه
اي اذا ارسل اليه فقد اذن له في الدخول قوله خير لكم تم الكلام قوله لعلكم تذكرون
معناه فعلنا ذلك بكم وبيناه لكم لعلكم تذكرون والضمير في تجدوا فيها للبيوت التي هي بيوت الغير وحكى
الطبري عن مجاهد ان المعنى ان لم يكن فيها متاع وضعف هذا التاويل وهو كما قال وكانه راى
ان البيوت المسكونة انما تدخل دون اذن اذا كان فيها للداخل متاع وراى لفظة المتاع متاع
البيت الذي هو البسط والثياب وهذا كله ضعيف واسند الطبري عن قتادة قال الرجل المهاجري
لقد طلبت عمري كله هذه الاية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا
مغتبط لقوله تعالى هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول
على غفلة للمعاصي والنظر الى ما لا يحل ولغيرهم ممن يقع في محظور قوله ليس عليكم جناح الاية
روي ان بعض الناس لما نزلت اية الاستيذان تعمق في الامر فكان لا ياتي موضعا خربا ولا مسكونا الا
سلم واستاذن فنزلت هذه الاية مبيحة رفع الاستيذان في كل بيت لا يسكنه احد لان العلة في
الاستيذان انما هي لاجل خوف الكشفة على الحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم ومثل اهل التاويل من هذه
البيوت امثلة فقال ابن الحنفية ومجاهد وقتادة هي الفنادق التي في طرق السفار قال
مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة لياوي اليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم اي استمتاع بمنفعتها
ومثل عطا بالخرب التي يدخلها الانسان للبول والغايط ففيها ايضا متاع وقال ابن زيد والشعبي
هي حوانيت القيساريات والاسواق قال الشعبي لانهم جاوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس
هلم وهذا قول غلط قايله لفظ المتاع وذلك ان بيوت القيساريات محظورة باموال الناس
غير مباحة لكل من اراد دخولها باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل اربابها موكلون بدفع الناس
وقال محمد بن الحنفية ايضا اراد تعالى دور مكة وهذا على القول بانها غير متملكة وان الناس شركا
فيها وان مكة فتحت عنوة وهذا القول هنا ضعيف يرده قوله عليه السلام وهل ترك لنا عقيل
من دار وقوله من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن دخل داره فهو امن وعن ذلك من وجوه النظر

وباقي الاية بين ظاهره التوعد قوله قل للمومنين الاية بمنزلة قوله انهم فقوله يغضوا
جواب الامر وقال المازني المعنى قل لهم غضوا يغضوا وفي هذه من الاعتراض ان الجواب
خبر من الله وقد يوجد من لا يغض وينفصل بان المراد بالمومنين في حكم من يغض قوله من ابصارهم
اظهر ما في من ان يكون للتبعيض وذلك ان اول نظرة لا يملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك
فقد وقع التبعيض ويويد هذا التاويل ما روي من قوله عليه السلم لعلي لا تتبع النظرة النظرة فان
لك الاولى وليست لك الثانية الحديث وقال جرير بن عبد الله سالت النبي عليه السلم عن نظرة
الفجاة فقال اصرف بصرك ويصح ان يكون من لبيان الجنس ويصح ان تكون لابتدا الغاية والبصر
هو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق الحواس اليه وبحسب ذلك كثر السقط من جهته ووجب
التحذير منه وحفظ الفروج يحتمل ان يريد في الزنا ويحتمل ان يريد في ستر العورة والاظهر ان الجميع
مراد واللفظ عام وبهذه الاية حرم العلما دخول الحمام بغير ميزر وقال ابو العالية كل فرج ذكر
في القران فهو من الزنا الا في هاتين الايتين فانه يعني التستر ولا وجه عندي لهذا التخصيص وباقي الاية
بين وظاهره التوعد وقل للمومنات الاية امر الله النسا فيها بغض البصر عن كل ما يكره من
جهة الشرع النظر اليه وقالت ام سلمة كنت انا وعايشة عند النبي عليه السلم فدخل ابن ام مكتوم
فقال عليه السلم احتجبن فقلنا انه اعمى قال افعميا وان انتما ومن يحتمل ما تقدم في الاول
وحفظ الفروج يعم الفواحش والستر وما دون ذلك مما فيه حفظ وامر الله بان لا يبدين
زينتهن للناظرين الا ما استثناه من الناظرين في باقي الاية ثم استثنى ما يظهر من الزينة فقال ابن
مسعود هو الثياب وقال ابن جبير الوجه والثياب وقال ايضا وعطا والاوزاعي
الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة هو الكحل والسواك
والخضاب الى نصف الذراع والقرط ونحو هذا مما يباح ان تبديه المراة لكل من دخل عليها
من الناس وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا نبويا وذكر اخر عن عايشه
عن النبي عليه السلم ويظهر لي بحكم الفاظ الاية ان المراة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد في
الاخفا لكل ما هو زينة ووقع الاستثنا في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه او
صلاح شان ونحوه فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه فغالب الامر ان الوجه بما فيه والكفين

يكون منها الظهور وهو الظاهر في الصلاة ويحسن بالحسنا الوجه ان تستره الا من ذي حرمة
محرمة ويحتمل لفظ الاية ان الظاهر من الزينة لها ان تبديه ولكن يقوي ما قلناه الاحتياط ومراعاة
فساد الناس فلا يظن ان يباح للنسا من ابدا الزينة الا ما كان بتلك الوجه وقرا الجمهور
وليضربن بسكون لام الامر وقرا ابو عمرو في رواية ابن عياش بكسر اللام على الاصل بلام الامر في لغة
وليضرب وانما سكنها كتسكين عضد وكتف وسبب هذه الاية ان النسا كن في ذلك الزمان اذا غطين
رؤوسهن بالاخمرة سدلنها من ورا الظهر قال النقاش كما يصنع النبط فيبقى النحر والعنق والاذان
لا ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار وهو على الجيوب فيستر جميع ما ذكرناه وقالت عايشه
رحم الله المهاجرات الاول لما نزلت هذه الاية عمدن الى اكثف المروط فشققنها اخمرة وضربن بها
على الجيوب ودخلت على عايشه حفصه بنت اخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشي يشف عن عنقها
وما هنالك فشقته عليها وقالت انما تضرب بالكثيف الذي يستر وشهور القرا ضم جيوبهن
وقرا بعض الكوفيين بكسرها بسبب اليا كالبيوت والشيوخ ذكره الزهراوي قوله تعالى ولا
يبدين زينتهن الا لبعولتهن المعنى لا يبدين بترك الاخفا للزينة كالخلخال والاقراط
ونحوه ويطرحن مونة التحفظ الا مع من سمى بدا بالبعولة وهم الازواج لان اطلاعهم يقع على
اعظم من هذا ثم ذوي المحارم وسوى بينهم في ابدا الزينة ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس
البشر فلا مرية ان كشف الاب والاخ على المراة احوط من كشف ولد زوجها وتختلف مراتب ما
يبدا لهم فيبدا للاب ما لا يجوز ابداوه لولد الزوج قوله تعالى او نسايهن يعني جميع النسا المومنات
كانه قال او صنفهن ويدخل في هذا الاما المومنات ويخرج منه نسا المشركين من اهل الذمة
يدخلن الحمام مع نسا المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فانه لا يجوز ان ترى الذمية عورة
المسلمة فقام ابو عبيدة عند ذلك وابتهل وقال ايما امراة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد الا ان تبيض
وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن يدخل فيه الاما الكتابيات
والعبيد عند جماعة من العلما وهو الظاهر من مذهب عايشه وام سلمة وقال ابن عباس وجماعه
من العلما لا يدخل العبد على سيدته فيرى شعرها ونحو ذلك الا ان يكون وغدا فمنعت هذه الفرقة
الكشف بملك اليمين واباحته بان يكون من التابعين غير اولي الاربة وفي بعض المصاحف ملكت ايمانكم

وغيرهم كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح انه بلغني ان نسا اهل الذمة من ...

فيدخل فيه هذا الغير قوله او التابعين غير اولي الاربة لم يطعموا الفضول من الرجال الذين
لا اربة لهم في الوطي فيما شرطان ويدخل في هذه الصفة المجبوب والمعتوه والمخنث والشيخ
الفاني والزمن الموقوذ بزمانته ونحو هذا وهو الغالب في هذه الاصناف ورب مخنث لا يشتهي ان
يكشف الا ترى الى حديث هيت ونهي رسول الله عن كشفه على النسا لما وصف بادنه ابنة
غيلان بن معتب وتامل ما يروى من اخبار الدلال ولهذا الحمقى والمعتوهون فيهم من يفطن لا يكشف
والذي لا اربة له من الرجال قليل والاربة الحاجة الى الوطي وعبر عن هذا بعض المفسرين فقال
هو الذي يتبعك لا يريد الا الطعام وما يوكله وقرا عاصم وابن عامر غير بالنصب قوله او
الطفل اسم جنس بمعنى الجميع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعوا بالوطي
والجمهور على سكون الواو من عورات وروي فتحها عن ابن عامر وقال الزجاج الاكثر سكونها
لعورات وبيضات لثقل الحركة على الواو والبا ومن قرا بالفتح فعلى الاصل والمعتاد في فعلة
وفعلات قوله ولا يضربن بارجلهن اسند الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال زعم حضرمي
ان امراة اتخذت برتين من فضة واتخذت جزعا فجعلت في ساقيها فمرت على القوم فضربت
برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الاية وسماع صوت هذه الزينة
اشد تحريكا للشهوة من ابدائها ذكره الزجاج ليس في كتاب الله اية اكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة
وعشرين ضميرا للمومنات من مخفوض ومرفوع وقرا ابن مسعود ليعلم ما سر من زينتهن ثم امر تعالى
بالتوبة مطلقة وقد قيد توبة الكفار بالاخلاص وبالانتها في اية اخرى وتوبة اهل الذمة بالتبيين
ويبيا لامر محمد عليه السلام وامر هذه التوبة مطلقة عامة من كل شي صغير وكبير وقرا الجمهور ايه
بفتح الها وقرا ابن عامر بضمها ووجهه ان يجعل الها كانها من نفس الكلمة فيكون اعراب المنادى
فيها وضعف ابو علي ذلك جدا وبعضهم يقف ايها بالالف وبنى ابو علي الوقف
بالالف لان علة حذفها في الوصل انما هي سكونها وسكون اللام فاذا كان الوقف ذهب العلة
فرجعت الالف كما ترجع اليا اذا وقفت على محلي من قوله غير محلي الصيد والاختلاف الذي ذكرناه
في ايه المومنين كذلك هو في ايه الساحر وايه الثقلان وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم
المخاطبة للكل من الامر ان يكون في ولايته ما تهم المامورون بتزويج من لا زوج له ومن لا زوجة له

وظاهر الاية ان المراة لا تتزوج الا بولي والايم يقال للرجل والمراة ومنه قول الشاعر
لله در بني على ايم منهم وناكح ولعموم هذه اللفظة قالت فرقة ان هذه الاية ناسخة لحكم قوله
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين قوله والصالحين يريد للنكاح
وقرا الحسن بن ابي الحسن من عبيدكم والمشهور على عبادكم والمعنى واحد الا ان قرينة الترفيع
بالنكاح يويد قراءة الجمهور عبادكم وهذا الامر بالانكاح يختلف بحسب شخص شخص ففي نازلة
يتصور وجوبه وفي نازلة الندب وغير ذلك وهذا احسن ما قيل في النكاح ثم وعد الله باغنا
الفقرا المتزوجين طلب رضى الله عنهم واعتصاما من معاصيه وقال ابن مسعود التمسوا الغنى
في النكاح وقال عمر عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح وقد قال الله ان يكونوا فقرا يغنهم الله من
فضله قال النقاش هذه الاية حجة على من قال ان القاضي يفرق بين الزوجين اذا كان الزوج فقيرا
لا يقدر على النفقة لان الله قال يغنهم ولم يقل يفرق بينهما وهذا انتزاع ضعيف وليس هذه الاية
حكما فيمن عجز عن النفقة وانما هي وعد بالاغنا كما قد وعد به مع التفرق ونفحات رحمة الله مامولة
في كل حال موعود بها وقوله واسع عليم صفتان نحو المعنى الذي فيه القول اي واسع الفضل
عليم بمستحق التوسعة والاغنا قوله وليستعفف وزنه استفعل ومعناه طلب ان يكون
عفيفا فامر الله بهذه الاية كل من يتعذر عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر ان يستعفف ثم لما
كان اغلب الموانع عن النكاح عدم المال وعد بالاغنا من فضله فعلى هذا التاويل يعم الامر
بالاستعفاف كل من تعذر عليه النكاح باي وجه تعذر وقال جماعة من المفسرين النكاح في
هذه الاية اسم ما يمهر وينفق في الزواج كاللحاف واللباس لما يلتحف به ويلبس وحملهم على هذا
قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا ان المامور بالاستعفاف انما هو من عدم المال الذي
يتزوج به ففي هذا القول تخصيص المامورين بالاستعفاف وذلك ضعيف ثم امر الله المومنين
ان يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك الكتابة وعلم سيده منه خيرا قال النقاش سببها ان
غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه الكتابة فابى عليه وقال مكي هو صبيح القبطي غلام حاطب
ابن بلتعة ولفظ الكتاب في الاية مصدر كالقتال والجلاد ونحوه من مصادر فاعل والمكاتبة
مفاعلة من حيث يكتب هذا على نفسه وهذا على نفسه واختلف الناس في هذا هل الامر بالكتابة على الوجوب

او حط الذنب وقال عطا ذلك واجب وهو ظاهر قول عمر لانس بن مالك في سبب حين سال سيرين الكتابه
فتلكا انس فقال له عمر كاتبه او لاضربنك بالدره وهو قول عمرو بن دينار واختلف الناس في المراد بالخير
فقالت فرقه هو المال ولم تر على سيد ان يكاتب الا اذا ان له مالا يودي منه او من الحرفه وروي عن
عمر وسلمان انهما ابيا من كتابة عبدين رغبا في الكتابه وعدما باستغنا الناس فقال كل واحد منهما
لعبده اتريد ان تطعمني اوساخ الناس وقال مالك انه يقال الخير القوه والادا وقال الحسن بن ابي الحسن
الخير هو صدق الموعد وقلة الكذب والوفا وان لم يكن للعبد مال وقال عبيده السلماني
الخير هو الصلاح في الدين وهذا في ضمنه القول الذي قبله والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم
وحرمة العتق انما يلتبس بها بعد الادا هذا قول جمهور الامه وقال ابن مسعود اذا ادى ثلث
الكتابه فهو عتيق غريم وقال علي بن ابي طالب العتاقه تجري فيه باول نجم يوديه قوله
وآتوهم قال المفسرون هو امر لكل مكاتب ان يضع للعبد من مال كتابته واستحسن علي بن ابي
طالب ان يكون ذلك ربع الكتابه قال الزهراوي روي ذلك عن النبي عليه السلم واستحسن الحسن
بن ابي الحسن وابن مسعود ثلثها وقال قتاده عشرها وقال عمر بن الخطاب ان يكون ذلك من
اول نجومه مبادرة الى الخير خوفا ان لا يدرك اخرها وراي مالك وغيره ان يكون الوضع من اخر
نجم وعلة ذلك انه اذا وضع من اول نجم ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه
وضيعته وهي شبه الصدقه وهذا قول عبد الله بن عمر وراي مالك هذا الامر على الندب ولم ير
لقدر الوضيعه حدا وراي الشافعي وغيره الوضيعه واجبه يحكم بها الحاكم على المكاتب وعلى ورثته
وقال الحسن والنخعي وبريده انما الخطاب بقوله وآتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا على المكاتبين
وان يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد بن اسلم انما الخطاب لولاة الامور بان يعطوا المكاتبين
من مال الصدقه حظهم وهو الذي تضمنه قوله وفي الرقاب قوله ولا تكرهوا فتياتكم الايه روي
ان سبب هذه الايه هو ان عبد الله بن ابي كانت له امة تسمى مسيكه وقيل معاذه وكان يامرها
بالزنا والكسب به فشكت ذلك الى النبي عليه السلام فنزلت الايه فيه وفيمن فعل فعله من
المنافقين وقوله ان اردن تحصنا راجع الى الفتيات وذلك ان الفتاه اذا ارادت التحصن
فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاه لا تريد

المتحصن

التحصن فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريده للزنا فهذا
امر في نادره وقبات حالهم هذه وذهب هذا النظر على كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان
اردن تحصنا راجع الى الايامى في الايه وقال بعضهم هذا الشرط في قوله ان اردن ملغى ونحو هذا مما ضعف
وعرض الحياة الدنيا في هذه الايه الشي الذي يكسبه الامه بفرجها ومعنى ما في الايه فان الله من بعد
اكراههن غفور لهن رحيم بهن وقد يتصور الغفران والرحمه في المكرهين بعد ان يقع التوبه من
ذلك فالمعنى غفور لمن تاب وقرا ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن جبير غفور رحيم زياده لهن عدد
تعالى على المومنين نعمته فيما انزل اليهم من الايات المنيرات وفيما ضرب لهم من امثال الماضين
من الامم ليقع التحفظ مما وقع اولئك فيه وفيما ذكر لهم من المواعظ وقرا جمهور الناس مبينات بفتح
اليا اي بينها الله واوضحها وقرا الحسن وطلحه وعاصم والاعمش بكسرها اي بينت الحق واوضحته
قوله الله نور السموات والارض النور في كلام العرب الاضوا المدركه بالبصر ويستعمل مجازا فيما صح
من المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير ومنه قول الشاعر ٥
٥ نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا ٥ والله ليس كمثله شي فتبين
انه ليس من الاضوا المدركه ولم يبق للايه معنى الا ان اراد الله نور السموات والارض اي به وبقدرته
انارت اضواوها واستقامت انوارها وقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للذهن كما
تقول الملك نور الامه اي به قوام امورها وصلاح جملتها ولامره في الملك مجار وهو في صفة الله حقيقه
محضه اذ هو الذي ابدع الموجودات وخلق العقل نورا هاديا لان ظهور الوجود به حصل
كما حصل بالضو ظهور المبصرات تبارك الله لا رب غيره وقالت فرقه التقدير الله ذو نور السموات
والارض قال ابن عباس المعنى الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني واصح مع
التامل وقرا عبد الله بن عياش بن ابي ربيعه وابو عبد الرحمن السلمي الله نور بفتح النون والواو
المشدده وفتح الرا على انه فعل وروي ان اليهود لما نزلت هذه الايه جسموا في تاويلها
واعترضوا محمدا بان قالوا كيف هو نور السموات والارض والسما بيننا وبينه فنزلت حينئذ
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الايه اي ليس الامر كما ظننتم وانما هو نور بانه قوام كل شي وخالقه
وموجده مثل نوره كذا وكذا واختلف المتاولون في الضمير في نوره على من يعود فقال كعب الاحبار

وابن جبير هو عايد على محمد عليه السلام اي مثل نور محمد وقال ابي بن كعب وابن جبير والضحاك
هو عايد على المومنين وفي قراءة ابي بن كعب مثل نور المومنين وروي ان في قراءته نور المومن وروي
ان فيها مثل نور من آمن به وقال الحسن هو عايد على القران والايمان قال مكي بن ابي طالب وعلى
هذه الاقوال يوقف على قوله والارض وهذه الاقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر
وفيها يقطع المعنى المراد بالاية وقالت فرقة الضمير في نوره عايد على الله ثم اختلفت هذه الفرقة
في المراد بالنور الذي اضيف الى الله تعالى اضافة خلق الى خالق كما تقول سما الله وناقة الله فقال بعضها
هو محمد وقال بعضها هو المومن وقال بعضها هو الايمان والقران وهذه الاقوال متجهة مطرد معها
المعنى فكان اليهود لما قالوا الله نور السموات والارض بمعنى الضوء قيل لهم ليس كذلك وانما هو
نور بانه قوام كل شي وهاديه مثل نوره في محمد او في المومن او في القران والايمان كمشكاة وهي
الكوة غير النافذة فيها القنديل ونحوه وهذه الاقوال الثلثة يطرد فيها مقابلة جزء من المثال
بجزء من الممثل فعلى قول من قال الممثل به محمد وهو قول كعب الحبر فرسول الله هو المشكاة او
صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة
هي الوحي والملائكة رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والحكمة التي تضمنها
قال ابي فهو على احسن الاحوال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات ومن
قال ان الممثل به القران والايمان فتقدير الكلام مثل نوره الذي هو الايمان في صدر
المومن في قلبه كمشكاة اي كهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاولين
لان المشكاة ليست تقابل الايمان وتحتمل الاية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من
الممثل به بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة وذلك ان يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه
صنعه كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه انتم على هذه
الصفة التي ابلغ صفات النور الذي بين ايدي الناس اي فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي
هو منتهاكم ايها البشر والمشكاة الكوة في الحائط غير النافذة قاله ابن جبير وسعيد بن عياض وجمهور
المفسرين وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها وقال مجاهد المشكاة العمود الذي
يكون المصباح على راسه وقال ابو موسى هي الحديدة او الرصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف

صح

الزجا

الزجاجة وقال ابن عباس انما هو الحدايد التي تعلق بها القنديل والاول اصح هذه الاقوال
وقوله في زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غير الزجاج والمصباح الفتيل
بناره وامال الكسائي فيما روى عنه ابو عمر الدوري الالف من مشكاة بكسر الكاف التي قبلها
وقرا نصر بن عاصم زجاجة بفتح الزاي والزجاجة بالفتح وهي لغة قوله كانها كوكب دري اي
في الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها في نفسها
لصفائها وجودة جوهرها كذلك وهذا التاويل ابلغ في التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري
الزهرة وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بضم الدال وشد اليا ولهذه القراءة وجهان اما ان ينسب
الكوكب الى الدر لبياضه وصفائه واما ان يكون اصله مهموزا فعيل من الدرء وهو الدفع وخففت
الهمزة وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم كذا الا انه بالهمز فهو فعيل من الدرء بمعنى انه يدرا بعضها بعضا اي
يدفعه او بمعنى ان بهاها يدفع خفاها وهذا بناء لا يوجد في الاسما الا في قولهم مريق للعصفور وفي
السرية اذا اشتقت من السرو ووجه هذه القراءة ابو علي وضعفها غيره وقرا ابو عمرو والكسائي
بكسر الدال على وزن فعيل بكسر الفاء من الدرء وهذه متوجهة وقرا قتادة بفتح الدال والهمز قال ابو
الفتح هذا عزيز وانما حفظ منه السكينة بشد الكاف وقرا سعيد بن المسيب وابو رجا ونصر بن
عاصم بفتح الدال دون همز وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وطلحة والاعمش والحسن وقتادة
وابن وثاب وعيسى توقد بضم التا اي الزجاجة وقرا ابو عمرو واهل الكوفة والحسن وابن محيصن بفتح التا
والواو وشد القاف وضم الدال اي الزجاجة وقرا ابو عمرو ايضا وابن كثير بفتح التا والدال اي المصباح
وقرا عاصم فيما روى عنه اسمعيل بالتا المرفوعة وفتح القاف على معنى توقد المصباح وقرا نافع وابن
عامر وحفص عن عاصم بضم اليا وكسر القاف اي المصباح قال ابو الفتح وقرا السلمي وابن محيصن وسلام
وقتادة توقد بفتح التا والواو والقاف مشددة ورفع الدال اصله تتوقد وقوله من شجرة اي من
شجرة والمباركة المنماة والزيتون من اعظم الثمار نما واطراد افنان واغضارة ولاسيما بالشام والزمان
لذلك والغياث يقضي بذلك وقول ابي طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس ۵
ليت شعري مسافر بن ابي عمرو ۵ وليت يقولها المحزون ۵
بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون ۵ قوله لا شرقية ولا غربية قراءة

الجمهور بنصبهما عطفا على زيتونة وقرا الضحاك بالرفع واختلف المتاولون في معناه فقال ابن
عباس فيما حكى الطبري معناه انها شجرة في دوحة قد احاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق
ولا الغرب وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس لان الوجود يقتضي ان الشجرة التي تكون
بهذه الصفة يفسد جناها وقال الحسن ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله
لنوره ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية قال ابن زيد اراد انها من شجر الشام فهي لا شرقية
من شرق الارض ولا من غربها لان شجر الشام هي افضل الشجر وهي الارض المباركة وقال ابن عباس وعكرمة
وقتادة وغيرهم المعنى انها ليست في منكشف من الارض تصيبها الشمس طول النهار وتستدير
عليها اي فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا بالعكس قوله يكاد زيتها يضيء الاية
مبالغة في حسن صفائه وجودته وقرا الجمهور تمسسه بالتاء من فوق وقرا ابن عباس والحسن
بالياء من تحت وقوله نور على نور اي هذه كلها معان تكامل بها هذا النور الممثل به في
هذا الموضع من المثال ثم ذكر تعالى هداه لنوره من يشاء واسعد من عباده وذكر تفضله في
ضرب الامثال للعباد ليقع لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان قوله في بيوت [illegible]
بيوت نصب ونكر [illegible] واختلف في الباء من قوله فيها فقيل هي متعلقة بمصباح قال ابو حاتم
وقيل متعلقة بيسبح فعلى هذا التاويل الاخير يوقف على عليم قال الرماني هي متعلقة
بيوقد واختلف الناس في البيوت التي ارادها الله فقال ابن عباس والحسن ومجاهد هي
المساجد المخصوصة لله تعالى التي من عادتها ان تنور بذلك النوع من المصابيح وقال الحسن [illegible]
الحسن اراد بيت المقدس وسماه بيوتا من حيث فيه مواضع يتحيز بعضها عن بعض ويوثر ان عادة
بني اسرايل في قديم بيت المقدس كانت غاية في التنعم به وكان الزيت مسحيا مختوما على طرقه قد
صنع صنعة وقدس حتى لا يجري الوقيد بغيره فكان لهذا ونحوه اضوا بيوت الارض وقال
عكرمة اراد بيوت الايمان على الاطلاق مساجد ومساكن فهي التي يستصبح فيها بالليل للصلاة
وقراءة العلم وقال مجاهد اراد بيوت النبي عليه السلم قوله يسبح له فيها بالغدو والاصال
يقوي انها المساجد وقوله اذن اي امر وقضى وحقيقة الاذن العلم والتمكن دون حظر فان
اقترن بذلك امر وانفاذ كان اقوى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وغيره

كقوله واذ يرفع ابرهيم وقال عليه السلام من بنى مسجدا من ماله بنى الله له بيتا في الجنة
وفي هذا المعنى احاديث وقال الحسن بن ابي الحسن وغيره معناه تعظم وترفع وذكر اسمه تعالى
هو بالصلاة والعبادة قولا وفعلا وقرا ابن كثير وعاصم يسبح بفتح الباء وجاء على القراءة الاولى رفع
بفعل مضمر يدل عليه يسبح تقديره يسبحه رجال ومثله عند سيبويه نظير قول
الشاعر ۵ ليبك يزيد ضارع لخصومة ۵ اي يبكيه ضارع ويبكيه على القراءة الثانية برفع
بيسبح الظاهر وروي عن يحيى بن وثاب انه قرا تسبح بالتاء من فوق بالغدو والاصال قال الضحاك
اراد الصبح والعصر وقال ابن عباس اراد ركعتي الضحى والعصر [illegible] وركعتي الضحى لمن داب [illegible]
عليها [illegible] وقرا ابو مجلز والايصال ثم وصف المسبحين بانهم لمراقبتهم امر الله وطلبهم رضاه لا يشغلهم عن
الصلاة وذكر الله شيء من امور الدنيا وقال كثير من الصحابة نزلت في اهل الاسواق الذين اذا سمعوا النداء
بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا وراى سالم بن عبد الله بن عمر اهل السوق وهم مقبلون الى الصلاة فقال هولاء
الذين اراد الله تعالى بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وروي ذلك عن ابن مسعود واقام الصلاة
مصدر من اقام يقيم اصله اقوام نقلت الواو الى القاف فبقيت ساكنة والالف ساكنة فحذفت
لالتقاء الساكنين فجا اقام الصلاة فقال بعض النحويين هو مصدر بنفسه مثل [illegible] وقيل لا يجوز اقامه
اقاما وانما يستعمل مضافا ذكره الرماني وقال بعضهم من حيث راوه لا يستعمل الا مضافا انه
لحقت به الهاء عوضا من المحذوف فجا اقامة فهم اذا اضافوه حذفوا العوض لاستغنائهم عنه بان
المضاف اليه كاسم واحد والزكوة هنا عند ابن عباس الطاعة لله وقال الحسن هي الزكوة المفروضة
في المال واليوم المخوف الذي ذكره الله هو يوم القيمة واختلف الناس في تقلب القلوب والابصار فيه
فقالت فرقة ترى الناس الحقائق عيانا فتتقلب قلوب الشاكين ومعتقدي الضلال عن معتقداتها
الى اعتقاد الحق على وجهه وكذلك الابصار وقالت فرقة هو تقلبها على جمر جهنم ومقصد الاية انما هو وصف
هول يوم القيمة فاما القول الاول فليس يقتضي هولا واما الثاني فليس التقلب في جمر جهنم في يوم القيمة
بل هو بعده [illegible] وانما معنى الاية عندي ان ذلك اليوم لشدة هوله ومطلعه القلوب والابصار
فيه مضطربة قلقة متقلبة من طمع في النجاة الى طمع ومن حذر هلاك الى حذر ومن نظر في هول الى نظر في
اخر والعرب تستعمل هذا المعنى في الحروب ونحوها ومنه قول الشاعر ۵

كأن فؤاده كرة تنزّى ... وقال الآخر اذا اجلوا الحجه وصلصل الحديد
وهذا اكثر قوله ليجزيهم الله اللام متعلقة بفعل مضمر تقديره فعلوا ذلك ليجزيهم او التلك ونحو
هذا ويحتمل ان تكون متعلقة بيسبح وقوله احسن ما عملوا فيه حذف مضاف تقديره ثواب
احسن ثم وعدهم بالزيادة من فضله على ما تقتضيه اعمالهم فاهل الجنة ابدا في مزيد ثم ذكر انه يرزق من يشا
ويخصه بما يشا من نعمه دون حساب ولا تقدير وكل تفضل الله فهو بغير حساب وكل جزا على عمل
فبحساب ولما ذكر فيما تقدم من هذه الاية حالة الايمان والمومنين وتنوير قلوبهم عقب ذلك بحال الكفرة
واعمالهم فمثل لها ولهم تمثيلين الاول منهما يقتضي حال اعمالهم في الاخرة بانها غرتا نفعه ولا غديه والثاني
يقتضي حالها في الدنيا من انها في الغاية من الضلال والغمة التي مثالها ما ذكر من تناهي الظلمة في قوله
او كظلمات الاية والسراب ما يرفرف من الهوا في الهجير في فيافي الارض المنبسطة ويوهم الناظر
اليه على بعد انه ما يشبه بذلك لانه يسرب كالما وكذلك اعمال الكافر يظن في دنياه انها نافعة
فاذا كان يوم القيمه لم يجدها شيا فهي كالسراب الذي يظنه الظامي العطشان ما فاذا صح واتعب
نفسه بالوصول اليه لم يجده والقيعة جمع قاع كجيرة وجار والقاع المنخفض البساط من الارض
ومنه قوله عليه السلم في مانع زكوة الانعام فيبطح لها بقاع قرقر وقيل القيعة مفرد وهو بمعنى القاع
وقرا مسلمة بن محارب بقيعات وقرا ابو جعفر وشيبه ونافع بخلاف الظمان بفتح الميم وطرح حركة
الهمزة على الميم وترك الهمزة وقوله حتى اذا جاه لم يجده شيا يريد شيا نافعا في العطش او يريد
شيا موجودا على العموم ويريد بجاه جا موضعه الذي تخيله فيه ويحتمل ان يعود الضمير في جاه على
السراب ثم يكون في الكلام بعد ذلك متروك كثير يدل عليه الظاهر تقديره فكذلك الكافر يوم القيمة يظن
عمله نافعا حتى اذا جاه لم يجده شيا ويحتمل الضميران يعود على العمل الذي يدل عليه قوله اعمالهم ويكون
تمام المثل في قوله ما ويستغني الكلام عن متروك على هذا التاويل لكن يكون في المثل ايجاز واقتضاب
لوضوح المراد به قوله ووجد الله عنده اي بالمجازاة والضمير عايد على العمل وباقي الاية بين
فيه توعد وزجر وسريع الحساب من حيث هو بعلم لا يتكلف فيه قوله او كظلمات عطف على قوله
كسراب وهذا المثال الاخر تشبيه اعمالهم في الدنيا اي هم في مثل هذا الضلال ونحو في مثل هذه
الظلمة المجتمعة من هذه الاشيا وذهب بعض الناس الى ان في هذا المثال اجزا تقابل اجزا من الممثل به فقال

الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجي صدر الكافر وقلبه واللجي
معناه ذو اللجة وهي معظم الما وغمره واجتماع ما به اشد للظلمة والموج هو الضلال والجهالة
التي قد غمرت والفكر المعوجة والسحاب هو شهوته في الكفر واعراضه عن الايمان وما يرين
على قلبه وهذا التاويل سائغ وان لا يقتد هذا التقابل سائغ وقرا سفيان بن حسين بتحريك الواو
بالفتح وقرا جمهور السبعة سحاب بالرفع والتنوين ظلمات بالرفع وقرا ابن كثير في رواية قنبل سحاب
بالرفع والتنوين ظلمات بالخفض على البدل من ظلمات الاول وقرا ابن ابي بزة عن ابن كثير في رواية قنبل
سحاب بالرفع والتنوين ظلمات بالخفض بغير تنوين على الاضافة الى الظلمات وقوله اذا اخرج يده
لم يكد يراها لفظه تقتضي مبالغة الظلمة واختلف الناس في هذا اللفظ هل يقتضي ان هذا الرجل
المقدر في هذه الاحوال اذا اخرج يده يراها او لا يراها البتة فقالت فرقة لم يرها جملة وذلك ان كاد
معناها قارب فكانه قال اذا اخرج يده لم يقارب رويتها وهذا يقتضي نفي الروية جملة وقالت
فرقة بل يراها بعد عسر وشدة وكاد ان لا يراها ووجه ذلك ان كاد اذا صحبها حرف النفي وجب الفعل
الذي بعدها واذا لم يصحبها انتفى الفعل وهذا لازم متى كان حرف النفي بعد كاد داخلا على الفعل
الذي بعدها تقول كاد زيد يقوم فالقيام منفي فاذا قلت كاد زيد ان لا يقوم فالقيام واجب واقع
وتقول كاد النعام يطير فهذا يقتضي نفي الطيران عنه فاذا قلت كاد النعام ان لا يطير وجب الطيران
له فاما اذا كان حرف النفي مع كاد فالامر محتمل مرة يوجب الفعل ومرة ينفيه تقول المفلوج لا يكاد
يسكن فهذا كلام صحيح يتضمن نفي السكون وتقول رجل منصرف لا يكاد يسكن فهذا كلام صحيح يتضمن ايجاب
السكون بعد جهد وبادر ومنه قوله وما كادوا يفعلون فهي مع كاد تتضمن وجوب الذبح وقوله لم
يكد يراها هي مع كاد تتضمن احد الامرين ويلتبس نفي الروية ولهذا ونحوه قال سيبويه ان افعال المقاربة
لها نحو آخر معنى انها دقيقة التصرف قوله ومن لم يجعل الله الاية قالت فرقة هذا في الاخرة من لم
يرحمه الله وينوره بالعفو والرحمة فلا رحمة له وقالت فرقة اراد في الدنيا اي من لم يهده الله لم
يهتد وهو اوضح وابين والبين بلفظ الاية وايضا فذلك متلازم يوم الاخرة انما هو لمن نور قلبه في الدنيا
وهداه وقد قررت الشريعة ان من مات على كفر فانه غير مرحوم ولا مغفور له قوله الم تر ان الله
تنبيه والروية روية الفكر قال سيبويه كانه قال انتبه ان الله يسبح له من في السموات والتسبيح هنا

التعظيم والتنزيه فهو من العقلا بالنطق وبالصلاة من كل ذي حس واختلف في تسبيح الطير وذلك
مما قد ورد الحديث بتسبيحه فالجمهور على انه تسبيح حقيقي وقال الحسن وغيره هو لفظ مجوز وانما
تسبيحه بظهور الحكمة فيه فهو لذلك يدعو الى التسبيح وقال المعربون لكنه علامة لحال بني لجعل
اوجاد لكه لما اجتمع غير عدة من تغليبا لكلهن يعقل وصافات معناه مصطفة في الهوا وقرا
الاعرج والطير بنصب الرا وقرا الحسن والطير صافات برفعهما كل قد علم صلاته وتسبيحه قال
الحسن المعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحه فهو منبا بر علمها يؤديها قال مجاهد الصلاة للبشر
والتسبيح لما عداهم وقالت فرقة المعنى كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللذين امر بهما وهدى اليهما
فهذه اضافة خلق الى خالق وقال الزجاج وغيره كل قد علم الله صلاته وتسبيحه فالضمير الى الكل وقرا
فرقة علم مالم يسم فاعله صلاته رفعا ذكرها ابو حاتم وقرا الجمهور تفعلون بالتا على معنى المبالغة في
وصف قدرة الله وعلمه بخلقه وقرا عيسى والحسن بالتاء يفعلون فيه المعنى المذكور وزيادة الوعيد
والتخويف من الله واعلام بعد بكون الملك على الاطلاق له وتذكير بامر المصير اليه والحشر يقوي معنى
التخويف من الله وفي مصحف ابي بن كعب وابن مسعود والله بصير بما تفعلون قوله الم تر ان الله
يزجي سحابا الرؤية هنا رؤية عين والمقدر ان امر الله وقدرته يزجي معناه يسوق والازجا انما
يستعمل في سوق كل ثقيل ومنه دفعه كالسحاب والابل الزاحف كما قال الفرزدق ٥
على زواحيف تزجي محاسرها ٥ والبضاعة المزجاة التي تحتاج من الشفاعة والتحسين الى
ما هو كسوق الثقيل ومنه قول حبيب في الشيب ٥ وعن تزجيه ٥ وصبونه ابدا
يقول في كلامه ما انت تزجيه الحكما اي تسوقه ثقيلا متباطيا قوله ثم يؤلف بينه اي بين معرف
السحاب نفسه لان مفهوم السحاب يقتضي ان بينه فروجا وهذا كما تقول جلست بين الدور ولو
اضمت بين الحي شعر لم يصح الا ان يريد اخر لا تقول جلست بين الدار الا ان تريد بين كذا وورش
عن نافع لا يهمز وقالون عن نافع والباقون يهمزونها وهو الاصل والركام الذي يركب بعضه بعضا
ومتكاثف والعرب تقول ان الله اذا احمل السحاب ركاما بالريح عصر بعضه بعضا فخرج الودق منه
ومن ذلك قوله وانزلنا من المعصرات ما ثجاجا ومن ذلك قول حسان ٥
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل ٥ ويروى للمفصل بكسر الميم وفتح

بلغ الى هنا

المفصل واحد المفاصل والمفصل اللسان ويروى بالقاف اراد حسان الخمر والما التي
تمزج هذه بهذه اي هذه من عصر العنب وفي هذا الشعر قاضي البصرة عبيد الله بن الحسن العنبري
للقوم الذين حلف صاحبهم بالطلاق ان يسال القاضي عن تفسير بيت حسان والودق المطر
ومنه قول الشاعر ٥ فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ٥
وقرا جمهور الناس خلاله وهو جمع خلل كجبل وجبال وقرا ابن عباس والضحاك من خلله وقرا
عاصم والاعرج وينزل على المبالغة والجمهور على التخفيف قوله من جبال فيها من برد قيل
تلك حقيقة وقد جعل في السما جبالا من برد وقالت فرقة ذلك مجاز وانما اراد وصف
كثرته وهذا كما تقول عند فلان جبال من المال وجبال من العلم يريد انه في الكثرة مثل الجبال وحكي
عن الاخفش ان من زائدة في قوله من برد وهو قول ضعيف ومن في قوله من السما لابتدا
الغاية وفي قوله من جبال هي للتبعيض وفي قوله من برد هي لبيان الجنس والسنا مقصور الضو
وممدود المجد والارتفاع في المنزلة وبالقصر قرا الجمهور وقرا طلحة بن مصرف بالمد وقرا
طلحة برقه بضم البا وفتح الرا وهي جمع برقة بضم البا وسكون الرا فعله وهي المقدار من البرق وكلقه
ولقم وغرفه وغرف وقرا الجمهور يذهب بفتح اليا وقرا ابو جعفر بضمها من اذهب كان الضو يذهب
النفوس بالابصار نحو قوله تنبت بالدهن ويحتمل ان يكون مثل قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال ابن
بالحاد زائدة دالة على فعل يناسبها ثم اقتضت لفظة الاية الاخبار عن تقليبه الليل والنهار والانسان
بعدا بعد هذا دون توطيه هو الذي يجوز عند الفصحا حتى يقع منهم التعليق في الالفاظ والوطيه
بالكلام وباقي الاية بين قوله والله خلق الاية اية اعتبار وقرا حمزة والكسائي خالق كل بالاضافة
والجمهور خلق كل دابة وهي ما دب من الحيوان اي تحرك مستقلا امامه قدما ويدخل فيه الطير اذ
هو يدب ومنه قول الشاعر ٥ دبيب قطا البطحا في كل منهل ٥ ويدخل فيه الحوت
وفي الحديث دابة من البحر مثل الظرب قوله من ما قال النقاش اراد امنية الذكور
وقال الجمهور النطفة اراد ان كل حيوان فيها ما خلق ادم من الما والطين وعلى هذا يخرج قوله
عليه السلم للشيخ الذي سال في غزاة بدر ممن انتما فقال عليه السلام نحن من ما الحديث والمشي على
البطن للحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلى الرجلين للانسان والطير اذا مشى والاربع لسائر

الحيوان وفي مصحف ابي بن كعب ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان ولكنه
قران لم يثبته الاجماع لكن قال النقاش انما اكتفى القول بذكر ما يمشي على اربع وهي قوام
مشيه وكثرة الارجل في بعضه زايدة في الخلقة لا يحتاجها الحيوان في مشيه ع والظاهر ان
تلك الارجل الكثيرة ليست باطلا بل هي محتاج اليها في تنقل الحيوان وهي كلها تتحرك في تصرفه
قوله ايات مبينات يعم كل ما نصب الله من اية وصنعة للعبرة وكل ما نص في هذه الاية من اية
تنبيه وتذكرة واخبر انه انزل الايات ثم قيد الاية بالهداية اليها لانها من قبله لبعض ۵ وتبعض
قوله ويقولون امنا بالله الاية نزلت في المنافقين وسببها فيما روي ان رجلا من المنافقين اسمه
بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة فدعاه اليهودي الى التحاكم عند رسول الله وكان
المنافق مبطلا فابى من ذلك ودعا هو اليهودي الى كعب بن الاشرف فنزلت الاية فيه واسند
الزهراوي عن الحسن بن ابي الحسن انه قال من دعاه خصمه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو
ظالم ۵ ومذعنين اي مظهرين للانقياد والطاعة وهم انما فعلوا ذلك حيث ايقنوا بالحق
واما اذا طلبوا الحق فهم عنه معرضون ثم وقفهم على اسباب فعلهم توقيف توبيخ اي ليعرفوا
باحد هذه الوجوه التي عليهم في الاقرار بها ما عليهم وهذا التوقيف يستعمل في الامور
الظاهرة مما يوبخ به او مما يمدح به فهو بليغ جدا ومنه قول جرير
ألستم خير من ركب المطايا ۵ البيت ثم حكم عليهم بانهم هم الظالمون وقال ان
يحيف الله عليهم ورسوله من حيث ان الرسول انما حكم بامر الله وشرعه والحيف الميل ۵
قوله انما كان قول المومنين قرا الجمهور قول بالنصب وقرا علي بن ابي طالب والحسن وابن ابي
اسحق بالرفع بخلاف عنهما قال ابو الفتح شرط كان ان يكون اسمها اعرف من خبرها فقراءة
الجمهور اقوى والمعنى انما كان الواجب ان يقوله المومنون اذا دعوا الى حكم الله ورسوله
سمعنا واطعنا فكان هذه ليست اخبارا عن ماض وانما هي كقول الصديق ما كان لابن ابي
قحافة ان يصلي بين يدي رسول الله وجعل الدعا الى الله من حيث هو الى شرعه ودينه وقرا الجمهور
ليحكم على بنا الفعل للفاعل وقرا ابو جعفر والجحدري وخالد بن الياس والحسن على بنا الفعل للمفعول
والمفلحون الفائزون بالبغية الحريفة في دنياهم واخرتهم وجهد اليمين بلوغ الغاية في تعقيدها ولعرض

يولواحم

معناه الى الغرور هذا في المنافقين الذين حين دعوا الى الله ورسوله وقوله قل لا تقسموا
طاعة معروفة يحتمل معاني احدها النهي عن القسم الكاذب اذ قد عرف ان طاعتهم دغلة
رديه فكانه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما انتم عليه والثاني ان يكون المعنى لا تتكلفوا القسم
طاعة عرف متوسطة على قدر الاستطاعة امثل واجدى عليكم وفي هذا الوجه ابقا عليهم
والثالث ان يكون المعنى ان تقنعوا بالقسم طاعة تعرف منكم وتظهر عليكم المبطلون حكم
والرابع ان يكون المعنى لا تقنعوا لانفسكم بارضائنا بالقسم طاعة الله معروفة وشرعه وجهاد
عدوه مهيع لايح وباقي الاية متصل بقوله لا تقسموا وطاعة معروفة اعتراض بليغ وقوله قل
اطيعوا الاية مخاطبة لاولئك المنافقين وغيرهم من الكفار وكل من يعني عن ابن مجاهد قوله تولوا
معناه تتولوا فحذفت التا الواحدة الثانية يدل على ذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو جعلنا تولوا
فعلا ماضيا وقدرنا في الكلام خروجا من خطاب الحاضر الى الغايب لاستقام الكلام ان يكون
بعد ذلك وعليهم ما حملوا والذي حمل رسول الله هو التبليغ ومكافحة الناس بالرسالة واعمال
الجهد في انذارهم والذي حمل الناس هو السمع والطاعة واتباع الحق وباقي الاية بين وقرا ابن
كثير وحمزة والكسائي ونافع في رواية ورش وشيبة بفتحها قال ابو علي وهو الوجه وروى
قالون عن نافع وشيبة بكسر الهاء لا يشبعها الياء وقرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر
وشيبة جزما للها وقرا حفص عن عاصم بجزم القاف وكسر الهاء قوله وعد الله الاية قرا الجمهور
كما استخلف على بنا الفعل للفاعل وقرا ابو بكر عن عاصم والاعرج على بنا الفعل للمفعول وروي ان
سبب هذه الاية ان بعض الصحابة شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على انفسهم وانهم
لا يضعون اسلحتهم فنزلت هذه الاية عامة لامة محمد عليه السلام قوله في الارض يريد البلاد التي
تجاورهم والاصقاع التي فتحت باستيلادهم اليها واستخلافهم هو ان يملكهم البلاد ويجعلهم اهلها كالذي
جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب وقال الضحاك في كتاب النقاش هذه الاية تتضمن خلافة
الاربعة لانهم اهل الايمان وعمل الصالحات وقد قال عليه السلام الخلافة بعدي ثلثون سنة والصحيح
في الاية انها في استخلاف الجمهور واللام في ليستخلفنهم لام القسم وقرا الكسائي وابن عامر وليبدلنهم
بفتح البا وشد الدال وقرا ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر والحسن وابن محيصن بسكون البا وتخفيف الدال

وجاء في معنى تبديل خوفهم بالامن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اصحابه اما يأتي علينا
يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم في الملا
العظيم محتبيا ليس فيه حديدة وقوله يعبدونني فعل مستانف اي هم يعبدونني وقوله
ومن كفر يحتمل ان يريد كفر هذه النعم اذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير المخرج عن الملة قال بعض
الناس في كتاب الطبري ذلك في قتلة عثمان ويحتمل ان يريد الكفر والفسق المخرجين عن الملة وهو ظاهر
قول حذيفة بن اليمان فانه قال كان النفاق على عهد النبي وقد ذهب ولم يبق الا كفر بعد ايمان ولما
قدم الله تعالى شرط عمل الصالحات نبه في هذه الاية فنص على عظيمها وهي اقامة الصلاة واتيا
الزكوة وعم بطاعة الرسول لانها عامة لجميع الطاعات ولعلكم معناه في حقكم ومعتقدكم ثم الحق القول
على الكفرة بان شدد على انهم ليسوا معجزين وقرا حمزة والسبعة لا تحسبن بالتاء على المخاطبة للنبي عليه
السلام وقراها الحسن بن ابي الحسن بفتح السين وقرا حمزة وابن عامر يحسبن بالياء اي محمد والاخوان
يسند الفعل الى الذين كفروا والمفعول انفسهم والمعجز الرجل اذا ذهب في الارض فلم يقدر عليه
ثم اخبر بان ماواهم النار ولبئس المصير قوله يا ايها الذين امنوا الاية قال ابن عمر ملكت ايمانكم
يريد به الرجال خاصة وقال ابو عبد الرحمن السلمي يريد به النساء خاصة وسبيل الرجال ان
يستاذنوا في كل وقت وحكى الزهراوي عن ابن عمر نحوه وقيل الرجال والنساء كلهم مستاذنون ورجحه
الطبري وقرا جمهور الناس الحلم بضم اللام وقرا بسكونها الحسن بن ابي الحسن وكان ابو عمرو يستحسنه
وهذه الاية محكمة قال ابن عباس وغيره تركها الناس وذلك لم يكونوا ان لم يكن عند الله اتقاكم قال الناس الا
ان الاكرم هو الانسب وهذه العبارة بذلك اغلاط وزجر اذ لم يأثم حتى لا تلزم والا فقال الله
في ذلك هو المعتقد عند العلما المكتوب في قلوبهم اعني في ان الاكرم الاتقى واما امر الاستيذان
فان تغير المباني في الحجب اغنى عن كثير من الاستيذان وصيره على حد اخر وابن ابواب المنازل
ذلك اليوم من مواضع النوم وقد ذكر المهدوي عن ابن عباس انه قال كان العمل بهذه الاية واجبا
اذ كانوا لا غلق ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب ع فهي الان واجبة في كثير من مساكن
المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها ومعنى الاية عند جماعة من العلما ان الله ادب عباده
بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها

يستاذنون على اهليهم في هذه الاوقات الثلثة وهي الاوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف
فيها وملازمة التعري في المضاجع وهي عند الصباح لان الناس في ذلك الوقت عراة في مضاجعهم وقد
ينكشف النائم من مشي ودخل وخرج فحكمه ان يستاذن لئلا يطلع على ما يجب ستره وكذلك في
وقت القايلة وهو الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد حره وبعد العشا لانه وقت
التعري للنوم والتبذل للفراش واما في غير هذه الاوقات التي هي عورة اي ذات انكشاف فالعرف
من الناس التحرز والتحفظ فلا حرج في دخول هذه الصنيفة بغير اذن اذ هم طوافون يمضون ويجيؤون
لا تخلو الناس منها من ذلك وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالنصب قال الحسن اذا بات الرجل خادمه معه فلا
استيذان عليه ولا في هذه الاوقات الثلثة قوله بعضكم على بعض بدل من قوله طوافون
وثلث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان ثلثا انما امروا بالاستيذان
في ثلث مواطن والظرفية في ثلث بينة وقرا جمهور السبعة ثلاث عورات بالرفع وهذا
على الابتدا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بالنصب وهذه على البدل انما يصح معناه
بتقدير اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعورات
جمع عورة وبابه في الصحيح ان يجي على فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا
العين المعتلة كبيضة وبيضات وجوزة وجوزات لان فتحه داع الى اعلاله فلم يفتح لذلك
قوله واذا بلغ الاطفال الاية المعنى ان الاطفال امروا بالاستيذان في الاوقات الثلثة
المذكورة وابيح لهم الامر في غير ذلك من الاوقات المذكورة ثم امر في هذه الاية ان يكونوا اذا بلغوا
الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا بيان من الله وقوله والقواعد
يعني اللاتي قد اسنن وقعدن عن الولد واحدتهن قاعد وقال ربيعة هي هنا التي تستقذر
من كبرها قال غيره قد تقعد المراة عن الولد وفيها مستمتع فلما كان الغالب من النساء ان ذوات
هذا السن لا مذهب للرجال فيهن ابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب
التحفظ من بعضه فيهن وقرا ابن مسعود وبعض من ثيابهن وهي قراءة ابي وروي عن ابن مسعود
ايضا من جلابيبهن والعرب تقول امراة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها ثم استثنى عليهن
في وضع الثياب ان لا يقصدن به التبرج وابدا الزينة فرب عجوز يبدو منها الحرص على ان

نظيرها حاله ونحو هذا ما هو ابعد الاشيا وابعده عن الحوزة والمتبرج طلب البدو والظهور
للعيون ومنه بروج مشيدة واصل ذلك البروج السماوية والاسوار والمتبايع وضعه
لهن الصنعه الجلباب الذي فوق الخمار الردا قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما ثم
ذكر تعالى حفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزم الشباب
من الستر افضل لهن وخير وقرا ابن مسعود وان يعففن بغير سين ثم ذكر تعالى انه سميع
لما يقول كل قايل وقايله عليم بمقصد كل احد في قوله وفيها بين الصفتين توعد وتحذير
قوله ليس على الاعمى حرج الاية اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله الحرج عن الاصناف
الثلثه بظاهر الاية وامر الشريعة عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم اليه العذر وتقتضي نيتهم
الاتيان فيه بالاكمل وتقتضي عنهم في هذا فاما ما قال الناس في هذا الحرج هنا فقال ابن زيد
هو الحرج في الغزو اي لا حرج عليهم في تاخرهم وقوله ولا على انفسكم الاية معنى مقطوع من الاول
وقالت فرقة الاية كلها في معنى المطاعم قالت وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتحرج الاكل
مع اهل هذه الاعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الاعمى ولانبساط الجلسة
من الاعرج ولرائحة المريض وعلاته وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت الاية مؤدبة وبعضهم كان
يفعل ذلك تحرجا من غير اهل الاعذار اذ هم مقصرون عن درجة الاصحاء في الاكل لعدم الرؤية
في الاعمى وللعجز عن المزاحمة في الاعرج ولضعف المريض فنزلت الاية في اباحة الاكل معهم وقال
ابن عباس في كتاب الزهراوي ان اهل هذه الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل عذرهم فنزلت
الاية مبيحة لهم وقال ابن عباس ايضا الاية من اولها الى اخرها انما نزلت بسبب ان الناس لما نزلت
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا الاموال اعز من الطعام وتحرجوا من ان ياكل احد مع احد ولا
بيتهم في الاكل ما يقع في اكل المال بالباطل وكذلك تحرجوا عن اكل طعام القرابات لذلك فنزلت
هذه الاية مبيحة جميع هذه المطاعم ومبينة ان تلك انما هي في التعدي والقمار وكل ما ياكله المرء
من مال الغير كارها او بصفقة فاسدة ونحوه قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قوله
في الاصناف الثلثة انما نزلت بسبب ان الناس كانوا اذا نهضوا الى الغزو وخلفوا اهل العذر في
منازلهم واموالهم كان اهل العذر يتجنبون اكل مال الغايب فنزلت الاية مبيحة لهم اكل الحاجة من طعام

الغايب ونحو هذا من علي ذلك وقيل كان الرجل اذا ساق اهل العذر الى بيته فلم يجد فيه شيا
ذهب بهم الى بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت الاية وذكر الله بيوت القرابات
واسقط منها بيوت الابنا فقال المفسرون ذلك لانها داخله في قوله من بيوتكم لان بيت ابن الرجل
بيته وقرا طلحة بن مصرف امهاتكم بكسر الهمزة قوله او ما ملكتم مفاتحه يعني ما خزنتم وصار في
تصرفكم فيطيه ما ملكه الرجل في بيته وتحت غلقه وهذا تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور
المفسرين يدخل في الاية الاما والعبيد والاجرا بالمعروف وقرا جمهور الناس ملكتم بفتح الميم واللام
مخففة وقرا سعيد بن جبير بضم الميم وكسر اللام مشددة وقرا الجمهور مفاتحه وقرا سعيد بن جبير
مفاتيحه بيا بين التا والحا فالاولى على جمع مفتح والثانية على جمع مفتاح وقرا قتادة مفتاحه
وقرن الله في هذه الاية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان قرب المودة لصيق قال معمر قلت
لقتادة الا اشرب من هذا الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستيذان قال ابن عباس
الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم ه ليس عليكم جناح الاية رد لمذهب جماعة من العرب كانت لا تاكل افرادا البتة قاله الطبري
ومنه قول الشاعر ه اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي ه
وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا ياكل الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت الاية مبينة سنة الاكل ومذهبه
كل ما خالفها من سنة العرب ومبيحة من اكل المنفرد ما كان عند العرب محرما نحت به نحو كرم الخلق
فافرطت في الزامه وان احضار الاكيل حسن ولكن بان لا يحرم الانفراد وقال بعض اهل العلم هذه الاية
منسوخة بقوله عليه السلام ان دماءكم واموالكم عليكم حرام وبقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه الحديث ثم ختم الله الاية
بتبيينه سنة السلام في البيوت واختلف المتاولون اي البيوت اراد فقال ابراهيم النخعي اراد المساجد
والمعنى سلموا على من فيها من صنفكم فهذا كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم فان لم يكن في المساجد احد
فالسلام ان يقول المرء السلام على رسول الله وقيل يقول السلام عليكم ويريد الملايكة ثم يقول السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وقال جابر بن عبد الله وابن عباس وعطا بن ابي رباح المراد البيوت المسكونة
اي فسلموا على من فيها كما تقدم وقالوا ايضا يدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه

ان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قوله تحية مصدر ووصفها بالبركة لان فيها
الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى هذه
السنن اي كما بين لكم هذه السنن يبين لكم الايات لعلكم تعقلونها وتعملون بها وقال بعض الناس
ان هذه الاية منسوخة باية الاستيذان التي امر بها الناس وهي المتقدمة في السورة فاذا كان الاذن
محجورا فالطعام احرى بذلك وضعف قوم نسخها بينها وبين قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
والنسخ لا يتصور في شي من هذه الايات بل كلها محكمة اما ولا تاكلوا الاية ففي التعدي والخدع
والاغرار واللهو والقمار ونحوه واما في هذه الاية فاباحة طعام هذه الاصناف التي يسرها اسباحه
طعامها على هذه الصفة اما اية الاذن فعلة ايجاب الاستيذان خوف الكشفة فاذا استاذن
المرء حرف الكشفة ودخل المنزل بالوجه المباح له صح له بعد ذلك اكل الطعام بهذه الاباحة وليس
في الايات نسخ فتامله قوله انما المومنون الاية انما هنا للحصر ومقتضى ذلك المعنى لانه لا يتم ايمان
من لم يومن بالله ورسوله وبان يكون من الرسول سامعا غير معنت في ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد
هو فساده بزواله في وقت الجمع ونحو ذلك والامر الجامع يراد به ما للامام حاجة الى جمع الناس فيه
لاذاعة مصلحة فادب الاسلام اللازم في ذلك اذا كان الامر حاضرا ان لا يذهب احد لعذر الا باذنه
فاذا ذهب باذنه ارتفع عنه الظن السيء والامام الذي يرتقب اذنه في هذه الاية هو امام الامرة
وقال مكحول والزهري الجمعة من الامر الجامع وامام الصلاة ينبغي ان يستاذن اذا قدمه امام الامرة
اذا كان يرى المستاذن ومشى بعض الناس دهرا على استيذان امام الصلاة وروى ان هرم بن
حيان كان يخطب فقام رجل فوضع يده على انفه واشار الى هرم بالاستيذان فاذن له فلما قضيت
الصلاة كشف عن امره انما ذهب لغير ضرورة فقال اللهم اخر رجال السو لزمان السوء وطاهر
الاية انما يقتضي ان يستاذن امير الامرة الذي هو في مقعد النبوة فانه ربما كان له راي
حسن ذلك الرجل لامر من امور الدين فاما امام الصلاة فقط فليس ذلك اليه لانه وكيل على جزء من اجزاء
الدين الذي هو في مقعد النبوة ثم امر الله نبيه ان ياذن لمن عرف منه صحة العذر وهم الذين يستاذنون
وروى ان هذه الاية نزلت في وقت حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم خندق المدينة وذلك ان بعض المومنين
كان يستاذن لضرورة وكان المنافقون يذهبون دون استيذان فاخرج الله العذر لايستاذن نوع صنفه

المومنين وامر النبي عليه السلام ان ياذن للمومن الذي لا تدعوه ضرورة الى حبسه وهو الذي ثم امره
بالاستغفار لصنفي المومنين من اذن له ومن لم ياذن له وفي ذلك تانيس للمومنين ورافه بهم قوله
لا تجعلوا مخاطبه بجميع معاصريه محمد امرهم الله ان لا تجعلوا مخاطبة رسوله في النداء كمخاطبة بعضهم لبعض
فان من نهيهم كانت المداعي بالاسما وعلى غاية البداوة وقلة الاهتمام فامر الله في هذه الاية وغيرها ان
يدعى رسول الله باشرف اسمائه وذلك مقتضى التوقير والتعزير فالمستوى في الدعا ان يقول يا رسول الله وان
يكون ذلك بتوقير وخفض صوت وبر وان لا يجري ذلك على عادة بعضهم فاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس
المعنى لا تحسبوا دعا الرسول عليكم كدعا بعضكم على بعض اي ان دعاءه مجاب فاحذروه ولفظ الاية يدفع
هذا المعنى والاول اصح ثم اخبرهم ان المتسللين منهم لواذا قد علمهم واللواذ الروغان والمخالفة وهو مصدر
لاوذ وليس بمصدر لاذ لانه كان يلزم الياء ذكره الزجاج وغيره ثم امرهم بالحذر من عذاب الله ونقمته اذا
خالفوا عن امره معناه يقع خلافهم بعد امره وهذا كما تقول كان المطر عن ريح وعن في الماعذ الشي والفتنه
في هذا الموضع الاحبار بالرزايا في الدنيا وبالعذاب الاليم في الاخرة ولا بد للنار فمن براحد منهن قوله
الا ان لله الاية استفتاح كلام واخبار بانه في على جميع ما تقدم لمن اعتبار ان الله له ما في السموات والارض
ملكا وخلقا ثم اخبرهم انه قد علم ما اهل السما والارض عليه وخص منهم بالذكر المخاطبين لان ذلك موضع
الحجة عليهم وهي به اعني قوله ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكون معمولا لقوله يعلم ويجوز ان يكون العدد
والعلم الظاهر لكم ا ونحوهما يوم ويكون النصب على التشبيه بالظرف وقرا الجمهور يرجعون بضم اليا وفتح
الجيم وقرا يحيى بن يعمر وابن ابي اسحق وابو عمرو بفتح اليا وكسر الجيم قال عقبة بن عامر الجهني رايت
رسول الله يقرا هذه الاية والله بكل شي بصير وباقي الاية بين ٥

تفسير سورة الفرقان مكيه في قول الجمهور وقال الضحاك مدنيه وفيها ايات
مكيه قوله والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايات قوله تبارك الذي نزل تفاعل وهو
مطاوع بارك من البركة وبارك فاعل من واحد ومعناه زاد وتبارك فعل مختص بالله لم يستعمل في
غيره ولذلك لم يتصرف منه مستقبل ولا اسم فاعل وهو صفة فعل اي كثرت بركاته ومن جملتها
انزال كتابه الذي هو الفرقان بين الحق والباطل وصدر هذه السورة انما هو رد على مقالات كانت
لقريش فمن جملتها قولهم ان القران افتراه محمد وانه ليس من عند الله فهو رد على هذه المقالة وقرا الجمهور

على عبده وقرأ عبد الله بن الزبير على عباده والضمير في قوله ليكون يحتمل ان يكون لمحمد وهو عبده المذكور
وهذا تأويل ابن زيد ويحتمل ان يكون للفرقان واما على قراءة ابن الزبير فهو للفرقان لا يحتمل غير ذلك الا
بتجوز وقوله للعالمين عام في كل انسي وجني عاصره او جاء بعده وهذا ثابت بدين عمرها موضع من الحديث
المتواتر وظاهر الآيات والنذير المحذر من الشر والرسول من عند الله نذير وقد روي ان ذا القرنين
نذير ليس برسول وكذا ورد في رسل رسول الله الى الخلق فانهم نذر وليسوا برسل الله وقوله الذي له
الآية هي من الرد على قريش في قولهم ان لله شريكا وفي قولهم اتخذ البنات وفي قولهم في التلبية الا شريك
هو لك وقوله الذي له ملك السموات والارض وخلق كل شيء عام في كل مخلوق وتقدير الاشياء هو حدها
بالامكنة والازمان والمقادير والمصلحة والاتقان ثم عقب تعالى ذكره هذه الصفات التي هي
الالوهية بالطعن على قريش في اتخاذهم آلهة ليست لهم هذه الصفات فالعقل يعطي انهم ليسوا
بآلهة وقوله وهم يخلقون يحتمل ان يريد يخلقهم الله بالاختراع والايجاد ويحتمل ان يريد البشر
بالنحت والنجارة وهذا التأويل اشد بدالة تسمية الاصنام وخلق البشر تجوز ولكن العرب تستعمله
ومنه قول زهير ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
وهذا من خلقت الجلد اذا عملت فيه رسوما يقطع عليها والفري هو ان يقطع على تلك الرسوم
والموت والحياة يريد الاماتة والاحياء والنشور البعث من القبور وقوله وقال الذين كفروا
الآية قال القوم المراد بهم قريش وذلك ان بعضهم قال هذا افك وكذب افتراه محمد واختلف المتأولون
في القوم المعينين لمحمد على زعم قريش فقال مجاهد اشاروا الى قوم من اليهود وقال ابن عباس اشاروا
الى عبيد كانوا للعرب من الفرس احدهم ابو فكيهة مولى الحضرميين وجبر ويسار وعداس وغيرهم احتج
انهم ما جاءوا الا ظلما وزورا اي ما قالوا الا باطلا وبهتانا والزور تحسين الباطل هذا عرفه واصله
التحسين مطلقا ومنه قول عمر زورت ان اقدم بين يدي ابي بكر مقالة كنت زورتها وقالوا
اساطير الاولين قال ابن عباس يعني بذلك قول النضر بن الحارث وذلك ان كل ما في القرآن من ذكر
الاساطير انما هو بسبب قول النضر حسب الحديث المشهور في ذلك ثم رموا محمدا بانه اكتتبها وقرأ طلحة
مضموم اكتتبها بضم التاء الاولى وكسر الثانية اي اكتتبت له ذكرها ابو الفتح وقرأ طلحة تتلى عليه بدل
الميم ثم امره ان يقول للكفار انزله هو الله الذي يعلم سر جميع الاشياء السماوية والارضية ثم اعلم الله

غفور رحيم في ابقائهم على هذه المقالات والكفر لعلهم ان يؤمنوا قوله وقالوا ما لهذا
الرسول الضمير لقريش وذلك انهم كان لهم مع رسول الله مجالس مشهورة ذكرها ابن اسحاق في السير
وغيره مضمنه ان سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد ان كنت تحب
الرياسة وليناك علينا وان كنت تحب المال جمعنا لك من اموالنا فلما ابى رسول الله عليهم رجعوا
في باب الاحتجاج عليه فقالوا ما بالك وانت رسول الله تأكل الطعام وتقف بالاسواق تريد
التماس الرزق اي ان من كان رسول الله مستغن عن ذلكم ثم قالوا له سل ربك ان ينزل معك ملكا
ينذرنا ويلقي اليك كنزا تأكل منه او يرد جبال مكة ذهبا او تزال الجبال ويكون مكانها جنات
تطرد فيها المياه واشاعوا المحاجة فنزلت وكتبت اللام في مال منفردة اتباعا لمولى المصحف
قطع لفظة فاتبعه الكاتب واما لانهم رأوا ان حروف الجر بابها الانفصال نحو في ومن وعن
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر يأكل منها بالياء وقرأها حمزة والكسائي بالنون
وهي قراءة ابن وثاب وابن مصرف وسليمان بن مهران ثم اخبر تعالى عنهم وهم الظالمون الذين اشير
اليهم انهم قالوا حين يئسوا من محمد ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي قد سحر فهو لا يرى مراشده ويحتمل
ان يكون من السحر وهو الرئة فكانهم ذهبوا الى تحقيره اي رجلا مثلكم في الخلقة ذكره مكي وغيره
ثم نبهه الله مسليا عن مقالتهم فقال انظر كيف ضربوا لك الامثال اي بالمسحور والكاهن وغيره فضلوا
اي اخطأوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا لالتباسهم بضده من الضلال قوله الذي ان
شاء الآية رجوع بامر محمد الى الله اي هذه جملة لا تهمك ولا الهالكون في امرك والاشارة بذلك قال
مجاهد الى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا وقال ابن عباس هو الى اكله الطعام ومشيه
في الاسواق قال الطبري والاول اظهر لان الثاني يوهم ان الجنان والقصور التي في الآية هي
في الدنيا وهو تأويل الثعلبي وغيره ويرد ذلك قوله بل كذبوا بالساعة والكل محتمل وقرأ عاصم في
رواية ابي بكر وحفص ونافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ويجعل بالجزم عطفا على موضع الجواب
في قوله جعل لان التقدير تبارك الذي ان يشا يجعل وقرأ ابو بكر عن عاصم ايضا وابن كثير وابن
عامر ويجعل بالرفع والاستيناف وهي قراءة مجاهد ووجه العطف على المعنى في قوله جعل لان
جواب الشرط هو موضع استيناف الا ترى ان الجمل من الابتداء والخبر قد تقع موقع جواب الشرط وقرأ

عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمن ويجعل بالنصب وهي على تقدير ان في صدر الكلام قال ابو الفتح
هي جواب الجزا بالواو وهي قراة ضعيفة وادغم الاعرج ويجعل لك وروى ذلك عن ابن محيصن والقصور
البيوت المبنية بالجدرات قاله مجاهد وغيره وكانت العرب تسمي ما كان من الشعر والصوف والقصب
بيتا وتسمي ما كان بجدار قصرا لانه قصر عن الداخلين والمستاذنين قوله بل كذبوا بالساعة
المعنى ليس بهم تكذيب مستنبطي في الاسواق بل هم كفرة لا يفقهون الحق فقوله بل عرك لنفس الحفظ المتقدم
لا للمعنى على ما تقتضيه بل في مشهور معناها ٥ واعتدنا جعلنا معدا والعتاد ما يعد من الاشيا
والسعير طبق من اطباق جهنم قوله اذا رأتهم يريد جهنم اذا اقتضاها لفظ السعير ولفظ
رأتهم يحتمل الحقيقة والمجاز على ما ذكرت منهم على قدر ما يرى الراي من البعد الا انه ورد حديث
يقتضي الحقيقة ذكره الطبري وهو انه قال عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني
مقعده من النار قيل يا رسول الله او لجهنم عينان فقال اوما سمعتم اذا رأتهم من مكان بعيد الاية

جهنم

وروي في بعض الاثار ان البعد الذي تراهم منه مسيرة سنة وروي انه مسيرة خمسماية سنه
قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا لفظ فيه تجوز وذلك ان التغيظ لا يسمع وانما تسمع الاصوات
الدالة على التغيظ وهي لاشك احتدامات في النار كالتي تسمع في نار الدنيا اذا اضطرمت ونسبة
هذا المسموع في الدنيا من ذلك نسبة الاحراق من الاحراق وهي سبعون درجة كما ورد في الصحيح

الشيء

والزفير صوت ممدود كصوت الحمار المرجع في نهيقه قال النقاش الزفير اخر صوت الحمار عند
نهيقه قال عبيد بن عمير ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي الا خر ترعد فرايصه ٥ والمكان
الضيق منها هو يقصد التضييق عليهم في الاماكن من النار وذلك نوع من التعذيب قال عليه السلم
وانهم ليكرهون في النار كما يكره الوتد في الحايط اي يدخلون لزا وعنفا وقال ابن عباس تضيق
عليهم كما يضيق الزج على الرمح وقرا ابن كثير وعبد عن ابي عمرو ضيقا بتخفيف اليا وشدده
الباقون ٥ مقرنين معناه مربوط بعضهم الى بعض وروي ان ذلك بسلاسل من نار والقرنان
من الحيوان ما قرنا في الحبال ومنه قول الشاعر

٥ اذا الجمل حل القرنين يلتوي فلا بد يوما من قوى ان يحذما ٥

وقرا ابو شيبة
المهري صاحب معاذ مقرنون بالواو وهي قراة شاذة والوجه قراة الناس قوله

ثبورا مصدر وليس بالمدعو والمفعول بدعوا محذوف تقديره دعوا من لا يجيبهم ان يحو
هذا من التقدير ويصح ان يكون الثبور هو المدعو كما يدعى الحسرة والويل والثبور قال ابن عباس
هو الويل وقال الضحاك هو الهلاك ومنه قول ابن الزبعرى

٥ اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبورا ٥

وقوله لا تدعوا
الاية معناه يقال لهم على معنى التوبيخ والاعلام بانهم مخلدون لا يقتصروا على حزن واحد
بل احزنوا احزانا كثيرة لانتم اهل لذلك قوله قل يا محمد لهولا الكفرة الذين هم بسبيل مصير
الى هذه الاحوال ٥ اذلك خير ام جنة الخلد وهذا على جهة التوقيف والتوبيخ ومن حيث كان
الكلام استفهاما جاز فيه مجي لفظة التفضيل بين الجنة والنار في الخير لان الموقف جايز له ان
يوقف محاوره على ما شا ليرى هل يجيبه بالصواب او بالخطا وانما منع سيبويه وغيره من التفضيل
بين شيين لا اشتراك بينهما في المعنى الذي فيه تفضيل اذا كان الكلام خبرا لانه فيه مخالفة واما
اذا كان استفهاما فذلك سايغ وقيل الاشارة بقوله اذلك الى الجنات التي تجري تحتها الانهار
والى القصور التي في قوله تبارك الذي الاية وهذا على ان يكون الجعل في الدنيا وقيل الاشارة
بقوله اذلك خير الى الكنز والجنة اللتين ذكرا الكفار والاصح ان الاشارة بقوله اذلك خير ام
جنة الخلد الى النار كما رجحناه آنفا والمتقون في هذه الاية من اتقى الشرك فانه داخل في الوعد
ثم تختلف المنازل في الوعد بحسب تقوى المعاصي وقوله وعدا مسولا يحتمل معنيين قال
ابن عباس وابن زيد لانه مسول لكان المومنين سالوه او تيسا لوه وروي ان الملايكة سالت
الله بنعيم المتقين فوعدهم بذلك قال محمد بن كعب هو قول الملايكة ربنا وادخلهم جنات عدن
والمعنى الثاني ذكره الطبري عن بعض اهل العربية ان يريد وعدا واجبا قد حتمه كقولك
معدا ان تسال وتقتضي وليس يتضمن هذا التاويل ان احدا سال الوعد المذكور قوله
ويوم يحشرهم المعنى واذكر يوم والضمير للكفار وقوله وما يعبدون يريد به كل شي عبد من دون
فغلب العبارة عما لا يعقل من الاوثان لانها كانت الاغلب وقت المخاطبة وقرا ابن كثير وعاصم
في رواية حفص والاعرج وابو جعفر يحشرهم فيقول بالياء فيهما وقراها ابن عامر بالنون وهي قراة
الحسن وطلحة وعاصم ايضا وقرانا فع الاولى بالنون والثانية بالياء وفي قراة عبد الله وما يعبدون

من دوننا وقرأ الاعرج عنهم بكسر الشين وهي قليلة في الاستعمال قوية في القياس لان يفعل بكسر
العين في المتعدي اقيس من الضم وهذه الاية تتضمن ان الله يوبخ الكفار في القيامة بان يوقف
المعبودين على هذا المعنى ليقع الجواب بالتبري عن الذنب فيقع الخزي على الكافرين واختلف الناس
في الموقف المجيب من هذه الاية فقال الجمهور المعشر هو كل من ظلم بان عبد ممن يعقل كالملايكة وعزير
وعيسى وغيرهم وقال الضحاك وعكرمة الموقف المجيب الاصنام التي لا تعقل يقدرها الله يوميذ على هذه
المقالة ويجيء خزي الكفرة لذلك ابلغ وقرأ جمهور الناس نتخذ بفتح النون وذهبوا بالمعنى الى انه من قول
من يعقل وان هذه الاية بمعنى التي في سبا وكقول عيسى ما قلت لهم الاية ومن اوليا على هذه القراة
في موضع المفعول به وقرأ ابو جعفر والحسن وابو الدردا وزيد بن ثابت وابو رجا ونصر بن علقمة
ومكحول وزيد بن علي وحفص بن حميد نتخذ بضم النون وتذهب هذه مذهب من يجعل الموقف
المجيب الاوثان ويضعف هذه القراة دخول من في قوله من اوليا اعترض بذلك سعيد بن جبير وغيره
قال ابو الفتح من اوليا في موضع الحال ودخلت من زيادة لمكان النفي المتقدم كما تقول ما اتخذت زيدا
من وكيل وقرأ علقمة ما ينبغي بسقوط كان وثبوتها امكن في المعنى لانهم اخبروا عن حال كانت في
الدنيا ووقت الاخبار لا عمل فيه وفسر هذا المجيب بحسب الخلاف فيه الوجه في ضلال الكفار
كيف وقع وانه لما متعهم الله بالنعم الدنيوية وادرها لهم ولاسلافهم للاحقاب المتطاولة نسوا
الذكر اي ما ذكر به الناس على السنة الانبيا وبورا معناه هلكى والبوار الهلاك واختلف في لفظ
بور فقالت فرقة هي مصدر يوصف به الجميع والواحد ومنه قول ابن الزبعرى
يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور ۝ وقالت فرقة هي جمع باير
وهو الذي قد فارقه الخير فحصل بذلك في حكم الهالك باشره الهلاك بعد او لم يباشره قال
الحسن البائر الذي لا خير فيه قوله فقد كذبوكم الاية خطاب من الله بلا خلاف فمن قال
ان المجيب الاصنام قال ان معنى هذه اخبار الكفار ان اصنامهم قد كذبوهم وفي هذه الاخبار
خزي وتوبيخ والفرقة القايلة ان المجيب الملايكة ونحوهم اختلفت في المخاطب بهذه الاية
فقالت طايفة المخاطب الكفار على جهة التوبيخ والتقريع وقالت طايفة المخاطب هاولا
المعبودون اعلمهم الله ان الكفار بافعالهم القبيحة قد كذبوا صاحبه المقالة وزعموا ان هاولا هم

الاوليا من دون الله وقالت فرقة خاطب الله المومنين من امة محمد اي فقد كذبكم ايها المومنون
الكفار فيما تقولون من التوحيد والشرع وقرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم بما يقولون فما يستطيعون
بالياء فيهما وقرأ حفص عن عاصم بالتاء من فوق فيهما وقرأ الباقون وابو بكر ايضا عن عاصم الاولى
بالتاء والثانية بالياء من تحت ورجحها ابو حاتم وقرأ ابو حيوة بالعكس قال ابو مجاهد الضمير في
يستطيعون للمشركين قال الطبري وفي مصحف ابن مسعود تستطيعون لكم صرفا وفي قراءة ابي
بن كعب فقد كذبوك فلا يستطيعون لك قال ابو حاتم في حرف عبد الله لكم صرفا على جمع المعبودين
وصرفا معناه رد التكذيب او العذاب او ما اقتضاه المعنى بحسب الخلاف المتقدم وقد يحتمل
ان يعم غيره من المعاصي وفي حرف ابي بن كعب ومن يكذب منكم قوله وما ارسلنا قبلك ردا
على كفار قريش في استبعادهم ان يكون من البشر رسول وقولهم مال هذا الرسول الاية فاخبر الله محمدا
وامته انه لم يرسل قبل في سالف الدهر نبيا الا بهذه الصفة والمفعول بارسلنا محذوف يدل عليه
الكلام تقديره رجالا او رسلا وعلى هذا المحذوف المقدر يعود الضمير في قوله الا انهم وذهب
فرقة الى ان قوله ياكلون الطعام كناية عن الحدث وقرأ الجمهور ويمشون بفتح اليا وتخفيفه وقرأ
علي وعبد الرحمن وابن مسعود بضم اليا وفتح الميم وتشديد الشين المفتوحة بمعنى يدعون الى المشي
ويحملون عليه وقرأ ابو عبد الرحمن كذلك الا انه ضم الشين وهي بمعنى يمشون ومنه قول
الشاعر ۝ امشي باعطان المباه واتقي قلايص منها صعبة وركوب ۝ ثم اخبر تعالى ان
السبب في ذلك انه اراد ان يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مومن وكافر
فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة للفقير والفقير الشاكر فتنة للغني والرسول المخصوص بكرامة
النبوة فتنة لاشراف الناس الكفار وكذا العلما وحكام العدل وقد تلا ابن القاسم هذه الاية
حين راى اشهب والتوقيف بقوله اتصبرون خاص للمومنين المحقين فهو لامة محمد عليه السلام
كانه جعل امهال الكفار فتنة للمومنين اي اختبارا ثم وقفهم على الصبر او لا ثم اعرب بقوله وكان
ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين ثم اخبر عن مقالة الكفار لولا انزل علينا الملايكة
الاية قوله يرجون قال ابو عبيدة وقوم يخافون والشاهد قول الهذلي ۝
۝ اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل ۝ والذي يظهر لي ان الرجا في

كلا به والبيت على بابه لان خوف لقا الله مقترن ابدا برجائه فاذا نفي الرجا عن احد فانما اخبر عنه
بانه مكذب بالبعث لنفي الخوف والرجا وفي ذكر الكفار بنفي الرجا تنبيه على غبطة ما فاتهم من رجا الله
واما العتو فمعناه عند علم يرج دفعها والانفكاك عنها فهو لذلك يوطن على الصبر ويجد في شغله
ولما تمنت هاولا قريش رويته تعالى اخبر انهم عظموا انفسهم وسالوا ما ليسوا له باهل وعتوا معناه
صعبوا على الحق واشتدوا ويقال عتو وعتي فالعتو على الاصل والعتي معلول باستثقال الضم على الواو
فقلبت يا ثم كسر ما قبلها طلب التناسب قوله يوم يرون الملايكة المعنى ان الكفار لما قالوا لولا انزل
علينا الملايكة اخبر تعالى انهم يوم يرونهم انما هو يوم القيمة وقد كان اول الاية يحتمل ان يريد يوم تقبض
ارواحهم لكن اخرها يقتضي ان الاشارة للقيمة وامر العوامل في هذه الظروف بين اذا تؤمل واختصرناه
له للدلو ومعنى الاية ان هاولا الذين تمنوا نزول الملايكة لا يعرفون ما قدر الله في ذلك فانهم يوم يرونهم
هو شر لهم ولا بشرى لهم بل لهم الخسار ولقا المكروه ويومئذ خبر لا بشرى لان الظروف تكون اخبارا عن
المصادر والضمير في قوله ويقولون قال الحسن وقتادة والضحاك ومجاهد هو للملايكة المعنى وتقول
الملايكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى اي حرما والحجر الحرام قال المتلمس جرير بن عبد المسيح ⁂
⁂ حنت الى النخلة القصوى فقلت لها ⁂ حجر حرام الا تلك الدهاريس ⁂ وقال مجاهد ايضا
وابن جريج ان الضمير في قوله ويقولون هو للكفار المجرمين قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيا
قالوا حجرا قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون بها من الملايكة ويحتمل ان يكون المعنى ويقولون حرام محرم
علينا العفو وقد ذكر ابو عبيدة ان هاتين اللفظتين عوذة للعرب يقولها من خاف اخر في الحرم
او في شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة وهذا المعنى مقصد بيت المتلمس اي هذا الذي جئت اليه
ممنوع وقرا الحسن وابو رجا حجرا بضم الحا والناس على كسرها ثم اخبر تعالى عما ياتي عليه قضاوه
وفعله فقال وكانه عن يوم القيمة ⁂ وقدمنا اي قصدنا حكمنا وانفاذنا ونحو هذا من الالفاظ
اللايقة وقيل هو قدوم الملايكة اسنده اليه لانه عن امره وحسنت هذه اللفظة لان القادم
على شي مكروه لم يقرره ولا امر به مغير له ومذهب واما قول الراجز ⁂
⁂ وقدم الخوارج الضلال ⁂ الى عباد ربنا فقالوا ⁂ ان دماكم لنا حلال ⁂ فالقدوم
فيه على بابه ومعنى الاية وقصدنا الى اعمالهم التي هي في الحقيقة لا تزن شيا اذ لا نية معها فجعلناها

على ما تستحق لا تعدل شيا وصيرناها منثورا اي شيا لا تحصيل له والهبا الاجرام المتفرقة
السابحة في الهوا التي لا يكاد تحس الا حين تدخل الشمس على موضع ضيق يحيط به الظل كالكوة
ونحوها فتظهر حينئذ فيما قابل الشمس اشيا تغيب وتظهر فذلك هو الهبا ووصفه في هذه
الاية بمنثور ووصفه في غيرها بمنبث فقالت فرقة هما سوا وقالت فرقة المنبث ارق وادق
من المنثور لان المنثور يقتضي ان غيره نثره كتراب النعل والرياح او هدم حائط او كسر عود ولك
والمنبث كانه هو انبث من دقته وقال ابن عباس الهبا المنثور ما تسفي الرياح وتبثه وروي
عنه انه قال ايضا الما المهراق والاول اصح والعرب تقول اهباب الغبار والتراب ونحوه اذا
نثره وقال الشاعر ⁂ فترى حولها من الربع والنقع مبينا كانه اهبا ⁂ ومعنى
هذه الاية جعلنا اعمالهم لا حكم لها ولا منزلة ثم اخبر عز وجل بان مستقر اهل الجنة خير من مستقر اهل
النار وجات خير هاهنا للتفضيل بين شيين لا شركة بينهما فقال الزجاج وغيره في ذلك انه لما اشتركا
في ان هذا مستقر وهذا مستقر فضل الاستقرار الواحد ويظهر لي ان هذه الالفاظ التي فيها
عموم ما وتوجه حكمها من جهات شتى نحو قولك احب واحسن وخير وشر يسوغ ان تجا بين
شيين لا شركة بينهما فتقول السعد في الدنيا احب الي من الشقا اذ قد يوجد بوجه ما من يحب
الشقا كالمتعبد المتقشف وكذلك في غيرها فاذا كانت افعل في معنى بين ان الواحد من الشيين
هذا الذي تقول في ياقوتة ومدرة وتشير الى المدرة هذه احسن وخير واحب من هذه وافضل ولو قلت
هذه المدرة اشد حمرة من هذه لكان فاسدا قوله مقيلا ذهب ابن عباس والنخعي وابن جريج الى ان
حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ويقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والمقيل من
القايلة ويحتمل ان اللفظة انما تضمنت تفضيل الجنة جملة وحسن هوائها والعرب تفضل البلاد بحسن
المقيل لان وقت القايلة يبدو فساد هوا البلاد فاذا كان بلد في وقت فساد الهوا حسنا جاز
الفضل فمن ذلك قول الاسود بن يعفر الايادي
⁂ ارض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن ام دواد ⁂ قوله ويوم تشقق السما
بالغمام يريد يوم القيمة عند انفطار السما ونزول الملايكة ووقوع الجزا بحقيقة الحساب وقرا نافع
وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والقاف الباقون بتخفيف الشين ⁂ بالغمام اي تشقق عنه

والغمام سحاب رقيق ابيض لم يره البشر بعد الا ما جاء في تظليل بني اسرائيل وقرا الجمهور ونزل بضم
النون وشد الزاي المكسورة الملائكة رفعا وقرا ابو عمرو في رواية عبد الوهاب ونزل بتخفيف الزاي
المكسورة وقال ابو الفتح وهذا غير معروف لان نزل لا يتعدى لمفعول فيسمى ها الملائكة ووجهه ان
يكون مثل زكم الرجل وجن فانه لا يقال الا ازكمه الله واجنه وهذا باب سماع لا قياس وقرا ابو رجاء
ونزل بفتح النون وشد الزاي الملائكة نصبا وقرا الاعمش وانزل وكذا قرا ابن مسعود وقرا ابي بن كعب
نزلت الملائكة وقرا ابن كثير وحده وننزل بنونين وهي قراءة اهل مكة ورويت عن ابي عمرو وقراها دون
ابي عمرو ونزل الملائكة باسناد الفعل اليها وقرات فرقة وتنزل الملائكة وقرا ابي بن كعب ايضا وتنزلت
الملائكة ثم قرر ان الملك الحق يومئذ هو للرحمن اذ بطل في ذلك اليوم كل ملك وعسره على الكافرين بوجه
دخول النار عليهم وما في خلال ذلك من المخاوف وقوله على الكافرين دليل ان ذلك اليوم سهل
على المؤمنين وروي عن النبي عليه السلام انه قال ان الله ليهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف
عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله ويوم ظرف العامل فيه فعل مضمر وعض اليدين هو التفجع
وفعل النادم وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين الظالم في هذه الاية عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان
اسلم او جنح الى الاسلام وكان ابي بن خلف الذي قتله النبي عليه السلام بيده يوم احد خليلا لعقبة فنهاه
عن الاسلام فقبل نهيه فنزلت الاية فيهما فالظالم عقبة وفلانا ابي وفي بعض الروايات عن ابن عباس ان
الظالم ابي فانه كان يحضر النبي عليه السلام فنهاه عقبة فاطاعه ومن ادخل في هذه الاية امية بن
خلف فقد وهم الا على قول من يرى الظالم اسم جنس وقال مجاهد الظالم عام اسم جنس وفلانا الشيطان
ويظهر ان الظالم عام وان مقصد الاية تعظيم يوم القيمة وذكر هوله بانه يوم يندم فيه الظلمة ويتمنى
ان لو لم يطيعوا في دنياهم خلانهم الذين امروهم بالظلم فلما كان خليل كل ظالم غير خليل الاخر وكان كل ظالم
يسمي رجلا خاصا عبر عن ذلك بفلان الذي فيه الشياع التام ومعناه واحد من الناس وليس ظالم
الاولى في الدنيا خليل بعينه وعرضه هذا في الاغلب ويشبه ان سبب هذه الاية هذا ويرد هذا
المعنى بعد عمومه ولكن قوله مع الرسول يقوي ذلك بان يجعل تعريف الرسول للعهد والاشارة
الى محمد عليه السلام وعلى التاويل الاول التعريف للجنس وكلهم قرا يا ليتني بالياء الا ابا عمرو عن ابي
عمرو فانه حركها في ليتني اتخذت ورواها ابو خليد عن نافع مثل ابي عمرو والسبيل المسماة هي طريق

الاخرة

الاخرة وفي هذه الاية لكل ذي نهية تنبيه على تجنب قرين السوء والاحاديث والحكم في هذا
هذا الباب كثيرة مشهورة وقوله يا ويلتى الالف فيه عوض من اليا في يا ويلتي والاصل في اليا
في قولهم يا غلاما وهي لغة معروفة وقد قرئ بالامالة قال ابو علي وترك الامالة احسن لان اصل هذه
اللفظة اليا يا ويلتي فبدلت الكسرة فتحة واليا الفا فرارا من اليا فمن امال رجع الى الذي عنه
فر اولا والذكر هو ما ذكر به الانسان امر اخرته من قران او موعظة ونحوه وقوله
وكان الشيطان الاية يحتمل ان يكون من قول الظالم او ابتداء اخبار من الله على جهة الدلالة
على وجه ضلالهم والتحذير من الشيطان الذي بلغهم ذلك المبلغ قوله وقال الرسول حكاية
عن قوله عليه السلام في الدنيا وتشكيه ما يلقى من قومه هذا قول الجمهور وهو الظاهر وقالت فرقة
هو حكاية عن قوله ذلك في الاخرة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو قومي بتحريك اليا والباقون يسكنونها
مهجورا يحتمل ان يريد مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء هذا قول ابن زيد ويحتمل ان يريد مقولا
فيه الهجر بضم الهاء اشارة الى قولهم شعر وكهانة وسحر وهذا قول مجاهد وابرهيم النخعي وقول ابن زيد
منبه للمؤمنين على ملازمة المصحف وان لا يكون الغبار يعلوه في البيوت ويشتغل بغيره وروى
انس ان النبي عليه السلام قال من علق مصحفا ولم يتعاهده جاء يوم القيمة متعلقا به يقول هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه ثم سلاه عن فعل قومه بقوله انه غير اول الرسل كذلك امتحن باعدا
في زمنه فاصبر كما صبروا قال ابن عباس عدوا يريد به الجمع يقول هذا ولا عدو في وصف به
الجمع والواحد والمؤنث ثم وعده بقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا والباء في بربك للتاكيد دالة على الامر
اذ المعنى اكتف بربك قوله وقال الذين كفروا الاية روي عن ابن عباس وغيره ان كفار قريش قالوا
في بعض معارضتهم لو كان هذا القران من عند الله لنزل جملة كما نزلت التوراة والانجيل وقوله كذلك
يحتمل ان يكون من قول الكفار اشارة الى الكتابين ويحتمل ان يكون من الكلام المستانف وهو اولى ومعناه
كذلك انزلناه فالاشارة الى نزوله متفرقا وجعل الله السبب في نزوله متفرقا تثبيت فؤاد محمد
عليه السلام وليحفظه وقال المكي والرماني من حيث كان اميا وليطابق الاسباب الموقعة فنزل
في بضع وعشرين سنة وكان غيره من الرسل يكتب فنزل اليه جملة وقرا ابن مسعود لنثبت بالنون والترتيل
التفريق بين الشيء المتتابع ومنه قولهم ثغر رتل ومنه ترتيل القراءة واراد ان ينزل القران

في المقاولات والمحاورات التي قد قدرتها ومقدر وله فيهام اخبر تعالى نبيه ان هولا الكفار لا يجيئون
بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم كتمثيلهم في التوراة والانجيل الا جا القران بالحق في ذلك بالجلية
ثم هو احسن تفسيرا وافصح بيانا وتفصيلا ثم توعد الكفار بما ينزل بهم يوم القيمة من الحشر على وجوههم
الى النار وذهب الجمهور الى ان المشي على الوجوه حقيقة وروي في ذلك عن انس بن مالك حديث
ان النبي عليه السلام قال له رجل يا رسول الله كيف يقدرون على المشي على وجوههم قال الذي امشاهم
على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم وقالت فرقة هذه استعارة للذلة المفرطة والهوان والخزي
وقوله شر مكانا المفضل فيه كالمفضل في خير مستقرا قوله ولقد اتينا موسى الكتاب الايات
التي ذكر فيها الامم هو تمثيل لهم وتوعد ان يحل بهم ما حل بهم ولا المعذبين والكتاب التوراة والوزير
المعين وهو من حمل الوزر اي ثقل الحال او من الوزر وهو الملجا والقوم الذين كذبوا هم فرعون
وملاوه من القبط ثم حذف من الكلام كثير دل عليه ما بقي وتقدير المحذوف فذهبا فاديا الرسالة
فكذبوهما فدمرناهم وقرا علي بن ابي طالب ومسلمة بن محارب فدمرانهم اي كونا سبب ذلك قال
ابو الفتح الحق نون التاكيد الف التثنية كما تقول اضربانّ زيدا وروي عن علي فدمراهم وحكى
عن ابو عمرو الداني فدمرناهم بكسر الميم خفيفة قال وروي عنه فدمرا بهم بالبا وكذا ذكرها
المهدوي ونصب قوله وقوم نوح بفعل مضمر يدل عليه اغرقناهم وقوله الرسل وهم انما
كذبوا نوحا فقط معناه ان الامة التي تكذب نبيا واحدا ففي ضمن ذلك تكذيب جميع الانبيا
لجهات العبادة بما يتضمنه فعلهم تغليظا في القول عليهم وقوله اية اي علامة على سطوة الله بكل
كافر بنبايه وعادا وثمود تصرف ولا تصرف وجا ها هنا مصروفا وقرا ابن مسعود وعمرو بن ميمون
والحسن وعيسى وعادا مصروفا وثمود غير مصروف واختلف الناس في اصحاب الرس فقال
ابن عباس قوم من ثمود وقال قتادة هم اهل قرية من اليمامة يقال لها الرس والفلج وقال مجاهد
هم اهل قرية فيها بير عظيمة يقال لها الرس وقال كعب ومقاتل والسدي والرس بير بانطاكية
الشام قتل فيها صاحب ياسين وقال الكلبي اصحاب الرس قوم بعث اليهم نبي فاكلوه وقال
قتادة اصحاب الرس واصحاب ليكة قوم ارسل اليهما شعيب عليه السلام وقال وهب بن منبه
وقال علي في كتاب الثعلبي اصحاب الرس قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت رشوا

بينهم نبي فحفروه له في بير وفي حديث طويل والرس في اللغة كل محفور من بير او قبر او معدن ومنه قول
الشاعر ۝ سبقت الى فرط باهل تنابلة يحفرون الرساسا ۝ وروى عكرمة ومحمد بن كعب
القرظي عن النبي عليه السلام ان الرس المشار اليهم في هذه الاية قوم اخذوا نبيهم فرسوه في بير واطبقوا
عليه صخرة قال وكان عبد اسود قد امن به يجي بطعام الى تلك البير فيعينه الله على تلك الصخرة فيقلعها
وهو مومن بذلك النبي فيعطيه ما يغذيه ثم يرد الصخرة الى ان ضرب الله يوما على اذن ذلك الاسود بالنوم في
عشر سنة واخرج اهل القرية نبيهم فامنوا به في حديث طويل قال الطبري فيمكن انهم كفروا به بعد ذلك
فذكرهم الله في هذه الاية ۝ وقرونا بين ذلك كثيرا ابهام لا يعلم حقيقته الا الله وقد تقدم شرح القرن وكم هو
ومن هذا اللفظ قال عليه السلام فيما روي عنه وقد روي عن ابن عباس كذب النسابون من فوق عدنان
لان الله قد اخبر عن كثرة من الخلق والامم ولم يحد حدا ثم قال ان كلها ولا ضرب له الامثال ضرب فلم يهتد
فتبره الله تعالى والتبار الهلاك ومنه تبر الذهب اي المكسر المفتت وكذلك يقال لفتات الرخام
والزجاج وقال ابن جبير ان اصل الكلمة نبطي ولكن العرب قد استعملته قوله ولقد اتوا على القرية
قال ابن عباس وابن جريج والجماعة الاشارة الى قوم لوط وهي سدوم بالشام ۝ ومطر السوء حجارة
وقرا ابو السمال بضم السين ثم وقفهم على اعراضهم وتعرضهم لسخط الله بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية
ثم حكم عليهم بان كفرهم انما وجب فساد معتقدهم في امر الاخرة وانهم لا يرجون البعث ولا يخافونه ايضا ثم
حكم عليهم انهم اذا راوا محمدا استهزوا واستحقروه واستبعدوا ان يبعثه الله رسولا وفي قوله بعث ضمير
يعود على الذي حذف اختصارا وحسن ذلك في الصفة ثم ايس النبي عليه السلام عن كفرهم بقوله
ارايت من اتخذ الهه هواه الاية والمعنى لا تاسف عليهم ودعهم لرايهم ولا تحسب انهم على ما يجب من
التحصيل والعقل بل هم كالانعام في الجهل بالمنافع وقلة التحفظ للعواقب ثم حكم بانهم اضل سبيلا
من حيث هولا لهم الفهم وتركوه والانعام لا سبيل لهم الى فهم المصالح ومن حيث جهالة هولا وضلالهم
هي في امر اخطر من الامر الذي فيه جهالة الانعام قوله اتخذ الهه هواه معناه جعل هواه مطاعا
فصار كالاله والهوى قايد الى كل فساد لان النفس امارة وانما الصلاح اذا ائتمر للعقل وقال ابن
عباس الهوى اله يعبد من دون الله ذكره الثعلبي ومثل الاشارة بقوله الهه هواه الى ما كانوا عليه من انهم
كانوا يعبدون حجرا فاذا وجدوا احسن منه طرحوا الاول وعبدوا الثاني الذي وقع هواهم عليه قال ابو

الاسود صح

حاتم روى عن رجل من اهل المدينة قال سالت يحيى هو الاعرج الهه هواه والمعنى اتخذ شيئا يستحسن

بما هواه اذا الشمس يعالها الهة وتعرف ولا تعرف والرجل القائم على الامر الناهي فيه قوله

الم تر الى ربك معناه تنبيه والرؤية هنا رؤية القلب وادغم عيسى بن عمر ربك كيف قال ابو حاتم

والبيان احسن ومد الظل باطلاق هو ما بين اول الاسفار الى طلوع الشمس ومن بعد مغيبها

مدة يسيرة فانه في هذين الوقتين على الارض كلها ظل ممدود انه نهار وفي سائر الاوقات الظلال

منقطعة والمد والقبض يطرد فيها وهو عندي المراد بالاية ومن الظل الممدود ما ذكره الله في

الجنة لانها لما كانت لا شمس فيها كان ظلها ممدودا ابدا وتظاهرت اقوال المفسرين على ان

مد الظل هو من الفجر الى طلوع الشمس وهذا معترض بان ذلك في غير نهار بل في بقايا الليل لا يقال له

ظل قوله ولو شاء لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل الشمس ونسخها اياه

وطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده ولوجوه العبرة فيه وحكى الطبري انه لولا

الشمس لم نعلم ان الظل شيء لان الاشيا انما تعرف باضدادها قوله قبضا يسيرا يحتمل ان يريد

لطيفا اي شيئا بعد شيء لا في مرة واحدة ولا بعنف قاله مجاهد ويحتمل ان يريد معجلا وهذا قول ابن

عباس ويحتمل ان يريد سهلا قريب المتناول قال الطبري ووصف الليل باللباس تشبيها من حيث

يستر الاشيا ويغشاها والسبات ضرب من الاغماء يعتري اليقظان مرضا فشبه النائم

به والسبت الاقامة في المكان فكان السبات سكون ما وثبوت عليه والنشور في هذا الموضع

الاحياء شبه اليقظة به ليطابق الاحيا مع الاماتة والتوفي اللذين يتضمنهما النوم والسبات

ويحتمل ان يريد بالنشور وقت انتشار وتفرق لطلب المعايش وابتغا فضل الله وقوله النهار

نشورا ونحوه من باب ليل نائم ونهار صائم قوله وهو الذي ارسل الرياح كذا قرات فرقة

وقرات فرقة الريح على الجنس فهي بمعنى الرياح وقد تقدم بيان قراها في الاعراف والجمع

اوجه لان عرف الريح متى وردت في القران مفردة فانما هي للعذاب ومتى كانت للمطر والرحمة

فانما هي رياح لان ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرق وتاتي لينة من هاهنا وهاهنا وشيئا

اثر شيء وريح العذاب خرجت لا تتدارك وانما تاتي جسدا واحدا الا ترى انها تحطم ما تجد وتهدمه

وقال الرماني جمعت رياح الرحمة لانها ثلاثة لواقح الجنوب والصبا والشمال وافرد ريح

العذاب لانها واحدة لا تلقح وهي الدبور وقول النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت الريح قال اللهم اجعلها

رياحا ولا تجعلها ريحا واختلف القرا في نشرا بالنون والباء كما قدمناه وبالنون معناه منتشرة متفرقة

والفعول في طهورا اما مبالغة في فاعل وهذه المبالغة اقتضت في ماء السماء وفي كل ماء هو منه سبيله

ان يكون طاهرا مطهرا وربما اكثر فيه المغايرة كالورد وغيره العيب ان يكون طاهرا لا مطهرا ثم اذا

افرط التغيير بخالطه مع الخبث لم يكن الا طاهرا ولا مطهرا ووصف البلدة بالميت لانه جعله كالمصدر

الذي يوصف به المذكر والمونث وجاز ذلك من حيث البلدة بمعنى البلد وقرا طلحة بن مصرف نسقيه

به ونسقيه بضم النون قراءة الجمهور ومعناه نجعله لهم سقيا هذا قول بعض اللغويين في اسقى فالواسقى

معناه للشفة وقال الجمهور هما بمعنى واستشهد ببيت لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال

وقرا ابو عمرو وهنا بفتح النون وهي قراءة ابن مسعود وابي حيوة وابن ابي عبلة ورويت عن عمر بن الخطاب واناسي قيل هو جمع انسان

والياء المشددة بدل من النون الواحد قاله سيبويه وقال المبرد هو جمع انسي وكان القياس ان

يكون اناسية كما قالوا في مهلبي مهالبة وحكى الطبري عن بعض اللغويين في جمع انسان اناسين بالنون

كسرحان وسراحين وبستان وبساتين وقرا يحيى بن الحرث اناسي بتخفيف الياء والضمير في صرفناه

قال ابن عباس ومجاهد هو عائد على الماء المنزل من السماء والمعنى ان الله جعل انزال الماء تذكرة بان

يصرف عن بعض المواضع وهو كله وكل عام بمقدار واحد قاله ابن مسعود وقوله على هذا التاويل

فابى اكثر الناس الا كفورا اي قولهم بالانوا والكواكب قاله عكرمة وقيل كفورا على الاطلاق لما تركوا

التذكر وقال ابن عباس الضمير في صرفناه للقران وان كان لم يتقدم له ذكر لوضوح الامر ويعضده

قوله بعد وجاهدهم به جهادا كبيرا وعلى التاويل الاول الضمير في به يراد به القران على نحو ما ذكرناه

وقال ابن زيد يراد به الاسلام وقرا عكرمة صرفناه بتخفيف الرا وقرا حمزة والكسائي والكوفيون ليذكروا

بسكون الذال وقرا الباقون بتشديدها ولو شئنا الاية فيه اقتضاب يدل عليه ما ذكر تقديره ولكنا

افردناك بالنذارة وحملناك فلا تطع الكافرين قوله وهو الذي مرج البحرين اضطرب الناس

في تفسيرها فقال ابن عباس اراد بحر السحاب وبحر الارض ورتبت الفاظ الاية على ذلك وقال مجاهد

البحر العذب هو مياه الانهار الواقعة في البحر الاجاج ووقوعها فيه المرج قال والبرزخ والحجر هو

هو

حاجز في علم الله لا يراه البشر وقاله الزجاج وقالت فرقة مرج ادام احدهما في الآخر وقال ابن عباس
خلّى احدهما على الآخر ونحو هذا من الاقاويل التي تدعو مع الفاظ الآية والذي اقول به ان المقصد
بالآية التنبيه على قدرة الله واتقان خلقه للاشيا بان بثّ في الارض مياهاً عذبة كثيرة من انهار وعيون
وابار وجعلها خلال الاجاج وهو خلالها فتلقى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه وتلقى
الما العذب في الجزاير ونحو هذا قد اكتنفه الما الاجاج فنرى هكذا في الارض هو خلطهما ومرجهما ومنه
امر مريج اي مختلط مشتبك ومنه مرجت عهودهم في الحديث المشهور والبحران يريد بهما جميع الما
العذب وجميع الما الاجاج كانه قال مرج نوعي الما والبرزخ والحجر ما بين البحرين من الارض واليبس
قاله الحسن ومنه القدرة التي تمسكهما مع قرب ما بينهما في بعض المواضع وقرأ الناس كلهم وحجرا
بكسر الحا وقرأ الحسن بضمها في سائر القرآن والفرات الصافي اللذيذ المطعم والبرزخ الحاجز بين
الشيئين وقرأ الجمهور وهذا ملح وقرأ طلحة بن مصرف بفتح الميم وكسر اللام قال ابو حاتم هذا منكر في القراءة
قال ابن جني اراد مالحاً وحذف الالف كبرد وبرد والاجاج ابلغ ما يكون من الملوحة وقوله وهو
الذي خلق من الما بشرا الآية هو تعديد النعمة على الناس في ايجادهم بعد العدم والتنبيه على العبرة
في ذلك وتعديد النعمة في التواشج الذي جعل بينهم من النسب والصهر وقوله من الما اما ان يريد اصل
الخلقة في ان كل مخلوق من الما واما ان يريد نطف الرجال وكل ذلك قول قالت به فرقة والاول اوضح
وابين والنسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون بين اثنين فالنسب هو ان يجمع انسان مع آخر
في اب او ام قرب ذلك او بعد والصهر هو تواشج المناكحة فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة
الزوج هم الاحما ويعم ذلك كله الاصهار وقال عليه السلام النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما
يحل نكاحه وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع وذلك عندي وهم اوجبه ان ابن عباس قال
حرم من النسب سبع ومن الصهر خمس وفي رواية ومن الصهر سبع يريد آخر الآية حرمت عليكم
امهاتكم الى قوله والمحصنات من النساء وجعل هذا ابن عباس اراد حرم من الصهر مع ما ذكر معه
فقصد الى عظم ما ذكر وهو الصهر لا ان الرضاع صهر وانما الرضاع عديل النسب يحرم منه ما يحرم
بالنسب بحكم الحديث المأثور فيه ومن روى وحرم من الصهر خمس اسقط من الآية الجمع بين الاختين
والمحصنات وهن ذوات الازواج وحكى الزهراوي قولا ان النسب من جهة البنين والصهر من جهة

البنات وهذا حسن وهو في درج ما فسّرناه وقال ابن سيرين نزلت هذه الآية في النبي وعلي عليهما
السلام انه جمعه معه في نسب وصهر فاجتماعهما حرمة والكوه الى نعيم الجنة وكان ربك
قديرا اي كان التي للدوام قبل وبعد لا انها تعطي مضيا منقطعا ثم ذكر تعالى خطاهم في عبادتهم اصناما
لا تملك لهم ضرا ولا نفعا قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا فيه تاويلان احدهما ان الظهير المعين فيكون
الآية بمعنى توبيخهم على ذلك من ان الكفار يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة والشياطين في تطويعه وتظاهره
وهذا قول مجاهد والحسن وابن زيد والثاني ذكره الطبري ان يكون بمعنى من قولك ظهرت الشي اذا
طرحته وراء ظهرك واتخذته ظهريا فيكون معنى الآية على هذا التاويل احتقار الكفرة والكافر في هذه
الآية اسم جنس وقال ابن عباس بل هو معين اراد به ابا جهل بن هشام وتبينه انه سبب ولكن اللفظ
عام للجنس كله قوله وما ارسلناك الآية تسلية له اي لا تهتم بهم ولا تذهب نفسك عليهم
حسرات حرصا عليهم وانما انت رسول تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار ولست مطلوب
بايمانهم اجمعين ثم امره بان يحتج عليهم مزيلا لوجوه التهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر اي ما اطلب
مالا ولا نفعا يختص بي الا من شا الظاهر انه استثنا منقطع والمعنى لكن من شا ويطلب من
شا ان يهتدي ويؤمن ويتخذ الى ربه سبيلا اي طريق نجاة وقال الطبري المعنى لا اسألكم اجرا
الا انفاق المال في سبيل الله فهذا هو المسؤول وهو السبيل الى الرب فالاستثنا على هذا كالمتصل
وكانه قال لا اجر من شا والاول اظهر قوله وتوكل المعنى قل لهم يا محمد هذه المقالة التي لا
يتطرق اليك معها ولا تهتم بهم وبشر وانذر وتوكل على المتكفل بنصرك وعصمتك في كل امرك ثم وصف
نفسه بالصفة التي تقتضي التوكل بقوله الحي الذي لا يموت اذ هذا المعنى يختص به دون كل ما في الدنيا
مما يقع عليه اسم حي وسبح بحمده قل سبحان الله وبحمده اقول قال عليه السلام من قال في كل يوم سبحان الله
وبحمده مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر فهذا معنى نزه ومعنى احدى الكلمتين الخفيفتين
على اللسان الثقيلتين في الميزان قوله وكفى به توعد ان الله كل من يخبره عليه السلام في قضية
بهم قوله وما بينهما مع جمع السموات مثل شايع من حيث عادل لفظ الارض لفظ السموات
ونحوه قول عمرو بن شييم ألم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا
من حيث عادلت حبال حبالا ومنه قول الآخر

ان الميتة والمخوف كلاهما نوفي المحارم برقبان سوادي ۞ قوله في ستة ايام اختلف الرواية
في يوم ابتدا الخلق فالاكثر على يوم الاحد وفي مسلم وكتاب الدلايل يوم السبت ويجوز ذلك في ستة
ايام وضع الاناة والتمهل في الامور لان قدرته تقتضي انه خلقها في طرفة عين لو شا وقد تقدم القول
في الاستوا قوله الرحمن يحتمل ان يكون رفعه باضمار مبتدا اي هو الرحمن ويحتمل ان يكون بدلا
من الضمير في قوله استوى وقرا زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام الرحمن بالخفض وقوله فاسال
به خبيرا فيه تاويلان احدهما فاسال عنه وخبيرا على هذا منصوب بوقوع السوال عليه والمعنى
اسال جبريل والعلما واهل الكتب المنزلة والثاني ان يكون المعنى كما تقول لو لقيت فلانا
لقيت به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى فاسال الله عن كل امر وخبيرا على هذا منصوب اما
بوقوع السوال واما على الحال المؤكدة او كما قال وهو الحق مصدقا وليست هذه بحاله منتقله
اذ الصفة العلية لا تتغير ولما ذكر في هذه الاية الرحمن كانت قريش لا تعرف هذا في اسما الله وكان
مسيلمة الكذاب باليمامة يسمى الرحمن فغالطت قريش بذلك وقالت ان محمدا يامر بعبادة رحمن اليمامه
فنزلت واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الاية قوله وما الرحمن استفهام عن مجهول عندهم على بابها
المشهور وقرا جمهور القرا لما تامرنا بالتا اي انت يا محمد وقرا حمزة والكسائي والاسود بن يزيد
وابن مسعود يامرنا بالياء من تحت اما على اراده محمد والحكاية عنه بالغيبة واما على اراده
رحمن اليمامه ۞ وزادهم اي اضلهم هذا اللفظ ضلالا يخص به حاشا ما تقدم منهم قوله
تبارك الاية لما جعلت قريش سوالها عن الرحمن عن مجهول نزلت مصرحة بصفاته التي تعرف به
وتوجب الاقرار بالوحدانية والبروج هي التي علمها العرب بالتجربة وكل امة مصرحة وهي المشهورة
عند اللغويين واهل تعديل الاوقات وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التي ذكرها
قوله قدرناه منازل والعرب تسمى البنا المرتفع المستغني عن غيره برجا تشبيها
ببرج السما ومنه قوله ولو كنتم في بروج مشيدة وقال الاخطل ۞
۞ كانها برج رومي يشيده له بجص واجر واحجار ۞ وقال بعض الناس في هذه الاية البروج
القصور في الجنة وقال الاعمش كان اصحاب عبد الله يقرونها في السما قصورا وقيل البروج الكواكب
العظام حكاه الثعلبي عن ابي صالح وهو اخو ما بناه الا انه غير ملخص واما القول بانها قصور

في الجنة فقول يحط غرض الاية وفي التنبيه على اشيا معرفات تقوم بها الحجة على منكريها وجاهل
به وقرا الجمهور سراجا وهي الشمس وقرا حمزة والكسائي وابن مسعود وعلقمة والاعمش سرجا وهو
اسم جمع الانوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا وقرا النخعي وابن وثاب والاعمش ايضا قمرا بسكون
الرا قال ابو حاتم روي عصمه عن الحسن وقرا بضم القاف وسكون الميم ولا ادري ما اراد الا ان
يكون جمع قمرا كثمر وثمر وهي قراة الاعمش وقوله خلفة اي هذا يخلف هذا وبالعكس ومنه قول
زهير ۞ بها العين والارام يمشين خلفة واطلاوها ينهضن من كل مجثم ۞ وقول الاخر
يصف امراة تنتقل من منزل في الشتا الى منزل في الصيف دايبا ۞

ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذي جمعا ۞

خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا ۞

في بيوت وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا ۞ قال مجاهد خلفة من الخلاف هذا
ابيض وهذا اسود والاول اقوى وقال مجاهد وغيره لمن اراد ان يذكر اي يعتبر بالمصنوعات
ويشكر الله على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم وقال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس يذكر ما
فاته من الخير والصلاة ونحوه في احدهما ويستدركه في الاخر وقرا حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم
الكاف وهي قراة ابن وثاب وطلحة والنخعي والباقون بالتشديد وفي مصحف ابي بن كعب يتذكر وقوله وعباده
تم لما قال تعالى هزا جا بصفة عباده الذين هم اهل التذكر والشكور والعباد والعبيد بمعنى
الا ان العباد تستعمل في مواضع التنويه وسمى قوم من عبد القيس العباد لانكرى تكلمهم دون
العرب وقيل لانهم انفوا من تساوي الحيرة فصاروا عباد الله واليهم نسب عدي بن زيد العبادي
وقرا الحسن وعبيد الرحمن ذكره الثعلبي قوله الذين يمشون الاية خبرا ابتدا والمعنى وعباده
حق عباده هم الذين يمشون وقوله على الارض عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر
من ذلك العظم لا سيما وفي الانتقال في الارض هي معاشرة الناس وخلطتهم ثم قال هونا بمعنى
امره كله هون اي لين حسن وقال مجاهد بالحلم والوقار وقال ابن عباس بالطاعة والعفاف
والتواضع وقال الحسن حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وذهب فرقة الى ان هونا مرتبط بقوله يمشون
على الارض اي ان المشي هون ويشبه ان يتاول هذا على ان يكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة ۞

لسنته فيرجع القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون المراد صفة المشي فباطل لانه رب ماش
هونا رويدا وهو ذئب اطلس وقد كان عليه السلام يتكفا في مشيه كانما يمشي في صبب وهو
الصدر في هذه الاية وقال عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا انما اراد في عقد نفسه
ولم يرد من الماشي المشي وحده الا ترى ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط
حتى قال فيهم الشاعر ذما لهم ۝ كلهم يمشي رويد كلهم يطلب صيد ۝ وقال الزهري
سرعة المشي تذهب بهاء الوجه يريد الاسراع الحثيث لانه يخل بالوقار والخير في التوسط
وقال زيد بن اسلم كنت اسال عن تفسير قوله الذين يمشون على الارض هونا فما وجدت في ذلك شفاء
فرايت في النوم من جاءني فقال لي هم الذين لا يريدون ان يفسدوا في الارض وهذا تفسير في الخلق وهونا معناه
رفقا وقصدا ومنه قول علي عليه السلام احبب حبيبك هونا ما الحديث قوله واذا خاطبهم
الاية اختلف فقالت فرقة ينبغي للمخاطب ان يقول للجاهل سلاما بهذا اللفظ اي سلمنا سلاما او
تسلما ونحو هذا فيكون العامل فيه فعلا من لفظه على طريقة النحويين والذي اقوله ان قالوا هو
العامل في سلاما لان المعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما قولا سدادا اي يقول
للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين فقالوا على هذا التاويل عاملا في سلاما على طريقة النحويين وذلك انه
بمعنى قولا وهذه الاية كانت قبل اية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وبقي ادبها في المسلمين الى يوم
القيمة وذكر سيبويه النسخ في هذه الاية في كتابه وما تكلم على نسخ سواه ورجح به ان المراد السلامة لا التسليم
لان المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة والاية مكية فنسختها اية السيف ورايت في بعض التواريخ
ان ابراهيم المهدي كان من المايلين على علي بن ابي طالب عليه السلام فقال يوما بحضرة المامون وعنده
جماعة كنت ارى عليا في النوم فاقول له من انت فيقول علي فاجيء معه الى قنطرة فيذهب فيتقدمني في
عبورها فقلت اقول انما تدعي هذا الامر بامراة ونحن احق به منك فما رايت له في الجواب بلاغة كما
يذكر عنه قال له المامون وبماذا اجابك قال وكان يقول سلاما سلاما قال الراوي وكان ابراهيم بن
المهدي لا يحفظ هذه الاية او ذهب عنه في ذلك الوقت فنبه المامون على الاية من حضره وقال هو والله
يا عم علي بن ابي طالب وقد جاوبك بابلغ جواب فخزي واستحيى وكانت رؤياه صحيحة والله اعلم
قوله والذين يبيتون لربهم الاية هذه ايضا عبر على قيام الليل قال الحسن لما فرغ وصف نهارهم وصف في هذه

ليلهم وقال بعض الناس من صلى العشاء الاخرة وشفع واوتر فقد دخل في هذه الاية الا انه
غير مستوف وقرا ابو البرهسم سجودا وقياما ومدحهم بدعائهم في صرف جهنم عنهم تحت ذلك دليل
على صدق عقيدتهم وايمانهم ومن حسن اعمالهم غراما معناه ملازما متلفا ملحا ومنه غريم
الحب ومنه الغريم ومنه قول الاعشى ۝ ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ۝
وقول بشر بن ابي خازم ۝ ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما ۝ وقرا
الجمهور بضم الميم من الاقامة ومنه قول الشاعر ۝ حيوا المقام وحيوا ساكن الدار ۝
وقرات فرقة بفتحها من قام يقوم وجهنم ضد مقام كريم والاول امدح واشهر قوله والذين اذا انفقوا
الاية اختلف المفسرون فعبارة الاكثر ان الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وان افرط والمسرف
هو المنفق في المعصية وان قل انفاقه وان المقتر هو الذي يمنع حقا عليه هذا قول ابن عباس ومجاهد
وابن زيد وقال عون بن عبد الله الذي ينفق مال غيره ونحو هذه الاقوال التي هي غير مرتبطة بلفظ الاية وخلط
الطاعة والمعصية بالاسراف والتقتير فيه نظر والوجه ان يقال ان النفقة في معصية امر قد
حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك
وانما التاديب بهذه الاية هو في نفقة الطاعات في المباحات فادب الشرع فيها ان لا يفرط الانسان
حتى يضيع حقا اخر او عيالا ونحوه وان لا يضيق ايضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن
هو القوام المعتدل وهو في كل احد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب او ضد
هذه الخصال وخير الامور اوساطها ولهذا ترك النبي عليه السلام ابا بكر الصديق يتصدق بجميع ماله
لان ذلك وسط بالنسبة الى جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعما قول ابراهيم النخعي هو الذي
لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن ابي حبيب هم الذين لا يلبسون الثياب
للجمال ولا ياكلون طعاما للذة وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين زوجه
ابنته ما نفقتك فقال الحسنة بين السيئتين ثم تلا هذه الاية وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء سرفا ان لا
يشتهي شيئا الا اشتراه فاكله وقرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم يقتروا بضم اليا وكسر التا وقرا ابن
كثير وابو عمرو ومجاهد وحفص عن عاصم بفتح اليا وكسر التا وقرا حمزة والكسائي بفتح اليا وضم التا وهي قراءة
الحسن وطلحة والاعمش وعاصم بخلاف وقرا ابو عبد الرحمن بضم اليا وفتح التا وقرا ابو عمرو والناس

قواما بفتح القاف اي معتدلا وقرا حسان بن عبد الرحمن بكسر القاف اي مبلغا وسدادا وملاك حال
وقواما خبر كان واسمها مقدر فيها اي الانفاق وجوز الفرا ان يكون اسمها بين ذلك قوله
والذين لا يدعون مع الله الاها اخر اخراج لعباده المومنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس
بواد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات وبالزنا الذي كان عندهم مباحا وفي نحو
هذه الاية قال ابن مسعود قلت يوما يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل
رسول الله هذه الاية والقتل والزنا يدخل في هذه الاية العصاة من المومنين ولهم من الوعيد بقدر ذلك
والحق الذي يقتل به النفس هو قتل النفس والكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان والكفر الذي لم
يتقدمه ايمان في الحربيين والاثام في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الاية
ومنه قول الشاعر ٥ جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام ٥
اي جزاء وعقوبة وقال عكرمة وعبد الله بن عمرو ومجاهد اثام واد في جهنم واثاما اسمه وقد جعله الله
عقابا للكفرة وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف ويخلد جزما وقرا ابن كثير وابو جعفر
والحسن يضعف بشد العين وطرح الالف مع الجزم فيهما وفي يخلد وقرا طلحة بن سليمان نضعف بنون مضمومة
وكسر العين العذاب نصبا ويخلد جزما وهي قراة ابي جعفر وشيبة وقرا عاصم في رواية ابي بكر
يضاعف ويخلد بالرفع فيهما وقرا طلحة بن سليمان وتخلد بالتا على معنى مخاطبة الكافر بذلك وروي
عن ابي عمرو ويخلد بضم اليا وفتح اللام قال ابو علي هي غلط من جهة الرواية ويضاعف بالجزم بدل من يلق
قال سيبويه مضاعفة العذاب لقي الاثام قال الشاعر ٥
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ٥ الا من تاب الاية لا خلاف بين العلما
ان الاستثنا عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين فقال الجمهور له التوبة وجعلت
هذه الفرقة قاعدتها قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فجعلا القاتل في المشيئة كسائر الناس من
المذنبين وتاولوا الخلود الذي في اية القتل في النسا بمعنى الدوام الى مدة كخلود الدول ونحوه
وروي ابو هريرة ان في المولد قتل حدثا نبويا وقيل ان هذه الاية نزلت في وحشي قاتل حمزة عليه السلام
وقال سعيد بن جبير وقال ابن عباس وغيره لا توبة للقاتل قال ابن عباس وهذه الاية انما اريد بالتوبة

فيها

فيها المشركون وذلك انها لما نزلت قال طايفة منهم كيف لنا بالدخول في الاسلام ونحن قد فعلنا
جميع هذا فنزل الاستثنا ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية فما رايت رسول الله فرح فرحه
بها وفرحه بنزول الفتح وقال غير ابن عباس ممن منع توبة القاتل ان هذه الاية منسوخة باية القتل في
النسا فالذي بينهما ثابت ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال ابو الجوزا صحبت ابن عباس
ثلاث عشرة سنة فما شي من القران الا سالته عنه فما سمعته يقول ان الله تعالى يقول للذنب لا
اغفره قوله يبدل الله الاية معناه يحولهم عما لهم بدل معاصيهم الاولى طاعات فيكون ذلك سببا
لرحمته اياهم قاله ابن عباس وابن جبير وابن زيد والحسن ورد على من قال هو في يوم القيمة
وقد ورد حديث في كتاب مسلم من طريق ابي ذر يقتضي ان الله يبدل يوم القيمة لمن يريد المغفرة له
من الموحدين بدل سيئاته حسنات ذكره الترمذي والطبري وتاوله ابن المسيب في هذه الاية
وهو معنى كرم العفو وقرا ابن ابي عبلة يبدل بسكون البا وتخفيف الدال قوله ومن تاب
الاية ليس هذه الالفاظ امر التوبة والمعنى ومن تاب فانه قد تمسك بامر وثيق وهذا كما تقول لمن
يستحسن قوله في امر لقد قلت يا فلان قولا فكذا الاية معناها مدح المتاب كانه قال فانه
يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الايات في صفة عباد الله بان نفى عنهم شهادة الزور ٥
ويشهدون في هذا الموضع ظاهر معناه يشاهدون ويحضرون والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه
الشرك وبه فسر الضحاك وابن زيد وبه الغنا وبه فسر مجاهد ومنه الكذب وبه فسر ابن جريج
وقال علي عليه السلام ومحمد ابنه لا يشهدون بالزور هو من الشهادة لا من المشاهدة وهو الكذب
والشاهد بالزور حاضره ومؤديه جزءه فالاول اعم لكن المعنى الثاني اعرف في المعاصي واللغو
واللغو كل سقط من قول او فعل يدخل فيه الغنا واللهو وغير ذلك مما قاربه ويدخل في ذلك
سفه المشركين واذاهم للمومنين وذكر النسا وغير ذلك من المنكر ٥ وكراما معناه معرضين مستحيين
يتجافون عن ذلك ويصبرون على الاذى فيه وروي ان عبد الله بن مسعود سمع غنا فاسرع في مشيه وذهب
فبلغ ذلك النبي عليه السلام فقال لقد اصبح ابن ام عبد كريما وقرا الاية واما اذا مر المسلم
بمنكر فكرمه ان يغيره وحدود التغيير معروفة ٥ والذين اذا ذكروا بايات ربهم يريد بالقران
اخرتهم ومعادهم قوله لم يخروا الاية يحتمل تاويلين احدهما ان يكون المعنى لم يخروا عليها

الصفة بل يكونون سجدا وبكيا وهذا كما تقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا بعد ما وكان
الذي يخر اصم اعمى هو المنافق الشاك والمتاول الثاني ذهب اليه الطبري وهو ايضا صفة
للكفار وعبارة عن اعراضهم وجحدهم في ذلك وقربها بقولك قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي
وانا لم ترد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطيات في العبارة والكلام ع وكان المستمع
للذكر قائم القناة قويم الامر فاذا اعرض وضل كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام
وترتيب وان كان قد شبه به الذي يخر ساجدا لكن اصله انه على غير ترتيب ثم مدح المومنين
بحال الدعا اليه في ان تقر العيون بالاهل والذرية وقرة العين يحتمل ان تكون من القرار ويحتمل من
القر وهو الاشهر لان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن ومن هذا اقر الله عينك واسخن الله
عين العدو وقرة العين في الازواج والذرية ان يراهم الانسان مطيعين لله قاله ابن عباس
والحسن وحضرمي وبين المقداد ان الاسود الوجه من ذلك بان كان في اول الاسلام يهتدي
الاب ولا ابن كافر ويهتدي الزوج والزوجة كافرة فكانت قرة عيونهم في ايمان احبابهم وقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر والحسن ذرياتنا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وطلحة وعيسى ذريتنا بالافراد
وقوله للمتقين اماما قيل هو جمع آم مثل قائم وقيام وقيل هو مفرد اسم جنس اي اجعلنا
يأتم بنا المتقون وهذا لا يكون الا ان يكون الداعي متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي قال ابراهيم
النخعي لم يطلبوا الرياسة بل ان يكونوا قدوة في الدين وهذا حسن ان يطلب وينبغي له قوله
اولئك يجزون وقرا ابي بن كعب يجازون بالغرفة والغرفة من منازل الجنة وهي الغرف فوق الغرف
وهو اسم الجنس كما قال ٥ لولا الحبة السمرا لم نحلل بوادكم ٥ وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو ويلقون بضم الياء وفتح اللام وشد القاف وهي قراءة ابي جعفر وشيبة والحسن وقرا حمزة
والكسائي وابن عامر وعاصم وطلحة ومحمد اليماني وروي عن النبي عليه السلام بفتح الياء وسكون
اللام وتخفيف القاف واختلف عن عاصم وقوله حسنت مستقرا ومقاما قوله
قل ما يعبأ بكم الآية امر لمحمد عليه السلام اي خاطب بذلك وما يحتمل النفي ويحتمل التقدير والكلام في
نفسه يحتمل وجهين احدهما ان يكون الآية الى قوله لولا دعاؤكم خطابا لجميع الناس كانه قال
اي ما يبالي الله بكم ولا ينظر لكم لولا عبادتكم اياه اي لو كان اذ لك الذي يعبأ بالبشر

واجله قال تعالى وما خلقت الجن والانس وقال النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم اليه
في الشدائد ونحوها فهذا هو عرف الناس المرجي فيهم وقرا ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون
وهذا يؤيد ان الخطاب بالاول لجميع الناس ثم يقول لقريش وانتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف
يكون العذاب والتكذيب الذي هو سبب العذاب لزاما والثاني ان يكون الخطاب بالكل
لقريش خاصة اي ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم الاصنام الهة دونه فان ذلك يوجب تعذيبكم
والثالث وهو قول مجاهد لولا ان دعاكم الى شرعه فوقع منكم الكفر والاعراض وفي هذا
التاويل المصدر مضاف الى المفعول وفي الاولين مضاف الى الفاعل ويعبا مشتق من العب
وهو الثقل الذي يعبا وبرئت كما يقال الجيش وقرا ابن الزبير وقد كذب الكافرون قال ابن
جني قرا ابن الزبير وابن عباس فقد كذب الكافرون قال الزهراوي وهي قراءة ابن مسعود
قال وهي على التفسير واكثر الناس على ان اللزام المشار اليه في هذا الموضع هو يوم بدر وهو
قول ابي بن كعب وابن مسعود والمعنى فسوف يكون جزاء التكذيب وقالت فرقة هو توعد
بعذاب الاخرة وقال ابن مسعود اللزام التكذيب نفسه اي لا يعطون توبة ذكره الزهراوي
وقال ابن عباس ايضا اللزام الموت وهذا نحو القول ببدر وان اراد به ما ول المعاد في الاخرة
فهو ضعيف وقرا الجمهور لزاما بكسر اللام من لوزم وانشد ابو عبيدة لصخر الغي
٥ فاما ينجوا من حتف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاما ٥ وقرا ابو السماك بفتح اللام من لزم

تفسير سورة الشعرا هي مكية كلها فيما قال جمهور الناس وقال مقاتل
منها مدني في الآية التي يذكر فيها الشعرا وقوله اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قوله
طسم تقدم القول في الحروف المقطعة وطسم ذلك مرتفع بالابتدا وهو وخبره سادٌّ مسد الخبر عن
طسم في بعض التاويلات والاشارة بتلك هي بحسب الخلاف في الحروف فعلى بعض الاقوال تكون
اشارة الى حاضر ولموجود في الكلام كانّ هذه تكون الاشارة بها الى غائب معهود كانه
حاضر والكتاب المبين القران وقرا حمزة والكسائي وابو بكر طسم بكسر الطا وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر بفتحها وبادغام النون من سين في الميم وقرا حمزة وحده باظهارها
وهي قراءة ابي جعفر وروت عن نافع عن يعقوب عن ابي جعفر ونافع قطع كل حرف منها على

حدثنا ابو حاتم الاختيار فتح الطا والواو ... قوله
لعلك الاية تسلية للنبي لما كان فيه من الغلو والحرص على ايمانهم فكان من شغل البال في حيز
الخوف على نفسه والباخع معناه القاتل والمهلك لها قاله ابن عباس والناس ومنه قول
ذي الرمة ۵ الا ايهذا الباخع الوجد نفسه لشي نحته عن يديه المقادر ۵
وخوطب بالفعل على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال ومعنى الاية اي لا تهتم بامر
هم ولا تبلغ بنفسك وما عليك من ايمانهم فانما ذلك بيد الله ولو شاء الله لامنوا قوله الا يكونوا مفعول
من اجله قوله ان نشأ شرط وما فيه من الابهام هو في هذه الاية في حيزنا وانما الله قد علم انه
لا ينزل عليهم اية اضطرار وانما جعل الله ايات الانبياء والايات الدالة عليه معرضة للنظر والفكر
ليهتدي من سبق في علمه هداه وليضل من سبق في علمه ضلاله وليكون للمتأمل تكسب به يتعلق الثواب
والعقاب واية الاضطرار تدفع جميع هذا ان لو كانت وقرا ابو عمرو بتبع النون الثانية وشدد الزاي
طائفة وروى هرون عن ابي عمرو ان يشأ ينزل بالياء فيهما والخضوع للاية المنزلة كان يجب باحد
وجهين اما خوف هلاك يتعالق الامر المقترن بها كنتق الجبل على بني اسرائيل واما انبلون من الوضوح
وبهر العقول بحيث يقع الاذعان لها وانقياد النفوس وكلا هذين لم يات نبي لما ذكرناه وهو يوجبه
مخصوص للعلماء وقرا طلحة فتظل اعناقهم وهو المراد في قراءة الجمهور جعل الماضي موضع المستقبل
اشارة الى تقوية وقوع الفعل وقوله اعناقهم يحتمل وجهين قال مجاهد وابن زيد والاخفش
يريد جماعاتهم يقول جاني عنق من الناس اي جماعة ومنه قول ـــــ الشاعر ۵
ان العراق واهله عنق اليك ۵ وعليه حمل قول ابي
محجن ۵ واكتم السر فيه ضربة العنق ۵ ولهذا قيل عنق ورقبة تعلق عنق فرارا
من الاشتراك قاله الزهراوي فعلى هذا التاويل ليس في قوله خاضعين موضع قول والتاويل
الاخر انه يريد الجارحة المعروفة وذلك خضوعها علامة الذلة والانقياد ومنه قول
الشاعر ۵ واذا الرجال راوا يزيد رايتهم خضع الرقاب نواكس الابصار ۵ وعلى هذا
التاويل يتكلم على قوله خاضعين كيف جمعه جمع من يعقل وذلك يخرج على نحوين من كلام العرب
احدهما ان الاضافة الى من يعقل افادت حكم من يعقل كما تفيد الاضافة الى المؤنث تانيث علامة

المذ

ـه قال الاعشى ۵ كما شرقت صدر القناة من الدم ۵ وهذا كثير والنحو الاخر
ان الاعناق لما وصفت بفعل لا يكون الا مقصودا للبشر وهو الخضوع اذ هو فعل يتبع امرا
في النفس جمعها فيه جمع من يعقل وهذا نظير قوله ائتيا طائعين وقوله رايتهم لي
ساجدين ... عليه لها خاضعين ثم عنف الكفار ونبه على سوء فعلهم بقوله وما
ياتيهم الاية قوله محدث يريد الاتيان اي مجي القرآن للبشر كان شيئا بعد شيء ... ويحتمل
انه يريد بالذكر محمدا كما قال قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا فيكون وصفه بالمحدث متمكنا
والاول افصح ۵ فقد كذبوا الاية وعيد بعذاب الدنيا والاخرة ويقوي انه وعيد بعذاب
الدنيا ان ذلك قد نزل بهم كبدر وغيرها ولما كان اعراضهم عن النظر في الصانع من اعظم كفرهم
وكانوا يجعلون الاصنام الهة ويعرضون عن التدبر في ذلك ... على قدرة الله وانه الخالق
المنشئ الذي يستحق العبادة بقوله اولم يروا الاية والزوج النوع والصنف والكريم
الحسن المتقن قاله مجاهد وقتادة ويراد الاشياء التي بها قوام الامور والاغذية والنبات
ويدخل في ذلك الحيوان لانه عن انبات ومنه قوله والله انبتكم من الارض نباتا قال الشعبي
الناس من نبات الارض فمن صار الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فبضد ذلك وما كان اكثرهم
مؤمنين حتم على اكثرهم بالكفر ثم توعد بقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم يريد عزيز في نقمته
من الكفار ورحيم بمؤمني كل امة قاله ابن جريج وفي لفظة الرحيم وعد قوله واذ
التقدير واذكر اذ نادى ربك موسى وسوق هذه القصة مثل لقريش لتكذيبهم محمدا عليهما
السلام قوله الا يتقون يجوز فيه ان يكون معترضا لا موضع له من الاعراب بمنزلة اي ويجوز ان يكون ...
ويجي موضع نصب بتقدير ... قوله الا يتقون معناه قل لهم جمع في هذه العبارة من التعلق
بين التقوى عنهما وامرهم بها وقرا الجمهور بالياء وقرا عبد الله بن مسلم وحماد بن سلمة وابو قلابة
بالتاء من فوق على معنى قل لهم بخوه فرعون والهة وطول مدته وما اشرب القلوب من مهابته
قال موسى اني اخاف ان يكذبون وقرا الجمهور ويضيق بالرفع ولا ينطلق رفعا وقراها الاعرج
وطلحة وعيسى بالنصب فالرفع اخبار من موسى بوقوع ضيق صدره وعدم انطلاق لسانه وبهذا
رجح ابو حاتم هذه القراءة والنصب بمعنى ان ذلك داخل تحت خوفه وهو عطف على يكذبون

وكان في حلق موسى عليه السلام حدة وكان في لسانه حبسة بسبب الجمرة في طفولته وحكى ابو
عمرو عن الاعرج انه قرا بنصب ويضيق وينطلق وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول
لغموض المعاني التي تطلب لها الفاظ محررة فاذا كان هذا في وقت ضيق الصدر لم ينطلق اللسان
وقد قال موسى عليه السلام واحلل عقدة من لساني فالراجح قراءة الرفع قوله فارسل
معناه يعينني ويوازرني وكان هرون عليه السلام فصيحا واسع الصدر فحذف بعض المراد من القول
اذ باقيه دال عليه الكلام ذكر موسى خوفه القبط من اجل ذنبه في قتل الرجل الذي وكزه قاله
قتادة ومجاهد والناس فخشي ان يستقاد منه لذلك فقال الله له كلا ردا لقوله اني اخاف اي
لا تخف ذلك فاني لم احملك ما حملتك الا وقد قضيت بنصرك وامر موسى وهرون بخطاب لموسى فقط
لان هرون ليس بكليم باجماع ولكن قال لموسى اذهبا اي انت واخوك ثم جمع ما بعثهما الله به وعلم
ذلك العصا بها وقع العجز ولا بين عن ذي موسى ولا خلاف في ان موسى هو الذي حمله الله امر النبوة
وكلماته وهرون كان نبيا رسولا معينا له ووزيرا وقوله انا معكم حتما ان نجعل الاثنين جماعة او
يريدها والمبعوث اليهم بنو اسرايل قوله مستمعون على نحو التعظيم والجبروت التي لله وصفه
وهي تعطي اهتبالا بالامر ليس في صيغة قوله سامعون ولا فليس يوصف الله بطلب الاستماع
وانما المقصد اظهار التهمم ليعظم انس موسى او يكون الملايكة بامر الله اياها تستمع قوله انا رسول
رب العالمين هو على ان العرب اجرت الرسول مجرى المصدر في ان وصفت به الجميع والواحد
والموت ومنه قول الهذلي ٥ الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر ٥
وقول الشاعر وان كان مولدا ٥ اني ابن [illegible] نكلني رسول ٥
قوله ان ارسل معناه بان ارسل [illegible] الذي هو بمعنى الاطلاق كما تقول ارسلت الحجر من يدي
وكان موسى مبعوثا لفرعون في امرين ارسال بني اسرايل وان يزيل عنهم ذل العبودية والغلبة
والثاني ان يومن ويهتدي وامر بكليهما ومنه وصفتي الاول ولم يومر بذلك في الثاني على ما علم من
امره ونعته بالعبادات والشرع الى بني اسرايل فقط هذا قول بعض العلماء وقول فرعون الم
نربك هو على جهة من قبلنا ولبثت فينا سنين حتى كان هذا الذي تدعيه قرا الجمهور عمرك بضم
الميم وقرا ابو عمرو بسكونها ثم قرره على قتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك وهي بفتح الفا المرة من

الفعل

الفعل وقرا الشعبي بكسرها وهي هيئة الفعل وانت من الكافرين يحتمل ثلاثة اوجه احدها انه
نفس لا يحل قتله فكفرت نعمته قاله الضحاك ويريد كافر بنعمتي في قتلك اياه قاله ابن زيد وهذان
بمعنى واحد في حق اللفظة وانما اختلفا باشتراك لفظة الكفر والثاني ان يكون بمعنى الهوى اي
وانت على هذا الدين فانت من الكافرين من جملة قاله السدي والثالث وهو قول الحسن ان
يريد وانت من الكافرين الان يعني فرعون بالعقيدة التي كانت بيننا فيكون الكلام مقطوعا من قوله
وفعلت فعلتك وانما هو اخبار مبتدا انه كان من الكافرين وهذا التاويل انما يحتمل ان يراد به
كفر النعمة وكان بين خروج موسى حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا الى فرعون احد عشر عاما غير
اشهر قوله قال فعلتها اذا القايل هو موسى والضمير في فعلتها القتلة القبطي وقوله اذا صلة
في الكلام وكانها بمعنى حينئذ وانا من الضالين قال ابن زيد معناه الجاهلين بان وكزتي اياه تاتي
على نفسه وقال ابو عبيدة معناه من الناسين لذلك ونزع بقوله ان تضل احداهما وفي قراءة
ابن مسعود وابن عباس وانا من الجاهلين ويشبه ان تكون هذه القراءة على جهة التفسير ٥
قوله حكما يريد النبوة وحكمتها وقرا عيسى بضم الكاف وجعلني من المرسلين درجة ثانية
للنبوة فرب نبي ليس برسول ثم جاحه موسى في منته عليه بالتربية وترك القتل بقوله وتلك
نعمة تمنها علي الاية واختلف الناس في تاويلها فقال قتادة هذا منه على وجه الانكار عليه ان
يكون نعمة كانه يقول او يصح لك ان تعتد علي نعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بني اسرايل
وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان ان لا تقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة
وغير ذلك وقرا الضحاك وتلك نعمة ما لك ان تمنها وهذه قراءة تويد هذا التاويل وقال الاخفش ثم الف
الاستفهام محذوفة والمعنى او تلك وهذا لا يجوز الا اذا عادلتها ام كما قال الشاعر
تروح من الحي ام تبتكر ٥ وفي هذا القول تكلف وقول موسى تقرير بغير الف وهو صحيح كما
قال قتادة وقال السدي والطبري هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار بالنعمة كانه يقول
نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن ذلك لا يدفع رسالتي ولكل وجه
ناحية من الاحتجاج فالاول ماض على طريق المخالفة لفرعون ونقض كلامه كله والثاني يسند
من موسى انه منصف من نفسه معترف بالحق ومتى حصل احد المتجادلين لم تقع منه الريبة وكان

خضيه في سدها غلب المصحف لذلك وصار قوله او نفخ في الصور ولما لم يجد فرعون
في هذا الطريق من يقربه على التربيه وغيرها حجه رجع الى معارضه موسى في قوله رب
العالمين فاستفهمه استفهاما عن مجهول من الاشيا قال الزجاج كان يستفهم عن الاجناس فلذلك
استفهم بما وقد ورد له استفهام بمن في موضع اخر ويشبه انها مواطن فاتى موسى بالصفات
التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها وهي ربوبية السموات والارض وهذه
المجادله من فرعون تدل على ان موسى دعاه الى التوحيد فقال له عند ذلك الا تستمعون على معنى
والتعجب من هذه المقاله اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنه قبله
كذلك وهذا ضلال منهم بقيه في صدورها الى اليوم منها فزاده موسى في البيان بقوله ربكم
ورب ابائكم الاولين فقال فرعون حينئذ على جهه الاستخفاف ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
وقرا مجاهد ارسل على بنا الفعل للمفعول وقرات فرقه ارسل على بنايه للفاعل وزاد موسى في
بيان الصفات التي تظهر نقص فرعون وتبين انه في غايه البعد عن القدره عليها وهي ربوبية
المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الا ملك مصر من البحر الى اسوان وارض الاسكندريه وفي قراه ابن
مسعود واصحابه رب المشارق والمغارب وما بينهما قال ابن عطيه الماعزى لانه لما انقطع
في الحجه اخذ في باب الاستعلا والتغلب وهذا ابين علامات الانقطاع فتوعد موسى بالسجن حين اعياه
خطابه وفي هذا ضعف لانه جاوز طباعه معه وكان فيما يروى يفزع منه فزعا شديدا حتى كان
لا يمسك بوله وروي ان سجنه كان اشد من القتل في مطبق لا يبصر فيه ابدا وكان يخوف قاع وهذه
نزعة او النبوة الى اليوم وكان يعلم موسى من امر الله ما لا يزعه توعد فرعون فقال له على جهه اللطف
به والطمع في ايمانه اولو جئتك بشي مبين يتضح لك معه صدقي افكنت تسجنني فلما سمع فرعون ذلك
طمع ان يجد اثناه موضع معارضه فقال فات به ان كنت فالقى موسى عصاه من يده وكانت من عوسج
الجنه وكانت عصا ادم عليه السلام ويروى انها كانت من عير ورق الريحان وكانت عند
شعيب في جمله عصي الانبيا فاعطاها له حين غاب له الغنم على صوره قد تقدم ذكرها دلت على
نبوة موسى وكان في ابيها ثعبان فخم كان في الحيه والثعبان اعظم ما يكون من الحيات وقد
ذكرنا فيما تقدم ما روي في عظمها وعزم من قصصها ونزع موسى يده من جيبه فاذا هي بلالا كانها

عرق

قطعه

قطعه من الشمس فلما راى فرعون ذلك هاله ولم يكن له مدفع عن ايته فزع الى رميه بالسحر
وطمع لعلو علم السحر في ذلك الوقت وكثرته ان يكون فيه سبب لنقا ومنه موسى فاوهم قومه
وانباعه ان موسى ساحر ثم استشارهم في امره واغراهم به في قوله يريد ان لا بد فاشاروا عليه
بتاخير امره وامر اخيه وجمع السحره روي انهم اشاروا بسجنه وهو كان لا يجاعدهم ولم يشيروا
بقتله لان محنه ببره وضلالهم في ربوبيه فرعون بينه خشوا الفتنه وطمعوا ان يغلب محجه بقمع العوام
والحاشر الجامع وقرا نافع وابو عمرو وعاصم بكل سحار على بنا المبالغه وقرا عاصم ايضا والاعمش ساحر
كالجماعه فوله فجمع السحره لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينه وقيل كان يوم الزينه على مر الدهر بمصر
وقال ابن زيد ان هذا الجمع كان بالاسكندريه لعلنا نتبع السحره ليس معناه في السحر انما هو في صرح دينا
وملتنا وابطال معارضتها وقرا الاعرج وابو عمرو ابن على الاستفهام وقرا نافع وابو جعفر وشيبة ان
على الايجاب وقرا عيسى نعم بكسر العين والتقريب الذي وعدهم به فرعون هو الجاه الزايد على العطا الذي
طلبوه والقرب من الملك الذي عندهم الها واختلف الناس في عدد السحره وقد ذكرناه وكانوا مجموعين من
مداين مصر ريف النيل وهي كانت بلد السحر الفرما وانصنا وغير ذلك ومعظمهم كان من الفرما والحبال
والعصي كانت اوقار الابل وقولهم بعزة فرعون يحتمل وجهين احدهما القسم كانهم اقسموا بها كما يقول بالله
الى لا نعل لذا فكان قسمهم غير مبرور والاخر ان يكون على جهه بعظيمه اذ كانوا يعبدونه والتبرك باسمه
كما نقول اذا ابتدات بعمل وشغل بسم الله وعلى بركة الله ونحوه فالقى موسى عصاه تقدم ما ذكر الناس في
عظم الحيه حين القى موسى عصاه وفي هذه الايات متروك كثير يدل عليه الظاهر وقد ذكرناه في مواضع
اخر وهي خوف موسى من ظهور سحرهم واستزهابهم الناس وتخيلهم في حبالهم وعصيهم انها تسعى تقصد
ثم ان الحيه التي جعلها الله من العصا التقفت تلك الحبال والعصي عن اخرها واعدمها الله في وجودها وعادت
العصا الى حالها حين اخذ موسى في الفرجه التي كانت في راسها فادخل يده في فيها فعادت عصا باذن الله
وقرا الجمهور تلقف بفتح التا خفيفه واللام مفتوحه والقاف مشدده وقرا حفص بسكون اللام وتخفيف
القاف وروى البزي وفليح عن ابن كثير تشديد التا وفتح اللام وتشديد القاف ويلزم على هذه القراه
اذا ابتدا ان يجلب همزة الوصل وهي لا تدخل على الافعال المضارعه كما لا تدخل على اسما الفاعلين قوله
ما يافكون اي يكذبون ويسببه في قولهم انها معارضه لموسى ونوع من فعله والافك الكذب ثم ان السحره

لما راوا العصا حالية من صناعة السحر وراوا فيها معنى امر اسما ابتغوا به انه ليس في قوة البشر فعرفوا
ودل على ان النعمة هي الايمان والنسك بامر الله فسجدوا كلهم لله معترفين بوحدانيته وقدرته ووصلوا
ايمانهم بسبب موسى وهرون وصرحوا بان ذلك على ايديهما لان قولهم لرب العالمين يعم فلم يكن ذوا
البيان الا لما ذكرنا فلما راي ذلك فرعون وملاوه وقامت الحجة بايمان اهل غلبهم ومظنة نصرهم
وقع فرعون في الورطة العظمى فرجع الى السحرة بهذه الحجة الاخرى فوقفهم موبخا على ايمانهم بموسى
وهرون قبل اذنه وفي هذه اللفظة مقاربة عظيمة وبعض اذعان لانه اوجد حظا فيها انهم لو
طلبوا اذنه في ذلك اذن ثم توعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف والصلب في جذوع النخل
فقالوا له لا ضير اي لا يضرنا ذلك مع انقلابنا الى مغفرة الله ورضوانه وروي انه اعدمهم ذلك
الوعيد وصلبهم على النيل قال ابن عباس اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وقولهم ان كنا اول المؤمنين
اي من القبط ولا فقد كانت بنو اسرائيل امنت وقرا الناس ان كنا بفتح الالف وقرا ابان بن تغلب
بكسرها بمعنى ان طمعهم انما هو بهذا الشرط قوله واوحينا الى موسى الاية ثم ان الله لما اراد اظهار
امره في نجاة بني اسرائيل وغرق فرعون وقومه امر موسى ان يخرج ببني اسرائيل ليلا من مصر واخبره
انهم سيتبعون وامره بالمسير تجاه البحر وامره بان يستعير بنو اسرائيل حلي القبط واموالهم
وان يستكثروا من اخذ اموالهم كيف ما استطاعوا الذا روى بعض المفسرين وامره باتخاذ خبز
الزاد فروي انه امر باتخاذه فطيرا قال لانه ابقى واثبت وروي ان الحركة اعجلتهم عن اختمار خبز
الزاد وخرج موسى ببني اسرائيل سحرا فترك طريق الشام على يساره وتوجه نحو البحر وكان الرجل من
بني اسرائيل يقول له في ترك الطريق فيقول موسى هكذا امرت فلما اصبح فرعون وعلم بسرى موسى ببني
اسرائيل خرج في اثرهم وبعث الى مداين مصر لتلحقه العساكر وروي انه لحقه ومعه سبعمائة الف ادهم
من الخيل حاشا سائر الالوان وروي ان بني اسرائيل كانوا ستمائة الف وسبعين الفا قال ابن عباس
والله اعلم بصحته وانما اللازم من الاية يقطع به ان موسى خرج بجمع عظيم من بني اسرائيل وان فرعون
تبعه باضعاف ذلك العدد قال ابن عباس كان مع فرعون الف جبار كلهم عليه تاج وكلهم امير خيل
والشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شيء بقيته الخسيسة وانشد ابو عبيدة ه
جا الشتا وقميصي اخلاق شراذم يضحك منها التواق ه وقال اخر يحذين في شراذم النعال

صح

قوله لغائظون يريد بخلافهم الامر وبذهابهم بالاموال عارية وبقتلهم منهم بكر الليلة على ما روي قال
ابو حاتم وقرا من لا يوخذ عنه لشرذمة قليلون وانه لغائظون وقرا ابن كثير وابو عمرو حذرون
وهو جمع حذر وهو المطبوع على الحذر وهو هاهنا غير عامل وكذلك هو في قول ابن احمر هل انس
عن ام الحوال اذ وابي حذر ه ؛ والخلف في عمل فعل فقال سيبويه انه عامل وانشد
حذر اموراً لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الاقدار ه ؛ وادعى اللاحقي تدليس هذا
البيت على سيبويه وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي حاذرون وهو الذي اخذ يحذر وقال
عباس بن مرداس ه واني حاذر ابني سلاحي الى اوصال ذيال صنيع ه وقرا ابن ابي عمارة
وسميط بن عجلان حادرون بدال مهملة من قولهم عين حدرة اي مبيعة فالمعنى ممتلئون
غيظا وانفة والضمير في فاخرجناهم للقبط والجنات والعيون بحافتي النيل من اسوان الى
رشيد قاله ابن عمرو وغيره والكنوز قيل هي اشارة الى الاموال التي احتجنوها فالمجاهد لانهم
لم ينفقوها قط في طاعة وقيل هي اشارة الى كنوز المقطم ومطالبه وهي باقية الى اليوم والمقام
الكريم قال ابن لهيعة هي الفيوم وقيل يعني به المنابر وقيل مجالس الامراء والحكام وقال النقاش
المساكن الحسان وقرا الاعرج وقتادة مقام بضم الميم واورثناها بني اسرائيل يحتمل معنيين احدهما
انه تعالى ورثهم هذه الصفة من ارض الشام والثاني انه ورثهم ارض مصر ولكن بعد مدة طويلة
من الدهر قاله الحسن على ان التواريخ لم تتضمن ملك بني اسرائيل مصر ه مشرقين معناه عند شروق
الشمس اي حين دخلوا فيه وقيل معناه نحو المشرق وقرا الحسن فاتبعوهم بالف وصل وتشديد
التاء والجمهور على قطع الالف وسكون التاء فلما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم وراى بنو اسرائيل
العدو القوي والبحر امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى انا لمدركون فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكر
وعد الله له بالهداية والظفر وقرا الجمهور لمدركون وقرا الاعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال وشد
الراء ومعناه متتابع علينا حتى نفنى وقراهما فرآه ثم بمر وروى ذلك عن عاصم وروى عنه ايضا
مفتوحا ممدودا والجمهور يقرونه مثل تراعا وهذا هو الصواب لانه تفاعل قال ابو حاتم وقراءة
حمزة في هذا الحرف محال وحمل عليه قال وما روي عن ابن وثاب والاعمش خطأ قوله فاوحينا
الاية لما عظم البلاء على بني اسرائيل امر الله موسى ان يضرب البحر بعصاه وذلك لانه عز وجل اراد ان

تكون الاية متصلة بموسى و متعلقة بفعل بفعله والا فضرب العصا البحر يفالق للبحر ولا معنى على ذلك
بدايته الا عا اضرب به من قدرة الله واختراعه ولما افلق البحر صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد
اسباط بني اسرايل ووقف الما بينها كالجبل العظيم والطود الجبل وروي عن ابن جريج والسدي
وغيرهما ان بني اسرايل ظن كل فريق منهم ان الباقين غرقوا فامر الله الما فصار كالتراجيب والطيقان
وراى بعضهم بعضا وازلفنا معناه قربنا وقرا ابن عباس من الجبر كعب بالقاف ونسبها
ابو الفتح الى عبد الله بن الحرث وقرا الحسن وابو حيوة زلفنا بغير الف وذلك ان فرعون لما
وصل الى البحر وقد دخله بنو اسرايل قيل انه ضيم ومحرف بان قال السلي انفرق فدخل على ذلك وقيل
انه لاح وهم بتدبير الانصراف فعرض جبريل على فرس ورد متقحم وراه حصان فرعون فدخل على
عرضها ونعه الناس وروي ان الله جعل ملايكه تسوق قومه حتى حصلوهم في البحر ان موسى
وقومه خرجوا الى البر من تلك الطرف ولما احسوا باتباع فرعون وقومه فزعوا من ان يخرج وراهم
فهم موسى بخلط البحر حينيذ فقيل له اترك البحر رهوا ولما تكامل جند فرعون وهم معه بهم بالخروج
انطبق عليهم البحر وغرقوا ودخل موسى البحر بالطول وخرج في الصفة التي دخل منها بعد مسافة
وكان بين موضع دخوله وموضع خروجه اوعار وجبال لا تسلك الا على تحليق الايام وكان ذلك يوم
عاشورا قال النقاش البحر الذي انفلق لموسى نهر النيل بين ايله ومصر وهذا مردود وان كان الله
قوله ان في ذلك تنبيه على موضع العبرة وانه ربك لهو العزيز اي في نقمته من الكفار الرحيم
بالمومنين من كلا امه وقد مضى تفسير ما يلزم ذكره من قصة موسى قوله واتل عليهم نبا ابرهيم
هذه القصة تضمنت الاعلام بغيب والاتيان بما يقطع ان محمدا لم يكن يعرفه ثم ظهر على لسانه
في ذلك ما في الكتب المتقدمه وليست هذه الايه مثالا للتعريض الا في امر الاصنام فقط لانه ليس
فيها تكذيب وعتاب وقول ابرهيم عليه السلام ما تعبدون استفهام بمعنى التقرير والصنم
ما كان من الاوثان على صورة ابن ادم كان من حجر او عود او غيرها ونظل عاكفين في فعل الشي نهارا
وبات عاكفين في فعله ليلا وطعن عليه للوجهين ولكن فيه حظ بمعنى العموم وهذا الموضع من ذلك
والعكوف اللزوم ومنه المعتكف وقول الراجز عكف النبط يلعبون الفنزجا
ثم احتج ابرهيم بنفعهم على انها تشهد العقل انها بعيدة من صفات الاله وقرا الجمهور بفتح اليا من يسمعونكم

وقرا قتادة بضم اليا وكسر الميم من اسمع والمفعول على هذه محذوف وقرا جماعة من القرا
اذ تدعون باظهار الذال وقرا الجمهور بادغام الذال في التا بعد القلب ويجوز فيه
القياس مذكرا ولم يقرا به واطرد القياس ان يكون اللفظ به اذدعون والذي منع من
هذا اللفظ اتصال الدال الاصلية في الفعل وكثرة المماثلات وقولهم بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون اقبح وجوه التقليد لانه على ضلالته وفي امر بين خلافه وعظيم قدره فلما صرحوا
لابرهيم عن عدم نظرهم وانه لا حجة لهم جاءهم بتبرايه من جميع ما عبد من دون الله وعداوته
لذلك وعبر عن بغضه واطراحه لكل معبود سوى الله اذ هي مقتضى التكبير ونحوه الرحيم وقد
في الكلام قلب لان الاصنام لا تعادي وانما هو عاداها وقوله الا رب العالمين قالت فرقة
هو استثنا متصل لان في الابا الاقدمين من قد عبد الله وقالت فرقة بل منقطع لانه انما اراد
عباد الاوثان من كل قرن منهم ولفظة عدو تقع للجميع والمونث قوله الذي خلقني الايات
اخذ ابرهيم عليه السلام في هذه الاوصاف التي وصف الله عز وجل بها فالصفات التي يتصف
بها يستحق الالوهية وهي الاوصاف الفعلية التي تخص البشر ومنها يجب ان يعبد ربه قوله
يطعمني ويسقين تعديد للنعمة في الرزق وقال ابو بكر الوراق في كتاب الثعلبي المعنى يطعمني
بلا طعام ويسقين بلا شراب كما قال النبي عليه السلام اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني واسند
ابرهيم المرض الى نفسه والشفا الى الله وهذا حسن الادب في العبارة والكل من عند الله وهذا
كقول الخضر فاردت ان اعيبها وقال جعفر بن محمد الصادق واذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة
وقرا الجمهور هذه الافعال بحذف اليا وقرا نافع وابن ابي اسحق بغير يا وكذلك ما بعده وقوله
عليه السلام يشتد على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته وقوله
خطيئتي ذهب فيه اكثر المفسرين الى انه اراد الكذبات الثلاث وقالت فرقة اراد بالخطيئة اسم
الجنس فدعا في كل امره من غير تعيين وهذا اظهر عندي لان تلك الثلاث قوله اني سقيم وقوله بل
فعله كبيرهم وقوله لسارة هذه اختي قد خرجها كثير من العلما على المعاريض وهي وان كانت كذبات
على قول النبي عليه السلام لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وجاء في حديث الشفاعة من قوله في
شأنها ابرهيم نفسي نفسي وذكر كذباته فهي في مصالح وعون شرع وحق وقرا الجمهور خطيئتي بالافراد وقرا

الحسن خطاياي بالجمع والحكم الذي دعا فيه ابرهيم هو الحكمة والنبوة ودعا ابرهيم في مثل هذا
في معنى التثبيت والدوام ولسان الصدق في الاخرين هو الثنا وخلد المكانة باجماع من المفسرين
ولذلك اجاب الله دعوته فكل امة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جا بها محمد عليهما السلام
قال مكي قيل معنى سواله ان يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوة في محمد وهذا معنى
حسن الا ان لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ واستغفاره لابيه في هذه هو قبل ان تبين له موته على
الكفر انه عدو لله اي محتوم عليه وهو عن الموعدة المذكورة في غير هذه الاية وفي قراة ابي بن كعب واغفر
لي ولابوي انهما كانا من الضالين قوله يوم لا ينفع يوم بدل من الاول في قوله يوم يبعثون والمعنى
يوم لا اعلاق الدنيا ومحاسنها فقصد من ذلك لذرا العظم والاكثر المال والبنين هي زينة الحياة
الدنيا قوله بقلب سليم معناه خالص من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وان كانت مباحة
كالمال والبنين قال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شي غيره وهذا يقتضي عموم اللفظة
ولكن السليم من الشرك هو الاعم وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ وازلفت
معناه قربت والغاوون هم الذين برزت لهم الجحيم هم المشركون بدلالة انهم خوطبوا في امر الاصنام والقول
لهم اينما كنتم تعبدون الاية هو على وجه التقريع والتوبيخ والتوقيف على عدم نصرهم وقرا الاعمش فبرزت
بالفا والجمهور بالواو وقرا مالك بن دينار وبرزت بفتح البا والرا الجحيم رفعا ثم اخبر عن حال يوم
القيامة من ان الاصنام تجمع في النار اي تلقى كبة واحدة وتوصل بها من يعقل من حيث ذكرت
بعبادة وكانت يسند اليها فعل من يعقل وقيل الضمير في قولهم للكفار والغاوون الشياطين
وكبكبوا معناه من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لان معناهما واحد والتضعيف في الفعل بين
وقرضوا وغير ذلك والغاوون الكفرة الذين شملتهم الغواية وجنود ابليس نسله وكل من يتبعه لانهم
جملة واعوان قوله قالوا وهم فيها يختصمون وصف انهم فيها بلاوقوف ياخذون في شانهم بجدال
وفيه قولهم لاصنامهم على جهة الاقرار وقول الحق تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نعدلكم ونجعلكم سواسية رب

قسما

العالمين وخالقهم وما اضلنا ثم عطفوا بالملامة على غيرهم اي ما اضلنا الا كبراونا واهل الجرم والجراة
والمعاندة ثم قالوا على جهة التلهف حين راوا شفاعة الملائكة والانبيا والعلما نافعة في اهل الايمان عموما
وشفاعة الصديق في صديقه خاصة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وفي هذه الاية لفظة مبهمة على

محل الصديق من المرء قال ابن جريج شافعين من الملائكة وصديق من الناس ولفظ الشفيع يقتضي
رفعه مكانه ولفظ الصديق يقتضي شدة مساهمة ونصرة وهو فعيل من صدق الود والحميم الولي والقريب
الذي يخصك امره وحامة الرجل خاصته وباقي الاية بين وهذه الايات من قوله يوم
لا ينفع مال هي عندي منقطعة من كلام ابرهيم وهي اخبار عن الله من صفة اليوم الذي وقف ابرهيم عنده
في دعائه ان لا يخزى فيه قوله كذبت قوم نوح المرسلين اسند الى القوم وفيه علامة التانيث من
حيث القوم في معنى الامة والجماعة وقوله المرسلين من حيث من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الانبيا
اذ قولهم واحد ودعوتهم سوا وقوله اخوهم يريد في النسب والمشاكلة لا في الدين وامين معناه على
الله ورسالته وقرا ابن كثير وعاصم اجري ساكنة اليا وقرا نافع وابو جعفر وشيبة بفتحها في كل القران
ثم ردد عليهم الامر بالتقوى والدعا الى طاعته تحذيرا ونذارة وحرصا عليهم فذهبت اشرافهم الى
استنقاص اتباعه بسبب صغار الناس الذين اتبعوه وضعفائهم وهذا كفعل قريش في شان عمار وصهيب
وغيرهما وقال بعض الناس الارذلون الحاكة والحجامون والاساكفة وهذا عندي على جهة المثال اي اهل
الصنائع الخسيسة لا ان هذه الصنائع المذكورة خصت بهذا والارذلون جمع الارذل ولا يستعمل
الا مضافا او معرفا او بمن ويظهر من الاية ان مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة المومنين بهجين اعمالهم
لا النظر في صنائعهم يدل على ذلك قول نوح وما علمي الاية لان معنى كلامه ليس في نظري وعلمي باعمالهم
ومعتقداتهم فايدة انما اقنع بظاهرهم واجتزي به ثم حسابهم على الله وهذا نحو قوله عليه السلام
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث بجملته وقرا جمهور الناس واتبعك فعلا ماضيا
وقرا ابن السميفع وسعيد بن ابي سعيد الانصاري واتباعك على الجمع ونسبها ابو الفتح الى ابن مسعود
والضحاك وطلحة قال ابو عمرو وهي قراة ابن عباس والاعمش وابي حيوة وقرا عيسى بن عمر الهمداني لو
تشعرون بالتا من تحت واعراب قوله واتباعك اما جملة في موضع الحال واما عطف على الضمير المرفوع
وحسن ذلك الفصل بقوله لك وقولهم من المرجومين يحتمل ان يريدوا بالحجارة ويحتمل ان يريدوا بالقول والشتم
ونحوه وهو شبيه برجم الكاهن وهو من الرجم بالغيب والظن ونحو ذلك وقوله افتح معناه احكم والفتاح
القاضي بلغة يمانية والفلك السفينة وجمعها كذلك وقد تقدم والمشحون معناه المملوء بما ينبغي له من قدر
ما يحمل وباقي الاية بين قوله كذبت عاد المرسلين عاد قبيلة والعرف الخفة وقيل هو اسم ابيهم وخاطبهم

هو مثل مخاطبة سائر الرسل ثم طلبهم فيما انفردوا به من الافعال التي اضمنها احوالهم فقال
اتبنون على جهة التوبيخ ۝ والريع المرتفع من الارض ومنه قول المسيب بن علس يصف
ظعنا ۝ في الال يخفضها ويرفعها ريع يلوح كانه سحل ۝ والسحل الثوب الابيض ومنه
قول ذي الرمة ۝ طراق الخوافي مشرف فوق ريعه ندى ليله في ريشه يترقرق ۝
ومنه قول الاعشى ۝ ويهما تعرفا وزنه اذا احث فيحر بها آلها ۝ ويقال الريع بكسر
الرا وريع بفتحها وبها قرا ابن ابي عبلة وعبر بعض المفسرين عن الريع بالطريق وبعضهم بالفج
وبالثنية الصغيرة وجملة ذلك انه المكان المشرف وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه والاية
البنيان قال ابن عباس انه علم وقال مجاهد ابراج الحمام قال النقاش وعزه العصور الطوال
والمصانع جمع مصنع وهو ما صنع واتقن في بنايه من قصر مشيد ونحوه قال قتادة هي مآخذ
للما وقوله لعلكم تخلدون اما ان يريد على املكم ورجائكم واما ان يريد الاستفهام على معنى التوبيخ
والهزء بهم وقرا الجمهور تخلدون بفتح التا وضم اللام وقرا قتادة بضم التا وفتح اللام يقال خلد
الشي واخلده غيره وقرا ابي وعلقمة بضم التا وفتح الخا واللام وشدها وروي عن ابي كانكم
تخلدون وروي عن ابن مسعود كي تخلدونه ۝ والبطش الاخذ بسرعة وقوة ۝ والجبار المتكبر ومنه
قولهم نخلة جبارة اذا كانت لا تدرك ومنه قوله عليه السلام في المراة التي ابت ان تتنحى عن طريقه
انها جبارة ومنه الجبروت فالمعنى انكم كفار الغضب لكم السطوات المفرطة والبوادر من
غير تثبت ثم ذكرهم عليه السلام بايادي الله فيهم وفيما منحهم من الانعام والذرية والجنات والمياه
المطردة فيها ثم خوفهم عذاب الله في الدنيا فكانت مراجعتهم ان سووا بين وعظه وتركه الوعظ
وقرا ابن محيصن اوعظت بادغام الظا في التا ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين واختلف القراء في
ذلك فقرا نافع وعاصم وحمزة وابن عامر خلق بضم اللام فالاشارة بهذا الى دينهم وتحكمهم وعادتهم
في المصانع اي هذا الذي نحن عليه خلق الناس وعادتهم وبعد ذلك لا بعث ولا تعذيب كما تزعم
انت وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي وابو قلابة خلق بفتح الخا وسكون اللام ورواها الاصمعي عن
نافع وقرا ابو جعفر وابو عمرو بفتح الخا وسكون اللام وهي قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن وهذا
يحتمل وجهين احدهما وما هذا الذي نزعمه الا اختلاق الاولين من الكذبة قبلك والذين فاتوا على مثالهم

بلغ

والثاني ان يريد وما هذه البنية التي نحن عليها الا خلق الاولين حياة وموت وما ثم بعث ولا تعذيب
وكل معنى مما ذكرته محتمل كل قراءة وروى علقمة عن ابن مسعود الا اختلاق الاولين وباقي الاية قد مضى
تفسيره قوله كذبت ثمود المرسلين ثمود قبيلة عربية وتصرف ولا تصرف على قصد الحي او القبيلة
وقرئ بالوجهين والجمهور بغير صرف وابن وثاب وغيره بالصرف وصالح اخوهم في النسب والانبيا من
العرب اربعة هود وصالح وشعيب ومحمد وايضا اسمعيل عليه السلام عربي اللسان بمعاني اليسير وهو
ابو العرب الموجودين اليوم قوله اتتركون فيما هاهنا تخويف لهم بمعنى اتطمعون ان تقروا في
النعم على معاصيكم والهضيم اللين الرطب والطلع الكفرى وهو عنقود التمر قبل ان يخرج من الكم
في اول نباته وكان الاشارة الى ان طلعها يتم ويرطب قال ابن عباس اينع وبلغ فهو هضيم وقال
الزهري الهضيم الرخص اللطيف اول ما يخرج وقال الزجاج هو فيما قيل الذي رطبه بغير نوى وقال
الضحاك المتنضد بعضه على بعض وهذا ضعيف وقرا الجمهور تنحتون بكسر الحا وقرا عيسى بفتحها وذكر
انها لغة قال ابو عمرو وهي قراءة الحسن وابي حيوة وقرا حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر فارهين وهي
قراءة ابن مسعود وابن عباس وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وقرا مجاهد متفرهين بميم وتا على
وزن متفعلين واللفظة ماخوذة من الفراهة وهي جودة منظر الشي وخبرته وقوته وكماله
في نوعه فمعنى الاية كيسين متهممين قاله ابن عباس وقال مجاهد شرهين وقال ابن زيد اقويا وقال
ابو عمرو بن العلا اشرين بطرين وذهب عبد الله بن شداد الى انه بمعنى متفرهين اي متجبرين في اتخاذه
الغارة من كل ما يشتهونه ويشتهونه قوله ولا تطيعوا امر المسرفين خاطب به جمهور قومه
وعنى بالمسرفين كبراهم واعلام الكفر والاضلال فيهم قوله من المسحرين فيه تاويلان احدهما ماخوذ
من السحر جر السبق اي قد سحرت فانت لذلك مجنون لا تنطق بقوم والثاني انه ماخوذ من السحر وهو
السبق وهي الرئة وشبهها يقال انتفخ سحره وقيل السحر نفسه الرئة بما يتعلق بها من كبد وغيره اي
انت ابن ادم لا يصح ان تكون رسولا عن الله وما بعده يقوي هذا التاويل ومن لفظه قول لبيد
۝ فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر ۝ ويقال للاغذا التسحير ومنه
قول امري القيس ۝ ونسحر بالطعام وبالشراب ۝ ثم اقترحوا عليه اية وروي انهم اقترحوا
خروج ناقة من جبل من جبالهم وقصتها في هذه الاية وخبره وقد مضت مستوعبة فلما خرجت الناقة قال

لهم هذه ناقة لها شرب وهو الحظ من الماء وقرأ ابن أبي عبلة بضم الشين فيهما وقد تقدم قصص
ثمود والناقة والسوء عقرها وتوعدهم عليه بعذاب وظاهرا مروا ان في الدنيا ولذلك اسفر
الوجود ونسب عقرها الى جميعهم مع اختصاص قدار الاحمر بعقرها من حيث اتفقوا على ذلك رضا
وتدبيرا قوله فاصبحوا نادمين لما ظهر لهم تغير الوانهم حسب ما كان صالح اخبرهم ندموا
وراوا ان الامر على ما اخبرهم به حتى نزل بهم العذاب وكانت صيحة جثت لها ابدانهم وانشقت
قلوبهم وماتوا عن آخرهم وصبت عليهم حجارة خلال ذلك قوله كذبت قوم لوط المرسلين قال النقاش
ان في مصحف ابن مسعود وأبي وحفصة اذ قال لهم لوط وسقط اخوهم واختصرت الباقي الخط
واللفظ من قوله واطيعون مراعاة لرؤوس الآي لكي تتناسب ثم وقفهم على معصيتهم الشنيعة في
اتيان الذكران وترك فروج الازواج والمعنى وبذر ذلك العاصي في حين معصيته لا ان معناه
انهم تركوا المناكحة وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم وعادون معناه ظالمون متجاوزون الحظ
فتوعدوه بالاخراج من ارضهم وداره فلانهم عند ذلك واقتصر على الاخبار بان قال اني لعملكم من
القالين والقلي بغض الشيء وتركه ثم دعا في النجاة فنجاه الله بان امره بالرحلة ليلا وكانت امرأته
كافرة تنبئ عليه قومه فاصابها حجر فهلكت فيمن هلك وقوله في الغابرين معناه الباقين واما
ان يريد الباقين من لداتها واهل سنها وكونوا ويل لابي عبيدة واما ان يريد في الباقين في العذاب
النازل بهم وهونا ويل قتادة والمشهور في غبر انها بمعنى بقي وعابر الزمان مستقبله ولكن الاعني
قد استعمل عابر الزمان بمعنى ماضيه في شعر المنافرة المشهور وقال الزهراوي يقال
للذاهب عابر وللباقي عابر والتدمير الاهلاك بامطار الحجارة وبذلك جرت الشمس في رجم الوطي
ويأتي لا ينتهي قوله كذب اصحاب الايكة المرسلين قال النقاش في مصحف ابن مسعود ولن
وحفصة اذ قال لهم اخوهم شعيب وقالوا ولا وجه لمراعاة النسب وانما هو اخوهم من حيث هو
رسولهم وادمي مثلهم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن فعلة هنا وفي صاد وقرأ
الباقون الايكة وهي الدوحة الملتفة من الشجر على الاطلاق وقيل من شجر معروف له غضارة
بالغة الحمام والقماري ونحوها وقال قتادة كان شجرهم هذا دوما وليكة اسم البلد في قراءة من
قرأ ذلك قاله بعض المفسرين ذكره ابو عبيدة القاسم بن سلام وذهب قوم الى انها مسهلة من الايكة

وانما وقعت في المصحف هنا وفي صاد بغير الف وقال ابو علي سقوط ذلك من المصحف لا يرجح اللفظ
به هكذا لان خط المصحف اتبع فيه تسهيل اللفظ فكما سقطت الالف من اللفظ سقطت من الخط
نحو سقوط الواو من قوله سندع الزبانية لما سقطت من اللفظ واما ترجيح القراءة في ليكة بفتح
التاء في موضع الجر فلا يقتضيه ما في المصحف وهي قراءة ضعيفة ويدل على ضعفها ان جاريات القراءة
في هذين الموضعين مجمع فيه على الايكة بالهمز والالف والخفض وكانت هذه القوم شيعة ولم يكن
شعيب منهم فلذلك لم يذكر هنا بانه اخوهم وانما كان من بني مدين ولذلك ذكر باخوتهم وجاءت الفاء
في دعاء كل واحد منها ولا الانبياء واحدة بعينها اذ كان الايمان المدعو اليه معنى واحدا بعينه وفي
قوله الا تتقون عرض رفق وتلطف كما قال تعالى هل لك الى ان تزكى وكانت معصيتهم المعاندة
الى لزم بخس الموازين وتنقص اموال الناس بذلك فاعلا القسطاس المعتدل الموازين وهو بنا
مبالغة من القسط وذهب ابن عباس ومجاهد الى ان معنى قوله وزنوا بالقسطاس عدلوا اموركم
كلها بميزان العدل الذي جعله الله لعباده وقرأ الجمهور بضم القاف وقرأ عيسى واهل الكوفة بكسرها
تعثوا معناه تفسدوا تقال عثا اذا افسد والجبلة القرون الماضية والخليقة وقال
الشاعر ○ والموت اعظم حادث مما يمر على الجبلة ○ وقرأ جمهور الناس الجبلة وقرأ ابو حصين
والحسن بخلاف بضم الباء والجيم والكسف القطع واحدها كسفة كثمرة وتمر وصورته فيما روي ان الله
امتحنهم بحر شديد فلما كان في ذلك اليوم غشي بعض قطرهم سحاب فجاء بعضهم الى ظله فاحسوا بردا
وروحا فتداعوا اليه حتى تكاملوا فيه فامطرت عليهم تلك السحابة نارا فاحرقتهم من عند آخرهم
وللناس في حديث يوم الظلة تطويل لا يثبت والحق انه عذاب جعله الله ظلة عليهم وذكر الطبري
عن ابن عباس انه قال من حدثك ما كان عذاب يوم الظلة فقد كذب وباقي الآية بين قوله وانه
الضمير للقرآن اي انه ليس بكهانة ولا سحر وانما هو من عند الله والروح الامين جبريل عليه السلام
وتبليغا باللفظ العربي والمعاني الثابتة في الصدور والمصاحف وعلى ذلك كله يعود الضمير في
به واللسان عبارة عن اللغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية حفص نزل خفيفة
الزاي الروح رفعا وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي نزل مشددة الزاي الروح نصبا
ورجحها ابو حاتم بقوله فانه نزله على قلبك وبقوله لتنزيل رب العالمين وقوله في موضع الحال كقوله

وقد دخلوا الكفر وهم قد حرجوا به قوله على قلبك اشارة الى حفظه اياه وعلل النزول
على بقوله من المنذرين لانه لا يمكن ان ينذر الا بعد حفظه وقوله بلسان يمكن ان يتعلق الباء
بقوله نزل به وهذا على ان النبي عليه السلام انما كان يسمع من جبريل حروفا عربية وهو القول
الصحيح ويكون الجرس صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده واغلاظه ويمكن ان
تتعلق بقوله لتكون وتمسك بهذا من راى ان النبي عليه السلام كان يسمع احيانا مثل صلصلة
الجرس يتفهم له منه القران وهذا ضعيف مقتضاه ان بعض الفاظ القران هي من لدن النبي عليه السلم
وهذا مردود قوله وانه لفي زبر الاولين اي كتبهم يريد انه مذكور في الكتب المنزلة
القديمة منبه عليه مشار اليه وقرا الجمهور زبر بضم الباء واسكنها الاعمش ثم احتج عليهم بانهم كان
ينبغي ان يصح عندهم امره كون علماء بني اسرائيل يعلمونه كعبد الله بن سلام ومثله قاله ابن عباس ومجاهد
وقال ابن عباس ايضا رواه عنه الثعلبي ان اهل مكة بعثوا الى احبار يثرب يسالونهم عن النبي فقالوا
هذا زمانه ووصفوا نعته ثم خلطوا في امره فنزلت الاية ويؤيد هذا كونها مكية وقال مقاتل هذه
الاية مدنية ومن قال انها مكية ذهب الى ان علماء بني اسرائيل ذكروا ان في التوراة صفة النبي الامي وهذه
الاشارة الى ذلك وكلهم قرا يكن بالياء اية نصبا غير ابن عامر فانه قرا بالتاء ورفع اية وهي قراءة عاصم
الجحدري وقرا الجمهور الناس تعلمه بالياء من تحت وقراها الجحدري بالتاء ثم سلى محمدا عن صدودهم
عن الشرع بان اخبر ان هذا القران العربي لو سمعوه من اعجمي اي من حيوان غير ناطق او جماد والاعجم كل
ما لا يفصح ما كانوا يومنون اي قد حتم الكفر عليهم فلا سبيل الى ايمانهم والاعجمون جمع اعجم وهو الذي
لا يفصح وان كان عربيا لنسب نفاه الله اعجم وكذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه قوله عليه السلم
جرح العجماء جبار عن عبد الله بن مطيع انه قال الحسن قرا هذه الاية وهو واقف بعرفة جملي هذا اعجم فلو
انزل عليه ما كانوا يومنون والعجمي هو الذي نسبه في العجم وان كان افصح الناس وقرا الحسن الاعجميين قال
ابو حاتم اراد جمع الاعجمي المنسوب وقال بعض النحويين هو جمع اعجم اضيف فقويت دنيته
الاسماء بالاضافة فجمع وليس باعجمي المنسوب الى العجم وقرا جمهور الناس يكن بالياء اية بالنصب وقرا
لم يكن لهم اية ابن مسعود والاعمش وفي مصحف ابي المبين بغير واو وقرات وقد تكن بالتاء من فوق اية
رفعا وقرا بعض من قرا بالتاء اية بالنصب وسائرهم بالرفع وقد مضى ذكر ما في التسع وذكر الطبري

ان

صلصلة ع

ان الضمير في قوله وانه لتنزيل عائد على الذكر في قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث قوله
كذلك سلكناه الاشارة بذلك الى ما تحصل للسامع الاية المتقدمة من الحتم عليهم بانهم لا يومنون وهي
قوله ولو نزلناه الاية سلكناه معناه ادخلناه والضمير فيه للكفر الذي تضمنه ما كانوا به مومنين
قاله الحسن قال الرماني لا وجه لهذا لانه لم يجر له ذكر وانما الضمير للقران واخطاره بالبال
وحكى الزهراوي ان الضمير للتكذيب المفهوم وحكاه الثعلبي وقرا ابن مسعود كذلك جعلناه
وروي عنه نجعله والمجرمون اراد بهم مجرمي كل امة اي ان هذه عادة الله فيهم انهم لا يومنون
حتى يروا العذاب فلا ينفعهم الايمان بعد تلبس العذاب بهم وهذا على جهة المثال لقريش
اي هذا لا يكون لذلك ولكشف الغيب بما تضمنته هذه الاية يوم بدر وقرا الجمهور فياتيهم بالياء اي
العذاب وقرا الحسن بالتاء من فوق يعني الساعة وفي قراءة ابي بن كعب فيروه بغتة
ومن قول كل امة معذبة هل نحن منظرون اي مؤخرون وهذا على جهة التمني منهم والرغبة
حيث لا ينفعهم ثم رجع لفظ الاية الى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله في طلبهم سقوط
السماء كسفا وغير ذلك وقولهم لمحمد ائتنا بما تعدنا اي انه لا ينبغي لهم ذلك لان عذابنا بالمرصاد
اذا حان اجله ثم خاطب محمدا عليه السلام بامر الحجة عليهم في ان مدة الارجاء والامهال
والاملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها ووقوع النقمة وذلك في قوله افرايت الاية
قال عكرمة سنين يريد عمر الدنيا ولابي جعفر المنصور قصة في هذه الاية ثم اخبر تعالى انه لم يهلك
قرية من القرى الا بعد ارسال من ينذرهم عذاب الله ذكرى لهم وتبصرة واقامة حجة لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وذكرى عند الكسائي نصب على الحال ويصح ان يكون في
موضع نصب على المصدر وهو قول الزجاج ويصح ان يكون في موضع رفع على خبر ابتداء تقديره
ذلك ذكرى ثم نفى عن جهته الظلم اذ هو مما لا يليق به قوله وما تنزلت به الشياطين لما كان
بعض ما قال الكفار ان هذا القران كهانة نزلت هذه الاية مكذبة لذلك اي ما تنزلت به الشياطين
لانها قد عزلت عن السمع الذي كانت تاخذه بمقاعدها قوله وما ينبغي لهم وما يستطيعون وقد تجيء
هذه اللفظة عبارة عما لا يليق وان كان ممكنا وعما لا يمكن ولما جاء الله بالاسلام حرس السماء بالشهب
الجارية اثر الشياطين فلم يخلص شيطان لشيء يلقيه كما كان يسترقه في الجاهلية وقرا الجمهور الشياطين

وروي عن الحسن الشياطون بالواو وهي قراءة مردودة قال ابو حاتم هي غلط منه او عليه
وحكاها الثعلبي ايضا عن ابن السميقع وذكر عن يونس بن حبيب انه قال سمعت اعرابيا
يقول دخلت بساتين من ورايها بساتون فقال يونس قلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن
ووصى الله نبيه بالثبوت على توحيد الله ثم امره بنذارة قومه عشيرته تخصيصا لهم اذ العشيرة
مظنة المقاربة والطواعية واذ يمكنه معهم من الاغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم فان البر بهم في
مثل هذا الحمل عليهم والانسان غير متهم على عشيرته وكان هذا التخصيص مع الامر بنذارة العالم
وروي عن ابن جريج ان المومنين من غير عشيرته في ذلك الوقت ما لهم من ذلك هذا التخصيص وحرجهم
منه فنزلت واخفض جناحك الاية ولما امر عليه السلام بهذه النذارة عظم موقع الامر عليه
وصعب ولكنه تلقاه بالجلد وصنع الاشيا المختلفة كلها بحسب الامر فمن ذلك انه امر عمه
عليا بان صنع طعاما وجمع عليه بني جده عبد المطلب واراد نذارتهم ودعوتهم في
ذلك الجمع وظهر منه عليه السلام بركة في الطعام قال علي وهم يومئذ اربعون رجلا ينقصون
رجلا او يزيدونه فبدر ابو لهب بالسحر فوجم رسول الله وافترق جمعهم من غير شي ثم جمعهم
كذلك وانذرهم ووعظهم فتضاحكوا ولم يجيبوا ومن ذلك انه نادى عمه العباس وصفية
عمه وفاطمة ابنته وقال لهم لا اغني عنكم من الله شيا اني لكم نذير بين يدي عذاب شديد في
حديث مشهور ومن ذلك انه صعد على الصفا او ابي قبيس ونادى يا بني عبد مناف وا
صباحاه فاجتمع اليه الناس من اهل مكة فقال يا بني فلان يا بني فلان حتى اتى على بطون قريش
جميعا فلما تكاملوا قال كم من بطن فقال لهم ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل
تريد الغارة عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما لم نجرب عليك كذبا فقال اني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد فقال ابو لهب الهذا جمعتنا تبا لك سائر اليوم فنزلت تبت يدا ابي لهب السورة والعشيرة
قرابة الرجل وهي في الرتبة تحت الفخذ وفوق الفصيلة وخفض الجناح استعارة معناه لين الكلمة
وبسط الوجه والتبسير فعصوك عايد على عشيرته من حيث جمعت رجالا امرها انما اعنا التبري منهم وفي
الاية موادعة نسختها اية السيف قوله وتوكل على العزيز الرحيم قرا نافع وابن عامر وابو جعفر
وشيبة فتوكل بالفا وكذا هي في مصاحف المدينة والشام والجمهور بالواو وكلاهما حسن وامره بالتوكل

علي

عليه في كل امره ثم جاء بالصفات التي تونس المتوكل وهي العزة والرحمة المذكورتان في اواخر
قصص الامم المذكورة في هذه السورة التي تونس المتوكل وضمنها قص كل نبي على الكفرة والتهمم بامره
والنظر اليه قوله الذي يراك عبارة عن الادراك وظاهرها انه اراد قيام الصلاة ويحتمل ان يريد
سائر التصرفات وهو قول مجاهد وقتادة قوله في الساجدين قيل اراد اهل الصلاة اي صلاتك
مع المصلين قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال ايضا مجاهد يريد تقلبك عينيك وابصارك الساجدين
حين تراهم من وراء ظهرك وهذا المعنى اجنبي هاهنا وقال ابن عباس ايضا وقتادة اراد تقلبك في
المومنين وعبر عنهم بالساجدين وقال ابن جبير اراد الانبيا اي تقلبك كما تقلب غيرك من الانبيا
قوله هل انبيكم اي قل يا محمد هل اخبركم على من تنزل الشياطين وهذا استفهام تقرير وتوبيخ والافاك
الكذاب والاثيم الاثم ويريد الكهنة لانهم كانوا يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة التي سمعت من
السما فيخلطون معها ماية كذبة فاذا صدقت تلك الكلمة كانت سبب ضلالة لمن سمعها قوله
يلقون السمع يعني الشياطين ويقتضي ذلك ان الشياطين المسترقين كانوا يلقون الى ما سمعوا هذا
في الاكثر ويحتمل الضمير في يلقون ان يكون للكهنة ولما ذكر الكهنة بافكهم وحالهم التي تنفي ان كلامهم
عن كلام كاذب اتبع ذلك بذكر الشعرا وحالهم لينبه على بعد كلامهم من كلام القران اذ قال بعض الكفرة
انه شعر وهذه الكناية عن شعر الجاهلية وحكى النقاش عن السدي انها في ابن الزبعرى وابي سفين
بن الحارث وهبيرة بن ابي وهب ومسافع الجمحي وابي عزة وامية بن ابي الصلت الاول بانا ويدخل
في الاية كل شاعر مخلط يهجو ويمدح شهوة ويقذف المحصنات ويقول الزور وقرا نافع يتبعهم بسكون
التا وفتح البا وهي قراءة ابي عبد الرحمن والحسن بخلاف عنه والباقون بالتشديد وكسر البا واختلف
في قوله الغاوون فقال ابن عباس هم الرواة وقال ايضا هم المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وقال
عكرمة هم الرعاع الذين يتبعون الشاعر ويغتنمون انشاده وهذا ارجح الاقوال وقال مجاهد
وقتادة الغاوون الشياطين قوله في كل واد يهيمون عبارة عن تخليطهم وخوضهم في كل فن من الكلام
الغث وتحسينهم القبيح وتقبيحهم الحسن قاله ابن عباس وغيره وقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون ذلك
لمغالطتهم وتعمقهم في مجاز الكلام حتى يؤول الى الكذب ولكن في هذا اللفظ عذر لبعضهم احيانا
فانه يروى ان النعمان بن عدي لما ولاه عمر بن الخطاب ميسان وقال الخوجه الشعر المشهور عزله

عم ما احتج عليه بهذه الاية ودرا عنه حد الخمر وروي جابر بن عبد الله ان النبي عليه السلام قال من
مشى سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين ذكره اسود بن موسى وذكره النقاش قوله
الا الذين امنوا استثنا في نكير الاسلام لحسان وكعب وابن رواحة وكل من اتصف بهذه الصفة وروي
عن عطا بن يسار وغيره انها لا شي عليهم ما ذكر قبل في الشعرا وذكروا ذلك للنبي عليه السلام
فنزلت ايه الاستثنا بالمدينه وذكروا الله كثيرا يحتمل ان يريد في اشعارهم وهو تاويل ابن زيد ويحتمل
ان يريد ان ذلك خلق لهم وعادة وعبادة قاله ابن عباس وهذا كما قال لبيد حين طلب منه شعر
ان الله ابدلني بالشعر القران خيرا منه وكل شاعر في الاسلام يهجوا ويمدح عن غير حق ويقذف
ولا يرتدع عن قول دني فهم داخلون في هذه الاية وكل تقي منهم يكثر من الزهد ويمسك عن كل ما
يعاب فهو داخل في الاستثنا قوله وانتصروا الاشارة الى ما قالوه من الشعر على وغيره في قريش
قال قتادة وفي بعض القراة وانتصروا بمثل ما ظلموا وباقي الاية وعيد للظلمة كفار مكة وتهديد
لهم وعلم يتقلبون فيه اي لما اخره. **تفسير سورة النمل هي مكية** قوله طس
تقدم القول في الحروف المقطعة في اوائل السور وكل الاقوال يترتب هاهنا وعلى القول
بانها حروف من اسما الله فلا اسما هنا لطيف وصحيح وكونها اشارة الى نوع حروف المعجم ايضا
الاقوال وعطف الكتاب على القران وهما المسمى واحد من حيث هما صفتان لمعنيين فالقران
لانه اجتمع والكتاب لانه يكتب وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع قوله هدى وبشرى
يحتمل ان يكون في موضع نصب على المصدر ويحتمل ان يكون في موضع رفع على خبر ابتدا مضمر تقديره
ذلك هدى وبشرى ثم وصف المومنين بالاوصاف اللايقة بهم واقامة الصلاة ادامتها واداوها
على وجهها والزكوة هنا يحتمل ان تكون غير المفروضة لان السورة مكية قديمة ويحتمل ان تكون المفروضة
من غير تفسير وقيل الزكوة هنا بمعنى الطهارة من النقايص وملازمة مكارم الاخلاق وتكرار الضمير
في قوله وهم بالاخرة هم يوقنون للتاكيد ثم ذكر الكفرة الذين لا يومنون بالغيب والاشارة الى قريش
قوله زينا لهم اعمالهم يحتمل ان يريد ان الله تعالى جعل عقابهم على كفرهم ان ختم عليهم الكفر وحبب
اليهم الشرك وزينه بان خلقه واخترعه في نفوسهم ومع ذلك اكتسابهم وحرصهم وهذا على ان
تكون الاعمال المزينة كفرهم وطغيانهم ويحتمل ان الاعمال المزينة هي الشريعة التي كان الواجب ان تكون

اعمالهم

اعمالهم فاخبر الله على جهة الذكر لقصتهم انه بفضله ونعمته زين الدين وبينه وهم مع الاعمال
والتوحيد لكرهها ولا يعمهون ويعرضون والعمه الحيرة والتردد في الضلال ثم توعدهم بسوء العذاب
فمن ناله منه شي في الدنيا كان سوء عذابه في موته وعذابه بعده والاخسرون لا صفة افعل لا تجمع
ان تضاف فتقوى رتبته في الاسما وفي هذا نظر قوله وانك لتلقى تفعل مضاعف لقي يلقى ومعناه
تعطى كما قال وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قال الحسن المعنى انك لتقبل القران وقيل انه يلقى عليه فضل
الله وبعلمه به فتقبله وهذه الاية رد على كفار قريش في قولهم ان القران من تلقا محمد من لدن معناه من عنده
ومن جهته والحكيم ذو الحكمة في معرفته حيث يجعل رسالاته وفي غير ذلك ثم قص خبر موسى والتقدير
اذكر اذ قال موسى وكان من امر موسى انه حين خرج بزوجه بنت شعيب عليهما السلام يريد مصر وقد
ولد وقت ثوينه مشوا في ليلة ظلما ذات برد ففقدوا النار ومسهم البرد واشتدت عليهم الظلمة
وضلوا الطريق واصلدت زناد موسى فبينا هو في هذه الحال اذ راى نارا على جبل وانست معناه
رايت ومنه قول حسان بن ثابت. انظر خليلي بباب جلق هل تونس دون البلقا من احد.
فلما راى موسى ذلك قال لاهله ما في الاية ومشى نحوها فلما دنا منها راى النار في شجرة سمر خضرا
وهي لا تحرقها وكلما قرب منها تبعدت هي منه وكان ذلك النور من نور الله ولم يكن نارا الا في نفسه للاظنه
موسى نارا فناداه عند ذلك وسمع موسى الندا من جهة الشجرة واسمعه الله كلامه والخبر الذي
رجاه موسى هو الاعلام بالطريق وقوله بشهاب قبس الشهاب النار التي توخذ في طرف عود او غيره
فالشهاب ثم خصصه بانه مما اقتبس اذ الشهاب قد يكون من غير اقتباس والقبس اسم لقطعة من النار
تقتبس في عود او غيره كما القبض اسم ما يقبض ومنه قول ابي زبيد.
في كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس. ومنه قول الاخر.
من نار نار الجحيم مقتبسا. واصل الشهاب الكوكب المنقض في اثر مسترق السمع وكل
ما يقال له شهاب من المنيرات فعلى التشبيه وكل ابيض ذي نور فهو شهاب وكلامه معروف والقبس
يحتمل ان يكون اسما غير صفة ويحتمل ان يكون صفة فعلى كونه اسما غير صفة اضاف البدل بمعنى شهاب
اقتبسه او اقتبسته وعلى كونه صفة يكون ذلك كاضافة النار الى الاخرة والصلاة الى الاولى وغير
ذلك وقرا الجمهور باضافة شهاب الى قبس وهي قراة الحسن واهل المدينة ومكة والشام وقرا عاصم

وجدوا الضيا بشهاب من سنا نقلا على الصفة ويجوز ان يكون القبس مصدرا فيمن يقبس كما
تطلب مصدر حلب يحلب وقال ابو الحسن الاضافة اجود واكثر في القراءة كما تقول دار اجر وسوار
ذهب حكاه ابو علي تصطلون معناه تدفيون تستدفيون من البرد والصبر في جاءها للنار التي راها
موسى وقوله ان بورك يحتمل ان تكون ان مفسرة ويحتمل ان تكون في موضع نصب على تقدير بان بورك
ويحتمل ان تكون في موضع رفع على تقدير نودي انه قال الزجاج بورك معناه قدس وموضعه خصه
وفي البركة مختصة بالخير ومن هذا قول ابي طالب عبد مناف بن عبد المطلب
بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون وبارك يتعدى بنفسه وبحرف تقول العرب باركك
الله وقوله من في النار اضطرب المتاولون فيه فقال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم اراد
عز وجل نفسه وعبر بعضهم في هذا القول عبارات مردودة شنيعة وقال ابن عباس اراد من حولها
الملائكة وموسى فاما قول الحسن وغيره فانما يخرج على حذف مضاف بمعنى بورك من قدرته وسلطانه
في النار والمعنى في النار على تلك وما حسبنا القول الثاني ان من للنور وهذا على ان يعبر عن النور
بالنار من حيث كان من نور الله ويحتمل ان يكون من للملائكة لان ذلك النور الذي حسبه موسى نارا لم يخل
من الملائكة ومن حولها يكون لموسى او للملائكة المطيفين به وقال ابي وكعب ان بوركت النار كذا
حكى ابو حاتم وحكى ابن جني انه قرا ان بوركت وحكى ابو عمرو الداني انه قرا ومن حولها من الملائكة قال
ولذلك قرا ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسبحان الله رب العالمين يحتمل ان يكون مما قيل في الندا
لموسى ويحتمل ان يكون خطابا لمحمد اعتراضا بين الكلامين والمقصد به على كلا الوجهين تنزيه الله
مما عسى ان يخطر بالبال في معنى الندا من الشجرة وكون قدرته وسلطانه في النار وعودهم عليه اي هو
منزه في جميع هذه الحالات عن التشبيه والتكييف قال الثعلبي واما الاثر كما روي في التوراة جا
الله من سينا واشرق من ساعير واستعلى من فاران المعنى ظهرت اوامره وتجلياته في هذه الجهات
وفاران جبال مكة وباقي الاية اعلام بانه الله تعالى والضمير في انه للامر والشان قال الطبري وينبها
اهل الكوفة المجهولة وانته بصفاته من العزة اي لا خوف معي والحكمة اي لا افعل الا ما يعلى
قوله والق عصاك امر الله بهذه الاوامر تدريبا له في استعمالها وفي الكلام حذف تقديره فالقى العصا
فلما راها تهتز واما لبعض القرا راها والجان الحيات لانها تخفي نفسها اي تسترها وقال

الزيتون

وهو صغار الحيات وعصا موسى صارت حية ثعبانا وهو العظيم فانها شبهت بالجان في
سرعة الاضطراب لان الصغار اسرع حركة من الكبار وعلى كل قول فان الله خلق في العصا حياة وعرضا
اوصافها واعراضها فصارت حية وقرا الحسن والزهري وعمرو بن عبيد جان بالهمز وفي
ابن موسى هول ذلك المنظر ولى فارا قال مجاهد ولم يعقب اي يرجع وقال قتادة ولم يلتفت
وعقب الرجل اذا ولى عن امر ثم صرف بدنه او وجهه اليه كانه انصرف على عقبيه وناداه الله
مونسا ومقويا على الامر يا موسى لا تخف فان لدي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيري
والمعنى فاخذ موسى الحية فرجعت عصا ثم صارت عادة واختلف الناس في الاستثنا الا من ظلم فقال
مقاتل وغيره هو متصل وهو من الانبيا وروى الحسن ان الله قال لموسى اخفتك لقتلك النفس وقال
الحسن كانت الانبيا تذنب فتعاقب ثم تذنب فتعاقب فكيف وقال ابن جريج لا يخيف الله الانبيا
الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى ياخذ منه قال كثير من العلما لم يعر احد من البشر
عن ذنب الا ما روي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام واجمع العلما ان الانبيا هم المعصومون عن الكبائر
وعن الصغائر التي هي رذائل واختلف فيما عدا هذا فعسى ان يشير الحسن وابن جريج الى ما عدا ذلك
وفي الاية على هذا التاويل حذف اقتضى الايجاز والفصاحة ترك نصه تقديره فمن ظلم ثم بدل وقال
الفرا وجماعة الاستثنا منقطع وهو اخبار عن غير الانبيا كانه قال لكن من ظلم من الناس ثم تاب وقال
فرقة الا بمعنى الواو وهذا قول لا وجه له وقرا ابو جعفر بن القعقاع وزيد بن اسلم الا مخففة على
الاستفتاح قوله ثم بدل حسنا يعني عمل صالحا مقترنا بتوبة وهذه الاية تقتضي حتم المغفرة
للتائب واجمع الناس على ذلك في التوبة من الشرك واهل السنة في التائب من المعاصي على انه في المشية
كالمصر لكن يغلب الرجا على التائب والخوف على المصر وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا عم الجميع
تائب ومصر وقالت المعتزلة لمن يشا يعني للتائبين وذلك مردود ومن لفظ الاية لانه يفصل بين الشرك
وغيره كان يذهب فائدته اذ الشرك يغفر للتائب وما دونه كذلك على قولهم فما فائدة التفصيل
في الاية وهذا الخطاب لادم فتامله وروي عن ابي عمرو انه قرا حسنا بفتح الحا والسين وهي قراءة
مجاهد وابن ابي ليلى وقرا الجحدري وعيسى حسنى مثل فعلى ثم امر تعالى موسى بان يدخل يده من جيبه
لانها لم تكن لها كم فيما قال ابن عباس وقال مجاهد كانت مدرعة صوف الى بعض يده والجيب الفتح

مياده

في الثوب لراي الانسان وروي ان يد موسى كانت تخرج تتلالأ كانها قطعة نور ومعنى ادخال
اليد في الجيب ضم الاية الى موسى واظهار تلبسها به لان المعجزات من شروطها ان تكون لها انفصال
بالاتي بها قوله من غير سوء اي برص وعلة وانما هي اية تجي وتذهب قوله في تسع ايات متصل
بقوله الق وادخل وفيه اقتضاب وحذف تقديره نمهد وتيسر لك ذلك في جملة تسع ايات وهي
مع هاتين الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب وفي الاخرين اختلاف
والمعنى تجي بهن الى فرعون وقومه قوله فلما جاءتهم اياتنا الضمير لفرعون وقومه قوله مبصرة
معناه معها الابصار والوضوح وهذا على نحو قولهم نهار صائم وليل قائم ونائم وقرا قتادة وعلي بن الحسين
بفتح الميم والصاد وظاهر قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم حصول الكفر عنادا وهي مسألة
قولين هل يجوز ان يكون الرجل عارفا ولا انه يجحد عنادا ويموت على معرفته وجحوده فهو بذلك في
حكم الكافر المخلد فقالوا وهذا حكم ابليس وحكم حيي بن اخطب واخيه حيث ما روي عنهما واذ
عورض هذا المثال فرض انسان ويجوز ذلك فيه وقالت فرقة لا يصح لوجهين احدهما ان هذا لا يجوز
وقوعه من فاعل والاخر ان المعرفة تقتضي ان تحل في القلب وذلك الايمان وحكم الكفر لا الجحد الا
بان يحل في القلب كفر ولا يصح اجتماع الضدين في محل فالوجه في هذا العارف الجاحد ان
يسلب عند الموافاة تلك المعرفة ويحل بدلها الكفر والذي يظهر عندي في هذه الاية وكل ما جرى
مجراها انها ولاة الكفرة كانوا اذا نظروا في ايات موسى اعطتهم عقولهم انها ليست تحت قدرة
البشر وحصل لهم اليقين انها من عند الله فيغلبهم الحسد في اثناء ذلك ويتمسكون بالظنون في انه سحر وغير
ذلك مما يختلج في الظن بحسب كل اية ويلجون في عماهم فيضطرب ذلك اليقين ويدفعونه بكل حيلة
من التخيل الربوبية وعون وعرد لك حتى يسلب ذلك اليقين او يدوم كذلك مضطربا وحكمه حكم المسلب
في وجوب عذابهم ظلما معناه على غير استحقاق للحجة والعلو في الارض اعظم افة على طالبه قال الله تلك
الدار الاخرة الاية ثم حكى من عاقبة المفسدين قوم فرعون ونسو نفعلهم حين كذبوا موسى وفي هذا
تمثيل لكفار قريش اذ كانوا مفسدين مستعلين وقرا ابو رجا وطلحة والاعمش طلما وعليا وحكى ام
عمرو عنهم وعن ابان بن تغلب انهم كسروا العين من عليا قوله ولقد اتينا داود وهذا ابتدا خبر فيه
غيوب وعبرة لك والبيان مال لعزيز وداود من بني اسرائيل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من

البوة

النبوة بمعنى صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قولهم العلما ورثة الانبياء
وحقيقة الميراث في المال والانبيا لا تورث اموالهم لان النبي عليه السلام قال انا معاشر الانبيا
لا نورث ما تركنا هو صدقة ويحتمل هذا القول ان يريد به ان ذلك من فعل الانبيا وسيرتهم وان كان
فيهم من ورث ماله كزكريا على اشهر الاقوال فيه ورث وهذا كما تقول انا معاشر المسلمين انما شغلنا
العبادة فالمراد ان ذلك فعل الاكثر ومنه ما حكى سيبويه انا معاشر العرب اقرى الناس للضيف قوله
علمنا منطق الطير اخبار بنعمة الله عندهما في ان فهمهما من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها
وهذا كما كان نبينا عليه السلام يسمع اصوات الحجارة بالسلام وسليمن حكى عن البلبل انه قال اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفا اي الخبر من هذا النوع وقال قتادة والشعبي وغيرهما انما كان هذا الامر
في الطير خاصة والنملة طاير اذ قد توجد لها الاجنحة قال الشعبي وكذلك كانت هذه النملة ذات
جناحين وقالت فرقة بل كان في جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جنود سليمن يحتاجه في
التظليل من الشمس وفي البعث في الامور فخص لكثرة مداخلته ولان امر سائر الحيوان نادر وغير متردد
ترداد امر الطير والنمل حيوان فطن قوي شمام يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين لئلا
ينبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقتين وياكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي
سايره عدة قوله واوتينا من كل شي معناه يصلح لنا ونتمناه وليست على العموم ثم ذكر شكر
فضل الله في حال سليمن فقال وحشر لسليمن اي جمع جنوده اختلف الناس في مقدار جند سليمن اختلافا
شديدا لم اذكره لعدم الصحة في ذلك والصحيح ان ملكه كان عظيما ملأ الارض وانقادت له المعمورة كلها
وكان كرسيه يحمل اجناده من الجن والانس وكانت الطير تظله من الشمس ويبعثها في الامور وكان
له في الكرسي الاعظم موضع يخصه يوزعون معناه يرد اولهم الى اخرهم ويكفون قال قتادة فكان لكل
صنف وزعة في رتبهم ومواضعهم من الكرسي ومن الارض اذا مشوا بها قرب دعت كان يسرقه
في الارض ومنه قول الحسن البصري حين ولي قضا البصرة لابد للحاكم من وزعة ومنه قول ابي قحافة
حين وصف له الجارية في يوم الفتح انها ترى سوادا امامه فارس قد تقدم الصف فقال لها
ذاك الوازع ومنه قول النابغة على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب
اي كاف قوله حتى اذا اتوا ظاهرها ان سليمن وجنوده كانوا مشاة في الارض ولعله يتنوع حكم العلم

وازع

ويحتمل انهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح واحست النمل بنزولهم في وادي النمل واما امال ابو عمرو الواو
وادي و الجمع نملوا وبالامالة قرا ابن ابي اسحق وروى المعتمر بن سليمن عن ابيه النمل بضم الميم كالسمر
وروى فالنمل عنه ايضا كسرة وروى عنه ضم النون والميم من النمل قال نوف البكالي كانت تلك النمل
على قدر الذباب وقال وهب كانت صغارا والذي يقال ايضا ان النمل كانت نسبها من ذلك الخلق نسبه
هذا النمل منا فيحتمل ان كان الخلق كله اكل وهذه النملة قالت هذا المعنى الذي لا يصلح له الا هذه العبارة
قالت ولا يهمنه عنها النمل فسمعها سليمن على بعد وجاءت المخاطبة كمن يعقل لانها امرتهم بما يومر به من يعقل
وروى انه كان على ثلاثة اميال فتبسم من قولها والتبسم ضحك الانبيا عليهم السلام في غالب امرهم لا يليق بهم
سواه وكان تبسمه سرورا واختلف بم سر فقال فرقة بنعمة الله في اسماعه وتفهيمه ونحو ذلك وقال
فرقة بثنا النملة عليه وعلى جنوده في ان نفت عنهم تعمد القبيح من الفعل بجعل الحطم وهم لا يشعرون
وقرا شهر بن حوشب مسكنكم على الافراد وفي مصحف ابي مساكنكن وضاحكا نصب على الحال وقرا محمد
بن السميفع ضحكا وهو نصب على المصدر اما بتبسم على مذهب المبرد اذ هو في معنى ضحك واما بتقدير
ضحك على مذهب سيبويه وقرا الجمهور يحطمنكم وقرا ابو عمرو في رواية عبيد بسكون النون خفيفة وقراه
ابن ابي اسحق وقرا الحسن وابو رجا بضم اليا وفتح الحا وتشديد الطا والنون وعنه ايضا بفتح اليا
وكسر الحا والطا وشدها وقرا الاعمش وطلحة يحطمكم مخففة بغير نون وفي مصحف ابي بن كعب يحطمنكم
مخففة النون لا يحطمكم دعا سليمن ربه في ان يعينه ويوزعه لشكر نعمته وهذا هو معنى ايزاع الشكر
وباقي الاية بين قوله وتفقد الطير اختلف الناس في التفقد فقالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه
العناية بامور الملك والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الاية في انه تفقد جميع الطير وقالت فرقة بل
الا ان الشمس دخلت من موضع الهدهد حين غاب فكان ذلك سبب التفقد ليتبين من اين دخلت الشمس وقال
عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الما على كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في
مفازة عدم فيها الما وان الهدهد كان يرى باطن الارض من ظاهرها كانها تشف له فكان يخبر سليمن
بموضع الما ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الارض كما تسلخ شاة قاله ابن عباس
فيما روى عن ابن سلام وغيره وقال ابو مجلز كان الهدهد مهندسا وروي ان نافع بن الازرق
سمع ابن عباس يقول هذا فقال له قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الارض وهو لا يرى الفخ حين يقع

فيه فقال له ابن عباس اذا جا القدر عمي البصر وقال وهب بن منبه كانت الطير تناوب سليمن
كل يوم من كل نوع واحد نوبة معهودة ففقد الهدهد قوله ما لي لا ارى الهدهد مقصد الكلام
ان الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو انه لا يراه فاستفهم على وجه التوقيف عن اللازم وهذا
ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام ثم توعده بالعذاب
روى عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج ان تعذيبه كان بان ينتف ريشه قال ابن جريج ريشه اجمع وقال
يزيد بن رومان جناحاه وروي عن وهب انه ينتف اجمع وينضعه بترو او السلطان الحجة حيث وقع
في القران قاله عكرمة عن ابن عباس وقرا ابن كثير وحده ليأتينني بنونين وفعل سليمن هذا بالهدهد
اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته وقرا جمهور القرا بضم الكاف وقرا عاصم
وحده فمكث بفتحها ومعناه في القرايتين اقام والفتح في الكاف احسن لانها لغة القران في قوله ماكثين
اذ هو من مكث بفتح الكاف ولو كان من مكث بضم الكاف لكان جمعه مكيث والضمير في مكث يحتمل ان
لسليمن او للهدهد وفي قراءة ابن مسعود فتمكث ثم جا فقال وفي قراءة ابي بن كعب فتمكث ثم قال احطت
وقوله غير بعيد كذا في مصاحف الجمهور يريد به في الزمن والمدة وقوله احطت اي علمت علما ما
ليس في علمك واختلف القرا في سبا فقرا جمهور القرا سبا بالصرف وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة
وترك الصرف وقرا الاعمش بالجر بغير تنوين وروى ابن حبيب عن اليزيدي سبا بالف ساكنة وقرا قنبل
عن النبال بهمزة ساكنة فالاولى على انه اسم رجل وعليه قول الشاعر ٥
٥ الواردون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ٥ وقال اخر
٥ من سبا الحاضرين مارب ٥ وهذا على انها قبيلة والثاني على انه اسم بلدة قاله الحسن وقتادة
وكلا القولين قد قيل ولكن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث فروة بن مسيك وغيره
انه اسم رجل ولد عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة وخرج هذا الحديث على الزجاج
خبط عشوا والثالثة على البنا والرابعة والخامسة لتوالي الحركات السبع فسكن تخفيفا للثقل
في توالي الحركات وهذه القراءة لا تنبني على الاولى بل هي اما على الثانية او الثالثة وقرات فرقة سبإ
منونا وقرات فرقة دون تنوين على الاضافة وقرات فرقة سبا بالالف مقصورة وقوله واوتيت من كل
شيء مبالغة اي مما تحتاجه المملكة قال الحسن من كل امر الدنيا ووصف عرشها بالعظم في الهيبة ورتبة

السلطان وروي عن نافع الوقف على عرش عظيم على هذا متعلقا بعده وهذه المرأة بلقيس بنت
شراحيل فيما قال بعضهم وقيل بنت الفرج وقيل كانت امها جنية واكثر بعض الناس في قصصها
مما رأيت اختصاره لعدم صحته واما اللازم من الاية انها امرأة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم
وكانت كافرة من قوم كفار قوله وجدتها الاية كانت هذه الامة امة تعبد الشمس لانهم كانوا زنادقة
فيما يروى وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار وقوله الا يسجدوا الى قوله العظيم ظاهره انه من
قول الهدهد وهو قول ابن زيد وابن اسحق ويعترض بانه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل
ان يكون من قول الله اعتراضا بين الكلامين وهو الثابت مع التأمل وقراءة التشديد في الا تعطي ان
الكلام للهدهد وقراءة التخفيف تمنعه وتقوي الاخر حسب ما يتأمل ان شاء الله وقرأ جمهور القراء
الا يسجدوا فان في موضع نصب على البدل من اعمالهم او في موضع خفض على البدل من السبيل ويكون الكلام
بتقدير لان لا يسجدوا فان متعلقة اما بزين واما بصدهم واللام الداخلة على مفعوله وقرأ ابن عباس
وابو جعفر الزهري وابو عبد الرحمن والحسن والكسائي وحميد الا على جهة الاستفتاح ووقف الكسائي
في هذه القراءة على يا ثم يبتدي اسجدوا واحتج الكسائي لقراءته هذه بانه روي عن النبي عليه السلام انه
موضع سجدة وهذه القراءة يقدر فيها النداء والمنادى محذوف تقديره ان جعلناه اعتراضا
ها ولا يجيء موضع سجدة وان جعلناه من كلام الهدهد يا قوم او يا عقلاء ونحو هذا ومنه
قول الاخر فقال الا يا اسمع اعظك بخطة فقلت سمعنا فانطق واصيبي
وتحتمل قراءة من شدد ان تجعلها بمعنى التحضيض ويقدر هذا النداء بعدها ويجيء في الكلام
اضمار كثير ولكنه متوجه وسقطت الالف كما كتبت في يعيسى ويقوم وقرأ الاعمش هلا
يسجدون وفي حرف عبد الله الا هل تسجدون بالتاء وفي قراءة ابي الا تسجدوا بالتاء ايضا
والخبء الخفي من الامور وهو من خبأت الشيء وخبء السماء مطرها وخبء الارض كنوزها
ونباتها واللفظة بعدها تعم كل خفي من الامور وبه فسر ابن عباس وقرأ جمهور الناس الخبء
بسكون الباء والهمز وقرأ ابي بن كعب الخب بفتح الباء وترك الهمز وقرأ عكرمة الخبا بالف مقصورة وحكى
سيبويه ان بعض العرب يقلب الهمزة اذا كانت في مثل هذا مفتوحة وقبلها ساكن الفا واذا كانت
مضمومة وقبلها ساكن واوا واذا كانت مكسورة قلبها ياء ومثل سيبويه في ذلك بالوثي والوثو

والوثا وكذلك يجيء الخبء في حال النصب وتقول اطلعت على الخبي وراقني الخبو وقرأ جمهور القراء
تخفون وتعلنون بيا الغائب وهذه القراءة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وقرأ الكسائي وعاصم في
رواية حفص تخفون وتعلنون بتاء الخطاب وهذه القراءة تعطي ان الاية من خطاب الله لامة
محمد عليه السلام وفي مصحف ابي بن كعب الا يسجدون لله الذي يخرج الخبء من السموات والارض ويعلم
سركم وما تعلنون وخص العرش بالذكر في قوله رب العرش لانه اعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه
وقبضته ثم ان سليمان اخر امر الهدهد الى ان يتبين له حقيقة من باطله فاستوقفه بالنظر في ذلك وامره بكتاب
فكتب وحمله اياه وامره بالغاية الى القوم والتولي بعد ذلك وقال وهب بن منبه حسن ادب لتنحي
ما يتأدب به يعني وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم وقال ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع اليه
اي القه وارجع قال وقوله وانظر ماذا يرجعون في معنى التقديم على قوله ثم تول واتساق
رتبة الكلام اظهر اي القه ثم تول وفي خلال ذلك فانظر وانما اراد ان يحل الامر الى علمها بما في الكتاب
دون ان يكون للرسول ملازمة ولا الحاح وقرأ نافع فالقه بكسر الهاء وروي عنه نصبها وقرأ ابن كثير وابن عامر
والكسائي باشباع ياء بعد كسرة الهاء وروى عنه ورش بياء بعد الهاء في الوصل وقرأ قوم باشباع واو بعد
الضمة وقرأ اليزيدي عن ابي عمرو وعاصم وحمزة فالقه بسكون الهاء وروي عن وهب بن منبه في قصص
الاية ان الهدهد وصل فالفى دون هذه الملكة حجاب جدرات فعمد الى كوة كانت بلقيس صنعتها لتدخل
منها الشمس عند طلوعها بمعنى عبادتها اياها فدخل منها ورمى الكتاب وهي فيما يروى نائمة فلما
انتبهت وجدته وراعها وظنت انه دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدته فنظرت الى
الكوة تهمما بامر الشمس فرأت الهدهد فعلمت امره فجمعت اهل ملكها وعليه فوقها فخاطبتهم
بما يأتي بعد قوله قالت يا ايها الملأ في هذا الموضع اختصار لما يدل ظاهر القول عليه تقديره فالقى
الكتاب فقرأته وجمعت اهل ملكها والملأ اشراف الناس الذين ينوبون مناب الجميع ووصف الكتاب
بالكريم اما لانه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته اجلالا لسليمان هذا قول ابن زيد واما انها
اشارت الى انه مطبوع عليه بالخاتم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كرم الكتاب ختمه
واما انها ارادت انه بدأ باسم الله تعالى فكرم من اجله كما قال عليه السلام كل كلام لم يبدأ باسم الله فهو
اجذم ثم اخذت تصف لهم ما في الكتاب فجملة اللفظ انه نص الكتاب موجزا بليغا وكذلك كتب الانبيا

قدم به العنوان وهي عادة الناس على وجه الدهر ثم سمى الله ثم امرهم بان لا تعلوا عليه طغيانا
وكفرا وان يأتوه مسلمين وجعل لها قصدت الى اقتضاب معانيه دون تنبيه فاعلمهم انه من سليمن
وان معنى بابه كذا وكذا وقرأ ابي وان بسم الله بفتح الهمزة وتخفيف النون وحذف الهاء وقرأ ابي الى
عليه انه من وانه بفتح الهمزة فيهما وفي قراءة عبد الله وانه من سليمن عباده واو وبسم الله الرحمن الرحيم
استفتاح بارع شريف المعنى معتبر عنه بكل لغة وفي كل شرع وان في قوله وان لا تعلوا يحتمل ان تكون
رفعا على البدل من كتاب او نصبا على معنى بان لا تعلوا او مفسرة بمنزلة اي قاله سيبويه وقرأ
وهب بن منبه تغلوا بالغين معجمة قال ابو الفتح رواها وهب عن ابن عباس وهي قراءة الاشهب العقيلي
ذكرها الثعلبي ثم اخذت في حسن الادب مع رجالها ومشاورتهم في امرها واعلمتهم ان ذلك مطرد
عندها في كل امر يكتنف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من اعلامهم اياها
بالقوة والبأس اي وذلك مبذول لك فقابلي ان شئت ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة
من الجميع وفي قراءة عبد الله ما كنت قاضية من القضاء وذكر مجاهد في عدد اجنادها انها كانت لها
اثنا عشر الف قيل تحت يد كل واحد منهم مائة الف وهذا بعيد وذكر غير نحوه فاختصرته لبعد صحته
ثم اخبرت بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي الكلام خوف على قومها وحيطة لهم
واستعظام لامر سليمن وقالت فرقة ان قوله وكذلك يفعلون هو من قول بلقيس تاكيدا منها
للمعنى الذي ارادته وقال ابن عباس هو من قول الله معرفا لمحمد وامته بذلك ومخبرا به وقوله
واني مرسلة اليهم بهدية روي انها قالت لقومها اني اجرب هذا الرجل بهدية واعطيه فيها نفائس
الاموال واغرب عليه بامور المملكة فان كان ملكا دنيويا ارضاه المال فعملنا معه بحسب ذلك
وان كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في امر الدين فينبغي ان نؤمن به ونتبعه على دينه فبعثت
اليه بهدية عظيمة اكثر بعض الناس في تفصيلها فرايت اختصاره لذلك لعدم صحته واختبرت
علمه فيما روي بان بعثت قدحا فقالت املأه لي ماء ليس من الارض ولا من السماء وبعثت درة فيها
ثقب مختلف وقالت يدخله سلكا من غير ان يثقبها انس ولا جان وبعثت اخرى غير مثقوبة وقالت
يثقب هذه غير الانس والجن فامر سليمن الفرس فعرق الخيل واخذت السلك دودة ونقبت الدرة
ارضة ما ورجع سليمن مع رد الهدية بما في الاية وعبر عن المرسلين بجاء ويقوله ارجع لما اراد به

الرسول الذي يقع على الجمع والافراد والتانيث والتذكير وقرأ ابن مسعود فلما جاؤا سليمن
وقرأ ارجعوا ووعيد سليمن لهم مقرون بدوامهم على الكفر وذكر مجاهد انها بعثت في هديتها
بعدد كثير من العبيد بين غلام وجارية وجعلت زيهم واحدا وجربته في التفريق بينهم وهذا
ليس بحرج في مثل هذا الامر وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو اتمدونني بنونين وبياء في الوصل
وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي بغير ياء وصلا ووقفا وقرأ حمزة بشد النون واثبات الياء
وقرأ عاصم فما آتان بكسر النون دون ياء وقرأت فرقة آتاني بياء ساكنة وقرأ ابو عمرو ونافع بياء
مفتوحة ثم توعدهم بالجنود والغلبة والاخراج اذلة والمعنى اذ لم يسلموا وقرأ عبد الله لا قبل
لهم بهم على جمع ضمير الجنود ولا قبل لهم معناه لا طاقة ولا مقاومة وقوله قال يا ايها
الملأ المنادى جماعة من الانس والجن واختلف المتأولون في غرضه في استدعاء عرشها فقال
قتادة ذكر له بعظم وجوده فاراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويحمي اموالهم والاسلام
على هذا التاويل الدين وهو قول ابن جريج وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند
الله وليغرب عليها ومسلمين في هذا التاويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس وذكره صاحب العبارة
لانه لا استسلامهم في غرض سليمن ويحتمل ان يكون بمعنى الاسلام واما في التاويل الاول فلا بد ان
يكون بمعنى الاسلام وظاهر الايات ان هذه المقالة من سليمن هي بعد مجيء هديتها ورده اياها وبعد
بعث الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المفسرين وحكى الطبري عن ابن عباس انه قال هذه المقالة هي
ابتداء النظر في صدق الهدهد من كذبه لما قال له ولها عرش عظيم قال سليمن ايكم ياتيني بعرشها ثم وقع
ترتيب القصص بتقديم وتاخير والقول الاول اصح وروي ان عرشها كان من فضة وذهب مرصعا
بالياقوت والجوهر وانه كان في جوف سبعة ابيات عليه سبعة اغلاق وقرأ الجمهور عفريت وقرأ
ابو رجا وعيسى الثقفي عفرية وروي عن ابي بكر الصديق وقرأت فرقة عفر بكسر العين وكل
لغات فيه وهو القوي المارد من الشياطين والتاء في عفريت زائدة وقد قالوا تعفرت الرجل
اذا تخلق بخلق الاذاية قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت كوذا وروي عن ابن عباس انه صخر
الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة كانه كوكب في اثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب
وقوله قبل ان تقوم من مقامك قال مجاهد وقتادة وابن مسعود معناه قبل قيامك من مجلس الحكم
وكان يجلس من الصبح الى وقت الظهر في كل يوم وقيل معناه قبل ان تستوي من جلوسك قائما قال الذي عنده علم من
الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال ابن جبير وقتادة معناه قبل ان يصل اليك من يقع عليه طرفك في
ابعد ما ترى وقال مجاهد معناه قبل ان يحتاج الى التغميض وذلك ارتداد قال ع وهذان القولان يقابلان قول
من قال القيام هو من مجلس الحكم

ومن قال ان القيام هو من الجلوس فيقول انه ارتداد الطرف هو ان يطرف اي قبل ان تغمض عينيك
وتفتحها وذلك ان الثاني يعطي الاقصر في المدة ولابد وقوله لقوي امين معناه قوي على حمله
امين على ما فيه ويروى ان بلقيس لما فصلت من بلدها متوجهة الى سليمن تركت العرش تحت اقفال
وثقاف حصين فلما علم سليمن بفصالها اراد ان يغرب عليها بان يجد عرشها عنده ليبين لها ان
ملكه لا يماثل فاستدعى سوقه فدعا الذي عنده علم من التوراة وهو الكتاب المشار اليه باسم الله
الاعظم الذي كانت العادة في ذلك الزمان انه لا يدعو به احد الا اجيب فشقت الارض بذلك العرش
حتى نبع بين يدي سليمن وقيل بل جي به في الهوا قال مجاهد وكان بين سليمن والعرش كما بين الكوفة والحيرة
وحكى الرماني ان العرش حمل من مارب الى الشام في قدر رجع البصر وهي مسيرة شهرين للمجد وقول مجاهد
اشهر وروي ان الجن كانت تخبر سليمن بما قل سيرها فلما قربت قال ايكم ياتيني بعرشها واختلف المفسرون
في الذي عنده علم من الكتاب فجمهور الناس على انه رجل صالح من بني اسرايل اسمه اصف بن برخيا روي انه
صلى ركعتين ثم قال لسليمن يا نبي الله امدد بصرك نحو اليمن فاذا بالعرش فما رد سليمن بصره
الا وهو عنده وقال قتادة اسمه مليخا وقال ابرهيم النخعي هو جبريل عليه السلام وقال ابن لهيعة
هو الخضر عليه السلام وحكى النقاش عن جماعة انهم سمعوا انه ضبة بن اد جد بني ضبة من العرب قالوا
وكان رجلا فاضلا يخدم سليمن كان على قطعة من خيله وهذا قول ضعيف وقالت فرقة بل سليمن عليه
السلام هو المخاطب في هذا التاويل للعفريت لما قال هو انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك كان سليمن
استبطا ذلك فقال له على جهة تحقيره هذا القول واستدل من قال هذا من قوله هذا من فضل ربي
واستدل ايضا ما قفيه بهذا اللفظ اذ في كلي الامرين على سليمن فضل من الله وعلى الاقوال الاول
المخاطبة لسليمن فلفظة اتيك يحتمل ان تكون فعلا مستقبلا او اسم فاعل وفي الكلام حذف تقديره
فدعا باسم الله فجا العرش بقدرة الله فلما راه سليمن مستقرا عنده جعل يشكر نعمة ربه بعبارة
فيها تعليم للناس وهي عرضة للاقتدا بها والاقتباس منها وقال ابن عباس المعنى اشكر على السرير
وسوقه ام اكفر اذا رايت من هو دوني في الدنيا اعلم مني وظهر الظرف من قوله مستقرا وهذا هو
المعتاد ابدا في كل ظرف جاء هنا مظهرا وليس في كتاب الله مثله وباقي الاية بين ثم قال نكروا الراد
سليمن في هذا التنكير تجربة ميزها ونظرها ولئلا يبقى لاعراب عليها وروي ان الجن احست من

سليمن او ظنت به انه ربما تزوج بلقيس فكرهوا ذلك فجعلوها عنده بانها غير عاقلة ولا مميزة
وان رجلها كحافر حمار فجرب عقلها وميزها بتنكير العرش وجرب امر رجلها بالصرح لتكشف عن
ساقيها وقرا ابو حيوة ننظر بضم الرا وتنكير العرش تغييره ووضعه وستر بعضه ونحو هذا وقال
ابن عباس ومجاهد والضحاك تنكيره ان يزيد فيه وينقص ويحتمل هذا ان جعلنا على هذا التاويل
لبيت به وتكون صادقة وقولها كانه هو تجوز فصيح ونحوه قوله تعالى كانه ولي حميم وقال الحسن بن
الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم ولو قالوا اهذا عرشك لقالت نعم وفي الكلام حذف تقديره وقال
سليمن عند ذلك واوتينا العلم من قبلها وهذا منه على جهة تعديد نعم الله وانما قال ذلك لما علمت
وفهمت ذكر هو نعمة الله عليه وعلى ابائه وقوله وصدها الاية يحتمل ان يكون من قول سليمن والصاد
ما كانت تعبد ويحتمل ان يكون من قول الله اخبارا لمحمد عليه السلام والصاد ما كانت تعبد اي عن الايمان
ونحوه قال الرماني عن التفطن للعرش لان المومن يتفطن والكافر خبيث ويكون الصاد سليمن قاله الطبري
او يكون الصاد الله عز وجل ولما كان صدها بمعنى منعها تعدى على هذا التاويل بغير حرف جر والابانه
لا يتعدى الا بعن وقرا جمهور الناس انها كانت بكسر الهمزة وقرا سعيد بن جبير وابن ابي عبلة بفتحها وهو
على تقدير لانها او على البدل من ما قال محمد بن كعب القرظي وغيره ولما وصلت بلقيس امر سليمن الجن
فصنعت له صرحا وهو السطح في الصحن غير مسقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملي ما وبث فيه السمك
والضفادع وطبق بالزجاج الابيض الشفاف وبهذا جا الصرح اسما لما ذكرنا عالي وكل هذا من التصريح
وهو الاعلان وجعل لسليمن في وسطه كرسي فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلي الى نبي الله فرات اللجة
وفزعت وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الما ورات ما هالها ولم يكن لها بد من
امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فراى سليمن ساقيها سليمة مما قالت الجن غير انها كانت كثيرة الشعر
فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمن انه صرح ممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد والشجرة
المردا التي لا ورق عليها والممرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد وعند ذلك استسلمت بلقيس
واذعنت واسلمت واقرت على نفسها بالظلم فيروى ان سليمن تزوجها عند ذلك واسكنها الشام
قاله الضحاك وقال سعيد بن عبد العزيز في كتاب النقاش تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكان ياتيها على
الريح كل شهر مرة فولدت له غلاما سماه داود مات في حياته وفي بعض الطرق وقيل حرف يبنى على الغيم وانما

صرحه

اذا سكنت العين فلا خلاف انه جرف جا المعنى وقرا ابن كثير وحده في رواية ابي الاخريط
عن ساقيها بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة وكذلك يضعف الهمز في قراءة قنبل يوم يكشف عن
ساق واما همز السوق وعلى سؤقه فلعله مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة حكى ابو علي ان
ابا حية النميري كان يهمز كل واو قبلها ضمة وينشد لحب المؤقدان الي موسى ه
ووجهها ان الضمة تقدر على انها على الواو ولا حائل بينهما وقرا ابن مسعود عن رجليها وروي
ان سليمن لما اراد زوال شعر ساقيها اشفق من حمل الموسى عليها وروي انها قالت ما مسني
حديد قط فامر الجن بالتلطف في زواله فصنعوا النورة ولم تكن قبل وهذه الامور التي
فعلها سليمن من سوق العرش وعمل الصرح وغير ذلك قصد بها معا ابانها والاعراب عليها
كما سلك قبلها سبيل ملوك الدنيا في ذلك باذا ارسلت هي الجواري والغلمان واقترحت في امر
الفتح والدرش قوله ولقد ارسلنا الى ثمود هذه الاية على جهة التمثيل لقريش وان في قوله
ان اعبدوا الله يحتمل ان تكون في موضع نصب تقديره بان وفريقان يريد بهما من امن بصالح ومن كفر
به واختصامهم تنازعهم وجدالهم وقد ذكر في الاعراف ثم ان صالحا تلطف بقومه وترفق بهم في
الخطاب فوقفهم على خطاياهم بقوله لم تستعجلون العذاب قبل الرحمة او المعصية لله قبل الطاعة
وبين ان اقتراحهم وطلبهم يقتضي هلاكهم ثم حضهم على ما هو ايسر من ذلك واعود بالخير وهو الايمان
وطلب المغفرة ورجا الرحمة فخاطبوه عند ذلك بقول مستشاف معناه تشاءمنا بك قال
المفسرون وكانوا في قحط فجعلوه لذات صالح واصل الطيرة ما تعارفه اهل الجهل من زجر الطير
وتشبهت العرب ما عن طار حتى سموا ما حصل للانسان في قرعة او غيرها طايرا ومنه قوله
الزمناه طايره وخاطبهم صالح ببيان الحق اي طايركم على زعمكم وتسميتكم وهو حظكم في الحقيقة
من تعذيب او اعفا هو عند الله وبقضائه وقدره واما انتم قوم تختبرون وهذا احد وجوه
الفتنة وقد يحتمل ان يريد بل انتم قوم تولعون بشهواتكم وهذا معنى قد تعورف واستعمال
لفظ الفتنة فيه ومنه قولك فتن فلان بفلانة وشاهد ذلك كثير قوله وكان في المدينة
تسعة رهط ذكر الله في هذه الاية تسعة رجال كانوا من اوجه القوم وامناهم واغناهم وكانوا
اهل كفر ومعاصي جمة جملة امرهم انهم يفسدون ولا يصلحون قال عطا ابن ابي رباح يعني

بلغ

انهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم وهذا نحو الاثر قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الارض
والمدينة قريتهم والرهط من الاسما الجمع القليل العشرة فما دونها تسعة رهط تقول تسعة
رجال وهاولا المذكورون كانوا اصحاب قدار عاقر الناقة وقد تقدم ما ذكر في اسمايهم قالوا
تقاسموا حكى الطبري انه يجوز ان يكون فعلا ماضيا في موضع الحال كانه قال متقاسمين او حلفا
بالله ويؤيد هذا التاويل ان في قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا ويسقط
قالوا ويحتمل تاويل الجمهور ان يكون تقاسموا فعل امر اشار بعضهم على بعض بان يحلفوا على هذا
الفعل بصالح فتقاسموا هو قولهم على هذا التاويل وهذه الالفاظ الدالة على حلف او قسم تجاوب
بالكلام واذا لم يعتقد قسم ظاهر فاللام في لنبيتنه جواب ذلك وقرا جمهور القرا لنبيتنه بالنون
ثم لنقولن بنون ولام مفتوحة وقرا الاعمش وطلحة وابن وثاب لتبيتنه بتاء ثم لتقولن
بتا ولام مضمومة وفي قراءة عبد الله ثم لتقسمن ما شهدنا وقرا حمزة والكسائي بالتا فيهما وضم اللام
وهي قراءة الحسن وحميد فهذا ذكر الله فيه المعنى الذي ارادوه ولا يجب لفظهم وروي في قصص
هذه الاية ان هولاء التسعة لما كان في صدر الثلثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجي
العذاب ابتغى هولاء التسعة فتحالفوا على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين
قالوا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا عجلناه قبلنا
وشفينا نفوسنا قال الراوي فجاوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره فروي انها انطبقت عليهم
الغار فهلكوا فيه حتى هلك قومهم وكل فريق لا يعلم بما جرى على الاخر وكانوا قد بنوا على حجر
الارض قرابة صالح الذين تمكن ان يغضبوا له فيما كان من امرهم والمكر هو الخديعة وسمى الله عقوبتهم
باسم ذنبهم وهذا مهيع والمنة لله يستهزئ بهم وغير ذلك وقرا الجمهور مهلك بضم الميم وفتح اللام وقرا
عاصم في رواية ابي بكر بفتحهما وروي عنه فتح الميم وكسر اللام والعاقبة حال مقتضيها البداة
ويؤدي اليها بواجب والمعنى بالاهل كل من امن معه قاله الحسن وقرا جمهور القرا انا دمرناهم
بكسر الالف وفتحها عاصم وحمزة والكسائي وهي قراءة الحسن وابن ابي اسحق فكان على قراءة الكسر الالف
تامة وان قدرت ناقصة فخبرها محذوف او يكون الخبر كيف مقدما لان صدر الكلام لها ولا تعمل على
هذا الشرط كيف لكن يعمل في موضع الجملة كلها وهي على قراءة فتح الالف ناقصة وخبرها انا ويجوز ان

لنبين

تكون كان تامة وانا بدل من العاقبة وقع تفسير السوال بكيف عن جملة قوله كان عاقبة امرهم
انا دمرناهم وليس بمحض سؤال ولكنه حقيقة ان يسال العقوبة والتدمير الهلاك ويحتمل ان يكون كان
ناقصة على قراءة الفتح وهو اظهر وقرا ابي بن كعب ان دمرناهم وهذه قراءة الفتح في انا قوله فتلك بيوتهم
خاوية اخبر اوها واقوا وها وخواؤها بما اخبر الله في كل الشرايع انه مما يعاقب به الظلمة وفي
التوراة ابن ادم لا تظلم يخرب بيتك وخاوية نصب على الحال التي فيها الفائدة ومعناها خالية
قفرا قال الزجاج وقرئ خاوية بالرفع وذلك على الابتداء المضمر هي خاوية او على الخبر عن تلك
وبيوتهم بدل او على خبر ثان وهذه البيوت المشار اليها هي التي قال فيها النبي عليه السلام عام تبوك
لا تدخلوا عليها الا ان تكونوا باكين الحديث ثم قال تعالى ولوطا تقديره واذكر لوطا
والفاحشة اتيان الرجال في الادبار وتبصرون معناه بعقولكم انها خطية وفاحشة وقالت فرقة
تبصرون بابصاركم لانهم كانوا ينكشفون بفعل ذلك ولا يتستر بعضهم من بعض واختلف القراء في قوله
اينكم وقد تقدم وقرا الجمهور جواب نصبا وقراها بالرفع الحسن وابن ابي اسحق ورب ابن جني قراه
النصب في الحسن وقرها في الشاذ واخبر الله عن قوم لوط انهم تركوا في جوابهم طريق الحجة واخذوا
بالمغالبة فتامروا باخراجه واخراج من معه ثم ذموهم بمدحه وهي التطهر من هذه الدناءة التي
اصطفوا عليها قال قتادة عابوهم والله بغير عيب وقرا عاصم في رواية ابي بكر قدرناها بتخفيف
الدال وقرا الجمهور الباقون قدرناها بتشديدها فالاولى بمعنى جعلنا وحصلناها والثانية بمعنى قدرنا
عليها من الغبر والبقا والغابرون الباقون في العذاب وغبر بمعنى بقي وقد يجي احيانا في بعض
كلام العرب يوهم انه بمعنى مضى واذا تؤمل توجه حمله على معنى البقا والمطر الذي امطر عليهم
هي حجارة السجيل اهلكت جميعهم وهذه الاية اصل لمن جعل من الفقها الرجم في اللوطية وبها ناس
لان الله عذبهم على كفرهم وارسل عليهم الحجارة لمعصيتهم ولم يتبع هذا القول في تغيير الاحصان بل قال
مالك وجزة يرجم في اللوطية احصنا او لم يحصنا واما ورد عن النبي عليه السلام اقتلوا الفاعل
والمفعول به فذهب من ذهب الى رجمهما بهذه الاية قوله قل الحمد لله قرا ابن السماك قل الحمد
لله بفتح اللام وكذلك في اخر السورة وهذا ابتدا تقرير وتنبيه لقريش وهو بعد يعم كل مكلف من الناس
جميعا وافتتح ذلك القول بتحميده وتمجيده وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوة وهذا اللفظ

عام

عام بجميعهم من ولد ادم وهذا كان صدر خطبة للتقرير المذكور قال ابن عباس العباد المسلم عليهم
هم الصحابة واصطفاهم لنبيه وفي هذا الاختصاص توبيخ للمعاصرين من الكفار وقال الفرا الامر بالقول
في هذه الاية للوط وهذه عجمة من الفرا ووقف قريشا والعرب على جهة التوبيخ على موضع التباين بين الله
وبين الاوثان والانصاب وقرا الجمهور يشركون بالياء من تحت وحكى المهدوي عن ابي عمرو وعاصم بالتا
من تحت وفي هذا التفضيل بلفظة خير اقوال احدها ان التفضيل وقع بحسب معتقد المشركين
اذ كانت تعتقد ان في الهتها خيرا بوجه ما وقالت فرقة في الكلام حذف مضاف في موضعين التقدير
اتوحيد الله خير ام عبادة ما تشركون فما في هذا التاويل بمعنى الذي وقالت فرقة ما مصدرية وحذف
المضاف انما هو اولا التقدير اتوحيد الله خير ام شرككم وقيل خير هنا ليست افعل انما هي فعل
كما تقول الصلاة خير دون تفضيل وقد تقدم فصل التفضيل وقد تقدم ان هذه الالفاظ التي تعم معاني
كثيرة كخير وشر واحب ونحو ذلك قد يقع التفضيل بها بين اشيا متباينة لان المتباينات قد ربما
اشترك فيها ولو بوجه ضعيف بعيد وايضا فهذا التقدير والجادل بغير حجة على قسمين احدهما
فاسد لبرى وقوعه وقد استوعبنا هذا فيما مضى وقالت فرقة تقدير هذه الاية الله خير ام ما
تشركون وهذا النوع من الحذف بعيد باوله وقرا الحسن وعاصم يشركون بالياء من تحت وقرا اهل
المدينة ومكة والكوفة بالتاء من فوق وقوله ام خلق وما بعدها من التوقيفات توبيخ لهم وتقرير
على ما لا مندوحة لهم عن الاقرار به وقرا الجمهور امن بشد الميم وهي ام دخلت على من وقرا
الاعمش امن بفتح الميم مسهلة ويحمل على هذه القراءة ان يكون امن استفهاما فتكون في معنى
ام من المتقدمة ويحتمل ان تكون الالف للاستفهام ومن ابتدا وتقدير الخبر يكفر نعمه ويشرك
به ونحو هذا من المعنى والحدائق مجتمع الشجر من الاعناب والنخيل وغير ذلك قال قوم لا يقال
حديقة الا لما عليه جدار قد احدق به وقال قوم يقال ذلك كان جدار او لم يكن لان البياض
محدق بالاشجار والبهجة الجمال والنضرة وقرا ابن ابي عبلة ذوات بهجة بجمع ذات وفتح
الهاء من بهجة اخبر على جهة التوقيف انه ما كان في البشر اي ما كان يتهيا لهم ولا يقع تحت
قدرتهم ان ينبتوا شجرها لان ذلك باخراج شي من العدم الى الوجود وقد تقدم ترتيب القراءة
في الهمزتين من قوله االه وابدا وانكم لاتي بوسف قال ابو حاتم القراءة باجتماع الهمزتين محدث لا

توجد في كلام العرب ولا قرا بها قارئ علمناه ويعدلون يجوز ان يراد به يعدلون عن طريق الحق
اي يجورون في فعلهم ويجوز ان يراد يعدلون بالله غيره اي يجعلون لله عديلا ومثيلا وخلالها
معناه بينها واثناها والرواسي الجبال رسا الشي يرسو اذا ثبت وتاصل والبحران الما العذب
والملح والاجاج بجملته والحاجز ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على دقتها في بعض
المواضع ولطافتها التي لولا قدرة الله لغلب الملح العذب وكلما مضى من القول في تاويل قوله
مرج البحرين الآيه فهو مترتب هنا فتامله وباقي الآيه بين قوله امن يجيب المضطر الآيه وقفهم على
المعاني التي بينت لكل عاقل انه لا مدخل لصنم ولا وثن فيها وهي عبر ونعم فالحجة قائمة بها من الوجهين
يجيب المضطر معناه بشرط ان شا على المعتقد في الاجابه لكن المضطر لا يجيبه الا الله متى اجيب والسو
عام في كل ضر يكشفه الله عن عباده وقرا الحسن ويجعلكم باليا على صيغة المستقبل وروى عنه
نون وكل قرن خليف للذي قبله وقرا جمهور القرا تذكرون بالتا على المخاطبة وقرا ابو عمرو وحده
والحسن والاعمش باليا على الغيبة والظلمات جمع ظلمة وهو عام لظلمة الليل التي هي الحقيقة
في اللغة ولظلمة الجهل والضلال والخوف التي هي مجازات وتشبيهات وهذا كقول الشاعر
تجلت غيابات الرجال ۵ وكما تقول اظلم الامر وانار وقد تقدم خلاف القراء في قوله
نشرا وقرا الحسن وغيره يشركون باليا على الغيبة وقرا الجمهور بالتا على المخاطبة ۵ وبدأ الخلق
اختراعه وايجاده والخلق المخلوق من جميع الاشيا لكن المقصود بنو ادم من حيث ذكر الاعاده والاعاده
البعث من القبور ويحتمل ان يريد بالخلق مصدر خلق يخلق ويكون يبدأ ويعيد استعارة للاتقان
والاحسان كما تقول فلان يبدأ ويعيد في امر كذا اي يتقنه والرزق من السما ومن الارض النبات
هذا هو مشهور ما يحسه البشر ولله من لطف خفي ثم امر نبيه ان يوقفهم على ان الغيب مما انفرد
الله بعلمه ولذلك سمي غيبا لغيبته عن المخلوقين ويروى ان هذه الآيه من قوله قل لا يعلم الى
انزلت هذه الآيه لان الكفار سالوا والحوا عن وقت القيمه التي يعدهم محمد فنزلت هذه الآيه
بما فيها التسليم لله وترك التحديد واعلم عز وجل وجمة انه لا يعلم وقت الساعة سواه فجا
بلفظ يعم الساعة وغيرها واخبر عن البشر انهم لا يشعرون ايان يبعثون وبهذه الآيه احتجت عائشة
على قولها ومن زعم ان محمدا يعلم الغيب فقد اعظم الفرية على الله والمكتوبة في قوله الا الله بدل

بدل من من ۵ وقرا الجمهور ايان بفتح الهمزة وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بكسرها وهما لغتان وقرا الجمهور بل ادرك
اصله تدارك ادغمت التا في الدال بعد ان ابدلت ثم احتيج الى الف الوصل وقرا ابي بن كعب تدارك وقرا
عاصم في رواية ابي بكر بل ادرك على وزن افتعل وهي بمعنى تفاعل وقرا سليمن بن يسار وعطا بن يسار
بل ادرك بفتح اللام ولا همز وتشديد الدال دون الف وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر واهل
مكة بل ادرك وقرا مجاهد ام ادرك بل ادرك وفي مصحف ابي بن كعب ام تدارك علمهم وقرا ابن عباس بلى
ادرك وقرا ابن عباس ايضا بلى اادرك بهمزة ومدة على جهة الاستفهام وقرا ابن محيصن بل اادرك عده
على الاستفهام ونسبها ابو عمرو الداني الى ابن عباس والحسن فاما قراة الاستفهام فهي على معنى الهزؤ
بالكفرة والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم اي اعلموا امر الاخرة وادركها علمهم واما القرات
المتقدمة فتحتمل معنيين احدهما بل ادرك علمهم اي تناهى كما تقول هذا ما ادرك علمي من كذا وكذا
فمعناه قد تتابع وتناهى علمهم بالاخرة الى ان لا يعرفوا لها مقدارا فيومنوا وانما لهم ظنون كاذبة او الى
ان لا يعرفوا لها وقتا وكذلك ادرك وتدارك وسواها وان حملت هذه القراة على معنى التوقيف
والاستفهام ساغ وجا انكارا لان ادركوا شيا نافعا والمعنى الثاني بل ادرك بمعنى يدرك اي انهم في
الاخرة يدرك علمهم وقت القيمة ويرون العذاب والحقايق التي كذبوا بها واما في الدنيا فلا وهذا
تاويل ابن عباس ونحا اليه الزجاج فقوله في الاخرة على هذا التاويل ظرف وعلى التاويل الاول في بمعنى
البا والعلم قد يتعدى بحرف الجر تقول علي بزيد كذا ومنه قول الشاعر ۵
وعلي باسدام المياه البيت ۵ ثم وصفهم بانهم في شك منها ثم اردف بصفة هي ابلغ من الشك وهي العمى
بالجملة عن امر الاخرة وعمو اصله عميون فعلون كحذرون وغيره ۵ وقال الذين كفروا الآيه استبعدوا
ان تبعث الاجساد والرمم من القبور واستحالوا ذلك فذكر ذلك عنهم على جهة الرد عليهم وقرا ابو عمرو
وابن كثير اينا ائنا بهمز غير ان ابا عمرو يمد وابن كثير لا يمد وقرا عاصم وحمزة بهمزتين فيهما وقرا نافع
اذا مكسورة الالف اينا ممدودة الالف وقرا الباقون اينا ممدودة اينا بكسر الالف وتنوين ثم ذكروا
ان هذه المقالة مما قد وعدها قبل وردوا على جميع الانبيا وجعلوها من الاساطير وعظم الله حال من
عذب من الامم فامر نبيه ان يامرهم بالسير والتطلع على مجوى الامم والحذر ان يصيبهم ما اصاب اولئك وهذا
التحذير تقتضيه المعنى ثم سلى نبيه عليه السلام عنهم وهون عليه ما كان عنده من الحرص عليهم والاهتمام

بامرهم وقرا ابن كثير في ضيق بكسر الضاد وروي عن نافع وقرا الباقون بفتحها وهما مصدران بمعنى واحد
وقال ابو علي ان يكون ضيق ولين مستعملين من ضيّق فالاول ذلك يقتضي ان تقام الصفة مقام الموصوف
ثم ذكر استعجال قريش بامر الساعة والعذاب بقولهم متى هذا الوعد على معنى التعجيز للواعد به فامر
نبيه ان يتوعدهم بانه عسى ان يأذن الله في ان يقرب منهم بعض ما استعجلوه من الساعة او العذاب
وردف معناه قرب وازف قاله ابن عباس وغيره ولكنها عبارة عما يجي بعد الشي قريبا منه لكونه بمعنى هذه
الافعال الواقعة تعدى بحرف ولا فائدة ان يتجاوز بنفسه وقرا الجمهور بكسر الدال ومنها الاعرج وقرا
الجمهور تكن من اكن وقرا ابن محيصن وابن السميقع تكن من كن وهما بمعنى قوله وما من غائبة
الهاء في غائبة للمبالغة اي ما من شي في غاية الغيب الا في كتاب عند الله وفي مكنون علمه ثم نبه على ان
هذا القران يخبر بني اسرائيل باكثر الاشيا التي كان بينهم الخلاف في صفتها فجاءت في القران على وجهها
ثم وصفه بانه هدى ورحمة للمومنين كما انه عمى على الكافرين المحتوم عليهم ومعنى ذلك انهم لكفرهم استنت
مع قيام الحجة ووضوح الطريق فكثر عماهم بهذه الجهة ثم اخبر ان ذلك كله بقضا من الله وحكم قضاه فيهم
وبينهم ثم امره بالتوكل والثقة به وبانه على الحق اي انك الجدير بالنصرة والظهور ثم سلاه عنهم وشبههم
بالموتى من حيث الفائدة في القول لهولاء ولا معدومة فشبههم مرة بالموتى ومرة بالصم قالت العلما
الميت من الاحيا هو الذي يلقي الله بكفره واحتجت عائشة في انكارها ان النبي عليه السلام اسمع موتى
بدر بهذه الاية ونظرت هي في الامر بقياس عقلي ووقفت مع هذه الاية وقد صح ان النبي قال ما انتم
باسمع منهم فيشبه ان قصة بدر خرق عادة لمحمد في ان الله رد اليهم ادراكا سمعوا به مقالته ولولا
اخبار رسول الله عنهم لحملنا نداءه اياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفا صدور المسلمين
منهم وقد عورضت هذه الاية بالسلام على القبور وبما روي في ذلك ان الارواح تكون على شفير القبور
في اوقات قالوا فلولا ان يسمع الميت لم يسلم عليه وهذا كله غير معارض للاية لان السلام على القبور انما
هو عبادة وعند الله الثواب عليها وهو تذكير للنفس بحالة الموت وبحالة الموتى في حياتهم وان جوزنا
مع هذا ان الارواح في وقت على القبور فان سمع فليس الروح بميت وانما المراد بقوله انك لا تسمع
الموتى الاشخاص الموجودة مفارقة لارواحها بقول خرق العادة لمحمد في اهل القليب وذلك معنى قوله
عليه السلام في الموتى اذا دخل عليهم الملكان انهم يسمعون خفق النعال وقرا ابن كثير يسمع بالياء مفتوحة

الصم رفعا ومثله في الروم الباقون بتا مضموم الصم نصبا وقرا الجمهور بهادي العمي بالاضافة وقرا
يحيى بن الحرث وابو حيوة بهاد منونا العمي نصبا وقرا حمزة وحده تهدي بفعل مستقبل العمي نصبا وهي
قراة طلحة وابن وثاب وابن يعمر وفي مصحف عبد الله وما ان تهدي العمي ومعنى قوله واذا وقع القول
عليهم اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله في ذلك اي حتمه عليهم وقضاوه وهذا بمنزلة قوله
حقت كلمة العذاب فمعنى الاية واذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين سابق علمه لهم من العذاب اخرج لهم دابة
من الارض وروي ان ذلك حين ينقطع الخير ولا يومر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب كما اوحى الله
الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم وفي الحديث الدابة وطلوع الشمس
من المغرب من اول الاشراط ولم يعين الاولى وكذلك الدجال فظاهر الاحاديث والروايات ان الشمس اخرها
لان التوبة تنقطع معها وتعطي الحال ان الايمان لا يبقى الا في افراد وعليهم تهب الريح التي لا تبقى ايمانا وحينئذ
ينفخ في الصور وعن عمرو ان الدابة تسم قوما بالايمان وان عيسى بن مريم يعدل بعد قتل الدجال ويومن الناس
به وهذه الدابة روي انها تخرج من جبل الصفا بمكة قاله عبد الله بن عمرو ونحوه قاله عبد الله بن عمرو وقال لو شئت
ان اضع قدمي على موضع خروجها فعلت وروي عن قتادة انها تخرج من تهامة وروي انها تخرج من مسجد الكوفة
من حيث فار تنور نوح وروي بعضهم عن حذيفة بن اليمان انها تخرج ثلاث خرجات وروي انها دابة
مزغبة شعرا وروي عن ابن عمر انها على خلقة الادميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وروي انها خلقت
من كل حيوان وذكر الثعلبي نحوه عن ابي الزبير وروي انها دابة مبثوث نوعها في الارض فهي تخرج في كل بلد وفي كل
قوم فقوله على هذا التاويل دابة انما هو اسم جنس وحكى النقاش عن ابن عباس انها الثعبان المشرف على
جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين ارادت قريش بنا الكعبة وقرا جمهور الناس تكلمهم من الكلام وفي
مصحف ابي تنبيهم ومرها علامة بنبيهم قال قتادة وفي بعض القراة تحدثهم وقرا ابو زرعة وعمرو بن جرير
تكلمهم بفتح التاء وكسر اللام خفيفة من الكلم وهو الجرح قال ابو الفتح وهي قراة ابن عباس وابن جبير ومجاهد
والجحدري وقال ابن عباس كلا والله تفعل تكلمهم وتكلمهم وروي في هذا انها تمر على الناس فتسم الكافر في
جبهته وتربده وتشتمه وربما خطمته وتمسح على وجه المومن فتبيضه ويعرف بعد ذلك الايمان والكفر
من اثرها وقرا الجمهور ان الناس مكسورة وفي قراة الكوفيين مفتوحة وبها قرا عبد الله وروي عنه تكلمهم
بان وعلى هذه القراة تكون باقي الاية من كلام الدابة وروي ذلك عن ابن عباس ويحتمل ان تكون من كلام الله قوله

ويوم نحشر المعنى واذكر يوم وهذا تذكير بيوم القيمة والحشر الجمع ومن كل امة يريد من كل قرن من
الناس متقدم لان كل عصر لم يخل من كفرة بالله من لدن تفرق بني ادم والفوج الجماعة الكبيرة من الناس
والمعنى من حاله انه مكذب باياتنا ويوزعون معناه يكفون في السوق اي يحبس اولهم على اخرهم
قاله قتادة وغيره ومنه وازع الجيش ومنه قول عبد الشارق بن عبد العزى ؛ ه
فجاوا عارضا بردا وجينا كمثل السيل نركب وازعينا ه ثم اخبر تعالى عن توقيفه
الكفرة يوم القيمة وسوالهم على جهة التوبيخ اكذبتم الاية ام ماذا كنتم تعملون على معنى استيفاء
الحجج اي ان كان لكم علم او حجة فهاتوها وقرا ابو حيوة اماذا بتخفيف الميم ثم اخبر عن وقوع
القول عليهم اي نفوذ العذاب وحتم القضا وانهم لا ينطقون بحجة لانها ليست لهم وهذا في
موطن من مواطن القيامة وفي فرق من الناس لان القران يقتضي انهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن
ثم ذكر تعالى الاية في الليل وكونه وقت سكون واندعاع لجميع الحيوان والمهم في ذلك بنو ادم وكون
النهار مبصرا اي ذا ابصار وهذا كما تقول ليل نايم ونهار صايم والمعنى ينام فيه ويصام فكذا هذا
معناه يبصر فيه فهو لذلك ذو ابصار ويجوز بان قيل مبصرا فهو على النسب كعيشة راضيه
والايات في ذلك هي للمومنين والكافرين هي اية في نفسها لجميعهم لكن من حيث الانتفاع بها والنظر
النافع انما هو للمومنين فلذلك خصوا بالذكر ثم ذكر يوم النفخ في الصور وهو القرن في قول جمهور الامه
وهو مقتضى الاحاديث وقال مجاهد هو كهيئة البوق وقالت فرقة الصور جمع صورة كتمرة وتمر وجمرة
وجمر والاول اشهر وفي الاحاديث المتداولة ان اسرافيل هو صاحب الصور وانه قد جثا على ركبته الواحدة
واقام الاخرى واقام حدقة والنجم الغرب بشط متى يوذن له في النفخ وهذه النفخة المذكورة هنا هي
نفخة الفزع وروى ابو هريرة ان الملك له في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع الحياة الدنيا وليس
بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة انما هما نفختان كانهم جعلوا الفزع
والصعق في نفخة واحدة واستدلوا بقوله ثم نفخ فيه اخرى الاية وقالوا اخرى لا يقال الا في الثانية والقول
الاول اوضح واخرى يقال في الثالثة ومنه قول ربيعة بن مكدم ؛ ه
ولقد شفعتهما باخر ثالث ه وقال تعالى ومناة الثالثة الاخرى واما قول الشاعر
جعلت لها عودين من نشم واخر من ثمامة ه فهو محتمل ان يريد به ثانيا او ثالثا فلا حجة فيه

وله

وقوله ففزع وهو امر لم يقع بعد اشعار بصحة وقوعه وهذا معنى وضع الماضي موضع المستقبل
وقوله الا من شا الله استثنا فيمن قضى الله من ملايكته وانبيايه وشهدا عبيده ان لا ينالهم فزع النفخ
في الصور قال ابو هريرة هي في الشهدا وذكر الرماني انه قول النبي عليه السلام وقال مقاتل هي في
جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت واذا كان الفزع الاكبر لا ينالهم فهم حريون ان لا ينالهم هذا
ع هذا على ان هذا في وقت ترقب وذلك في وقت امر اذ هو اطباق جهنم على اهلها وقرا الجمهور اتوه
على وزن فاعلوه وقرا حمزة وحفص عن عاصم اتوه على صيغة الفعل الماضي وهي قراة ابن مسعود واهل
الكوفه وقرا قتادة اتاه على الافراد اتباعا للفظ كل والى هذه القراة اشار الزجاج ولم يذكرها والداخر
المتذلل الخاضع قال ابن عباس وابن زيد هو الصاغر وقرا الحسن دخرين بغير الف وتظاهرت الروايات
بان الاستثنا في هذه الاية انما اريد به الشهدا لانهم احيا عند ربهم يرزقون وهم اهل الفزع لانهم بشر لكن خصوا
بالامن في ذلك اليوم قوله وترى الجبال الاية هذا وصف حال يوم القيمة عقب النفخ في الصور والرؤية
هي بالعين وهذه الحال للجبال هي في اول الامر تسير وتموج والله امره بنسفها وبعثها خلال ذلك فتصير
كالعهن ثم حتى تصير في اخر الامر هبا منبثا والجمود التضام والتلزز في الجوهر قال ابن جامدة قايمة ونظيره
قول الشاعر ه بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ه وصنع
الله مصدر معروف والعامل فعل مضمر من لفظه وقيل هو نصب على الاغرا بمعنى انظروا صنع الله
والاتقان الاحسان في المعمولات وان تكون حسانا وثيقة القوة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
يفعلون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب والحسنة الايمان وقال ابن عباس والنخعي وقتادة هي قول
لا اله الا الله وروي عن علي بن الحسين عليهما السلام كنت في بعض خلواتي فرفعت صوتي بلا اله الا الله فسمعت
قايلا يقول انها الكلمة التي قال الله فيها من جا بالحسنة فله خير منها وقوله خير منها يحتمل ان يكون للتفضيل
ويكون في قوله منها حذف مضاف تقديره خير من قدرها او استحقاقها بمعنى ان الله تفضل عليه فوق ما تستحق
حسنته قال ابن زيد يعطي بالواحدة عشرا والداعي الى هذا التقدير ان الحسنة لا يتصور بينها وبين الثواب
تفضيل ويحتمل ان يكون خير ليس للتفضيل بل اسم للثواب والنعمة ويكون قوله منها لابتدا الغاية اي هذا
الخير الذي يكون له هو من حسنته وبسببها وهذا قول الحسن وابن جريج وقال عكرمة ليس شي خيرا من لا اله الا
الله وانما له الخير منها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر من فزع بالاضافة ثم اختلفوا في فتح الميم وكسرها

من يوم يبعثون فقرأ أكثرهم بفتح الميم على بنا الظرف الى غير متمكن وقرا اسمعيل بن جعفر عن نافع بجر الميم
الميم على اعمال الاضافة وذلك ان الظروف اذا اضيفت الى غير متمكن جاز بناوها واعمال الاضافة فيها
ومن ذلك قول الشاعره على حين عاتبت المشيب على الصبى وقلت الما اصح والشيب وازع
فانه يروى على حين بفتح النون وعلى حين بكسرها وقرا عاصم وحمزة والكسائي من فزع بالتنوين وترك الاضافة
ولا يجوز مع هذه القراة الا فتح الميم والسيئة التي في هذه الاية هي الكفر والمعاصي فيمن حتم عليه من اهل
السنه بدخول النار ه وكبت معناه جعلت يلي النار وجاهها كان من حيث خلقها في الدنيا تعطى
ارتفاعها واذكت الوجوه فسائر البدن داخل في النار اذا الوجه موضع الشرف والحواس قوله هل
تجزون بمعنى يقال لهم ذلك وهذا على جهة التوبيخ قوله انما امرت والبلدة المشار اليها مكة وقرا
الجمهور الذي حرمها وقرا ابن عباس وابن مسعود التي حرمها فاضاف في هذه الاية التحريم الى الله من حيث ذلك
بقضايه وسابق علمه واضافه النبي الى ابرهيم في قوله ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة من حيث
كان ظهور ذلك بدعايه ورغبته وتبليغه لامته فليس بين الاية والحديث تعارض وفي قوله حرمها
تعديد نعمة في رفع الله عن بلدهم الغارات والفتن الشايعة في جميع بلاد العرب قوله وله كل
شي معناه بالملك والعبودية وقرا الجمهور وان اتلوا عطفا على ان اكون وقرا ابن مسعود انل على تعل
الامر اي قيل لي اتل القران واتل معناه تابع بقراتك بين اياته اسرد وتلاوة القران سبب الاهتدا
الى كل خير وقوله فمن اهتدى معناه من يكسب الهدى والايمان ونظر نظرة تنجيه فلنفسه سعيه
فنسبة الهدي والضلال الى البشر في هذه الاية انما هي بالتكسب والحرص والحال التي عليها مع الثواب
والعقاب والكل ايضا من الله بالاختراع وقوله سيريكم اياته توعد بعذاب الدنيا كبدر والفتح ونحوه
وبعذاب الاخرة وقرا الجمهور عما يعملون بالياء وقرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم تعملون بالتاء على
مخاطبتهم تفسير سورة القصص هي مكية الا قوله ان الذي فرض عليك الاية نزلت
بالجحفة في وقت هجرة النبي عليه السلام الى المدينة قاله ابن سلام وغيره وقال مقاتل فيها من المدني
الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين قوله طسم تقدم في الحروف ما اغنى عن الاعادة
ونحوه
ثم ان هذه الحروف من اسما الله فقال ان الطا من طول الله والسين من السلام والميم من المنعم او الرحيم
الذي
وقوله تلك يتعذر موضعها بحسب الاقوال في الحروف فمن قال جعلها مثالا لحروف المعجم جاب الاشارة

بتلك

بتلك اليها ومن قطعها قال تلك في موضع هذه وشاع هذا من حيث لم تكن حاضرة عنده بل
هي اقوال تقضي بعضها شيا فشيا فساغ ان يقال في الاشارة اليها تلك والاصل ان تلك اشارة
لما غاب وهذه لما حضر وقد يتداخل متى كان في الغيبة حصول وثقة به تقوم مقام الحضور ومتى
كان في الحضور بعد ما يقوم مقام الغيبة فمن ذلك وما تلك بيمينك لما كان موسى لا يرى به فهو
وعصاه في منزلة غيب ومن النقيض قول المولف لكتاب وغيره هذا كتاب وما جرى هذا المجرى
فتتبعه فهو كثير فيشبه في اياتنا هذه ان يكون متمكنة من حيث الايات كلها وقت هذه المخاطبه
لم تكن عتيدة ونتلوا معناه نقص ونتابع القصص وخص بقوله لقوم يومنون من حيث هم المنتفعون
بذلك دون غيرهم فخصوا تشريفا وعلا في الارض من علو الطغيان والتغلب وقوله في الارض
يريد ارض مصر وموضع ملكه ومتى جاءت الارض هكذا عامة فانما يريد بها الارض التي تشبه قصة
القول المسوق لان الاشيا التي تعم الارض كلها قليلة والاكثر ما ذكرناه والشيع الفرق وكان هذا
الفعل من فرعون بان جعل القبط ملوكا مستخدمين وجعل بني اسرايل عبيدا مستخدمين وهم كانوا
الطايفه المستضعفة ه ويذبح مضاعف للمبالغة والعبارة عن تكرار الفعل وقال قتادة كان
هذا الفعل من فرعون بانه قال له كهنته وعلماوه ان غلاما من بني اسرايل يفسد ملكك وقال
السدي راى في ذلك رويا فاخذ بني اسرايل يذبح الاطفال سنين ثم راى انه يقطع نسلهم فعاد يذبح
عاما ويستحيي عاما فولد هرون في عام الاستحيا وولد موسى في عام الذبح وقرا الجمهور يذبح على
التكثير وقرا ابو حيوة وابن محيصن بفتح اليا والبا وسكون الذال قال ابن منبه بلغني انه ذبح في هذه
المحاولة من الاطفال تسعين الفا وقال النقاش جميع ما قتل سبعة عشر الفا طمع بجملة ان يرد القدر
واين هذا المنزع من قوله عليه السلام لعمر ان يكنه فلن تقدر عليه يعني ابن صياد وباقي الاية بين قوله
ونريد ان نمن المعنى يستضعف فرعون ونحن نريد ان ننعم ونعظم المنة على اولئك المستضعفين والايمه
ولاة الامر قاله قتادة ه ونجعلهم الوارثين يريد ارض مصر والشام وقرا الاعمش ولنمكن بلام وقرا
الجمهور ونري بالنون وكسر الرا وفتح اليا فرعون وهامان وجنودهما نصبا وقرا حمزة والكسائي وابن
مسعود ويرى بيا مفتوحة وفتح الرا وسكون اليا على الفعل الماضي مسند الى فرعون ومن بعده
ويقع فرعون وقومه وجنده بما خافوه وحذروه من جهة بني اسرايل وظهورهم وهامان هو وزير فرعون

والكبر وحاله تذكر لمحله من الكفر وساهيه في قومه وله في هذا الموضع صغار ولعنه لا شرف وهذا
الوحي الحام موسى قالت فرقه كان قولا في منامها وقال قتادة كان الهاما وقالت فرقة كان بملك تمثل
لها واجمع الكل على انها لم تكن نبيه وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك للاقرع والابرص في الحديث
المشهور وغير ذلك مما روي من تكليم الملايكة للناس من غير نبوة وجملة امر ام موسى انها علمت ان هذا
الذي وقع في نفسها هو من عند الله ووعد منه يقتضي ذلك قوله فرددناه الى امه الى قوله وعد
الله حق وهذا معنى قوله لتكون من المومنين اي بالوعد وقال السدي وغيره امرت ان ترضعه
عقب الولادة وتصنع به ما في الاية لان الخوف كان عقب الولادة وقال ابن جريج امرت برضاعه
اربعة اشهر في بستان فاذا خافت ان يصيح لان لبنها لا يكفيه صنعت به هذا والاول اظهر الا ان الاخر
تعضده امران احدهما قوله فاذا خفت عليه واذا ظرف لما يستقبل من الزمان والاخر انه لم يقبل
المراضع والطفل اثر ولادته لا يفعل ذلك اللهم الا ان تكون هذه اية بان الله حرمها عليه وجعله يأباها
بخلاف ساير الاطفال وقرا عمر بن عبد الواحد ان ارضعيه بكسر النون وذلك على حذف الهمزة عطا
لا تحقيقا وفي التخفيف القياس فتح النون قاله ابن جني ونسب المهدوي هذه القراة الى عمر بن عبد العزيز
واليم جمهور الما ومعظمه والمراد نيل مصر وروي في قصص هذه الاية ان ام موسى واسمها يوحانه
لحذته ولفته في ثيابه وجعلت له تابوتا صغيرا وسدته عليه بقفل وعلقت مفتاحه عليه واسلمته
ثقة بالله وانتظارا لوعده فلما غاب عنها عاودها بثها واسفت عليه واقنطها الشيطان وكادت
تقول وجعلت الاخت تقصه اي تطلب اثره قوله فالتقطه ال فرعون الالتقاط اللقا عن
قصد وروية ومنه قول الشاعر ◦ ومنهل وردته التقاطا لم الق اذ وردته فراطا
الا الحمام الورق والغطاطا فهن يلغطن به الغاطا ◦ ومنه اللقطه وال فرعون اهله
وجملته ويروي ان اسيه امراة فرعون رات التابوت يعوم في اليم فامرت بسوقه وفتحه فرات فيه
صبيا صغيرا فرحمته واحبته وقال السدي ان جواريها كان يخرجن للعمل على النيل وهنه يدخل الما
منها الى القصر حتى يسكن في المرافق والمنافع فبيناهن يغسلن في ذلك الموضع اذ جا التابوت فحملنه
الى مولاتهن وقال ابن اسحق راه فرعون يعوم فامر بسوقه واسيه جالسة معه فكان ما تقدم قوله
ليكون هي لام العاقبة لان القصد بالالتقاط لم يكن لان يكون عدوا وقرا الجمهور حزنا بفتح الحا والزاي وقرا

حمزة والكسائي وابن وثاب وطلحة والاعمش بضم الحا وسكون الزاي والخاطي متعمد الخطا والمخطي الذي لا
يتعمد واختلف المتاولون في الوقت الذي قالت فيه امراة فرعون قرة عين لي ولك فقالت فرقة كان ذلك
عند التقاط التابوت لما اشعرت فرعون به سبق الى وهمه انه من بني اسرايل وان ذلك قصد به ليتخلص من
الذبح فقال علي بالذباحين فقالت امراته ما ذكر فقال فرعون اما لي فلا قال النبي عليه السلام لو قال
فرعون نعم لامن بموسى ولكان قرة عين له وقال السدي بل ربته حتى درج فراى فرعون فيه شهامة
وظنه من بني اسرايل واخذه في يده فمد موسى يده فنتف لحية فرعون فهم حينيذ بذبحه فخاطبته بهذا
وجربته له في الجمرة والياقوتة فاحترق لسانه وعلق العقدة قوله لا يشعرون اي بانه الذي يفسد
الملك على يديه قاله قتادة وغيره وقرا ابن مسعود لا تقتلوه قرة عين لي ولك قدم واخر قوله واصبح
عبارة عن دوام الحال واستقرارها وهو كظل ومنه قول ابي شعيب للعباس يوم الفتح لقد اصبح
ملك ابن اخيك اليوم عظيما يريد استقرت حاله عظيما وقرا الجمهور فارغا من الفراغ واختلف في معنى
ذلك فقال ابن عباس فارغا من كل شي الا من ذكر موسى وقال مالك هو ذهاب العقل نحو قوله وافيدتهم
هوا وقالت فرقة فارغا من الصبر وقال ابن زيد فارغا من وعد الله ووحيه اليها تناسته بالهم وفتر
اثره في نفسها وقال لها ابليس فررت به من قتل لك فيه اجر وقتلته بيدك قال ابو عبيدة فارغا من
الحزن اذ لم يغرق وقرا ابو فضالة بن عبد الله ويقال ابن عبيد والحسن فزعا من الفزع بالفا والزاي وقرا
ابن عباس بالقاف والرا من القارعة وهو الهم العظيم وقرا بعض الصحابة بالفا المكسورة والرا الساكنة
والغين المنقوطة ومعناه ذاهبا هدرا تالفا من الهم والحزن ومنه قول طليحة الاسدي
في حبال ابنه ◦ فان تك قتلى قد اصيبت نفوسهم فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال ◦ اي هدرا
بالفا لا يتبع وقرا الخليل بن احمد بضم الفا والرا قوله ان كادت لتبدي به اي لتظهره وروي ان رسول
الله صلى الله وسلم قال كادت ام موسى ان تقول وابناه وتخرج صايحة على وجهها والربط على القلب تانيسه
وتقويته ومنه قولهم للشجاع والصابر في المصايب رابط الجاش قال قتادة وربط على قلبها بالايمان
قوله لتكون من المومنين اي المصدقين بوعد الله وما اوحى اليها به ثم قالت لاخت موسى طمعا وطلبا
قصيه والقص طلب الاثر ويروي ان اخته خرجت في سكك المدينة تبحث مختفية بذلك فرات اخاه عند قوم
من حاشية امراة فرعون يطلبون به امراة ترضعه حين لم يقبل المراضع ◦ وعن جنب اي ناحية من غير

فصد ولا قرب تشعر لهاية يقال فيه جنب وجناب وجنابة ومن جناب قول الشاعر
٥ لقد ذكرتني عن جناب حمامة بعسفان أهلي والفؤاد حزين ٥ ومن الجنابة قول الأعشى
٥ أتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث عن عطائي جامدا ٥ وكان معنى هذه الألفاظ عن مكان
جنب أو عن بعد ومعنى الآية عن بعد لم تدن منه فيشعر بها وأنشد أبو عبيدة لعلقمة بن عبدة
٥ فلا تحرمني نائلا عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب ٥ وقرأ قتادة عن جنب بفتح الجيم وسكون
النون وهي قراءة الحسن والأعرج وقرأ النعمان بن سالم عن جانب وقرأ الجمهور جنب قوله لا
يشعرون معناه أنها أخته وأنها من جملة لطائف الله له ولا يحسب الوعد الذي أوحي إليها
ويقال بصرت بالشيء وأبصرته بمعنى واحد متقارب قال المهدوي وقيل عن جنب معناه عن شوق
وهي لغة جذام يقولون جنبت إلى لقائك أي اشتقت إليه وقال قتادة معنى جنب أنها تنظر
إليه كأنها لا تريده قوله وحرمنا عليه المراضع يقتضي أن الله خصه من الامتناع من ثدي النساء
ما يشبه به عن عزوف الأطفال وهو تحريم تبغيض والمراضع جمع مرضع واستعمل دونها النائب لأنه
لا يلتبس بالرجال قوله من قبل معناه من أول مرة وقيل مبني والضمير في فقالت لأخت موسى وال
السقائر اسمها مريم ويكفلونه معناه يحسنون تربيته وإرضاعه وعلم القوم أن تكلمتهم من بني
إسرائيل وكان لذلك عرف بني إسرائيل أن يكونوا مراضع وخدمة وقوله وهم له ناصحون يحتمل أن
الضمير يعود على الطفل ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته
وقال ابن جريج أن القوم تأولوا أنها أعادت الضمير على الطفل فقالوا لها إنك قد عرفتيه فأخبرينا
من هو فقالت ما أردت إلا أنهم ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التأويل ويحتمل أن يعود
الضمير على الطفل ولكن يكون النصح له بسبب الملك وحرصا على التزلف إليه والتقرب منه
وفي الكلام ها هنا حذف يقتضيه الظاهر وهو أنها حملتهم إلى أم موسى فكلموها في ذلك فدرت
عليه وقبلها وحظيت بذلك وأحسن إليها وإلى أهل بيتها وقرت عينها أي سرت بذلك
وروي أن فرعون قال لها ما سبب قبول هذا الطفل لك فقالت إني طيبة الريح طيبة اللبن
ودمع الفرح بارد وعين المهموم حري وسخنة من هذا المعنى قيل قرة العين وسخنت دعوا
يعقوب يقربون مضمومة وكسر القاف ووعد الله المشار إليه هو الذي أوحاه إليها أولا

إما بملك أو منامه وأما بإلهام حسب اختلاف المفسرين في ذلك والقول بالإلهام يضعف
أن يقال فيه وعد وقوله الزهم يريد القبط والأشد جمع شدة كنعمة وأنعم هذا قول سيبويه
وقال غيره الأشد جمع شد وقالت فرقة الأشد اسم مفرد وليس بجمع واختلف في قدر الأشد من
السنين فقالت بلوغ الحلم وهي نحو خمس عشرة سنة وقالت فرقة ثمانية عشر عاما وقال السدي
عشرون وقالت فرقة خمسة وعشرون وقالت فرقة ثلاثون وقال مجاهد وابن عباس ثلاثة وثلاثون
وقالت فرقة عظيمة ستة وثلاثون وقال مجاهد وقتادة الاستواء أربعون سنة قال مكي وقيل
ستون سنة وهذا ضعيف والأشد شدة البدن واستحكام أسره وقوته واستوى معناه تكامل
عقله وحزمه وذلك عند الجمهور مع الأربعين والحكم الحكمة والعلم المعرفة بشرع إبراهيم عليه السلم
وهي مقدمة للنبوة واختلف المتأولون في قوله ودخل المدينة الآية فقال السدي كان موسى في
وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى أنه كان يدعى موسى ابن فرعون
قالوا فركب فرعون يوما وسار إلى مدينة من مدائن مصر يقال لها منف ثم علم موسى بركوب فرعون
فركب بعده ولحق بتلك المدينة في وقت القائلة وهو حين الغفلة قاله ابن عباس وقال أيضا
هو بين العشاء والعتمة وقال ابن إسحاق بل المدينة مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد بدت
منه مجاهرة لفرعون وقومه بما يكرهون فكان مختفيا بنفسه متخوفا منهم فدخل متنكرا متغفلا
للناس وقال ابن زيد بل كان فرعون قد نابذه وأخرجه من المدينة وغاب عنها سنين فنسي أمره
وجاء والناس على غفلة بنسيانهم لأمره وبعد عهدهم به وقيل وكان يوم عيد وقوله
يقتتلان في موضع الحال أي مقتتلين وشيعته بنو إسرائيل وعدوه القبط وذكر الأخفش عن سعيد
واستعانه بعين مهملة ونون وهو تصحيف لا قراءة وذكر الثعلبي أن الذي من شيعته هو السامري
وأن الآخر طباخ فرعون وقوله هذا وهذا حكاية حال قد كانت حاضرة ولذلك عبر عن بهذا عن
غائب ماض والوكز الضرب باليد مجموعا كالعقد ثلاثة وسبعين وقرأ ابن مسعود فلكزه والمعنى
إلا أن اللكز في اللحى والوكز على القلب وحكى الثعلبي أن في مصحف ابن مسعود فنكزه بالنون والمعنى
واحد وقضى عليه معناه قتله مجهزا وكان موسى لم يرد قتل القبطي لكن وافقت وكزته الأجل
وكان عنها فندم ورأى أن ذلك من نزغ الشيطان في يده وأن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة

كان من الشيطان ومن همزه ونص هو على ذلك وبهذا الوجه جعله من عمله وكان فضل قوة موسى
ربما افرط في وقت غضبه باكثر مما يقصد قوله قال رب الآية ثم ان موسى حملته الندامة
على الخضوع لربه والاستغفار من ذنب باءيه عنده تعالى فغفر الله له خطاه ذلك قال قتادة
عرف والله المخرج فاستغفر ثم لم يزل يعدد ذلك على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى انه في القيامة
يقول وقتلت نفسا لم اومر بقتلها حسب ما صح في حديث الشفاعة قال معاهدا لربه رب
بما انعمت علي وبسبب عفوك واحسانك فانا ملتزم ان لا اكون معينا للمجرمين هذا احسن ما تؤول
وقال الطبري انه قسم أقسم بنعمة الله ويضعفه صورة جواب القسم فانه غير متمكن في قوله فلن
اكون والقسم لا يتلقى بلن والفاء تمنع ان تنزل منزلة لا او ما فتأمله واحتج الطبري ان في قراءة
عبد الله فلا تجعلني ظهيرا واحتج اهل العلم والفضل بهذه الآية في خدمة اهل الجور ومعونتهم في
شيء من امرهم وراوا انها تتناول ذلك نص عليه عطاء بن ابي رباح وغيره قوله فاصبح عبارة عن
كونه دائم الخوف في كل اوقاته كما تقول اصبح زيد عالما ويترقب معناه عليه رقبة من فعله في
القتل فهو يتحسس قال ابن عباس فمر وهو بحالة الترقب واذا ذلك الاسرائيلي الذي قاتل القبطي
بالامس يقاتل اخر من القبط وكان قتل القبطي قد خفي على الناس واكتتم فلما راى الاسرائيلي موسى
استصرخه بمعنى صاح به مستغيثا ومنه قول الشاعر
كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب
فلما راى موسى قتاله لآخر
اعظم ذلك وقال له معاتبا ومؤنبا انك لغوي مبين وكانت ارادة موسى مع ذلك ان ينصر الاسرائيلي
فلما دنا منهما وجس الاسرائيلي به فزع منه وظن انه ربما ضربه وفزع من قوته التي راى بالامس
فناداه بالفضيحة وشهر امر المقتول قوله فلما ان اراد ان يبطش قرا جمهور الناس يبطش بكسر
الطاء وقرا الحسن وابو جعفر بضمها وهما لغتان فقال الاسرائيلي لموسى معنى الآية بلسانه
وفي منه شهرا امر القتيل والجبارون شانهم قتل الناس بغير حق فلذلك جعله الاسرائيلي كذلك
ونفى عنه الاصلاح قال الشعبي من قتل رجلين فهو جبار ولما اشتهر ان موسى قتل القتيل وكان
قول الاسرائيلي يغلب على النفوس تصديقه على موسى مع ما كان لموسى من المقدمات اتى راي فرعون
وملائه على قتل موسى وذبحه وغلب على نفس فرعون انه المشار اليه بفساد المملكة فانفذ فيه من

يطلبه من جنده ويأتي به للقتل فخرج على الطريق الاعظم واخذ رجل يقال له مؤمن آل فرعون
ويقال انه غيره في ثنيات الطريق قصدا الى موضع موسى فبلغه قبلهم وقال له ان الملأ الآية
ويسعى معناه يسرع في مشيه قاله الزجاج وغيره وهو دون الجري وقال ابن جريج معناه يعجل
وليس بالشد وهذه نزعة مالك رحمه الله في سعي الجمعة والاول عندي اظهر في هذه الآية ويأتمرون
وزنه يفتعلون باي كانوا بمعنى يتشاورون ومنه ازدوج بمعنى تزاوج وذهب ابن قتيبة الى
انه بمعنى يامر بعضهم بعضا وقال لو كان ذلك لكان يتامرون وذهب غيره ان يفتعل على معنى
يتفاعل وفي القران وأتمروا بينكم بمعروف وقد قال النمر بن تولب
ارى الناس قد احدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يؤتمر
وانشد الطبري
ما تأتمر فينا فامرك ... في يمينك او شمالك
ومنه قول ربيعة بن جشم
احار بن كعب كاني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر
فخرج موسى وافلت القوم
فلم يجده احد منهم وخرج بحكم فزعه ومبادرته الى الطريق المؤدية الى مدين وهي مدينة قوم شعيب
عليه السلام وكان موسى لا يعرف تلك الطريق ولم يصحب احدا فركب مجهلها واثقا بالله ومتوكلا
عليه قال السدي ومقاتل فروي ان الله بعث جبريل وقيل ملكا غيره فسدده الى طريق مدين
واعطاه عصا يقال هي كانت عصاه ويروى ان عصاه انما اخذها لرعيه الغنم في مدين وهو الاصح
والكثير بين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قاله ابن جبير والناس وكان ملك مدين لغير فرعون
وحكى الطبري عن ابن جريج او ابن ابي نجيح شك الطبري انه قال ان الذي اراد ان يبطش هو الاسرائيلي
فنهاه موسى عن ذلك بعد ان قال له انك لغوي مبين ففزع الاسرائيلي عند ذلك من موسى وخاطبه
بالفضيحة وكان موسى من الندامة والتوبة في حيز لا يتصور معه ان يريد البطش بهذا الفرعوني
الآخر وروى ابن جريج ان اسم الرجل الساعي من اقصى المدينة سمعون وقال ابن اسحاق سمعان
والمثبت في هذا ونحوه بعيد قوله ولما توجه تلقاء مدين الآية لما خرج فارا بنفسه منفردا
خائفا لا شيء معه راى حاله وعدم معرفته بالطريق وخلوه من زاد وغيره فاسند الى الله وقال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وهذه الاقوال منه تقتضي انه كان عارفا بالله عالما بالحكمة والعلم
الذي اتاه الله وتوجه رده وجهه اليها وتلقاء معناه الى ناحية اي الى الجهة التي يلتقي فيها الشيء المذكور

سوا السبيل معناه وسطه وقويمه وفي هذا الوقت بعث الله الملك المسدد حسب ما ذكرناه
قبل وقال مجاهد اراد بسوا السبيل طريق مدين وقال الحسن اراد سبيل الهدى وهذا ابرع
ونظيره قول الصديق هذا الذي يهديني السبيل الحديث فمشى عليه السلام حتى بلغ مدين و ورد الما
ومعناه بلغه لانه دخل فيه ولفظة الورود قد تكون بمعنى الدخول في المورود وقد تكون بمعنى
الاطلال عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود موسى هذا الما كان بالوصول اليه وهذه الوجوه
في اللفظ تتناول في قوله وان منكم الا واردها ومدين لا تنصرف لانها بلدة معروفة والامة الجمع الكثير
ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التي كان جا منها فوصل الى المراتين
قبل وصوله الى الامة وهكذا هما من دونهم بالاضافة اليه وتذودان معناه تمنعان وتحبسان ومنه
قوله عليه السلام فليذادن رجال عن حوضي الحديث وشاهد الشعر في ذلك كثير وفي بعض المصاحف
امراتين حابستين تذودان واختلف في المذود فقال ابن عباس تذودان غنمهما عن الما خوفا من
السقاة الاقويا وقال قتادة تذودان الناس عن غنمهما فلما راى موسى انتزاح المراتين قال ما
خطبكما اي ما امركما وشانكما وكان استعمال السوال بالخطب انما هو في مصاب او مضطهد ومن يشفق
عليه او ياتي بمنكر من الامر فكانه بالجملة في شر فاخبرتاه بخبرهما وان اباهما شيخ كبير فالمعنى لا يستطيع
لضعفه ان يباشر امر غنمه وانهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الاقويا وان عادتهما
التاني حتى يصدر الناس عن الما ويخلى وحينئذ تردان وقالت فرقة كانت الابار مكشوفة وكان
زحم الناس يمنعهما فلما اراد موسى ان يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على الما حتى سقى فعن هذا
الغلب الذي كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت فرقة بل كانت ابارهم على افواهها حجارة
كبار وكان ورود المراتين تتبع ما في صهاريج الشرب من الفضلات التي تبقى للسقاة وان موسى عمد
الى بير كانت مغطاة والناس يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه الا سبعة قال ابن زيد وقال
ابن جريج عشرة وقال ابن عباس ثلثون وقال الزجاج اربعون فرفعه وسقى للمراتين فعن رفع الصخرة
وصفته بالقوة وقيل ان بيرهم كانت واحدة وانه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة اذ كانت عادة
المراتين شرب الفضلات وقرا الجمهور نسقي بفتح النون وقرا بضمها طلحة وقرا ابو عمرو وابن عامر
يصدر بفتح اليا وضم الدال وهي قراة الحسن وابي جعفر وقتادة وقرا الباقون بضم اليا وكسر الدال على

حذف المفعول تقديره مواشيهم وحذف المفعول كثير في القران والكلام وهي قراة الاعرج وطلحة والاعمش
وابن ابي اسحق وعيسى والزعاجي وتولى موسى الى ظل سمرة قاله ابن مسعود وتعرض لسوال ما
يطعمه بقوله رب اني الاية ولم يصرح بسوال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله قال
ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل البقل وضعف حتى لصق بطنه بظهره ورئيت خضرة
البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق يومئذ على الله وروي انه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدميه وفي هذا
معتبر وحاكم بهوان الدنيا على الله قوله جاته احداهما في هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر قدره
ابن اسحق فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطا في السقي فحدثتاه بما كان من الرجل الذي
سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل الصغرى ان تدعوه له فجاءت على ما في هذه الاية ويروى ان اسم احداهما
ليا والاخرى شرفا وروي ان اسم زوجة موسى منهما صفورة وقيل اسمها صوريا وقال وهب زوجه
الكبرى وروي عن النبي عليه السلام انه زوجه الصغرى ذكره الثعلبي ومكي من طريق ابي ذر وقال
النقاش كانتا توامتين وولدت الاولى قبل الاخرى بنصف نهار وقوله تمشي حال من احداهما
وقوله على استحيا اي خفرة قد سترت وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب وقال عمرو بن ميمون
لم تكن سلفعا من النسا خراجة ولاجة واختلف الناس في الرجل الداعي لموسى من هو فقال الجمهور
هو شعيب وهما ابنتاه وقال الحسن هو ابن اخي شعيب واسمه ثروان وقال ابو عبيدة يثرون وقيل
هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب وقيل ان المراتين انما كان موسلهما عمهما وهو كان صاحب الغنم
وهو المزوج لكن عبر عن العم بالاب في جميع الامر اذ هو بمثابته وروي ان موسى لما جاءت الرسالة
اجاب فقام يتبعها الى ابيها فهبت ريح ضمت قميصها فوصف عجيزتها فتحرج موسى من النظر اليها فقال
ارجعي خلفي وارشديني الى الطريق ففهمت عنه فذلك سبب وصفها له بالامانة قاله ابن عباس فوصل
موسى الى داعيه فقص عليه امره من اوله الى اخره فانسه بقوله لا تخف نجوت من القوم الظالمين
وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون فلما فرغ كلامهما قالت الابنة التي ذهبت عنه يا ابت استاجره
الاية فلما وصفته بالقوة والامانة قال لها ابوها ومن اين عرفت هذا فقالت اما قوته ففي رفع
الصخرة واما امانته ففي تحرجه من النظر الي في وقت هبوب الريح قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم
فقال له عند ذلك الاب اني اريد ان انكحك الاية قال ابن عباس فزوجه التي دعته وما جرى معناه يثبت

وقال مكي في هذه الآية خصائص في النكاح منها أنه لم يعين الزوجة ولا حد أول الأمد وجعل المهر
إجارة ودخل ولم ينقد شيئا أما التعيين فيشبه أنه كان في ثاني حال المراوضة وإنما عرض الأمر مجملا
وعين بعد ذلك وأما ذكر أول المدة فليس في الآية ما يقتضي إسقاطه بل هو مسكوت عنه فإما رسماه
وإلا فهو من وقت العقد وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآيات وهو أمر قد قرره شرعنا وجرى
به في حديث الذي لم يكن عنده إلا شيء من القرآن وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك خاص وبعضهم إلى أنه
منسوخ ولم يجوز مالك النكاح بالإجارة وجوزه ابن حبيب وغيره إذا كانت الأجرة تصل إلى الزوجة
قال ومن لفظ شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح أنكحه إياها أكثر من أنكحها إياه وهو معرض
وجعل شعيب الثمانية الأعوام شرطا ووكل العامين إلى المروءة قوله قال ذلك بيني وبينك فلما فرغ
كلامه قرره موسى وكرر معناه على جهة التوثق في أن الشرط إنما وقع في ثماني حجج وأيما هو استفهام
ونصبه بقضيت وما صلة للتأكيد وقرأ الحسن أيما بسكون الياء وقرأ ابن مسعود الأجلين ما قضيت
وقرأ الجمهور فلا عدوان بضم العين وقرأ أبو حيوة بكسر العين والمعنى لا تبعة علي من قول ولا فعل
والوكيل الشاهد القائم بالأمور قال ابن زيد ولما كمل هذا النكاح بينهما أمره شعيب أن يسير
إلى بيت فيه عصي وفيه هذه العصا فروي أن العصا وثبت إلى موسى فأخذها وكانت عصا آدم
وكانت من عير الريحان فروي أن شعيبا أمره بردها ففعل وذهب ليأخذ غيرها فوثبت إليه وفعل
ذلك ثانية وثالثة فلما رأى شعيب ذلك علم أنه ترشيح للنبوة فتركها له وقيل أعارها له لأنه أمر موسى
بتركها فأبى موسى فقال له شعيب عد إليها جميعا فمن طاوعته هي له فعدا إليها شعيب بيده فثقلت
ومد موسى فخفت ووثبت فعلما أن هذا من الترشيح وقال عكرمة إن عصا موسى إنما دفعها إليه
جبريل ليلا عند توجهه إلى مدين قوله فلما قضى موسى الأجل قال سعيد بن جبير سألني رجل من
النصارى أي الأجلين قضى موسى فقلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب أعني ابن عباس فقدمت
عليه فسألته فقال قضى أكملهما وأوفاهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفى فعدت فأعلمت
النصراني فقال صدق هذا والله العالم وروي عن ابن عباس أن النبي عليه السلام سأل في ذلك جبريل فأخبره
أنه قضى عشر سنين وحكى الطبري عن مجاهد أنه قضى عشرا وعشرا بعدها وهذا ضعيف وفي قصص هذه
الآية أن موسى لما قضى الأجل أراد أن يسير بأهله إلى مصر بلده وقومه وقد كان لا محالة أحس بالترشيح

عين

للنبوة فسار وكان رجلا غيورا لا يصحب الرفاق فلما جاء في بعض طريقه في ليلة مظلمة مبردة قوه
قال النقاش كانت ليلة جمعة فقدموا النار وأصلد الزند وضلوا الطريق واشتد عليهم الخصر فبينا
هو كذلك إذ رأى نارا وكان ذلك من نور الله قد التبس بشجرة قال وهب كانت عليقا وقال قتادة
عوسجا وقيل عرورا وقيل سمرة قاله ابن مسعود وآنس معناه أحس والإحساس هاهنا بالبصر
هذه اللفظة قوله فإن آنستم منهم رشدا ومنها قول حسان
انظر خليلي بباب جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد وكان هذا كله في جانب الطور وهو
جبل معروف بالشام والطور كل جبل وخصصه قوم بأنه الذي لا ينبت فلما رأى موسى النار سر وقال
لأهله امكثوا إني رأيت نارا لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق أين هو وجذوة وهي القطعة من النار في
قطعة عود كثيرة لا لهب لها إنما هي جمرة ومن ذلك قول الشاعر
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وأحسب أن الجذوة أصول الشجر
وأهل البوادي أبدا يوقدونها فتلك هي الجذوة حقيقة ومنه قول السلمي يصف الصلي
حمى حب هذا النار حب خليلي وحب الغواني فهو دون الحباحب
وبدلت بعد المسك والبان شقوة دخان الجذا في رأس أشمط شاحب وقرأ الجمهور جذوة بكسر الجيم
وقرأ حمزة والأعمش بضمها وقرأ عاصم بفتحها وهي لغات والصلي حر النار ويصطلون منه أبدلت
التاء طاء فلما أتى موسى ذلك الضوء الذي رآه وهو في تلك الليلة ابن أربعين سنة نبئ عليه السلام فروي أنه كان
يمشي إلى ذلك النور وكان يبعد منه لمشيه الشجرة وهي خضراء غضة حتى نودي والشاطئ والشط
صفة الوادي والأيمن يحتمل أن يكون من اليمن صفة للوادي وللشاطئ ويحتمل أن يكون
المعادل لليسار فذلك لا يوصف به الشاطئ إلا بالإضافة إلى موسى في استقباله مهبط
الوادي أو بعكس ذلك وكل ذلك قد قيل وبركة البقعة هي ما خصت به من آيات الله وأنواره
وتكليمه لموسى والناس على ضم الباء من بقعة وقرأ بفتحها أبو الأشهب قال أبو زيد سمعت من العرب
هذه بقعة طيبة بفتح الباء وقوله من الشجرة يقتضي أن موسى سمع ما سمع من جهة الشجرة
بغير تكييف ولا تحديد قوله أن يا موسى يحتمل أن تكون مفسرة وتكون في محل نصب بإسقاط
حرف الجر وقرأت فرقة إني أنا الله بفتح الياء ثم أمره بإلقاء العصا فألقاها فانقلبت حية عظيمة

موضع

لها اضطراب الجان وهي صغير الحيات فجمعت هول الثعبان ونشاط الجان وهذا قول بعضهم
وقالت فرقة بل الجان يعم الصغير والكبير وانما شبه الجان بالعصا باضطرابها فقط فولى موسى
فزعا منها ولم يعقب معناه لم يرجع على عقبه من توليه فقال الله له اقبل فاقبل وقد امنه الله
اياه ثم امره بان يدخل يده في جيبه وهو فتح الجبة من حيث يخرج راس الانسان وروي ان كم
الجبة كان في غاية الضيق فلم يكن له حيث يدخل يده الا في جيبه قوله اسلك معناه ادخل
ومنه قول الشاعر ۝ حتى سلكن الشوى منهن في مسك من نسل جوابة الآفاق مهداج ۝
من غير سوء اي برص ولا مثلة وروي انها كانت تضي كانها قطعة شمس ۝ واضمم اليك
جناحك من الرهب ذهب مجاهد وابن زيد الى ان ذلك حقيقة بضم عضده وذراعه وهو الجناح
الى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شان الانسان اذا فعل ذلك في وقت فزعه ان يقوى قلبه
وذهبت فرقة الى المجاز والاستعارة وانه امره بالعزم على ما امر به كما تقول العرب اشدد
حيازيمك واربط جاشك اي شمر في امرك ودع الرهب وذلك لما كثر تخوفه وفزعه في غير
موطن قاله ابو علي وقوله فذانك برهانان قال مجاهد والسدي الى العصا واليد وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو والناس الرهب بفتح الراء والهاء وقرا عاصم وقتادة الرهب بسكون الهاء وقرا حمزة والكسائي
وابن عامر وعاصم ايضا بضم الراء وسكون الهاء وقرا الجحدري بضمهما وقرا ابن كثير وابو عمرو فذانك
بتشديد النون والباقون بتخفيفها وقرا ابن شبل عن ابن كثير فذانيك بياء بعد النون المخففة ابدل
احدى النونين ياء كراهة التضعيف وقرا ابن مسعود فذانك الا انه شدد النون وهي لغة هذيل
وحكى المهدوي ان لغتهم تخفيف النون برهانان حجتان ومعجزتان وباقي الاية بين قوله قال
رب الاية كان موسى قد تخوف فطلب شد العضد باخيه لانه كان فصيحا سجيح الخلق وقرا
الجمهور ردا بالهمز وقرا نافع ردا بتنوين الدال دون همز وهي قراة ابي جعفر والمدنيين وذلك
على التخفيف من الهمز والرد الوزر المعين الذي يستند اليه في الامور وهو مستعمل في الاعانة بمعنى
الزيادة كما قال الشاعر ۝ واسمر خطي كانه كعوبه نوى القسب قد اردى ذراعا على
العشر ۝ وهذا على ترك الهمز وان يكون وزنه فعلا وجمهور القراء يصدقني بالجزم وذلك على جواب
ارسله وقرا عاصم وحمزة بضم القاف اي مصدقا فهو صفة للردء او حال وشد العضد استعارة

المعونة والانهاض وقرا الحسن بضم العين وسكون الضاد من عضدو وقرا عيسى بن عمر بفتح
العين والضاد والسلطان الحجة قوله باياتنا يحتمل ان يكون الباء متعلقة بقوله ويجعل
او يصلون ويكون بالسبب ويحتمل ان تتعلق بقوله الغالبون اي تغلبون بآياتنا والآيات
هي معجزاته عليه السلام ولما كذبوه ورموه بالسحر قارب موسى في احتجاجه وراعه تكذيبهم فرد
الامر الى الله وعول على ما يظهره الله في شانهم وتوعدهم بنقمة الله منهم وقرا ابن كثير قال
موسى بغير واو وقرا غيره وجميع السبعة بالواو وقرا الجمهور تكون له بالتاء وقرا حمزة والكسائي
بالياء على التذكير اذ هي بمنزلة العاقبة فهو كالصوت والصيحة والوعظ والموعظة واستمر
فرعون في طريق مخرقته على قومه وامر هامان بطبخ له الاجر وان يبني له صرحا اي سطحا في اعلى الهوا
وليس الصرح الا ماله سطح ويحتمل ان يكون الانقاد على الطين كالتراي وترتيب بذلك وبرهما ان يطلع
في السما وروي السدي انه بناه اعلى ما تمكن فيه ثم صعد فيه ورمى بالنبل فردها الله مخضوبة بالدم
ليزيدهم عمى وفتنة فقال فرعون حينيذ اني قد قتلت اله موسى ثم قال واني لاظنه من الكاذبين يريد
في ان ارسله مرسل فالظن على بابه وهو في معنى ايجاب الكفر له بمنزلة التصميم على الكذب وقرا
حمزة والكسائي ونافع لا يرجعون وقرا الباقون والحسن بضم الياء وفتح الجيم قوله فاخذناه
وجنوده فنبذناهم اي طرحناهم ومنه نبذ النواة ومنه قول الشاعر ۝
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا من نعالك باليا ۝ وقوم فرعون وان كانوا الى البحر ساروا
ودخلوه باختيارهم فان ما ضمهم من القدر السابق هو نبذ الله اياهم فيه واليم بحر القلزم في قول اكثر
الناس وقالت فرقة كان غرقهم في نيل مصر والاول اشهر ۝ وجعلناهم الاية عبارة عن حالهم وافعالهم
وخاتمتهم اي هم بذلك كالداعين الى النار وهم فيه ايمة من حيث اشتهروا وبقي حديثهم فهم قدوة لكل
كافر وعات الى يوم القيمة ۝ والمقبوحين الذين يقبح كل امرهم قولا لهم وفعلا بهم قال ابن عباس هم الذين
قبحوا بسواد الوجوه وزرقة العيون ويوم ظرف مقدم قوله من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
اخبار عن انه انزل التوراة على موسى بعد هلاك فرعون وقومه وبعد هذه الامم عاد وغيرها والقصد
بهذه الاخبار التمثيل لقريش بالامم وقالت فرقة ان الاية مضمنة ان انزال التوراة على موسى هو من بعد
ان دفع الله عذاب الامم فلم تعذب امة بعد نزول التوراة الا القرية التي مسخت قردة فيما روي

فضيلة

قوله بصائر نصب على الحال أي طرائق هادية لعلهم يتذكرون أي على ترجي البشر وما يعطيه
تأملهم من تأمل الأمور وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال ما أهلك الله أمة بعذاب منذ نزل
التوراة إلى الأرض غير القرية التي مسخت قردة وهم الذين تعدوا في السبت وهذا التعقيب
نزع موسى فكأنه لا ينقض التوراة برفع العذاب عن الأرض قوله وما كنت بجانب الغربي الآية
المعنى ولم تحضر يا محمد هذه الغيوب التي تخبر بها ولكنها صارت إليك بوحينا أي فكان الواجب أن
يسارعوا إلى الإيمان بك ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها زمنا زمنا فعزبت حلومهم
واستحكمت جهالتهم وضلالتهم وقضينا معناه أنفذنا وصيرناه والأمر يعني النبوة وقال قتادة
يعني به ما أعلمه به من أمر محمد عليه السلم وهذا تأويل حسن يلتئم به ما بعده من قوله ولكنا أنشأنا
والثاوي المقيم وقوله وما كنت بجانب الطور يريد وقت إنزال التوراة إذ نادينا وروي عن
أبي هريرة أنه قال نودي يومئذ من السماء يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني وغفرت قبل أن
تسألوني فحينئذ قال موسى اللهم اجعلني من أمة محمد فالمعنى إذ نادينا بأمرك وأخبرنا بنبوتك
رحمة نصب على المصدر أو مفعول من أجله ولكن مرتبط بقوله وما كنت ولكن جعلناك وأنفذنا أمرك
قدرنا رحمة من ربك أو يكون المعنى ولكن أعلمناك ونبأناك رحمة منا وإفضالا عليك وقرأ الناس
رحمة بالنصب ورفعها عيسى بن عمر ويريد بالقوم الذين لم يأتهم نذير معاصري محمد عليه السلم من العرب
وباقي الآية بين وقال الطبري معنى إذ نادينا بأن سأكتبها للذين يتقون الآيات قوله ولولا أن تصيبهم
مصيبة أي عذاب في الدنيا على كفرهم وجوابها محذوف يقتضيه الكلام تقديره لعاجلناهم بما
يستحقونه وقال الزجاج تقديره لما أرسلنا الرسل وقوله جاءهم الحق يريد القرآن ومحمدا عليه
السلم والمقالة التي قالتها قريش لولا أوتي مثل ما أوتي موسى كانت من تعليم اليهود لهم فعكس الله عليهم
قولهم ووقفهم على أنهم قد وقع منهم في تلك الآيات ما وقع من هذا ولأي في هذه فالضمير في قوله يكفروا
لليهود وقرأ الجمهور ساحران أرادوا موسى وهارون قاله مجاهد وقال الحسن موسى وعيسى
وقال ابن عباس موسى ومحمد وقال الحسن أيضا عيسى ومحمد والأول أظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
سحران والمراد بهما التوراة والإنجيل وقرأ ابن مسعود سحران اظاهرا وهي قراءة طلحة والأعمش
ويحتمل أن يريد بما أوتي موسى أمر محمد الذي هو في التوراة كأنه يقول وما يطلبون من أن يأتي بمثل

ما

ما أوتي موسى وهم قد كفروا في التكذيب بك بما أوتيه موسى من الإخبار بك وقالوا إنا بكل كافرون
يريد هذا التأويل وتظاهرا معناه تعاونا قوله قل فأتوا بكتاب الآية هذه حجة أمره الله أن
يصدع بها أي أنتم أيها المكذبون بهذه الكتب التي قد تضمنت الأمر بالعبادات ومكارم الأخلاق ونهت
عن الكفر والنقائص ووعد الله مع ذلك عليها الثواب الجزيل إن كان تكذيبكم لمعنى وعلة صحيحة فأتوا
بكتاب من عند الله يهدي أكثر من هدي هذه أتبعه معكم ثم قال تعالى فإن لم يستجيبوا لك وهو علم
أنهم لا يستجيبون على معنى الإفصاح لفساد حالهم وسياق العبارة المبين لأنهم يتبعون لا هواهم
ثم عجب تعالى من ضلال من اتبع هواه بغير هداية ولغير مقصد وقرر على ذلك على جهة البيان أي
لا أحد أضل منه قوله ولقد وصلنا لهم القول هم قريش قاله مجاهد وغيره وقال رفاعة القرظي
نزلت في اليهود في عشرة أنا أحدهم ذكره الطبري وقال الجمهور معناه واصلنا لهم في القرآن وتابعناه
موصولا بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام قال الحسن وفي ذكر الأمم
المهلكة وصلت لهم قصة بقصة حسب مرور الأيام وذكر مجاهد أن معنى وصلنا فصلنا أي جعلناه
أوصالا من حيث كان أنواعا من القول في معان مختلفة ومعنى اتصال بعضه ببعض حاصل من
جهة أخرى لكن إنما عدد عليهم هاهنا تقسيمه في أنواع من القول وذهب الجمهور إلى أن هذا
التوصيل لهم في القول معناه وصل المعاني من الوعظ والتذكير وذكر الآخرة وغير ذلك وذهب فرقة
إلى أن الإشارة بتوصيل القول إنما هي إلى الألفاظ أي إلى الإعجاز فالمعنى ولقد وصلنا لهم قولا معجزا دالا
على نبوتك والمعنى الأول تقديره ولقد وصلنا لهم قولا تضمن معاني من تدبرها اهتدى وقرأ الحسن
ابن أبي الحسن ولقد وصلنا بتخفيف الصاد قوله لعلهم أي في طمع البشر وظاهر الأمر عندهم وبحسبهم
ثم ذكر تعالى القوم الذين آمنوا من أهل الكتاب مباهيا بهم قريشا واختلف في من الإشارة فقيل
إلى جماعة من اليهود أسلمت وكانت تلقى من الكفار أذى وقيل إلى بحيرا الراهب وقال الزهري
إلى النجاشي وقيل إلى سلمان وابن سلام وأسند الطبري عن علي بن أبي رفاعة قال خرج عشرة رهط
من أهل الكتاب فيهم أبو رفاعة يعني أباه فأسلموا فأوذوا فنزلت فيهم هذه الآية والضمير في قبله
يحتمل أن يعود على النبي عليه السلام أو يعود على القرآن وما بعده يؤيد هذا قوله وإذا يتلى
عليهم وقولهم إنا كنا من قبله مسلمين يريدون الإسلام المتحصل لهم من شريعة عيسى وموسى عليهما السلم

واجرهم مرتين معناه على ملتين وبخطوة شريعتين وهذا المعنى هو الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلثة يؤتيهم الله اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بي والعبد الناصح
في عبادة ربه وخدمة سيده ورجل كانت له امة فادبها وعلمها ثم اعتقها وتزوجها وقوله
تعالى بما صبروا اعام في صبرهم على ملتهم ثم على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك
من انواع الصبر وقوله ويدرءون معناه يدفعون وهذا وصف لمكارم الاخلاق اي
يتغابون ومن قال لهم سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه وهذه اية مهادنة وهي
من صدر الاسلام وهي مما نسخته اية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاها امة
محمد عليه السلام الى يوم القيمة قوله ومما رزقناهم ينفقون مدح لهم في النفقة للطاعات
وعلى رسم الشرع وفي ذلك حض على الصدقات ونحوها واللغو سقط القول والقول يسقط
لوجوه يعز حصرها فالفحش لغو والسب لغو واليمين لغو حسب الخلاف فيها وكلام
مستمع الخطبة لغو والمراد من هذا في هذه الاية ما كان سبا واذى ونحوه فادب الاسلام
الاعراض عنه على جهة التبري لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقال ابن زيد اللغو هنا ما كان بنو اسرائيل
كتبوه في التوراة مما ليس من عند الله وهذه المهادنة هي لبني اسرائيل الكفار منهم وسلام عليكم في هذا
الموضع ليس المقصود منها التحية لكنه لفظ التحية قصد به المتاركة وهو لفظ مونس مستنزل
لسامعه اذ هو في عرف استعماله تحية قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال ولا نبتغي
الجاهلين معناه لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمسابة قوله انك لا تهدي من احببت
الاية اجمع جل المفسرين على انها نزلت في شان ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو هريرة وابن المسيب وغيرهما دخل عليه النبي عليه السلام وهو يجود بنفسه فقال له
اي قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله وكان بحضرته عبد الله بن ابي امية وابو جهل
بن هشام فقالا له اترغب عن ملة عبد المطلب يا ابا طالب فقال يا محمد لولا اني اخاف ان يعير
بها ولوي من بعدي لاقررت بها عينك ثم قال ابو طالب انا على ملة عبد المطلب والاشياخ
فتفجع رسول الله وخرج عنه ومات على ذلك فنزلت هذه الاية قال ابو روق قوله ولكن الله
يهدي من يشاء اشارة الى العباس والضمير في قوله وقالوا لقريش قال ابن عباس والمتكلم بذلك

الحارث بن نوفل وقصد الاخبار بان العرب تنكر عليهم رفض الاوثان وفراق حكم الجاهلية فتخطفهم
من ارضهم وقوله الهدى معناه على زعمك وحكى الثعلبي انه قال انا نعلم ان الذي تقول حق
ولكن ان اتبعناك تخطفتنا العرب فقطع الله بالحجة اي اليس كون الحرم لكم فيما يسرناه وكفينا
منكم الايدي فيه فكيف يكون لو سلمتم واتبعتم ديني وشرعي وروي عن ابي عمرو يتخطف بضم الفا
وامن الحرم هو ان لا يغزى ولا يؤذى فيه احد وقوله يجبى اليه اي يجمع ويجلب وقرا نافع
وحده تجبى بالتاء من فوق الباقون بالياء وروت الناس فوق عن ابي عمرو وابي جعفر وشيبة بن نصاح
وقوله كل شي يريد فيما به صلاح حالهم وقوام امرهم وليس العموم فيه على الاطلاق وقرا
ابان بن تغلب ثمرات بضم الثاء والميم ثم توعد قريشا بضرب المثل بالقرى المهلكة اي فلا تغتروا
بالحرم الامن والثمرات التي تجبى فان الله يهلك الكفرة على ما سلف من الامم وبطرت معيشتها
معناه سفهت واشرت وطغت قاله ابن زيد وغيره ومعيشتها نصب على التفسير مثل قوله فقد
سفه نفسه قال الاخفش هو على اسقاط حرف الجر اي بطرت في معيشتها ثم احالهم على الاعتبار
في خراب ديار الامم المهلكة كحجر ثمود وغيره وباقي الاية بين قوله وما كان ربك الاية ان كان الارادة
بالقرى المدن التي في عصر النبي فام القرى مكة وان كانت الارادة القرى بالاطلاق في كل زمن فامها
في هذا الموضع اعظمها وافضلها التي هي بمثابة مكة في عصر محمد عليه السلام وان كانت مكة ام القرى
كلها ايضا من حيث هي اول ما خلق من الارض ومن حيث فيها البيت ومعنى الاية ان الله يقيم الحجة
على عباده بالرسل فلا يعذب الا بعد نذارة وبعد ان تمادى اهل القرى في ظلم وطغيان والظلم
هنا يجمع الكفر والمعاصي والتقصير في الجهاد وبالجملة وضع الباطل موضع الحق ثم خاطب تعالى قريشا
محقرا لما كانوا يفخرون به من مال وبنين وغير ذلك من قوة لم تكن عند محمد ولا عند من امن به فاخبر
تعالى قريشا ان ذلك متاع الدنيا الفاني والاخرة وما فيها من النعيم الذي اعد الله لها والمؤمنين
اثم
خير وابقى ثم وبخهم بقوله افلا يعقلون بالياء قرا ابو عمرو وحده بالتاء من فوق وروي عنه بالياء
كذا قال ابو علي في الحجة وذلك خلاف ما حكى ابو حاتم والناس ان نافعا يقرا بالتاء من فوق وهي قراءة
الاعرج والحسن وعيسى ثم زادهم توبيخا بقوله افمن وعدناه الاية وقوله فيها تعم جميع العالم لكن اختلف
الناس فيمن نزلت فقال مجاهد الذي وعد الوعد الحسن محمد عليه السلام وضده ابو جهل وقال

مجاهد انها نزلت في حمزة وابي جهل وقال قتادة نزلت عامة في المؤمن والكافر كما معناها عام
وقوله بين الانسان بما قبله من توبيخ قريش وقوله من المحضرين معناه في عذاب الله قاله
مجاهد وقتادة ولفظة محضر مشيرة الى سوق بجبر وقرا طلحة امن وعدناه بغير الف وقرا [illegible]
افمن وعدناه نعمة منا فمولاها فيها قوله ويوم اي واذكر يوما يناديهم يحتمل ان يكون بواسطة
او بغيرها والضمير لعبدة الاصنام وهم قريش وكفار العرب وقوله اين على جهة التوبيخ والتقريع
شركاي اي على زعمكم وقولكم ولما كان هذا السؤال مسكتا لهم مبهتا فكانه لا متعلق لجمهور الكفرة
الا بالمغوين لهم والاعيان الرؤساء منهم والشياطين المغوين فكانت هذه الصيغة المغوية انما
اتت الكفر على علم فالقول عليها متحقق وكلمة العذاب ماضية لكنهم طمعوا في التبري من كل اولئك
الكفرة الاتباع فقالوا ربنا اتخاها ولا انما اضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد لنا ولهم وارادوا هم
اتباعنا واحبوا الكفر كما احببناه فنحن نتبرا اليك منهم وهم لم يعبدونا انما عبدوا غيرنا
وهذا التوقيف يعم جميع الكفرة والمجيبون هم كل مغو داع الى الكفر من الشياطين ومن الانس
الرؤسا والعرفا والسادة في الكفر وقرا الجمهور غوينا بفتح الواو ويقال غوي الرجل يغوى بكسر
الواو وروى عن ابن عامر وعاصم غوينا بكسر الواو ثم اخبر تعالى انه يقال للكفرة العابدين للاصنام
الذين اعتقدوهم الهة ادعوا شركاكم اي الاصنام التي كنتم تزعمون انهم شركا الله واضافها
اليهم لما كان ذلك الاسم بزعمهم وبدعواهم فهذا القول من الاختصاص اضاف الشركا اليهم ثم
اخبر انهم دعوهم فلم يكن في الجمادات ما يجيب وراى الكفار العذاب وقوله لو انهم
كانوا يهتدون ذهب الزجاج وغيره من المفسرين الى ان جواب لو محذوف وتقديره لما نالهم
العذاب ولما كانوا في الدنيا عابدين للاصنام ففي الكلام على هذا التاويل تاسف عليهم وذلك محتمل
مع تقديرنا الجواب لما كانوا عابدين للاصنام وفيه تقديرنا الجواب لما نالهم العذاب نقمة
منا وقالت فرقة لو متعلقة بما قبلها تقديره فودوا لو انهم كانوا يهتدون قوله ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين هو كالاول في احتمال وساطة الملائكة وهو ايضا
توقيفهم على ما اجابوا به المرسلين الذين دعوهم الى الله فعميت عليهم الانباء اي اظلمت لهم الامور
فلم يجدوا خبرا يخبرون به مما لهم فيه نجاة وساق الفعل في صيغة الماضي لتحقق وقوعه

وانه والماضي من الافعال متيقن فلذلك توضع صيغته بدل المستقبل المتيقن لتقوي وقوعه
وصحته وعميت معناه اظلمت جملة بها وقرا الاعمش فعميت بضم العين وكسر الميم مشددة وفي
الحديث كان الله في عما وذلك قبل ان يخلق الانوار وساير المخلوقات والانبا جمع نبا فهم لا
يتساءلون معناه فيما قال مجاهد بالارحام والقرابات التي عهدوها في الدنيا ان يتساءل بها لانهم قد
ايقنوا ان كلهم لا حيلة له ولا مكانة ويحتمل ان يريد انهم لا يتساءلون عن الانبا ليقين جميعهم انه لا
حجة لهم ثم انتزع تعالى من الكفرة من تاب من كفره وامن بالله ورسله وعمل بالتقوى ورجى عز وجل
منهم انهم يفوزون ببغيتهم ويبقون في النعيم الدائم وقال الكثير من العلما عسى من الله واجبة وهذا
ظن حسن بالله تعالى يشبه فضله وكرمه واللازم من عسى انها ترجية لا واجبة وفي كتاب الله تعالى
عسى ربه ان طلقكن قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار الاية قيل سببها ما تكلمت به قريش من استغراب
امر النبي عليه السلام وقول بعضهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فنزلت هذه
الاية بسبب تلك المقالة فرد الله تعالى عليهم واخبر انه يخلق من عباده وساير مخلوقاته ما
يشا وانه يختار لرسالته من يريد ويعلم فيه المصلحة ثم نفى ان يكون الاختيار للناس في هذا ونحوه
هذا قول جماعة من المفسرين ان ما نافية اي ليس لهم تخير على الله ففي الاية كقوله وما كان لمومن ولا
مومنة اذا قضى الله الاية ويحتمل ان يريد ويختار الله الاديان والشرايع وليس لهم الخيرة في
ان يميلوا الى الاصنام ونحوها في العبادة ويؤيد هذا التاويل قوله تعالى سبحان الله وتعالى عما
يشركون وذهب الطبري الى ان ما في قوله ويختار ما كان مفعولة بيختار قال والمعنى ان الكفار
كانوا يختارون من اموالهم لاصنامهم اشيا فاخبر الله ان الاختيار انما هو له وحده يخلق ويختار
من الرسل والشرايع ما كان خيرة للناس لا كما يختارون هم ما ليس اليهم ويفعلون ما لم يومروا به
واعتذر الطبري عن الرفع الذي قد اجمع القرا عليه في قوله الخيرة باقوال لا تحصل وقد رد الناس
عليه في ذلك وذكر عن الفرا ان القاسم بن معن انشد بيت عنترة ٥
امن سمية دمع العين مذروف لو كان ذا منك قبل اليوم معروف ٥ وقول الاية بهذا
البيت والرواة في هذا البيت لو ان ذا ولكن على ما رواه القاسم يتجه في بيت عنترة ان يكون الامر
والشان مضمرا في كان وذلك في الاية ضعيف لان تفسير الامر والشان لا يكون بجملة فيها مجرور

وفي هذا كله نظر والوقف على ما ذهب اليه جمهور الناس في قوله ويختار وعلى ما ذهب اليه
الطبري لا يوقف على ذلك ويتجه عندي ان يكون ما مفعوله اذا قدرنا كان تامة اي ان الله
يختار كل كائن ولا يكون شي الا باذنه وقولهم الخيرة جملة مستانفة معناها تعديد النعمة عليهم
في اختيار الله لهم لو قبلوا وفهموا قوله وربك يعلم الايات ذكر فيها امورا يشهد عقل كل مفطور
بان الاصنام لا شركة لها فيها فمنها علم ما في النفوس وما لا يحس في الخواطر وتكنه معناه تستر
وقرا ابن محيصن تكن بفتح التا وضم الكاف وعبر عن القلب بالصدر من حيث كان محتويا
عليه ومعنى الاية ان الله يعلم السر والعلانية ثم افرد نفسه بالالوهية ونفاها عما سواه
واخبر ان الحمد له في الاولى والاخرة اذ له الصفات التي تقتضي ذلك والحكم في هذا الموضع
القضا والفصل في الامور ثم اخبر بالرجعة اليه والحشر ثم امر نبيه ان يوقفهم على امر الليل
والنهار وما منح الله فيهما من المصالح والمرافق وان يوقفهم على عادته تعالى بتقليب
بتقليب الليل والنهار وانه لو مد احدهما سرمدا لما وجد من ياتي بالاخر والسرمد من الاشيا
الدايم الذي لا ينقطع وقرا الجمهور بضيا بالياء وقرا ابن كثير في رواية قنبل بهمزتين وضعفه
ابو علي ثم ذكر تعالى انقسام الليل والنهار على السكون وابتغا الفضل بالمشي والتصرف وهذا
هو الغالب في امر الليل والنهار فعدد النعمة بالاغلب وان وجد من يسكن بالنهار ويبتغي فضل
الله بالليل فالشاذ النادر لا يعتد به وقال بعض الناس في قوله جعل لكم الليل والنهار انهما
انما عبر بهما عن الزمن فكانه لم يقصد التقسيم اي في هذا الوقت الذي هو ليل ونهار يقع السكون
وابتغا الفضل قوله ولعلكم اي على نظر البشر من يرى هذا اللطف والرفق يرى ان ذلك
يستدعي الشكر ولا بد قوله ويوم يناديهم الاية ذكر يوم يناديهم وكرر هذا المعنى ابلاغا وتحذيرا
وهذا النداء عند ظهور كل ما وعد الرحمن على السنة المرسلين من وجوب الرحمة لقوم والعذاب
لاخرين ومن خضوع كل جبار وذلة الكل لعزة رب العالمين فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار فيقول
الله لهم اين شركاي على معنى التقريع ثم اخبر تعالى عن انه يخرج في ذلك اليوم من كل امة شهيدا يميز بينه
وبين الناس وهذا هو النزع ان يميز بين شيئين فينزع احدهما من الاخر وقال مجاهد اراد بالشهيد
النبي الذي يشهد على امته وقال الرماني وقيل اراد عدولا من الامم واخيارا وهم حملة الحجة

النعديد

القدر لا يخلو منهم زمان والشهيد على هذا التاويل اسم الجنس وفي هذا الموضع حذف يدل عليه
الظاهر تقديره يشهد الشهيد على الامم بخيرها وشرها فيحق العذاب على من شهد عليه بالكفر
ويقال لهم على جهة اسبر الحجة والاعذار في المحاورة هاتوا برهانكم على حق بايديكم ان كان لكم فيسقط
حينئذ في ايديهم ويعلمون ان الحق متوجه لله عليهم وينا ولهم ما كانوا بسبيله في الدنيا من كذب مختلق وتعم
في قولهم هذه الهتنا للاصنام وفي تكذيبهم للرسل وغير ذلك ومن هذه الاية انتزع قول القاضي عند ارادة
الحكم ابقيت لك حجة قوله ان قارون الاية هو اسم اعجمي فلذلك لم يصرف واختلف الناس في قرابة
قارون من موسى فقال ابن اسحق هو عمه وقال ابن جريج وابرهيم هو ابن عمه اخاه وهو اشهر وقيل هو ابن
خالته باجماع رجل من بني اسرايل كان ممن امن بموسى وحفظ التوراة وكان من اقرا الناس لها وكان عند
موسى من عباد المومنين ثم انه لحقه الزهو والاعجاب فبغى على قومه بانواع من البغي من ذلك كفره بموسى
واستخفافه به ومطالبته له فيما قال ابن عباس بانه عمد الى امراة مومسة ذات جمال وقال لها انا
احسن اليك واخلطك باهلي على ان تجي في ملا من بني اسرايل عندي فتقولي يا قارون اكفني من موسى فانه
يتعرضني في نفسي فجات المراة فلما وقفت على الملا احدث الله لها توبة فقالت يا بني اسرايل ان قارون
قال لي كذا وكذا ففضحته في جميع القصة وبرا الله موسى من مطالبته وقيل قالت المراة ذلك عن موسى
فلما بلغه الخبر وقف المراة بحضر من بني اسرايل فقالت يا نبي الله كذبت عليك وانما وصلني قارون الى
هذه المقالة وكان من بغيه انه زاد في ثيابه شبرا على ثياب الناس قاله شهر بن حوشب الى غير ذلك مما
يصدر عن من فسد اعتقاده وكان من اعظم الناس مالا وسميت امواله كنوزا اذ كان ممتنعا من ادا
الزكوة وبسبب ذلك عادى موسى اول عداوته والمفاتح ظاهرها انها التي يفتح بها ويحتمل ان يريد بها
الخزاين والاوعية الكبار قاله الضحاك لان المفتح في كلام العرب الخزانة واكثر المفسرين في شان قارون
وروي عن خيثمة انه قال نجد في الانجيل مكتوبا ان مفاتيح قارون كانت من جلود الابل وكان المفتاح
من نصف شبر وكانت ستين بعيرا او بغلا لكل مفتاح كنز وروي غير هذا مما يقرب منه وذلك كله
ضعيف والنظر يشهد بفساد هذا ومن كان الذي يميز بعضها من بعض وما الداعي الى هذا وفي
الممكن ان ترجع كلها الى ما يحصى ويقدر على حصره بسهولة وكان يلزم على هذا المعنى ان تكون مفاتيح من نسا
وهي قراة الاعمش والذي يشبه انما هو ان تكون المفاتح من الحديد ونحوه وعلى هذا تنو بالعصبة اذ كانت

لتنوء لكثرتها مفاتحه وافترقا من المواضع او تكون المفاتح الخزائن قال ابن صالح كانت خزائنه تحمل
على اربعين بغلا واما قوله تعالى لتنوء فمعناه تنهض بتحامل واشتداد ومن ذلك قول الشاعر
ينوء ولم يكسين الا قنازعا من الريش تنواء النعاج الهزايل ،، ومنه قول الآخر يصف
رامياه حتى اذا ما اعتدلت مفاصله وناء في شق الشمال كاهله ، والوجه ان يقال ان العصبة
تنوء بالمفاتح المثقلة لها هكذا قال كثير من المتاولين لكن المراد هذا لكنه قلب كما تفعل العرب كثيرا
فمن ذلك قول الشاعر فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك الا ما اطيق ، وكذا
قول الآخر وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ، وهذا البيت
لا حجة فيه اذ يتجه على وجهه فتأمله ومن ذلك قول الآخر ،،
ما كنت في الحرب العوان مغررا اذ شب حر وقودها اجذالها ، وقال سيبويه والخليل
التقدير لتنيء العصبة فجعل بدل ذلك تعدية الفعل بحرف الجر كما تقول ناء الحمل واناته ونؤت
به بمعنى جعلته ينوء والعرب تقول ناء الحمل بالبعير اذا اثقله وحمل ابن يسند تنوء الى المفاتح
مجازا لانها تنهض بتحامل اذا فعل ذلك الذي ينهض بها وهذا مطرد في قولهم ناء الحمل بالبعير ونحوه
فتأمله واختلف الناس في العصبة كم هم فقال ابن عباس ثلثة وقال قتادة العصبة من العشرة
الى الاربعين وقال مجاهد خمسة عشر وقيل احد عشر حملا على اخوة يوسف وقيل اربعون وقرأ
بديل بن ميسرة لينوء بالياء وجهها ابو الفتح على انه يعتبر ا مفاتحه جمعا وذكر ابو عمرو الداني ان قراءة
بديل مفتاحه على الافراد فيستغني على هذا عن توجيه ابي الفتح قوله اذ قال له قومه متعلق
بقوله فبغى عليهم ونهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس واشر واعجاب والفرح
هو الذي يعلو دائما بالمرح ولا يحب في هذا الموضع صفة فعل لانه امر قد وقع فمحال ان يرجع
الى ارادة وانما هو لا يظهر عليهم بركته ولا يهبهم رحمته ثم وصوه بان يطلب بماله رضى الله ويقدم
لاخرته قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا اختلف المتاولون فيه فقال ابن عباس والجمهور معناه
لا تضيع عمرك في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها في الدنيا فنصيب الانسان
عمره وعمله الصالح فيها فيما ينبغي فالكلام كله على هذا التأويل شدة في الموعظة وقال الحسن
وقتادة معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ولنظرك لعاقبة دنياك

فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به واصلاح الامر الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله
مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة وقال الحسن معناه قدم الفضل وامسك ما يبلغ وقال
مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وحكى الثعلبي انه قيل ارادوا بنصيبه الكفن فهذا وعظ متصل
كانهم قالوا لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك هذا الذي هو الكفن ونحو هذا قول
الشاعر ، نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط ، قوله واحسن كما احسن
الله اليك امر بصلة المساكين وذوي الحاجة وباقي الآية بين قال انما اوتيته الآية لما وعظه قومه وندبوه
الى اتقاء الله في المال الذي اعطاه تفضلا منه عليه اخذته العزة بالاثم فاعجب بنفسه وقال لهم
على جهة الرد عليهم والروغان عما الزموه انما اوتيته على علم عندي ولكلامه هذا وجهان يحتملهما ولكل
واحد قالت فرقة من المفسرين فالجمهور على انه ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون صاحب
ذلك المال وتلك النعمة ثم اختلفوا في العلم الذي اشار اليه ما هو فقال بعضهم علم التوراة وحفظها
قالوا كانت هذه مغالطة منه ورياء وقال ابو سليمان الداراني اراد العلم بالتجارب ووجوه تثمير المال
فكانه قال اوتيته بادراكي وسعيي وقال ابن المسيب اراد علم الكيمياء وقال ابن زيد وغيره انما
اراد اوتيته على علم من الله وتخصص من لدنه قصدني به اي فلا يلزمني فيه شيء مما قلتم ثم قال عندي
كما قلتم في معتقدي وعلى ما اراه وعلى الاحتمالين معا فقد نبه القرآن على خطائه في اغتراره
وعارض زعمه بان من معلومات الناس المحققة عندهم ان الله قد اهلك من الامم والقرون
والملوك من هو اشد من قارون قوة واكثر جمعا اما للمال واما للحاشية والغاشية قوله
اولم يعلم يحتمل ان قارون يتشبع بعلم نفسه على زعمه قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال
محمد بن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله والضمير في ذنوبهم عائد على من اهلك من القرون اي
اهلكوا ولم يسأل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم اي كل احد انما يكلم ويعاقب بحسب ما يخصه وقالت
فرقة هو اخبار مستانف عن حال يوم القيمة ان المجرمين لا يسألون عن ذنوبهم وقال قتادة
ايضا ومجاهد معناه ان الملايكة لا تسأل عن ذنوبهم لانهم يعرفونهم بسيماهم السواد والتشويه
ونحو ذلك قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ع وفي كتاب الله آيات تقتضي ان الناس يوم القيمة
يسألون كقوله وقفوهم انهم مسئولون وغيرها وفيه آيات تقتضي انه لا يسأل احد كقوله فيومئذ

تقول

لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وغيرها فقال الناس في هذا انها مواطن وطوايف وذلك من
قولهم مجمل وتبينه عندي ان تكون ايات السوال عما يراد بها اسولة التوبيخ والتقرير وايات
النفي يراد بها اسوله الاستفهام والاستخبار على جهة الحاجة الى علم ذلك من المسوول اي ان
ذلك لا يقع لان العلم بهم محيط وسوال التوبيخ غير معتد به ثم اخبر تعالى ان قارون خرج على قومه
وقد اظهر قدرته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا قال جابر ومجاهد خرج هو وجملته في ثياب
معصفرة وقيل في ثياب الارجوان وقيل غير هذا واكثر المفسرون في تحديد زينة قارون وتعيينها
بلا صحة فاختصرته وباقي الاية بين في اغترار الجهلة والاغبياء من الناس قوله وقال الذين اوتوا
العلم اخبر تعالى عن اولي العلم والمعرفة بالله وبحق طاعته والايمان به انهم زجروا الاغمار الذين
تمنوا حال قارون وحملوهم على الطريقة المثلى من ان النظر والتمني انما ينبغي ان يكون في امور الاخرة
وان حالة المومن العاقل الذي ينتظر ثواب الله خير من حال كل ذي دنيا ثم اخبر تعالى عن هذه
النزعة والقوة في الدين انها لا يلقاها اي يمكن بها ويخولها الا الصابر على طاعة الله وعن شهوات
نفسه وهذا هو جماع الخير كله في يلقاها عايد على ما لم يتقدم له ذكر من حيث الكلام دال عليه
فذلك يجري مجرى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقال الطبري الضمير عايد على الكلمة وقوله
ثواب الله خير الاية اي لا يلقى هذه الكلمة الا الصابرون وعنهم تصدر وروي في الخسف بقارون
وداره ان موسى لما امضه فعل قارون به وتعديه عليه ورميه بامر المراة وغيره من فعله بنفسه
استجار بالله وبكى وطلب النصرة فاوحى الله اليه لا تهتم فاني قد امرت الارض ان تطيعك في قارون
واهله وحاشيته واتباعه فقال موسى للارض خذيهم فاخذتهم شيا شيا وهم يستغيثون به كل
مرة وهو يلج الى ان تم الخسف بهم فاوحى اليه يا موسى استغاثوا بك فلم ترحمهم لو بي استغاثوا اولي
تابوا لرحمتهم وكشفت ما بهم وقال قتادة ومالك بن دينار روي لنا انه يخسف به كل يوم قامة
فهو يتجلجل الى يوم القيمة والفية الجماعة الناصرة التي يفي اليها الانسان الطالب للنصرة وقصة
قارون بعد جوازهم البحر لان الرواة ذكروا انه كان ممن حفظ التوراة وكان يقروها ثم اخبر تعالى
عن حال الذين كانوا تمنوا مكانه بالامس وندمهم واستشعارهم ان الحول والقوة لله وقوله ويكأن
مذهب سيبويه والخليل اي وي حرف تنبيه وهي منفصلة من كان لكن اضيف لكثرة الاستعمال

والضمير لعله

والمعنى انهم نبهوا من خاطبوه ثم قالوا بين الاخبار وعلى وجه التعجب والتثبت كان الله يبسط
وقال ابو حاتم وجماعة من النحويين ويك هي ويلك حذفت اللام منها لكثرة الاستعمال وحرف
في الكلام كذلك ومنه قول عنترة ولقد شفى نفسي واذهب سقمها قول الفوارس ويك
فكان المعنى ويلك اعلم ان الله ونحو هذا من الاضمار للفعل وقالت فرقة من النحويين ويكأن بجملتها
دون تغيير انما هي الكلمة بمنزلة قولك الم تر ان ع وبمعنى الانفصال فيها على ما قاله سيبويه لانها
تجي مع ان وان وانشد سيبويه ● ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ●
وهذا البيت لزيد بن عمرو بن نفيل وقرا الاعمش لولا من حذف ان وروي عنه من الله برفع النون
والاضافة الى الله وقرا الجمهور لخسف بضم الخاء وكسر السين وقرا عاصم بفتحهما وقرا الاعمش وطلحة
بن مصرف لا نخسف كانه فعل مطاوع اراد به ان الارض كانت تنفعله وروي عن الكسائي انه كان
يقف على وي ويبتدي كأنه وروي عنه الوصل كالجماعة وروي عن ابي عمرو انه كان يقف ويك
ويبتدي ان الله وعلى هذا المعنى قال الحسن ان شئت ويكأن او ويكان بفتح الهمزة وكسرها وكذلك
في ويكأنه قوله تلك الدار الاخرة الاية اخبار مستانف من الله لمحمد عليه السلام يراد به اخبار جميع
العالم وحضهم على السعي بحسب ما تضمنته الاية وهذا الحض يتضمن الانحاء على حال قارون ونظرايه
والمعنى ان الاخرة ليست في شي من امر قارون انما هي لمن صفته كذا وكذا والعلو المذموم هو بالظلم
والانخاء والتجبر قال النبي عليه السلام وذلك ان تريد ان تكون شراك نعلك افضل من شراك نعل
اخيك والفساد يعم وجوه الشر ومما قال العلما هو اخذ المال بغير حق والعاقبة للمتقين
خبر منفصل جزم معناه اما في الدنيا واما في الاخرة ولا بد ثم وصف امر جزا الاخرة انه من جا
بعمل صالح فله خير من القدر الذي يقتضي النظر انه مواز لذلك العمل هذا على ان تجعل الحسنة
للتفضيل وفي القول حذف مضاف اي من ثوابها الموازي لها ويحتمل ان تكون من لابتدا الغاية اي
له بسبب حسناته ومن اجلها واخبر ان السيئة لا يضاعف جزاؤها فضلا من الله ورحمة
قوله ان الذي فرض عليك القران معناه انزله عليك واثبته والفرض اصله حز وقطع في عود
او نحوه فكان الاشيا التي تثبت وتحكم وتفي تشبه ذلك الفرض وقال مجاهد معناه اعطاك القران
وقالت فرقة في هذا القول حذف مضاف والمعنى فرض عليك احكام القران واختلف المتاولون في

عنتر اقدم

معنى قوله لرادك الى معاد فقال الجمهور اراد الى الاخره اي باعثك بعد الموت فالايه على هذا
مقصدها اثبات الحشر والاعلام بوقوعه وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري وغيرهما المعاد
الجنه وقال ابن عباس ايضا وجماعه المعاد الموت فكان الايه على هذا واعظه ومذكره وقال
ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكه وهذه الايه نزلت بالجحفه فقدم رسول الله في هجرته الى المدينه فالايه
على هذا معلمه بغيب قد ظهر للامه ومونسه بفتح والمعاد المواضع التي يعود اليها وقد اشتهر به يوم
القيامه لانه معاد الكل وقوله قل ربي اعلم الايه متاركه للكفار وتوبيخ واسند الطبري في
تفسير قوله لرادك الى معاد قال الى الجنه قال وسماها معادا اما من حيث قد كان فيها ادم
فهي معاد لذريته واما قال هذا من حيث يعطي لفظة المعاد ان المخاطب قد كان في حال
يعود اليها وهذا وان كان مما يظهر في اللفظ فمتوجه ان يسمى معادا ما لم يكن المرء قط فيه
تجوزا ولانها احوال تابعه للمعاد الذي هو النشور من القبور قوله وما كنت ترجوا الايه
قال بعض المفسرين هذا ابتدا كلام مضمنه تعديد النعمه عليه وان الله رحمه رحمة من حيث لم
تحتسب ولا بلغتها املك وقال بعضهم بل هو متعلق بما قبله اي وانت بحال من لا يرجوا ذلك
يلقى اليه عباره عن تقليده وتبليغ القران كما تقول لقي فلان الى فلان الرياسه ونحو هذا
وقوله الا رحمه نصب على الاستثنا المنقطع والظهير المعين اي اشتد في تبليغك ولا تلن ولا
تفشل فتكون معونة للكافرين بالفتور عنهم ولا يصدنك اي قوالهم وكذبهم واذاهم ولا تلتفت
نحوه وامض لسانك وقرا يعقوب بجزم النون وادع الى ربك انه يتضمن المهادنه والموادعه
وكلها منسوخه بايه السيف وسبب هذه الايه ما كانت قريش تدعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليه من تعظيم اربابهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر الغرانيق ولا تدع مع الله
الايه نهي عما هي بسبيله فهم المراد وان جرى اللفظ من ذكرهم ٥ الا وجهه قالت فرقه هي
عباره عن الذات المعنى الا هو قاله الطبري وجماعه منهم ابو المعالي وقال الزجاج الا
اياه وقال سفين الثوري المراد الا ذو وجهه او ما عمل من اجله من طاعته وتوجه به نحوه ومنه
قول الشاعر ٥ رب العباد اليه الوجه والعمل ومنه قول القايل
اردت بفعلي وجه الله ومنه قوله يريدون وجهه له الحكم اي فصل القضا وانفاذ

العذره في الدنيا والاخره واليه ترجعون اخبار بالحشر والعوده من القبور وقرا الجمهور بضم التا
وفتح الجيم وقرا عيسى بفتح التا وكسر الجيم وقرا ابو عمرو بالوجهين ٠

تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

الا العشر الايات في صدرها فانهن مدنيات نزلت
في شان من كان من المسلمين بمكه وفي هذا الفصل اختلاف وهذا اصح ما قيل فيه قوله الم تقدم
القول في الحروف وقرا ورش بفتح الميم من غير همز بعدها وذلك على نقل حركتها الى الميم وهذه الايه نزلت في
قوم من المومنين كانوا بمكه وكان كفار قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك
وربما استنكر ان يمكن الله من الكفره من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الايه مسليه
ومعلمه ان هذه هي سيره الله في عباده اختبارا للمومنين وفتنه ليعلم الصادق ويرى ثواب الله
له ويعلم الكاذب ويرى عقاب الله اياه وهذه الايه وان كانت نزلت بهذا السبب وفي هذه
الجماعه فهي بمعناها باقيه في امة محمد موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنه من الله في ثغور
المسلمين بالاسر ونكايه العدو وغير ذلك واذا اعتبر ايضا كل موضع ففيه ذلك بالامراض وانواع
المحن ولكن الذي يشبه نازله المومنين مع قريش هي ما ذكرناه من امر العدو في كل ثغر وقال
عبد الله بن عبيد بن عمير نزلت هذه الايه في عمار بن ياسر اذ كان يعذب في الله ونظرائه وقال
الشعبي سببها ما كلفه المومنين من الهجرة في الفتنه التي لم يتركوا دونها الا يسيرا وقد تبعهم بسببها ان
اتبعهم الكفار وردوهم وقاتلوهم فقتل من قتل ونجا من نجا قال السدي نزلت في مسلمين كانوا بمكه
وكرهوا الجهاد والقتال حتى فرض على النبي في المدينه ٥ وحسب معناه ظن وان نصب بحسب
وهي والجمله التي بعدها تسد مسد مفعولي حسب وان الثانيه في موضع نصب على تقدير اسقاط
حرف الخفض تقديره بان يقولوا ويحتمل ان يقدر لان يقولوا والمعنى في البا واللام مختلف وذلك انه في
البا كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من اجل اي حسبوا ان ايمانهم عله للترك والذين
قبلهم هم المومنون مع الانبيا في سالف الدهر وقرا الجمهور فليعلمن بفتح اليا واللام الثانيه ومعنى
ذلك ليظهرن عليهم ويوخذن منهم ما علمه ازلا وذلك ان علمه تبدل لكل قديم وانما هذه عباره عن الايجاد
بالحاله التي تضمنها العلم القديم والصدق والكذب على بابهما اي من صدق فعله قوله ومن كذب نظره
قول زهير ٥ ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما كذب الليث عن اقرانه صدقا ٥

قال النقاش قيل ان الاشارة بصدقوا هي الى مهجع عمر بن الخطاب لانه اول قتيل قتل من المومنين يوم
بدر وقالت فرقة انما هي استعارة وانما اراد بهما الصلابة في الدين والاضطراب فيه وفي جهاد العدو
ونحو هذا وقرا علي بن ابي طالب فليعلمن بضم اليا وكسر اللام وهذه القراة تحتمل ثلثة معاني احدها
ان يعلم في الاخرة هاولا الصادقين والكاذبين بما لهم من ثوابه وعقابه وباعمالهم في الدنيا بمعنى
يوقفهم على ما كان منهم والثاني ان يكون المفعول الاول محذوفا تقديره ليعلمن الناس او العالم هاولا
الصادقين يفضحهم ويشهرهم هاولا في الخير وهاولا في الشر وذلك في الدنيا والاخرة والثالث ان يكون
ذلك من العلامة اي يضع لكل طايفة علما تشتهر به فالاية على هذا تنظر الى قوله عليه السلام من اسر
سريرة البسه الله رداها وعلى كل وعدها فيها وعد للمومنين الصادقين ووعيد للكافرين وقرا
الزهري الاولى كقراة الجماعة والثانية كقراة علي عليه السلام قوله ام حسب معادلة للالف في
احسب وكانه قرن الفريقين المومنين على ظنهم انهم لا يفتنون والكافرين الذين يعملون السيات
في تعذيب المومنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون عقاب الله ويعجزونه والذين يعملون السيات
هم وان كان الكفار بالاولى الكفار بحسب النازلة التي الكلام فيها فان لفظ الاية يعم كل عاص وعامل
سيئة من المسلمين وغيرهم ساما يحكمون يجوز ان تكون بمعنى الذي فهي في موضع رفع ويجوز ان
تكون في موضع نصب على تقدير ساحكما يحكمونه وقال ابن كيسان ما مع يحكمون في موضع المصدر
كانه قال ساحكمهم وفي هذه الاية وعيد للكفرة العاصين وتانيس ووعده بالنصر للمومنين المغلوبين
المغلوبين ثم اخبر تعالى عن الحشر والرجوع الى الله في القيمة بانه آت اذ قد اجله واخبر به وفي
قوله من كان يرجوا لقا الله تثبيت اي من كان على هذا الحق فليوقن بانه آت وليزدد بصيرة وقال
ابو عبيدة يرجوا هنا بمعنى يخاف والصحيح ان الرجا هنا على بابه متمكنا قال الزجاج المعنى لقا
ثواب الله قوله وهو السميع العليم معناه لاقوال كل فرقة والعليم معناه بالمعتقدات التي
لهم قوله ومن جاهد الاية اعلام بان كل واحد مجازى بفعله الحسن فهو ذاله وهو حظ الذي
ينبغي ان لا يفرط فيه فان الله غني عن جهاده وغني عن العالمين باسرهم وهاتان الايتان كانهما تبدا على
سوا الى الطايفة المرتابة المترددة في فتنة الكفار التي كانت تنكر ان ينال الكفار المومنين بمكروه
وترتاب من اجل ذلك فكانهم قيل لهم من كان يومن بالله وبالبعث فان الامر حق في نفسه وانه بالمرصاد

اي هذه تبصرة لا ينبغي لاحد ان يعتقدها لوجه احد وكذلك من جاهد فثمرة جهاده له فلا يمن ذلك
على احد وهذا كما يقول الناظر عند سرور يخصه من اراد ان يرى الحق فان الامر كذا وكذا ونحو هذا
فتامله وقيل معنى الاية ومن جاهد المومنين ودفع في صدر الدين فانما جهاده لنفسه لا يتعداه
غني وهذا قول ذكره المفسرون وهو ضعيف قوله والذين امنوا اخبار عن المومنين المهاجرين الذين
هم في اعلى رتبة من البدار الى الله رفع بهم عز وجل وعالهم ليقيم نفوس المتخلفين عن الهجرة وهم الذين فتنهم
الكفار الى الحصول في هذه المرتبة والسيات الكفر وما اشتمل عليه ويدخل في ذلك العاصي من المومنين
مع الاعمال الصالحة واجتناب الكباير في قوله ولنجزينهم احسن حذف مضاف تقديره ثواب احسن الذي
كانوا يعملون قوله ووصينا الانسان روي عن قتادة وغيره انها نزلت في شان سعد بن ابي
وقاص وذلك انه هاجر فحلفت امه ان لا تستظل بظل حتى يرجع اليها ويكفر بمحمد فلج هو في هجرته
فنزلت الاية وقيل بل نزلت في عياش بن ابي ربيعة وذلك انه اعتزاه في دينه نحو من هذا بعد
ان خدعه ابو جهل ورده الى امه لحديث في كتاب السيرة ولا مرية انها نزلت فيمن كان من المومنين
بمكة يشق جهاد ابويه في شان الاسلام او الهجرة فكان القصد في هذه الاية النهي عن طاعة الابوين
في مثل هذا العظيم الامر وكثرة الخطو فيه مع الله ثم انه لما كان بر الوالدين وطاعتهما من الحرم
الذي قد ركنه الشريعة واكدت فيه وكان من القوى عندهم الملتزم قدم تعالى النهي عن طاعتهما
قوله ووصينا الانسان الاية على معنى ان لا تخل ببر الوالدين لكن لا تسلطه على طاعة الله لا
سيما في معنى الايمان والكفر وقوله حسنا يحتمل ان ينتصب على المفعول وفي ذلك تجوز وتسهيله
كونه عاما لمعان كما تقول وصيتك خيرا ووصيتك شرا فعبر عن ذلك بجملة ما قلناه ويحسن ذلك
دون حروف جر وكون حرف الجر في قوله بوالديه لان المعنى ووصينا الانسان بالحسن في فعله
مع والديه ونظير هذا قول الشاعره عجبت من دهما اذ تشكونا ومن ابي دهما
اذ يوصينا ۝ خيرا بها كانما جافونا ۝ ويحتمل ان يكون المفعول الثاني في قوله بوالديه
وينتصب حسنا بفعل مضمر تقديره يحسن حسنا وينتصب انتصاب المصدر والجمهور على ضم الحا
وسكون السين وقرا عيسى بفتحهما وقال الجحدري في الامام مكتوب بوالديه احسانا قال
ابو حاتم يعني في الاحقاف وقال الثعلبي في مصحف ابي بن كعب احسانا ووجوه اعرابه كالتي تقدمت

ذو قرا حسنا وقوله الى مرجعكم وعيد في طاعة الوالدين في معنى الكفر ثم كرر تعالى التمثيل
بحالة المؤمنين العاملين لتحرك النفوس الى نيل مراتبهم قوله لندخلنهم في الصالحين مبالغة
على معنى في الذين هم في نهاية الصلاح وابعد غاياته فاذا تحصل للمؤمن هذا الحكم تحصل ثمرته
وجزاؤه وهو الجنة قوله ومن الناس الى قوله المنافقين نزلت في قوم من المسلمين كانوا بمكة
مختفين باسلامهم قال ابن عباس فلما خرج كفار قريش الى بدر اخرجوا معهم طائفة من هؤلاء
فاصيب بعضهم فقال المسلمون كانوا اصحابنا ولكن اكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الاية قال وكتب لمن بقي بمكة بهذه الاية اي لا عذر لهم فخرجوا
فلحقهم المشركون فاعطوهم الفتنة وردوهم الى مكة فنزلت فيهم هذه فكتب المسلمون اليهم بذلك
فخرجوا ويئسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الاية وكتب اليهم
بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم فنجا من نجا وقتل من قتل وقال
ابن زيد نزل قوله جعل فتنة الناس الاية في منافقين كفروا لما اوذوا وقوله جعل فتنة الناس
كعذاب الله اي صعب عليه اذى الناس حين صدوه وكان حقه ان لا يلتفت اليه وان يصبر
عليه في جنب نجاته من عذاب الله ثم ازال موضع تعلقهم ومغالطتهم انا كنا معكم ثم قررهم على
علم الله بما في صدورهم اي لو كان يقينا تاما واسلاما خالصا لما توقفوا ساعة ولركبوا كل
هول الى هجرتهم ودارها قوله وليعلمن الله الاية تفسيره على حد ما تقدم في نظيره وهنا انتهى
المدني من هذه السورة قوله وقال الذين كفروا روي ان قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة
وقيل بل كانت شائعة من كفار قريش قالوا لاتباع النبي عليه السلام ادخلوا في امرنا واقروا بالهتنا
واعبدوها معنا ونحن بيقيننا لا بعث بعد الموت ولا رجوع نتضمن لكم حمل خطاياكم فيما دعوناكم
اليه ان كان في ذلك درك كما تزعمون انتم وقولهم ولنحمل اخبار انهم حاملون خطاياهم على جهة التشبيه
بالثقل ولكنهم اخرجوه من صيغة الامر لانها اوجب واشد تاكدا في نفس السامع والمجازاة
وهذا نحو قول الشاعر فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت ان ينادي داعيان
ولكونه خبرا حسن تكذيبهم فيه فاخبر الله ان جميع ذلك باطل وانهم لو فعلوه لم يحمل عن احد من
هؤلاء المفتونين شيء من خطاياه التي تختص به وقرا الجمهور ولنحمل بجزم اللام وقرا عيسى ونوح

القارئ ولنحمل بكسر اللام وقرا داود بن ابي هند من خطيئتهم بفتح الطاء وكسر الياء وحكى عنه ابو عمرو
انه قرا من خطيئاتهم بكسر الطاء وهمزة وتاء بعد الالف وقال مجاهد الحمل هنا من الحمالة لا من الحمل
ثم اخبر تعالى عن اولئك الكفرة انهم يحملون اثقالهم من كفرهم الذي اجترحوه ويلتبسون به واثقالا
مع اثقالهم يريد ما يلحقهم من اغوائهم لغيرهم واتباعهم فانه يلحق كل داع الى ضلالة كفل منها
حسب الحديث المشهور ايما داع دعا الى هدى فاتبع عليه فله مثل اجور من اتبعه لا ينقص
ذلك من اجورهم شيئا وايما داع دعا الى ضلالة الحديث وهي وان كانت من اثقالهم فلكونها
بسبب غيرهم وعن غير كفر تلبسوه فرق بينها وبين اثقالهم ولم ينسبها الى غيرهم بل جعلها في رتبة
اخرى فقط فهم فيها انما يزرون وزر انفسهم وقد يترتب حمل اثقال الغير بما ورد عن النبي عليه
السلام انه قال يقتص للمظلوم بان يعطى من حسنات ظالمه فان لم يبق للظالم حسنة اخذ من
سيئات المظلوم فطرح عليه قوله وليسألن يريد على جهة التوبيخ والتقريع لا على جهة
الاستفهام ويفترون معناه يختلقون من الكفر ودعوى الصاحبة والولد لله وغير ذلك ولقد
ارسلنا نوحا الاية قصة فيها تسلية لمحمد عليه السلام عما تضمنته الايات قبلها من تعنت قومه
وفتنة للمؤمنين وغير ذلك وفيها وعيد لهم بتمثيل امرهم بامر نوح والواو في قوله ولقد عاطفة
جملة كلام على جملة والقسم فيها بعيد وقوله ارسلنا فلبث هذا العطف بالفاء يقتضي ظاهره
انه لبث هذه المدة رسولا يدعوا وقد يحتمل ان تكون المدة المذكورة مدة اقامته في قومه من لدن
مولده الى غرق قومه واما على التاويل الاول فاختلفوا في سنه التي بعث عندها فقيل
اربعون وقيل ثمانون وقال عون بن ابي شداد ثلثمائة وخمسون وكذلك يحتمل ان تكون
وفاته عليه السلام عند غرق قومه بعد ذلك بيسير وقد روي انه عمر بعد ذلك ثلثمائة وخمسين
عاما وانه عاش الفا وستمائة وخمسين سنة فاخذهم الطوفان يقتضي انه اخذ قومه فقط
وقد اختلف في ذلك فقالت فرقة انما غرق في الطوفان طائفة من الارض وهي المختصة بقوم
نوح وقالت فرقة هي الجمهور انما غرقت المعمورة كلها وهذا هو ظاهر الامر لاتخاذه السفينة
ولبعثه الطير يرتاد زوال الماء ولغير ذلك من الدلائل وينبغي ان يعترض هذا بان يقال كيف غرق
الجميع والرسالة الى البعض فالوجه في ذلك ان يقال ان اختصاص نبي بامة ليس هو بان لا يهتدي

بدعبرها ولا تبث العبادات فيهم لكن اذا كانت بنوة قايمة هذه المدة المطويلة والناس حولها
يعبدون الاوثان ولم يكن الناس يومئذ كثيرا لحلم القرب من ادم فلا محالة ان دعاه الى توحيد
الله فد كان بلغ الكل فنالهم الغرق لاعراضهم وتماديهم والطوفان العظيم الطاغي ويقال
ذلك لكل طام خرج عن العادة من ما او نار او موت ومنه قول الشاعر ۝
فجاهم طوفان موت جارف ۝ ووزنه فعلان تنا مبالغة من طاف يطوف اذا عم من كل
جهة ولكنه كثر استعماله في الماخاصة قوله ظالمون يريد بالشرك واصحاب السفينة
قد تقدم في غير هذه السورة والخلاف في عددهم وهم بنوه وقوم امنوا معه والضمير في جعلناها
يحتمل السفينة ويحتمل العقوبة ويحتمل النجاة والاية هنا العبرة والعلامة على قدرة الله
في شدة بطشه قال قتادة ابقاها اية على الجودي قوله وابرهيم يجوز ان يكون معطوفا
على نوحا او على الضمير في انجيناه ويجوز ان ينصبه فعل بتقدير واذكر ابرهيم وهذه القصة
ايضا تمثيل لقريش وكان نمرود واهل مدينته عبدة اصنام فدعاهم ابرهيم عليه السلام
الى توحيد الله وعبادته ثم قررهم ما هم عليه من الضلال وقرا جمهور الناس تخلقون افكا وقرا ابن
الزبير أفكا على وزن فعل وهو مصدر نحو الكذب والضحك واختلف في معنى ذلك فقال ابن عباس
هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا توسعا من حيث يفترون بها الافك في انها الهة وقال
مجاهد هو اختلاق الكذب في امر الاوثان وغير ذلك وقرا ابو عبد الرحمن وعون العقيلي وقتادة
وابن ابي ليلى وتخلقون بفتح الخا وتشديد اللام مفتوحة والاية على هذه القراة اللذين ثم وقفهم
على جهة الاحتجاج عليهم بامر يفهمه عامتهم وخاصتهم وهو امر الرزق فقعدوا ان الاصنام لا ترزق
وامرنا بتبغا الخير عند الله وخص الرزق لمكانته من الخلق فهو جزء يدل على جنسه كله ۝
قوله واشكروا له اي اشكروه يقال شكرتك وشكرت لك بمعنى واحد ثم اخبرهم بالمعاد
والحشر اليه ۝ وان يكذبوا فيها وعيدا اي فقد كذب غيركم فعذب وانما على الرسول البلاغ
وكل احد بعد ماخوذ بعمله وقرا حمزة والكسائي وعاصم بخلاف عنه اولم تروا بالتا الباقون
باليا الاولى على المخاطبة والثانية على الحكاية عن الغايب وقرا الجمهور يبدئ وقرا عيسى وابو
عمرو بخلاف والزهري يبدو وهذه الاحالة على ما يظهر مع الاحيان من احيا الارض والنبات

واعادته ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور والحشر ويحتمل ان يريد اولم يروا
بالدلايل والنظر كيف يجوز ان يعيد الله الاجسام بعد الموت وهو نا وقيل قتادة وقال
الربيع بن انس المعنى كيف يبدا خلق الانسان ثم يعيده الى احوال اخر حتى الى التراب وقال
مقاتل الخلق في هذه الاية الليل والنهار ثم امر الله تعالى نبيه ويحتمل ان يكون ابرهيم ويحتمل
ان يكون محمدا عليهما السلام ان كان في قصة ابرهيم اعتراض بين كلامين بان يامرهم على جهة الاحتجاج
بالسير في الارض والنظر في كل قطر وفي كل امة قديما وحديثا فان ذلك يوجدان لا خالق الا الله ولا يبتدئ
بالخلق سواه ثم ساق على جهة الخبر ان الله يعيد وينشئ النشاة للقيام من القبور وقرات فرقة النشاة
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالمد على وزن الفعالة وهي قراة الاعرج كما تقول رافة ورآفة وقرا الباقون
النشاة على وزن الفعل وقرا الزهري النشة بشين مشددة في جميع القران والبعث من القبور
يقوم دليل العقل على جوازه واخبرت الشرايع بوقوعه ووجوده قوله يعذب من يشا
المعنى بتيسير من يشا الاعمال من حق عليه العذاب وبتيسير من يشا الاعمال من سبقت له الرحمة فيتعلق
الثواب والعقاب بالاكتساب المتعرف للاختراع الذي في اعمال العبد ثم اخبر بانه اليه
المنقلب وان البشر ليس بمعجز ولا بمفلت في الارض ولا في السما ويحتمل ان يريد بالسما الهوا علوا اي ليس
للانسان حيلة صعدا او نزل حلي نحوه الزهراوي ويحتمل ان يريد السما المعروفة اي لستم بمعجزين في
الارض ولو كنتم في السماء وقال ابن زيد معناه ولا من في السما معجزان عصى ونظروه على هذا بقول
حسان بن ثابت ۝ فمن يهجو رسول الله منا ويمدحه وينصره سواء ۝ والنا ويل الاوسط
احسنها ونحوه قول الاعشى ۝ لو كنت في جب ثمانين قامة ولقيت اسباب السما بسلم ۝
ليعتورنك القول حتى تهره وتعلم اني لست عنك بمجرم ۝ والولي احص من النصير وقرا يحيى
الحوث وابن القعقاع ييسوا بغير همز قال قتادة ذم الله قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا
من رحمتي ع وما تقدم من قوله اولم يروا الى هذه الاية المستانفة يحتمل ان يكون اعتراضا في
قصة ابرهيم ويحتمل ان يكون خطابا لابرهيم ومجاورة لقومه وعند آخر ذلك ذكر جواب قومه قوله
فما كان جواب قومه قرا الجمهور بالنصب وقرا الحسن بالرفع وكذا قرا سالم الافطس واخبر الله عنهم انهم
لما بين ابرهيم الحجج واوضح امر الدين رجعوا معه الى الغلبة والغشم وعدلوا عن طريق الاحتجاج حين لم يكن

لهم به قيل تنوا امره الى قتله او تحريقه بالنار وانفذوا امر تحريقه حسب ما قد اقتص في غير
هذا الموضع وانجاه الله من نارهم بان جعلها عليه وسلاما قال كعب الاحبار ولم تحرق النار الا
الحبل الذي اوثقوه به وجعل ذلك اية وعبرة ودليلا على وحدانيته لمن شرح صدره ويسره
للايمان اى هذا الصنف ينتفع بالايه والكفار هي عليهم عمي وان كانت في نفسها ايه للكل ثم ذكر
ان ابرهيم قررهم على ان اتخاذهم الاوثان والاصنام والانصاب انما كان اتباعا من بعضهم لبعض
وحفظا لمودات بينهم ومحبتهم الدنيويه وانهم يوم القيمة يجحد بعضهم بعضا ويتلاعنون لان تواددهم
كان على غير تقوى والاخلا يومئذ الايه وقرا عاصم فيما روى الاعمش عن ابي بكر عنه مودة بالرفع بينكم
بالنصب وهي قراة الحسن وابي حيوه وقرا ابو عمرو وابن كثير والكساي وعاصم في روايه المفضل مودة
بينكم بالرفع والاضافه وقرا نافع وابن عامر وعاصم في روايه ابي بكر وابو عمرو في روايه ابي زيد
مودة منونا منصوبا بينكم نصبا وقرا حمزه مودة بينكم بالنصب والاضافه فاما قرا الرفع في مودة
فوجهها ان يكون ما بمعنى الذي وفي قوله اتخذتم ضمير عايد على الذي وهذا الضمير هو مفعول اول
لاتخذتم واما مفعول ثان ومودة خبر ان في قراة من نونها ومن لم ينونها ويجوز ان يكون ما كافه
ولا يكون في اتخذتم ضمير ويكون قوله اوثانا مفعولا لقوله اتخذتم ثم يقتصر عليه وتقدير الثاني الهه
او نحوه كما يقدر قوله ان الذين اتخذوا العجل اي الها سينالهم غضب ويكون قوله مودة خبر ابتدا
تقديره هي مودة وفي هذه القراة مجاز واتساع في تسميه الاوثان مودة او يكون ذلك على حذف
مضاف واما من نصب مودة فعلى ان ما كافه وعلى صله اتخذتم من الضمير والاقتصار على المفعول
الواحد كما تقدم ويكون نصب المودة على المفعول من اجله ومن اضاف في القراتين الرفع والنصب
تجوز في ذلك واجرى الظرف مجرى الاسما ومن نصب بينكم في القراتين النصب والرفع في مودة فكذلك
يحتمل ان ينتصب انتصاب الظروف ويكون متعلقا بمودة وكذلك في الحياة الدنيا ظرف ايضا
متعلق بمودة وهو مصدر عمل في ظرفين من حيث افترقا بالمكان والزمان ولو كانا لواحد منهما لم
يجز ذلك تقول رايت زيدا امس في السوق ولا تقول رايت زيدا امس البارحه اللهم الا ان
احد الظرفين جزء الاخر تقول رايت زيدا امس عشيته ويجوز ان ينتصب بينكم على انه صفة لمودة
فهنا حذف مقدر تقديره مودة ثابته بينكم وفي الظرف ضمير عايد على مودة لما حذفت ثابته

استقر الضمير في الظرف نفسه وقوله في الحياة الدنيا ظرف في موضع الحال من الضمير الكاين
في بينكم بعد حذف ثابته فهذه الحال متعلقة بمودة وجاز تعلقها بها وهي قد وصفت لان معنى
الفعل فيها وان وصفت فلا يمتنع ان يعمل معنى الفعل الا في المفعول واما في الظرف والحال فيعمل
قال مكي ويجوز ان يكون في الحياة صفة ثانيه لمودة ويكون فيها مقدر مستقر وفيها ضمير ثان
عايد على مودة فالتقدير على هذا مودة ثابته بينكم مستقرة في الحياة الدنيا ويصح ان يكون قوله
مودة في قراة من نصب مفعولا ثانيا لقوله اتخذتم ويكون في ذلك اتساع فتامله وفي مصحف ابي
بن كعب مودة بينهم بالهاء وفي مصحف ابن مسعود انما مودة بينكم قوله فامن له لوط معناه صدق
وهو فعل يتعدى بالبا واللام والقايل اني مهاجر هو ابرهيم قاله قتادة والنخعي وقالت فرقه هو لوط
ومما صح من القصص ان ابرهيم ولوطا هاجرا من قريتهما كوثا وهي في سواد الكوفة من ارض بابل الى بلاد
الشام فلسطين وغيرها قال ابن جريج هاجر الى حران ثم امر بعد الى الشام وفي هذه الهجرة كانت سارة
في صحبة ابرهيم واعتراها امر الملك والمهاجر المتباعد عن الامر وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه
رغبة في رضى الله وقد ذهب بهذا الاسم اصحاب رسول الله قبل الفتح وقوله العزيز الحكيم مع الهجرة
اليه صفتان تليقان تقتضي استحقاق التوكل عليه وفي قوله الى ربي حذف مضاف كانه يقول
الى رضى ربي او نحو هذا واسحق بن ابرهيم هو الذي بشر به في شيخه وبشر بيعقوب من وراءه وهو
ولد اسحق والكتاب اسم جنس اي جعل الله في ذرية ابرهيم جميع الكتب الاربعة المنزلة وعيسى من ذريته
قوله اجره في الدنيا يريد في حياته وحيث ادرك ذلك وسر به والاجر هو العافيه من النار في الدنيا
من الملك الجاير والعمل الصالح والثنا الحسن قاله مجاهد وان كل امة تتولاه قال ابن جريج والولد الذي
قرت به العين بحسب طاعة الله قاله الحسن ثم اخبر عنه انه في الاخرة من الصالحين اي في عدد الذين
نالوا رضى الله وفازوا برحمته وكرامته العليا قوله ولوطا نصب بفعل مضمر تقديره واذكر
لوطا والفاحشة اتيان الرجال في الادبار وهي معصية ابتدعها قوم لوط قوله ائنكم لتاتون
الرجال تقدم ذكر القراات في ائنكم وتقطعون السبيل اختلفوا فيه هنا فقالت فرقة كان
قطع الطريق بالسلب فاشيا فيهم وقال ابن زيد كانوا يقطعون الطرق على الناس لطلب الفاحشة
وكانوا يجبون وقالت فرقة بل اراد قطع سبيل النسل في ترك النسا واتيان الرجال وقالت فرقه

وان

ايذاءا لهم لقبح الاحدوثة عنهم يقطعون سبيل الناس عن قصدهم في التجارات وغيرها والنادي
المجلس الذي يجتمع فيه الناس وهو اسم جنس لان الاندية في المدن كثيرة فكانه قال وتاتون في
اجتماعكم حين اجتمعتم واختلف الناس في المنكر فقالت فرقة كانوا يحذفون الناس بالحصا ويسخرون
بالغريب والخاطر عليهم ورونه ام هاني عن النبي عليه السلام وكانت حلقهم مهملة لا يربطهم دين ولا
مروة وقال مجاهد ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقال القاسم بن محمد انهم
كانوا يتضاعلون في مجالسهم ذكره الزهراوي وقال ابن عباس كانوا يتضارطون ويتصافعون
في مجالسهم وقال مجاهد ايضا كان من امرهم لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحنا والصفير والحذف
ونبذ الحيا في جميع امورهم وقد توجد هذه الامور في بعض عصاة امة محمد فالتناهي واجب فلما
وقفهم على هذه القبائح رجعوا الى التكذيب واللجاج فقالوا ايتنا بالعذاب اي ان ذلك لا
يكون ولا يقدر عليه وهم لم يقولوا هذا الا وهم مصممون على اعتقاد كذبه وليست يصح في الفطرة ان يقول
هذا معاند ثم استنصر لوط ربه عليهم لعذابهم وحجهم بالحاصب فجاوا ابرهيم اولا مبشرين بنصرة
لوط على قومه وكان لقاوهم لابرهيم على ما ثبت في غير هذا فلفظة البشرى في هذه
الاية تتضمن امر اسحق ونصرة لوط ولما اخبروه باهلاك القرية على ظلمهم اشفق على لوط
فعارضهم بامره كما سياتي في قوله قال ان فيها لوطا روي عن ابن عباس ان ابرهيم لما علم
من قبل الملائكة ان قرية لوط تعذب اشفق على المومنين فجادل الملائكة وقال لهم ارايتم ان
كان فيها مائة بيت من المومنين اتتركونهم قالوا ليس فيهم ذلك فجعل ينحط حتى انتهى الى عشرة
ابيات فقالت الملائكة ليس فيها عشرة ولا خمسة ولا ثلاثة ولا اثنان فحينئذ قال ابرهيم ان فيها
لوطا فاجابوه حينئذ بانا نحن اعلم بمن فيها اي لا تخف ان يقع حيف على مومن وقرا نافع وابو عمرو
وابن عامر لننجينه ومنجوك بالتشديد وقرا حمزة والكسائي بالتخفيف وكذا منجوك وقرا ابن كثير
وعاصم في رواية ابي بكر الاولى بالتشديد والثانية بالتخفيف وقرات فرقة لننجينه بسكون
النون الثالثة من الكلمة وهي الاخيرة وهذا انما يجي على التخفيف للمشددة وهو يوكدها وامراه
هذه كافرة تعين عليه وتنبه على اضيافه والغابر الباقي في العذاب وقالت فرقة من الغابرين
اي ممن عمر وبقي من الناس وعسا وكبرة والضمير في بهم في الموضعين عايد على الاضياف والرسل

وذلك

وذلك لخوفه من قومه عليهم فلما اخبروه بانهم ملائكة فرج عنه وقرا عاصم سيء بكسر السين وقرا
عيسى وطلحة بضمها والرجز العذاب وقوله بما كانوا يفسقون اي عذابهم بسبب فسقهم
وكذلك كل امة عذبها الله فانما عذابها على الفسق والمعصية لكن بان يقترن ذلك بالكفر الذي
يوجب عذاب الاخرة وقرا ابو حيوة والاعمش يفسقون بكسر السين قوله ولقد تركنا منها اي
من خبرها وما بقي من اثارها فمن لابتدا الغاية ويصح ان يكون للتبعيض على ان يريد ما ترك من
بقايا بنا القرية ومنظرها والاية موضع العبرة وعلامة القدرة ومزدجر النفوس عن الوقوع
في سخط الله وقرا جمهور القرا منزلون بتخفيف الزاي وقرا ابن عامر بالتشديد وهي قراءة الحسن
وعاصم بخلاف عنهما وقرا الاعمش انا مرسلون بدل منزلون وقرا ابن محيصن رجزا بضم الرا قوله
والى مدين اخاهم شعيبا نصب شعيبا بفعل مضمر يحسن مع الى تقديره وبعثنا او وارسلنا وامر
شعيب بعبادة الله والايمان بالبعث واليوم الاخر ومع الايمان به يصح رجاوه وذهب ابو عبيدة الى
ان المعنى وخافوا ولا تعثوا معناه تفسدوا يقال عثا يعثو وعث يعث وعثي يعثى اذا افسد
واهل مدين قوم شعيب هذا على انها اسم البلدة وقيل مدين اسم القبيلة واصحاب الايكة غيرهم وقيل
هم بعضهم ومنهم وذلك ان معصيتهم في امر الموازين والمكاييل كانت واحدة والرجفة هزة الارض
وزلزلتها عليهم وتداعيها بهم وهذا نحو من الخسف ومنه الارجاف بالاخبار والجثوم في هذا
الموضع تشبيه اي كان همودهم على الارض كالجثوم الذي هو للطاير والحيوان ومنه قول
لبيد ۞ فغدوت في غلس الظلام وطيره غلب على خطل العصاة جثوم ۞ قوله
وعادا منصوب بفعل مضمر تقديره واذكر عادا وقيل هو معطوف على الضمير في قوله فاخذتهم
وقال الكسائي معطوف على قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم وقرا وثمودا منونا عاصم وابو عمرو وابن
وثاب وقرا بغير تنوين ابو جعفر وشيبة والحسن وقرا يحيى بن وثاب وعاد وثمود بالخفض فيهما
والتنوين ثم دل عز وجل على ما تعطيه العبرة في بقايا مساكنهم ورسوم منازلهم ودثور اثارهم
وقرا الاعمش تبين لكم مساكنهم دون من قوله وزين لهم عطف جملة من الكلام على جملة والسبيل
هي طريق الايمان بالله ورسله ومنهج النجاة من النار وقوله مستبصرين قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك معناه لهم بصيرة في كفرهم واعجاب به واصرار عليه بذمهم بذلك وقيل لهم بصيرة في ان

الرسالات والايات حتى لكنهم كانوا مع ذلك يكفرون عنادا او يردهم الضلال الى تجاهلهم وما الفه
فجرى هذا مجرى قوله في غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وتدبير الشياطين هو بالوسواس
وما جاه صاحبوا الناس وتزيين الله الشي هو بالاختراع وخلق محسنه والتلبس به في نفس العبد ٥
قوله وقارون وفرعون وهامان نصب بفعل تقديره واذكروا وبالعطف على ما تقدم وقارون
من بني اسرائيل وقد تقدمت قصته وفرعون مشهور وهامان وزيره وهو من القبط والبينات
المعجزات والايات الواضحة وسابقين معناه متفلتين احدنا وعقابنا وقيل معناه سابقين
اولياءنا وقيل معناه سابقين الامم الى الكفر اي فقد كانت عادة امم مع رسل والذين ارسل عليهم
الحاصب قال ابن عباس هم قوم لوط ويشبه ان يدخل قوم عاد في الحاصب لان تلك الريح لا
لابد انها كانت تحصبهم بامور موذيه والحاصب هو العارض من ريح او سحاب اذا رمى بشي ومنه
قول الفرزدق ٥ مستقبلين شمال الشام تضربهم بحاصب كنديف القطن منثور ٥
ومنه قول الاخطل ٥ ترمي العضاه بحاصب من ثلجها حتى يبيت على العضاه جفالا ٥
والذين اخذتهم الصيحة قوم ثمود قاله ابن عباس وقال قتادة هم قوم شعيب والخسف كان بقارون
قاله ابن عباس ويشبه ان يكون اصحاب الرجفة في هذا النوع من العذاب والغرق كان في قوم نوح
ومنه فسر ابن عباس وفي فرعون وحزبه وبه فسر قتادة وقال وظلمهم انفسهم كان بالكفر
ووضع العبادة غير موضعها وقدم المفعول على يظلمون للاهتمام به وهذا اجرا باك نعبد وغيره
وحكى الطبري عن قتادة ان رجفة قوم شعيب كانت صيحة ارجفتهم فهم على هذا مع ثمود قوله
مثل الذين اتخذوا الاية شبه الكفار في عبادتهم الاصنام وبنائهم جميع امورهم على ذلك بالعنكبوت
التي تبني وتجتهد وامرها كله ضعيف متى مسته ادنى هابة اذهبته فكذلك امر اولئك وسعيهم
مضمحل لا قوة له ولا معتمد وروي عن علي طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر
قوله لو كانوا اي ان هذا مثلهم وان حالهم ونسبتهم من الحق هذه الحال قوله ان الله يعلم ما تدعون
من دونه قرا ابو عمرو وسلام يعلم ما بالادغام وقرا عامة القرا بالفك وقرأوا تدعون بالتاء من فوق
وقرا ابو عمرو وعاصم بخلاف بالياء من تحت على الغيبة فاما موضع ما من الاعراب فقيل معناه ان الله
يعلم ما تدعون من دونه من جميع الاشياء ان حالهم هذه وانهم لا قدرة له وقيل قوله ان الله يعلم اجاد

تام

تام وقوله وهو العزيز الحكيم متصل به واعترض بين المتلاصين ما تدعون من دونه من شي وذلك
على هذا النحو من النظر يحتمل معنيين احدهما ان تكون ما نافية اي لستم تدعون شيئا له بال ولا قدر ولا خلاف
فيصلح ان يسمى شيئا وفي هذا تعليق يعلم وفيه نظر والثاني ان تكون ما استفهاما كانه قرر على
جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الاشيا ما هو اذ لم يكن الله تعالى اي ليس لهم على هذا التقدير
جواب مقنع البتة ثم على القول الاول والثالث للتبعيض المجرد وعلى القول الوسط هي زايدة
في الجحد ومعناها التاكيد وقال ابو علي ما استفهام نصب بتدعون ولا يجوز نصبها بيعلم والجملة
التي هي منها في موضع نصب بيعلم والتقدير ان الله يعلم ما تدعون من دونه ولا يخفى عليه ذلك قوله
وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل ونحوه ونضربها ماخوذ من الضرب الى النوع كما تقول هذا
من ضرب واحد وهذا ضرب هذا اي قرينه وشبهه فكان ضرب المثل هو ان يجعل للامر الممثل ضريب
وياتي الاية بين ذ قراءة فرقة يدعون بالياء وفرقة بالتاء قال جابر قال النبي عليه السلام في قوله الا العالمون
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته قوله خلق الله السموات والارض بالحق
اي على امر يوقع الذهن على صغر قدر الاوثان وكل معبود من دون الله وقوله بالحق اي بالواجب النير لا
بالعبث واللعب بل ليدل على سلطانه ويثبت شرايعه ويضع الدلالات لاهلها ويعم بالمنافع الى غير
ذلك مما لا يحصى عدا ثم امر نبيه بالتعود لامره وتلاوة القران الذي اوحي اليه واقامة الصلاة اي
ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر حكما منه ان الصلاة تنهى صاحبها وتمثلها عن الفحشاء والمنكر وذلك
بان المصلي اذا كان على الواجب من الخشوع ويذكر الله ويتوهم الوقوف بين يدي العظمة وان قلبه واحلا صح
مطلع عليه مرقوب مصلحه لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله فاطرد ذلك في اقواله
واعماله وانتهى عن الفحشاء والمنكر ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة اخرى يرجع بها الى افضل
حاله فهذا معنى هذه الاخبار لان صلاة المومن هكذا ينبغي ان يكون وقد روي عن بعض السلف انه كان
اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال اني واقف بين يدي الله وحق لي هذا مع ملوك
الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن كانت صلاته دايرة حول
الاجزاء لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضايل فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان فان كان على طريقه
معاص تبعده من الله تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن

والاعمش قولهم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وقد روي ان الحسن ارسله
عن النبي عليه السلام وذلك غير صحيح السند سمعت ابي يقول فاذا قررناه ونظر معناه فغير جائز ان يقول
نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كانها معصية وانما يتخرج ذلك على انها لا تؤثر في تقريبه من الله
بل تتركه ومعاصيه من الفحشاء والمنكر تبعده فلم تزده الصلاة الا تقرير ذلك البعد الذي كان بسبيله
فكانها بعدته حين لم تكف بعده عن الله وقيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة فقال انها لا تنفع الا
من اطاعها وقرا الربيع ابن انس ان الصلاة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر وقال ابن عمر الصلاة
هنا القران وقال حماد بن ابي سليمان وابن جريج والكلبي ان الصلاة تنهى ما دمت فيها وهذه عجمة واين
هذا مما رواه انس بن مالك قال كان فتى من الانصار يصلي مع النبي عليه السلام ولا يدع شيئا من الفواحش
والسرقة الا ركبه فقيل ذلك للنبي عليه السلام فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت
حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم قوله ولذكر الله اكبر قال ابن عباس وابو الدردا
وسلمان وابن مسعود وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل معناه ولذكر الله
اكبر مع المداومة في النهي من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر وقال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله
اكبر من كل شي وقيل لسلمان اي الاعمال افضل فقال اما تقرا القران ولذكر الله اكبر كانه ومنه حديث
الموطا عن ابي الدردا الا اخبركم بخير اعمالكم الحديث وقيل معناه ولذكر الله كبير على الاطلاق اي هو الذي
ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لان الانتهاء
لا يكون الا من ذاكر لله مراقب له وثواب ذلك الذاكر ان يذكره الله كما في الحديث ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا
خير منه والحركات التي في الصلاة لا تاثير لها في نهي والذكر النافع هو مع علم العلم واقبال القلب وتفرغه
الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور
العلم وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال عز وجل فاذكروني اذكركم وباقي الاية ضرب من التوعد والحث على
المراقبة قوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا قرا الجمهور على الاستثنا وقرا ابن عباس الا بفتح الهمزة وتخفيف
اللام واختلف المفسرون في المراد بهذه الاية فقال ابن زيد معناها لا تجادلوا من آمن بمحمد من اهل
الكتاب فكانه قال اهل الكتاب المومنين الا بالتي هي احسن اي بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار اوائلهم
وغير ذلك وقوله على هذا التاويل الا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وغدر من بني قريظة

من النضير والاية على هذا محكمة غير منسوخة وقال مجاهد المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى
الباقون على دينهم امر الله المومنين ان لا يجادلوهم الا بالاحسن من الدعا الى الله والتنبيه على
اياته وان يزال معهم عن طريق الاغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا التاويل الا الذين ظلموا معناه
ظلموكم والا فكلهم ظالم على الاطلاق فيراد به من لم يؤد جزية ونصب الحرب ومن قال وصرح
بان لله ولدا وشريكا ويده مغلولة فالاية على هذا منسوخة فيما دون من لم يحارب قال
قتادة هي منسوخة بالسيف والذي يتوجه في معنى الاية انما يتضح مع معرفة الحال في وقت نزولها
وذلك ان السورة مكية بعد الايات العشر الاول ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب
جزية ولا غير ذلك وكانت اليهود بمكة وما جاورها وربما وقع بينهم وبين بعض المومنين جدال واحتجاج
في امر الدين وتكذيب فامر الله المومنين ان لا يجادلوهم بالمحاجة الا بالحسنى دعا الى الله وملاينة ثم
استثنى من ظلم المومنين اما بفعل او بقول او باذاية محمد عليه السلام او باعلان كفر فاحش كقول
بعضهم عزير ابن الله ونحو هذا فان هذه الصنيفة استثني لاهل الاسلام معاوضتها بالتغيير عليها
والخروج معها عن التي هي احسن ثم نسخ هذا بعد باية القتال والجزية هذا قول قتادة قوله
وقولوا امنا الاية قال ابو هريرة كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية
للمسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالذي انزل الينا الاية وروى ابن مسعود ان النبي عليه السلام قال لا تسالوا اهل الكتاب عن شي
فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بالحق او تصدقوا بباطل قوله وكذلك انزلنا تقدم
في الذي قبلها ما يقتضي نزول شرع وكتاب من عند الله على انبيا قبل محمد فحسن لذلك عطف كذلك
انزلنا اليك على ما في الضمير اي وكما انزلنا على من تقدمك انزلنا اليك الكتاب وهو القران فالذين
اتيناهم الكتاب يريد التوراة والانجيل فالذين كانوا في عصر نزول الكتاب واوتوه جميعا يؤمنون به
اي كانوا مصدقين بهذا الكتاب الذي انزلناه اليك فالضمير في به عائد على القران ثم اخبر عن معاصري
محمد ان منهم ايضا من يؤمن به ولم يكونوا امنوا بعد ففي هذا اخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك ثم
انحى على الجاحدين من امه فقامت سلفها في القديم وبعضها في الحديث وحصل الجاحدون منهم في
اخس رتبة من الضلال ويشبه ان يراد ايضا في هذا الانحا كفار قريش مع كفار بني اسرائيل ثم بين تعالى

الحجة على المبطلين المرتابين فاوضح ان مما يقوي نزول هذا القران من عند الله ان محمدا جاء به
في غاية الاعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا يتلوا كتابا ولا
يخط حروفا ولا سبيل له الى التعلم فانه من كان يقرا الارتاب المبطلون وكان لهم في ارتيابهم متعلق
واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده قال مجاهد كان اهل الكتاب يجدون في
كتبهم ان محمدا لا يخط ولا يقرا ولا يخط كتابا فنزلت هذه الآية وذكر النقاش في تفسيرها عن الشعبي
انه قال ما مات النبي عليه السلام حتى كتب واسند ايضا حديثا الى ابي كبشة السلولي
مضمنه انه عليه السلام قرا صحيفة لعيينة بن حصن واخبر بمعناها وهذا كله ضعيف وقول
الباجي منه قوله بل هو آيات اضراب عن مقدر من الكلام يقتضيه ما تقدم كانه قال ليس الامر
كما حسبوا بل هو وهذا الضمير يحتمل ان يعود على القران ويؤيده ان في قراءة ابن مسعود بل هي
آيات بينات ويحتمل ان يعود على محمد عليه السلام ويؤيده ان قتادة قرا بل هو آية بينة
على الافراد وقال المراد النبي ويحتمل ان يعود على امر محمد في انه لم يتل ولا خط ولكل احتمال
قائل فرقة وكون هذا آيات اي علامات في صدور العلماء من المؤمنين بمحمد يراد به مع النظر
والاعتبار والظالمون والمبطلون قيل يعم لفظها كل مكذب بمحمد ولكن عظم الاشارة بهما الى
قريش لانهم الاهم قاله مجاهد وقال قتادة المبطلون اليهود وقالوا لولا انزل هم قريش
وبعض اليهود لانهم كانوا يعلمونهم مثل هذه الحجة يقولون لم لا يأتيكم بمثل ما جاء به موسى
من العصا وغيرها وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وعلي بن نصر عن ابي عمرو
آية من ربه وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص عن عاصم آيات فامر الله نبيه ان يعلمهم
ان هذا الامر بيد الله لا يستنزله الاقتراح والتمني وانه بعث نذيرا ولم يؤمر بغير ذلك وفي
مصحف ابي بن كعب قالوا لولا يأتينا بآيات من ربه قل انما الآيات ثم احتج عليهم في طلبهم آية
بامر القران الذي اعظم الآيات ومعجز للجن والانس فقال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب ثم
فسر ما فيه من الرحمة والذكرى للمؤمنين بقوله اولم يكفهم لمن قال لولا انزل وحكى الطبري ان
هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين كتبوا عن اليهود بطائق اخبروهم بشيء من التوراة وكتبوه
فانكر ذلك رسول الله وقال كفى بها ضلالة قوم قد رغبوا عما اتاهم به نبيهم الى ما اتاهم به غيره

ونزلت الآية بسببه والتاويل الاول اجرى بنسق الآيات ثم امر تعالى نبيه بالاسناد الى امر الله وان
يجعله حسبه شهيدا وحاكما بينه وبينهم بعلمه وتحصيله جميع امورهم وقوله بالباطل يريد
بالاصنام والاوثان وما يتبع امرها من المعتقدات والباطل هو ان يفعل فعل يراد به امر ما
وذلك الامر لا يكون عن ذلك الفعل والاصنام ارتباط امرها ان لا كمال وان لا تنجح الا رفضها فهي اذا
باطل وباقي الآية بين قوله ويستعجلونك بالعذاب يريد كفار قريش في قولهم ائتنا بما تعدنا
وغير ذلك من استدعائهم على جهة التعجيز والتكذيب عذاب الله الذي يتوعدهم محمد عليه السلام
به ثم اخبر تعالى انه ياتيهم بغتة اي فجاة وهذا هو عذاب الدنيا وهو الذي ظهر يوم بدر وفي السنين
السبع ثم ذكر ان ماخذه انما هو بحسب الاجل المقدور السابق وذكر المفسرون عن الضحاك ان
الاجل المسمى في هذه الآية وهذا ضعيف يرده النظر والآجال لا محالة الاجل المسمى ولكن ليس
هذا موضعها ثم توعدهم بعد بعذاب الآخرة في قوله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم كرر
فعلهم وقبحه واخبر ان وراهم احاطة جهنم بهم وقال عكرمة فيما حكى الطبري ان جهنم هاهنا
اراد بها البحر وهذا ضعيف وقوله يوم يغشاهم ظرف العامل فيه قوله محيط ويغشاهم معناه
يغطيهم من كل جهة من جهاتهم وقرا نافع وعاصم وحمزة والكسائي ويقول اي ويقول الله وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ونقول بالنون فاما ان يكون نون العظمة او نون جماعة الملائكة
وقرا ابن مسعود ويقال بيا والف وهي قراءة ابن ابي عبلة وقوله ذوقوا توبيخ وتشبيه
مس العذاب بالذوق ومنه قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ومنه قول ابي سفيان ذق
عقق ونحو هذا كثير وقوله بما كنتم تعملون اي بما في اعمالكم من اكتسابكم قوله يا عبادي
الذين آمنوا نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة فاخبرهم بسعة ارضه وان البقاء
في بقعة على اذى الكفار ليس بصواب بل الصواب ان يلتمس عبادة الله في ارضه وقال ابن جبير
وعطا ومجاهد ان الارض التي فيها الظلم والمنكر يترتب فيها هذه الآية وتلزم الهجرة عنها الى بلد
حق قاله مالك وقال مطرف بن الشخير ان ارضي واسعة عدة لسعة الرزق في جميع الارض
وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يا عبادي بفتح الياء وقرا ابن عامر وحده ان ارضي بفتح الياء ايضا
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بسكونها وكذلك قرا نافع وعاصم ارضي ساكنة الياء وقوله

فاياي منصوب بفعل مقدر يدل عليه الظاهر تقديره فاياي فاعبدون على الاهمال ايضا
التقدير وقوله كل نفس ذايقة الموت ثم الينا ترجعون تحقير لامر الدنيا ونجاتها وكان
بعض المومنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه انه يموت او يجوع ونحوها فحقر الله شان
الدنيا اي انتم لا محالة ميتون ومحشورون الينا فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه اولى ما
يمتثل وقرا الجمهور ترجعون بالتا من فوق وروي عن عاصم بالياء من تحت وذكرها ابو حاتم عن
ابي عمرو وقرا ابو حيوة كل نفس ذايقة الموت بالتنوين الموت نصبا ثم وعد المومنين العاملين
بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى وذكر الجزا الذي ينالونه وقرا جمهور القرا لنبوينهم من المباءة اي
لننزلنهم ولنمكننهم ليبذوقوا فيها وغرفا مفعول ثان لانه فعل يتعدى الى مفعولين وقرا حمزة
والكسائي لنثوينهم من اثوى يثوي بمعنى اقام وهي قراة علي بن ابي طالب وابن مسعود والربيع
بن خثيم وابن وثاب وطلحة لا بالهمزة فقوله غرفا نصب باسقاط حرف الجر التقدير في غرف
وقرا يعقوب ليبوينهم بالياء من تحت وروي عن ابن عامر غرفا بضم الغين والرا ثم وصفهم
بالصبر والتوكل وهذه جماع الخير كله اي الصبر على الطاعات وعن الشهوات قوله
وكاين بمعنى كم وهذه الاية ايضا تحريض على الهجرة لان بعض المومنين فكر في الفقر والجوع
الذي يلحقه في الهجرة قالوا غربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار فلا من يطعم فمثل لهم بالكثير
الدواب التي لا تقوت ولا تدخر ولا تروي في رزقها المعنى فهو يرزق فكم انتم فتفضلوا طاعة
على كل شي وقوله لا تحمل رزقها يجوز ان يريد اي لا تستقل ولا تنظر في ادخاره قاله ابو
مجلز ومجاهد وعلي بن الاقمر والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال عليه السلام لابن عمر
كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس يخبون رزق سنة لضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحمالة
اي لا تتكفل لنفسها ولا تروى فيه ثم خاطب تعالى في امر الكفار واقامة الحجة عليهم بانهم
ان سيلوا عن الامور العظام التي هي دلايل القدرة لم يكن لهم الا التسليم بانها لله، ويوفكون
معناه يصرفون ونبه تعالى على خلق السموات وخلق الارض وتسخير الكواكب وذكر اعظمها
فاقتضى ذلك ما دونه ونبه على بسط الرزق وقدره لقوم وانزال من السما وهذه عبر كفيلة
لمن تامل بالنجاة والمعتقد الاقوم ثم امر تعالى نبيه بحمده على جهة التوبيخ لعقولهم وحكم عليهم بان

اكثر لا يعقلون ولا يسند منهم نظر قوله وما هذه الحياة الدنيا الاية وصفها الله هنا
بانها لهو ولعب اي ما كان منها لغير فاما ما كان لله فهو من الاخرة واما امور الدنيا التي تعين
على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فانما هو لهو ولعب وتامل ذلك
في الملابس والمطاعم والاقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر الى حالة الغني والفقير في الامور
الضروريات انهما واحدة كالتنفس من الهوا وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد وهذه
عظم امر العيش والحيوان والحياة بمعنى وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه والمعنى
لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال اصلها حييان فبدلت احداهما واوا للاجتماع المثلين
ثم وقفهم على حالهم في البحر عند الخوف العظيم فان كل بشر ينسى كل صنم وغيره ويتمسك بالدعا والرغبة
الى الله قوله اذا هم يشركون اي يرجعون الى ذكر اصنامهم وتعظيمها قوله ليكفروا نصب بلام
كي وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم وليتمتعوا بكسر اللام وقرا غيرهم بسكونها على صيغة امر
التهديد والوعيد على هذا عاطفة جملة كلام لا عاطفة فعل على فعل وفي مصحف ابي بن كعب تمتعوا
فسوف وفي قراة ابن مسعود لسوف ثم عدد على كفرة قريش نعمة عليهم في الحرم في انه جعله لهم امنا
لا خوف فيه من احوال العرب وغاراتهم وسوء افعالهم من القتل واخذ الاموال ونحو ذلك هو التخطف
الذي كان الناس بسبيله ثم قررهم على جهة التوبيخ على ايمانهم بالباطل وكفرهم بالله ونعمته وقرا
جمهور القرا يومنون بالياء من تحت وكذا يكفرون وقراهما بالتا الحسن وابو عبد الرحمن ومن
اظلم الاية قررهم على حال من افترى على الله كذبا او كذب باياته وهذه كانت حالهم واعلمهم انه لا احد
اظلم منهم وفي ضمن هذا وعيد شديد ثم ثنى الوعيد ايضا بالتقرير على امر جهنم والمثوى موضع الاقامة
والفاظ هذه الايات في غاية الاقتضاب والايجاز وجمع المعاني ثم ذكر حال اوليايه والجاهدين
فيه وقرن ذلك بذكر الكفرة الظلمة ليتبين ما بين الحالتين قوله معناه في مرضاتنا قال
السدي وغيره نزلت هذه الاية قبل فرض القتال ع فهي قبل الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام
في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن الاية في العباد وقال عباس وابرهيم بن ادهم هي في الذين يعملون
بما يعلمون وقد قال عليه السلام من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلما بقوله واتقوا
الله ويعلمكم الله وقال عمر بن عبد العزيز انما قصرنا عن علم ما جهلنا لتقصيرنا في العمل بما علمنا

وقال ابو سليمن الداراني ليس الجهاد في هذه الاية قتال العدو فقط بل هو نصر الدين والرد على
المبطلين والقمع للظالمين وعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة
الله وهو الجهاد الاكبر وقال سفين بن عيينه لابن المبارك اذا رايت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين
واهل الثغور فان الله يقول لنهدينهم سبلنا الايه وقال الضحاك المعنى والذين جاهدوا في الهجرة
لنهدينهم سبل الثبوت على الايمان والسبل هنا يحتمل ان تكون طرق الجنه ومسالكها ويحتمل ان تكون
سبل الاعمال المودية الى الجنة والعقائد النيرة قال يوسف بن اسباط هي اصلاح النية في
الاعمال وحب التزيد والفهم وهذا هو ان يجازي العبد على حسنه بازدياد حسنه وبعلم
يتفتح من علم متقدم وهي حال من رضي عنه وباقي الايه وعد ومع يحتمل ان يكون هنا اسما ولذلك
دخلت عليها لام التاكيد ويحتمل ان تكون حرفا ودخلت اللام لما فيها من معنى الاستقرار كما دخلت
في ان زيدا لفي الدار ؛

تفسير سورة الروم وهي مكية

لا خلاف احفظه في ذلك قوله
الم تقدم ذكرها غلبت الروم قرا الجمهور بضم الغين وقالوا معناها انه طرا عليها الملك كسرى
هزم جيش بلاد الروم قال مجاهد في الجزيرة وهو موضع بين العراق والشام وقال عكرمه باذرعات
وهي من بلاد العرب والشام قال مقاتل بالاردن وفلسطين فلما طرا ذلك سر الكفار فبشر
الله عباده بان الروم سيغلبون في بضع سنين وتكون الدولة لهم في الحرب وقرا ابو سعيد الخدري
وعلي بن ابي طالب ومعويه ابن قره وعبد الله بن عمر غلبت بفتح الغين واللام وتاويل ذلك ان الذي
طرا يوم بدر انما كان ان الروم غلبت فعز على كفار قريش ذلك وسر بذلك المسلمون فبشر
الله عباده انهم سيغلبون ايضا في بضع سنين ذكر هذا التاويل ابو حاتم والروايه الاولى والقراءة
بضم الغين اصح واجمع الناس على سيغلبون بفتح اليا يراد به الروم وروي عن ابن عمر انه قرا سيغلبون
بضم اليا وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظاهرت به الاخبار في الروايات وادنى الارض اي اقرب
فان كانت الواقعة في اذرعات فهي من ادنى الارض بالقياس الى مكه وهي التي ذكرها امرؤ القيس
بقوله ۝ تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي ۝ وان كانت
الواقعة بالجزيرة فهي ادنى بالقياس الى ارض كسرى وان كانت بالاردن فهي ادنى الى ارض الروم
قال ابو حاتم وقرئ في ادنى الارض وقرا جمهور الناس غلبهم بفتح اللام كما يقال الطلب حلبا

لك

لك اشتطره وقرا ابو عمرو بسكونها وهما مصدران بمعنى واحد اضيف الى المفعول وروي في
قصص هذه الاية عن ابن عباس وغيره ان الكفار لما فرحوا اعلنة بغلب الروم بشر الله نبيه والمومنين
بان الروم سيغلبون في بضع سنين اي من الثلث الى التسع على مشهور قول اللغويين كانه
تبضيع العشرة اي تقطيعها وقال ابو عبيدة من الثلث الى الخمس وقوله مردود فلما نزلت
بذلك خرج ابو بكر الصديق الى المسجد فقال ابشركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله
انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف وامية اخوه وقيل ابو سفين بن حرب
تعال يا ابا فصيل يعرضون بكنيته ما ابكر فلنتناحب اي نتراهن في ذلك فراهنهم ابو بكر الصديق
قال قتاده وهذا قبل ان يحرم القمار وجعل الرهن خمس قلايص والاجل ثلاث سنين فاخبر
النبي بذلك فقال له ان البضع الى التسع ولكن زدهم في الرهن واستزدهم في الاجل ففعل
ابو بكر فجعلوا القلايص مايه والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم في اثنا الاجل فروي عن ابي
سعيد الخدري ان ايقاع القرين بالروم كان يوم بدر وروي يوم الحديبيه وان الخبر بذلك وصل
يوم بيعة الرضوان روي نحوه عن قتاده وفي كلي اليومين كان نصر من الله للمومنين وذكر الناس ان
سبب سرور المسلمين بغلبة الروم وهمهم ان تغلب وكون المشركين من قريش على ضد ذلك انما هو
ان الروم اهل كتاب كالمسلمين والفرس اهل اوثان او نحوه من عبادة النار ككفار قريش والعرب
ويشبه ان يعلل ذلك بما يقتضيه النظر من محبه ان يغلب العدو الاصغر لانه ايسر مونه
ومتى غلب الاكبر كثر الخوف منه فتامل هذا المعنى مع ما كان النبي عليه السلام ترجاه من
ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه وغلبته على الامم واراده كفار قريش ان يرميه الله بملك يستاصله
ويريحهم منه وسنين جمع جمع من يعقل عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل سنه سنهه او سنوه
وكسر السين منه دلالة على ان جمعه خارج عن قياسه ونمطه ثم اخبر تعالى بانفراده بالقدرة وان ما
في العالم من غلبه وغيرها انما هي منه وبارادته وقدره فقال لله الامر اي انفاذ الاحكام من قبل
ومن بعد اي من بعد هذه الغلبة التي بين هاولا القوم وهما ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا
بحذف ما اضيف اليه وصارا متضمنين ما حذف فخالفا تعرف الاسما واشبها الحروف في التضمن
فبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد في انه اذا نكر واضيف زال بناوه وكذلك هما فضما

كالمنادي مبني على الضم وقيل في ذلك ايضا ان الفتح تعذر فيهما لانه حالهما في اظهار ما اضيف اليه
وتعذر الكسر لانها حالهما عند اضافتهما الى المتكلم فتعذر السكون لان ما قبل آخرهما ساكن
فلم يبق الا الضم فبنيا عليه ومن العرب من يخفضهما وينونهما فيبقى كما هو في الاضافة وان
حذف المضاف قوله ويومئذ يحتمل ان يكون عطفا على القبل والبعد كانه حصر الازمنة
الثلاثة الماضي والمستقبل والحال ثم ابتدا الاخبار بفرح المومنين بنصر الله وعلى هذا الاحتمال
فسر المفسرون والنصر الذي يفرح به المومنون يحتمل ان يشار به الى نصر الروم على فارس وهي نصرة
الاسلام لكلمة السبب الذي قد ذكرناها ويحتمل ان يشار به الى نصر يخص المسلمين على عدوهم
وهذا ايضا غيب اخبر به واخرجه الى الوجود اما يوم بدر واما يوم بيعة الرضوان ويحتمل ان
يشار به الى فرح المسلمين بنصر الله اياهم بالصدق فيما قال بينهم من الغلبة وهذا ضرب عظيم من
النصر وعد الله نصبه على المصدر المؤكد ولكن اكثر الناس يريد كفار قريش والعرب لا يعلمون
ان الامور من عند الله وان وعده لا يخلف وانما يورده نبيه حق هذا الذي ذكرناه هو جملة ما قيل
وقد حكى الطبري وغيره رواية يردها النظر وقول الجمهور من ذلك ان بعضهم قال انما نزلت وعد
الله الاية بعد غلبة الروم لفارس ووصول الخبر بذلك وهذا يقتضي ان الاية مدنية والسورة كلها
باجماع مكية قوله يعلمون ظاهرا الاية وصف الكفار الذين لا يعلمون امر الله وصدق وعده
انهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا واختلف الناس في معناه فقالت فرقة معنى ظاهرا
بينا اي ادته اليه حواسهم فكان علومهم انما هي علوم البهائم وقال ابن عباس والحسن والجمهور
معناه ما فيه الظهور والعلو في الدنيا في اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال
والفلاحات ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زائلا اي يعلمون امور الدنيا التي لا بقاء لها
ولا عاقبة ومثل هذه اللفظة قول الهذلي ۝
۝ وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ۝ وقال سعيد بن جبير
اشار الى ما يعلم من قبل الكهنة مما تسترقه الشياطين وقال الرماني كل ما يعلم باوائل العقول
فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن ع ومنه تقع الغفلة وتقصير الجهال ثم وصفهم بالغفلة
والاعراض عن امر الاخرة وكرر الضمير تاكيدا وغفلة الكافر هي عن عمل الكمال والمومن المنهمك

في امور الدنيا التي هي اكبر همه باخذ من هذه الاية بحظ ثم وقفهم على جهة التوبيخ على انهم قد فكروا فلم
تنفعهم الفكرة والنظر اذ لم يكن على سداد وقوله في انفسهم يحتمل معنيين احدهما ان تكون
الفكرة في ذواتهم وحواسهم وخلقهم ليستدلوا بذلك على الخالق المخترع ثم اخبر عقب هذا
المعنى بان الحق هو السبب في خلق السموات والارض فيفهم على طريقة الايجاز والاختصار
من فكر في نفسه علم الخبر ووقف على بصيرة نفسه والمعنى الثاني ان يكون المقوس ظرفا
للفكرة في خلق السموات والارض فيكون في انفسهم تاكيدا لقوله يتفكروا كما تقول ابصر
بعينك واسمع باذنك والكل تاكيد قوله الا بالحق اي بسبب المنافع التي هي حق وواجب
يريد من الدلالة عليه والعبادة له دون فتور والانتصاب للعبرة ومنافع الارزاق وغير
ذلك واجل عطف على الحق اي وباجل مسمى وهو يوم القيمة ففي الاية اشارة الى البعث والنشور
وفساد بنية من في هذا العالم ثم اخبر عن كثير من الناس انهم كفرة بذلك فعبر عنه بلقاء الله
لانه اعظم الامور وفيه النجاة او الهلكة قوله اولم يسيروا ايضا توبيخ على انهم ساروا ونظروا
اي ان ذلك لم ينفعهم حين لم يعتبروا بحسب العبرة وخوف العاقبة ولا بتوجه للفكرة اذ
يعارض منهم من لم يسر فيقول لم اسر لان كافة من سار من الناس قد نقلت الى من لم يسر فاستوت
المعرفة وحصل اليقين للكل وقامت الحجة وهذا بين قوله واثاروا الارض يريد بالمباني
والحرث والحروب وسائر الحوادث التي احدثوها كلها اثارة الارض بعضها حقيقة وبعضها
تجوز كان اثارة الارض والحيوان والمتاع اثارة للارض وقرا ابو جعفر واثاروا بتمديد الهمزة قال ابن
مجاهد ليس هذا بشيء قال ابو الفتح وجهها انه اشبع فتحة الهمزة فنشأت الف ونحوه قول ابن
هرمة ۝ فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح ۝ قال هذا من ضرورة
الشعر لا يجيء في القران وقرا ابو حيوة وآثروا بالمد وغير الف بعد الثاء من الاثرة والضمير في
عمروها الاول للماضين والثاني للحاضرين المعاصرين وباقي الاية بين تضمن الوعظ والتخويف
من عدل الله قوله ثم كان عاقبة قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو عاقبة بالرفع على انها اسم كان والخبر
يجوز ان يكون السوءى ويجوز ان يكون ان كذبوا ويكون السوءى على هذا مفعولا ثانيا واذا كان
السوءى خبرا فان كذبوا مفعول من اجله ولا يتجه تعلقه باساءوا لان في ذلك فصلا بين الصلة والموصول

بحو كان وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي عاقبة بالنصب على انها خبر مقدم واسم كان
احدهما تقدم والسوأى مصدر كالرجعى والعقبى والشورى وتكون صفة لمحذوف تقديره
الخلة السوأى والخلال قال ابو حاتم هذه قراءة العامة بالمد على الواو وفتح الهمزة وبيا ثابت
وبعض القرا فخم وبعضهم امال وقرا الحسن بتشديد الواو من غير همز وقرا الاعمش وابن مسعود
السوء بالتذكير وروى عن عثمان انه قال السوء والسوأى اقرا بما شئت قال ابن عباس اساوا
يعني كفروا والسوأى هو النار والتكذيب بايات الله عز الاستهزا بها فلذلك عدد عليهم الفعلين
ثم اخبر مطلقا لجميع العالم بالحشر والبعث من القبور وقرا طلحة وابن مسعود يبدي بضم اليا
وكسر الدال وقرا الجمهور ترجعون بالتا من فوق وقرا ابو عمرو وابو بكر عن عاصم باليا ويوم يبلس
يبلس والابلاس الكون في شر مع الياس من الخير وفي ذلك السكوت له فهم في عذاب الله وقرات
عامة القرا بكسر اللام وقرا ابو عبد الرحمن وامير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام وابلس
الربع اذا بلي وكانه يئس من العمارة ومنه قول العجاج ه
ه يا صاح هل تعرف ربعا مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا ه وقرا عامة القرا ولم تكن لهم
باليا من تحت وروى عن نافع بالتا والشركا المشار اليهم هم الاصنام اي الذين كانوا يجعلونهم
لله شركا بزعمهم وكانوا معناه يكونون عند معاينتهم امر الله وفساد حال الاصنام فعبر عنه
بالماضي لتيقن الامر وصحة وقوعه قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يعني في
المنازل والاحكام والجزا قال قتادة فرقة والله لا اجتماع بعدها ان يحبرون معناه ينعمون
قاله مجاهد والحبرة والحبور السرور والنعم قال يحيى بن ابي كثير يحبرون معناه يسمعون
الاغاني وهذا نوع من الحبور وقال ابن عباس يكرمون وفي المثل امتلات بيوتهم حبرة فهم
ينتظرون العبرة ومنه قول ابي ذويب ه
ه فواق كنفس الستر فالصبر انه لكل اناس عبرة وحبور ه هذا على هذه الرواية ويروى
عثرة وحبور ه وهو اكثر وذكر تعالى الروضة لانها من احسن ما يعلم من بقاع الارض وهي حيث
اكثر النبت الاخضر وحسن وما كان منها في المرتفع من الارض احسن ومنه قول
الاعشى ه ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد عليها مسبل هطل ه ومنه

هكذا

قوله عقيره ه فاروضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها ه قال
الاصمعي ولا يقال له روضة حتى يكون فيها ما يشرب منه ويحبرون معناه يحبون لذة لا يبلغها احد
عنه قوله فسبحان الله خطاب للمومنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الاوقات
كانه يقول وهذه الفرق من الجنة والعذاب جدا انما المومنون في طريق الفوز برحمة الله وقال
ابن عباس وقتادة وبعض الفقها في هذه الاية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والعصر
والظهر قالوا والعشا الاخرة هي في اية اخرى في ذكر اوقات العورة وقال ابن عباس ايضا
وفرقة من الفقها في هذه الاية تنبيه على الصلوات الخمس لان قوله حين تمسون يتضمن الصلاتين
قوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الكلامين من نوع تعظيم الله والحض على
عبادته قوله يخرج الحي من الميت الاية الحي والميت في هذه الاية تستعمل حقيقة ومجازا فالحقيقة
المني يخرج منه الانسان والبيضة يخرج منها الطاير وهذه بعينها ميتة يخرج من حي وما جرى
هذا المجرى وبهذا المعنى فسر ابن مسعود وابن عباس وقال الحسن المعنى المومن من الكافر
والكافر من المومن ع وروي هذا المعنى عن النبي عليه السلام وانه قرا هذه الاية عند ما كلمته
بالاسلام ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط والمجاز اخراج النبات الاخضر من الارض واخراج
الطعم من النبات وما جرى هذا المجرى ومثل بعد باحيا الارض بالمطر بعد موتها بالدثور
والعطش ثم بعد هذه الامثلة القاضية بتجويز بعث الاجساد عقلا ساق الخبر بان كذلك خروجنا
من القبور وقرات فرقة تخرجون باليا من تحت وعامة القرا على التا المضمومة وقرا الحسن وابن
وثاب والاعمش وطلحة بفتح التا وضم الرا ومن في قوله ومن اياته ان خلقكم من تراب للتبعيض
وقال خلقكم من حيث خلق اباكم ادم قاله قتادة ه وتنتشرون معناه تتصرفون وتسعون في
الاغراض والاسفار ونحوها قوله من انفسكم يحتمل ان يريد خلقه حوا من ضلع ادم فحمل
ذلك على جميع النسا من حيث انهم مخلوقة من نفس ادم اي من ذات شخصه ويحتمل ان يريد من
نوعكم وجنسكم ه والمودة والرحمة على بابهما المشهور من التوادد والتراحم هذا هو البليغ وقال
مجاهد والحسن وعكرمة عني بالمودة الجماع وبالرحمة الولد ثم نبه تعالى على خلق السموات والارض
واختلاف اللغات والالوان وهذه عظم مواقع العبرة من هذه الايات وقوله والوانكم يحتمل

ان يوبد البياض والسواد وغيرها ويحتمل ان يريد ضروب بني آدم وانواعهم بعم واشخاصهم وغيرهم تختلف بالالوان وبغم الالسنة وبذلك تصح الشهادات والمداينات للفرق والتعيين هلذا ايست النعمة وقرا جمهور القرا العالمين بفتح اللام وقرا حفص عن عاصم بكسرها فالاولى على ان هذه الاية في نفسها منصوبة لجميع العالم والثانية على ان اهل الانتفاع بالنظر فيها انما هم اهل العلم قوله ومن اياته منامكم الاية ذكر النوم بالليل والنهار وعرفه هو الليل وحده ثم ذكر الابتغا من فضله كانه فيهما وانما معنى ذلك انه عم بالليل والنهار فسمى الزمان وقصد من ذلك تعديد اية النوم وتعديد اية ابتغا الفضل فانهما آيتان ويعتاب يكونان في ليله ونهارا والعرف يجعل كل واحدة من المعنيين الى محلها في الاغلب وقال بعض المفسرين في الكلام تقديم وتاخير وهذا ضعيف وانما اراد ان يرتب النوم لليل والابتغا للنهار ولفظ الاية لا يعطي ما اراد وقوله يريكم فعل مرتفع لما حذف ان ولو كانت لنصبته فلما حل الفعل محل الاسم اعرب بالرفع ومثله قول طرفه

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي قال الرماني ويحتمل الايه ان يكون التقدير ومن اياته اية يريكم وحذف لدلالة الكلام عليها ومنه قول الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح التقدير تارة اموت هذا على ان من للتبعيض كسا بر هذه الايات ويحتمل في هذه وحدها ان تكون من لابتدا الغاية فلا تحتاج الى تقدير ان ولا تقدير اية وانما يكون الفعل مخلصا للاستقبال قوله خوفا وطمعا قال قتادة خوفا للمسافر وطمعا للمقيم ولا وجه لهذا التخصيص ونحوه بل فيه الخوف والطمع لكل بشر قال الضحاك الخوف من صواعقه والطمع في مطره قوله ان تقوم السما والارض معناه تثبت كقوله واذا اظلم عليهم قاموا وهذا كثير وقيل هو فعل مستقبل احله محل الماضي ليعطي فيه معنى الدوام الذي هو في المستقبل والدعوة من الارض هي البعث ليوم القيمة ومن الارض حال من المخاطبين كانه قال خارجين من الارض ويجوز ان تكون من الارض صفة للدعوة ها هنا هي عندي لابتدا الغاية كما تقول دعوتك من الجبل اذا كان المدعو في الجبل والوقف في هذه الاية عند نافع ويعقوب الحضرمي على دعوة والمعنى بعد اذا انتم تخرجون من الارض وهذا على ان من لابتدا الغاية والوقف عند ابي حاتم على قوله من الارض على ان من لابتدا الغاية قال

مكي

مكي والاحسن عند اهل النظر الوقف في اخر هذه الاية لان مذهب سيبويه والخليل في اذا الثانية انها جواب الاولى كانه قال ثم اذا دعاكم خرجتم وهذا اسد الاقوال وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التا والباقون بضمها قوله وله من اللام لام الملك وهي في كل له لام تعدية لقنت اذ هي بمعنى خضع في طاعته وانقياده وهذه الاية ظاهر لفظها العموم في القنت وانما هو في كل من يعقل والتعميم في المعنى لا يصح لانه خبر ونحن نجد كثيرا من الجن والانس لا يقنت في كثير من المعتقد والاعمال فلا بد ان ظاهر الاية عموم معناه الخصوص واختلف المتاولون في هذا الخصوص اين هو فقال ابن عباس وقتادة هو في القنت والطاعة وذلك ان جميع من يعقل هو قانت لله في معظم الامور من الحياه والموت والرزق والقدرة ونحو ذلك وبعضهم يخل بالعباده والمعتقدات فلا يقنت فيها فقال كل له قانتون في معظم الامور وقال الثان وقال ابن زيد ما معناه ان الخضوع هو في الاعيان المذكورين كانه قال وله من في السموات والارض من ملك ومومن قوله يبدا الخلق معناه ينشيه ويخرجه من العدم وجا الفعل بصيغة الحال لما كان في هذا المعنى ما قد مضى كادم وساير القرون وفيه ما ياتي من المستقبل وكانت صيغة الحال تعطي هذا كله ويعيده معناه يبعثه من القبور وينشيه تارة اخرى واختلف المتاولون في قوله وهو اهون عليه فقال ابن عباس والربيع بن خثيم وهو هين عليه كقول الشاعر

لعمرك ما ادري واني لاوجل بمعنى لوجل وقول الاخر

بيت دعايمه اعز واطول وقولهم في الاذان الله اكبر وقول الاخر وهو الشافعي

فتلك سبيل لست فيها باوحد يريد بواحد واستشهد بهذا البيت ابو عبيده وهو شاهد كهر وفي مصحف ابن مسعود وهو هين عليه وفي بعض المصاحف وكل هين عليه وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وعكرمة المعنى وهو اسد عليه وان كان الكل من اليسر عليه في حيز واحد وحال متماثله قال ولكن هذا التفصيل بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من ان الاعادة في كثير من الاشيا اهون عليها من البداة التمرن والاستغنا عن الروية التي كانت في البدأ وهذا ان القولان الضمير فيهما عايد على الله وقالت فرقه هو عايد على المخلوق فهو بمعنى المخلوق فقط وعلى التاويل يصح ان يكون مصدرا في خلق فقال الحسن بن ابي الحسين

ان الاعادة اهون على المخلوق من انشائه من حالة الى حالة وفي الاعادة يقوم في حين واحد
فكانه قال وهو ايسر عليه اي اقرب مدة واقل انتقالا وقال بعضهم المعنى وهو اهون على الخلق
ان يعيد شيئا بعد ما نشأ به هذا عرف المخلوقين فكيف تنكرون انتم الاعادة في جانب الخالق
والاظهر عندي عود الضمير على الله ويؤيده قوله وله المثل الاعلى لما جاء بلفظ فيه استعارة
واستشهاد بالمخلوق على الخالق وتنبيه بما يعهده الناس من انفسهم خلص جانب العظمة
بان جعل له المثل الاعلى الذي لا يتصل به تكييف ولا تماثل مع شيء والعزة والحكمة صفتان
موفقتان لمعنى الآية فيهما بعيد وينفذ امره في عباده كيف شاء ثم بين امر الاصنام وفساد
معتقد من يشركها بالله بضربه هذا المثل ومعناه انكم ايها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم
فانكم لا تشركونهم في اموالكم ومهم اموركم ولا في شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شانكم ان
تخافوهم في ان يرثوا اموالكم او يقاسموكم اياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان
هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء في سلطانه والوهيته وتثبتون في جانبه
ما لا يليق عندكم بجوانبكم هذا تفسير ابن عباس والجماعة ومجاهد المعنى في معرض السؤال والنور
وقرأ الناس انفسكم نصبا ورفعها ابن ابي عبلة وقرأ الجمهور نفصل بالنون حملا على رزقناكم وقرأ
عباس عن ابي عمرو بالياء حملا على ضرب لكم مثلا قوله بل اتبع الآية الاضراب بل هو عما تضمنه معنى
الآية المتقدمة كانه يقول ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من تشريكهم مع الله بل اتبعوا اهواءهم
جهالة وشهوة وقصدا للامور دنياهم ثم توعدهم على جهة التوبيخ لهم على من يهدي اذا اضل الله اي لا هادي
لاهل هذه الحال ثم اخبر انهم لا ناصر لهم ثم امر نبيه باقامة وجهه للدين المستقيم وهو دين الاسلام
واقامة الوجه على تقويم القصد والقوة على الجد في اعمال الدين وذكر الوجه لانه جامع حواس
الانسان واشرفه وحنيفا معناه معتدلا مقوما مائلا عن جميع الاديان المحرفة المنسوخة
وقوله فطرة الله نصب على المصدر كقوله صبغة الله وقيل هو نصب بفعل مضمر تقديره اتبع
والتزم فطرة الله واختلف الناس في الفطرة ها هنا وقد ذكر مكي وغيره في ذلك ما على ان يعرف هذه
اللفظة عليه وفي بعض ذلك قلق والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة انها الخلقة والهيئة التي
في نفس الطفل التي معدة ومهيأة لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه

ويؤمن

ويؤمن به فكانه تعالى يقول اقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الاعداد
له فطر البشر لكن يعرضهم العوارض ومنه قول النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه او ينصرانه الحديث فذكر الابوين انما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة وقوله لا تبديل
لخلق الله تحتمل تأويلين احدهما ان يريد بها هذه الفطرة اي اعلم ان هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة
الخالق ولا يجيء الامر على خلاف هذا بوجه والآخر ان يكون قوله لا تبديل لخلق الله انحاء على الكفرة
اعترض به اثناء الكلام كانه يقول اقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة قد
خلق الله لهم الكفر ولا تبديل لخلق الله اي انهم لا يفلحون وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله وهو قول
ابن جبير والضحاك وابن زيد والنخعي وهذا معناه لا تبديل للمعتقدات التي هي في الدين الحنيف
فان كل شريعة هي عقائد وذهب بعض المفسرين في هذه الآية الى تأويلات منها قول عكرمة
وقد روي عن ابن عباس لا تبديل لخلق الله معناه النهي عن خصاء الفحول من الحيوان ومنها قول
بعضهم في الفطرة الملة على ان قد قيل في الفطرة الدين وتأويل قوله فطر الناس على الخصوص اي
المؤمنين وقيل الفطرة هو العهد الذي اخذه الله على ذرية آدم حين اخرجهم نسما من ظهره ونحوه
حديث معاذ حين مر به عمر بن الخطاب فقال يا معاذ ما قوام هذه الامة قال الاخلاص وهو الفطرة
التي فطر الله الناس عليها والصلاة وهي الدين والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت والقيم
بناء مبالغة من القيام الذي هو بمعنى الاستقامة وقوله منيبين يحتمل ان يكون حالا من قوله فطر
الناس لا سيما على رأي من رأى ان ذلك خصوص في المؤمنين ويحتمل ان يكون حالا من قوله اقم
وجهك وجمعه لان الخطاب باقامة الوجه هو للنبي عليه السلام ولامته نظيرها قوله يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء والمنيب الراجع المخلص المائل الى جهة ما نودّ نفسه والمشركون المشار اليهم في
هذه الآية هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقال ابن زيد هم اليهود وقالت عائشة وابو هريرة
هي في اهل القبلة فلفظة الاشراك على هذا فيها تجوز فانهم صاروا في دينهم فرقا والشيع الفرق
واحدها شيعة وكل حزب بما لديهم فرحون معناه انهم باعمالهم مفتونون معجبون بآرائهم
وضلالتهم وذلك اضل لهم وقرأ فرقة فارقوا دينهم بالالف قوله واذا مس الناس ضر هذا
ابتداء احتجاج على عبدة الاصنام المشركين بالله عزة بين الله تعالى لهم انهم كسائر البشر في انهم متى مسهم

حرّ دعوا الله وتركوا الاصنام مطّرحة وفي ذلك الوقت انابة وخضوع فاذا اذاق رحمة اي لطّفتم
امره بها والذوق مستعار اذا طايفة تشرك الصّانما ونحوها واذا للمفاجاة للمومنين اذا جاهم
فرج بعد شدة فعلّقوا ذلك بمخلوقين او بحذقاء ارايهم وغير ذلك لان فيه قلة شكر لله وبسمي تشريكا
مجازا قوله ليكفروا اللام لام كي وقالت فرقة هي لام الامر على جهة الوعيد والتهديد قل لهم يا محمد
فتمتعوا وقرا ابو العالية فيتمتعوا بيا قبل التا وذلك عطف على ليكفروا اي ليتطول اعمارهم
على الكفر وفي حرف ابن مسعود فليتمتعوا وروي عن ابي العالية فيتمتعوا بضم اليا دون تا
اولي وفي مصحف ابن مسعود يمتّعوا كذا قال هارون وقراءة عامة الناس تعلمون بالتا على
المخاطبة وقرا ابو العالية يعلمون باليا على ذكر الغايب وقوله ام هي بمعنى بل والف
الاستفهام كانه اضرب عن صدر الكلام ورجع الى هذه الحجة ٥ والسلطان هنا البرهان من
رسول او كتاب ونحوه والسلطان في كلام العرب جمع سليط كرغيف ورغفان وغدير وغدران
مفهوما خوذ من التسلط والتغلب ولزم هذا الاسم في العرف الرئيس لانه سليط بوجه الحق ولزمه
اسم جمع من حيث انواع الغلبة والملك عنده وقال قتادة هو اسم مفرد وزنه فعلان
قوله فهو يتكلم معناه ان يظهر حجتهم ويغلب مذهبهم وينطق بشركهم قال قتادة فيقوم ذلك
مقام الكلام كما قال هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قوله واذا اذقنا الناس رحمة الاية لما ذكر حال
الناس متى نابتهم شدة او ضر وخرجوا منه الى سعة ذكر في هذه الاية امرا اخر من الطرف الاخر
بان تنال الرحمة ثم تعقب الشدة فلهم في الرتبة الاولى تفرح ثم اشراك وقلة شكر ولهم في هذه
فرح وبطر ثم قنوط وياس وكل احد ياخذ من هذه الخلق بقسط فالمقل والمكثر الا من ربطت الشريعة
جاشه وهجنت السنة سبيله وتادب بادب الله فصبر عند الضرا وشكر عند السراء ولم يبطر
عند النعمة ولا قنط عند البلاء وقوله بما قدمت ايديهم اي ان الله يمحق الامم ويصيب منهم عند
فشو المعاصي وظهور المناكر وكذلك قد يصاب شخص بسوء اعماله بشي وحده وبصاحب وحده
وفي الاغلب يعفوا الله عن كثير والقنط الياس الصريح وقرا ابو عمرو وجماعة يقنطون بكسر النون
وقرا نافع والحسن وجماعة بفتحها وجواب الشرط في قوله ان تصبهم قوله اذا هم وذلك انها
للمفاجاة لا يبتدا بها فهي بمنزلة الف لا يبتدا بها الفا ويجاب بها الشرط واما اذا التي للشرط

او

وقوله

[illegible]

بلغ

او التي فيها معنى الشرط فهما يبتدا بها ولا تكون جوابا للشرط ثم ذكر تعالى الامر الذي من اعتبره
لم يياس من روح الله على حال وهو ان الله يخص من يشا من عباده ببسط الرزق ويقدر على
من يشا منهم فينبغي لكل عبد ان راجيا ما عند ربه ثم امر تعالى نبيه امرا تدخل الامة فيه وهذا على
جهة الندب الى ايتا ذي القربى حقه من صلة المال وحسن المعاشرة ولين القول قال الحسن
حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العسر ومعظم ما قصد امر المعونة في المال ومنه قول
النبي عليه السلام في المال حق سوى الزكوة وكذلك المساكين وابن السبيل حق وبين ان حق هذين
انما هو في المال وغير ذلك معهما لا غنا له وكذلك يلزم القريب المقدم الذي يقضي حقه ان يتقي هو
ايضا حتى قريبه في جودة العشرة ووجه الله هنا جهة عبادته ورضاه والمفلحون الفايزون ببغيتهم
البالغون لاملهم قوله وما اتيتم من ربا قرا الجمهور اتيتم بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير بغير مد
بمعنى فعلتم كما تقول اتيت صوابا واتيت خطا واجمعوا على المد في الثانية والربا الزيادة وقد اختلف
المتاولون في معنى هذه الاية فقال ابن عباس وابن جبير وطاوس هذه اية نزلت في هبات الثواب
وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلم وغيره فهو وان كان لا اثم فيه ولا اجر فيه
ولا زيادة عند الله وقال ابن عباس وابراهيم النخعي نزلت في قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم
وتمولهم والتفضل عليهم وليزيدوا في اموالهم على وجه النفع لهم وقال الشعبي معناه ان ما خدم
الانسان احدا وخف له لينتفع في دنياه فان ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة لا يربوا عند الله وهذا
كله قريب جزء من التاويل الاول ويحتمل ان يكون معنى الا والنهي عن الربا في التجارات لما حض عز وجل
على نفع ذوي القربى والمساكين وابن السبيل اعلم ان ما فعل المرء من ربا ليزداد به مالا وفعله
ذلك انما هو في اموال الناس فان ذلك لا يربوا عند الله ولا يزكوا بل يتعلق فيه الاثم ومحق البركة وما
اعطى الانسان من زكاة تنمية لماله وتطهيرا يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك الذي يجازى به
اضعافا مضاعفة على ما شا الله له وقال السدي نزلت هذه الاية في ربا ثقيف لانهم كانوا يعملون
بالربا ويعمله فيهم قريش وقرا جمهور السبعة ليربوا بالياء واسناد الفعل الى الربا وقرا نافع وحده
بضم التا على وزن تفعلوا بمعنى تكونوا ذوي زيادات وهذه قراة ابن عباس واهل المدينة والحسن
وقتادة وابي رجا والشعبي قال ابو حاتم هي قراتنا وقرا ابو مالك ليربوها بضمير مونث والمضعف

دوله

هو أضعاف من الثواب كالمؤلف الذي له الألف وكما تقول أخصب إذا كان ذا خصب وهذا
كثير ومنه أربى المتقدم في قراءة من قرأ بضم التاء ثم ذكر تعالى مخاطبة الكفرة في أمر أوثانهم وذكر
أفعال الله التي لا شريك له فيها وهي الخلق والرزق والإماتة والإحياء ولا يمكن أن ينكر ذلك عاقل
ووقف الكفرة على جهة التقرير والتوبيخ هل من شركائهم أي الذين جعلوهم شركاء من يفعل شيئا من ذلك
بينهم هو في الإيجاد شيئا بعد شيء ومن هنا أدخل الفقهاء الولد مع أبيه في تعقيب الأجانب إذا كان
اللفظ ثم على أعقابهم ثم نزه تعالى نفسه عن مقالتهم في الإشراك وقرأ الجمهور يشركون بالياء من تحت
وقرأ الأعمش وابن وثاب بالتاء من فوق ثم ذكر على جهة العبرة ما ظهر من الفساد بسبب المعاصي في
البر والبحر واختلف الناس في معناهما هنا فقال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل
والمدن التي على ضفة البحر والأنهار الجارية وقال قتادة البر الفيافي ومواضع القبائل وأهل
الصحاري والعمود والبحر المدن جمع بحرة ومنه قول سعد بن عبادة للنبي عليه السلام
في شأن عبد الله بن أبي بن سلول الحديث ولقد أجمع أهل هذه البحرة أن يتوجوه ومما يؤيد هذا
أن عكرمة قرأ في البر والبحور وروي عن ابن عباس وقال مجاهد أيضا ظهور الفساد في البر
قتل أحد ابني آدم لأخيه وفي البحر أخذ السفن غصبا وقال بعض العباد البر هو اللسان والبحر
القلب وقال الحسن بن أبي الحسن البر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وهذا هو القول
الصحيح فظهور الفساد فيهما هو بارتفاع البركات ونزول رزايا وحدوث فتن وتغلب عدو كافر
وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر قال ابن عباس الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني
آدم وقل ما يوجد فاضلة مطيعة مستقيمة الأعمال إلا يدفع الله عنها هذه والأمر بالعكس في أهل المعاصي

أمة

وبطر النعمة وكذلك كان أمر البلاد في وقت مبعث النبي عليه السلام قد كان الظلم عم الأرض
برا وبحرا وقد جعل هذه الأشياء ليجازي بها على المعاصي فيذيق الناس عاقبة ذنوبهم لعلهم
يتوبون ويراجعون بصائرهم في طاعة الله قوله بما كسبت تقديره جزاء بما كسبت ويحتمل
أن يتعلق الباء بظهر أي كسبهم المعاصي في البر والبحر هو نفس الفساد الظاهر والترجي في لعل
هو على معتقدنا وبحسب نظرنا في الأمور وقرأت عامة القراء والناس ليذيقهم بالياء وقرأ قنبل
عن ابن كثير والأعرج وأبو عبد الرحمن السلمي لنذيقهم بالنون ومعناهما بين وقرأ أبو عبد الرحمن أيضا

بالتا

بالتاء من فوق قل سيروا في الأرض تنبيه لقريش وأمر لهم بالاعتبار بمن سلف من الأمم وفي ضمن
عواقبهم بكفرهم وإشراكهم ثم أمر تعالى نبيه بإقامة وجهه والمعنى اجعل قصدك ومسعاك للدين أي
لطريقه ولأعماله ولاعتقاداته والقيم أصله قيوم اجتمعت الياء والواو وسبقت الياء وهي ساكنة
فبدلت الواو ياء وأدغمت الأولى في الثانية ثم حذره تعالى من يوم القيمة تحذيرا يعم العالم وإياهم المقصد ولا
مرد له معناه ليس فيه رجوع لعمل ولا لرغبة ولا عنه من حيل وعملك لن يريد لا يرده راد حتى لا يقع وهذا
ظاهر بحسب اللفظ ه ويصدعون معناه يتفرقون بعد جمعهم وهذا هو التصدع والمعنى يتفرقون إلى
الجنة وإلى النار فتتم الفريقين بأحكام الحقهم من أعمالهم في الدنيا ثم عبر عن الكفر بعلى وهي تعطي
الثقل والمشقة وعن العمل الصالح باللام وهي مثل لام الملك يمهدون يوطئون ويسوون وهي
استعارة منقولة من الفرش ونحوها إلى الأحوال والمراتب وقال مجاهد هذا التمهيد هو للقبر
قوله ليجزي اللام متعلقة بيصدعون ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره ذلك أو فعل ذلك ليجزي
وتكون الإشارة إلى ما تقرر من قوله من كفر ومن عمل صالحا وقوله لا يحب الكافرين ليس الحب
بمعنى الإرادة ولكنه بمعنى لا يظهر عليهم أمارات رحمته ولا يرضاه لهم دينا ونحو هذا ثم ذكر من آياته
أشياء يقضي كل عقل بأنها لا مشاركة للأوثان فيها وهو ما في الريح من المنافع وذلك أنها تسري بالمطر
ويريق الله بها المطر ويلقح بها الشجر وغير ذلك ويجري بها السفن في البحر ويبتغي الناس بها فضل الله
في التجارات في البحر وفي ذرو الأطعمة وغير ذلك ثم آنس نبيه بأن ضرب له مثل من أرسل من الأنبياء
وتوعد من شاء بأن ضرب لهم مثل من أهلك من الأمم الذين أجرموا وكذبوا الأنبياء ثم حملا وأمنة النصر
إذ أخبر أنه حق عليه وحقا خبر كان قدمه اهتماما لأنه موضع فائدة الجملة ولبعض القراء في هذه الآية
وقف على قوله حقا وجعله من الكلام المتقدم ثم استأنف جملة من قوله علينا نصر المؤمنين وهذا قول
ضعيف لأنه لم يدر ما قدر عرضه في نظم الآية قوله والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا هو تحريكها
من سكونها وتسييرها وبسطه في السماء هو نشره في الآفاق ه والكسف القطع وقرأ الجمهور بسكون
السين وهي قراءة الحسن وأبي جعفر والأعرج وهما بناءان للجمع كسدرة وسدر بسكون الدال
وفيها قال مكي من أسكن فمعناه يجعل السحاب قطعة واحدة والودق المطر ومنه
قول الشاعر ه فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها ه والمطور الذي ين

بعضه وبعض لانه متخلخل الاجزا وقرا الجمهور خلاله جمع خلل كجبل وجبال وقرا علي بن ابي طالب
وابن عباس والضحاك والحسن من خلافه عنه خلله بفتح الخا وهو اسم جنس والضمير فيه يعود
علي السحاب او الكسف في قراة من قرا بسكون السين وذكر الضمير مراعاة للفظ لا المعني لجمع
كما تقول هذا تمر جيد ومن الشجر الاخضر نارا ومن قرا بفتح السين فلا يعيد الضمير الا علي السحاب
فقط وقوله من قبله تاكيدا فاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الي الاستبشار وذلك
ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان اي من قبل ان ينزل بكثير كالايام ونحوه
فجا قوله من قبله بمعني ان ذلك متصل بالمطر فهو تاكيد مفيد وقرا يعقوب وعيسى وابو عمرو في خلاف
عنه ينزل مخففه وقرات العامة بالتثقيل في الزاي وقرا ابن مسعود عليهم لمبلسين باسقاط
من قبله والابلاس الكون في حال سوء مع الياس من زوال الهم عقيبه تخاطبه يراد بها جميع الناس
من اثر رحمة الله هي المطر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر بالافراد وقرا ابن عامر وحمزة والكساي
اثار بالجمع واختلف عن عاصم وقرا سلام ابي اثر بكسر الهمزة وسكون الثا وقوله كيف يحيي يحتمل
ان يكون الضمير الذي في الفعل للاثر ويحتمل ان يكون لله وهو الاظهر وقرات فرقه كيف تحيي بتا مفتوحه
الارض رفعا وقرا الجحدري وابن السميفع وابو حيوه هكذا الا انه ضم التا ونصب الارض قال
ابو الفتح قوله كيف يحيي جمله منصوبه الموضع علي الحال حملا علي المعني كانه قال محييه وهذه الحيوة
والموت استعارة في القحط والاعشاب ثم اخبر علي جهة القياس والتنبيه عليه بالبعث والنشور
وقوله علي كل شي عموم قوله ولين ارسلنا ريحا الايه اخبر عن حال تقلب ابن ادم في انه بعد
الاستبشار بالمطر ان بعث الله ريحا فاصفر بها النبات ظلوا يكفرون قلقا منهم وقلة توكل وتسليم
لله والضمير في راوه للنبات كما قلنا او للاثر وهو خضرة النبات الذي به احييت الارض وقال
قوم هو للسحاب وقال قوم هو للريح وهذا كله ضعيف واللام في لين موذنه بمجي القسم وفي لظلوا
لام القسم وقوله ظلوا فعل ماض نزله منزلة المستقبل واستانه مثابه لان الجزا هنا لا يكون الا
بفعل مستقبل لكن يستعمل الماضي بدل المستقبل في بعض المواضع توثيقا لوقوعه قوله انك
لا تسمع الموتي الايه استعارة للكفار وقد تقدم القول علي مثل هذه الايه في سورة النمل وكلهم قرا ولا
تسمع بتا مضمومه ونصب الصم وقرا ابن كثير وعياش عن ابي عمرو يسمع بيا مفتوحه الصم رفعا

وقرا الجمهور بهادي العمي بالاضافه وقرا يحيي بن الحرث وابو حيوه بهاد بالتنوين العمي نصبا قوله
ان تسمع الا من يومن يعني اسماعا ينفع ويجدي واما سماع الكفر فغير مجدي فاستويا وقوله
عن ضلالتهم لما كانت الهدايه تتضمن المرف عدي بعن كما تعدي صرفت ومعني الايه ليس في
مقدرتك يا محمد ولا عليك ان تهدي وقرا ابن ابي عبله من ضلالتهم قوله الله الذي خلقكم من ضعف
هذه الايه ايضا عبره بين فيها ان الاوثان لا مدخل لها فيها وقرا الجمهور بضم الضاد وقرا عاصم وحمزه
بفتحها وهي قراة ابن مسعود وابي رجا والضم اصوب وروي عن ابن عمر انه قراها علي رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم بالفتح فردها عليه بالضم وقال كثير من اللغويين ضم الضاد في البدن وفتحها
في العقل وروي عن ابي عبد الرحمن والجحدري والضحاك انهم ضموا الضاد في الاول والثاني وفتحوا
ضعفا وقرا عيسي بن عمر من ضعف بضمتين وهذه الايه انما يراد بها حال الجسم والضعف الاول
من كون الانسان من ما مهين والقوة بعد ذلك الشبيبه وشدة الاسر والضعف الثاني الهرم
والشيخ هذا قول قتادة وغيره ثم اخبر عن يوم القيمه ان المجرمين يقسمون لجاجا منهم ونسورا
علي ما لا علم لهم به انهم ما لبثوا تحت التراب غير ساعه وهذا اتباع لتخيلهم الفاسد ونظرهم في ذلك
الوقت علي نحو ما كانوا في الدنيا يتبعون ذلك فيوفكون عن الحق اي يصرفون وقيل المعني ما
ما لبثوا في الدنيا كانهم استقلوها لما عاينوا من امور الاخره وهذا يضعفه قوله يوفكون اذ لو
ارادوا تقليل الدنيا بالاضافه الي الاخره لكان منزعا شديدا وكان قولهم غير ساعه تجوزا
اي في العقد والموازنه ثم اخبر عن الذين اوتوا العلم والايمان انهم يقفون في تلك الحال علي الحق
ويعرفون انه الوعد المنتظر في الدنيا وقال بعض المفسرين انما ارادوا واوتوا الايمان والعلم
في الكلام تقديم وتاخير ولا يحتاج الي هذا بل ذكر العلم يتضمن الايمان ولا يصف الله بعلم من لم
يعلم كل ما لم يوجب الايمان ثم ذكر الايمان بعد ذلك تنبيها عليه وتشريفا لامره كما قال فاكهة ونخل ورمان
فنبه علي مكان الايمان وخصه بالذكر قوله فيومئذ الايه اخبار عن هول يوم القيمة وشده
احواله علي الكفره في انهم لا ينفعهم الاعتذار ولا يعطون عتبي وهو الرضي ويستعتبون بمعني يعتبون
كما تقول علك ويستملك والباب في استفعل انه طلب الشي وليس هذا منه لان المعني كان يفسد
اذا كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبي وقرا عاصم والاعمش ينفع بالياء كما قال فمن جاه موعظة

وحسن هذا بالتفرقة التي بين الفعل وما اسند اليه كقول كما قال الشاعر ۝
۝ وهل يرجع التسليم او يكشف العمى ثلاث الاثافي والديار البلاقع ۝ ثم اخبر عن قسوة قلوبهم
وعجرفة طباعهم في انه ضرب لهم كل مثل وبين عليهم بيان الحق ثم هم مع ذلك عند الاية والمعجزة يكفرون
ويلجون ويعمهون في كفرهم ويصفون اهل الحق بالابطال ثم اخبر تعالى ان هذا انما هي من طبعه
وختمه على قلوب الجهلة الذين قد حتم عليهم بالكفر في الازل وذهب ابو عبيدة الى انه من قولهم
طبع السيف اي صدي استصدا ثم امر نبيه بالصبر وقوى نفسه لتحقيق الوعد ونهاه عن
الاهتزاز لكلامهم والتزلزل والاضطراب من التنفير لا قوالهم اذ هم لا يقين لهم ولا بصيرة وقرا ابن ابي
اسحق ويعقوب يستحقنك بحا مهملة من الاستحقاق والجمهور على الخا المعجمة والقاف من الاستخفاف
الا ان ابن ابي اسحق ويعقوب سكنا النون من يستخفنك وروى ان علي بن ابي طالب كان في صلاة الفجر
فناداه رجل من الخوارج باعلى صوته يقرا هذه الاية ولقد اوحي اليك والذين من قبلك الاية فعلم علي
عليه السلام مقصده في هذا وتعريضه فاجابه وهو في الصلاة بهذه الاية فاصبر ان وعد الله حق
الاية ۝ **تفسير سورة لقمان هي مكية** عن ابن عباس قال قتادة اولها ولو ان ما في الارض وقال
ابن عباس ثلاث ايات اولهن ما ذكرنا قوله الم تقدم ذكرها والحكيم يصح ان يكون من الحكمة او من الحكم
وقرا جمهور القرا هدى ورحمة بالنصب على الحال من المبهم ولا يصح ان يكون من الكتاب لانه مضاف اليه
وقرا حمزة والكسائي برفعهما على تقدير هو هدى ورحمة للمحسنين من حيث لهم نفعه وهم نظروه بعين الحقيقة
والا فهو هدى في نفسه وفي قراة ابن مسعود هدى وبشرى للمومنين ثم وصف المحسنين بانهم الذين
عندهم اليقين بالبعث وبكل ما جاءت به الرسل وعندهم اقام الصلاة وايتا الزكوة ومن صفتهم ما قال
رسول الله حين سال جبريل عليهما السلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك وقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث روي انها نزلت في قرشي اشترى جارية
مغنية لتغني بهجا رسول الله وسبه فنزلت وقيل انه ابن خطل وروي عن ابي امامة الباهلي
ان النبي عليه السلام نهى عن شرا المغنيات وبيعهن حرام وقرا هذه الاية وقال في هذا المعنى انزلت
على هذه الاية فسرا ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال الحسن لهو الحديث المعازف والغنا
وقال بعض الناس نزلت في النضر بن الحرث لانه اشترى كتب رستم واسفنديار وكان يخلف رسول الله

مسعود وابن عم

فيحدثهم بتلك الاباطيل ويقول انا احسن حديثا من محمد وقال قتادة الشرا في هذه الاية مستعار
وانما نزلت الاية في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم في الباطل وكان ترك ما
يجب فعله في امثال هذه المنكرات شراء لها على حد قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
وقال مطرف شرا لهو الحديث استحبابه قال قتادة ولعله ينفق فيه مالا ولكن سماعه
وشراؤه وقال الضحاك لهو الحديث الشرك وقال مجاهد هو الطبل وهذا ضرب من الغنا
والذي يترجح ان الاية نزلت في حديث لهو مضاف الى كفر فلذلك اشتدت الفاظ الاية بقوله
ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا والتوعد بالعذاب المهين واما لفظة الشرا المحتملة
الحقيقة والمجاز على ما بينا ولهو الحديث كل ما يلهي من غنا وخنا ونحوه والاية باقية المعنى في
امة محمد عليه السلام لكن ليس ليضلوا عن سبيل الله بكفر علم ولا يتخذوا الايات هزوا ولا عليهم هذا
الوعيد بل ليعطل عبادة ويقطع زمنا بمكروه وليكون من جملة العصاة والنفوس الناقصة تروم
تتميم ذلك النقص بالاحاديث وقد جعلوا الحديث من القرى وقيل لبعضهم اتمل الحديث فقال انما يمل
العتيق تريد القديم المعاد لان ذلك الجديد من الحديث الاحاديث فيه الطرافة التي تمنع من الملل
وقرا عاصم والحسن وجماعة ليضل بضم اليا وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتحها وفي حرف ابي ليضل الناس
عن سبيل الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل وقرا الباقون
بالرفع عطفا على يشتري والضمير يحتمل ان يعود على الكتاب المذكور اولا ويحتمل ان يعود على
الاحاديث لان الحديث اسم جنس بمعنى الاحاديث وكذلك سبيل الله اسم جنس ولكل وجه من الحديث
وجه يليق به من السبيل **قوله** واذا تتلى عليه اياتنا الاية هذا دليل على كفر الذي نزلت فيه
الاية والوقر الثقل في الاذن الذي يعسر معه ادراك المسموعات وجاءت البشارة بالعذاب من
حيث قيدت ونص عليها ولما ذكر حال هؤلا الكفرة وتوعدهم بالنار على افعالهم عقب بذكر المومنين
وما وعدهم به من جنات النعيم ليبين الفرق ووعد الله منصوب على المصدر وحقا مصدر موكد
قوله بغير عمد ترونها يحتمل ان يعود الضمير على السماء فيكون المعنى ان السما بغير عمد وانها
ترى كذلك وهذا قول الحسن والناس وترونها على هذا القول في موضع نصب على الحال ويحتمل ان
يعود الضمير على العمد فيكون ترونها صفة للعمد في موضع خفض ويكون المعنى ان السما لها عمد

والجمهور

عن مزيته قاله مجاهد ونحا اليه ابن عباس والمعنى الاول صح عليه ويجوز ان يكون ترونها في موضع
رفع على القطع ولا عمد ثم الرواسي هي الجبال التي رست اي ثبتت في الارض وقوله ان تميد بمعنى
لئلا تميد والميد التحرك يمنة ويسرة وما قرب من ذلك وقوله من كل زوج اي نوع وهو في اللغة للنوع
والصنف وليس بالذي هو ضد الفرد وقوله كريم يحتمل ان يريد به مدحته من جهة اتقان صنعته
وظهور حسن الرتبة والتحكيم للصنع فيها فيعم حينئذ جميع الانواع لان هذا المعنى في كلها ويحتمل
ان يريد مدحته لكرم جوهره وحسن منظره وما تقضي له النفوس بانه افضل من سواه حتى يستحق
الكرم فيكون الازواج على هذا انواع الحيوان المخصوصة في نفايس الاشيا ومستحسناتها ولما كانت
عظم الموجودات كذلك خصص الجنة بها وقوله انبتنا يعم انواع الحيوان والنبات والمعادن ثم وقف
الكفار على ان هذه الاشيا هي مخلوقات الله ثم سالهم ان يوجدوه ما خلق الاوثان والاصنام وغيرها
ممن عبد اي انهم لم يخلقوا شيا بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين فذكرهم بالصفة التي تعم
معهم سواهم ممن فعل فعلهم من الامم قوله ماذا يجوز ان يكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتدا
وذا خبرها بمعنى الذي والعايد محذوف ويجوز ان تكون ما مفعوله بارونى وذا صلة وما بمعنى الذي
والعايد محذوف تقديره في الوجهين خلقه قوله ولقد اتينا لقمن الحكمة هو رجل حكيم بحكمة الله وهي
الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل واختلف هل هو نبي مع ذلك او رجل صالح فقط
فقال بنبوته عكرمة والشعبي وقال بصلاحه فقط مجاهد وغيره وقال ابن عمر سمعت النبي عليه
السلام يقول لم يكن لقمن نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه
بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال رب اني خيرتني قبلت العافية وتركت البلا
وان عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصمني وكان قاضيا في بني اسرايل نوبيا اسود مشقق
الرجلين ذا مشافر قاله سعيد بن المسيب ومجاهد وابن عباس وقال له رجل كان قد رعى معه
الغنم ما بلغ بك يا لقمن ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقال ابن المسيب كان
من سودان مصر من النوبة قال خالد بن الربيع كان نجارا وقيل خياطا وقيل راعيا وحكمه كثيرة ماثورة
وقيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيا قوله ان اشكر يجوز ان يكون ان في
موضع نصب على اسقاط حرف الجر اي بان اشكر ويجوز ان تكون ان مفسرة اي كلمة داينا على الشكر

لله ونعمايه وجميع العبادات والمعتقدات داخلة في شكر اسوة ثم اخبر تعالى ان الشاكر حظه
عايد عليه وهو منتفع بذلك والله غني عن الشكر فلا ينفعه شكر العباد حميد في نفسه فلا يضره
كفر الكافرين وحميد بمعنى محمود اي هو مستحق ذلك بذاته وصفاته قوله واذ قال يحتمل ان
يكون التقدير واذكر اذ قال او يقدر واتيناه الحكمة اذ قال واختصر لدلالة المتقدم عليه واسم
ابنه ثاران وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسايي وابو بكر عن عاصم بشد اليا وكسرها في الثلثة
على ادغام احدى اليا بن في الاخرى وقرا حفص والمفضل عن عاصم بالشد والفتح في الثلثة على قولك
يا بنيا ويا غلاما وقرا ابن كثير عن ابن كثير بسكون اليا في الاولى وبكسرها في الثانية وبفتحها في الثالثة
وروى عنه قنبل بالسكون في الاولى والثالثة والكسر للوسطى وظاهر قوله ان الشرك لظلم عظيم انه
كلام لقمن ويحتمل ان يكون خبرا من الله منقطعا من كلام لقمن متصلا به في تاكيد المعنى ويويد هذا
الحديث الماثور انه لما نزلت ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق الصحابة وقالوا واينا لم يظلم فانزل
الله ان الشرك لظلم عظيم فسكن اشفاقهم وانما يكون ذلك خبرا من الله وقد يكون الاشفاق بان يذكر الله
عن عبد وصفه بالحكمة والسداد قوله ووصينا الانسان بوالديه هاتان الايتان اعتراض في اثنا
وصية لقمان ووجه ذلك الطبري بانهما من معنى كلام لقمان ومما قصده وعن عبيد انهما نزلتا كونهما
في شان سعد بن ابي وقاص حسب ما انا ذاكره تضعف ان يكون مما قاله لقمان وانما الذي يشبه
ان يكون اعتراضا اثنا الموعظة وليس ذلك بمفسد للاول منها ولا للاخر بل لما فرغ منها من الايتين
عاد الى الموعظة على تقدير اضمار وقال ايضا لقمن ثم اختصر ذلك لدلالة المتقدم عليه وهذه الايه
شرك الله الام والوالد فيها في رتبه الوصية بهما ثم خصص الام بدرجه ذكر الحمل وذكر الرضاع فحصل
لها ثلاث مراتب وللاب واحدة واشبه ذلك قول النبي عليه السلام حين قال له رجل من ابر قال
امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك فجعل له الربع من المبرة كهذه الايه
وهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف وقيل اشار الى مشقة الحمل ومشقة الولادة بعده وقيل
اشار الى ضعف الولد وضعف الام معه ويحتمل ان يشار الى تدرج حالها في زيادة الضعف فكانه
لم يعين ضعفين بل كانه قال حملته امه والضعف يتزيد بعد الضعف الى ان ينقضي امره وقرا عيسى الثقفي
وهنا على وهن بفتح الها ورويت عن ابي عمرو وهما بمعنى واحد وقرا الجمهور وفصاله وقرا الحسن وابو

وحماد والجحدري ويعقوب وفصله واشار بالفصال الى تحديد مدة الرضاع يعبر عنه بغايته ونهايته
والناس مجمعون على العامين في مدة الرضاع في باب الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن فحددت
فرقة بالعامين لا زيادة ولا نقص وقالت فرقة العامان وما اتصل بهما من الشهر ونحوه اذا كان
متصل الرضاع في حكم واحد محرم وقالت فرقة ان فطم الصبي قبل العامين وترك اللبن فما شرب بعد
ذلك في الحولين لا يحرم قوله ان اشكر ويحتمل ان تكون مفسرة لما قبلها وقال سفين بن عيينة من صلى الصلوات
الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما وقوله الي المصير توعد اثنا الوصية
قوله وان جاهداك الاية روي ان هاتين الايتين نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص وذلك ان امه
وهي حمنة بنت ابي سفين بن امية لما اسلم حلفت ان لا تاكل ولا تشرب حتى يفارق دينه ويرجع الى قومه
فلج سعد في الاسلام وكانت هي اذا افرط عليها الجوع والعطش شجروا فاها ويروى شجروا فاها اي
فتحوه بعود ونحوه وصبوا ما يرمقها فلما طال ذلك ورات ان سعدا لا يرجع اكلت ففي هذه القصة
نزلت الايات قاله سعد بن ابي وقاص وجماعة من المفسرين وطابت الاولى الامر ببر الوالدين وتعظيمهما ثم
حكم بان ذلك لا يكون في الكفر والمعاصي وجملة هذا ان طاعة الابوين لا تراعي في ركوب كبيرة او ترك فريضة
على الاعيان وتلزم طاعتهما في المباحات ويستحسن في ترك الطاعات الندب ومنه امر الجهاد الكفاية
والاجابة للام في الصلاة مع امكان الاعادة على ان هذا اقوى من الندب لكن يعلل بخوف هلكة عليها ونحوه مما
يبيح قطع الصلاة فلا يكون اقوى من الندب وخالف الحسن في هذا الفصل فقال ان منعته امه من شهود
العشا الاخرة شفقة فلا يطعها وصاحبهما في الدنيا معروفا يعني الابوين الكافرين اي صلهما بالمال
وادعهما برفق ومنه قول اسما بنت ابي بكر للنبي عليه السلام وقد قدمت عليه خالتها وقيل امها من
الرضاعة فقالت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم قيل معناه راغبة عن الاسلام
والاظهر عندي راغبة في الصلة وما كانت لتقدم على اسما لولا حاجتها ووالدتها هي قتيلة بنت عبد
العزى بن سعيد وام عايشة وعبد الرحمن هي ام رومان قديمة الاسلام قوله واتبع سبيل من اناب
الي وصية لجميع العالم كان المامور الانسان واناب معناه مال ورجع الى الشيء وهذه سبيل
الانبيا والصالحين وحكى النقاش ان المامور سعد والذي اناب ابو بكر وقال ان ابا بكر لما اسلم اتاه سعد
وعبد الرحمن بن عوف وعثمن بن طلحة وسعيد والزبير فقالوا آمنت قال نعم فنزلت فيه امن هو قانت

الاية فلما سمعها الستة آمنوا فنزلت فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت الاية ثم توعد تعالى
بالمصير والرجوع اليه للجزا والتوقيف على صغير الاعمال وكبيرها قوله يا بني انها ان
تك الاية المعنى وقال لقمن لابنه وهذه الغاية التي امكنه ان يفهمه اذ قصد اعلامه
بقدر قدرة الله اسيلان الخردلة بقال الذي الحس لا يدركها ثقلا اذ لا ترجح ميزانا وقد نطقت هذه الاية
بان الله قد احاط بها علما قوله مثقال حبة عبارة تصلح للجواهر اي قدر حبة وتصلح للاعمال
اي ما يزنه على جهة المماثلة قدر حبة وظاهر الاية انه اراد شيئا من الاشيا خفيا قدر حبة ويؤيد
ذلك ما روي عن ان ابن لقمن سال اباه عن الحبة تقع في سفل البحر ايعلمها الله فراجعه لقمن بهذه
الاية وذكر كثير من المفسرين انه اراد الاعمال المعاصي والطاعات ويؤيد ذلك قوله يات
بها الله اي لا يفوت وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف مضاف الى تنبيه قدرة
الله وفي القول الاخر ليس ترجية ولا تخويف ومما يؤيد قول من قال هي من الجواهر قراءة عبد الكريم
الجحدري فتكن بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشي المغطى وقرا جمهور القرا ان تك
بالتا من فوق مثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره مسالتك على ما روي او المعصية
والطاعة على القول الثاني ويعضد هذا المقدر هو الضمير في انها وقرا نافع وحده مثقال رفعا
على اسم كان وهي التامة واسند الى المثقال فعلا فيه علامة التانيث من حيث انضاف الى مونث
هو منه كقول الشاعر مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم
وهذه قراءة الاعرج وابي جعفر قوله فتكن في صخرة قيل اراد الصخرة التي عليها الارض والحوت
والما وهي على ظهر ملك وقيل هي صخرة في الريح وهذا كله ضعيف لا يثبته سند وانما معنى الكلام
المبالغة والانتهاء في التفهيم اي ان قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء
والارض وقرا قتادة فتكن بكسر الكاف والتخفيف من وكن يكن وتقدمت قراءة عبد الكريم قوله
يات بها الله ان اراد الجواهر فالمعنى يات بها ان احتيج اليها او كانت رزقا ونحوه وان اراد الاعمال
فمعناه يات بذكرها وحفظها للمجازاة عليها بثواب او عقاب ولطيف خبير صفتان لايقتان
باظهار غرايب القدرة ثم وصى ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وهذا انما يريد به بعد ان يمتثل هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي الطاعات والفضايل

أجمع قوله واصبر على ما اصابك يقتضي حضا على تغيير المنكر وان نالك ضرر فهو اشعار
بان المغير يؤذى احيانا وهذا القدر هو على جهة الندب والقوة في ذات الله واما
على اللزوم فلا ٥ ان ذلك من عزم الامور يحتمل ان يريد مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل
ان يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاة والاول اصوب ولكل
منها قالت طايفة وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكساي وابن محيصن تصاعر وقرا ابن كثير وعاصم وابن
عامر والحسن ومجاهد وابو جعفر تصعر وقرا الجحدري تصعر بسكون الصاد والمعنى متقارب والصعر
الميل ومنه قول الاعرابي ٥ وقد اقام الدهر صعري بعدما ارى من صعره ٥ ومنه قول
عمرو بن حيي التغلبي ٥ وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما ٥ اي فتقوم انت قاله
ابو عبيدة وانشده الطبري بالنصب وهو خطا لان القافية مخفوضة وفي بيت اخر اقمنا
له من خده المتصعر ٥ فمعنى الاية ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم ونخوة واعجابا واحتقارا لهم وهذا
هو تاويل ابن عباس وجماعة ويحتمل ان يريد ايضا الضد اي ذلا وسوالا وضراعة للخلق بالفقر والاول
اظهر لانه ذكر الاختيال والفخر بعد وقال مجاهد ولا تصعر اراد به الاعراض هجرة بسبب احنة والمرح
النشاط والمشي مرحا هو في غير شغل واهل هذه الخلق ملازمون للفخر والخيلا فالمرح مختال في مشيه
وقد قال عليه السلام من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله اليه يوم القيمة وقال بينما رجل يمشي في بني اسرايل
يجر ثوبه خيلا خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة وقال مجاهد الفخور هو الذي يعدد ما
اعطي ولا يشكر الله ع وفي اللفظة الفخر بالانساب وغيرها ولما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق
الكريم الذي ينبغي ان يستعمله من القصد في المشي وهو ان لا يتخرق في اسراع ولا يراي في ابطاء وتمال
على ما قال القايل ٥ كلنا يمشي رويد كلنا يطلب صيد ٥ غير عمرو بن عبيد وان لا يمشي مختالا
متبخترا ونحوه مما يبعد عن القصد وغض الصوت اوفر للمتكلم وابسط لنفس السامع وفهمه ثم عارض
ممثلا بصوت الحمير على جهة التشبيه اي تلك التي بعدت عن الغض من اصوات البشر فهي في طريق
تلك وفي الحديث اذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رات شيطانا وقال
سفين الثوري صياح كل شي تسبيح الا صياح الحمير وقال عطا نهيق الحمير دعا على الظلمة وانكر
معناه اقبح واخشن واوحش وهي عبارة تجمع المذام لصوت الحمير وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت

فتقوم معا

الجهير على خلق الجاهلية ومنه قول الشاعر ٥

٥ جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النغم ٥

ويعدو على الاين عدو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم ٥ فنهى الله عن هذه الخلق الجاهلية
قوله صوت الحمير بالجمع في المعاني دون لام والغض رد طماح الشي كالنظر وزمام
الناقة والصوت وغير ذلك قوله الم تروا اية تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع وذلك
ان تسخير الامور العظام كالشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والحيوان مما هو مسخر
وما لك وقرا يحيى بن وثاب وابن عباس واصبغ بالصاد بدلا من السين لان حروف الاستعلا
تجذب السين من سفلها الى علوها فتردها وقراة الجمهور بالسين وقرا نافع وابو عمرو
وحفص والحسن والاعرج وابو جعفر وابن نصاح وغيرهم نعمه جمع نعمة كسدرة وسدر
وقرا الباقون نعمة على التوحيد والظاهرة هي الصحة وحسن الخلقة والمال وغيرها والباطنة
المعتقدات من الايمان ونحوه والعقل وقال ابن عباس الظاهرة الاسلام وحسن الخلقة
والباطنة ما ستر من سيي العمل وفي الحديث قيل يا رسول الله قد عرفنا الظاهرة فما الباطنة
فقال ستر ما لو راك الناس عليه لمقتوك ومن الباطنة التنفس والهضم والتغذي وما لا
يحصى كثرة ومن الظاهرة عمل الجوارح بالطاعة ونور المعتقد قال المحاسبي الظاهرة نعم
الدنيا والباطنة نعم العقبى واما قراة الافراد فقال مجاهد اراد لا اله الا الله وقال ابن
عباس اراد الاسلام والظاهر عندي انه اسم جنس كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم
عارض بالكفرة تنبيها على فساد حالهم وهم المشار اليهم بقوله ومن الناس وقال النقاش الاشارة
الى النضر بن الحارث ونظرايه لانهم كانوا يجادلون في الله ويشركون الاصنام في الالوهية فذلك
جدالهم بغير علم اي لم يعلمهم من يقبل قوله ولا عندهم هدى قلب ولا نور بصيرة يقيمون بها حجة
ولا يتبعون به كتابا من الله يبين بانه وحي بل ذلك دعوى منهم وتخرص واذا دعوا الى اتباع
وحي الله رجعوا الى التقليد المحض بغير حجة فسلكوا طريق الاباء ثم وقف وهو المراد بالتوقيف
على اتباعهم دين ابايهم ايكون وهو حال من يصير الى عذاب السعير فكان القايل منهم يقولهم يتبعون
دين ابايهم ولو كان مصيرهم فدخلت الف التوقيف على حرف العطف كما كان اتساق الكلام

فتأمله قوله ومن يسلم وجهه لما ذكر حال الكفرة اعقب بذكر حال المومنين ليقع الفرق
وتحرك النفوس الى طلب الافضل وقرات عامة القرا يسلم بسكون السين وتخفيف اللام وقرا
عبد الله بن مسلم وابو عبد الرحمن بفتح السين وشد اللام ومعناه يخلص ويوجه ويستسلم به
والوجه هنا الجارحة استعير للمقصد لان القاصد الى شي هو مستقبله فاستعير ذلك للمعاني
والمحسن الذي جمع القول والعمل وهو الذي شرح رسول الله حين سأله جبريل عليهما السلام عن
الاحسان ۞ والعروة الوثقى استعارة للامر المنجي الذي لا يخاف عليه استحالة ولا انحلال
والعرى موضع التعليق وكان المومن متعلق بامر الله فشبه ذلك بالعروة ۞ والامور جمع امر
وليس بالمصادر للنهي ثم سلى نبيه عن موجدته لكفر قومه واعراضهم فامره ان لا يحزن لذلك بل يعد
لما كلفه من التبليغ ومرجع الكل الى الله وقرات فرقة يحزنك من الرباعي وفرقة يحزنك من الثلاثي
وذات الصدور ما فيها والقصد من ذلك المعتقدات والآرا ومنه قولهم للذيب مغبوط بذي بطنه
ومنه قول ابي بكر ذو بطن بنت خارجه ۞ والمتاع القليل هو العمر في الدنيا والعذاب الغليظ معناه
المغلظ المولم ثم اقام عليهم الحجة في امر الاصنام بانهم يقرون بان الله خالق المخلوقات ويدعون مع ذلك
الها غيره والمعنى قل الحمد لله على ظهور الحجة عليكم ۞ بل اكثرهم اضراب عن مقدر تقديره ليس دعواهم
بحق ونحوه قوله اكثرهم على اصله لان منهم من شذ فعلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة
وورقة بن نوفل ويحتمل ان تكون للاشارة ايضا الى من هو معد ان يسلم ثم اخبر على جهة الحكم
وفصل القضية بان الله له ملك السموات والارض وما فيهما اي واقوالها ولا الا معنى لها ولا
حقيقة والغني الذي لا حاجة به في وجوده وكماله الى شي فلا نقص بجهة من الجهات والحميد المحمود
اي هو كذلك بذاته وصفاته قوله ولو ان ما في الارض الايه روي عن ابن عباس ان سبب هذه
الايه ان اليهود قالت يا محمد كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا
التوراة فيها كلام الله واحكامه وعندك انها تبيان كل شي فقال عليه السلام لهم التوراة قليل
من كثير ونزلت هذه الايه وهذا هو القول الصحيح والايه مدنيه وقال قوم سببها ان قريشا
قالت سيتم هذا الكلام لمحمد وينحسر فنزلت وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد فنزلت
ع والغرض منها الاعلام بكثرة كلمات الله وهي في نفسها غير متناهيه وانما قرب الامر على

افهام البشر بما يتناهى لانه غاية ما يعهده البشر من الكثرة وايضا فان الايه انما تضمنت ان
كلمات الله لم تكن لتنفد وليس تقتضي الايه انها تنفد باكثر من هذه الاقلام والبحور قال ابو
علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود وذهبت فرقة الى ان
الكلمات هنا اشارة الى المعلومات وهو قول يجول الى الاعتزال من حيث يرون في الكلام
انه مخلوق وهذه الايه نظير وقرة نور الله قلوبنا بهداه وقرا ابو عمرو وحده من السبعة وابن ابي
اسحاق وعيسى والبحر بالنصب عطفا على ما التي هي اسم ان وقرا الجمهور بالرفع على انه ابتدا
وخبره في الجملة التي بعده لان تقديرها هذه حاله كذا قدرها سيبويه وقال بعض النحويين هو
عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتدا وقرا الجمهور يمده من مد وقرا الحسن بن ابي الحسن يمده
من امد وقالت فرقة هما بمعنى واحد وقالت فرقة مد الشي بعضه بعضا وامد الشي ما
ليس منه وكانت الابحر السبعة المتوهمة ليست من البحر الموجود وقرا ابو جعفر بن محمد والبحر
مداده وهو مصدر وقرا ابن مسعود وبحر يمده وقرا الحسن ما نفد كلام الله ثم ذكر تعالى امر
الخلق والبعث انه في الجميع وفي شخص واحد بالسوا لانه كلمة فيكون قاله مجاهد وحكى النقاش
ان هذه الايه في الجميع وفي شخص واحد وهو ابي بن خلف وقيل ابو الاسد ونبيه ومنبه ابنا
الحجاج وذلك انهم قالوا يا محمد انا نرى الطفل يخلق بتدريج وانت تقول ان الله يعيدنا دفعة واحدة
فنزلت الايه لذلك قوله الم تر ان الله هذا تنبيه خوطب به محمد عليه السلام والمراد جميع العالم
وهذه عبرة تدل على الخالق المخترع ان يكون الليل يتدرج والنهار كذلك فما نقص من احدهما زاد
في الاخر ثم بالعكس يتسنم الزمان بحكمة بادي العالم لا رب غيره ويولج معناه يدخل والاجل المسمى
القيمة التي ينتقض فيها هذه البنية وتكور الشمس وقرا الجمهور بما تعملون بالتاء من فوق وقرا
عياش عن ابي عمرو بالياء ذلك بان الله هو الحق الاشارة الى هذه العبرة وما جرى مجراها ومعناها هو
الحق اي صفة الالوهية لذو حق فيحسن في القول تقدير ذو وكذلك الباب متى اخبر بمصدر عن غير ما
ذو وكذا او حق بمصدر ومنه قول الشاعر ۞ فانما هي اقبال وادبار ۞ وهذا كثير ومتى قلت كذا
وكذا الحق فانما معناه انصاف لكذا وكذا حق وقوله وان ما تدعون من دونه يريد الاصنام ويكون ما بمعنى
الذي ويكون للاخبار عنها بالباطل على نحو ما قدمناه في الحق ويصح ان تكون ما مصدريه كانه قال وان

لجزء

دعاكم الهه من دونه الباطل اي الفعل الذي لا يودي الى الغاية المطلوبة به وقرا الجمهور تدعون
بالتاء من فوق وقرا ابن وثاب والاعمش واهل مكة بالياء ورويت عن ابي عمرو وباقي الاية بين
قوله الم تر ان الفلك الروية في قوله الم تر روية العين يترتب عليها النظر والاعتبار والمخاطب محمد
عليه السلام والمراد الناس اجمع والفلك جمع وواحد بلفظ واحد وقرا موسى بن الزبير الفلك
بضم اللام وقوله بنعمة يحتمل ان يريد ما تحمله السفن من الطعام والارزاق والتجارات فالبا
للالصاق ويحتمل ان يريد بالريح وتسخير الله البحر ونحو هذا فالبا باء السبب وقرا الجمهور بنعمة الله وقرا
الاعرج ويحيى بن يعمر بنعمات على الجمع المسلم وقرا ابن ابي عبلة بنعمات بفتح النون وكسر العين وذكر
تعالى من صفات المومن الصبار والشكور لانهما عظم اخلاقه الصبر على الطاعة وعلى النوايب وعن الشهوات
والشكر على النعما والسراء وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الاخر واليقين الايمان
كله وغشيهم غطى او قارب والظلل السحاب وقرا محمد بن الحنفية كالظلال ومنه قول
النابغة الجعدي يصف البحر ٥ يماشيهن اخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان ٥ ووصف
تعالى بهذه الاية حالة البشر الذين لا يعتبرون حق العبرة والمقصد بالاية يبين انه تشهد العقول
بان الاصنام والاوثان لا اثر لها فيه ولا مدخل وقوله فمنهم مقتصد قال الحسن منهم مومن يعرف
حق الله في هذه النعم وقال مجاهد يريد فمنهم مقتصد على كفره اي منهم من يسلم لله وبعضهم نحو هذا من العقيدة
وان ضل في الاصنام من جهة انه يعظمها بسيرته وتبيانه والختار القبيح الغدر وذلك ان نعم الله
على العباد كانها عهود ومنن يلزم عنها اداء الشكر والعبادة لمنشئها فمن كفر ذلك فقد جحد وكانه
ختر وخان ومن الختر قول عمرو بن معدي كرب ٥
٥ وانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر ٥ وقال الحسن الختار هو الغدار
وكفور بناء مبالغة قوله يا ايها الناس الاية يجزي معناه يقضي والمعنى لا ينفعه شيء ولا يدفعه
عنه وقوله هو جاز جملة في موضع الصفة اي ولا يجزي مولود فكان في الدنيا يجزي ٥ والغرور
المطمع بما لا يتحصل والغرور الشيطان بذلك فسره مجاهد والضحاك وقال هو الامل والتسويف
وقرا سماك بن حرب وابو حيوة الغرور بضم الغين وقال سعيد بن جبير معنى الاية ان تعمل المعصية وتتمنى
المغفرة وقرا الجمهور يجزي بفتح الياء من جزى وقرا علومة بضمها والهمز وفي رفع مولود اضطراب من

النجاة قال المهدوي ولا يكون مبتدأ لانه نكرة وما بعده صفة له فيبقى بغير خبر وقرا ابن ابي اسحق
وابن ابي عبلة يغر بكسر خفيفة النون قوله ان الله عنده الاية ذكر النقاش ان رجلا سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الخمس وروي انه سال عن بعضها عن جنين وعما يكسب ونحو
هذا فنزلت حاصرة لمفاتح الغيب التي لا يعلمها الا الله ذكره مجاهد ولم يجد من المغيبات شيا
لا هذه او ما يعيد النظر والتاويل اليها وعلم الساعة مصدر مضاف الى المفعول اي كل ما
شانه ان يعلم من امرها ولكن الذي استاثر الله به هو علم الوقت وغير ذلك فقد علم بعض منه
وكذا انزول الغيث قد استاثر الله بتفصيله وعلم وقته الخاص به وامر الاجنة كذلك وافعال
البشر وجميع كسبهم كذلك وموضع موت كل بشر كذلك الاصقاع والموضع الخاص بالجسد وقرا
ابن ابي عبلة باية بفتح الياء وزيادة تاء تانيث وعليم خبير صفتان مشابهتان لمعنى الاية
وقال ابن مسعود كل شيء اوتي نبيكم الا مفاتح الخمس تلا الاية وقرا وينزل خفيفة اهل الكوفة
وابو عمرو وعيسى وثقل نافع وابو جعفر وعاصم وشيبة ورجحه ابو حاتم برويا ٥

تفسير سورة السجدة هي مكية

غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة اولهن افمن كان مومنا
وقال جابر بن عبد الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرا هذه السورة وتبارك
الذي بيده الملك قوله الم تنزيل فيصح ان يرتفع بالابتداء والخبر لا ريب فيه ويصح انه يرتفع على
انه خبر ابتداء وهو اما المشار اليها في بعض الاقوال في اوايل السور وذلك تنزيل او نحو هذا
من التقدير بحسب القول في الحروف وقوله لا ريب فيه اي هو كذا في نفسه ولا يراعى ارتياب
الكفرة قوله من رب العالمين متعلق بتنزيل ففي الكلام تقديم وتاخير ويجوز ان يتعلق بقوله
لا ريب فيه اي لا شك من جهة الله وان وقع شك للكفرة فذلك لا يراعى والريب الشك وكذا هو
في كل القران الا قوله ريب المنون وقوله ام يقولون افتراه اضطراب وتقديره بل يقولون افتراه
اي اختلقه ثم رد على مقالتهم هذه واخبر انه الحق من عند الله واللام في قوله لينذر يجوز ان يتعلق
بما قبلها ولا يجوز الوقف على قوله من ربك ويجوز ان يتعلق بما قبلها ويجوز ان يتعلق بفعل مضمر تقديره
انزله لينذر فالوقف حينئذ من ربك وقوله ما اتاهم من نذير اي لم يباشرهم ولا راوه هم ولا اباوهم
العرب وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الامم

ابعث

الذي خلا فيها النذير على هذا الوجه لانها علمت بابوهم ونبيه ودعوتهم وهم من لم يأتهم نذير
مباشر لهم سوى محمد عليه السلام وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى
ومحمد عليهما السلام قوله في ستة ايام تقضي بان يوما من ايام الجمعة بقي لم يخلق فيه شيء
وتظاهرت الروايات الصحاح ان الخلق ابتدئ يوم الاحد وخلق آدم يوم الجمعة آخر الاشيا
فهذا مستقيم مع هذه الاية ووقع في كتاب مسلم ان الخلق ابتدئ يوم السبت فهذا يخالف الاية
اللهم الا ان يكون اراد في الاية جميع الاشيا غير آدم ثم يكون يوم الجمعة هو الذي لم يخلق فيه شيء
بين السما والارض لان آدم لم يكن حينئذ مما بينهما وقد تقدم القول في قوله استوى على العرش
بما فيه كفاية وثم في هذا الموضع لترتيب الجمل لا لان الاستوا كان بعد ان لم يكن وهذا على المعنى
المختار في معنى استوى ونفي الشفاعة يحمل على احد وجهين اما عن الكفرة واما عن الشفعا
من دونهم على حد شفاعة الدنيا لان شفاعة الاخرة انما هي بعد اذن من الله قوله يدبر الامر
من السما الى الارض هو اسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ الله قضاه بجميع ما يشاوه ۞
ثم يعرج اليه خبر ذلك في يوم من ايام الدنيا مقداره ان لو سير فيه السير المعروف في الدنيا للبشر
الف سنة لان ما بين السما والارض خمس مائة سنة هذا احد الاقوال وبه قال مجاهد ان
المعنى ان الضمير في مقداره عايد على التدبير اي كان مقدار التدبير المنقضي في يوم الف
سنة لو دبرها البشر وقال مجاهد ايضا المعنى ان الله يدبر ويلقي الى الملائكة امور الف سنة
من عندنا وهو اليوم عنده فاذا فرغت القى اليهم مثلها فالمعنى ان الامور تنفذ عنده لهذه
المدة ثم تصير اليه آخرا لان عاقبة الامور اليه وقيل المعنى يدبر الامر من السما الى الارض في مدة
الدنيا ثم يعرج اليه يوم القيمة ومقداره الف سنة من عندنا وهو على الكفار قدر خمسين الف
سنة لهوله ومشقته حسب ما في سال سايل وسنذكره والطبري حكى في هذه الاية عن بعضهم
انه قال قوله في يوم الى آخر الاية يتعلق بقوله قبل هذا في ستة ايام ويتصل به اي ان تلك الستة
كل واحد منها الف سنة وهذا قول ضعيف تكرهه الفاظ هذه الاية وترد عليه هي والاحاديث
التي بينت ايام خلق الله المخلوقات وحكى ايضا ابن زيد عن بعض العلما ان الضمير في مقدار عايد
العروج وهو الصعود والمعارج الادراج التي يصعد عليها وقالت فرقة معنى الاية يدبر امر

اعلم

المنزل

الشمس ع انها ترك تصعد وتنزل في يوم وذلك قدر الف سنة وهذا ايضا ضعيف ۞
وظاهر عود الضمير في اليه على اسم الله كما قال ذاهب الى ربي وكما قال مهاجر الى ربي وهذا
كله بري من التحيز وقيل ان الضمير يعود على السما لانها قد تذكر وقرا جمهور الناس يعدون بالتا
وقرا الاعمش والحسن بخلاف عنه باليا قوله ذلك عالم الغيب والشهادة قالت فرقة اراد
بالغيب الاخرة وبالشهادة الدنيا وقيل الغيب ما غاب عن المخلوقين والشهادة ما شوهد من الاشيا
فكانه حصر بهذه الالفاظ جميع الاشيا وقرا الجمهور خلقه بسكون اللام وقرات فرقة بفتحها على انه
فعل ماض ومعنى احسن اتقن واحكم فهو حسن من جهة ما هو لمقاصده التي اريد لها ومن هذا
قال ابن عباس وعكرمة ليست است القرد بحسنة ولكنها متقنة محكمة والجملة في خلقه تحتمل
ان يكون في موضع نصب صفة لكل او في موضع خفض صفة لشي وبسكون اللام قرا ابن كثير وابو عمرو
وهو منصوب على المصدر والضمير فيه اما عايد على الله واما على المفعول ويصح ان يكون بدلا من كل
وذهب بعض الناس على هذه القراءة ان احسن معناها الهم وان هذه الاية بمعنى قوله اعطى كل
شيء خلقه ثم هدى اي الهم الرجل المراة والجمل الناقة وهذا قول فيه بعد ورجحه الطبري وقرا
الجمهور وبدأ مهموزا وقرا الزهري بالف بغير همز ونصب فاء خلق قال ابو القاسم ذلك
على البدل لا على التخفيف كانه ابدل الالف من بدى الفا وبدي لغة الانصار وقال
ابن رواحة ۞ باسم الاله وبه بدينا ۞ ولو عبدنا غيره شقينا ۞ والانسان آدم عدد امره
على بنيه اذ خلقه خلق لهم من حيث هو منسلهم والنسل ما يكون عن الحيوان من الولد كانه ماخوذ
من نسل الشيء اذا خرج من موضعه ومنه قوله وهم من كل حدب ينسلون ومنه نسل
ريش الطائر اذا انسا قطه ۞ والسلالة من سل يسل فكانت الما يسل من الانسان ومن ذلك
قول الشاعر ۞ فجات به عضب الاديم غضنفرا ۞ سلالة فرج كان غير حصين ۞
والمهين الضعيف مهن الانسان اذا ضعف وذل قوله نفخ فيه عبارة عن افاضة الروح
في جسد آدم والضمير في روحه لله وهي اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق ثم اظهر تعديد
النعم عليهم في ان خصهم في قوله لكم بضمير السمع والابصار والافئدة وهي لم تتقدم ذكره ايضا كما
خص آدم بالمنسوبه ونفخ الروح وهو بجميع ذريته وهذا كله ايجاز واقتضاب وترك لما يدل عليه المنطوق

به ويحتمل ان يكون الانسان في هذه الاية اسم الجنس قوله قليلا صفة لمصدر محذوف
وهو في موضع الحال حين حذف الموصوف به والضمير في قالوا للكفار الجاحدين البعث من
القبور والمستبعدين لذلك دون حجة ولا دليل وموضع اذا نصب بما في قوله ائنا لفي خلق
جديد لان معناه انعاد. واختلف القراء في اذا فقد تقدم وقرا الجمهور ضللنا بفتح اللام
وقرا ابن عامر وابو رجا وطلحة وابن وثاب بكسرها والمعنى تلفنا وتقطعت اوصالنا
فذهبنا حتى لم يوجد ومنه قول الاخطل
كنت القذى في متن اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا ومنه قول
النابغة فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل اي متلفوه
دفنا ومنه قول امرئ القيس
تضل المداري في مثنى ومرسل وقرا الحسن البصري صللنا بصاد مهملة وفتح اللام
قال الفرا ويروى عن علي بن ابي طالب ومعناه صللنا من الصلة وهي الارض اليابسة
ويجوز ان يريد به من التغير كما قال صل اللحم وروت هذه القراءة عن ابن عباس وابان
بن سعيد بن العاص وقرا الحسن ايضا بالصاد المهملة وكسر اللام وقرا ابو حيوة وعلي بن ابي
طالب عليه السلام ضللنا بالضاد المعجمة مضمومة وكسر اللام وشدها انا لفي خلق
جديد اي في هذه الحالة نعاد ونجدد خلقنا قوله بل اضراب عن معنى استفهامهم كانه
ليسوا مستفهمين بل هم كافرون جاحدون بلقاء الله ثم امر نبيه ان يخبرهم بجملة الحال غير
مفصلة فبدا بالاخبار من وقت تفقد روح الانسان الى الوقت الذي يعود فيه الى ربه
فجمع الغايتين الاولى والاخرة ويتوفاكم معناه يستوفيكم ومنه قول الشاعر
ان بني الادرد ليسوا من احد ولا توفاهم قريش في العدد وملك الموت اسمه
عزرائيل وتصرفه كله بامر الله وخلقه واختراعه وروي في الحديث ان البهائم كلها
يتوفى الله ارواحها دون ملك كانه يعدم حياتها وكذلك الامر في بني ادم الا انه نوع شرف
لهم بتصرف ملك وملائكة معه في قبض ارواحهم وكذلك ايضا غلظ العذاب على الكافرين بذلك
وروي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث

ابن قوله ولو ترى تعجيب لمحمد وامته من حال الكفرة وما حل بهم وجواب لو محذوف لان حذفه
اهول اذ يترك الانسان فيه مع اقصى تخيله والمجرمون هم الكافرون بدليل التوعد بالنار
وبدليل قولهم انا موقنون اي انهم كانوا في الدنيا غير موقنين وتنكيس الروس هو من الذل والياس
والهم بحلول العذاب وتعلق نفوسهم بالرجعة الى الدنيا وفي القول محذوف تقديره يقولون
ربنا وقولهم ابصرنا وسمعنا اي ما كنا نخبر به في الدنيا فنكذب به ثم طلبوا الرجعة حين لا ينفعهم
ذلك ثم اخبر تعالى عن نفسه انه لو شاء لهدى الناس اجمعين بان يلطف لهم لطفا يؤمنون له
ويخترع الايمان في نفوسهم هذا مذهب اهل السنة وقال بعض المفسرين يعرض عليهم اية
يضطرهم بها الى ايمان وهذا قول بعض المعتزلة الامر اشرنا اليه من المفسرين لم يدر القول الذي قالوا
ولا قدر مغزاه والذي حكاه والذي يقود المعتزلة الى هذه المقالة انهم يرون ان من يقدر على
اللطف بانسان حتى يؤمن ولا يفعل فان ذلك ليس من الحكمة ولا من الامر المستقيم والكلام على
هذه المسالة يطول والجنة الشياطين قوله فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا ونسيتم معناه تركتم
قاله ابن عباس وغيره وفي الكلام حذف مضاف تقديره عمل وعدة ونحوه قوله انا نسيناكم سمى
العقوبة باسم الذنب بما كنتم تعملون اي بتكسبكم الاثام ثم اثنى على القوم الذين يؤمنون باياته ووصفهم
بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وترك التجبر واظهار التكبر وهذه السجدة من عزائم سجود القران
وقال ابن عباس السجود هنا بمعنى الركوع وقد روي عن ابن جريج ومجاهد ان هذه الاية نزلت بسبب قوم
من المنافقين كانوا اذا اقيمت الصلاة خرجوا من المسجد فكان الركوع يقصد من هذا ويلزم على هذا
ان تكون الاية مدنية وايضا فمن مذهب ابن عباس ان القاري للسجدة يركع واستدل بقوله خر راكعا
واناب قوله تتجافى جنوبهم جفا الرجل الموضع اذا تركه وتجافى الجنب عن مضجعه اذا تركه وجافا
الرجل جنبه عن مضجعه ومنه الحديث وتجافي بضبعيه اي يبعدهما عن الارض وعن بدنه
فقوله تتجافى جنوبهم اي تبعد وتزول ومنه قول عبد الله بن رواحة
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ويروى يبيت يجافي جنبه
قال الزجاج والرماني التجافي والتجفي الى جهة فوق هذا قول حسن وكذا هو في الصنع عن الحظ
في سبب ونحوه والجنوب جمع جنب والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم وقال انس بن مالك اراد

بهذه الاية الصلاة بين المغرب والعشاء وقال عطا وابو سلمه اراد صلاة العشا الاخرة
وكانت الجاهلية ينامون من اول المغرب ومن اي وقت شا الانسان فجاوقت العشاء
الاخرة عربيا شانا وقال انس بن مالك ايضا اراد انتظار صلاة العشا الاخرة لان النبي عليه
السلام كان يوخرها الي نحو ثلث الليل وفي ذلك احاديث كثيرة وقال الضحاك تجافي الجنب هو
ان يصلي الرجل العشا والصبح في جماعه وهذا قول حسن يستعمله لفظ الايه وقال جمهور المفسرين
اراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل وعلى هذا التاويل اكثر الناس وهو الذي فيه المدح وفيه
احاديث عن النبي عليه السلام بذكر قيام الليل ثم يستشهد بالايه ذكره الطبري عن معاذ بن جبل
ورجح الزجاج هذا القول بانهم جوزوا باخفا فدل ذلك على ان العمل اخفا ايضا وهو قيام الليل قوله
يدعون يحتمل ان يكون في موضع الحال من الموصوفين اي في وقت التجافي ويحتمل ان يكون صفة
مستانفة اي تتجافي جنوبهم وهم ايضا في كل احوالهم يدعون ليلهم ونهارهم والخوف من عذاب الله
والطمع في ثواب الله وينفقون قيل معناه الزكوة المفروضة وقيل النوافل والصدقات
غير المفروضة وهذا القول امدح ثم ذكر تعالي وعدهم من النعيم بما لم تعلمه نفس ولا بشر ولا
ملك وقرا حمزة وحده اخفي بسكون اليا كانه قال اخفي انا وهي قراة الاعمش وروي عنه اخفيت
وقرا عبد الله ما نخفي بنون مضمومه وروي المفضل عن الاعمش بيا مضمومه وفتح الفا وقرا محمد بن كعب
اخفي بفتح الهمزة والفاء اي ما اخفي الله وقرا الجمهور اخفي بضم الهمزة وفتح اليا على بنا الفعل
للمفعول وما يحتمل ان تكون بمعنى الذي فعلى القراه الاولى ثم ضمير محذوف تقديره اخفيه وعلى
قراة الجمهور فالضمير الذي لم يسم فاعله يجري في العودة على الذي ويحتمل ان تكون ما استفهاما
فعلى القراة الاولى فهي في موضع نصب باخفي وعلى القراة الثانيه هي في موضع رفع بالابتدا
وقرة اعين ما يلذه ويشتهيه وهي ماخوذة من القر كان سخنة العين ماخوذة من السخانة
واصل هذا فيما يزعمون ان دمع الفرح بارد ودمع الهم سخن وفي معني هذه الايه قال النبي
عليه السلام قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر واقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الايه وقال ابن مسعود في التوراة
مكتوب على الله للذين تتجافي جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وقرا ابن مسعود وابو هريرة وابو الدردا قرات اعين على الجمع قوله جزا بما كانوا يعملون اي بكسبهم
افمن كان مومنا الايه يروى عن عطا بن يسار انها في علي بن ابي طالب و والوليد بن عقبه بن ابي معيط
وذلك انهما تلاحيا فقال له الوليد انا ابسط منك لسانا واحد سنانا وارد للكتيبه فقال له علي
اسكت فانك فاسق فنزلت الايه وذكر الزجاج والنحاس وغيرهما انها نزلت في علي وعقبة بن ابي معيط
وعلى هذا يلزم ان تكون الايه مكيه لان عقبه لم يكن بالمدينه وانما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بدر ويعترض القول الاخر باطلاق اسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل ان يكون في صدر
الاسلام من الوليد لشي كان في نفسه او لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه
يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا الايه ويحتمل ايضا ان تطلق الشريعة ذلك عليه لانه كان على طرف
مما يبغي وهو الذي شرب الخمر في خلافة عثمان وصلى الصبح بالناس اربعا ثم التفت وقال اتريدون ان
ازيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره ثم قسم تعالى المومنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر لان التكذيب الذي
في اخر الايه يقتضي ذلك وقرا طلحة جنة بالافراد وقرا ابو حيوة نزلا باسكان الزاي والجمهور على ضمها وباقي
الايه بين قوله ولنذيقنهم الضمير لقريش لكفارهم اعلم تعالى انه يصيبهم بعذاب دون عذاب الاخرة
لعلهم يتوبون ويتعظون ولا خلاف ان العذاب الاكبر هو عذاب الاخرة واختلف المتاولون في تعيين العذاب
الادنى فقال ابرهيم النخعي ومقاتل هي السنون التي اجاعهم الله فيها وقال ابن عباس وابي بن كعب هو مصايب
الدنيا من الامراض ونحوها قاله ابن زيد وقال ابن مسعود والحسن بن علي هو القتل بالسيف كبدر ونحوها
فيكون على هذا التاويل الراجع غير الذي يذوق بل الذي يبقي بعده ويختلف ترتيبنا ضمير الذوق مع ضمير
لعل وقال ابي بن كعب ايضا هي البطشة واللزام والدخان وقال ابن عباس ايضا عنى بذلك الحدود ويتجه
على هذا التاويل ان تكون في فسقة المومنين وقال مجاهد عني بذلك عذاب القبر ثم قال تعالى ومن اظلم
على جهة التعجب والتقرير لا احد اظلم ممن هذه صفته وهو خلاف ما تقدم في صفة المومنين بانهم اذا ذكروا
بايات الله خروا سجدا ثم توعده تعالى المجرمين وهم المجاهرون على تكون الكفر والمعاصي بالنقمة وظاهر
الاجرام هنا انه الكفر وحكى الطبري عن يزيد بن رفيع انه قال ان قول الله تعالى في القران انا من المجرمين منتقمون
انما هو في اهل القدر يريد القايلين بان الامر انف وبان افعال العبد من قبله قال ثم قرا يزيد بن رفيع ان
المجرمين في ضلال وسعر الي قوله خلقناه بقدر ع في هذا المنزع من البعد ما لا خفا به وروي عن معاذ

بن جبل عن النبي عليه السلام انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد لوا في غير حق ومن عق
والديه ومن نصر ظالما قوله ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه اختلفوا في الضمير
من يعود فقال ابو العالية الرياحي وقتادة يعود على موسى والمعنى لا تكن في شك من انك تلقى موسى
اي في ليلة الاسراء وهو قول جماعة من السلف وقالت المبردة حين امتحن الى اسحاق الزجاج بهذه
المسالة قال وقالت فرقة الضمير عائد على الكتاب اي انه لقي موسى حين ان يكون مضافا الى الفاعل بمعنى
لقي الكتاب بالنصب موسى وقال الحسن الضمير عائد على ما تضمنه القول من الشدة وذلك ان
اخباره بانه اتى موسى الكتاب كانه قال ولقد اتينا موسى هذا العبء الذي انت بسبيله فلا تمتر
انك تلقى ما لقي هو من المحنة بالناس وكان الاية تسلية لمحمد وقالت فرقة معناه فلا تكن في شك من لقائه
في الاخرة وهذا قول ضعيف وقالت فرقة الضمير عائد على ملك الموت الذي تقدم ذكره وقوله
فلا تكن في مرية من لقائه اعتراض بين الكلامين وهذا ايضا ضعيف ثم المرية الشك والضمير في
جعلناه يحتمل ان يعود على موسى وهو قول قتادة ويحتمل ان يعود على الكتاب ه وائمة جمع
امام وهو الذي يقتدى به واصله ائممة وجمهور النحويين على ابدالها ياء وتخفيف الهمزة الا ابن ابي
اسحاق فانه يجوز اجتماع الهمزتين وقرا أأمة وقرا جمهور القرا لما صبروا بفتح اللام وشد الميم وقرا
حمزة والكسائي لما صبروا بكسر اللام وتخفيف الميم وهي قراة ابن مسعود والاعمش وطلحة فالاولى في معنى
الظرف والثانية كانه قال لاجل صبرهم فما مصدرية وفي القراة الاولى معنى المجازاة اي جعلهم ائمة
جزاء على صبرهم عن الدنيا وكونهم موقنين بايات الله واوامره وجميع ما تورده الشريعة وقرا ابن
مسعود بما صبروا قوله ان ربك الاية حكم يعم جميع الخلق وذهب بعض المتاولين الى تخصيص الضمير
وهو ضعيف قوله اولم يهد لهم معناه يبين قاله ابن عباس وقرا جمهور الناس بالياء فالفاعل الله في
قول فرقة والرسول في قول فرقة والمصدر في قول فرقة كانه قال اولم يبين لهم الهدى وجوز الكوفيون
ان يكون الفاعل كم ولا يجوز ذلك عند البصريين لانها في الخبر على حكمها في الاستفهام في انها لا يعمل فيها
ما قبلها وقرا ابو عبد الرحمن نهد بالنون وهي قراة الحسن وقتادة فالفاعل الله وكم في موضع نصب بنهد
الكوفيين بيهدي وعند البصريين باهلكنا على القراتين جميعا وقرا الجمهور يمشون بفتح الياء وتخفيف
الشين وقرا ابن السميفع اليماني بضم الياء وفتح الميم وشد الشين وقرا عيسى بن عمر بضم الياء وسكون

الميم

الميم وشين مضمومة مخففة والضمير يحتمل ان يكون للمخاطبين بالتنبيه المحتج عليهم ويحتمل
ان يكون للمهلكين فيمشون في موضع الحال اي اهلكوا وهم ماشون في مساكنهم والمعهود ان يمشون
للمنبهين ومعنى هذه الاية اقامة الحجة على الكفرة بالامم السالفة الذين كفروا فاهلكوا ثم اقام الحجة
عليهم في معنى الايمان بالقدرة والبعث بان نبههم على احياء الارض الموات بالماء والنبات والسوق
هو بالسحاب والجرز الارض العاطشة التي قد اكلت نباتها من العطش والقحط ومنه قيل
للاكول جروز ومنه قول الشاعر [illegible] خب جروز واذا جاع بكى ○ ومن عبر عنها
بانها الارض التي لا تنبت فهي عبارة غير مخلصة وعم تعالى كل ارض هي بهذه الصفة لان الاية فيها
والعبرة بينة وقال بعض المفسرين وغيره الارض الجرز ارض ابين من اليمن وهي ارض تشرب بسيول
المطر والجمهور على ما تقدم قال الزجاج ويقرا ايضا بسكونها ثم خص تعالى الزرع بالذكر تشريفا ولانه
عظم ما يقصد من النبات والا فعرف اكل الانعام هو من غير الزرع لكنه اوقع الزرع موقع النبات
على العموم ثم فصل ذلك بانه اكل الانعام وبني ادم وقرا ابو بكر بن عياش وابو حيوة يأكل بالياء
من تحت وقرا ابن مسعود يبصرون والجمهور بالتاء من فوق ثم حكى عن الكفرة انهم يستفتحون ويستعجلون
فصل القضاء بينهم وبين الرسول على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم هذا قول جماعة من المفسرين
وهو اقوى الاقوال وقالت فرقة الاشارة الى فتح مكة وهذا ضعيف ترده الاخبار بان الكفرة لا
ينفعهم الايمان فلم يبق ان يكون الفتح الا اما حكم الاخرة وهو قول مجاهد واما فصل في الدنيا
كبدر ونحوه قل يوم الفتح اشارة الى الفتح الاول حسب تحميلاته والالف واللام في الفتح الثاني
للعهد ويوم ظرف والعامل فيه ينفع وينظرون معناه يؤخرون ثم امره بالاعراض عن الكفار
وانتظار الفرج وهذا مما نسخته اية السيف وقوله انهم منتظرون اي العذاب بمعنى هلا
حكمهم وان كانوا لا يشعرون وقرا محمد بن السميفع بفتح الظاء اي للعذاب النازل بهم ○

تفسير سورة الاحزاب هي مدنية باجماع فيما علمت وكذا قال المهدوي وغيره قوله
يا ايها النبي اتق الله معناه دم على التقوى ومتى امر احد بشيء هو به متلبس فانما معناه الدوام
في المستقبل على مثل الحال الماضية وحذره تعالى من طاعة الكافرين وهم المجاهرون بالكفر والمنافقين
وهم المظهرون للايمان وهم لا يبطنونه وسبب الاية انهم كانوا يسعون على النبي بالطلبات والارادات

وربما كان في ارادتهم سعي على الشرع وهم يدخلونها مدخل النصائح وكان النبي صلى الله عليه وسلم بخلقه
العظيم وحرصه على استيلافهم وربما لابنيتهم في بعض الامور فنزلت الاية بسبب ذلك تحذيرا له منهم
وتنبيها على عداوتهم والنوازل في طلباتهم كثيرة محفوظة وقوله ان الله كان عليما حكيما تسليه
للنبي عليه السلام اي لا عليك منهم ولا من ايمانهم فالله عليم بما ينبغي حكيم في هدي من يشا واضلال
من يشا ثم امره تعالى باتباع ما يوحي اليه وهو القران الحكيم ولا متما وعلى ذلك قوله ان الله كان بما
يعملون خبيرا توعدنا وقرا ابو عمرو وحده يعملون بالياء والتوعد على هذه القراة للكافرين وللكافرين
والمنافقين وقوله كان في هاتين الايتين هي التي تقتضي الدوام اي كان ويكون وليست
الداله على مكان محصوص للمضي ثم امره تعالى بالتوكل على الله في جميع اموره واعلمه ان ذلك كاف
مقنع والباء في قوله بالله زايدة على مذهب سيبويه فكانه قال وكفى الله وهي عنده نحو قولهم بحسبك
ان تفعل وغيره يراها غير زايدة متعلقة بكفى على انه بمعنى اكتف بالله والوكيل القايم بالامر
المغني فيه عن كل شي قوله ما جعل الله الاية قال ابن عباس سببها ان بعض المنافقين قال
ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شي فنزع في غيره نزعة ثم عاد الى شانه الاول فقالوا ذلك عنه
فنفاه الله وقال ابن عباس ايضا بل سبب انه كان في قريش في بني فهر رجل فهم يدعي ان له قلبين
ويقال له ذو القلبين قال الثعلبي هو ابن معمر فكان يقول انا اذكى من محمد وافهم فلما بلغت
هزيمة بدر طاش لبه وحدث ابا سفين بن حرب بحديث كالمختبل فنزلت الاية بسببه
ونفيا لدعواه وقيل انه كان حطل قال الزهري جا هذا اللفظ على جهة المثل في زيد بن حارثه
والتوطيه لقوله وما جعل ادعياكم ابناكم اي كما ليس لاحد قلبان كذا ليس دعيه ابنه ويظهر من
الاية انما جعلها نفي لاشيا كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر فمنها
ان بعض العرب كانت تقول ان الانسان له قلب يامره وقلب ينهاه وكان تضاد الخواطر يحملها
على ذلك ومن هذا قول الكميت ** تذكر من انى ومن اين شربه يؤامر نفسيه كذي الثلة الابل **
والناس حتى الان يقولوا اذا وصفوا افكارهم في شي ما يقول لي احد قلبي كذا ويقول الاخر كذا
وكانت العرب تعتقد الزوجة اذا ظوهر منها بمنزلة الام ويراه طلاقا وكانت تعتقد الدعي
المتبني ابنا فاعلم الله انه لا احد بقلبين ويكون في هذا ايضا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم

ابن ع

اي

اي انما هو قلب واحد فاما ما حله ايمان واما كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة يومن قلب
ويكفر اخر فنفاها الله وبين انه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد الانسان بهذه الاية متى نسي
شيا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله الاية اي اذا نسي القلب الواحد تذكر الاخر ولا لك
اعلم ان الزوجة لا تكون اما وان الدعي لم يجعله ابنا وقرا نافع وابن كثير اللاء دون يا وروى عن ابي عمرو
وابن جبير اللاي بيا ساكنة من غير همز وقرا ورش يا مكسورة من غير همز وقرا الكوفيون وابن عامر
وطلحة والاعمش بهمزة مكسورة بعدها يا وقرا ابن عامر تظاهرون بشد الظا والف وقرا
عاصم والحسن وابو جعفر وقتادة بضم التا وتخفيف الظا وانكرها ابو عمرو وقال انما هذا في
المعاونة وليس هنا موضعها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بفتح اليا
والظا مخففة والف وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بشد الظا والها دون الف وقرا يحيى بن وثاب
بضم التا وسكون الظا وكسر الها وكذا في مصحف ابي بن كعب يتابر وكانت العرب تطلق تقولها انت
مني كظهر امي فنزلت الاية وانزل الله كفارة الظهار وسياتي ه وما جعل ادعياكم ابناكم سببها امر
زيد بن حارثه كانوا يدعونه زيد بن محمد وذلك انه كان عبدا لخديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقام عنده مدة ثم جا عمه وابوه يرغبان في فدايه فقال لهما النبي قبل المبعث خيراه فان اختاركما
فهو لكما دون فداء فخيراه فاختار الرق مع رسول الله على حريته وقومه فقال النبي عليه السلام
يا معشر قريش اشهدوا انه ابني يرثني وارثه وصي بذلك ابوه وعمه قوله بافواهكم تاكيد لبطلان
القول اي انه لا حقيقة له في الوجود وانما هو قول فقط وهذا كما تقول انا امشي اليك على قدم فانما
تريد بذلك المبرة وهذا كثير ه وهو يهدي معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر وقرا قتادة بضم
اليا وفتح الها وشد الدال ه والسبيل هو سبيل الشرع والايمان وابن كثير وعاصم في رواية حفص
يقفون السبيلا ويطرحونها في الوصل وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالالف وصلا ووقفا وقرا ابو عمرو
وحمزة بغير الف وصلا ووقفا وهذا كله في غير هذا الموضع واتفقوا هنا خاصة على طرح الالف وصلا
ووقفا لمكان الف الوصل التي تلقى الكلام قوله ادعوهم لابايهم امر في هذه الاية بدعا الادعياء
الى ابايهم للصلب فمن جهل ذلك فيه كان مولى واخا في الدين فقال الناس زيد بن حارثه وسالم مولى
ابي حذيفة الى غير ذلك وذكر الطبري ان ابا بكرة قرا هذه الاية ثم قال انا ممن لم يعرف ابوه فانا اخوكم

في الدين ومواليكم قال الراوي عنه ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون
في ابي بكرة نفيع بن الحرث ﴿اقسط﴾ معناه اعدل قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من ادعى الى غير ابيه متعمدا حرّم الله عليه الجنة قوله ﴿وليس عليكم جناح﴾ الاية رفع الحرج
عن من وهم ونسي واخطا فجرى على العادة من نسبة زيد الى محمد وغير ذلك مما يشبهه وابقى
الجناح للعامد مع النهي المنصوص ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ يريد لما مضى من فعلهم في ذلك ثم هما
صفتان لله مطرد في كل شي وقالت فرقة خطاوهم كان فيما سلف من قولهم ذلك وهذا ضعيف
لا يتصف ذلك بخطا الا بعد النهي وانما الخطا هنا بمعنى النسيان وما يكون مقابل العمد
وحكى الطبري عن قتادة انه قال الخطا الذي رفع الله فيه الجناح ان يعتقد في احد انه ابن فلان
فينسبه اليه وهو في الحقيقة ليس بابنه والعمد ان تنسبه الى فلان وانت تدري انه ابن غيره
والخطا مرفوع عن هذه الامة عقابه قال عليه السلام وضع عن امتي الخطا والنسيان وما
اكرهوا عليه وقال ما اخشى عليكم الخطا وانما اخشى العمد قوله ﴿النبي اولى بالمومنين من انفسهم﴾
ازال الله بها احكاما كانت في صدر الاسلام منها ان النبي عليه السلام كان لا يصلي على ميت عليه
دين فذكر الله انه اولى بالمومنين من انفسهم فجمع هذا ان المومن يلزمه ان يحب النبي اكثر من نفسه
حسب حديث عمر بن الخطاب ويلزم ان يمتثل اوامره احبت نفسه ذلك ام كرهت وقال عليه
السلام حين نزلت هذه الاية انا اولى بالمومنين من انفسهم من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا
او ضياعا فعلي انا وليه اقروا ان شيتم النبي اولى وقال بعض العلماء العارفين هو اولى بهم من
انفسهم لانها تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم للنجاة ويويد هذا قوله عليه السلام انا اخذ
بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش وشرف ازواجه بان جعلهن امهات المومنين في
حرمة النكاح وفي المبرة وحجبهن بخلاف الامهات قال مسروق قالت امراة لعايشة يا امه
فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم وفي مصحف ابي بن كعب وازواجه امهاتهم وهو اب لهم
وسمع عمر هذه القراة فانكرها فقيل له انها في مصحف ابي فساله فقررها ابي واغلظ لعمر وقد
قيل في قول لوط عليه السلام هولا بناتي انما اراد المومنات اي تزوجوهن ثم حكم بان اولي الارحام
احق مما كانت الشريعة قررته من التوارث بالاخوة الاسلام والهجرة فانه كان بالمدينة توارث في

صدر الاسلام بهذين الوجهين واختلفت الروايات في صفته وليس لمعرفته الان حكم
فاختصرته ورد الله المواريث على الانساب الصحيحة قوله ﴿في كتاب الله﴾ يحتمل القران
ويحتمل اللوح المحفوظ قوله ﴿من المومنين﴾ متعلق باولى الثانية وهذه الاخوة والهجرة التي
ذكرناه الان يتعلق الاية بزيد الاحسان في الحياة والصلة والوصية عند الموت قاله قتادة
والحسن وعطا وابن الحنفية وهذا كله جايز ان يفعل مع الولي على اقسامه والقريب والكافر
يوصي له بوصيته واختلف العلما هل يجعل له وصيا فجوز بعض ومنع بعض ورد النظر في ذلك
الى السلطان بعض وفيهما للكعب ابن وذهب مجاهد وابن زيد والرماني وغيره الى ان المعنى الى
اوليايكم من المومنين ولفظ الاية يعضد هذا المذهب وتعميم لفظ الولي حسن كما قدمناه اذ
ولاية النسب لا تدفع في الكافر وانما يدفع ان يلقى اليه بالمودة كولي الاسلام والكتاب الذي سطر
ذلك فيه يحتمل الوجهين المذكورين مسطورا من قولك سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا
ومنه قول العجاج ﴿في الصحف الاولى الذي كان سطر﴾ قال قتادة وفي بعض القراة مكتوبا
قوله ﴿واذ اخذنا﴾ يحتمل ان يكون ظرفا فالمسطور الاحكام المتقدمة في الكتاب كانه قال كانت هذه
الاحكام مسطورة ملقاة للانبيا اذ اخذنا عليهم الميثاق في التبليغ والشرايع فيكون اذ متعلقة بقوله
كان ذلك في الكتاب مسطورا ويحتمل ان يكون في موضع نصب باضمار فعل تقديره اذكر اذ وهذا
التاويل ابين من الاول وهو الميثاق المشار اليه قال الزجاج وغيره انه الذي اخذ عليهم وقت استخراج
البشر من صلب ادم كالذر فقالوا فاخذ الله حينيذ ميثاق النبيين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضا وجميع
ما تتضمنه النبوة وروي نحوه عن ابي بن كعب وقالت فرقة بل اشار الى اخذ الميثاق على كل واحد
منهم عند بعثه والقا الرسالة اليه واوامرها ومعتقداتها وذكر النبيين جملة ثم خص بالذكر
افرادا منهم تشريفا وتخصيصا اذ هولا الخمسة اصحاب الكتب والشرايع والحروب الفاصلة
على التوحيد واولوا العزم ذكره الثعلبي وقدم ذكر محمد على مرتبته في الزمن تشريفا خاصا له ايضا
وروي انه قال عليه السلام كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وكرر اخذ الميثاق لمكان
الصفة التي وصف بها وغليظا استعارة للحرمة هذا الميثاق وقوتها واللام في ليسال متعلقة باخذنا ويحتمل

ابقاء

ان يكون لام كي اي بعث الرسل واخذ عليهم المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين فرقه
يسالها عن صدقها على معنى اقامة الحجة والتقرير كقوله لعيسى انت قلت فيجيب بانها قد صدقت
الله في ايمانها وجميع اقوالها فيثيبها على ذلك وفرقه كفرت فينالها ما اعد لها من العذاب الاليم
ويحتمل ان تكون اللام لام الصيرورة اي اخذ المواثيق على الانبيا ليصير الامر الى كذا والاول اصوب
والصدق في هذه الاية يحتمل ان يكون المضاد للكذب في القول ويحتمل ان يكون من صدق الافعال
واستقامتها ومنه عود صدق وصدقني السيف والمال وقال مجاهد الصادقين في هذه
الايه اراد بهم الرسل اي يسالهم عن تبليغهم وقال ايضا المراد المودين المبلغين عن الرسل وهذا
كله محتمل قوله يايها الذين امنوا الايات الى قوله يليها النبي قل لازواجك نزلت في شان غزوة
الخندق وما اتصل بها من امر بني قريظه وذلك ان النبي عليه السلام اجلى بني النضير من موضعهم
عند المدينه الى خيبر فاجتمعت جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا الى مكة مستنهضين قريشا
الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجسروهم على ذلك وازمعت قريش السير الى المدينه ونهض
اليهود الى غطفان واسد ومن امكنهم من اهل نجد وتهامة فاستنفروهم الى ذلك فتحزب الناس
وساروا الى المدينه واتصل الخبر برسول الله فحفر الخندق حول ديار المدينه وحصنه وكان امرا
لم تعهده العرب وانما كانت من اعمال فارس والروم واشار به سلمان الفارسي فورد الاحزاب
قريش وكنانه والاحابيش في نحو عشرة الاف عليهم ابو سفين بن حرب ووردت غطفان واهل نجد
عليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ووردت بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الى غير
ها فحصروا المدينه وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على ما قال ابن اسحق وقال مالك سنة اربع وكانت
بنو قريظه قد عاهدوا رسول الله الهدنه وعاقدوه على ان لا يلحقه منهم ضرر فلما تمكن هذا الحصار
داخلهم بنو النضير فغدروا رسول الله ونقضوا عهوده وصاروا له حربا مع الاحزاب فضاق الحال
على رسول الله ونجم النفاق وساءت الظنون ورسول الله يبشر ويعد النصر والقى الله الرعب في قلوب
المشركين ويئسوا من الظفر بمنعة الخندق وبما راوا من جلد المومنين وجاء رجل من قريش اسمه نوفل
بن الحرث وقيل غيره فاقتحم الخندق بفرسه فقتل فيه فكان ذلك حاجزا بينهم ثم ان الله بعث الصبا لنصرة نبيه

فاصردتهم وهدمت بيوتهم واطفات نارهم وقطعت حبالهم واكفات قدورهم ولم يمكنهم معها
قرار وبعث الله مع الصبا ملائكه تشدد الريح وتفعل مثل فعلها وتلقي الرعب في قلوب
الكفرة حتى ازمعوا الرحلة بعد بضع وعشرين ليلة فانصرفوا خاسئين بعده الجنود التي لم
تروها الحسن وجنودا بفتح الجيم وقرا الجمهور تعملون بالتا فكان في الايه مقابلة لهم اي انهم لم
تروا جنودا وهو بصير باعمالكم بين في هذه القدرة والسلطان وقرا ابو عمرو وحده باليا على
معنى الوعيد للكفرة وروي عنه ايضا بالتا وهما حسنتان وروي عن ابي عمرو ولم يروها باليا
من تحت قال المهدوي قراة العامه بالتا من فوق وباليا من تحت وروي عن الحسن ونافع
والاعرج يعملون بتا مكسورة وهي لغة قوله اذ جاوكم من فوقكم اذ هذه بدل من الاولى في
قوله اذ جاتكم من فوقكم يريد اهل نجد ومن اسفل منكم يريد مكه وسائر تهامه قاله مجاهد وقيل
بل من فوق واسفل هنا انما يراد به ما يختص بسقعه المدينه اي نزلت طايفه في اعلى المدينه
وطايفه في اسفلها وهذه عبارة عن الحصر ٥ وزاغت الابصار معناه مالت عن مواضعها
وذلك فعل الواله المفزع المختبل وادغم الاعمش اذ زاغت وبين الذال الجمهور وكل حسن ٥
وبلغت القلوب الحناجر عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها شعاعا ويجد كان
جثونه وقلبه يصعد علوا لينفصل فليس بلوغ القلوب الحناجر حقيقه بالنقلة بل يشير الى ذلك
ويحسن مستعارا لها بلوغ الحناجر وروي ابو سعيد ان المومنين قالوا يوم الخندق يا رسول الله بلغت
القلوب الحناجر فهل من شي نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا فقالوها
فضرب الله وجوه الكفرة بالريح فهزمهم ٥ وتظنون بالله الظنونا اي تكادون تضطربون
ما هذا الخلف للوعد وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمومنين لا يمكن البشر دفعها واما
المنافقون فجلحوا ونطقوا وقرا نافع وابو عمرو وعاصم وابو جعفر وشيبه والاعمش وطلحه
الظنونا بالالف وصلا ووقفا وذلك اتباع لخط المصحف وعلته تعديل رؤس الاي وطرد
هذه العلة ان يلتزم الوقف وقد روي عن ابي عمرو انه كان لا يصل فكان يوافق خط المصحف
وقياس الفواصل وقرا ابو عمرو ايضا وحمزة في الوصل والوقف الظنون بغير الف وهذا هو
الاصل وقرا ابن كثير والكسائي وعاصم وابو عمرو بالالف في الوقف وبحذفها في الوصل وعللوا

الوقف لليشا وي لحروف الاي على نحو فعل العرب في القوافي من الزيادة والنقص قوله
هنالك ظرف زمان والعامل فيه ابتلي ومن قال ان العامل فيه وتظنون فليس قوله بالقوي
لان البدا ليست بمتمكنة وابتلي معناه اختبر وامتحن البصاير منهم وزلزلوا معناه حركوا بعنف
وقرا الجمهور زلزلوا بكسر الزاي الاولى وفتحها الجحدري ولذلك يقولوا فيها في اذ الزلزال وهذا الفعل
هو مضاعف زل اي زلزلة عزه ثم ذكر قول المنافقين والمرضي القلوب وشنع عليهم على جهة الذم لهم
وروى عن يزيد بن رومان ان معتب بن قشير قال يعدنا محمد ان نفتتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الان
لا يقدر احدنا ان يذهب الى الغايط ما يعدنا الا غرورا اي امرا يغرنا ويوقعنا فيما لا طاقة لنا به
وقال غيره من المنافقين نحو هذا فنزلت الايه وقوله ورسوله انما هو على جهة الهزء كانهم يقولون
على زعم هذا الذي يدعي انه رسول ويدل على هذا ان من المخالفين يكون اعتقادهم ان ذلك هو من الله و
رسوله ثم يصفونه بالغرور بل معناه على زعم هذا قوله واذ قالت طايفة منهم وروي ان بني حارثه
قالوه ويثرب قطر محدود المدينة في طرف منه وقرا ابو عبد الرحمن وحفص عن عاصم ومحمد اليماني
والاعرج مقام بضم الميم بمعنى موضع اقامة الباقون بفتحها بمعنى موضع قيام وهي قراءة ابي جعفر
وشيبة وابي رجا والحسن وقتادة والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة والمعي في جوهه القتال
وموضع الممانعة فارجعوا معناه الى منازلكم وبيوتكم وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله والمومنين
المستاذن روى ان اوس بن قيظي فعل ذلك باتفاق من عشيرته فقال ان بيوتنا عورة اي منكشفة
للعدو وقيل ارادوا خالية للسراق يقال اعور المنزل اذا انكشف ومنه قول
الشاعر له الشدة الاولى اذا القرن اعورا فقال ابن عباس الفريق بنو حارثة وهم كانوا
عاهدوا الله اثر احد لا يولون الادبار وقرا ابن عباس وابن يعمر وقتادة وابو رجا عورة بكسر
الواو فيهما وهو اسم فاعل قال ابو الفتح صحة الواو في هذا شاذ لانها متحركة قبلها فتحه وقرا
الجمهور بسكونها على انه مصدر وصف به والبيت المعور هو المنفرد المعرض لمن شاء بسوء
فاكذبهم الله عن بيوتهم انها ليست كما ذكروه وان قصدهم الفرار وان ما ظهروه من انهم يريدون
حماية بيوتهم وخاصة نفوسهم ليس كذلك وانهم انما يكرهون نصر رسول الله ويريدون حربه وان
يغلب ولو دخلت المدينة من اقطارها واشتد الخوف الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد

واصحابه لطاروا اليها واتوها مجيبين فيها ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها الا يسيرا قيل قدر
ما ياخذون سلاحهم وقرا الحسن البصري ثم سولوا بغير همز وهي من سال يسال كخاف يخاف
لغة في سال العين فيها واو وحكى ابو زيد هما يتساولان وروى عن الحسن سيلوا وقرا
مجاهد ثم سوبلوا على المبني للمفعول وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر لاتوها مقصورا بمعنى جاوها وقرا
عاصم وابو عمرو ممدودا اي لاعطوها من انفسهم وهي قراءة حمزة والكسائي فكانها رد على السوال
ومشبهة له قال الحوفي والشعبي وقرا اهل المدينة ثم اخبر تعالى عنهم انهم كانوا عاهدوا الله على ان
لا يفروا وروي عن يزيد بن رومان ان هذه اشارة الى بني حارثة وهم وبنو سلمة الطايفتان
اللتان همتا ان تفشلا يوم احد ثم تابوا وعاهدوا على ان لا يقع منهم فوقع يوم الخندق ولم يصدر من بني
حارثة هذا الاستيذان وفي قوله وكان عهد الله مسولا والاقطار النواحي واحدها قطر
وقتوا الضمير في بها تحمل المدينة ويحمل الفتنة قوله قل لن ينفعكم الفرار الاية امر الله نبيه
ان يخاطبهم بتوبيخ واعلمهم بان الفرار لا ينجيهم من القدر وانهم لا يمتعون في تلك الاوطان كثيرا
بل يستطيع اعمارهم الى تصييرهم للموت والقليل الذي استثناه هي مدة الاجال قاله الربيع بن خثيم
ثم وقفهم على عاصم من الله يستندون اليه ثم حكم بانهم لا يجدون ذلك ولا وليا ولا نصيرا من الله وقات
فرقه يمنعون بالباطل وقوله الايه على المخاطبة ثم وبخهم باخباره ان الله يعلم المعوقين وهم الذين يعوقون
الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالاقوال والافعال من ذلك ويسعون على الدين ويقول عاقني
امر كذا وعوقني اذا المعنى صرفني عن الفعل واما القايلون فاختلف الناس في حالهم فقال
ابن زيد وغيره اراد من كان من المنافقين يقول لاخوانه في النسب وقرابته هلم الينا اي الى المنازل
والاكل والشرب وترك القتال وروي ان جماعة منهم فعلت ذلك وروي ان رجلا من المومنين رجع
الى داره فوجد اخاه ملا بين يديه رغيف وشوا ونبيذ فقال له تجلس يا فلان هكذا ورسول
الله في القتال فقال له هلم الي ايها الي انا فيه يا فلان ودع امر محمد فقد هلك وما له قبل باعدايه فشتمه لحوه
وقال لسمع الله لا عرفن رسول الله فذهب الى النبي فوجد الايه قد نزلت وقالت فرقه بل اراد من
كان من المنافقين يداخل كفار قريش والعرب فانه كان منهم من داخلهم وقال لهم هلم الينا اي الى
المدينه فانكم تغلبون محمدا ونثبطه فالاخوان على هذا هم في الكفر والمذهب السوء هلم معناها

الدعا الي الشي ومن العرب من يستعملها علي حد واحد للمذكر والمونث والمفرد والجمع وهذا علي
انها اسم فعل وهذه لغة اهل الحجاز ومنهم من يجريها مجرى الافعال فتلحقه الضماير المختلفة فيقول
هلم وهلمي وهلما وهلموا واصل هلم ها المم نقلت حركة الميم الي اللام فاستغنى عن الالف وادغمت
الميم في الميم لسكونها فجا هلم هذا مثل تعليل رد من اردد والباس القتال الا قليلا معناه
اتيانا قليلا وقلته تحتمل ان يكون لقصر مدته وقلة ازمنته او لخساسته وقلة غنائه وانه ريا
وتلميع لا تحقيق قوله اشحة جمع شحيح ونصبه علي الحال من القايلين او من فعل مضمر دل عليه
المعوقين او من الضمير في ياتون او علي الذم وقد منع بعض النحاة ان يعمل في هذه الحال
المعوقين والقايلين لمكان التفريق بين الصلة والموصول بقوله ولا ياتون الباس وهو عند الحذاق
الصله وهذا الشح قيل هو بانفسهم شحوا علي المومنين بها وقيل باموالهم في النفقات في سبيل الله وقيل
بالغنيمة عند القسم والصواب العموم في كل ما فيه منفعة للمومنين ٥ فاذا جا الخوف قيل معناه
قوي الخوف من العدو وتوقع ان يستاصلوا اهل المدينة جميعا لاذ هولا بك ينظرون نظر الهلع
المختلط كنظر الذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب ذلك الخوف العظيم وتنفس الخناق سلقوا اي
خاطبوا مخاطبة بليغة يقال خطيب سلاق ومسلاق ومسلق ولسان ايضا كذلك اذا كان فصيحا
مقتدرا وقرا ابن ابي عبلة بالصاد ووصف الالسنة بالحدة لقطعها المعاني ونفوذها في الاقوال
وقالت فرقة معنى قوله فاذا جا الخوف اراد كان المومنون في قوة وظهور وخشي هاولا المنافقون
سطوتك يا محمد بهم رايتهم يصانعون وينظرون اليك نظر فارغ منك خايف هلع فاذا ذهب خوفك
عنهم باشتغالك بعدو ونحوه كما كان يوم الاحزاب سلقوكم حينيذ واختلف الناس في المعنى الذي فيه
يسلقون فقال يزيد بن رومان وغيره ذلك في اذى المومنين وسبهم وتنقص الشرع ونحو هذا وقال
قتادة ذلك في طلب العطا من الغنيمة والالحاف في المسلة وهذان القولان يترتبان مع كل واحد من
التاويلين المتقدمين في الخوف وقالت فرقة السلق هو في مخادعة المومنين بما يرضيهم من القول
علي جهة المصانعة والمخادعة والمخاتلة قوله اشحة حال من الضمير في سلقوكم وقوله علي الخير يدل
علي العموم في الشح الاول وقيل في هذا معناه اشحة علي مال الغنايم وهذا المذهب من قال ان الخير
في كتاب الله حيث وقع فهو بمعنى المال وقرا ابن ابي عبلة اشحة بالرفع ثم اخبر تعالى عنهم انهم

لم يومنوا ولا كمل تصديقهم وجمهور المفسرين علي ان هذه الاشارة الي منافقين لم يكن لهم قط ايمان
ويكون قوله فاحبط الله اعمالهم اي انها لم تقبل قط فكانت كالمحبطة وحكى الطبري عن ابن زيد
عن ابيه انه قال نزلت في رجل بدري نافق بعد ذلك ووقع في هذه المعاني فاحبط الله عمله
في بدر وغيرها وهذا ضعيف فيه والاشارة بذلك في قوله وكان ذلك علي الله يسيرا يحتمل ان يكون
الي احباط عمل هاولا المنافقين او جملة حالهم التي وصفت من شحهم ونظرهم وغيره من اعمالهم اي ان
امرهم يسير لا يبالي به ولا له اثر في دفع خير ولا جلب شر قوله يحسبون الاحزاب لم
يذهبوا الضمير للمنافقين اي انهم من الفزع والجزع بحيث رحل الاحزاب وهزمهم الله وهولا
يظنون انها من الخدع وانهم لم يذهبوا بل يريدون الكرة الي غلب المدينة ثم اخبر تعالى عن معتقد
هاولا المنافقين انه وددهم لو اتى الاحزاب وحاصروا المدينة ان يكونوا هم قد خرجوا الي البادية
في جملة الاعراب وهم اهل العمود والرحيل من قطر الي قطر ومن كان من العرب مقيما بارض
مستوطنا فلا يسمون اعرابا وغرضهم من البداوة ان يكونوا سالمين من القتال وقرا ابن عباس
وطلحة بن مصرف لو انهم بدى في الاعراب شديدة الدال منونة وهو جمع باد كغاز وغزى
وروى عن ابن عباس لو انهم بدوا وقرا اهل مكة ونافع وابن كثير والحسن يسالون عن من ورد عليهم
وقرا ابو عمرو وعاصم والاعمش والحسن بخلاف عنه يسلون خفيفة بغير همز علي نحو قوله سل بني اسرايل
وقرا الجحدري وقتادة والحسن بخلاف عنه يتسالون اي يسال بعضهم بعضا قال الجحدري في الامام
يتسالون ثم سلا الله عنهم وحقر شانهم بان اخبر انهم لو حضروا ما اغنوا ولا قاتلوا الا قتالا
قليلا لا نفع له قال الثعلبي هو قليل من حيث رياء من غير حسبه ولو كان لله لكان كثيرا ثم اخبر تعالى
علي جهة الموعظة بان كل مسلم ومتوغ في الاسلام فقد كان يجب ان يقتدي بمحمد عليه السلام حيث
قاتل وصبر وجاد بنفسه وقرا الجمهور اسوة بكسر الهمزة وضمها عاصم وحده وهما لغتان ومعناه
قدوة وتاسى الرجل اذا اقتدى ورجا الله تابع المعرفة ورجا اليوم الاخرة ثمرة العمل الصالح وذكر
الله كثيرا من خير الاعمال فنبه عليه وفي مصحف ابن مسعود يحسبون الاحزاب قد ذهبوا فاذا
وجدوهم لم يذهبوا ودوا قوله ولما راى المومنون الاحزاب وصف فعلهم حين راوا الجمع الاحزاب
وتحزبهم وصبرهم علي الشدة وتصديقهم وعد الله علي لسان نبيه واختلف في مراد المومنين بوعد الله

ورسوله لهم فقالت فرقة ارادوا ما اعلمهم به رسول الله حين امر بحفر الخندق فانه اعلمهم بانهم
سيحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم بانهم سينصرون بعد ذلك فلما راوا الاحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله فسلموا للامر وانتظروا اخره وقالت فرقه ارادوا بوعد الله ما نزل في
البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية ويحتمل ان يكون المؤمنون نظروا في هذه الاية وفي قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند امره بحفر الخندق واشاروا بالوعد الى جميع ذلك وهي مقالتان
احداهما من الله والاخرى من رسوله وزيادة الايمان هنا هي في اوصافه لا في ذاته لان ثبوته
وابعاد الشكوك والشبه عنه زيادة في اوصافه ويحتمل ان يريد ايمانهم بما وقع وبما اخبر به رسول
الله فيما لم يقع ويكون الشهادة بهذا الوجه فيما يؤمن به لا في نفس الايمان وقرا ابن ابي عبلة وما زادوهم
بواو جمع والتسليم الانقياد لامر الله كيف جاء ومن ذلك ما ذكرناه من ان المؤمنين قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عند اشتداد ذلك الخوف يا رسول الله ان هذا امر عظيم فهل من شيء نقوله فقال قولوا اللهم
امن روعتنا واستر عورتنا فقالوها في تلك الضيقات ثم اثنى عز وجل على رجال من المؤمنين عاهدوا الله
على الاستقامة التامة فوفوا وقضوا نحبهم اي نذرهم وعهدهم وكذا هو عند العرب الشيء الذي يلتزمه الانسان
ويعتقد الوفاء به ومنه قول الشاعر ٥ قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر ٥ المعنى انه التزم
الصبر الى فتح او موت فمات ومن ذلك قول جرير
٥ بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب ٥ اي على امر عظيم
التزم القيام به كانه خطر عظيم وشبهه وقد يسمى الموت نحبا وبه فسر ابن عباس هذه
الاية وقال الحسن قضى نحبه مات على ما عاهد ويقال للذي جاهد في امر حتى مات قضى نحبه
ويقال لمن مات قضى فلان نحبه وهذا تجوز كان الموت امر لا بد للانسان منه ان يقع به
فسمي نحبا لذلك فممن سمى المفسرون انه اشير اليه بهذه الاية انس بن النضر عم انس بن مالك
وذلك انه غاب عن بدر فساءه ذلك وقال لئن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين
الله ما اصنع فلما كانت احد ابلى بلاء حسنا حتى قتل ووجد فيه بضع على ثمانين جرحا فقال
ان هذه الاشارة هي الى انس بن النضر ونظرائه ممن استشهد في ذات الله تعالى وقال مقاتل
والكلبي الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه هم اهل العقبة السبعون اهل البيعة

وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب هم جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم والعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالجنة منهم الى كل من حصل في هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصحح هذه المقالة
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على المنبر فقال له اعرابي يا رسول الله من الذي
قضى نحبه فسكت عنه النبي عليه السلام ساعة ثم دخل طلحة بن عبيد الله على باب المسجد وعليه
ثوبان اخضران فقال عليه السلام اين السائل فقال ها انا ذا يا رسول الله قال هذا ممن قضى
نحبه فهذا امر لا بد على ان النحب ليس من شروطه الموت وقال معاوية بن ابي سفيان سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه وروت عايشة عن النبي عليه
السلام ٥ يتلوه في الجزء السادس قوله ومنهم من ينتظر ٥
كمل الجزء الخامس ولله الحمد والمنة في يوم الاربعا ثالث شعبان
سنة ثلاث واربعين وسبع مائة على يد العبد الفقير الى ربه المستغفر
له من ذنبه محمد بن احمد غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين امين